

أبو عيسى الفارسي

حياته، ومكانته بين أئمة النفس العربية
وأشاره في القراءات والنحو

تأليف

الدكتور عبد الفناح إسحاق شيباني
أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية
بجامعة أم القيوين - مكة المكرمة



ص ١٦٦٢٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هذا الكتاب رسالة دكتوراه ، نوقشت علنا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة في مساء الأربعاء (٨ من جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ - ٩ من يناير ١٩٥٧) ومثلت ثلاث من جامعاتنا في المناقشة : فقد اشترك فيها السادة الأساتذة : على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم مشرفا ، وعباس حسن أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم ، ومصطفى السقا وكيل كلية الآداب سابقاً (جامعة القاهرة) والدكتور عبد العزيز برهام وكيل كلية الآداب (جامعة الإسكندرية) وفضيلة الشيخ محمد المدني رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية دار العلوم ، والأستاذ بكلية العمريّة بالجامع الأزهر - سابقاً » .

وبعد مناقشة دامت سبع ساعات ونصف أعلن منح صاحب الرسالة درجة الدكتوراه في اللغة العربية بمرتبة الشرف .

تطلب جميع منشوراتنا من مكاتب دار المطبوعات الحديثة
جدة - سوق الندي - جانب مكتبة مرزات : ٦٤٣٣٠١١
جدة - حي الجامعة - سوق الأمير متعب التجاري ت : ٦٨٩١٦٦٠
المدينة المنورة - شارع السانبة - المتفرع من شارع أبي ذر ٨٣٦٣٢٤٨
جدة - المملكة العربية السعودية ص. ب ١٦٦٢٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٩م - ١٩٨٩م

النَّاسِر
دَارُ الْمَطْبُوعَاتِ الْحَدِيثَةِ



المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب. ١٦٦٢٥ - تلفون: ٦٨٩١٦٦٠

أَبُو عَيَّادٍ الْفَارِسِيُّ

فهرس بجمل

الصفحة	الموضوع
	مقدمة
٧	بقلم الأستاذ الكبير على النجدى ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم
١١	تقديم الرسالة الموضوع - أهدافه - منهج البحث فيه - مصادره مدخل البحث
١٧	١ - نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوى
٢٦	ب - الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو الباب الأول : عصر أبي على وحياته وآثاره
٣٥	الفصل الأول الحال السياسية والعقلية والاقتصادية والحقلية في عصر أبي على
٥١	الفصل الثاني أبو على في عيشه ونفسه
١٤٧	الفصل الثالث إحصاء آثاره الباب الثاني : أبو على والاحتجاج للقراءات
١٥٣	الفصل الأول الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي على الفارسي
١٦١	١ - سيويه - إمام النحاة - والاحتجاج للقراءات
١٦٦	ب - الطبرى إمام المفسرين - والاحتجاج للقراءات
١٧١	ج - ابن مجاهد - إمام القراء - والاحتجاج للقراءات
١٧٢	الفصل الثاني الحججة لأبي على الفارسي : عرض وتحليل
٢٥٧	الباب الثالث : دراسات مقارنة
٢٥٧	الفصل الأول بين القراء والفارسي في الاحتجاج
٢٧٠	الفصل الثاني بين الزجاج وأبي على في الاحتجاج
٢٩٥	الفصل الثالث بين أبي بكر بن السراج وأبي على في الاحتجاج
٣١٠	الفصل الرابع بين الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج
٣٢٧	الباب الرابع : أثر أبي على في الاحتجاج للقراءات
٣٢٧	الفصل الأول تأثر ابن جنى في المحتسب بأبي على
٣٨٥	الفصل الثاني تأثر مكى بن أبى طالب حموش القيسى بأبي على
٣٩٢	الفصل الثالث تأثر أبي عمرو الداني بأبي على

الصفحة	الموضوع
٤٢٧	تعقيب: بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس الباب الخامس: أبو علي والنحو
٤٣١	الفصل الأول ١ - نشأة البحث النحوي وتطوره
٤٤٧	ب - معالم النشاط النحوي منذ عهد أبي الأسود إلى أبي علي
٤٦٦	عرض كتب أبي علي في النحو
٤٦٧	أولاً: المسائل المشككة والبغداديات
٤٧٦	ثانياً: الاغفال
٤٨٨	ثالثاً: العسكريات
٤٩٤	رابعاً: البصريات
٤٩٩	خامساً: الحليليات
٥١٤	سادساً: الإيضاح والتكلمة
٥٤٧	سابعاً: الشيرازيات
٥٥٨	ثامناً: من كتاب الشعر
٥٦٢	تاسعاً: أقسام الأخبار
٥٧٠	عاشراً: المسائل المثورة
٥٧٣	أبو علي والتصريف
	الباب السادس: دراسات مقارنة بين أبي علي
٥٧٦	والأعلام النحاة من معاصريه
٥٧٩	الفصل الأول أبو علي والسيрани
٥٨٨	الفصل الثاني أبي علي والرماني
٦١٣	الفصل الثالث أبو علي والزجاجي
٦٣٧	الباب السابع: مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي
٦٣٧	الفصل الأول أثر أبي علي في أصول النحو (في خصائص ابن جنى)
٦٤٩	الفصل الثاني أثر أبي علي في الفروع (في أمالي ابن الشجرى)
٦٥٩	الفصل الثالث أثر أبي علي في الاحتجاج لمسائل الخلاف (في الانصاف لأبي البركات الأتبارى)
٦٦٨	الفصل الرابع أثر أبي علي في الإعراب (في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبرى)
٦٧٥	الخاتمة: تلخيص البحث - الجديد فيه - مقترحات
٦٩٣	مصادر الرسالة ومراجعها
٧٢٠	فهرس الأعلام

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُهْتَلِمَةٌ

بقلم الأستاذ الكبير على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم

هذا أبو على الفارسي كما وجده الصديق الكريم الدكتور عبد الفتاح شلي بعد رحلة طويلة مضية في بطون الاسفار المطبوع منها والمخطوط، وهذه آثاره في القراءات والنحو كما تمثل له ، بعد ما أحصاها عدا ، واتمسا في مظانها بحثا ، ثم عكف عليها فأشبعها دراسة ونقدا .

وإن بحثاً موضوعه أبو على الفارسي وآثاره في القراءات والنحو ، وواضعه باحث جامعي أيد ، أوتي مثل ما أوتي الدكتور شلي من كفاية ومواهب - لحقيق أن يكون بحثا قيما جليلا - له بين أنداده من البحوث منزلة كالتي كانت للشيخ أبي علي بين أنداده من العلماء .

لقد كان الفارسي في المائة الرابعة وبين علمائها كما كان سيويوه في المائة الثانية وبين علمائها ، مثالا عالياً للأستاذية العاملة المنتجة ، والغزارة العلمية الدافقة ، والقدرة الذهنية الفائقة على التبويب والتصنيف ، وكان كلاهما كذلك حلقة وضاءه باهرة ، في سلسلة الثقافة العربية الخالدة ، وصلت الخلف بالسلف ، وحملت علم الأولين إلى الآخرين .

ظهر أبو على وقد ازدهرت النهضة ، وآتت أكلها يانعا جنيا . وظهر سيويوه وما تزال النهضة نامية مطردة ، تشتد في طلب الغاية من النضج والاكتمال ، فأقبل كلاهما على الأئمة من المعاصرين وغير المعاصرين ، يأخذ منهم ، ويستوعب كل ما عندهم

حتى إذا تضلع منه ريا وأدرك أربا ، انصرف إليه يحصه ، ويقلب النظر فيه ،
ولأنه خلال هذا وذاك ليضيف إليه ويستخلص منه ما شاء الله أن يضيف ويستخلص،
ولما أن رضى عنه واطمأن إليه ، خرج به على الناس علماء منظمًا ، وعملاً مقدماً ،
وأثراً جديداً أو أشبه بالجديد من كل مقتبس أو منقول . وقد أعجب الناس بحجة
الفارسي وبراعته في التأليف ، كما أعجبوا من قبل بكتاب سيبويه وبراعته كذلك في
التأليف ؛ إذ رأوا الحجّة في بابها كالكتاب في بابها : فالحجة تدعم القراءات وتحتج
لها ، وتنفى الشبهة عنها بما فيها من النصوص الشاهدة ، والبحوث البارعة ، والأدلة
الناصعة . والكتاب يكفل للناس عصمة الألسنة أن تجرى بلحن أو تحريف في تلاوة
كلام الله ؛ بما يرفع للنحو من قواعد ، ويوصل من أصول ويفرع من فروع ، ويقرر
من مسائل .

وإذا لقد بذل كلاهما للدين من نفسه ، وخدمه جاهداً بعبه ، وأدرك من دنياه
الغاية التي كان يجمع عليها سلف هذه الأمة الكريمة في علم ما يعلون : أن يجعلوه
قربى إلى الله ، ووسيلة يخدمون بها دينه الخفيف في ناحية من نواحيه .

ولم يكن الفارسي قبل اليوم معروفاً على مقدار ما تستوجبه مكانته العالية وآثاره
الباقية ، وما يقتضيه البر به والإنصاف له وحسن الاعتراف بفضله ، فإكان الرجل
فيما أعلم إلا أشتاتاً من الآراء المرددة ، والأنباء المرسله ، والترجمات المقتضبة ،
وما كانت كتبه كذلك إلا مجرد أسماء نقرؤها في كتب التراجم والفهارس ، ثم لانكاد
نعرف منها أو نعرف عنها إلا اليسير .

وما كان منتظراً في عهد الركود والجمود أن يكون حظ الفارسي خيراً من هذا
الحظ ، ولا أن يكون نصيبه من الدرس والبحث غير هذا النصيب من الإغفال
والإهمال ، فقد كان الرجل في جلاله بحوثه ، وعمق فلسفته أبعد منالا ، وأعسر
متاولاً من أن يستشرفه أو يتناول إليه باحث أو ناشر إلا في عهد توثب ونهوض .

فلهذا نرى الدكتور عبد الفتاح شلبي دون غيره يختص به ، وينبعث في طلبه ،
وفي هذا العصر على التعيين ، ولا أرى أن هذا وذاك لمجرد المصادفة والاتفاق ،
ولكنه في الواقع للنسابة المواتية بين الفارسي وصاحبه ، ثم بين الفارسي والوقت
الذي قدر له أن يبعث فيه : فالدكتور عبد الفتاح شلبي باحث جلد ، متمكن في دراسته
جم النشاط ، وافر الإخلاص . والعهد عهد القومية العربية في تجمعها ونهوضها

واتجاهها إلى الغاية المشتركة في الهدف البعيد ، فمن دلائل التوفيق لها ، وهي تجمع الكلمة ، وتأخذ الأهبة أن تذكر أمسها في يومها ، وتأخذ من ماضيها لحاضرها ، وأن تمضي في هذه السبيل قدما إن شاء الله .

لقد بعث الله الشيخ الفارسي في هذا البحث العتيد ، ورده علينا بعد ألف عام خلقاً سوياً ، نراه في شخصه ونفسه ، وفي عواطفه وحسه ، وفي هواه ورشده ، وفي آرائه وعقيدته ، وفي تفكيره وفلسفته ، وفي بيئته وعصره ، وفي الينابيع التي استقى منها ، والإضافات التي أضافها ، وفي مدى ما انتفع الخالقون به ، وأفادوا منه . وهذه آثاره في القراءات والنحو قد أحصيت ، وحقق عددها ، وعينت أماكن وجودها ، وأوتى كل منها حقه من العرض ، والدرس ، والتحليل ، والتقد في أناة وحكمة وإنصاف .

وعجيب حقاً أن يكون ذلك كله على رأس الألف الثانية لوفاته (رحمة الله عليه) ، فهل ترى الأقدار كما قال الدكتور عبد الفتاح شلبي في تلخيص الرسالة ، قد تولت عنا تكريمه ، فحددت لنا مواعده ، وندبت مناله ، على نحو ما يفعل الناس في إحياء ذكرى العظماء الخالدين ؟

وظاهرة أخرى قد تكون من ظواهر تكريم الأقدار للفارسي ، وتهيئة الأسباب المواتية لجعل بعثه كاملاً : أنها جعلت ثقافته متصلة متشابهة ، لا تخرج عن حيز اللغة والنحو ، ولا تبعد منهما شيئاً ؛ ليدرسه الباحث جملة واحدة ، وعلى منهج واحد ، فيفيد من جانب لجانب ، ويأخذ من هذا لذلك . فما أظن أن باحثاً صبوراً مقتدراً يتصدى لدراسة الفارسي فيأخذ أثره في النحو أو القراءات ، ويدع الآخر لباحث غيره ؛ لأنه في أحد الأثرين لا بد ملم بالأثر الآخر وقائل فيه ، وإلا كان درسه مشطوراً أو مبتوراً ؛ لأن الفارسي (رحمة الله) لم يعمل للقراءات من ناحية الرواية والسند ، ولكن من ناحية الاستدلال والاحتجاج ، وكان معوله طبعاً في هذا وذاك على النحو وبحوثه ، واللغة ونصوصها .

وبعد ، فإن لي في هذا المقام أمنيّتين : عامة ، وخاصة ، فأما العامة : فإن تتوالى أمثال هذه البحوث القيمة ، نحى بها مجد سلفنا العظيم ، ففي ذلك مدد متصل النهضة ، وإضافة ثمينة إلى الثقافة ، وغفر صادق لنا واعتزاز . ولا بأس أن تدور كلها أو معظمها أول الأمر على أعلام الدولة في البلاد الشرقية ، ثم تدور مد ذلك

على الاعلام في سائر الاقطار ، ولا سيما مصر ، فلا شرق بين العرب اليوم ولا غرب ؛
ولكنهم أمة واحدة في أقطار متعددة . رفعت من بينها الحواجز ، وزالت الحدود .
ثم إن النهضة إنما نشأت وازدهرت في الشرق حيث حاضرة الخلافة ومستقر
السلطان . فنحن إذ نبدأ بدراسة اعلام الشرق ونثني بدراسة الاقطار الأخرى
إنما نبدأ الدرس من أوله ، وتناوله من أصله ، ثم نجري في تتبعه على سنن من المنطق
واطراد النهج .

وأما الخاصة فإلى السيد الدكتور عبد الفتاح أن يعكف على آثار الفارسي ،
فيعيد قراءتها ، ويحقق نصوصها ، ثم يخرجها للناس لإخراجاً عصرياً ؛ ليفيد منها علماء
اليوم والغد كما أفاد منها علماء الأمس . وبذلك يكون قد أوفى كل حق الفارسي عليه .
والرغبة إلى الله تعالى ان يوفقه في الإخراج كما وفقه في التأليف ، وأن يمهده
دائماً بعون منه وتأييده .

على النجدي ناصف

يوم الجمعة { ١٣ من شعبان سنة ١٣٧٦
١٥ من مارس سنة ١٩٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الموضوع - أهدافه - منهج البحث فيه - مصادره

أحمدك اللهم على توفيقك حمد الشاكرين ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك وصحابتك أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فموضوع هذا البحث ، أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو ، وأول صلتى بأبي علي كانت في هذه الآراء التي يذكرها له النحاة في مختلف المسائل النحوية مبثوثة في كتبهم هنا وهناك ، ولم تكن هذه الآراء حين ذاك تثير مني الاهتمام وإن كانت تسمى إلى تفرد أبي علي بالرأى في هذه المسائل في كثرة ظاهرة .

ثم كان لإعدادي لبحث الماجستير ، فتوثقت الصلة بيني وبين الرجل ؛ إذ كنت مستعيناً بكتابه الحجة على تحقيق الموضوع الذي أكتب فيه ، وسارت الأيام خفافاً أو ثقلاً وشخصية الرجل ماثلة أمام ناظري وفي خاطري ، والزمن يزيدني عندي لإجلاله وتوقيراً وقدرًا ، وأحسست أن ديناً في عنق بزاد ثقله كلما تأكدت الصلة بيني وبين أبي علي ، ولم يكن لهذا الدين من وفاء إلا أن أجعل الشيخ موضع الدرس في هذه المرحلة من مراحل دراستي العالية

ودفعني إلى ذلك - أيضاً - أني رأيت جمهرة الباحثين من حولى يترجمون للشعرية والأدباء ، ويؤلفون الكتب في الإعلام من رجال التاريخ ، ويقدمون الرسائل العلمية في هؤلاء وهؤلاء ، وقد صرفوا جهودهم إليهم مشكورين على كل حال - غير محتفلين بأمثال أبي علي من العلماء الذين كان لهم في الثقافة الإسلامية والدراسات العربية أثر مذكور ، وفضل غير منكور .

ثم رأيت أن المكتبة العربية لم تحظ عن أبي علي وترجمته وآثاره بشيء ذي خطر

ففي عظم هذه الآثار المطبوعة تراجم قصيرة مأخوذ بعضها من بعض ، يعتمد فيها المؤلفون اللاحقون على ما قال السابقون . بل إنك لتجد أمراً عجيباً : دائرة المعارف الإسلامية تغفل ترجمة الرجل ، وكل من وجدى والبستاني يذكر ترجمة قصيرة لا تنفع غلة ، ولا تشير إلى الفراهة العقلية لأبي علي ، وجورجى زيدان يشير إليه عابراً فيجعله من مشهورى النحاة الذين لم تصله من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر !! (١)

على حين يعطى تلميذه ابن جنى فضل اهتمام وصدارة وتنويه .
وتحتفل مجلة « المقتطف » فتوسع صدرها لصاحبها فيترجم له أحد كتبها (٢)
ترجمة تدل على معرفة لقدرة ، وإن كانت تأخذ الطابع العام للترجم التقليدية التي جرى عليها الأقدمون فيما يكتبون .

وتتحقق كتب ابن جنى تلميذ أبي علي ، ولا تتوجه الجهود إلى الشيخ مع أنه هو الذى صنع تلميذه على عينه . وسقاه من فيضه ، ونشأه واصطفاه .

ويبرز أبو علي في الدراسات الحديثة فينوه به في الكتب المحدثه ، والمجلات الأدبية ، وجمع اللغة العربية ، فلا يخلو ذلك التنويه من قصور في فهم آراء الشيخ ؛ مبعثه أن أحداً من هؤلاء المحدثين لم ينقطع له ، ولم يتخصص في دراسته .

ثم كانت التفاتة مباركة من صفوة علمائنا ومن طلاب الدراسات العالية إلى تراننا النحوى القديم والذين صنعوه ، فترجم أستاذنا لسيدويه ، وقدمت رسائل في التحليل والفراء والمخشرى وغيرهم من النحاة وعلى الرغم من هذه الجهود فالميدان لا يزال قسيحاً للجهاد والصال .

* * *

ورأيت في موضوعى اتصالاً بالدراسات القرآنية ، وهى أنفع للناس ، وأخلد على الزمن ، وأحق ما تبذل فيه الجهود ، وأكرم ما يتوفر عليه الباحثون .

* * *

وأمر آخر توفي أبو علي سنة ٣٧٧ هـ ، وإذن فنحن الآن على أبواب الذكرى الألفية لذلك الرجل ، فهل أنصفته الأقدار بأن جعلته موضوع دراسة جامعية عالية

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثاني : / ٣٠٣ و ٣٠٤ .

(٢) هو الأستاذ عبد الله أمين أحد نظار الملمين السابقين . والترجمة في عدد مايو ١٩٥١

توضع موضع البحث والمناقشة على ملا من الناس، وبذلك يكرم الرجل أجل التكريم في ذكره؛ كفاء ما قدم من آثار ولقاء ما مت به إلى كتاب الله من صلة أى صلة؟

* * *

من أجل ذلك، ومن أجل التمرس الخالص بالبحث العلمى، وهو فى ذاته هدف كريم - أحببت أن ألقى بدلوى فى الدلاء، وأن أؤدى بعض الحق نحو رجل من رجال العلم، فأجلى شخصيته، وأتعرّف مكانته بين السالفين والخالفين والعلماء من طبقاته المعاصرين فى القراءات والنحو جميعاً. ولم يكن من المسور لو قصرت الموضوع على جانب واحد أن أستقل ببحثه دون التعرض إلى الجانب الآخر بالدرس فالنّان يلتقيان عند أبي على متلازمين كالحذنين، وعلى أية حال لم تتأثر كيفية البحث بتعدد جوانب الموضوع . . .

* * *

وقد انتهجت المنهج التاريخى فى هذا البحث . جمعت المصادر المتصلة به، ثم نظرتها وحققت الآراء الواردة فيها، والظواهر الخاصة بأبي على منها، ومدى تأثيره بالسابقين ومكانته بين المعاصرين، وأثره فى الخالفين، وانتهى ذلك كله بالبحث إلى أن يصير فى سبعة أبواب يسبقها تمهيد، وتتلوها خاتمة .

فى التمهيد تحدثت عن نشأة القراءات وتطورها والفقهاء وعلم الكلام وصلة ذلك كله بالبحث النحوى .

وفى الباب الأول تحدثت فى فصول ثلاثة عن عصر أبي على، وحياته، وأحصيت آثاره .

وفى الباب الثانى تحدثت عن الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي على، ومنحت فضل اهتمام للاحتجاج عند إمام النحاة سيبويه، وإمام المفسرين الطبرى وإمام القراء ابن مجاهد ثم تناولت كتاب الحجة وعرفت به .

وعقدت فى الباب الثالث دراسات مقارنة بين أبي على والمحتجين للقراءات : القراء، والزجاج، وابن السراج، وابن خالويه .

ثم بينت فى الباب الرابع أثر أبي على فى الاحتجاج للقراءات ضارباً بالمثل بابن جنى فى المحتسب، ومكى بن أبي طالب فى الكشف، والدانى فى الموضح .

وقسمت المحتجين للقراءات إلى مدرستين : إحداها تمثل الأثر، والأخرى تمثل القياس .

* * *

وفي الباب الخامس تحدثت عن أبي علي النحوي ، فألمت لإمامة يقتضيها المقام بنشأة النحو ، وتطوره ، ونشاط النحويين منذ أبي الأسود حتى عصر أبي علي ، ثم تناولت ما عثرت عليه من كتب أبي علي النحوية ، وبينت خصائصها كما تمتلئ لي كتاباً كتاباً .

ثم عقدت في الباب السادس دراسات مقارنة بين أبي علي والنحاة من طبقته : السيراني ، الرماني ، والزجاجي .

وبينت في الباب السابع مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي في الأصول، والفروع، ومسائل الخلاف ، والإعراب ، ممثلاً على الترتيب باب جنى في خصائصه ، وابن الشجري في أماليه ، وابن الانباري في مسائل الخلاف ، والعكبري أبي البقاء في إعراب القرآن .

وفي الخاتمة لخصت النتائج الكبرى التي وصلت إليها ، وما حققت من مسائل في غضون الأبواب المختلفة للبحث ، وذكرت ما بدأ لي من مقترحات .

* * *

أما مصادر البحث فقد كانت عزيزة نادرة ، والصفة الغالبة عليها أنها مخطوطة ومشورة في مكتبات العالم ، فسعيت إليها في دور الكتب المختلفة ، وفي معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية ، وأعاني قوم من المشرفين على هذه الدور ، لهم عند الله الجزاء الوفور ، يسروا ما قدروا ، وأعلنوا وما استروا ، ومكنوا كراما غير باخلين^(١) ، فاستطعت الحصول على ما يلزم البحث من مخطوطات لآثار أبي علي ، والزجاج ، والزجاجي ، الرماني ، وابن جنى ، والرهمي ، والداني ، وابن خالويه ... وملكت نسخاً مصورة من الحجة ، والمسائل المختلفة لأبي علي ، فاتصلت اتصالاً

(١) أخذ بالشكر الأستاذ محمد رشاد عبد المطب بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية والأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية .

مباشراً بعقلية الرجل ، وصحبته ليالى وأياما طوالا سبرت فيها غوره ، وجلبت قدره
وآهرفت أثره ، واستعذبت في سبيل ذلك العناء ، وما أنفقت من وقت ومال ؛
لإذ كنت طالب حقيقه ، ومنقبأ عن مجبول ، وكاشفاً عن غامض ، وراجياً أن أضيف
إلى العلم ، شاكرأ لله أن تهبأ لى من وسائل البحث ما لم يتهبأ للسابقين من الأولين :
فهذا ابن غلبون يكتب الحجة كلها على ضخامتها — بخطه — ، ويعكف أحمد بن تميم
اللبلى وغيره على كتابة مسائل أبى على المختلفة ، فلاقوا في ذلك من العناء دونه ما كنت
ألقاه ، وكان ذلك باعثأ لى على أن أمضى فى الطريق قادراً نعمة الله .

وبجانب هذه المصادر — مراجع عامة — متصلة بالموضوع من قريب أو بعيد
من كتب القراءات والنحو أصوله وفروعه ، وكتب التاريخ ، والتراجم ، والبحوث
الحديثة ، وما ألفت المستشرقون .

وبعد : فمن الشكر الواجب أن أسجل اعترافى بالجهد الصادق المخلص الكريم
الذى بذله أستاذى المفضل على النجمرى ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دارالعلوم
فى الإشراف على هذه الرسالة ، والتوجيه الدقيق المفيد فى فصولها ، وما عدل
من ميلها ، حتى استوت على سوقها ، ولن أستطيع بكلمات أن أقدر تفضله الذى أجزل ،
وأداهه الذى وفى ، فأبتهل لى الله مخلصاً أن يجزيه أكرم الجزاء .
وشكرى العام لكل من شجع أو أعان .

والله المسئول أن يكتب لى النجاح بقدر ما بذلت من سعى ، وما أخلصت من نية .

عبد الفتاح ساجى

وحرر بحداثق القبة } شعبان ١٣٧٣
} إبريل ١٩٥٦



مدخل البحث

« وفيه ألم الإمامة يقتضيها المقام بنشأة القراءات وتطورها والفقهاء وعلم الكلام وأثر ذلك كله في القراءات والبحث النحوي ، وبذلك تتم حلقات السلسلة منذ أن نشأت هذه العلوم إلى عصر أبي علي الفارسي . »

أورو - نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوي :

عنى المسلمون عناية منقطعة النظير بكتاب الله الكريم ، فتركزت دراساتهم فيه ، أو دارت حوله ، وعكفوا عليه مفسرين ، وتفهموا أحكامه متفهمين ، وتلوه حق تلاوته متعبدين ، تحقيقاً لمضمون قوله تعالى وهو أصدق القائلين : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ^(١) . »

دعا الرسول (صلوات الله عليه وسلامه) إلى تعلمه وتعليمه ، وقراءته وإقرانه وجعل قراءته أفضل العبادة ، وارتفع بمكان أهله ؛ فجعلهم أهل الله وخاصته ^(٢) ، ووجه أنظارهم إلى مكانته وهدايته قبيل أن تحين منيته : إذ يقول : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي ^(٣) . »

وكانت المحاولة الأولى لتوثيق نصه في أمر الرسول أصحابه ألا يكتبوا شيئاً عنه سوى القرآن : حدث الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحجه ^(٤) . » وقد استأذن أبو سعيد الخدري النبي (صلى الله عليه وسلم) في كتب الحديث فأبي أن يأذن له ^(٥) . وهذا عمر يترك كتب السنن لئلا يترك كتاب الله ويلبس بشيء ^(٦) . ولهذا رويت الأحاديث بالمعنى ولم تنقل كما سمعت من النبي ، ومن هنا منع الاستشهاد بها على اللغة والنحو ، من منع من أمثال ابن الضائع ، وأبي حيان ^(٧) .

(١) سورة الحجر آية ٨ (٢) النشر لابن الجزري ٣/١ .

(٣) خطبته (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع .

(٤) المصاحف للسجستاني ص ٤ .

(٥) تفهيم العلم للخطيب البغدادي ، ٣٢ تحقيق يوسف المش طبعة دمشق ١٩٤٩ .

(٦) انظر القسم الثاني الفصل الأول من المصدر السابق ٤٩-٥٨ .

(٧) خزانة الأدب للبغدادي ٥/١ مطبعة دار العصور .

وكان عرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما نزل من كتاب الله على جبريل مرة في كل سنة ، وعرضه عليه مرتين^(١) سنة وفاته - المحاولة التالية لتحديد نص القرآن الكريم^(٢) ، وترتيبه في سوره وآياته^(٣) ، وتلقاه الصحابة (رضوان الله عليهم) من النبي (صلوات الله عليه وسلامه) حرفا حرفا ، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفًا^(٤) ، واستمع الرسول (عليه الصلاة والسلام) إليهم وهم يقرءون ، ذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ : روى خارجة بن زيد عن أبيه قال : « أنى النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، وقد قرأت سبع عشرة سورة ، فقرأت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعجبه ذلك ، وعن ابن مسعود قال : قال لى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : اقرأ على : ففتحت سورة النساء ، فلما بلغت : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا^(٥) ، رأيت عينيه تدرقان من الدمع ، فقال : « حسبك الآن ، ا

وكان من الصحابة من حفظ القرآن كله ، ومنهم من حفظ أكثره ، ومنهم حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٦))

وقد نقل السيوطى في الإتيان عن ابن حجر أن أبا بكر كان يحفظ القرآن^(٧) ، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) مهاجرين وأنصارا^(٨) . وهكذا انتقل الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى الرفيق الأعلى ، والقرآن في صدور الرجال ، وفي الصحف والعسب والخناف^(٩) والأكتاف والأقتاب^(١٠) والرقاع^(١١) .

ثم يحيى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) ، ويحارب المرتدة وعلى رأسهم « مسيلة الكذاب » وأصحابه . ويصدق القراء من كبار الصحابة الحملة تحت إمرة قائدهم خالد بن الوليد ،

(١) ابراز المعاني لأبى شامة ص ٤ . (٢) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٩١ .
(٣) المصاحف للسجستاني / ٥ (المقدمة) (٤) النشر لابن الجزرى ٦/١ .
(٥) سورة النساء آية ٤١ وتاريخ القرآن للزنجاني / ١٧ .
(٦) ينظر النشر لابن الجزرى ٦/١ . (٧) الاتقان ١/٩٠ ، ٧٢ .
(٨) المرجع السابق . (٩) المصاحف للسجستاني / ٧ ، فضائل القرآن / ٢٢ .
والخناف : حجارة بيض رقاق واحدتها لفة بوزن صفحة
(١٠) المرجع السابق / ٩ (١١) الاتقان في علوم القرآن ٧٢/١ وما بعدها .

وجعلوا يتنادون بشعارهم الحبيب إلى قلوبهم : « يا أهل سورة البقرة ! ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم ، وقتل الله مسيلة ، وأتبع أفتية أصحابه بالسيف المسلمة^(١) .

وتجلى المعركة عن قتل سبعين من القراء فيما ينقله السيوطي عن القرطبي^(٢) ونحو خمسمائة فيما يقول ابن كثير^(٣) ، وفيما ينقله ابن الجزري^(٤) ، وكان قد قتل منهم على عهد الرسول في غزوة بدر معونة سبعون^(٥) ، ويتنبه المسلمون إلى تراثهم الأجد ، ويخشون أن يذهب القرآن بذهاب القراء ، ويشرح الله صدر أبي بكر الصديق (رضوان الله عليه) بعد أن يتردد^(٦) ، فيرى رأى الصحابة في جمع القرآن ، ويمضى زيد بن ثابت يتتبع القرآن بسخه من الصحف ، والعصب ، والخاف ، وصدور الرجال ، وبذلك تتم مرحلة أخرى من مراحل حفظ الكتاب الكريم فيجمع بين لوحين ، وحفظ عند أبي بكر حتى توفي ، ثم عند عمر حتى توفي ، ثم كان عند حفصة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٧) .

ويشتهر بإقراء القرآن من الصحابة سبعة : عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري^(٨) ، ويتفرق الصحابة في الأمصار فاتحين ، ويقرئون الناس بقراءاتهم ، فكان أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب^(٩) ، وأهل البصرة فيما نقله أبو داود السجستاني^(١٠) يقرءون بقراءة عبدان بن قيس^(١١) ، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود^(١٢) ، وكانوا يقولون قراءة عبد الله ، وأهل البصرة يقولون قراءة أبي موسى^(١٤) ، وكل قراءة متصلة السند بالرسول على ما بينها وبين الأخرى من تخالف^(١٤) . ولم يكن المسلمون في أول عهدهم ينكرون هذه الفروق بين القراءات بعد ما سمعوا تيسير الرسول

(١) فضائل القرآن / ٢٥ .

(٢) الاتقان / ٨٩/١ .

(٣) فضائل القرآن / ٢٥ .

(٤) النشر / ٧/١ .

(٥) الاتقان / ٨٨/١ .

(٦) المصاحف / ٧ .

(٧) المصاحف / ٩ .

(٨) الفهرست لابن النديم / ٤٠ .

(٩) الاتقان / ٩١ .

(١٠) المصاحف / ١٤ .

(١١) هو أبو موسى الأشعري انظر ٤٤٢/١ طبقات القراء .

(١٢) المصاحف / ١٤ .

(١٣) انظر / ١٣ من المصدر السابق .

(١٤) أورد أبو داود السجستاني أمثلة لهذا التخالف انظر مثلا / ٥٤ وما بعدها .

عليهم بقوله (عليه الصلاة والسلام) « أنزل القرآن على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه ^(١) » .

حتى إذا كانت خلافة عثمان (رضى الله عنه) اشتد الخلاف بين الناس حتى اقتتل الغلمان والمعلمون : جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، وحتى كفر بعضهم بقراءة بعض ^(٢) ، فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيباً فقال : أتم عندي تختلفون فتلحنون ، فمن نأى عنى من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً . وهكذا تمت خطوة خطيرة في الحفاظ على كتاب الله بتوحيد نصه في مختلف أمصار العالم الإسلامى .

ويقال ان الذى دعا عثمان إلى اتخاذ هذه الخطوة أن حذيفة بن اليمان قدم عليه وكان يغازى أهل الشام في ثغر أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فرأى حذيفة اختلافهم - الشاميين والعراقيين - في القرآن حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فركب حذيفة إلى عثمان ، فقال يا أمير المؤمنين : « أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى ، ففزع لذلك عثمان ، وأرسل إلى حفصة بنت عمر أن أرسلى إلى بالصحف التي جمع فيها القرآن ، فأرسلت بها إليه حفصة ^(٣) ، وكتبت المصاحف باتفاق من الصحابة (رضى الله عنهم) ، بالمدينة ، ونفذت إلى الأمصار البصرة ، والكوفة ، والشام ، ومكة ، واليمن ، وأمسك عثمان لنفسه مصحفاً وهو الذى يقال له الإمام ^(٤) ، وأمر باتباعها وترك ما عداها ، فأخذ الناس بها ، وتركوا من تلك القراءات كل ما خالفها ، وبهوا ما يوافقها ^(٥) ، ووجدت هذه المصاحف جميعها من القبط والشكل ، فاحتملت ما صح نقله ، وثبتت تلاوته عن النبي (صلى الله عليه وسلم ^(٦)) .

ثم تجرد قوم للقراءة . واشتدت بها عنايتهم ، وكثر لها طلبهم . حتى صاروا بذلك أئمة تشد الرحال إليهم ، ويأخذها الناس عنهم ، واشتهر من الصحابة عثمان ، وعلى ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ^(٧) ، واشتغل الناس بالإقراء في مختلف الأمصار فكان :

(١) فضائل القرآن وإبراز المعاني / ٤ (٢) المصاحف / ٢١ .

(٣) المصاحف للسجستاني من ص ١٨-٢٢ بروايات مختلفة .

(٤) النشر ٧/١ (٥) إبراز المعاني / ٤

(٦) النشر لابن الجزرى ٨/١ (٧) إبراز المعاني لأبي شامة / ٤

(بالمدينة) ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان ، وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحرث الذي يعرف بمعاذ القاري ، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن أسلم .

و (بمكة) عبيد بن عميرة ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة و (بالكوفة) علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحرث بن قيس ، والربيع بن خيثم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضله ، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ، وسعد بن جبير والنخعي ، والشعبي .

و (بالبصرة) عامر بن عبد القيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

و (بالشام) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان (رضى الله عنه) في القراءات^(١) وزاد السيوطي نقلا عن الذهبي : خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء^(٢) .

ثم تلت هؤلاء طبقة أخرى ، فاشتهر من هذه الامصار الخمسة - خمسة عشر رجلا في كل مصر ثلاثة :

١ - فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبه بن نصاح ، ثم نافع بن أبي نعيم

وإليه صارت قراءة أهل المدينة

ب - وكان بمكة : عبدالله بن كثير ، وحמיד بن قيس الأعرج ، ومحمد بن يحيى وأقدمهم ابن كثير ، وإليه صارت قراءة أهل مكة .

ج - وكان بالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن بهدلة ، وسليمان الأعمش ، ثم تلامح حمزة رابعاً ، ثم الكسائي .

د - وكان بالبصرة : عبدالله بن أبي اسحق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو ابن العلاء وإليه صارت قراءة أهل البصرة ، وانخذوه إماما ، وكان لهم رابع هو عاصم الجحدري .

ه - وكان بالشام : عبدالله بن عامر ، ويحيى بن الحارث الذماري ، وثالث هو خليل بن سعد أو عطية بن قيس الكلابي ، أو اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر على خلاف في ذلك

واشتهر بالآفاق (١) الأئمة السبعة (٢) الذين صارت إليهم القراءة في هذه الأمصار نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي . وهؤلاء هم القراء السبعة الذين اختار قراءتهم ابن مجاهد (٣٢٤ هـ) (٣) آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام (٤) ، وتولى شرح كتاب ابن مجاهد في السبعة أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) في كتاب الحجة ، وكان قد شرع فيه قبله شيخه أبو بكر بن السراج (٣١٦ هـ) (٥) على ما سأتناوله بالتفصيل إن شاء الله .

كانت جهود المسلمين في سبيل الحفاظ على القرآن الكريم منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) تشمل المراحل الآتية :

أولاً - مرحلة (توثيق النص القرآني) وهذه ذات مظهرين :

١ - المظهر الأول يتجلى في أمر الرسول بكتابة القرآن دون سواه .

ب - المظهر الآخر يتجلى في عرض الرسول القرآن الكريم على جبريل .

ثانياً - ثم كانت مرحلة (جمع النص القرآني) بين لوحين في عهد أبي بكر

ثالثاً - ثم تلتها مرحلة (توحيد النص القرآني) في عهد عثمان ، وكانت هذه

المراحل كافية في صون الكتاب عن التحريف أو التبديل والتصحيف لو أن العرب لم يتفش اللحن ألسنتهم باختلاطهم بغيرهم من الأمم الأعجمية الأخرى ، ولكن الأمر قدر على غير ذلك ، فقد كثرت هذه الحراء ، وأفسدت من ألسن العرب كما قال زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلي (٦) ، ويرغب أبو الأسود ، أو يرغب زياد إليه أن يضع لهم شيئاً يقيمون كلامهم به ، وينشط أبو الأسود إلى هذا العمل بعد أن يسمع رجلاً يقرأ قوله تعالى : « إن الله برئء من المشركين ورسوله » يقرأها بجر اللام ويرى أن يبدأ بإعراب القرآن (٧) .

ويذكر أبو حيان في البصائر والذخائر أن علي بن أبي طالب هو الذي أمر

(١) الاتقان ١/٩٢

(٢) انظر ترجمة هؤلاء الأئمة السبعة في كتاب غاية النهاية لابن الجزري على الترتيب .

(٣) إبراز المعاني لأبي شامة / ٥ (٤) الفهرست لابن النديم / ٤٧

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي / ١

(٦) نزعة الألباء ط جمعية إحياء آثار علماء العرب ص ٦.

(٧) المصدر السابق

أبا الأسود^(١)، ويذكر القرطبي في تفسيره^(٢) والزنجشري في كشافه^(٣) وأبو حيان في بجره^(٤) أن عمر بن الخطاب هو الأمر، ولا يحدد أبو عمرو الداني في كتابه: النقط أيهما الأمر، حيث يقول: رويناه أن المبتدئ بذلك كان أبا الأسود الدؤلي^(٥). وهكذا تتظاهر الروايات على أن التكليف كان لذلك الرجل، وأيا ما كان الأمر فإن هذه الروايات لها دلالتها على أن المسلمين هموا يريدون أن يقوموا بعمل لصيانة كتاب الله فكانت المرحلة الرابعة. وهي مرحلة إعراب النص القرآني كما جاء في كلام أبي الأسود الدؤلي من قبل.

وفي هذه المرحلة وضع بصيغ يخالف لون المداد. نقطة فوق الحرف للفتحة، وجانبه للضمة، وأسفله للكسرة، وللغنة نقطتان^(٦) ثم كانت الخطوة الأخيرة وهي إعرام النص القرآني، لتمييز الحروف المتشابهة بعضها من بعض، وكان ذلك في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، واستعان على ذلك برجلين هما: نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر على قول^(٧)، أو الحسن البصري، ويحيى بن يعمر على قول آخر^(٨). ثم استبدل بالنقط في عمل أبي الأسود حروف اللين. ألف صغيرة علامة للفتحة والواو للضمة، والياء للكسرة، وكان ذلك عمل الخليل بن أحمد (١٧٠ هـ)، لأنه كان يرى أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو^(٩)، والخليل هو الذي جعل - فيما يقول الداني - الهمزة والتشديد والروم والاشمام^(١٠). وهنا تكون المرحلة الخامسة التي سلكها المسلمون رعاية للنص القرآني، تلك أعجابه.

والذي يهم الباحث متصلاً بموضوع هذا البحث. المرحلة الرابعة من المراحل السابقة؛ إذ هي متصل اتصالاً وثيقاً بالحديث عن نشأة النحو والإعراب. ثم هي

(١) ١٨٣/١ (٢) ٢٤/١ واطظر كتابه التذكار ٩٩/

(٣) ١٣٩/٢ (٤) ٦/٥

(٥) كتاب النقط من ١٣٢ وما بعدها

(٦) اظر نزهة الألباء ٦/ واطظر فضائل القرآن لابن كثير من ٨٩

(٧) كتاب التصحيح والتحريف لأبي أحمد الحسن العسكري من ١٠، ووقيات الأعيان

٣٤٤/١

(٨) فضائل القرآن لابن كثير من ٨٩

(٩) الكتاب لسيبويه ٣١٥/٢ (١٠) المقنع لأبي عمرو الداني ١٢٥

ذات دلالة أخرى ؛ إذ تشير إلى قيام مدرسة بجانب مدرسة القراءات هي مدرسة النحو والنحاة، وقد عملت هاتان الطائفتان جنباً إلى جنب ، بل كان رجال هذه منذ النشأة الأولى وفيما يشتهرون به - هم رجال تلك ، ولأن مرحلة التخصص العلمي لم تكن بعد ، فسعت هذه إلى أداء القرآن، وتجويد متنه، وأدائه، وإقراءه، وضبط تلقينه، وتلقيه، وترتيله ترتيلاً، وسعت الأخرى إلى إعرابه، وضبطه، وتفسير معجمه مستعينة بحفظ اللغة والرواية عن الإعراب ، وكلتا الطائفتين تجتمع على الخير من خدمة كتاب الله وفقهه تقرباً إليه وزلفى ومن هنا كان اللحن بشعاً ، وأشد ما يستبشع في كتاب الله . يروى أن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن يعمر: أتجدني ألحن؟ فقال: الأمير أفصح من ذلك، فقال: عزمت عليك . أتجدني ألحن؟ فقال يحيى: نعم! فقال له: في أي شيء؟ فقال: في كتاب الله تعالى . فقال: ذلك أشنع ففي أي شيء من كتاب الله تعالى؟ قال: قرأت في قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأرواحكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم، فرفعت أحب وهو منصوب، فقال الحجاج لا تسأكني ببلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان (١)

وحسبك أن تعلم في الصلة بين النحاة والقراء أن علياً أستاذ أبي الأسود في القراءات والنحو (٢) وكان عبد الرحمن بن هرمز أحد القراء (٣)، ويحيى بن يعمر كذلك (٤)، وأن أبا عمرو وعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي روى القراءة عن نصر ابن عاصم (٥)، وأن يونس بن حبيب يروى القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء ويأخذ العربية عنه (٦)، وكذلك كان سيديويه (٧)، وسيديويه قارئ يتعرض للقراءات (٨) وكان ابن كثير المكي (١٢٠ هـ) (٩) أحد القراء السبعة المشهورين يقرأ عليه عيسى ابن عمر (١٤٩ هـ) (١٠) والخليل بن أحمد (١٧٠ هـ) (١١)، وكل واحد من هذين لإمام راسخ وحجة ثبت في اللغة والنحو، وأبو جعفر الرواسي (١٢)، وعلى بن حمزة الكسائي (١٣) (١٨٩ هـ) كل له قدم راسخة في العربية والقراءات، وكان الكسائي

- (١) نزهة الألباء / ١٠ (٢) المصدر السابق / ٩ (٣) الفهرست ٥٩
 (٤) طبقات الزبيدي / ٢٣ (٥) طبقات القراء ٣٣٦/٢ - نزهة الألباء / ١٠٣
 (٦) طبقات القراء ٤٠٦/٢ (٧) طبقات القراء ٢٨٩/١ (٨) الحجية نسخة البلدية ٤٤/١
 (٩) طبقات القراء ٤٤٣/١ (١٠) نزهة الألباء / ١٣ (١١) المصدر السابق / ٢٩
 (١٢) بغية الوعاة / ٣٣ (١٣) طبقات القراء ٥٣٥/١

- كما يقول ابن الانباري - أعظم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن ، كذلك كان يحيى بن زياد القراء (٢٠٧ هـ) (١) وثلعب (٢٩١ هـ) (٢) والاخفش الكبير (٢٩٢ هـ) (٣) الذي كان شيخ الإقراء بدمشق صابغاً ثقة نحويّاً مقرئاً . قال أبو علي الأصفهاني عنه : « صنف كتباً كثيرة في القراءات والعربية . حتى عد ابن الجزري (٨٨٢ هـ) فيما يلزم المقرئ ، « أن يحصل جانباً من النحو والصرف بحيث أنه يوجه ما يقع له من القراءات ، وهذا من أهم ما يحتاج إليه (٤) ،

والنحاة عند القراء أكثر ضبطاً للقراءة ، وأصح نقلاً من اللغويين ؛ قال أبو بكر ابن السراج بعد أن أورد رواية الأصمعي عن أبي عمرو وقراءته الصراط بالزاي ؛ « وأما الزاي فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو ؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي ، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهما زايًا (٥) .

وهذا السيوطي (٩١١ هـ) يذكر في مقدمة كتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » أنه اعتمد على طبقات القراء لأبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ) ، وطبقات القراء للحافظ أبي عبد الله الذهبي (٧٤٨ هـ) ، وذيل طبقات القراء للعفيف المطري ، لجمع كل ما تضمنته هذه الكتب من ترجمته نحوي (٦) .
والمطلع على تأليف القراء أو النحاة يجد مظاهر الثقافة القرآنية والنحوية عند هؤلاء وهؤلاء ؛ فيونس بن حبيب (١٨٢ هـ) يؤلف معاني القرآن (٧) ، وقطرب (٢٠٦ هـ) يؤلف في الرد على الملحدين في مثشابه القرآن (٨) ، وأبو حاتم السجستاني يؤلف في اختلاف المصاحف (٩) والسجستاني يقرأ كتاب سيدييه على الاخفش مرتين ، وإن درستويه النحوي يؤلف المعاني في القراءات ، والرد على ابن مقسم في اختياره (١٠) .

(١) تزيه الأبناء / ٦٦

(٢) المصدر السابق ١٥٧

(٤) منجد المترجمين / ٤

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ١٣٩/١ نسخته ببلديه الاسكندريه

(٦) بغية الوعاة / ٣ (٧) الفهرست / ٦٣

(٨) المصدر السابق / ٧٩ ، ٥٧ (٩) الفهرست / ٨٧

(١٠) الفهرست / ٩٤ وذكر الاسم خطأ : أبي مقسم

والنفاد من القراء يؤلف أصول النحو^(١)، وأبو محمد الزبيدي كان مؤلف النقط والشكل والمصادر في القرآن، كما يؤلف في المقصور والممدود، وعبد الله ابن أبي محمد الزبيدي يؤلف في غريب القرآن كما يؤلف مختصر نحو^(٢).

والأخفش المجاشعي يؤلف الاوسط في النحو والمقاييس، كما يؤلف في معاني القرآن^(٣). وأبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) يؤلف في قراءة أبي عمرو، والمبرد يؤلف احتجاج القراءة ومعاني القرآن كما يؤلف المقتضب والمدخل في النحو...^(٤) حتى إذا ما انتهينا إلى أبي علي الفارسي وجدناه يشير إلى الصلة بين النحاة والقراء في قوله: وسألت بعض من ينظر في العربية من القراء عن معيضة ووزنه وجمعه^(٥). ثم يؤلف الحجة في التعليل لقراءات الأئمة السبعة، والإغفال فيما أغفله الزجاج من معاني القرآن^(٦)، والتبج لأبي علي الجبائي في التفسير، كما يؤلف في النحو: الإيضاح والتكملة^(٧)..

وقد نشأت هاتان المدرستان متصلتين - كما بينت - ثم أخذتا في الانفصال متميزتين حتى أورد السيوطي: «لم يكن ثابت بن حيان (ت. ٦٢٨ هـ) من الأئمة النحويين، وإنما كان من الأئمة المقرئين^(٨)، وحتى بلغ من انفراج الشقة بينهما أن عرض النحاة المتأخرون بمشايخ القراء وضعفهم في العربية^(٩). وأبين بعد ذلك:

* * *

ثانياً - الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو:

وعما يتصل بموضوع هذا البحث الحديث عن الفقه وتطوره، والفقهاء ومذاهبهم والمتكلمين وطرقهم في تناول الدراسات المتصلة بالعقائد، وأثر ذلك كله في القراءات ومباحثها، والنحو ومسائله، حتى تتعرف على الصورة التي انتهى إليها البحث القرآني والنحوي، وكيف وصلت إلى أبي علي الفارسي.

(١) الفهرست / ٤٩

(٢) الفهرست / ٧٥

(٣) الفهرست / ٧٨

(٤) الفهرست / ٨٨

(٥) المسائل المتكلمة لوجه ١٩

(٦) الفهرست / ٩٥

(٧) معجم الأدياء ٢٤١/٧

(٨) بنية الوعاة / ٥٥، ٢١٠

(٩) انظر المنقح لابن هشام ٢/ ١١٥

وكل من الفقه وعلم الكلام وثيق الصلة بالآخر ، فقد كان النظر في الدين بأحكامه وعقائده يسمى فقهاً ، ثم خصت الاعتقادات باسم الفقه الأكبر ، وخصت العمليات باسم الفقه ، وسميت مباحث الاعتقادات علم الكلام ،^(١) .

وأسارع فأذكر أن الذين أفتوا في عهد الرسول (صلوات الله عليه وسلامه) كانوا ممن تعلموا الكتابة ، واشتغلوا بالقراءة والإقراء ، بل أطلق لفظ القراء على أهل الفتوى ، ومن يؤخذ عنهم الدين ؛ جاء في مقدمة ابن خلدون : « أن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك محتصاً بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي (صلى الله عليه وسلم) أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك القراء ، أى الذين يقرءون الكتاب ؛ لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم »^(٢) .

وفي هذا النص تعليل لاشتغال هؤلاء القراء بالإفتاء ، ولم كان الدين مأخوذاً عنهم ، ومختصاً بهم دون غيرهم .

ومن ذكروا بالإفتاء من الصحابة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي (رضى الله عنهم أجمعين)^(٣) .

وقد حفظ التاريخ لمعظم هؤلاء المفتين عملاً جليلاً في سبيل القرآن . في جمعه ، أو توحيد نصه ، أو كتابته ، أو إقرائه على النحو الذى بينت من قبل^(٤) . وأزيد هنا أن ابن مسعود إلى جانب تجويده القرآن وتحقيقه وترتيله كان يتعلم من رسول الله - فيما يتعلم - الأعمال التى تشتمل عليها آيات القرآن ، قال : « كنا نتعلم من النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر آيات فما نتعلم العشر التى بعدهن حتى نتعلم ما أنزل الله في هذه العشر من العمل »^(٥) . وهو مع ذلك الإمام في تجويد القرآن ، وتحقيقه ، وترتيله مع حسن الصوت^(٦) . وحذيفة بن اليمان وردت الرواية عنه في حروف القرآن^(٧) .

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية / ٥٠ (٢) مقدمة ابن خلدون / ٤٤٦ ط مصطفى محمد

(٣) الحفظ القرظية / ٤٤٢ ط المليجي

(٤) انظر صفحات ٣ وما بعدها من هذا البحث

(٥) طبقات القراء / ٤٥٩ (٦) نفس المصدر (٧) طبقات القراء / ٢٠٣

وزيد بن ثابت موسوم في كتب الطبقات بأنه المقرئ الفرضي^(١)، وأبي بن كعب من القراء الذين قرءوا على النبي القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض القرآن للإرشاد والتعليم^(٢). ومعاذ بن جبل عالم بالحلال والحرام، ومن أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «خذوا القرآن من أربعة»^(٣)، وأبو الدرداء قاضي دمشق، وحكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٤). وأبو موسى الأشعري حفظ القرآن وعرضه على النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٥)، وقد أرسل إليه عمر بن الخطاب رسالته المشهورة التي تعد دستور القضاء^(٦)، وهكذا كان كل واحد من هؤلاء الأعلام ذا قدم راسخة في القراءة والإقراء والإفتاء، وتبقى اسم القراء يطلق صدر الملة على أهل الفتوى، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب^(٧)، ولم تعد القراءة مقصورة على أولئك الذين يقرءون الكتاب، هنالك - ومنذ عصر بني أمية - استعمل لفظ العلم للدلالة على حفظ القرآن، ورواية السنن والآثار، وسمى أهل هذا الشأن «العلماء» واستعمل لفظ الفقه للدلالة على استنباط الأحكام الشرعية بالنظر العقلي، فيما لم يرد فيه نص كتاب ولا سنة، وسمى أهل هذا الشأن الفقهاء^(٨).

وكانت الأمة العربية في الصدر الأول لا تزال قريبة العهد بالبداءة، تعيش على الفطرة في غير تعقيد، قليلة الأحداث التي تعرض لها من ناحية العقيدة، وكان التشريع كافياً في إقامة دين هذه الأمة وسياستها سياسة رشيدة دون حاجة إلى أعمال الفكر في رأى أو اتجاه إلى قياس اللهم إلا في النادر القليل^(٩).

ومنذ عهد بني أمية اتسعت المملكة الإسلامية، ودخل فيها كثير من أمم الأرض، وانتقل العرب إلى هذه الأقطار المفتوحة، وتفرق القراء وعلماء الصحابة في البلاد، وصار كل واحد مقتدى ناحية من النواحي، وكثرت الوقائع واستفتوا

(١) نفس المصدر ٢٩٦

(٢) المصدر السابق ٣١ (٣) طبقات القراء ٣٠١/٢

(٤) نفس المصدر ٦٠٦/٢ (٥) المصدر السابق ٤٢٢/٢

(٦) السكامل للبرد ٩/١ (٧) مقدمة ابن خلدون ٤٤٦

(٨) تمهيد التاريخ، الفلسفة الإسلامية ١٩٣

واظر جامع بيان العلم لابن عبد البر مصر ادارة الطباعة المنيرية ٢٣/٢ - ٢٣

(٩) انظر تاريخ التشريع الإسلامى ١٢٦

فيها فأجاب كل واحد على حسب حفظه أو استنباطه ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه (١) .

وينقسم الفقه إلى طريقتين - طريقة أهل الرأي والقياس ، وهم أهل العراق أتباع أبي حنيفة ، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز (٢) أتباع مالك .

وتوسط بين أهل الحديث وأهل الرأي محمد بن ادریس الشافعي (٢٠٤ هـ) وهو الذي وضع نظام الاستنباط الشرعي من أصول الفقه ، ولقد انتهى علم أصول الفقه بأن جمع بين مسائل المنطق وأبحاث الفلسفة والكلام شيئاً غير قليل (٣) ، ذلك أنه في نهاية القرن الأول الهجري وعلى يد المعتزلة ظهر علم الكلام وشاع ، وكان هؤلاء يعتمدون على الجدل والمنطق في كلامهم (٤) .

وبجانب المعتزلة فرق الخوارج (٥) ، والروافض (٦) ، والكرامية (٧) ، والجبرية (٨) ، والمرجئة (٩) ، والصوفية (١٠) ، وغير هؤلاء يتظاهرون بالإسلام (١١) وغيرهم خارجون عليه ، من يهود ساسرية ، ومعادية ، وعيسوية (١٢) . ونصارى ؛ ملكانية ونسطورية ويعقوبية (١٣) . ومجوس : زرادشتية ، وثنوية : مانوية ومزدكية . . . وصائبة (١٤) ، وكل هؤلاء وهؤلاء لهم آراء في أصول الدين والعقيدة ينافح عنها بالحجة ، ويدعو إليها بالدليل ، ويقارع غيره بالقياس والتعليل ، وما كان منهم إلا من نظر في الفلسفة ، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره فلم يبق مصر من الأمصار ، ولا قطر من الأقطار إلا وفيه طوائف كثيرة من هذه الفرق ، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري ظهر السني « أبو الحسن الأشعري ، يرد على المعتزلة ، وينصر عقائد أهل السنة بالأدلة العقلية ، وساعده على ذلك أنه كان

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية / ١٨٨

(٢) انظر في تفصيل ذلك ضحا الإسلام ١٦٠/٢

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية / ١٣٤

(٤) المصدر السابق / ٢٨٨

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للإمام الرازي ٤٦-٥١

(٦) المصدر السابق / ٥٢ (٧) المصدر السابق / ٦٧

(٨) ص ٦٨ (٩) ص ٧٠

(١٠) ص ٧٢ (١١) ص ٧٦

(١٢) ص ٨٣ (١٣) ص ٨٤

(١٤) ص ٨٦

تليذاً لأبي على الجبائي المعتزلي ثم بدا له فتحول عن الاعتزال^(١) ويمس أبا على الفارسي طائف من هذا الاتجاه ، فيتهم بالاعتزال^(٢) ويؤلف كتاب التتبع لأبي على الجبائي^(٣) .

وهكذا تحول العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول وما قبله بقليل إلى صراع فتنٍ في العقائد ، وجدل قوى في الفقه والفرائض ، وذاع ذلك في مجالس الخلفاء^(٤) وفي الطرقات^(٥) وحلقات المساجد^(٦) ، وامتزجت أبحاث الفقهاء والمتكلمين بأبحاث النحو والنحويين ، وأعان على ذلك عدم التخصص في الدراسة ، وأخذ كل فريق بسبب من ثقافة الآخر إلى أن الأئمة من هؤلاء وهؤلاء كانوا متعاصرين ، فالحسن البصري (١١٠ هـ)^(٧) يعاصره عبد الله بن أبي اسحق (سنة ١١٧ هـ)^(٨) ، ويحيى بن يعمر (١٢٨ هـ)^(٩) . وكل من هؤلاء معاصر لواصل بن عطاء المعتزلي (١٣١ هـ)^(١٠) .

وعمر بن عبيد المعتزلي (١٤٢ هـ)^(١١) يعاصره عيسى بن عمر النحوي (١٤٩ هـ)^(١٢) وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ)^(١٣) ، وهؤلاء جميعاً يعاصرون أبا حنيفة النعمان (١٥٠ هـ)^(١٤) ، وقد توفي كل من أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ويونس بن حبيب البصري سنة ١٨٢ هـ على ما يذكر ابن العماد الحنبلي في الشذرات ومحمد بن الحسن (١٨٩ هـ) كان معاصراً لسيبويه (١٨٠ هـ) ، وحسبك هؤلاء الأئمة إمعاناً في الجدل ، وتنبأ بالقياس ، وتعمقاً في المباحث المنطقية . وكثيراً ما كانت تتعقد صلات الصداقة بين هؤلاء وهؤلاء ، أو ينفرد عقد المودة بينهم ، ومهما يكن من أمر فإن في هذه وتلك لقاء للعقول ، أو دافعاً إلى التسليح بما يتسلح به الخصوم ، فقد قالوا : إن ابن المقفع كان صديقاً للخليل بن أحمد^(١٥) ،

- | | |
|----------------------------------|--|
| (١) الخطط القرظية ١٨٤/٤ | (٢) معجم الأدباء ٢٣٤/٧ |
| (٣) معجم الأدباء ٢٤١/٧ | (٤) نقل السيوطي في الأشياء والظواهر كثيرا من هذه المجادلات |
| (٥) ضحى الإسلام ١٠١/٣ | (٦) وفيات الاعيان ٤٢٦/٦ |
| (٧) شذرات الذهب ١٧٥/١ | (٨) المصدر السابق/١٣٦ |
| (٩) شذرات الذهب ١٧٤/١ | (١٠) المصدر السابق/١٧٩ |
| (١١) شذرات الذهب سنة ١٤٢ هـ | (١٢) شذرات الذهب وفيات سنة ١٥٠ هـ |
| (١٣) المصدر السابق سنة ١٥٠ هـ | (١٤) المصدر السابق وفيات سنة ٨٢ هـ |
| (١٥) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٩/ | |

« وثمامة بن أشرس كان كذلك لأبي زكريا يحيى الفراء ^(١) ، وقالوا : « إن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة كان يقع في أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ^(٢) . »

ويذكر السيوطي في آخر بغية الوعاة بابا في المنتقى في أحاديث النحاة ^(٣) لم يذكر في اسنادها من اشتهر بفن غير النحو ^(٤) ، ولم يدع فيها أحداً ممن تحقق أنه نحوي إلا ذكره .

ويكون هناك تفاعل بين النحويين والفقهاء ، وتختلط أبحاث هؤلاء بأبحاث هؤلاء : قال أبو بكر بن شقير : حدثني أبو جعفر الطبري قال : سمعت الجرمي يقول : أنا منذ ثلاثون أفتى الناس في الفقه من كتاب سيدي به قال : فحدثت به محمد بن يزيد علي وجه التعجب والإنكار فقال : أنا سمعت الجرمي يقول هذا - وأوما بيده إلى أذنيه - . ^(٥) وحكى الدورى قال : كان أبو يوسف يقول : أى شيء يحسن الكسائي؟ إنما يحسن شيئاً من كلام العرب ، فبلغ ذلك الكسائي فالتقى عند الرشيد ، وكان الرشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه ، فقال لأبي يوسف : « يا يعقوب ! إيش تقول في رجل قال لامرأته : « أنت طالق طالق طالق ؟ » قال : « واحدة ! » قال : « فإن قال لها : « أنت طالق أو طالق أو طالق ؟ » قال : « واحدة ! » قال : « فإن قال لها : « أنت طالق ثم طالق ثم طالق ؟ » قال : « واحدة ! » قال : « فإن قال لها : « أنت طالق وطاق وطاق ، ثم طالق ، أو واحدة ! » قال : « فإن قال لها : « أنت طالق وطاق وطاق ، وأصاب في اثنتين ، أما قوله : أنت طالق طالق طالق فواحدة ؛ لأن الثنتين الباقيتين تأكيد كما تقول : « أنت قائم قائم قائم ، وأنت كريم كريم كريم ، وأما قوله : « أنت طالق أو طالق أو طالق ، فهذا شك فوقعت الأولى التي تتيقن ، وأما قوله : « أنت طالق ثم طالق ثم طالق ، فثلاث ؛ لأنه نسق ، وكذلك قوله : « أنت طالق وطاق وطاق » ^(٦) . » وضرب أبو علي الفارسي مثلاً للاتساع والحذف قولهم في صريح الطلاق : « أنت واحدة تقديره أنت ذات تطليقة واحدة ، فحذف المضاف والمضاف إليه ، وأقيم صفة المضاف إليه مقام الاسم الموصوف ^(٧) . »

(١) تزهة الألباء / ٦٨

(٢) المصدر السابق / ٤٦

(٤) ص ٤٤١

(٦) تزهة الألباء / ٤٧

(٣) ص ٤٤٠

(٥) طبقات الزبيدي / ٧٧

(٧) الإيضاح : ٥٢

وكتب الرشيد ليلة إلى القاضي أبي يرسف يسأله عن قول القائل :
فإن ترفقي يا هند فالرفق أمين * وإن تحرقى يا هند فالخرق أشأم
فأنت طلاق*، والطلاق عزيمة * ثلاث ، ومن يحرق أعق وأظلم
فقال : « ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها ؟ » قال أبو يوسف : فقلت :
« هذه مسألة نحوية فقهية ، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي ، فأنت الكسائي
وهو في فرشه فسألته فقال : « إن رفع ثلاثاً طلقت واحدة ؛ لأنه قال : أنت طلاق
ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث . وإن نصبها طلقت ثلاثاً ؛ لأن معناه أنت طالق
ثلاثاً وما بينهما جملة معترضة (١) . »

ويروى عن بشر المريسي من أئمة المعتزلة (٢) ، أنه قال للفراء : « يا أبا زكرياء !
أريد أن أسألك مسألة في الفقه ، فقال : سل ! فقال : « ما تقول في رجل سها
في سجدتي السهو ؟ » قال : « لا شيء عليه ، قال : « من أين لك ذلك ؟ » قال : « وقسته
على مذاهبن في العربية ، وذلك أن المصغر لا يصغر ، وكذلك لا يلتفت إلى السهو
في السهو (٣) ، ويوزع نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦ هـ) في كتابه « الصعقة الغضبية ،
الأبحاث المتعلقة بالعربية على المسائل الفقهية (٤) »

وعقد الشبه بين النحويين والفقهاء : فعن بكار بن قيس أنه قال : « ما رأيت
نحوياً قط يشبه الفقهاء إلا حيان بن هلال والمازني (٥) . »
ويؤلف النحاة كتباً في أصول النحو ، كما يؤلف الفقهاء في أصول الفقه كما فعل
ابن السراج (٦) . وتأخذ كتب النحاة أسماء كتب الفقهاء (٧) . ويقال إن الشيخ
أبا إسحق الشيرازي أخذ من ابن جنى أسماء كتبه ؛ فإن له المهذب والتنبيه ، واللمع
والتبصرة في أصول الفقه (٨) .

- (١) المنذني لابن هشام ١/٥٠ ط المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨
- (٢) ترجمته في لسان الميزان للحافظ ابن حجر ٢/٢٩-٣٠ وتاريخ بغداد : وقد رد آراءه
الدارمي من أهل السنة أنظر رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي تحقيق محمد
حامد القلي مطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ هـ .
- (٣) نزهة الألباء : ٦٩
- (٤) انظر ورقة ٦٣ وما بعدها والكتاب مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٨ مجاميع .
- (٥) نزهة الألباء / ١٢٦
- (٦) انظر ص ٤٩ من الاقتراح وس ١٦٩ من نزهة الألباء
- (٧) انظر فهرس دار الكتب في كل من النحو والفقه .
- (٨) وفيات الأعيان ٢/٤١٢

وتسربت اصطلاحات الفقهاء والمتكلمين وطرائقهم إلى كتب النحاة ، ويقول ابن جنى : « إن أصحابنا انزعوا اللعل من كتب محمد بن الحسن ، وجمعوها منها بالملاطفة والرفق ^(١) » .

وعقد بابا في كتابه الخصائص عن علل العربية : « كلامية هي أم فقهية ^(٢) ؟ كما عقد بابا في الخصائص أيضاً مما يشبه تداخل اللغات تركيب المذاهب ، ويشبهه في أصول الفقه إحداه قول ثالث ، والتلفيق بين المذهبين ^(٣) .

ونقل السيوطي في الاقتراح قول ابن جنى : « إذا أدرك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : « وهذا يشبهه في أصول الفقه نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه ^(٤) » .

وابن الأنباري يؤلف في علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو ، فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه ؛ من قياس العلة ، وقياس الشبه ، وقياس الطرد إلى غير ذلك على حد أصول الفقه ، فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به ؛ لأن النحو معقول من منقول ، كما أن الفقه معقول من منقول ^(٥) .

وفي النظر بين عجز الفقيه عن التعليل وعجز النحوي عنه قالوا : « إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال : « هذا تعبدى ، وإذا عجز النحوي عنه قال : هذا مسموع ^(٦) » ، ويقول ابن جنى في مسألة أوردها محمد بن الحسن في كتاب الإيمان : « أن هذه المسألة فتوى الفقيه فيها مسوق على كلام النحوي عليها ، وكذلك معظم مسائل الإيمان ^(٧) .

وكان هناك تناظر بين ما يمدح به المتكلمون وما يمدح به النحويون فالنظام قياس ^(٨) ، كذلك كان عبدالله بن أبي إسحق ^(٩) ، وعيسى بن عمر ^(١٠) ، والخليل ابن أحمد ^(١١) و . . .

(١) الاقتراح / ٥١ (٢) الخصائص / ٤٦

(٣) الاقتراح للسيوطي / ٣٦ (٤) الاقتراح / ٨٦

(٥) نزعة الألباء / ٦١ والاقتراح / ٣ (٦) الاقتراح ص ٤٧

(٧) انظر مسألة في الأخبار والماني مخطوط مصور بدار الأمانة العامة للجامعة العربية .

(٨) تاريخ الفلاسفة في الاسلام / ٦٠

(٩) الفهرست لابن النديم / ٦٤ وانظر ص ١٢ من نزعة الألباء ، و ص ١١ من طبقات

الشعراء لابن سلام .

(١٠) الكتاب لسبويه / ٣١٣ / ١ (١١) نزعة الألباء / ٢٩

ويؤلف النحاة كتباً تأخذ اسم العلل أو القياس ، أو الاحتجاج : فابن مروان الكوفي له كتاب القياس على أصول النحو ^(١) ، وهشام الضرير له : كتاب القياس ^(٢) ، وأبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني له : كتاب علل النحو ^(٣) ، وكتاب نقض علل النحو ^(٤) ، والمهلبى أبو العباس أحمد بن محمد يؤلف شرح علل النحو ^(٥) . وإسماعيل بن محمد القمي كتاب العلل ^(٦) وكذلك لأبي محمد بن الحسين ^(٧) وألف على بن محمد بن عبدوس كتاب البرهان في علل النحو ^(٨) ، وكذلك ألف قطرب أبو علي محمد بن المستنير كتاب العلل في النحو ^(٩) ، وكذلك كان للأخفش المجاشعي كتاب المقاييس في النحو ^(١٠) ولأبي الخير الحسن بن سوار البغدادي مقال في أن دليل يحيى النحو على حدوث العالم أولى بالقبول من دليل المتكلمين ^(١١) ويطرد التقارض بين النحاة والمتكلمين حتى يجيء أبو علي القارسي فيؤثر عنه أنه قال : « أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطيء في واحدة من القياس ^(١٢) » . وهكذا يتسلم أبو علي القارسي هذا التراث العقلي من القراء ، والفقهاء ، والمتكلمين ، والنحاة ، ويكون لكل من هؤلاء أثره في تأليف القارسي واتجاهاته على النحو الذي أبينه فيما بعد إن شاء الله .

-
- | | |
|--|-------------------------------|
| (١) الفهرست / ١٠٥ | (٢) المصدر السابق / ١٠٤ |
| (٣) الفهرست / ١٢٠ | (٤) المصدر السابق / ١٢١ |
| (٥) المصدر السابق / ١٢٥ | (٦) نفس المصدر والصفحة |
| (٧) الفهرست / ١٢٨ | (٨) الفهرست لابن النديم / ١٢٧ |
| (٩) المصدر السابق | (١٠) الفهرست / ٧٨ |
| (١١) انظر فهرس المخطوطات : ١٣٩ والمقال مخطوط محفوظ براغب باشا ١٤٦٣ / ٣ | |
| (١٢) نزعة الألباء / ٢١٠ | |

عصا أبي علي وحسينه وآثاره

الحال السياسية

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ودعوتهم ، وحفظ العباسيون لهم هذه العارفة ، فاتخذوا منهم القادة ، والقضاة ، والولاة ، والوزراء ، والكتاب ، والحجاب ، ورؤساء الشرطة . . . إلا أن الفرس كانوا يأملون أكثر مما نالوا في ظل بني العباس من مكانة ونفوذ ، فحاكوا الدسائس ، وأحكموا المؤامرات والمسكيد ، وفطن الخلفاء العباسيون في صدر دولتهم ، إلى ما يحيك الكائدون والمتنمرون فبطشوا بهم جبارين فكان قتل أبي مسلم الخراساني ، وأبي سلة الخلال ، وكانت نكبة البرامكة على ما هو متعالم معروف .

ثم دب ديبب النزاع بين العرب والفرس مرة أخرى ، في تلك الفتنة التي كانت بين الامين ومن ورائه العرب - والمأمون ومن ورائه الفرس ، وانتهت بانتصار هؤلاء يمثلهم المأمون على خصومهم ممثلين في قتل الامين

ولكن الفرس لم يقنعوا ؛ فكانت ثورة دبابك الحرصي^(١) ، وكانت مناهضته للمأمون ، ثم كانت انتصاراته الباهرة حتى إذا شعر المأمون بدنو أجله استدعى أخاه المعتصم ، وألح عليه أن يداوم على حرب البابكية بصرامة وحزم .

ولكن المعتصم (٢١٨ - ٢٦٧ هـ) وقد رأى مناهضة الفرس ، ومعارضة العرب - ولي وجهه نحو عنصر آخر هو الأتراك ، فاتجه إلى بلاد الترك يستكثر غلبانها ، ويؤلف منهم جيشاً قوياً ، وأسكنهم بغداد حتى ضاقت بهم ، وزاحموا الناس في دورهم ، وتعرضوا للنساء ، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة ، حدث المؤرخون قالوا : « د ركب المعتصم يوماً فلقبه رجل شيخ ، فقال للمعتصم : « يا أبا إسحق ! ، فأراد الجند ضربه فنعمهم المعتصم وقال له : « مالك يا شيخ ! ، فقال : (د لا جزاك الله خيراً عن الجوار !) جاورتنا مدة فأيناك شر جار ، جئتنا بهؤلاء العلوج من غلبانك الأتراك فأسكنتهم بيتنا فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت نساءنا ، والله لنقاتلنك بسهام

(١) تاريخ الأمم الاسلامية للأستاذ الحضري س ١٩٦

السحر (يعنى الدعاه) ، والمعتمض يسمع ذلك ، فدخل منزله ، ولم ير راكبا إلا فى يوم مثل ذلك اليوم ، فركب وصلى بالناس العيد وسار إلى موضع سامرا فبناها (٢٢١ هـ) (١) . وربما كانت هذه القصة ملفقة ، لكنها على كل حال لها دلائها من توغل هؤلاء العلوج الأتراك فى السلطان ، حتى أزالوا بعد هيبة الخلفاء .

وكان المتوكل (٢٢٣ - ٢٤٧ هـ) شديد الانحراف عن آل على (كرم الله وجهه) ، وفعل من حرث قبر الحسين (عليه السلام) ما فعل ، وكانت بينه وبين المنتصر ابنه مباينة ، فاتفق المنتصر مع جماعة من الأتراك على قتله ، وقتل وزيره الفتح بن خاقان ، فهجموا عليه وهو يشرب نخبطوه بالسيوف فقتلوه ، وقتلوا الفتح معه (٢) ، وكان ذلك أول اجترائهم (٣) فأصبح الخلفاء العوبة فى أيديهم ؛ ذلك لأنه عند موت المنتصر اجتمع أكابر المماليك وقالوا : متى ولينا أحداً من ولد المتوكل طلبنا وأهلكنا ، فأجمعوا على مبايعة المستعين ، وقالوا : هو ابن ابن مولانا المعتمض فإذا ما بايعناه لم تخرج الخلافة من ولد المعتمض ، وبايعوا المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢) (٤) وهكذا استولى الأتراك على المملكة ، وأصبح الخليفة فى يدهم كالأسير ؛ إن شاءوا أبوه وإن شاءوا خلموه ، وإن شاءوا قتلوه حكى الفخرى قال : لما جلس المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) على سرير الخلافة قعد خواصه ، وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش ؟ وكم يبقى فى الخلافة ؟ ، وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا له : فكم تقول إنه يعيش ؟ وكم يملك ؟ ، قال : مهما أَرَادَ الأتراك

وثار الأتراك بالمعتز وضربوه بالدبابيس ، وخرقوا قبضه ، وأقاموه فى الشمس فكان يرفع رجلاه ، ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه ، وهو يتقى بيده ، ثم جعلوه فى بيت ، وشدوا بابه ، حتى مات بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه !! (٥) .

(١) الفخرى ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) المصدر السابق ٢١٠

(٣) تاريخ آداب العرب لجورجى زيدان ج ١٥٣/٢

(٤) الفخرى ٢١٢

(٥) الكامل لابن الأثير ج ٧٧/٧ والفخرى ٢١٥

ثم زاد الطين بلة :

١ — ظهور القرامطة في عهد المكتفي بالله (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) حتى قطعوا الدروب على الحاج^(١) ، واقتلموا الحجر الأسود^(٢) ، ومكث في أيديهم عشرين سنة

ب — استكثار المقتدر — وكان صغير السن — من الخدم الروم والسودان حتى كان في داره أحد عشر ألف خادم ، وكأنه لم يكتف بما حل بالدولة من الأتراك ، فاستولى هؤلاء وهؤلاء على الخلافة ، وانغمس الخلفاء في الملذات ، وشغلوا بها عن تدبير الملك ، ودبت بينهم المنازعات فأسقط كل ذلك من هيبتهم يقتل المقتدر ، وتقطع رأسه ، وتمسك جثته مرمية على قارعة الطريق^(٣) مكشوف العورة حتى مر رجل من الأكرة فستر عورته بمحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى عفا أثره^(٤) .

وصادر القاهر (٢٢٠ — ٢٢٢ هـ) أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس ، وأفسد الوزير ابن مقله قلوب الجند على القاهر ، وزين لهم حتى هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه إلى خديه ، ثم حبس وأفرج عنه حتى بلغ به الحال أن وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس ١١ وفي أيام القاهر نبعت الدولة البويهية^(٥) التي عاش في ظلها أبو علي الفارسي .

وملك بعد القاهر ابن أخيه الراضي بالله (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) وقد استوزر الراضي أبا جعفر الكرخي ، وكان هذا قصيراً جداً في غاية القصر فاحتاجوا — حتى يتمكن الوزير من مسارة الخليفة — أن يقطعوا من قوائم سرير الخليفة أربع أصابع ، وتطير الناس من ذلك ، وقالوا هذا مؤذن بنقص الدولة ؛ وكذلك كان ؟ وقد أسلم الراضي قياده إلى ابن رائق ، وسماه أمير الأمراء ، وكلفه تدبير المملكة فانضم إليه أمراء العسكر ، وصاروا حزباً واحداً ، واستبد ابن رائق أمير الأمراء بالأمور : ولى النظار والعمال ، ورفعت إليه المطالعات ، ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره ، ومن تلك الأيام خرجت الأمور من الخلافة العباسية ، واستولى الأعاجم وأرباب السيوف على الدولة ، وجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة .

(٢) وفيات الأعيان ١/١٠٠

(٤) تجارب الأمم ٥/٣٣٧

(١) الفخرى ٢٢٧

(٣) الفخرى ٢٣٣

(٥) الفخرى ٢٣٠

وقد نافس ابن رائق على إمرة الأمراء كثير من القواد ، فكان من نتائج هذا التنافس ، وبال وحروب ، وأهوال وخطوب ، ولم تنته هذه الفترة الصاخبة التي أطلق عليها المؤرخون فترة « أمير الأمراء » إلا باستيلاء البويهيين على بغداد ، فضاعت البقية الباقية من سلطة الخلفاء (١) .

وقد قبض (توزون) من أمراء الديلم على المتقي لله (٢٢٩ - ٢٢٣ هـ) ، وسمل عينيه ، وخلعه ، وبوع المستكني (٢٢٣ - ٢٣٤ هـ) الذي خلع من الخلافة ونهبت داره ، وسملت عيناه أيضاً (٢) ، ثم كانت الخلافة للطبيع لله (٢٣٥ - ٢٦٣ هـ) الذي خلع نفسه ، وترك الخلافة لولده الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) ثم تتابع الخلفاء على نحو من هذا الضعف : القادر (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) ، فابنه القائم بأمر الله (٤٢٢ هـ) وفي عهده انقضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق (٣) .

وهكذا لاقى الخلفاء العنت من خدمتهم الأتراك والروم والسودان : حبسوا ، وسملت عيونهم ، ونهبت دورهم ، وصودروا وقتلوا تفتيلاً ، وطرحت جثثهم على قارعات الطرقات ، وضربت عليهم الذلة حتى سألوا الناس الصدقات !!

ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري تسانطت الدولة العباسية كسفاً هنا وهناك ففي أيام الراضي بالله (٢٢٢ - ٢٢٩ هـ) كانت فارس في يد علي بن بويه ، والرى وأصفهان والجل في يد أخيه الحسن بن بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان (٣١٧ - ٣٩٤ هـ) ، ومصر والشام في يد ابن طنج (٤) ، والمغرب ، وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي (٥) ، والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي ، وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن أحمد الساماني (٦) ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي (٧) .

ولم يبق للخليفة العباسي إلا بغداد ، حتى جاء عضد الدولة من البويهيين فضم العراق إلى ملكه ، كما ضم إليه ملك البويهيين جميعها ، وضم إليه الموصل وبلاد

(١) تجارب الأمم ٣٥٢/٥ (٢) الفخرى ٢٥٣

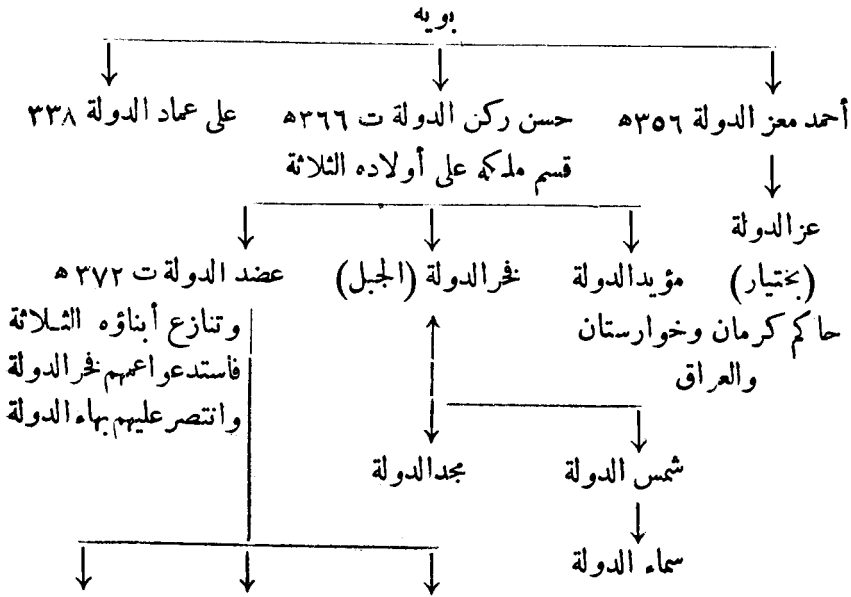
(٣) الفخرى ٢٥٤ (٤) الفخرى ٢٤٧

(٥) الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٢٢٤ هـ

(٦) الفخرى ٢٤٧ (٧) الكامل حوادث ٢٢٤ هـ

الجزيرة وسمى الملك . وهو أول من سعى بذلك في الإسلام ، وكان يقسم أحياناً في الري ، وأحياناً في شيراز . فلما فتح العراق جعل عاصمة ملكه بغداد (١) .

وفيا يلي رجال الأسرة البويهية الذين عاصروهم أبو علي (٢) :



بهاء الدولة ت ٤٠٣ هـ صمصام الدولة شرق الدولة

وظل السامانيون يسيطرون على خراسان ، وما وراء النهر حتى جاء آل سبكتكين وأنزلوا السامانيين عن مكانتهم ، وجلسوا محلهم في السيادة ، فكانت الدولة الغزنوية وتسمى أيضاً دولة بني سبكتكين (٣٥١ — ٥٨٢ هـ) ، ومن أهم بلاد هذه الدولة ولاية سجستان . وقد نسب إليها كثير (٣) .

ومهما يكن من خلاف في السنة التي ولد فيها أبو علي الفارسي ، ومهما يكن من خلاف كذلك في السنة التي انتقل فيها إلى جوارجيه ، فإن الذي لا شك فيه أنه عاصر الدولة العباسية وهي توجد بأنفاس قوتها الأخيرة ، وقد أخذت الخلافة

الحال العلمية

(١) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية تأليف كارل بروكلمان ج ٢/٩٣-٩٥

(٢) عن مادة بويه دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٥٦

(٣) انظر وفيات الأعيان ٢/١٤٠، ١٥٢، ٣٩٣

في الانحلال والضعف ، فقد ولد في أخريات القرن الثالث الهجري — في أوائل خلافة المعتمد على الله ، ثم نسا الله في أجلة فعاش حتى أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ، وإذن فقد رأى الدولة العباسية ، وقد تناثرت في هذه الدويلات التي استقل بها الأمراء في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه . وكانت هذه الدولة تتنازع مجد العلم والأدب كما تتنازع السلطان ، وآتت عناية الخلفاء في العصر العباسي الأول بالحركة الفكرية — أكلها في ذلك الحين ، وكانت عجة التقدم العلمي لا تزال دائرة في عصر الدويلات فكانت عهداً خيراً وبركة على العلم والعلماء ، والأدب والآداب ؛ بما رأى القائمون على أمر هذه الدولة من ملوك ووزراء أن التفاف الشعراء والكتاب والعلماء حولهم مظهر من مظاهر السلطان ، وحلية من حلى الزمان ، وسبيل إلى اكتمال أبتهم ، وذيوع شهرتهم . حتى رأينا من لا يحسن العربية يزين ملسكه بهؤلاء من رهوس العلم والأدب في زمنه .

استدعى بحكم الركي حاكم واسط (١) ، وأمير بغداد والعراق أبا بكر محمد ابن يحيى (٢) الصولى ، وكان مقرباً إليه ، وقال له : « إن أصحاب الأخبار رفعوا إلى أنى لما طلبتك من المسجد (وكان الصولى يقرأ يقرأ درساً فيه) قال الناس : « أئجله الأمير ولم يتم مجلسنا ، أفتراه يقرأ عليه شعراً أو نحواً أو يسمع من الحديث ؟ ، (يقولون ذلك تهكاً بيجكم لأنه لا يحسن العربية) ، ثم قال بحكم رداً على هذا : « أنا إنسان ، وإن كنت لا أحسن العلوم والآداب أحب ألا يكون فى الأرض أديب ، ولا عالم ، ولا رأس فى صناعة إلا كان فى جنبى وتحت اصطناعى ، وبين يدى لا يفارقنى ، (٣) »

فانظر كيف بلغت به رغبته فى اجتذاب العلماء مع ما فيه من عجة لا تبين ، ولا يرجى معها فهم شعراً أو نحو أو استماع إلى المحدثين ؟ على أن منهم — إلى جانب ذلك — من كان عالماً محباً للعلماء راعياً فى الاستفادة من علمهم ، وهذا عضد الدولة يناش أبا على الفارسي مناقشة العالم ، ويستقل كتاب الإيضاح منه (٤) ، وقد حكم الأستاذ براون فى كتابه التاريخ الأدبى للفرس أن السلطان محمود بن سبكتكين علم أن فى مجلس مأمون بن مأمون جماعة من رجال

(١) الأوراق س ١٩٥ (٢) وفيات الأعيان ١/٤١١

(٣) الأوراق س ١٩٥ وظهر الاسلام ج ١ س ٩٥

(٤) شذرات الذهب ج ٣/٨٨

العلم والفلسفة منهم ابن سينا والبيروني، وأبو نهشل المسيحي، وابن الحمار، وأبو نصر العراق، فكتب إليه أن أرسلهم ليشفروا بمجلسي، ونستفيد بعلمهم، لجمعهم مأمون ابن مأمون، وقرأ عليهم كتاب السلطان فآبي ابن سينا وفر، وقبل البيروني وابن الحمار والعراق^(١).

وشيء آخر دعا إلى اجتذاب هؤلاء العلماء والأدباء، ذلك حاجة هؤلاء الملوك إلى أساطين البيان، ورؤساء صناعة الكتابة؛ إذ وجدوا فيهم سبيلا إلى إبلاغ الرغائب، وإطفاء الفتن، وتأديب العصاة المارقين، ولساناً به يتحدثون ويوعدون ويرقون ويرعدون^(٢)، وقد ظهر الكفاة في ذلك العصر أولئك الذين يجمعون بين البلاغة والسياسة فيحكون بعدل، وينطقون بفصل، ويحملون الدولة، ويديرون المملكة، ويسوسون الرعية، فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الواحد منهم - أي الكافي - في بلاغته صاحب حظ، وفصاحة لفظ، وجمال منظر، وفي سياسته ذائعية، وصحة فكر، وثبات عزيمة، فقد لبس كما يقول الثعالبي ثوب الفضل بعلمه، وأخذ الحبل بطرفيه، وصلاح لتدير الدولة والممالك^(٣).

ومن هنا قال أبو إسحق الصابي مفتخراً:

وقد علم السلطان أني لسانه	وكاتبه الكافي السديد الموفق
أوازره فيما عرا، وأمدده	برأى يريه الشمس والليل أغسق
يحدد بني نهج الهدى وهو دارس	ويفتح لي باب النهى وهو مغلق
ولي فقر تضحي الملوك فقيرة	لإيها لدى أحداثها حين تطرق
أرد بها رأس الجموح فينثني	وأجعلها صوت الحرون فيعتق ^(٤)

لذلك أغدق الملوك والوزراء على هؤلاء وهؤلاء الهدايا والعطاء

وتعددت العواصم الثقافية والعلمية فبعد أن كانت البصرة، والكوفة، وبغداد أصبحت - بجانب ذلك - شيراز، والري، وأصبهان، ودينور، وهمدان، وبخارى، ونيسابور، وسمرقند، وجرجان، وجلب، والقاهرة، ووجدنا من العلماء من ينسب

(١) ج ٩٦/٢ واطظر ظهر الإسلام ٢٨٦/١

(٢) اظظر نثر النظم وحل المقدم ٢/

(٣) ظهر ورقة ١٤ تحفة الوزراء للشيخ أبي منصور الثعالبي مخطوطه • نحوش

(٤) البيئمة ج ٥٠/٢

إلى هذه البلاد أو غيرها ، ففيهم الآمدى (١) ، والأيوردي (٢) ، والاستراباذي (٣) ،
والأنصاكي (٤) ، والبساسيري (٥) ، والبستي (٦) ، والبسطامي (٧) ، والسجزي (٨) ،
والشهرستاني (٩) ، والطالقاني (١٠) ، والعسكري (١١) ، والفارابي ، والكرماني (١٢) ،
والهروي (١٣) ، وأخيراً الفسوي ، وهو اللقب الذي يلقب به أبو علي الفارسي أحياناً .

وقد كثرت ارتحال العلماء والأدباء وتنقلاتهم في هذه الممالك ، وكان السفر في طلب
العلم مفخرة ، والقعود عنه معرة ، وهذا ابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) المقرئ
البغدادي ينسب إلى الوزير ابن مقلة الكاتب المشهور - قلة المعرفة ، وغيره جلساؤه
بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر (١٤) ، ومن هنا كان القاضي الجرجاني
- كما يقول الثعالبي - خلف الخضر في قطع عرض الأرض ، وتدويج بلاد العراق
والشام وغيرها . ثم عرج على حضرة الصاحب ، وألقى بها عصا المسافر (١٥) .

وهذا الحافظ الكبير أبو بكر غندر محمد بن جعفر البغدادي كان رحالاً جوالاً
توفي بأطراف خراسان غربياً ، سمع بالشام ، والعراق ، ومصر ، والجزيرة . . . ، ودخل
إلى أرض الترك (١٦) ، وأبو الحسن السلامي هجر بغداد إلى الموصل ، ثم ورد أصبهان
ثم قصد عضد الدولة بشيراز (١٧) ، وأبو حاتم محمد بن حيان التميمي البستي يرحل
إلى الآفاق ، ويتنقل بخراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة ثم عاد إلى نيسابور
وتوفي سنة (٣٥٤ هـ) . وارتحال المتنبي أشهر من أن ينبه إليه ، وهذا أبو علي
الفارسي (٣٧٧ هـ) يرحل إلى بلاد كثيرة . شيراز ، والبصرة ، وبغداد ، وحلب ،
وعسكر مكرم ، وهيث ، فكان من أثر ذلك مسائله : الشيرازيات ، والبصريات ،
والبغداديات ، والحلبيات ، والعسكريات والهيثيات (١٨) .

- | | |
|---|------------------------|
| (١) وفيات الأعيان ٤٥٦/٢ | (٢) المصدر السابق ٧٤/٤ |
| (٣) وفيات الأعيان ٢٤/٣ | (٤) نفس المصدر ١١٤/١ |
| (٥) الوفيات ١٧٢/١ | (٦) الوفيات ٤٥٤/١ |
| (٧) الوفيات ٢١٣/٣ | (٨) الوفيات ٣٩٣/٢ |
| (٩) ٤٠٣/٣ | (١٠) ٢١٠/١ |
| (١١) ٣٦٥/١ | (١٢) ٨١/٤ |
| (١٣) الوفيات ٨٠/١ وشذرات الذهب ٧٣/٣ | |
| (١٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٦ (١٥) يتيمة الدهر ج ٣ : ٢٣٨ | |
| (١٦) شذرات الذهب ج ٣/٣ ٧٣ (١٧) يتيمة الدهر ج ٣/٣ ١٦٣ | |
| (١٨) المغني ١٠/٢ | |

وإذا اتخذنا الثعالبي ، و**البيروني** مثلاً لأدباء هذا العصر وعلماؤه عرفنا تولية الأدباء وجوههم شطر هذه الدول :

فالثعالبي : أهدى كتابه لطائف المعارف إلى الصاحب بن عباد ، و**المبهيج** ، و**التمثيل** ، و**المحاضرة** إلى شمس المعالي قابوس ، و**سحر البلاغة** و**فقه اللغة** إلى الأمير أبي الفضل الميكالي ، و**النهاية في الكتابة** ، و**شر النظم** ، و**اللطائف والظرائف** إلى مأمون ابن مأمون أمير خوارزم . و**قدم أخبار ملوك الفرس وسيرهم** إلى نصر أخى السلطان محمود .

و**البيروني** : أقام في خوارزم عند المأمونية ، ثم سار إلى شمس المعالي ، و**قدم إليه كتاب الآثار الباقية** ، ثم قصد السلطان محمود فلزمه و**قدم إليه كتابه عن الهند** ، و**قدم كتاب التفهيم في علم التنجيم** الذي ألفه بالعربية و**الفارسية** إلى سيدة من خوارزم اسمها ریحانة ، ثم **قدم القانون المسعودي في النجوم** إلى مسعود بن محمود ، و**كتاباه في المعارف** إلى السلطان مودود بن مسعود (١) .

وكانت هناك ارتحالات لطلب العلم كما كانت الارتحالات لطلب المال : حكى ابن خلكان قال : قال أبو علي محمد بن وشاح بن عبد الله : سمعت أبا نصر بن نباته يقول : كنت يوماً قائلاً في دهليزي ، فدق على الباب ، فقلت : « من ؟ » ، فقال : « رجل من أهل المشرق » ، فقلت : « ما حاجتك ؟ » ، فقال : « أنت القائل :

من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب ، والداء واحد ؟
فقلت : « نعم ا » ، فقال : « أرويه عنك ؟ » ، فقلت : « نعم ا » ، فضى ، فلما كان

آخر النهار دق على الباب فقلت : « من » ، فقال : « رجل من أهل تاهرت من الغرب » ، فقلت : « ما حاجتك ؟ » ، فقال : « أنت القائل :
من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب ، والداء واحد ؟
فقلت : « نعم ا » ، فقال : « أرويه عنك ؟ » ، فقلت : « نعم ا » (٢) .

وقد يكون ما يحكيه أبو نصر بن نباته (ت ٤٩٥ هـ) من قبل الدعاية إلى شعره وأنه يسير في الآفاق ، ويصل إلى المشرق والمغرب ، ولكنه - يدل على الارتحال الذي شغف به أهل هذا العصر على كل حال .

(١) الرسالة مجلد ٢ عدد ٣٨ ص ٥٤٩ وما بعدها

(٢) وفيات الأعيان ج ٢/٣٦٥

وكانت مجالس الملوك والوزراء جامعة للعلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء ،
مثلا ورد على بلاط سيف الدولة من اللغويين والنحاة : ابن خالويه ، وأبو علي
الفارسي ، وابن جنى ، وأبو الطيب اللغوي^(١) ، وأبو الطيب المتنبي ، ومن الفلاسفة
الأطباء الفارابي^(٢) . ومن الكتاب أبو علي الحاتمي^(٣) ، وأبو الفرج البيهقي^(٤) ،
وأبو الفرج الأصفهاني^(٥) ، أما الشعراء فما أكثرهم ! وفد عليه : الصنوبري (ت ٥٣٤هـ)
والناشيء ، والنامي ، والخليع ، والشامي ، والوأواء ، والدمشقي وكشاجم ، وأبو فراس
الهمداني ، والسري الرفاء ، والخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم ، وأبو عثمان سعيد بن
هاشم ، وابن نباتة السعدي ، وأبو الفرج البيهقي ، والزاهي .

وكذلك كان صاحب بن عباد : احتف به كما يقول الثعالبي - من نجوم الأرض
وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد...
مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن
البيهقي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ،
وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ،
وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم وابن بابك ، وابن القاشاني
وأبي الفضل الهمداني ، وإسماعيل الشاشي ، وأبي العلاء الاسدي ، وأبي الحسن
النويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي الفياض الطبري وغيرهم^(٦) .

وحلى هؤلاء وهؤلاء قصورهم بالمكتبات التي جمعت أعداداً ضخمة من الكتب
فعضد الدولة صاحب أبي علي - له خزينة كتب - عليها وكيل وخازن ومشرف
من عدول البلد^(٧) . والصاحب بن عباد يجمع من الكتب ما يحتاج في نقله
إلى أربعمئة رجل^(٨) ، وكان يعني بطلب النسخ الصحيحة إلى خزانة كتبه عناية عظيمة
حتى أنه أوفد إلى مدينة السلام أبا العلاء الحسين بن محمد ليصحح كتاب التذكرة
على أبي علي الفارسي نفسه^(٩) . ويقول صاحب في كتاب إلى أبي علي الفارسي :

- | | |
|------------------------------|--|
| (١) ٣١٧/ | (٢) كان الطب من فروع الفلسفة : جاء في ابن النديم : أن الطبيب |
| (٣) معجم الأدباء ١٥٤/١٨ | الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً انظر الفهرست ص ٢٨٩ وما بعدها - وفيات الأعيان ٢٣٩/٤ |
| (٤) وفيات الأعيان ٢/٣٧٣ | |
| (٥) قس المصدر ٤٦٨/٢ | (٦) يذمة الدهر ٣/٣٢ |
| (٧) أحسن التقاسم المقدسي ٤٤٩ | (٨) الكامل/ ابن الاثير ١/٧٧ |
| (٩) معجم الأدباء ٢٤٢/٧ | |

• لقد اعتمدت على صاحبي أبي العلاء - أيده الله - لاستنساخ التذكرة ، وللشيخ - أدام الله عزه - رأيه الموفق في التمكين ، من الأصل والإذن بعد النسخ في العرض بإذن الله تعالى^(١) . وقالوا : « إن فهرست كتب خزانة الصاحب - يقع في عشر مجلدات على ما يروى أبو الحسن البيهقي^(٢) .

وقد استحث هؤلاء الملوك العلماء على تأليف الكتب فألف أبو إسحق الصابي لعضد الدولة كتاباً في تاريخ آل بويه سماه الناجي^(٣) ، وألف له علي بن العباس المجوسى الكناش العضدى في الطب^(٤) ، وسمى أبو النصر محمد بن عبد الجبار العقبي كتابه اليميني نسبة إلى لقب محمود سبكتكين ، فقد لقبه الخليفة القادر بالله « يمين الدولة وأمين الدولة »^(٥) ، وابن فارس يؤلف كتابه « الصاحب » نسبة إلى الصاحب ابن عباد^(٦) ، وأبو علي الفارسي يؤلف العضدى^(٧) نسبة إلى عضد الدولة وهكذا وهكذا .

واستبحرت العلوم الموضوعية والمترجمة في ذلك العصر ، وليس المقام هنا مقام التعداد أو التفصيل ، ويكفي للتدليل على ذلك - الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم ، فهو وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية - حتى موت أبي علي الفارسي^(٨) : في الكلام والمتكلمين ، والفقه والفقهاء والمحدثين ، والفلسفة والمتفلسفين طبيعيين ومنطقيين . . . الخ . ومثل الفهرست لابن النديم في إلقائه ضوءاً على الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) . وقد جعله في مقاليتين : إحداهما لعلوم الشريعة والعربية وهي في ستة أبواب وفيها اثنان وخمسون فصلاً : في الفقه والكلام والنحو والكتاب والشعر والعروض والأخبار . والأخرى في علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم في تسعة أبواب ، وفيها واحد وأربعون فصلاً : في الفلسفة ، والمنطق والطب ، وعلم العدد ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى ، والحيل ، والكيمياء^(٩) .

(١) معجم الادباء ٣٥٠/٧ .

(٢) الوفيات ٣ - ٢١٨/٣

(٣) معجم الادباء ٢٥٩/٦

(٤) ٦٨/٢ ذيل تجارب الامم تاريخ الحكماء .

(٥) ظهر الاسلام ٢٨٦/١ (٦) انظر الصاحب : ٢ ط الأؤبد ١٩١٠ م

(٧) إنباء الرواة ٣٨٧/٢ .

(٨) صنف ابن النديم كتابه الفهرست سنة ٧٧ هـ وهي السنة التي توفي فيها أبو علي الفارسي

انظر ص ب من الفهرست

(٩) مفاتيح العلوم ص ٤ وانظر ظهر الاسلام ٢٢٩/١ - ٣٣٢ .

وبما تمتاز به الحركة العقلية في القرن الرابع الهجري ظهور مذهب الشيعة فالفاطميون يتشيعون ، والمحدثون كذلك ، وينوبوه لا يقلون عن هؤلاء وهؤلاء ويروى المؤرخون أنهم أخذوا أصول التشيع عن الحسن بن علي الاطروش ، الذي لبث فيهم ثلاث عشرة سنة ينشر بينهم التشيع ، فأسلم منهم خلق كثير ، والتفوا حوله ، كان ذلك أول القرن الرابع الهجري^(١) . وكانت الكوفة أكبر مراكز التشيع ، فهي علوية من قديم ، وفيها مشهد علي (كرم الله وجهه) حتى قال بعضهم : « من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ^(٢) بالكوفة وليقل (رحم الله عثمان بن عفان ا) وكانت البصرة - قبل القرن الرابع - عثمانية - حتى قالوا : (من نزل البصرة فلم يقر لهم بثلاث فليست له بدار : بفضل عثمان ، وفضل الحسن البصري ، ورطب الأزاز^(٣)) ولكنها في غضون القرن الرابع امتد إليها مذهب التشيع حتى اضطر أبو بكر الصولت (٣٣٠ هـ) أن يستتر حتى مات لأنه روى خبراً في علي (كرم الله وجهه) فطلبته الخاصة والعامة لتقتله .

ولقد هم البويهيون أن يجعلوا الخلافة علوية شيعية بعد أن كانت عباسية سنية فقد أراد معز الدولة أن يبايع محمد بن يحيى الزيدي العلوي فلواه الصيمري عن ذلك بقوله : « إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان ، وأطاعه الديلم ورفضوك ، وقبلوا أمره فيك ، وبنوا العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة ، وتصح مرارا ، وتمرض تارة ، وتستقل أطوارا ؛ لان أصلها ثابت ، وبنائها راسخ ، فعدل معز الدولة عن تعويله^(٤) .

وكان أهل بغداد سنيين يحترمون الشيخين ، فلما جاء البويهيون شجعوا التشيع ورسموا للناس طقوساً ، ينوحون ويلطمون وجوههم يوم عاشوراء^(٥) ويذهبون بإظهار الزينة وإشعال النيران بعيد الغدير غدیر^(٦) ،

ومهما يكن من أمر فإن التشيع وثيق الصلة بالاعتزال : فالمعتصم كأخيه المأمون معتزلي يكرم الشيعة ، وجعفر المتوكل شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة ، حتى أمر

(١) النجوم الزاهرة ١٨٥/٤ (٢) سوق الفاكية

(٣) ابن الفقيه ص ٢٦٦ ط: ليون (٤) حاشية ابن الأثير ٣١٥/٦

(٥) المتنظم ١٥/٧

(٦) الكامل لابن الأثير ١٧/٧ البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦

يهدم قبر الحسين (١) وعضد الدولة وهو من الأمراء المتشيعين يعمل على مذهب المعتزلة (٢) ولا بد أن تكون قلة لإعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة بما لام أغراض الشيعة (٣) ، والطريقة التي سار عليها ابن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري في كتابه المسمى كتاب العلل تذكرنا بطريقة علماء المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كل شيء (٤) ، وكان في مذهب الشيعة كما كان في مذهب المعتزلة مكان لكل ألوان الزندقة : يحكى أن الوزير المهلبى ظفر بقوم يزعمون أن روح علي بن أبي طالب وروح فاطمة قد انتقلت إليهم فبسطهم ، ولكنهم التجسوا إلى أهل البيت . فأمر معز الدولة بإطلاقهم . فلم يكن من الوزير إلا أن يذعن لمشيشته خوفاً من أن يتهم بالميل عن التشيع (٥) . وظهر التشيع في شعر ابن عباد (٦) ، كما ظهر الاعتزال في رسائله (٧) . وكان عباد أبو الصاحب يدين بالاعتزال فقد ألف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه الاعتزال وجود فيه (٨) ، ومن هناك أبو علي الفارسي يتشيع ، وكان يتهم بالاعتزال على ما سأعرض له في مكانه بالتفصيل

* * *

المال الاقتصادية ولم يكن هناك توازن في الحال الاقتصادية : أموال تتدفق على خزائن الملوك والوزراء والرؤساء ، وفقر مدقع يعانىه الشعب ، وشاع بين الناس مصادرتهم ، لذلك أخفى الأغنياء أموالهم في غير نطاقها ، كالدفن في الأرض ، والإخفاء في الشقوق ، حتى حكوا أنه من حسن حظ أمير من آل بويه أن احتاج إلى مال كثير يصرفه على الجند ، وإلا شغبوا ، فصادف أن رأى ثعباناً يختبئ في السقف ، فأمر بالبحث عنه ، فوجدت غرفة فوق السقف ، وفوقها دور آخر علوى ، ووجدت هذه الغرفة مملوءة بالذهب المخزون في الخفاء ففرج ذلك كربه ، وأزال شدته . وعين أبو حسين الرقي قاضياً على حلب فكان يصادر التركات ويقول : « التركة لسيف الدولة ، وليس لأبي الحسين إلا أخذ الجمالة وشاع بين الناس : « من هلك فلسيف الدولة مالك (٩) .

* * *

- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) الفخرى ٧٠٩ | (٢) أحسن التقاسم ٢٣٨ |
| (٣) الحضارة الإسلامية ١٠٢/١ | (٥) ابن الأثير ٣٣٩/٦ |
| (٤) الحضارة الإسلامية ١٠١/١٠ | (٦) يتيمة الدهر ج ١٠١/٣ |
| (٧) رسائل الصاحب ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، مثلا | (٨) ظهر الإسلام ج ٧/٣ وما بعدها |
| (٩) معجم الأدباء ١٢٧/٦ | |

الحياة الخفية

فإذا انتقلت إلى الحديث عن الحياة الخفية ، وجدنا من النصوص ما يكشف لنا عن صورتها في ذلك العصر . فیتحدث المؤرخون عن إهمال عضد الدولة (ت ٥٣٧٢هـ) للشريعة، ويستشهدون على ذلك بأنه فرض على الرافضات والقحباب بفارس ضريبة ، وكان يضمن هذه الضريبة (١) كما نجد تعشق الذكران شائعاً في ذلك العصر: فيحكى أن سيف الدولة كان له غلام يسمى باسم مؤنث وهو « نمل » ، وكان عزيزاً عليه (٢) وكان الصاحب بن عباد يتعشق غلاماً ألثغ السين وهذا « معز الدولة » يهيم حباً بمملوك تركي في غاية الجمال ، فيجعله مقدم الجيش لمحاربة بني حمدان ، وكان الوزير المهلبی يستحسنه ويرى « أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى » فقال فيه :

طفل يرق الماء في وجناته ، ويرف عوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفاً ، ومنطقة تؤوده (٣)

وهكذا يخلط معز الدولة الجهاد بالمجون ، والجد بالاستهتار والفتون ، فلا يتحرج أن يجعل مقدم الجيش غلاماً أشبه بالعداري ، قد تحير في أديم خديه ماء الهوى ، ورف عوده وكادت تبدو نهوده !!

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

وقد كان للشيخ أبي على الفارسي مثل ذلك ، محمد بن طويس القصرى - أحد تلاميذه وكان حدثاً ، وكان الشيخ يتعشقه ، ويخصه بالطرف ، ويحرص على الإملاء عليه والالفتات إليه ، وبه سمى مسائله - على رأى - القصريات !! (٤) .

ولم ينبج من الانغماس في هذه الحمأة أهل التوقر والنحرج ؛ جُرف التيار المتصوفة من أمثال ابن فهم الصوفي (٥) ، وأبي الوزير (٦) ، والقضاة كالجراحي أبي الحسن الذي يغمز بالحاجب إذا رأى مرطاً ، وأمل أن يقبل خدأ وقرطاً (٧) . والمنطيين والفلاسفة : كابن غسان البصرى الذى أحرق العشق كبده على غلام بياب الطاق (٨) ، والمنطقي أبي سليمان المفتون بصبي موصلى ملأ الدنيا عيارة وخسارة (٩)

- | | |
|-----------------------------|--|
| (١) الحضارة الإسلامية ١٤١/٢ | (٢) تاريخ تجارب الأمم لابن مكويه ٨٣١/٦ |
| (٣) وفيات الأعيان ج ١ / ٣٩٤ | (٤) معجم الأدباء ٢٠٦/١٨ |
| (٥) الإمتاع ١٦٦/٢ | (٦) نفس المرجع ١٦٧/٢ |
| (٧) الإمتاع ١٦٨/٢ | (٨) الإمتاع ١٦٦/٢ |
| (٩) الإمتاع ١٧٤/٢ | |

حتى القراء كاللكناني المقيم بصباية المغنية ^(١) ولعل ظهور هذا الانحراف عند هؤلاء وهؤلاء كان من قبيل المجازاة ولم يكن عن رغبة نابعة في نفوسهم إلى الشهوة .

وفي بغداد في القرن الرابع الهجري ؛ كان درب السلق ^(٢) ودار القطن ^(٣) وباب الطاق ^(٤) ، وبين السورين ، ودرب الزعفراني ^(٥) محلات للغناء والخلاعة والرقص . وهذا أبو حيان ياقى ضوءاً على هذه الحياة فيقول : بعد أن عدّ كثيراً من الاطراب والأغاني : « ولو ذكرت هذه الاطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والحرائر لطال وأمل ، وزاحمت كل من صنف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدى بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة . وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ - أربعمائة وستين جارية ، ومائة وعشرين حرة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور ، يجمعون بين الخدق والحسن ولظرف والعشرة ، هذا سوى من كنا لا نظفر به ، ولا نصل إليه لعزته وحرصه ورقبائه ، وسوى ما كما نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء ، وبالضرب إلا إذا نشط في وقت ، أو ثمل في حال ، وخلع العذار في هوى قد حالفه وأضناه ، وترنم وأوقع ، وهز رأسه ، وصعد أنفاسه ، وأطرب جلجلاسه ، واستكتمهم حاله ، وكشف عنهم حجابهم ^(٦) . . . وهذا المقدسي - وقد زار العراق وجنوب فارس في العهد البويهي - يحدثنا عن الفساد الشائع في أهل شيراز القريبة من مولد أبي علي ^(٧) وللصاحب بن عباد على جلال قدره شعر في الذكران ^(٨) مما يدل على شيوع هذه الغلاميات في غير تخرز أو حياء عند ذوى المسكاة من الأمراء والوزراء فكيف بالسوقة وطغام الناس والسفهاء ! ؟

على أن لكل موجة من الهوى والمجون في كل عصر ما يقابلها من الهدى والصلاح ، وقد ظهر في ذلك العصر زهاد ونسك وصوفية ووعاظ ومتعبدة ، بل حنابلة متشددة ، يحدثنا أبو الفداء في تاريخه عن حوادث سنة ٥٣٢٣ هـ أن قد عظم أمر الحنابلة على الناس ، وصاروا يكبسون دور القواد والعامّة ، فإن وجدوا نبذاً

(١) الإمتاع ١٨٢/٢

(٢) الإمتاع ١٦٧/٢

(٣) الإمتاع ١٦٥/٢

(٤) الإمتاع ١٧١/٢ (٥)

(٤) الإمتاع ١٦٩/٢

(٦) انظر أحسن التفاضيم ٤٢٩

(٦) الإمتاع ١٣٨/٢

(٨) انظر يتيمة الدهر ١٢/٣ وما بعدها

أراقوه ، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء ، واعترضوا في البيع والشراء ، وفي مشى الرجال مع الصبيان (١) .

ومن اشتهروا بالخير والتقوى أبو منيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور (٢) ، وأبو الحسن النساج الصوفي (ت ٣٢٢ هـ) (٣) ، وأبو بكر دلف ابن جحدر - وقيل جعفر - بن يونس المعروف بالشبلي الصالح المشهور (ت ٣٣٤) (٤) وأبو طالب محمد بن علي الحارثي المكي صاحب كتاب قوت القلوب (ت ٣٨٦ هـ) (٥) وأبو الحسين محمد بن أحمد الواعظ المعروف بابن سمجون (ت ٣٨٧ هـ) (٦) وقد ذكره الحريري في المقامة الرازية (٧) .

وإلى جانب هؤلاء ما كان عند عامة الناس من تشدد في الدين وتعصب له على الخارجين وهذا ابن شنبوذ المقرئ يحضره ابن مقلة الكاتب المشهور ويحاسبه على قراءات شاذة اشتهرت عنه ، ويحبسه فيكلم أبو أيوب السلطان الوزير في أمره ويسأله في إطلاقه ، وعرفه ان صار إلى منزله قتلته العامة ، وسأله أن ينفذه في الليل سرأ إلى المدائن ليقيم بها أياما ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفيا ، ولا يظهر بها أياما ..

وفي ذلك ما يدل على النزعات الدينية في نفوس العامة من أهل هذا الزمان (٨) ، والتمسك الشديد بما للإسلام من تعاليم . إلى أن عضد الدولة - صاحب أبي علي - الذي حكيت شيئا عنه في إهماله الشريعة - شوهد في كثير من تذاكيره وما كان يوقعه في تقاويمه : نذرنا للأمر الفلاني كيت وكيت ، وكذا وكذا ألف درهم للصدقة (٩) في هذا الجو السياسي المليء بالمكائد والتنافس ، وفي هذه البيئة العلمية الناضجة بالتأليف والتشجيع ، وفي هذه الحياة الاجتماعية التي اختلطت فيها الأوزار والأقذار والمفاسد والمقايح بالهدى والزهد والتقوى والصلاح - عاش أبو علي وسنرى في الفصل الثاني مقدار ما تفاعل الشيخ هو والبيئة التي عاش فيها - مؤثراً ومثأثراً .

(١) تاريخ أبي الفداء ٨٧/١ (٢) وفيات الأعيان ٤٠٥/١

(٣) المصدر السابق ٣٩/٢ (٤) وفيات الأعيان ٢٣/٢

(٥) وفيات الأعيان ٣٤٠/٣ (٦) وفيات الأعيان ٣٤١/٣

(٧) اظر مقامات الحريري المقامة الحادية والمصرون

(٨) وفيات الأعيان ٤٢٨/٣ (٩) ذيل تجارب الامم ٦٦/٣

الفصل الثاني

أبو علي في عيشه ونفسه

هذا بحث عسير ، والسبيل إليه أشد مشقة وعسرا : إذ كيف يجلي الباحث شخصية مثل شخصية أبي علي الفارسي العالم اللغوي النحوي ؟ لو كان أبو علي أديبا - كاتباً أو شاعرا - لاستطعت التعرف عليه من خطرات نفسه ، وهو اجس حسه ، فإن آثار الأديب صورة لما اعتمل في نفسه من خواطر وأحاسيس ، وأمر آخر يجعل هذه الدراسة شاقة عسيره : ذلك أن أبا علي لم يحظ من المترجمين الأولين - كابن النديم في الفهرست ، والزبيدي في الطبقات - إلا بأسطر لاتتسع غلة الباحث ، ولا تروى منه ظمأ ، فلم يزد الزبيدي على ذكر طرف من اتصالاته ببعض أمراء الدويلات في عصره في سطر ونصف (١) ، وأورد ابن النديم ترجمة في نحو ثلاثة أسطر ذكر فيها بعض تأليفه ثم أخطأ في تاريخ وفاته (٢) ، وهذا غاية ما كتبه المعاصرون لأبي علي عنه ، وهو من القلة والتشويه كما ترون . أما ما كتبه المتأخرون فهو أشتات من أنباء مقتضبة ، ثم هي مطلقة مرسلة يعوزها التحقيق وتحتاج إلى دليل فما عساي - بعد هذا - أن أصنع في تجلية عيش أبي علي ونفسه ؟ وكيف يستقيم لي أن أتحدث عن بيئة أبي علي المكانية وصفاته العقلية والحلقية ... الخ والدراسة الحديثة تحتم على التحليل الدقيق حتى لو استطعت لإحصاء أنفاسه فعلت ؟ ومن هنا جاءت المشقة والعسرة ، وهما أمر طبعي ، فطريق الباحثين لم تفرش بالورود ، هي وعرة وشائكة ، وإذن لا بد من المطاولة والمصاربة والمعاناة في استفتاء النصوص ، واستكناه الأحداث ، واستشفاف ما توحى به الآثار ، والمقابلة بين مختلف الأخبار حتى أمثل أبا علي بشراً سويا ، وأطوع ما كان منه عصيا ، وذلك ما أنا في سبيل إليه ...

(١) انظر طبقات الزبيدي ١٣٠

(٢) انظر الفهرست ٩٥

نسب أبي علي وأسرته

لعل أول من أذاع نسب أبي علي الفارسي تلميذه أبو الحسن علي بن عيسى الربيعي فقد قال في صدر شرحه الإيضاح أنه أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد ابن سليمان بن أبان الفارسي (١) ، وتعتمد كتب التراجم على الربيعي في ذلك على اختلاف يسير بينها زيادة ونقصاً في سلسلة هذه النسبة .

فالخطيب في تاريخ بغداد لا يذكر أباً (٢) ، وتابعه في ذلك القفطي في أنباء الرواة (٣) ، والسيوطي في بغية الرواة (٤) ، وابن النديم في الفهرست (٥) لا يذكر اسمه ، ويقتصر على لقبه وكنيته وأبيه وجده عبد الغفار ، وابن تهرى بردى يقف عند جده الأول : عبد الغفار ولا يزيد شيئاً (٦) وكذلك فعل الأنباري (٧) وكذلك يفعل ابن الأثير في الكامل (٨) ويتابعه أبو الفداء في تاريخه (٩) .

ويذكر النبي في إشارة التبيين « عبد الغفار بن سليم بن أبان (١٠) » ، وتضطرب هذه السلسلة في عقد الجمان (١١) ، كما تضطرب في الشذرات (١٢) ، إذ يقول صاحب العقد : « و الحسن بن علي أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي . فقد جعل أباه علي أحمد بن عبد الغفار ، وأظن أن علياً مقحم من النساخ .

ويقول ابن العماد في الشذرات : الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي ، وابن الحاج خليفة في كشف الظنون تقف عند أبيه ولا يزيد ، فهو « أبو علي » « حسن » بدون ال - ابن أحمد الفارسي النحوي (١٣) ، والحسن « بال » بن أحمد الفارسي النحوي (١٤) ، وكذلك فعل ابن حجر في لسان الميزان (١٥) ، والعمري في مسالك الأبصار (١٦) - يقف كل منهما عند كنيته ولقبه إذ يقول : « هو أبو علي الفارسي القسوي النحوي » . ويأتي صاحب روضات الجنات بالسلسلة كاملة كما أوردها الربيعي في الإيضاح ، ولكنه يعرى « الحسن » من ال (١٧) . وفي تقديم

- | | | |
|-----------------|--------------------------|-------------------------|
| (١) وفيات ٣٦١/١ | معجم الادباء ٢٣٢/٧ | (٢) ٢٧٥/٧ |
| (٣) ٢٧٣/١ | (٤) ٢١٦ | (٥) ١٥ |
| (٦) ١٥١/٤ | (٧) ٢٠٩ | (٨) ١٩/٩ |
| (٩) ٣١/٩ | (١٠) ورقة ١٣ | (١١) القسم الثالث / ٤٠٠ |
| (١٢) ٨٨/٣ | (١٣) كشف الظنون ١٣١/١ | (١٤) ٣٨٤/١ |
| (١٥) ١٩٥/٢ | (١٦) المجلد الثاني ٢٦٨/٤ | |

(١٧) ٢١٩ قال ثعلب ؛ كل ما كان مثل العباس وعباس ، وحسن والحسن ، فأدخل الالف واللام وإخراجهما عند السكسائي والراء إذا سميا واحد ، وقال الخليل : إذا أسقطهما فلا يكون الاسم الاول فلا يسقطهما إلا وقد حول المعنى أنظر البصريات ٦٣

الإغفال ورد مرة: قال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، وأخرى: قال أبو علي أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي (١).

ولعل من اختصر في هذه النسبة قصد إلى الاقتصار العجزي « الذي يعرف من غير إخلال ، ومن أطال قصد إلى الجمع الكاشف في إيماء واستيعاب .
أما أولئك الذين اضطربوا في هذه النسبة ، فلا اعتذار لهم من اضطرابهم إلا أن يكون ذلك أو بعض منه من عمل الناصحين (٢) .

ولم يحتفظ الفرس بأنسابهم كما احتفظ العرب بها ، ومن هنا كانت آخر حلقة من حلقات هذه السلسلة - عند من أطال - أبان ، وأبان كما أعلم ، عربي مصروف على الصحيح (٣) ، حتى كان من أمثالهم المأثورة : « من لم يصرف أبانا فهو أبان ، وإذا اعتبرت أن أبانا أول من أسلم من أجداد أبي علي ، فإني أقدر أنهم دخلوا في الإسلام ، وتسموا بأسماء المسلمين حوالى منتصف القرن الثاني الهجري ، باعتبار أن كل جيل يمثل من الأعوام أربعين (٤) .

وأبو علي فارسي الأب ، ولا أعتمد في ذلك على ما يلقب به من أنه فسوي ، فارسي، نعم لقد تكون هذه النسبة دالة على فارسيته ، ولكنها لا تدل في كل الحالات . فأبو إسحق الشيرازي ، والفيروزابادي من أبناء أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، والترمذي صاحب الشمائل (٥) ، والترمذي صاحب السنن (٦) كل هؤلاء من العرب ، والحاكم أبو عبيد الله النيسابوري من بني ضبة (٧) ، والأصبهاني أبو الفرج صاحب الأغانى - أموى ، وهذا الحسن بن الخطير بن أبي الحسن النعماني يلقب بالفارسي مع أنه عربي من نسل النعمان بن المنذر ، وإنما قيل له الفارسي لأنه تفقه بشيراز على مذاهب أبي حنيفة (٨) وقد أخطأ مفسر المزهري ف أطلقوا اسم هذا الفارسي النعماني على أبي علي الفارسي (٩) .

إنما اعتمدت في تقرير فارسية أبي علي على ما تواترت به الاخيار ، وما يذكره المؤرخون ، وما يمكن أن يدل عليه علمه بالمارسية ، وتحديثه بها ، وربطه بينها وبين العربية كما سأعرض له فيما بعد إن شاء الله .

(١) الاعفال ص ٢ (٢) الاعفال ص ١ (٣) القاموس مادة ابن

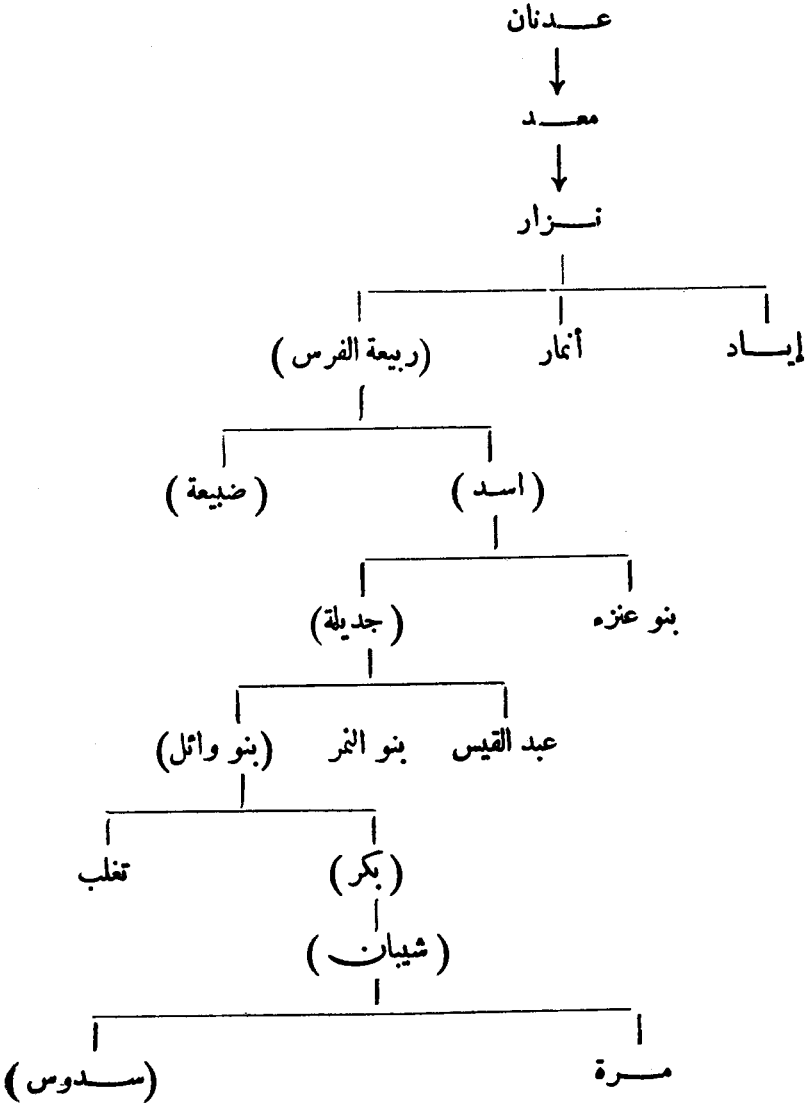
(٤) انظر الاسس المبتكرة ٦٧ (٥) وفيات الاعيان العرجة رقم ٤٤٤

(٦) وفيات الاعيان الترجمة رقم ٥٨٥ (٧) مجلة الرسالة ، المجلد الثاني ٢١٣

(٨) طبقات المفسرين ورقة ٥٧ مخطوطة بدار الكتب تاريخ رقم ١٦٨ وانظر

بنية الوعاذ ٢١٩ (٩) انظر المزهري ٤٨٧/٢ ، ٦٠٦ تحقيق المرحوم جاد المولى وزميله

أما أمه فهي سدوسية من سدوس (بفتح السين) شيبان^(١) وشيبان من بكر ،
وبكر من بني وائل ، ووائل من جديله ، وهذه من أسد ، وأسد من ربيعة ربيعة
الفرس ، وربيعه الفرس من نزار بن معد بن عدنان^(٢)
ويمكن وضع سلسلة النسب كالآتي^(٣) :



(١) معجم الأدباء ٢٣٣/٧
وما حوالها ، وجمهرة أنساب العرب ٢٧٥-٣٠٨ ، والأنباه على قبائل الرواه ٩٦
(٢) انظر نسب عدنان واطحان للبرد ١٩
(٣) بالقباس من صبح الأعمى، ٣٣٧/١ وما بعدها .

وينص النسابون على سدوس شيان احترازاً من سدوس (بضم السين هنا) ابن أسمع من بني سعد بن زهران بن عمرو بن العوث بن طيء (١).

قالوا: «وسمى ربيعة الفرس، لأنه أعطى الخيل من ميراث أبيه (٢) أو لان أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخيال (٣)، وقال ابن عبد البر القرطبي النمرى (ت ٤٦٣ هـ) في الأبناء على قبائل الرواة: ويقال لربيعة ربيعة الفرس وذلك فيما زعموه أنه لما مات نزار معد بن عدنان تقسم بنوه ميراثه واستهموا عليه، وكان لزار فرس مشهور فضله في العرب، فأصاب الفرس ربيعة فلذلك سميت ربيعة الفرس، وكان لزار ناقة حمراء مشهورة الفضل في العرب، فأصاب الناقة مضر، فلذلك سميت مضر الحمراء (٤).

وقد ذكر الأستاذ المرحوم أحمد أمين أن أم أبي علي فارسية (٥) ويبدو أن الأمر قد التبس عليه، فقرئت الفرس بفتح الفاء والراء، الفرس بضم الفاء وسكون الراء (٦).

ويظهر من نسبة أبي علي الفارسي هذه المصاهرة التي كانت بين الفرس والعرب والتي شاعت في العصر العباسي من الخلفاء إلى عامة الشعب، ولم يعد العرب يتخرجون منها مزوجين أو متزوجين (٧)، كما كانوا كذلك في العصر الجاهلي حيث كانت الدولة عربية خالصة.

وقد انتقلت ربيعة الفرس إلى الرحبة كما جاء في مسالك الأبصار ونقله القلقشندي في صبح الأعشى (٨)، والرحبة مدينة على الفرات بين الرقة وغانة (٩)، فيظهر أن انتقال الربيعين إلى الجزيرة الفراتية يسر اتصال الفرس بهم بحكم المجاورة التي أدت إلى الامتزاج والمصاهرة.

(١) صبح الأعشى ١/٣٢

(٢) قابوس مادة حمر

(٣) صبح الأعشى ١/٣٣٧

(٤) الأبناء على قبائل الرواة ٩٦

(٥) ظهر الإسلام ٢/٩١

(٦) وكسان الحريري صاحب المقامات يزعم أنه من ربيعة الفرس انظر (وفيات الأعيان ٣/٢٩)

(٧) رفض النعمان أن يزوج كسرى ابنته حرقة (الطبرى ٤/١٥٠)

(٨) ١/٣٣٧ (٩) تقيم البلدان ٢٨١

كنيته

وهي أبو علي ، وتلك الكنية غالبية فيمن اسمه « الحسن » ،^(١) أو الحسين^(٢) :
ومن غير الغالب تكنية من اسمه الحسن أو الحسين بغير أبي علي ، فأبو سعيد^(٣) ،
وأبو أحمد^(٤) ، وأبو محمد^(٥) ، وأبو بكر^(٦) ، وأبو عبد الله^(٧) . كل هذه كنى
للحسن أو الحسين .

ومن النادر الكنية بأبي علي في غير الحسن والحسين ، كما ماعيل بن القاسم
البغدادى^(٨) ، وقطرب^(٩) ، ومعاذ الهراء^(١٠) ، واحمد بن محمد القاسم^(١١) ،
واحمد بن ابراهيم بن أيوب^(١٢) ، ومعقل بن يسار ، والسائب بن يزيد^(١٣) ، وشيوع
أبي الحسن كنية لمن اسمه على تكاد تطرد وتستمر .

ويبدو لي أن الكنية بأبي علي شاعت عندما استعلن أمر الشيعة ، وكان لدعوتهم
ذبوع ، ولذهبهم أنصار ، كما شاعت التسمية ، بالحسن والحسين من أجل ذلك ،
وقد بينت من قبل مقدار ذبوع التشيع في ذلك العصر الذي عاش فيه أبو علي
الحسن . ويلقى ضوءاً أعلى ذلك ويؤيده ما جاء في الهوامل والشوامل لأبي حيان
وابن مسكويه . وكلاهما معاصر للفارسي — من أن رجلاً كان يكنى أبا حفص
فاكتنى أبا جعفر ، وكان سببه في ذلك أنه قصد رجلاً يتشيع فكره أن يعرفه
بأبي حفص^(١٤) .

وقد بين أبو علي الفارسي اشتقاق التسمية ، بعلي ، وذلك إذ يقول : فأما تسميتهم

-
- (١) انظر وفيات الأعيان من ٣٥٦/١-٣٩٥/١
(٢) انظر وفيات الأعيان ٤٠٠/١-٤٣٤/١
(٣) وفيات ٣٦١-٣٥٩/١ (٤) ٣٦٤/١
(٥) ٣٩٠-٣٧٠/١ (٦) ٣٨٠/١
(٧) ٤٣٦-٤٠٣/١ (٨) الزهر ٤٣٠/٢
(٩) نزهة الألباء ٦٢/ (١٠) نزهة الألباء ٣٤/
(١١) صفوة الصفوة ٢/٢٥٦ (١٢) صفوة الصفوة ٤١/٢
(١٣) انظر الكنى والأسماء للدولابي ٨٤/١
(١٤) الشوامل ٢٧٣

بعلی فيجوز أن يكون فعیلا من علا علی الأمر إذا غلبه واضطلع علیه ، ويجوز أن يكون فعیلا من قوله :

« وكانا امرأین كل شأنهما یعلو ،

ويجوز أن يكون فعیلا من عَلِيٍّ في المكارم يَعْلَى فهو عَلِيٌّ مثل عَلِمَ يَعْلَمُ فهو علم^(١) .

وأبو علی ينسب إلى فسا ، وهي المدينة التي ولد بها فيقال النسوي^(٢) ، وقد ذكر البستاني خطأ أنه ولد بمدينة نسا بالنون^(٣) ، كما وردت هذه النسبة في إشارة التعيين لأبي المحاسن الميمنى^(٤) ، وذلك إذ يقول « . . . الفارس النسوي » . صحیح أن هناك مدينة تسمى نسا بخراسان ، وإليها ينسب الإمام أحمد النسائي صاحب كتاب السنن ، ونسا أيضاً مدينة بفاس^(٥) ، ومدينة بكرمان^(٦) ، ولم ينسب أحد من مؤلفي الانساب أباً علی إلى نسا ، وقد ذكر السمعاني صاحب كتاب الانساب في باب النون والسين المهملة ، وابن الأثير في الباب^(٧) من نسب إلى نسا ، ولم يكن أبو علی الفارسي بينهم .

وربما التبس علی الميمنى وتابعه البستاني في ذلك ، وقد يكون هذا عند الميمنى من خلط النساخ يقرب صورة الفاء في فسامن النون في نسا ، ويعين الفاء أن العرب ينسبون إلى نسا فيقولون نسوي ولم يقولوا نسائي ، وجاء في معجم البلدان ، نسا كلمة عجمية ، وعندهم بسا ، وكذا يتلفظون بها . . ولم يقولوا في النسبة إلى فسا : فسائي . . . وإليها ينسب أبو علی الفارسي النسوي^(٨) ، والنسوي نسبة إلى فسا^(٩) ، ونقل ذلك صاحب تقويم البلدان^(١٠) ، وجاء في وفيات الأعيان و بسا بالفارسية ، وتسمى فسا^(١١) ، وقد أوردها بالباء ابن شعبة الأسدي فقال : ولد ببسا^(١٢) والنسبة إلى بسا عند أهل فارس بساسيرى ، وبالعرب فسوى ، ومنها الشيخ أبو علی الفارسي^(١٣) النحوي .

-
- (١) المسائل الشيرازيات ورقة ٣٣ (٢) طبقات الزيدى ١٣٠
(٣) انظر دائرة المعارف للبستاني (٤) ورقة ١٢ (٥) أحسن التقاسيم ص / ٤٣٢
(٦) تقويم البلدان ٤٥٠ ، ٤٥١ (٧) ٢٣٣/٣ وما بعدها .
(٨) معجم البلدان ٣٧٦/٦ (٩) الانساب للسمعاني مادة فسا والباب ٢/١٥٢
(١٠) ٣٣١ (١١) وفيات الأعيان ١/١٧٢
(١٢) طبقات ابن شعبة ٢٩٥/١ (١٣) وفيات الأعيان ١/١٧٢

وقد بارك الله في هذه المدينة ، فأخرج منها جماعة من أعيان العلماء ، فأبى جانب أبي علي — أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان الفسوي الكبير الإمام المشهور ، رحل من الشرق إلى الغرب ، وسمع وأبصر وصفح مع الورع والنسك ، وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن زياد الفسوي الصغير ^(١) ، وأبو محمد عبد الله ابن جعفر بن درستويه ، بن المرزبان الفارسي الفسوي النحوي . . . ومحمد بن أحمد ابن يونس الفسوي أبو عبد الله ^(٢) .

هذا ومن تمام الحديث في لقب أبي علي أن أذكر أن تلقيبه بالفسوي كان يكثر عند القدامى والمعاصرين ، فقد ذكره أبو حيان في كتابه الإمتاع بأبي علي الفسوي ^(٣) ، وذكره الزبيدي بالطبقات ^(٤) بذلك أيضاً ، كما ذكره معاصره محمد بن أبي الفوارس ^(٥) .

أما المتأخرون من اللغويين ، والنحاة ، والفقهاء ، والمفسرين — فإما أن يدلوا عليه بأبي علي ، أو بالفارسي ^(٦) ، أو بهما معاً ^(٧) ، ولا يكادون يلوون ألسنتهم بالفسوي ^(٨) . وهذا ابن سيده في كتابه المخصص يقول : قال أبو علي الفارسي وإذا ذكرت أبا علي فإياه نغني — . . . ^(٩) .

وكان ابن جنى يذكره كثيراً في الخصائص بقوله : « قال شيخنا أبو علي . . . ، أو بكنيته مجردة ، ولا يستطيع الباحث أن يضبط ما أثر عن عضد الدولة فيما جرى على لسانه من نسبة لأبي علي في قوله : « أنا غلام أبي علي . . . » ، فالتصوص متضاربة : فمنها ما فيه الفارسي فقط ^(١٠) ، ومنها ما فيه الفسوي ^(١١) ، ومنها الغفل من قيد النسبة إلى هذه أو تلك ^(١٢) . وأميل إلى صيغة : « أنا غلام أبي علي النحوي في النحو ، من بين هذه التفسيرات كما رواها ياقوت ^(١٣) ؛ لأنه بهذا القيد : النحوي ، يتميز أبو علي دون سواه ، ثم هو تعيين لأبي علي ، بما هو مذكور به ومشهور عنه : النحو .

(١) اللباب ٢١٥ — ٢١٦ (٢) بنية الوعاة ٢٠ (٣) ١٢٩/١

(٤) ١٣٠ (٥) تاريخ بغداد ٢٦٧/٧

(٦) رسالة النفران ١٥٢ والمخصص ٩٦/١ (٧) الدر على هامش البحر المحيط ٤٠/٧

(٨) انظر النيسابوري على هامش الطبري ١٧٦/٤ ، ١٢/١٤ ، وفوائد العز بن عبد السلام

عند تفسير محيط من قوله تعالى : واثقه من ورائهم محيط . (٩) المخصص ١٧/١

(١٠) نزهة الألباء ٢٠٩ (١١) عقد الجمان القسم الثالث ٤٠٠

(١٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٤ (١٣) انظر معجم الأدباء ٢٣٤/٤

ويؤيد ذلك ما كتبه أحمد بن سابور في المسائل الشيرازيات إذ قال : « الجزء الأول من المسائل الشيرازيات ، تأليف الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (أدام الله عزه) ، نقلتها من أصله بخطه ، وقرأتها عليه . . . » (١) .

وكان أبو علي لا ينسب نفسه إلى فسا ، ولكنه ينسبها إلى فارس ، فقد كتب في توثيق الشيرازيات لأحمد بن سابور المذكور في ظهر كل جزء من أجزائها ما نصه : قرأ علي أبو غالب أحمد بن سابور هذا الكتاب ، وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه ، ، وقد تكرّر نص هذا التوثيق ثلاث عشرة مرة ، في أول كل جزء من أجزاء الشيرازيات ، كذلك نسب أبو علي نفسه إلى فارس ، في مكاتبة بينه وبين صاحب (٢) ، ويظهران ما في لفظ الفسوي من إيحاء منفر ، لا تقبل النفس عليه ، جعل أبا علي وتلاميذه لا يستريحون إليه .

هذا وقد يطلق الفارسي أيضاً على أبي الخصيب الفارسي النحوي (٣) ، وعلى الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن علي الفارسي اللغوي النحوي ، الذي هو من تلامذة أبي علي ، وله شرح كتاب الجرمي ، ونقض ديوان المتنبّي وغير ذلك (٤) ، كما يطلق الفسوي على أبي يزيد ، وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاه (٥) (ت ٢٨٩ هـ) . كما أن هناك من يشترك في الكنية والاسم واللقب مع أبي علي ، وذلك أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي (٦) .

ولكن المعروف عند المتأخرين من النحاة والفقهاء (٧) ، أنهم إذا قالوا : « الفارسي ، أو أبو علي ، » فإنهم يعنون الشيخ أبا علي الفارسي ، الذي أتحدث عنه لشهرته عن سواه ، وإن أرادوا غيره كان لابد من القرينة المميزة ، والاشارة الدالة . . . كأن يقولوا مثلاً : « أخذ محمد بن أبان القرطبي ، عن أبي علي البغدادي وغيره » (٨) .

(١) انظر صدر المسائل الشيرازيات

(٢) انظر معجم الأدباء ٢/٢٤٠ (٣) بقية الوعاة ٢٠٩

(٤) روضات الجنات ٣٣٠ وبقية الوعاة ٤٨١

(٥) انظر وفيات الأعيان ٥/٦٤

(٦) انظر المحتسب لابن جنّي ١٠

(٧) انظر فوائد العز بن عبد السلام مخطوطه بدار الكتب : ٧٧ م تفسير عند حديثه على

إعراب غير المفضوب عليهم وقارنه بما أورد أبو علي في الحجة ١/٩٦ من مراد ملا وانظر كذلك هذه الفوائد عند الحديث عن اللغات في سواء - وقارنه بما ورد في الحجة متعلقاً بهذه

(٨) معجم الأدباء ١٧/١١٧

الكلمة ١/١٧٠

مولد أبي علي

يضرِب كثير من المؤرخين صفحاً عن السنة التي ولد فيها أبو علي ، ويختلفون اختلافاً يسيراً في وفاته ، ويذكرون أنه مات وقد جاوز تسعين سنة (١) . فلو فرضت أنه مات وسنه إحدى وتسعون سنة . وهو أقل ما تحقق به مجاوزة التسعين من السنين (وقد وثقت فيما بعد سنة ٣٧٧ هـ تاريخاً للوفاة) ، فمعنى هذا أن أبا علي ولد سنة ٢٨٦ هـ ، وهذا التاريخ لا يتفق مع ما يذكره ابن خلكان من أنه ولد سنة ٢٨٨ هـ (٢) ، والعيني في عقد الجمان (٣) ، والكتبي في عيون التواريخ (٤) . ولقد جاء في شذرات الذهب أن أبا علي توفي عن تسع وثمانين سنة (٥) ، ومعنى ذلك أن صاحب الشذرات متفق مع ابن خلكان في أن ميلاد أبي علي كان سنة ٢٨٨ هـ ، كما يتفق أيضاً مع ابن قاضي شبهه الأسدي حيث يقول : « إن أبا علي مات سنة ٣٧٧ هـ عن تسع وثمانين سنة » (٦) .

وعلى كل فالأمر يسير ، فالقاء سنتين أو إضافتهما إلى تاريخ الميلاد لا يترتب عليه أمر ذو بال ، وحسبي من أبي علي وحسبه أن الله نسأ له في أجله ، وبارك له في عمره حتى عاش نحواً من تسعين .

(١) انظر معجم الأدباء ٢٣٣/٧ ولسان الميزان ١٩٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٥١/٤ وتاريخ ابن الأثير ١٩/٩ وتاريخ أبي الفداء ٣١/٢
(٢) انظر وفيات الأعيان ١/٣٦٣ (٣) القسم الثالث ٤٠٠
(٤) انظر ص ٢٠ (٥) شذرات الذهب ٨٨/٣
(٦) طبقات ابن شهية ٢١٥

البيئة المكانية لأبي علي

تنقلاته :

ولد أبو علي في فسا (٢٨٨ هـ) ^(١) ، وإليها نسب ^(٢) . وقد نقل المؤيد عماد الدين اسماعيل في كتابه تقويم البلدان عن ابن حوقل ، أن فسا أكبر مدينة في كوره دارابجرد ، وتقارب في الكبر شيراز ، وأكثر خشب أبنيتها السرو ^(٣) ، وقال الاضطخري : فسا مدينة مفترشة البناء ، واسعة الشوارع ، تقارب في الكبر شيراز ، وهي أصح هواء وأوسع أبنية ، وبنائهم من طين . . . ^(٤) ، ولم يتعرض أحد من المؤرخين - فيما أعلم - إلى النشأة الأولى التي نشأ عليها أبو علي الفارسي ، فحياته من مولده إلى أن انتقل إلى بغداد سنة (٣٠٧ هـ) ^(٥) مجهولة لا نعرف عنها شيئاً ، اللهم إلا ما يحدثنا به التاريخ عن أحوال فارس السياسية - وهو أمر عام - لا يتصل بالفارسي بخاصة ، ولكنه على كل حال يلقي ضوءاً على المؤثرات الأولى في حياة الشيخ أبي علي . ففي السنة التي انتهى فيها حكم المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن المتوكل (٢٥٦ - ٢٨٨ هـ) ^(٦) ولد الفارسي ، وإلى أن انتقل أبو علي إلى بغداد (٣٠٧ هـ) وفارس لا تستقر على حال من القلق ، ففي سنة ٢٨٨ هـ دخل طاهر بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره ، وأخرجوا عنها عامل الخليفة ، وفيها ولي المعتمد مولاه بدرافارس ، وأمره بالشخص إلى بلخ أن طاهراً تغلب عليها فسار إليها في جيش عظيم . . فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر فدخلها بدر وجنى خراجها ^(٧) .

وفي سنة ٢٩٠ هـ يولى طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على فارس ^(٨) ، ويتشغل بالصيد واللبو ، ويمضى إلى سجستان للتزده ، فيخرج عليه قائد من أصحابه يعرف بأبي قابوس ، ويوليه المكتفى فارس (٢٩٣ هـ) ^(٩) ، وتم فترة قلقه يولى فيها الولاية على فارس ، وسرعان ما يعزلون ، وتكون وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث

(١) معجم الأدياء لياقوت : ٢٣٤/٢

(٢) معجم البلدان (فسا) . (٣) تقويم البلدان : ٣٣١

(٤) معجم البلدان : ٣٧٦/٦ (٥) وفيات الأعيان : ٣٦/١

(٦) الفخرى : ٢٢٢٠ (٧) السكامل : ٨١/٧

(٨) السكامل لابن الأثير : ١٨٨/٧ (٩) السكامل : ١٩٤/٧

وبين « سبكرى ، غلام عمرو بن الليث ، فيؤسر طاهر ، ويوجه هو وأخوه يعقوب إلى الخليفة المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى إلى بغداد أسيرين ويحبسان ويولى سبكرى على فارس (٢٩٧ هـ) ويقرر الخليفة أمره على مال يحمله (١) .

ولا يستقر الأمر لسبكرى ، ففي نفس العام الذى ولى فيه يتقدم الليث بن على ابن الليث من سجستان إلى فارس ، ويستولى عليها ، ويهرب سبكرى إلى أرجان ، ويسير الخليفة مؤنساً الخادم إلى فارس ؛ معونة لسبكرى ، وبعد حرب يخفق فيها مؤنس يعول ابن الفرات وزير الخليفة على محمد بن جعفر فى فتح فارس ، ويستولى عليها ابن جعفر ، ثم لا يلبث حتى يموت (٢٩٨ هـ) ، ويستعمل عبد الله بن ابراهيم المسمى (٢) ، ولا يستقر به الحال حتى يعزل (٣٠٠ هـ) (٣) ، ويعمل على فارس بدر الحمamy . . وفى سنة ٣٠٤ هـ يخالف أبو زيد خالد بن محمد على المقتدر بالله — بكرمان وكان يتولى الخراج — ويسير منها إلى شيراز يريد التغلب عليها ، فيخرج إليه بدر الحمamy ويحاربه ويقتله ، وتحمل رأسه إلى بغداد ، ويطاف به (٤) .

وقد قصدت قصداً إلى اقتباس هذه الناحية التاريخية ، وابتدأتها من ميلاد أبى على الفارسى (٢٨٨ هـ) إلى أن انتقل إلى بغداد (٣٠٨ هـ) ، وكانت الحال من قبل هذه السنين لا تغل اضطراباً وقلقاً ونزاعاً بين القواد على ملك فارس (٥) ، ولا شك أن أباً على الفارسى ستم هذه الحال القلقة فى بلاده (٦) ، وتطلع كأمثاله إلى بغداد عاصمة الخلافة (٥) ، والتي يرد منها الولاة الذين يحكمون ، والتي فيها الخلفاء والوزراء الذين يولون ويعزلون ، وفى بغداد أيضاً ، العلماء والمتعلمون ، والفقهاء والمتفقهون ، ورؤساء المتكلمين (٦) ، والأطباء (٧) ، وسادة الحساب والنحوية ، ومجيدو الشعراء ، ورواة الأخبار والأنساب ، وفنون الآداب ، وحضور كل طرفة (٨) . ومن هنا كان علواؤها متجه المستفسرين من مختلف العواصم الإسلامية إلى ذلك الحين (٩) ، ولئن ضعفت الخلافة فى بغداد لإنها لم تزال — مع ذلك — محتفظة بكيانها الثقافى ، وصدارتها فى ميدان البحث العلمى فى ذلك العهد ، الذى وفد

(١) الكامل ٢٠/٨ (٢) الكامل ٢١/٨

(٣) المصدر السابق ٢٦/٨ (٤) المصدر السابق ٣٦/٨

(٥) راجع الكامل لابن الأثير فيما قبل ٢٨٨ هـ

(٦) تاريخ بغداد ٥١/ (٧) الكامل لابن الأثير ٥٥/٨

(٨) تاريخ بغداد ٥١/١ (٩) انظر الإمتاع ١٣٠/١

فيه أبو علي ، وقد كان وزراء الخلفاء يعقدون مجالس للبحث والمناظرات ، كالذي كان في مجلس الوزير ابن الفرات ، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي أنه كان في مجلس ذلك الوزير ، الخالدي ، وابن الأخشاد ، والكتبي ، وابن أبي بشر ، وابن رباح ، وابن كعب ، وأبو عمرو قدامة بن جعفر ، والزهوي ، وعلي بن عيسى الجراح ، وابن فراس ، وابن رشيد ، وابن عبد العزيز الهاشمي ، وابن يحيى العلوي ، و... ، وكان ابن الفرات يعدّهم في العلم بحاراً ، وللدن وأهله أنصاراً ، ولحق وطلابه مناراً ،^(١) .

وحتى العهد الذي انقسمت فيه المملكة الإسلامية إلى دويلات لم تكن المنافسة بين العواصم للقضاء على بغداد ؛ بل لتكون كل منها بغداد أخرى في العلم والثقافة . ويظهر أن الحال السياسية لفارس ما كانت تغري العلماء بالاستمرار فيها ، والإقامة بها ، وهذا أبو بكر بن دريد — أستاذ أبي علي يهجر فارس إلى بغداد ويدخلها سنة ٣٠٨^(٢) في وقت قريب من انتقال أبي علي من بلاده إلى عاصمة الخلافة .

وشيء آخر أظنه دفع أبا علي إلى الوفود على عاصمة العراق ، ذلك هو العبقرية الدفينة في شيراز على بعد أربع مراحل من نسا^(٣) ؛ ذلك سيبويه إمام النحاة ، وناهيك به مثالا يقتدى ، وسيرة تحتذى .

ثم كان بعد سيبويه — ابن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ) وابن درستويه من بعد — المعاصر القريب لابن علي ، وقد علا شأن ابن درستويه في بغداد ، واشتهر عليه ، وصار له تلاميذ منهم أبو طاهر ، والكرمانى ، وأبو علي القالى ثم البغدادي^(٤) وابن درستويه — إلى جانب ذلك من فارس ، بل هو من فسا^(٥) فهو فارسي فسوي مثل أبي علي ، والناس يحتذون التابعين من أبناء جلدتهم فليس ببعيد أن يحذو أبو علي حذوه ، ويقفو قفوه .

وإذ كان أبو علي البغدادي ينتسب إلى قالى قلا ؛ رجاء أن ينتفع بذلك

(١) الإمتاع ١٠٨/١ (٢) وفيات الأعيان ج ٣/٤٥٠
(٣) معجم البلدان ٦/٣٧٦ (٤) طبقات الزبيدي ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٠٥ أيضاً
(٥) معجم البلدان مادة فسا .

عند العلماء في بغداد^(١) ، ويمضى عليه — من ذلك الحين — القالي ، فأحر بأبي علي الفارسي أن يندفع إلى بغداد متطلعاً إلى ابن درستويه ، منتفعاً بفارسيته وفسويته جميعاً . ومن هنا ينزل أبو علي في صف شونيز ببغداد ، وفي الجانب الغربي منها^(٢) حيث ينزل عبد الله بن جعفر بن درستويه ، بل يكون جاراً لابن درستويه بيت بيت^(٣) ١١

انتقل الشاب أبو علي إلى بغداد (٣٠٧ هـ) مدفوعاً بهذه العوامل العامة والخاصة ، ويعنى الشأو البعيد باتخاذ الوسائل إليه^(٤) .

ومهما يكن من أمر فإن أبا علي لقي ببغداد في تلك السن المتهيئة لتلقي العلوم في ضبط ، ووعي ، وإقبال ، ورغبة . لقي شيوخ القراءة ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، على التفصيل الذي سأورده بعد حين

ومنذ ورود أبي علي ببغداد تتضح حياته ، بانتقاله إلى عاصمة الخلافة التي توجه إليها الأبصار في سائر الأمصار ، وينصت لها التاريخ ، وبارتباط حياته بهؤلاء الشيوخ الذين كانت لهم شهرة ذائعة فيما يدرسون من علوم .

وقد مكث في العراق من ٣٠٧ — ٣٤١ هـ ، ويظهر أنه تصدر للإقراء والتدريس في حياة أساتذته ، فقد أخبر ابن جنى أن علي بن عيسى الروماني قرأ عليه كتاب الجمل ، وكتاب الموجز لابن السراج في حياة ابن السراج^(٥) .

ومن مسأله التي خلفها ، استدلل على أنه كان ينتقل في مدن العراق ويحاضر طلابه ، فله إلى جانب البغداديات^(٦) ، البصريات ، والهيثيات^(٧) والقصريات^(٨) نسبة إلى قصر بن هبيرة بنواحي الكوفة^(٩) ، ولاننسى أنه مر بتلميذه ابن جنى وهو يقرئ النحو بجامع الموصل^(١٠) ، ويظهر أنه كان يزور فارس ، ويعود إلى بغداد مراراً في ذلك بين الحين والحين . فقد زار فارس قبيل وفاة أبي بكر بن الخياط (٣٢٠ هـ) ثم رجع إلى بغداد بعد وفاة أبي بكر^(١١) .

(١) طبقات الزبيدي ٢٠٥ — سأل الزبيدي أبا علي : لم قيل له القالي؟ فقال : « لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقة فيها أهل قالي فلا فكانوا يحافظون لسكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قالي فلا وهي قرية من منازل جرد رجوت أن اتنع بذلك عند العلماء ، فضى على القالي » .

(٢) وفيات الأعيان ١/٣٢٥

(٣) الحلبيات ظهر ورقة ٥/٣٣ نحوش (٤) طبقات الزبيدي ١٣١

(٥) ٢٣٩/٧ معجم الأدباء ٧/٢٣٩ (٦) كشف الظنون ١/١٦٦٧

(٧) المغني ١٠/٢ (٨) كشف الظنون ١/٢٦٧٠ (٩) روضات الجنات ٢٢٠

(١٠) نزهة الألباء ٢٢١ (١١) انظر معجم الأدباء ٧/١٤٢

ثم أمضى في تحديد بيئته المكانية بأزمانها فأقول :

هذه البيئة يطورها معاصره الزبيدي في طبقاته طياً ، وذلك إذ ينص على أن الفسوى : « كان عند ابن حمدان ، فاستجلبه الديلمي لبني أخيه خسرهم يؤدبهم ، فأقام ببغداد ، ثم توجه إلى شيراز^(١) . ويذكر ابن الجزري أن أبا علي صحب عضد الدولة ، ثم لحق بسيف الدولة^(٢) ، ومعنى ذلك أنه اتصل بعضد الدولة أولاً ، ولكن ترتيب ابن الجزري تنفيه حقيقة التاريخ أولاً ، ونصوص ابن جنى ثانياً^(٣) .

وتتردد الأسئلة الآتية أمام الباحث :

في أية سنة فارق أبو علي بغداد إلى سيف الدولة بن حمدان ؟ وما نشاطه العلمي في هذه المدة التي مكثها بالشام ؟ ومتى فارق حلب ؟ ولم فارقها ؟ ألان الديلمي استجلبه لبني أخيه خسرهم يؤدبهم كما يقول الزبيدي ؟ أم لأنه — مع ذلك — لم يطب له المقام ؟ .

وكم سنة أقام ببغداد بعد رجوعه من حلب ؟ ومتى توجه إلى شيراز ؟ وماذا كان من أثره فيها ؟ وكم سنة أقام بها ؟ وماذا قدر لأمره بعد ذلك ؟

هذه أسئلة ترددت في نفسي ؛ استكالا للصورة التي وددت رسمها لتنقلات أبي علي ، وظلت الإجابة عنها تخالني أمدأ طويلا ، وأخذت أبحث عنها في مظانها ملتصقا قبساً من هنا ، وقبساً من هناك ، حتى استطعت رسم هذه الصورة على النحو الآتي :

كان قدوم الفارسي على حلب سنة ٣٤١ هـ على ما يذكر ابن خلكان في الوفيات^(٤) ، وابن العماد في الشذرات^(٥) ، وقد اعتبرت هذا التاريخ بما ذكر ابن جنى في كتابه الخصائص إذ يقول : أنشدنا أبو علي (رحمه الله) لجرير :

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم * ونهر تيرى فإنا تعرفكم العرب
بسكون فإنا تعرفكم .

أنشدنا هذا بالموصل سنة إحدى وأربعين^(٦) ، وبما ذكره في كتاب المحتسب : فأنت من الغوائل حين ترمى * ومن ذم الرجال بمنزح

(١) طبقات الزبيدي ١٣٠ (٢) طبقات القراء ١/٢٠٧

(٣) انظر الخصائص ١/٧٦ ، والمحتسب ١/٣٢٤

(٤) ٣٦١ (٥) الخصائص ١/٧٦

(٦) المحتسب ١/٤٢٣

يريد بمنزح ، وعليه قول عنتره أنشدناه أيضاً سنة إحدى وأربعين بالموصل :
* ينباع من ذفرى غضوب جصرة (١) *

اعتبرت ما يقوله ابن خلكان بما يقوله ابن جنى فى الخصائص ، والمحتسب ،
فوقرى فى نفسى أول الأمر أن أبا على لم يفد على حلب فى سنة إحدى وأربعين ،
ثم صدقت كلام ابن جنى ، وما ذكره ابن خلكان ، عندما نظرت فى المصور
الجغرافى موضع الموصل وحلب ، فوجدت أن أقرب طريق للذهاب من الموصل
إلى حلب هو الذى بينها وبين الموصل . وأن المسافة بينهما تنفرج جنوبى الموصل
وشمالها . فلعل أبا على وابن جنى سلك أقرب طريق من الموصل إلى ابن حمدان فى
عاصمة إمارته .

وغير خافية هذه الأسباب التى دعت أبا على الفارسى ، وتليذه ابن جنى إلى
الذهاب لسيف الدولة ، غير أنى أشير إليها فى كلمة سريعة موجزة :

(فأولاً) قد بلغ الأمير سيف الدولة حينئذ الأوج فى عظمته ، وإذا استشهدت
بالتاريخ على ذلك وجدت أن المتنبى فيما يقول العكبرى قال قصيدته التى أولها :
ذى المعالى فليعلون من تعالى * هكذا هكذا ، وإلا فلألا

يذكر نهوض سيف الدولة إلى الثغر ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٤٦ ،
وفى سنة ٣٤١ بنى سيف الدولة مرعشا ، وامتدحه عند ذلك أبو الطيب بقصيدة
قال فى مطلعها :

فديناك من ربيع ، وإن زدتنا كرباً * فإنك كنت الشرق للشمس والغربا (٢)
(وثانياً) قد تحدثت الركبان ، ونطق الزمان بما كان من إغداق سيف
الدولة على قاصديه (٣) . وقد كان سيف الدولة لا ينتقر فى العطاء ،

(١) الخصائص ٧٦/١ والتكلمة : زياًفة مثل الفئيق المكدّم أراد ينبع —
والذفرى ماخلف الإذن ، والجصرة الناقة الموثقة الخلق ، والزيف التبخر ، والفعل زاف
يزيف . والفئيق الفحل من الإبل يقول : ينبع هذا العرق من خلف اذن ناقة فضوب موثقة
الخلق شديدة التبخر من سيرها مثل فحل من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل فى تبخرها
ووثاقه خلقها وضخامتها . شرح المعلقات السبع للزوزنى ١٤٦ ، ١٤٧

(٢) اعلام النبلاء للطباع الحلبى ٢٥٨/١

(٣) أعلام النبلاء ٢٧٧/١ وما بعدها

فكان يجود حتى على أولئك الذين لا يجدون من القول ما يحسنون^(١) .
(وثالثاً) كان سيف الدولة شيعياً^(٢) ، وكان في أبي علي شيعية رأينا بواعثها
من قبل ، وسأتحدث عنها في القريب إن شاء الله .

من أجل هذا تهيأت الظروف لأبي علي أن يرحل إلى جوار الحمداني ، وبقي إلى
جواره فترة كانت محفوفة بالدسائس والمكائد ، فقد التقيا فيها بنجهم عنيد ، حبيب
إلى قلب سيف الدولة ، وذلك أبو عبد الله بن خالويه ، وربما خشى ابن خالويه أن
تضيع مكاتته عند مولاه ، وكان سيف الدولة مشغولاً بالمسائل اللغوية ، يعرضها
مستفسراً أو مختبراً . سأل سيف الدولة عن اسم ممدود جمع مقصوراً ، وكان بين
الحاضرين أبو علي ، وأحمد بن نصر ، وابن خالويه . فقال أحمد بن نصر : « أنا أعرف
حرف حلفاء وحلافى قفلنا : « حلفاء جمع حلقة ، وإنما سألت عن واحد » ، فقال
الفارسي : « أنا أعرف حرفاً ، أشياء وأشأوى ، قفلنا : أشياء جمع . قال ابن خالويه :
« أنا أعرف أسماء ممدودة تجمع بالقصر » ، قال : ماهى : قلت : « لا أقولها إلا بألف
دينار » ، ثم ذكرت ذلك^(٣) .

وقد ظهرت هذه المحاورات أيضاً فيما حكاه الرواة من أن ابن خالويه اجتمع
هو وأبو علي الفارسي ، فقال ابن خالويه لأبي علي : نتكلم في كتاب سيويوه ، فقال
له أبو علي : بل نتكلم في الفصحى ! ويحكى أنه قال لأبي علي : كم للسيف أسماء ؟ قال :
اسم واحد ! فقال له ابن خالويه : بل له أسماء كثيرة ، وأخذ يعددها نحو الحسام ،
والمخزم ، والقضيب ، والمقضب . فقال له أبو علي : « هذه كلها صفات »^(٤) .
وتعتقد الصلة قوية بين المتنبي وابن جني ، وكلاهما منافس قوى لابن خالويه ، ثم يكون
ما يكون من انتصار سيف الدولة لابن خالويه ، ومفارقة مغاضباً ..

وكان من الطبيعي ألا يطيب المقام لأبي علي الفارسي في هذا الجو الخائق ،
وإذ كان سيف الدولة أعرض عن المتنبي وانتصر لابن خالويه ، والمتنبي هو من

(١) انظر اعلام النبلاء ٢٨٥/١ (٢) اعلام النبلاء ٢٧٩/١

(٣) الزهر بتصرف ٢٢٦/٢ ، ٢٢٧

(٤) نزهة الألباء ٢٠٨ ويعرض ابن مسكويه في كتاب الشوامل والهوامل لهذه المسألة

موفقاً بين الرأيين انظر من •

سيف الدولة ، صداقة ، وإذاعة شهرة ، وطول عشرة . . أفلا يعرض عن الفارسي الوافد الطارئ ، وليس في حاجة ماسة إليه ، ولديه مايجزى عنه : ابن خالويه ؟ .
فارق أبو علي بلاط سيف الدولة ، ولم يكن في ذلك قالياً أو مغاضباً للأمير ، ولكنه كان مرغماً من تحامل ابن خالويه ، وافترائه عليه ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وقلة تحفظه فيما يرمى به أبا علي ، وذلك ما تحدثنا به المسائل الحلبيات (١) .
ويبدو أن الصلة أصبحت قاصرة على المكاتبة ولا غير .

ويطوف أبو علي في بلاد الشام ، ويمضي إلى طرابلس ، ويقيم بحلب (٢) ، ويזור المعرسة ، ويتصل برجالها وأهل العلم فيها اتصالاً تلمس فيه المبرة (٣) ، وتظفر منه الدراسة النحوية بالمسائل الحلبية (٤) .

وفارق المتنبي — صديق ابن جنى — سيف الدولة ، فلم يجد بلداً أقرب إليه من دمشق ؛ لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، وكان ذلك سنة ٣٤٦ ، فيما يقول البديعي في الصبح المنبى ، ويبدوان أبا علي وابن جنى نبت بهما حلب كذلك ، فينزل أبو علي بدمشق ، ويظهر أنه أقام بها إقامة مكنته من أن يملى المسائل الدمشقية (٥) ، ويشير ابن جنى إلى أن أبا علي كان بحلب — كذلك سنة ٣٤٦ ، ذكر ذلك في الخصائص (٦) .

وهنا أعود مرة أخرى إلى عبارة الزبيدي حيث يقول : كان أبو علي عند بني حمدان فاستجلبه الديلمي لبني أخيه خسره يؤدهم . . . فأقام ببغداد ثم توجه إلى شيراز . . . فتي كان استجلاب الديلمي أبا علي ؟ للإجابة عن هذا السؤال استمر متتبعا سيرة المتنبي ، ومقايساً إياها بما يذكره التاريخ عن أبي علي :
يخرج المتنبي من مصر حانقاً على كافور ٣٥٠ هـ (٧) ، ثم ينتقل إلى العراق وفارس ، ثم يكون في شيراز عند عضد الدولة ٣٥٤ هـ (٨) .

(١) انظر الكلام عن هذه المسائل في هذا البحث

(٢) معجم الأدباء ٢٣٣/٧ (٣) المصدر السابق ٢٥٥/٧

(٤) كنف الظنون ١٦٦٧/١ (٤) معجم الأدباء ٧٤١/٧

(٦) انظر ص ٢٨٤ والمحتمب (انظر ٧٥/١) (٧) الروائع ١١

(٨) هامش العكبري الصبح المتنبي ٢٢٩ والروائع العدد الخامس بالنتي ١٣

وفي تلك السنة كان أبو علي الفارسي أيضاً في شيراز (١) ، وكان إلى هذا الوقت لم تنعقد الصلة بينه وبين المتنبّي ، فقد كان كما يقول الرواة ، يستنقل المتنبّي على قبح زيه ، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء (٢) ، فالقول بأن المتنبّي جرت بينه وبين أبي علي مجالس في حلب لا دليل عندي عليه ، ولكن ابن جنّي كان ذا هوى لأبي الطيب ، وقد أخذ يخال علي أبي علي في شيراز — لا في حلب — حتى ربط بين الرجلين (٣) ، ولكن متى رحل أبو علي إلى شيراز ؟؟ وحتى متى ظل أبو علي فيها ؟

يبدو بصيص من النور يهdy إلى الإجابة عن هذا السؤال الأخير ، فيما يرويه علي بن عيسى الربعي إذ يقول : « كنت يوماً عند المتنبّي بشيراز (٤) ، فقبل له أبو علي الفارسي بالباب ، وكانت تأكدت بينهما المودة ، قال : « بادروا إليه ، فأنزله ، فدخل أبو علي وأنا جالس عنده فقال : « يا أبا الحسن : خذ هذا الجزء ، وأعطاني جزءاً من كتاب التذكرة ، وقال : أكتب عن الشيخ البيهقي اللذين ذكرتك بهما وهما :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموامرد
نقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا

والربعي هنا أهمية عظيمة في الاهتمام إلى المدة التي مكثها أبو علي بشيراز ؛ ذلك لأن الربعي الشيرازي الأصل — بدأ بقراءة مختصر الجرمي على السيرافي في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (٥) ، ثم انتقل من بغداد إلى شيراز فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ، ثم رجع إلى بغداد ، وقد ولد الربعي سنة ٣٢٨ وتوفي سنة (٤٢٠) ببغداد (٦) .

وأول شيء نستنتجه من ذلك : أن أبا علي أقام بشيراز السنين العشرين ، توطدت فيها علاقته ببعض الدولة ، ويؤلف له الإيضاح ثم التكملة ، ويسايره في ميدان شيراز ، ويباحثه في النحو وعلله ، حتى صار غلامه فيه ، وكان فيما يقول

(١) انظر التذليل الآتي على هذه الفضية

(٢) الصبح المنبّي ٢٠٩

(٣) (انظر الصبح المنبّي على هامش المكبرى ٢١٠/١)

(٤) الصبح المنبّي ٢١٢/١

(٥) حقائق التأويل ٨٧ — ٨٨

(٦) حاشية الشيخ الأمير على المغني ٩٨/١

المؤرخون: يكرم العلماء... ويدنيهم من حضرته ويعارضهم في أجناس المسائل، ويفاوضهم في أنواع الفضائل^(١)، ويقرأ كل يوم جزءاً من كتاب الايضاح للفارسي، وجزءاً من كتاب أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم^(٢)، على أن عبارة الربيعي بعد ذلك تتهدى إلى الإجابة عن السؤال الأول، وتعين السنة التي نزل فيها أبو علي شيراز إذا ضمت إلى:

ا — ما ورد في كتب التراجم. ب — وما حدث به التاريخ العام —
فإذا جاء في كتب التراجم؟

قال ياقوت: لما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدين بختيار بن معز الدولة دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له: ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء...^(٣)، فتمت خراج عضد الدولة من فارس لقتال ابن عمه بختيار؟ ذلك ما تجيب عنه كتب التاريخ العام إذ يقول ابن مسكويه: ودخلت سنة ٣٦٦، وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق، ورحل من فارس... وكان ذلك لمحاربة بختيار...^(٤).

ويعتذر أبو علي من تخلفه بشيراز، ويضئ عضد الدولة من نصر إلى نصر، حتى يستولى على بغداد سنة ٣٦٧ هـ، ويخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة، ويتوجه بتاج من الجوهرة، ويطوقه، ويسوره، ويقلده سيفاً، ويعقد له لواءين بيده: أحدهما مفضض على رسم الأمراء، والآخر مذهب على رسم ولاية العهود، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره من قبل، ولقب تاج الملة^(٥).

وتستقر الأمور لعضد الدولة في بغداد، ويجد أبو علي الفرصة سانحة للرجوع إلى عاصمة الملك، فيفارق شيراز كما يقول أبو حيان، ويلحق بالخدمة الموسومة به سنة ٣٦٨ هـ^(٦).

وإذن لو رجعنا إلى عشرين عاماً — وهي المدة التي قضاها أبو علي في شيراز قبل سنة ٣٦٨ هـ لرأينا أن أبا علي ورد إلى شيراز سنة ٣٤٨، وهو تاريخ يتفق هو ومفارقة سيف الدولة سنة ٣٤٦، ولعله أقام ببغداد كما يقول الزبيدي فيما بين ٣٤٦، ٣٤٨.

(١) ذيل تجارب الأمم ج ٦٨٥ (٢) المنتظم لابن الجوزي هـ
(٣) معجم الأدباء ٢٣٦/٧ (٤) تجارب الأمم لابن مسكويه ٣٦٥/٢ وما حواليا
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي حو دث سنة ٣٦٧ (٦) الإمتاع ١/٣١١

يمضى أبو علي إلى العراق ، ويعلو شأنه ، ويكون هو واسطة العقد من أهل العلم ،
وإذ قد أجرى عضد الدولة سنة ٣٦٦ هـ الجرايات على القضاة ، والمحدثين ، والمتكلمين
والمفسرين ، والنحاة ، والشعراء ، والنسابين ، والأطباء ، والحساب ، والمهندسين ،
وأدرّ الأموال على الأئمة ، والمؤذنين ، والعلماء ، والقراء^(١) فإذا يكون لأبي علي
من ذلك كله ؟ يستشفع به القوم من الأقطار ، ويتغونه وسيلة إلى عضد الدولة^(٢) ،
ثم كان الوكيل عن الملك عضد الدولة في عقد قران ابنته للطائع لله العباسي
سنة ٣٦٩ هـ^(٣) ، وهكذا يبلغ أبو علي الشأو البعيد ، ويشتهر ذكره في الأقطار ،
وتقصده الوفود ، وتتراحم لديه على الورود^(٤) .

وبعد فيجمل بي تلخيص بيئة أبي علي المكانية بأزمانها على النحو الآتي :

فارس	العراق	حلب ودمشق
٣٠٧-٢٨٨	٣٤١-٣٠٧	٣٤٦-٣٤١
العراق	فارس	بغداد
٣٤٨-٣٤٦	٣٦٨-٣٤٨	٣٧٧-٣٦٨

ويتحدث ابن شاکر الکتبی عن اشتداد الغلاء في هذه السنة (٣٧٧ هـ) ،
وما لحقه من فناء كثير^(٥) ، ولست أميل إلى ربط شيء من ذلك بوفاة أبي علي ،
فقد كان الرجل ميسور الحال ، لا يؤثر فيه اشتداد الغلاء ، ولكنه كره الغدأة ،
ومر العشى ، وكبر السن ، ومجاوزته التسعين ، وتكون خاتمة المطاف القدر المحتوم
على كل حي ، فينتقل أبو علي إلى جوار ربه في ربيع الأول سنة ٣٧٧ هـ

ويدفن عند قبر أبي بكر الرازي الفقيه^(٦) بمقابر الشونيزي ، بالجانب الغربي
من بغداد^(٧) ، وفيها الواعظ الناسك سري السقطي^(٨) ، وابن أخته أبو القاسم
الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور^(٩) (على الجميع رحمة الله) .

(١) السكامل لابن الأثير ٣/٢٥٥ (٢) معجم الأدباء ٧/٢٥٥

(٣) انظر تجارب الأمم /٤١٤ قلا عن تاريخ الإسلام للذهبي

(٤) مسالك الأبصار : ج ٤ مجلد ٢/٣٠١

(٥) عيون التواريخ لابن شاکر الکتبی ٢٠

(٦) أعيان الشيعة ٢١/١١ (٧) وفيات الأعيان ١/٣٢٥

(٨) تاريخ بغداد ١/١٢٢ (٩) وفيات الأعيان ١/٣٢٥

هل تزوج أبو علي؟

أسرته :

لا أعرف لأبي علي ولداً ، فهل تزوج ، أو أعرض عن الزواج البتة ؟ لا أملك من النصوص ما يؤيد شيئاً من ذلك أو ينفيه . أما الأمر الذي لا شك فيه فهو أنه لم يعقب ، وذلك ما يدل عليه قول ابن جنى في الخصائص ، أقام على هذه الطريقة — يشير إلى قوة قياسه وأنسه بها — سبعين سنة ، زائحة عله ، ساقطة عنه كلفه ، .
« لا يعتاقه عنه ولد » . (١) ، وأرجح أنه لم يتزوج ، فقد وصف ابن جنى أبا علي بخلو سربه ، وسروح فكره ، وفروده بنفسه (٢) ، وهو وصف يكون للعزب الذي لم يتزوج ، لا سيما إذا كان في يسر حال ، وسعة المال .
وإن كان أبو علي لم ينجب ، فإن الله عوضه عن ذلك بابني أختين أخذتا النحو عنه ، ونشرا كتابه الإيضاح في الآفاق .

أما أحدهما : فأبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي (ت ٤٢١هـ) ، عرف بالفضل (٣) ، ورث علم خاله وعليه درس حتى استغرق عليه ، واستحق مكانه (٤) ، وأخذ عنه الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، وليس للإمام الجرجاني أستاذ سوى أبي الحسين هذا (٥) . أوفده خاله أبو علي إلى الصاحب بن عباد فارتضاه وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه (٦) ، ولما استأذنه للسفر أصحبه كتاباً إلى خاله أبي علي (٧) ، وقد كان لأبي الحسين ندم في الشعر ، وذلك شيء لم يدركه خاله ، ومن أشعاره التي ذكرها الثعالبي في اليتيمة يتضح أنه كان مغرمًا بالمحسنات البديعية ، وإدخال المصطلحات النحوية (٨) ، فن شعره :

وتربية المعروف شرط تمامه وهل تم شرط دون ذكر جزائه؟

وله تصانيف منها : كتاب الهجاء ، وكتاب الشعر (٩) .

(١) الخصائص: ١/٢٨٤-٢٨٥ (٢) مقدمة المحتسب: ٧

(٣) انظر نزعة الألباء: ٢٢٦ (٤) يتيمة الدهر: ٤/٢٧٠

(٥) معجم الادباء: ١٨٧/١٨ (٦) يتيمة الدهر: ٤/٢٧٦

(٧) انظر معجم الادباء: ٧/٢٤٩ وما بعدها

(٨) يتيمة الدهر: ٤٠/٣٧٢ (٩) انظر «١» يتيمة الدهر للثعالبي: ٤/٢٧٠ - ٢٧٤

«ب» نزعة الألباء: ٢٢٦ «ج» معجم الادباء: ٧/٢٤٩ - ٢٥١ ، ١٨٦/١٨ - ١٨٧

«د» بنية الوعاة: ٣٨

وأما الآخر فزيد بن علي الفارسي النحوي ، ولم ينص ياقوت على أنه ابن أخت أبي علي (١) ، وثبته في ذلك السيوطي في البغية (٢) ، وعبارتهما : « أخذ - أي زيد - النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي ... » ، ولكن القفطي في إنباه الرواه ينص على أنه ابن أخت أبي علي (٣) ، وكذلك نقل ابن مکتوم بتلخيص أخبار النحويين اللغويين (٤) ، وبين عبارة ياقوت ، ويتابعه السيوطي - والقفطي تخالف : ياقوت يقرى " زيد بن علي - علي الشريف أبي البركات عمر بن ابراهيم الكوفي (٥) ، والقفطي ينص على أن أبا البركات الكوفي أخذ عن زيد بن علي ، ويبدو أن القفطي مصيب ؛ بآية قوله : « وعمر - أي زيد بن علي - إلى أن قرأ عليه الشريف أبو البركات الكوفي النحو كتاب الإيضاح بحلب عند رحلته إليها من الكوفة في شهر رجب سنة ٤٥٥ هـ ، فإذا كان تعمير أبي زيد يمكن أبا البركات من القراءة عليه ، فكيف يعكس الوضع فيكون أبو البركات شيخاً ، وزيد تلميذاً ؟ ويؤكد ما ذهب إليه القفطي أن أبا البركات ولد سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٦) ، ومعنى ذلك أن سنه كانت عند رحلته إلى الكوفة ثلاث عشرة سنة ، وهي سن التلقي لا سن الإلقاء ، وقد رد القفطي ما قال أبو القاسم الدمشقي في كتابه مختصر ابن عساكر ، حيث جعل وفاة زيد بن علي سنة سبع وتسعين وأربعمائة (٧) ، وذلك قول القفطي : « قلت في هذا القول نظر فانه يكون قد مات قبل ذلك » ، ويتفق القفطي في ذلك مع ياقوت حيث ذكر في المعجم أن وفاة زيد سنة سبع وستين وأربعمائة (٨) ، ووصف القفطي لزيد أنه كان معمرأ سنة ٤٥٥ (٩) ، يرجح تاريخ وفاته كما ذكر ياقوت ، ويرجح قول القفطي أنه أخذ النصوص عن أبي علي خاله .

وقد كانت لزيد بن علي مشاركة حسنة في النحو والأدب ، شرح الإيضاح ، كما شرح الحماسة (حماسة أبي تمام) (١٠) ، وهكذا كان لكل من أبي الحسين وأبي القاسم فضل لإذاعة كتاب الإيضاح لخالهما على النحو الذي بينته من قبل في إيجاز ، وسأتحدث عنه بعد في تفصيل .

(١) معجم الأدباء : ١١/١٧٧ (٢) ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) ١٧/٢ (٤) انظر ص ٣٣

(٥) معجم الأدباء : ١١/١٧٧ (٦) إنباه الرواة ٢/٣٢٦

(٧) انظر مختصر ابن عساكر : ٦/٢٥

(٨) ١٧٧/١١ (٩) انظر إنباه الرواة ٢/١٧

(١٠) بغية الوعاة : ٢٥٠ وما بعدها

ويبدو أن شهرة أبي الحسين ، فاقت شهرة أبي القاسم ؛ فقد عرف أبو الحسين « بابن الأخت (١) » ، وهو دليل على شهرة أبي علي أولاً — كما أنه دليل على شهرة أبي الحسين ثانياً ؛ لانفراده بهذا التعريف الذي يعنى عن التسمية — دون أبي القاسم .

هذا مبلغ العلم بأسرة أبي علي : أبيه ، وأمه ، وهذين العالمين الجليلين ، أبي الحسين ؛ وأبي القاسم . أملى خالهما ذكرهما على التاريخ ، وروى أخبارهما الزمان ، وكان لأبي الحسين — بخاصة — الفضل على عالم جرجان ، وفارس المعاني والبيان — الإمام عبد القاهر الجرجاني .

يسره

هناك من الدلائل ما يثبت أن أبا علي كان غنياً : — فهو أولاً قرأ على مبرمان كتاب سيويوه ، وكان مبرمان لا يقرئ أحداً الكتاب إلا بمائة دينار (٢) . ثم هو ثانياً كان يصطنع في حياته ما يصنعه الأغنياء المترفون : — ا — يتخذ الغلمان (٣) . ب — ويملك الدواب (٤) ، ج — وينزل إلى السميربات حين يتنقل ببلاد العراق (٥) . ثم هو ثالثاً : قد عاش ما عاش خالي السرب ، وقد انبثت علائق الهموم عن قلبه (٦) وحط من أثقاله (٧) ، وهو أخيراً اتصل بالملوك (٨) ، ونفق عندهم (٩) ، فاجتمع له من الأموال حتى قالوا إنه أوصى بثلك ماله لنحاة بغداد ، فكان ثلاثين ألف دينار (١٠) .

هذه الدلائل تشير إلى يسر أبي علي ، وانتقل بعد ذلك إلى أثر من آثار غناه ، ذلك زيه ونظافته .

(١) كشف الظنون: ١٣٩/١

(٢) بنية الوعاة: ٣٤ (٣) انظر معجم الأدباء: ٢٠٧/١٨

(٤) انظر انباه الرواة ١١٩/٢ (٥) نزعة الالباء: ٢٢١

(٦) المحتسب لابن جني: ٧/١ (٧) الخصائص لابن جني: ٢٨٥/١

(٨) نفس المصدر: ٢٨٥/١ (٩) معجم الأدباء: ٢٣٤/٧

(١٠) طبقات القراء: ٢٠٧/١ والمقام يقتضى صحة ما ذكره ابن الجزرى في الطبقات

لا ما ذكره أبو المحاسن الميمنى في إشارة التعمين حيث قال إن الوصية كانت بتلاثين ألف درهم.

انظر إشارة التعمين في ترجمة أبي علي مخطوط تاريخ رقم ١٦١٢ دار الكتب المصرية .

زى أبى على ونظافته

كانت الطيالة ملابس عامة الناس ذكر ذلك المقدسى فقال : « يلبس العوام ثياب السود . . . » ، ويكثرون التطلس ، ويسطلون العمام ، وليس لأهل الطيالة بشيراز مقدار إنما هو لأصحاب الدراريغ^(١) ، وقال فى موضع آخر : لا ترى على مجوسى غياراً ، ولا لصاحب طيلسان مقداراً ، ولقد رأيت أهل الطالس سكارى^(٢) . ويبدو كذلك أن التطلس يكون شتاء ، ذلكم ما يشير إليه مثال أبى على فى الإيضاح : « جاء البرد والطيالة^(٣) » ، وبعيد أن يتزيا أبو على بالعمائم الشهبانية الواردة من مرو وشهبان ، فقد كانت هذه للفقراء من عامة الناس كما يؤخذ من قول أبى شجاع^(٤) .

ولا شك فى أن أبا على كان يتزيا بزى الشيوخ والوجهاء فى عصره ، من لبس العمامة والدراريغ^(٥) ، وكان هناك نوع من الفرجيات مبطنة بالوبر يجلب إلى عضد الدولة من البلاد البعيدة^(٦) ، ففعل مثل هذه الفرجيات قد وصل شيء منها إلى أبى على ، مجلبها شاربياً ؛ إذ كان ذا مال ، أو يناها هبة ؛ لأنه كان أميراً عند عضد الدولة ، وقد استهدى تليذه أبو اسحق الفارسى جبة خز بيضاء ، مما يدل على تفضيل ذلك اللون من الثياب^(٧) .

هذا وفى ثلاثة الآيات التى رويت عن أبى على ما يدل على أنه كان يخضب شبيه ، الذى بدا فى رأى العين ذمياً^(٨) .

وهناك من النصوص ما يستنتج منها ما كان عليه أبو على من النظافة ، وحسن السمى :

(أ) فهو فارسى والفرس أهل النظافة ، وتأليف الطعام ، والطيب ، واللباس^(٩) .

(ب) وفسا — مولد أبى على — ليس فى إقليم فارس أنزه ، ولا أطيب ،

(١) أحسن التقاسيم: ٤٤٠ (٢) المصدر السابق: ٤٢١ .

(٣) الإيضاح: ٦١ (٤) انظر ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع: ٤٣ .

(٥) انظر أحسن التقاسيم: ٤٤٠ . والدراريغ أثواب لا تكون إلا من صوف .

(٦) ذيل تجارب الأمم: ٧٤/٧ (٧) معجم الأدباء: ٢٠٤/١ .

(٨) انظر مثلاً معجم الأدباء: ٢٥٢/٧ .

(٩) القصد والأمم: ٢١ .

ولا أجود أهلا ، وأحسن فواكه منها . . . وقل في طيها وخيراتها ما شئت (١) .
ويقول عنها ياقوت : « إنها أزره مدينة بفارس فيما قيل ، (٢) .

(ج) وأبو علي يحتذى حدو سيويوه ، ويقفوقفوه ، ويقدره حق قدره ،
ومن المرجح أن يكون قد تأثر بسيويوه في العناية بزیه ، وهيته ، إلى جانب ما هو
عليه من طبيعته .

(د) وقد وجد في تذاكير عضد الدولة ما يدل على حسن سياسته في تربية
أولاده ، وتهذيب من يلوذ بهم ، ويكون في جملتهم (٣) ، وقد استجلب عضد الدولة
أبا علي لبني أخيه خسرو يؤدهم (٤) ، ثم كان أبو علي وثيق الصلة بعضد الدولة
يحالسه ، ويسأيره في ميدان شيراز ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان حسن السمعة ،
يأخذ نفسه بما يجب على مصاحب الملوك ، من آداب .

(هـ) وقد كان أبو علي يستثقل المنبئ ، ويزرى عليه قبح زيه ، وما يأخذ به
نفسه من الكبر (٥) ، ورجل ينظر إلى قبح الزى هذه النظرة . لا بد أن يكون جميل
المظهر ، نظيف الثياب .

هذا وقد كان لامتزاج الفارسية بالعربية في دمه ، أثر في قوة بنيته ، وإلى تلك
يشير قول الشريف الرضى في رثائه :

« قرم يهد الأرض إن تخمطا . . . » (٦)

كما يستنتج من قول ابن جنى : « . . . ومغدها ، ومراحه مقصوران على حفظ
بنيته (٧) — يستنتج أنه كان معنياً بصحته ، إلى أن طول عمره حتى تخطى التسعين ،
يؤيد هذا الذي ذهبت إليه ، .

(١) أحسن التقاسم : ٤٣١/٤٣٢

(٢) ذيل تجارب الأمم : ٧٠/٣

(٣) معجم البلدان : ٣٧٦/٦

(٤) الصبح المنبئ على هامش شرح العكبري : ٢١٠

(٥) طبقات الزبدي : ١٣٠

(٦) المحتسب : ١-٧

(٧) أعيان الشيعة : ٣٥/٢١

أخلاقه

وقد تجمع لدى من النصوص ما هديت به إلى التعرف على أخلاق أبي علي ، وبمناقشة هذه النصوص واعتبارها بما كان يضطرب فيه أبو علي من البيئة العامة والخاصة ، أستطيع أن أرسم صورة واضحة المعالم لما كان عليه الرجل من أخلاق :

(أ) فالنصوص تتحدث عن صدق أبي علي (١) في نفسه (٢) .

(ب) وترفعه عن الكذب (٣) .

(ج) وأنه كان يتجمل بما يتجمل به أهل البربدوى القربي ، من سعى في الخير لذوى رحمه ، فهذا ابن أخته أبو الحسين يوفده إلى الصاحب بن عباد ، ويوصى به خيراً ، فيكرم ابن عباد وفادته ، ويقرب مجلسه ، ويفيد أبو الحسين من هذه الرحلة ، ويعلو مكانه حتى يصل إلى مرتبة الوزارة ، فيزرر للأمير إسماعيل بن سبكتكين (٤) . وقد استشهدت على أمانة أبي علي العلية ، وأفردت لها مكاناً خاصاً من البحث .

(د) والفارسي أبو علي من غير شك ، يندفع بفارسيته إلى النزوع نحو المجد ، والتطلع إلى إحياء مجد الفرس القديم ، والشعور العنيف باسترجاع هذه العزة الغابرة ولعله في ذلك كما قال مهيार :

« أعجبت بي بين نادى قومها . . . ، أربعة الآيات (٥) .

(هـ) وفي النصوص ما يدل على عدم وفائه ، حدث الشيخ أبو العلاء قال : « أن أبا علي مضى إلى العراق ، وصار له جاه عظيم عند الملك فنا خسرو ، ف وقعت لبعض أهل المعرفة حاجة في العراق ، احتاج فيها إلى كتاب من القاضي أبي الحسن سليمان - إلى أبي علي - فلما وقف على الكتاب قال : « إني قد أنسيت الشام وأهله ، ولم يعره طرفه ، (٦) ولكن : ألا يمكن التماس العذر لأبي علي من موقفه هذا الذي وقفه بالنسبة لأهل المعرفة ؟ فقد كان أبو علي في رحلته إلى الشام منغص العيش بمنافسة ابن خالويه ، وقد رأينا كيف كان ابن خالويه يدس له ، ويوقع به ، ويفترى عليه ، وكيف بلغت بينهما الخصومة إلى الحد الذي رمى به كل منهما الآخر بأنه

(١) معجم الأدباء : ٢٥٣/٧ (٢) لسان الميزان لابن حجر : ١٩٥/٢

(٣) نبيمة الدهر : ٢٧٠/٤ (٤) المصدر السابق : ٢٧١

(٥) ديوان مهيار طدار السكتب : ٦٤/١ (٦) معجم الادباء : ٣٥٥/٧ ، ٢٥٦

لا يفهم^(١) ، والأمير سيف الدولة ضالع مع ابن خالويه ينصره على منافسيه^(٢) ، ويستدعى عضد الدولة أبا علي^(٣) ، ويفارق الشيخ الشام ، وفي ذهنه هذه الصورة التي تمثل هذه الحقبة القلقة التي تبغضه في الشام ، وأهل الشام فإن جاءته رقعة يلتمس فيها بعض أهله بذل العون ، فلا شك أن ذلك يعيد إلى ذهنه هذه الحقبة بما فيها من مكاييد وآلام ، فقتراى أمام عينيه قلقاً ، وحسداً ، وسدماً ، ويحاول أن ينسى ، وينطق بأنه نسي الشام ، ومن يسكن الشام .

(و) ونصّ يدل على أن أبا علي كان يكره الحروب ، ولم يتمرس بالقتال ، ذلك ما حدث به التاريخ : أنه لما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة ، بختيار بن معز الدولة ، دخل عليه أبو علي ، وقال له : « ما رأيك في صحبتنا ؟ » ، - فقال له : « أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء - نغار الله للبلك في عزمته ، وأنجح قصده في نهضته ... »^(٤) .

ويجب أن ندخل في حسابنا عند النظر في هذا النص ، ومناقشته سن أبي علي حينئذ ، فمتى خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه ؟ وكى سن أبي علي إذ ذاك ؟ التاريخ يحدثنا أن خروج عضد الدولة لقتال ابن عمه كان سنة ٣٦٦ هـ^(٥) ، ومعنى هذا أن أبا علي كانت سنه في هذا العام ثمانية وسبعين عاماً ، فإذا يصنع هذا الشيخ الفاني في ميدان يجول فيه الموت ، وتصافع المنايا فيه النفوس ، ومن هنا يفهم جواب أبي علي بأنه من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء^(٦) .

وقد رويت أخبار لأبي علي تدل على أنه كان رعيدياً ؛ فقد غلس أبو علي يوماً إلى الصلاة في المسجد ، فقام إليه عبد الله بن حمود الأندلسي من مذود - كان لداية أبي علي خارج داره ، وكان عبد الله قد بات فيه ؛ ليدلج إليه قبل الطلبة طلباً للسبق ، والأخذ من عليه - فارتاع منه أبو علي ، وقال له : ويحك من تكون ؟ قال : إني عبد الله الأندلسي ، فقال : إلى كم تتبعني ! والله إن على وجه الأرض أنحى منك !^(٧) حقيقة أن الخوف في هذه الحال من الأمور المتوقعة من كل من كان

(١) الحلييات : ٣٨

(٢) انباه الرواة : ١/٣٢٧

(٣) طبقات الجوين : ١٣٠

(٤) معجم الأدياء : ٧/٢٣٦-٢٣٧

(٥) تاريخ الملمين للشيخ جرجس بن الصبيد : ٢٣٢

(٦) معجم الأدياء : ٧/٢٣٦

(٧) انباه الرواة : ٩/١١٩ .

في مثل أبي علي من المفاجأة ، ولكن ارتباعه على هذه الصورة ، ثم صرفه الأندلسي بما قال - دليل عندي على طبيعة الجبن المتأصلة في نفس أبي علي .

وبعد : فهل يتفق هذا مع ما أورده الزبيدي عن أبي عبيدة في طبقاته : لا يكون نحوى شجاعاً ١٤ وقد عللوا ذلك بأن النحوى يفرق بين الساكن والمتحرك ، ولا يفرق بين الموت والحياة^(١) ، وأرى أبا عبيدة مخطئاً ؛ فالشجاعة أمر يتعلق بالطبيعة الموهوبة ، ولا صلة لها بالصفة المكتسبة .

ومن طبيعة الجبان الرعديد أن الظفر يستخفه ، فتراه يرقص ، أو يصفق ؛ معلناً انتصاره وفلجه ، شيء يختلف فيه عن الشجاع الصنديد الذي يتلقى النصر في ثبات واطمئنان ، وأذكر هنا خفة أبي علي عندما انتصر على أكبر تلاميذ ابن الحياط ، فأخذ يصفق قائماً في المسجد^(٢) .

(ك) هذا وقد روى عن أبي علي من الأخبار ما يجعله من أهل المجانة ؛ فقد كان يتعشق محمد بن طويس القصرى ، ويخصه بالطرف ، ويحرص على الإملاء عليه ، والاتفات إليه ، وبه سميت المسائل القصريات^(٣) .

ويبدو أن شيئاً من ذلك كان شائعاً في الدولة الإسلامية حينئذ بدليل أن الحنابلة سنة ١٢١ قاموا ينصرون حدود الله ، ويمنعون الناس الرذيلة ، واعترضوا فيما يقول أبو الفداء في البيع والشراء ، وفي مشى الرجال مع الصبيان^(٤) .

وقد اتهم أبو حيان أبا علي بأنه نان يشرب ، ويتخالع ، ويفارق هدى أهل العلم ، وطريقة الربانيين ، وعادة المتسكين^(٥) ، ولا يبعد أن تكون هذه التهمة صحيحة ؛ فقد عاش أبو علي ردحاً من الزمن في شيراز التي اشتهرت بنبيذها وصار يصدر إلى البلاد البعيدة^(٦) والتي يقول فيها المقدسي : رسوم شيراز على الإسلام عار ،^(٧) ثم هو تلميذ علي ابن دريد ، الذي يقول عنه تلاميذه : كنا ندخل على ابن دريد ، ونستحي منه ؛ لما نرى من العيدان المعلقة ، والشراب المصنوع وقد جاوزه التسعين^(٨) . وكان ابن دريد كذلك يتعلق « بالوضء » من الغلمان^(٩) ، وربما كان لصحبة

(٢) معجم الأدباء : ٧/٢٣٥

(٤) تاريخ أبي الفداء : ١/٨٧

(٦) حضارة العرب تأليف غستاف لوبون : ٢١٧

(٨) معجم الأدباء : ١٨/١٣٠

(١) طبقات الزبيدي : ١١٩

(٣) معجم الأدباء : ١٨/٢٠٧

(٥) الامتاع والموانسة : ١/١٣٢

(٧) أحسن التقاسيم : ٣٤

(٩) معجم الأدباء : ١٨/١٣٩ .

أبي على الطويلة لعصدة الدولة أثر في ذلك ، فقد كانت حياة ذلك الشاب خليطاً من الهدى ، والمجون ، قالوا : كان إذا تلبه جدد الوضوء ، وخرج إلى مجلس الشرب يجلس ، وحضر الندماء والمليون^(١) .

هذا ولا أرى في حديث أبي على عن الخمر في كتابه الحجة ما يدل على معاقبتها . فقد قال في تفسير قوله تعالى : « كان مزاجها كافورا^(٢) » . المعنى أنها في طيب الرائحة ، وسطوعها ، وأرجها كأرج المسك والكافور . فأما قوله تعالى : « كان مزاجها زنجبيلا^(٣) » ، فإنه يدل على لذاذة المقطع ؛ لأن الزنجبيل يحذى اللسان ، وزعموا أن ذلك من أجود الأصناف للخمر عند العرب^(٤) . .

فوصفه لذاذتها من مزج الزنجبيل الذي يحذى اللسان ، ليس معناه أنه جرب وتلذذ بما يلذذ الشاربين ، فقد احتاط الرجل بقوله وزعموا . الخ ، والله أعلم بعد ذلك بحقيقة ما كان .

(٥) وبعد : ففي وصاته بثك ماله لنجاة بغداد^(٥) — ما يدل على حبه لهذه الطائفة وحده عليها ، وبره بها ؛ مشاركة منه لأهل الصنعة ، ورغبة منه في تخفيف ما يجدون .

أمانة أبي على العلمية

وما يتصل بالحديث عن أخلاق أبي على — تلك السمة التي تطالعك في كتبه واضحة لا تحتاج في إدراكها إلى كبير عناء ، تراها في الحجة ، والإيضاح ، كما تبدو في مسائله المختلفة ، تلك أمانته العلمية ، التي تتجلى في توفقه فيما يرويه ، وتخرجه وتأدبه وتحريه ، ينسب المنقول شواهد ، وأقوالاً ، وخطاً ، ويعين المكان والكتاب ، ويذكر الحسبان والظن ، ويلقى العهدة على من روى ، ويتحاشى الادعاء في إثبات ما علم ، ونفى ما لم يعلم ، فيقرر أنه لم يعلم كذا ، أو لم يسمع ، أو لم يحفظ ، ويستثبت شيوخة ليتين ، ويشير إلى الرأي في غير إصرار ، ويعلن أنه لا يدري .

١ — يعزو الشعر إلى قائله أو منسده^(٦) .

-
- (١) ذيل تجارب الأمم : ٤١ (٢) سورة الدهر : آية (٥)
(٣) سورة الدهر : آية (١٧) (٤) الحجة : ٢٠٤/١ مراد ملا .
(٥) طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٦) انظر مثلاً لوحة ٣٥ من البنداويات ، وقد قنعت الكتاب على سبيل الاتفاق فرأيت في هذه اللوحة ينسب إلى الفرزدق وجري وذي الرمة وأبي زيد .

- ٢ — ويقول حدثنا فلان . . وفلان من شيوخه (١) .
٣ — ويقرر مثلاً أنه وجد المنقول بخط السكري (٢) .
٤ — ويقول : قال الجرمي فيما قرىء علينا بالبصرة في الفرخ (٣) .
أو يقول : وقد كان أبو بكر ذكر لنا في كتابه ديوان النابتة ، من رواية الأصمعي ، وفيما قرأنا عليه كذا وكذا (٤) .
٥ — وتارة يقول : وأنشد أبو بكر من الأصمعي أحسب (٥) . أو أظنه الأعرابي ، أو أكثر ظني أن الأصمعي قد ذكر في كتابه المترجم بالألفاظ (٦) وأنشد أبو مالك فيما يغلب على ظني (٧) . أو كذلك أظنه قال (٨) . أو أرى أنه حكى لي كذا (٩) ..
٦ — أو يقول : هذا أول القصيدة وابتداؤها على ما حكى لي (١٠) ، ولم أسمع من الغشاوة فعلاً متصرفاً بالواو (١١) ، ولم أحفظ من ينباع فعل يفعل (١٢) ، أو لم أعلم اتخذت تعدى إلا إلى مفعول واحد (١٣) ، ولست أعرف الكناية عن معنى الجملة لاحد من أصحابنا إلا شيئاً أجازاه أبو عثمان في كتابه الأخبار على ترميض (١٤) .
٧ — أو يقول : هذا لفظ أحمد بن يحيى ، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبته وصححه ، ولم أعلم لأصحابنا في هذه المسألة نصاً (١٥) .
أو يقول : حكى لي أحلت عينه ، ولست منها على ثقة (١٦) .
٨ — أو يقول في بيت عنتره :
هل تبلغن دارها شندنية لعنت بمحروم الشراب مصرم (١٧)
لعنت عليها ، فيكون الجار على هذا متصلاً - على ما رآه الساعة - بتبلغن (١٨) .

- (١) انظر مثلاً الحجة : ١٦٢/١ ، ١٦٤ ، ٢٣٦ مراد ملا .
(٢) الحجة : ٢٤٢/١ بلدية .
(٣) البصريات : ٨٣ وانظر ٦٤ أيضاً .
(٤) البغداديات : ٢٦ .
(٥) البصريات : لوحة ٥٧ .
(٦) البغداديات : ٣٥ .
(٧) الشيرازات : ٣٩ .
(٨) الشيرازات : ٤١ .
(٩) المخصص : ٢٣/٨ .
(١٠) البصريات : ٨٥ .
(١١) الحجة : ٢٧٩/١ البلدية ، ٢٠٨ مراد ملا .
(١٢) البصريات : لوحة ٥٥ .
(١٣) الحجة : ٦٧/٢ البلدية .
(١٤) البصريات : ٦٥ .
(١٥) الحجة : ٢٢٦/١ البلدية .
(١٦) المخصص : ١٠١/١ .
(١٧) شرح المعاني السبع للزوزني ١٤٣ .
(١٨) البصريات : ٥٥ .

٩ — ثم لا يستحي أن يقول لا أدري . قال في زلجى : لا أدري أفعل هي أم اسم .

هذه نزعة أنى على ؛ وفاء بحق الأمانة العلمية في مظاهرها المختلفة ، حتى تستطيع في يسر أن تميز أقواله من أقوال غيره ، على يقين في هذا التمييز وبصيرة ، وقد نص هو على ذلك في كتابه إلى الصاحب بن عباد ، وقد أهدى إليه كتاب الحججة ؛ إذ يقول : « فما تضمن من أثر ، وقراءة ، ولغة ، فهو من المشايخ الذين أخذت عنهم ، وأسندت إليهم » (١) .

وكذلك كان شأنه في كتبه التي اطلمت عليها .

فإذا ذهبت أتمس تعليلاً لهذه النزعة وجدت من أسبابها :

(أولاً) أنه محدث^(٢) ، والمحدثون يلتزمون بالصدق ، والأمانة ، والتحرى في الرواية ، والإسناد فيما يحدثون ، وقد وصفه ابن حجر بأنه صدوق في نفسه^(٣) .

(ثانياً) أن العلماء قد توارثوا هذه النزعة ، ورويت عنهم أقوال مأثورة في الاعتراف بفضل القدامى ، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول : « إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل في أصول رقل » (٤) .

وقال يونس لأبي زيد : يا أبا زيد اكم من علم استفدناه فكنت أنت سبيه^(٥) ، واستحسن إبراهيم بن المهدي كتاب إسحق بن إبراهيم في النغم واللحن قائلاً : أحسنت يا أبا محمد ، وكثيراً ما تحسن . فقال إسحق : بل أحسن الخليل ؛ لأنه جعل السبيل إلى الإحسان^(٦) ، وشيء مثل ذلك يروى عن السيرافي^(٧) . وقد ظهرت هذه النزعة عند شيوخه الذين أخذ عنهم كابن السراج^(٨) ، أو تأثر بهم كسيبويه^(٩) ، وأبي حاتم^(١٠) ، وأبي الحسن^(١١) .

(١) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ — ٢٤٠ .

(٢) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ (٢) انظر لسان الميزان : ١٩٥/٢

(٤) نزعة الأبياء : ١٨ (٥) المنقح : ١١٢/٢

(٦) طبقات النجوين والنفوسين : ٤٦ (٧) انظر معجم الأدباء : ١٥٤/٨

(٨) انظر الحججة : ٣٩/١ بلدية .

(٩) انظر الكتاب : ٣١٨/١ ، ٣١٥/٢ وسيبويه امام النحاة : ١٨١

(١٠) انظر نوادر أبي زيد : ١٦ (١١) انظر كتاب مسائيه : ٢٣٥

وما كان لأبي علي وهذا مسلك أساتذته ، أن يتخلى عن هذه الفضيلة فيما يحكيه ولا يزال الناس — بعد أبي علي — يتواصون بهذه الأمانة العلمية حتى قالوا :
« من بركة العلم وشكره عزوه إلى أهله ، » (١) .
وقد عرف ابن جنى هذه النزعة في أساتذه ، وقد نقل ذلك السيوطي (٢) عن
الحصائص (٣) .

(ثالثاً) أن أبا علي حين أورد أقوال القدامى في أمانة لم يقف أمامها محتفية شخصيته ؛ بل ناقش ، واعترض ، ورد ، وأورد الدليل ، وصحح ، ورأى ، ونظر ، وأكد ، ورجح ، واستشهد ، ولا يتأتى شيء من ذلك في قوة إلا إذا كان مصحوباً بذكر آراء غيره منسوباً إليه على قدر علمه به في شك أو يقين .

عقيدته

لا نكاد نجد فيما بين أيدينا من كلام أبي علي الفارسي نفسه ما ينم على تميزه في العقيدة بنحلة أو مذهب .
وهو في تناوله الكثير من نصوص القرآن ، المتصلة عن كتب بسائل الاعتقاد ، في عرض هذا الكتاب ، نراه يوجه كل عنايته ، بعد عرض ما أثر من وجوه القراءات المتواترة ، نحو تطبيق آرائه النحوية على كل وجه من تلك الوجوه ، ثم ايضاح مذاهب التفسير المختلفة المترتبة على ذلك ، دون مناصرة لمذهب على آخر ولا تحيز له الا بمقدار ما يصح له من التوجيه النحوي ، سواء أكان في ذلك ترجيح لمذهب أهل السنة أم المعتزلة أم غير هؤلاء وهؤلاء .
وربما كان هذا المنهج الاختصاصي ، الذي سلكه أبو علي في هذا الكتاب ، هو مذهبه الذي ارتضاه لنفسه في سائر مصنفاته ، أي أنه كان لا يشغل عقله وباله بالكتابة في غير فنه الذي تفرّد به ، واحرز قصب السبق فيه على أفذاذ عصره ، وهو : علم العربية .

-
- (١) انظر الزهر: ٢/٣١٩
(٢) انظر الزهر: ٢/٤١٧
(٣) انظر ٢/٦٠٨ وما بعدها . (٤) ١٩/٩ (٥) ١٣١/٢
(٦) ضحا الإسلام: ٣/١٣ (٧) تاريخ الأمم الإسلامية : (الدولة العباسية ٢٥٣)
(٨) الفخرى : ٢٠٩

فنحن — من جانب — لا نكاد نجد في ثبوت مصنفات أبي على كتابا يتصل بغير مباحث النحو ومسائل العريية ، واذا كان قد ورد في ذكر مصنفاته عند ياقوت (١) ذكر كتاب له في تتبع كلام أبي على الجبائي في التفسير ، فأغلب الظن أنه تتبع في هذا الكتاب وجوه التخريجات النحوية المختلفة للآيات التي استند إليها أبو على الجبائي لتفسير نصوص القرآن في ضوء عقيدته الاعتزالية ، أو غيرها من الآيات ، مع صرف النظر في هذا التتبع عن مناصرة مذهب على آخر أو التحيز له .

على أن ذلك ان دل على شيء فانما يدل على معارضة الفارسي للجبائي في الاعتزال لا تشييعه له أو اعتناقه مذهبه .
والا لم يكذب يتضح — من جانب آخر — اغفال كبار المترجمين لحياة أبي على بيان عقيدته ، أو الجزم بقول في ذلك على الأصح .

ولعل أول خبر يمكن الركون اليه في تحديد اتجاه خاص لعقيدة الفارسي هو ما ذكره الخطيب البغدادي من أنه كان متهما بالاعتزال (٢) . ويدل هذا الخبر — أول ما يدل — على تضعيف هذا الاحتمال . فثمة فرق بين أن يقول الخطيب — وهو من هو في سعة الاطلاع والتثبت — : كان أبو على معتزليا ، وأن يقول : كان متهما بالاعتزال ، كما يدل بعد ذلك على أن كتب أبي على — وقد كانت مشهورة متداولة في عصر الخطيب — لا توحى بميل خاص الى التشيع لفرقة ، أو التطرف في عقيدة .
ثم يجيء بعد الخطيب البغدادي أبو الحسن على الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ، صاحب الكامل في التاريخ ، فيزيد هذه التهمة وهنا على وهن ، ولا يذكر في عقيدة أبي على أكثر من قوله : قيل كان معتزليا (٣) .
قد يكون هذان النصان أوثق ما ورد في تحديد عقيدة أبي على الفارسي وبيان نحلته ، لقدم مصدريهما ، وقوة ما عرف عن هذين المصدرين من التحري ، والتحرز من القاء الكلام على عواهنه .

(١) معجم الادباء في ترجمة ابي. على الفارسي ٧ : ٢٤١ .

(١) تاريخ بغداد ٧ : ٢٧٦ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٩ : ١٧ .

وليس غريبا بعد أن يتوارث المترجمون المتأخرون لحياة أبى على اتهامه بالاعتزال في وصف متردد بين التشكيك والترجيح (١) ، فطالما تبينا من كتب التراجم العربية في العصور المتأخرة على وجه الخصوص ايثارا لجمع الاخبار، والتكاثر بالآثار، على حسن التأتى لتحقيق النصوص، ونقد ما تحتوى عليه أو تشير اليه ، بل هي لا تخلو في كثير من الاحيان من شهوة التزويد في الخبر ، والتعلق بحشد كل بديع غريب •

نعم ينقل صاحب معجم الادباء عن أبى الفتح منصور بن المعذر الاصفهاني المتكلم أنه كان يعد أبا سعيد السيرافي وأبا على الفارسي وعلى ابن عيسى الرماني ، من المعتزلة النحويين (٢) •

ولكن هذا الخبر ربما أمكن فهمه على أن أبا الفتح الاصبهاني المذكور قد اعتمد على أقوال وتهم كالتى أشار اليها الخطيب البغدادي ، فغلبت عليه الرغبة في نظم الحلقات المتناسبة في عقد ، وجمع الاشباه في قرن • على أننا اذا دققنا النظر في دراسة عصر أبى على وبيئته ، ووضعنا في الحسبان صورة ذلك العصر السياسية والاجتماعية العامة كما عرضناها من قبل ، لا سيما ذلك الطابع الذي كان يسم تلك الصورة من رجحان كفة البويهيين وتغلغل نفوذهم وسلطانهم، ثم نظرنا بعد ذلك الى ما كان يتمتع به ابو على الفارسي من رفيع المنزلة وعظيم الشأن عند عضد الدولة البويهى — على وجه الخصوص — الذى أهدى اليه أبو على كثيرا من كتبه ، وقد يكون منها كتاب الحجة كما يتضح من فاتحته ، وكذلك الى حظوته عند غير عضد الدولة من أعيان رجال السياسة والحكم كالصاحب بن عباد، استطعنا اذا أن نهتدى هونا الى مثار تلك التهم التى أشار اليها البغدادي، والتى ربما كان الاصبهاني المتكلم قد تمسك بها في عد الفارسي من نحاة المعتزلة ، بل قد يكون في ذلك مظنة لما هو أكثر منه ، وهو توهم ان يكون الفارسي — فوق ما نسب اليه — من علماء الشيعة الامامية او غيرهم •

(١) انظر ابن خلكان رقم ١٥٥ ، وانباه الرواة للقفطى ١ : ٢٧٤ ، وبغية الوعاة

للسيوطى : ٢١٦ •

(٢) معجم الادباء لياقوت : ٣ : ٢٤٤ •

ولكن ذلك ونحوه لا يعدو ان يكون قرينة فقط ، ان صلحت لترجيح رأى على رأى فهى لا تصلح أن تكون سنداً أو مستمسكاً يعتد به او يعتمد عليه ، الا ان يرد في ذلك قول صريح عن مصدر وثيق ، او يكشف ابو على نفسه في عرض كلامه عن نحلة ، او عقيدة ، او مذهب ينتمى اليه .

حقاً ورد ذكر لمصنفات ابى على الفارسي في كتاب : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، لمحمد بن محسن الرازى (نزيل سامراء المولود في ١١ من ربيع الاول ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م) ، ولكن مصنف هذا الكتاب من متأخرى الشيعة ، والقوم يتكاثرون بكل ما فيه مظنة الاتصال بهم على احد الوجوه .

على انه لم يرد ذكر لابي على الفارسي ولا لكتبه في كتاب معالم العلماء ، وهو فهرست لكتب واسماء المصنفين من الشيعة قديماً وحديثاً . تأليف رشيد الدين ابى جعفر محمد السروى المتوفى سنة ٥٨٨ هـ .

كما لم يرد للفارسي ولا لمصنفاته ذكر في فهرست الشيخ ابى جعفر الطوسي شيخ الطائفة (المتوفى سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧) ، ولا فى تكملته لمحمد بن على بن شهر اشوب المازاندرانى (المتوفى سنة ٥٨٨ / ١١٩٢) ، ولا فى ذيله ايضا لعلى بن عبيد الله بن بابويه القمى (المتوفى سنة ٥٨٠ / ١١٨٤) .

فأما كثرة استشهاد مفسرى الشيعة بأقوال أبى على وآرائه النحوية واللغوية ، كما يصنع أبو على الفضل بن الحسن ، أمين الدين الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨ / ١١٥٣) فى كتابه مجمع البيان لعلوم القرآن ، فليس فى ذلك حجة لتشيع أبى على ، بل ربما كان الملاحظ فى ذلك ما كان بينه وبين عضد الدولة وغيره من روابط المذهب والنحلة ، ان لم يكن ما ذكرناه قبل من تكاثر القوم بكل من تحوم حوله شبهة قرابة اليهم .

وأما رثاء الشريف الرضى للفارسي . فما أبعد ان يكون دليلاً على تشيعه، فقد كان الشريف يمدح ويرثى أعيان الرجال من شتى الملل والنحل،

وحسبك برثائه لابي اسحاق الصابىء وهو أبلغ قولاً وأسير ذكراً من رثائه لابي على .

وبعد ، فقد نجد في تضاعيف كتاب الحجّة لابي على ما قد يدل دلالة قوية على تشييعه ، كما ورد فيما نقله عن على كرم الله وجهه :

« يروى أن علياً — عليه السلام — لما قال له عدى بن حاتم ما الذى لا ينسى ، الخ . فهذا الدعاء لعلى : « عليه السلام » ، صريح في الدلالة على تشييع صاحبه ، والشيعه — كما هو معروف — يقرنون علياً بالرسول صلى الله عليه وسلم وأنبياء الله ورسله .

ولكن مثل هذا النقل لا يصح أن يتخذ دليلاً حاسماً على تشييع الفارسي الا اذا استوثقنا من كتابته بخط أبى على نفسه لا بخط أحد النساخ . وليس بين أيدينا نسخة من كتاب الحجّة بخط أبى على .

مذهبه في الفقه

الظاهر أن أبا على كان يأخذ بمذهب أبى حنيفة في الفقه ، فقد كان مولده في فارس ومنشؤه في العراق ، وأصحاب أبى حنيفة في القطرين كثير (١) .

ثم ان هناك مشابهة واضحة بين نحو أبى على وفقه أبى حنيفة ، كلاهما يشييع فيه القياس ، وهو اذا حقيق أن ينزع الى ابى حنيفة وأن يؤثر فقهه على ما سواه .

ويتردد الاستشهاد في كتب أبى على بأقوال لابي يوسف ومحمد (٢) ، وما كان ليفعل الا وهو لها دارس وهي لديه حاضرة . ويروون عن كتب أبى على أنها احترقت ، فلم يبق منها الا نصف كتاب الطلاق عن محمد ابن الحسن (٣) .

(١) احسن التقاسيم : ٤٢٩ .

(٢) انظر الشرايات : ٢٦ ، ١٥٦ .

(٣) معجم الادباء : ٧ : ٢٥٧ .

صفات أبي على العقلية

من الآمار الأدبية التي تفصل صفات أبي على العقلية أرجوزة الشريف الرضى التي رثى بها أبا على ، قال :

أبا على للألدِّ إنَّ سَطَاً وللخصوم إنَّ أطالوا اللَغَطَاً
تُصِيبُ عَمْدًا إنَّ أَصَابُوا غَلَطَاً ولمعَ تَكشِفُ غَمِنَ الغَطَاً
كشفتك عن بيضِ العذارى الغَطَاً ومصعب للقول ، صعب الممتطى
عسفته ، حتى عاد مجزول المطا وسائرَات بالخطَاً ، لا بالخطَاً
شواردُ عنك قطعن الريطا كما رأيت الخليل تعدو المرطى
ألبست فيها كلَّ أُذُنٍ قرطا قد وردت أفهَامَنَا وِرد القَطَاً
ومشكلات ما نشطن مفشَطَاً مَمَّيز من ديجورها ما اختلطَاً
ضل المجارون ، وما تورطا ملؤا مجارة فَنِيقٍ قد مطَاً
قرم يهدُّ الأرض أن تخمطَاً^(١) تطرفوا الفج الذى توسَّطَاً
لا جذعا أودى ولا مُعْتَبِطَاً كانوا العقابيل ، وكنت الفرطَاً
عند السراع يعرف القوم البطا أرضى زَمَانُ بك ، ثم أسخطَاً
ما أطلبَ الأيامَ منا شَطَطَاً^(٢)

وهذه الأرجوزة تكشف عن غير خصيصة من خصائص أبي على : فهو جدل ذو لَدَد ، يفحم الخصوم — ويظهر أن ذلك انحدر إليه من دم أمه العربي ؛ ففى العرب — كما يقول الجاحظ اللدد عند الخصومة^(٣) ، ثم هو يصيب عمداً إن أصابوا مخمطين ، يكشف عن لمع الأفكار ، حتى تبدو واضحة غراء ، وبذلك صعب القول ، حتى يردها حزلة الامتطاء ، ويعالج شوارد الافكار ، بما يقربها إلى الافهام ،

(١) جاء فى القاموس — والتخمط القهار والشديد الغضب له جلبة من شدة غضبه .

(٢) ديوان الشريف الرضى ٤٤٥/١ وما بعدها أعيان الشيعة ٣١/٣٥

(٣) البيان والتبيين : ١/٢٢

ويزيل ما اختلط بها من غموض وإبهام . قد ضل منافسة حتى ملوا مجاراته ، وهو هو لم يتورط ، أو يدركه الضلال ، غلاب شديد الغضب ، في جلبه تهد الأرض ، فلا يجرو أحد أن يقف أمامه خشية ورعباً . فيه خولة ، أسعد الزمان بحياته ، ثم أسخط بموته ، وما أكثر ما تبعد بنا الأيام !

ومن الدلائل الخاصة على ذكاه أبي على نصحه لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن جرو الأسدي ، وكان يلثغ بالراء غيناً — فقال له الفارسي : « ضع ذبابة القلم تحت لسانك ؛ لتدفعه بها ، وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء » .

وي فعل ابن جرو الأسدي ما نصح به أبو على فيستقيم له لإخراج الراء (١) .
قال ياقوت : ما أحسن ما تلتف أبو على في طبه هذا ! فما الذي دل على هذه المعالجة ؟ ومن أين استنبط هذه المداواة ، وكيف احتال لهذا البره ؟ ثم علل لذلك تعليلاً يتفق مع طبيعة الراء في النطق ، وعادة الألتغ ، وأثر رفع اللسان بالقلم أو نحوه — في ذلك . ثم قال : فلو كان واصل بن عطاء الغزالي حاذقاً حذق أبي على (رحمه الله) فداوى رأؤه ولثغته بهذا الدواء لأراحه من تكلفه لإخراج الراء من كلامه ، حتى شاع عنه من ابدال بعض الكلم ما شاع (٢) .

وبراعة أبي على في النكتة ، وسرعة استحضارها دليل كذلك على الذكاه : نقل صاحب أعيان الشيعة عن رياض العلاء أن جماعة وقفوا على باب أبي على فلم يفتح لهم فقال أحدهم : « أيها الشيخ ! اسمي عثمان ، وأنت تعلم أنه لا ينصرف ، فبرز غلامه وقال : إن الشيخ يقول : « إن كان نكرة فلينصرف (٣) » .
ومما يشهد لأبي على بصفاء ذهنه ، وخلو فكره — أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم متفاعلن ، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو (٤) .

وقد يكون في هذه القصة شيء من المبالغة أشبه بذلك الذي يحكى عن الخليل من أن ملك اليونان كتب إليه كتاباً باليونانية فحلا بالكتاب شهراً حتى فهمه . . . (٥) ،
ولكن القصة على كل حال صدى لما كان يشتهر به أبو على من الذكاه .
على أن آثار العالم تدل على عقليته ، وهذه كتب أبي على تنطق بما كان عليه من دقة في الاستخراج ، وبراعة في الاحتجاج ، ولطف في القياس والاستدلال ،

(١) بقية الوعاء : ٣٢٠ (٢) معجم الأدباء : ٦٧/١٢

(٣) اعيان الشيعة : ٢١/٢١٠ حاشية نكته الشيخ ! تحوية . . .

(٤) انظر بقية الخبر في معجم الأدباء : ٢٢٦/٢٣٥/٧

(٥) انظر الخبر بتمامه في طبقات الزبيدي : ٤٧٠

كما يؤكد قوله : « أخطيء في خمسين مسألة مما به الرواية ، ولا أخطيء في واحدة مما به القياس »^(١) . وفي ذلك دليل أى دليل على أنه يعمل عقله وتفكيره في اعتبار الأشياء فيصيب ، ولا يخطئه السداد والتوفيق .

وتعليل ذكاه أبى على أمر ميسور ، فهو :

أولاً — فارسي ، « والفرس — كما يقول أبو عمر النرى القرطبي (٤٦٣ هـ) أهل رياسة وسياسة ، وحسن مملكة ، ووضع الأشياء في مواضعها »^(٢) ، وهى صفات تتصل بنضج العقل ، وخلوص التفكير .

ثانياً — ثم هو فسوى ، وقد قرر المقدسى الذى طوف بالبلاد الإسلامية في عصر الفارسي أنه لم يجد « ألبق من أهل فسا »^(٣) .

ثالثاً — ثم هو عاش مدة طويلة بشيراز ، وفي أهلها كما يقول المقدسى أيضاً : « عقل ودها »^(٤) .

هذه الدلائل العامة تصاحبها أخرى خاصة ، فأبو على يمتزج في نسبه الدم العربي بالدم الفارسي ، ومن المقرر أن الاغتراب في المصاهرة مؤد إلى فراهة الأجسام ، وسلامة العقول حتى أثره اغتربوا لا تصبوا^(٥) ، فكيف يكون الحال بالامتزاج والتصاهر بين فارسي وعربية ! ؟

(١) انظر نزهة الأدباء: ٢١٠ ، وبجملها صاحب اعيان الشيعة مائة والاتفاق على الأول .

(٢) أحسن التقاسيم: ٣٤

(٣) القصد والأمم: ٣١

(٤) لسان العرب: ٢٢٥/١٩

(٥) نفس المصدر: ٤٣٠

ثقافة أبي علي - دراسته ومراجعته

يحدثنا المؤرخون أن أبا علي انتقل من فارس إلى العراق في السنة السابعة بعد الثلاثمائة من الهجرة ، ومعنى ذلك أنه انتقل إلى العراق ، وقد نضج واكتمل إذ كان يدرج نحو العشرين^(١) . ولست أعرف على التحديد منهج الدراسة الذي اتصل به أبو علي قبل انتقاله إلى عاصمة العراق ، وإن بدا أنه شدا أطرافاً من ألوان الثقافة العربية مما يبدأ به الدارسون عادة من حفظ القرآن الكريم وسماع الحديث الشريف ، والتفقه في الدين الحنيف ، وحفظ أشعار العرب ، إلى جانب ما توحى به عبارته ، وقد جرى ذكر الشعر بحضرته : «لاني لا غبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيق العلوم التي هي مواده»^(٢) ، وما مواد الشعر إلا علم العربية والشريعة والعروض والقوافي .^(٣) كما يبدو أنه نظر في النحو قبل أن ينظر في العروض^(٤) . وانتقال أبي علي إلى العراق يمكنه من الاتصال بالأعلام من شيوخ العربية ، وبذلك عرفنا على التحديد منهج الدراسة الذي تلقاه منذ ذلك الحين : ففي العراق يلتقي بأبي بكر بن مجاهد المقرئ ، وأبي اسحق الزجاج النحوي ، اللغوي وصاحب الاختيار في النحو والعروض^(٥) . وأبي بكر ابن الحياط الذي كان يخلط بين مذهبي البصرة والكوفة^(٦) ، وأبي بكر بن دريد اللغوي صاحب الجهرة ، وأبي بكر مبرمان النحوي ، وأبي بكر بن السراج صاحب الأصول في النحو^(٧) ، ولا شك أنه باتصاله بهؤلاء الشيوخ أرضى نهمه العلمي ، واستكمل ما لم يكن أدركه في فسا وشيراز ، وتبحر في اللغة والنحو وعلوم العربية ما شاء أن يتبحر ، وتحدثنا المصادر أنه قرأ كتاب سيويوه على مبرمان^(٨) وأبي بكر ابن السراج^(٩) ، كما سمع من الزجاج كتابه في معاني القرآن^(١٠) . كما سمع معاني القرآن للقرءاء من أبي بكر بن مجاهد^(١١) .

-
- (١) يذكر الدكتور بشرفارس أن أبا علي انتقل إلى بفساد وهو ابن تسع ولعل عشرة ساقطة . انظر سر الزخرفة الإسلامية : ٣٤/٣١ .
(٢) وفيات الأعيان ٣٦٢/١ ومعجم الأدياء : ٢٥١/٢ .
(٣) انظر المثل السائر : ٤ (٤) انظر معجم الأدياء : ٢٣٥-٢٣٦
(٥) نزعة الالباء : ١٦٦ (٦) نزعة الألباء : ١٦٨ .
(٧) نزعة الالباء : ١٦٩ (٨) بذية الوعاة : ٧٤
(٩) معجم الأدياء : ٢٥٢/٧ - ٢٥٣ (١٠) انظر مقدمة كتاب المحتسب : ١٠
(١١) انظر المصدر السابق . . .

وتعد عبارة أبي حيان التوحيدي في كتابه الأمتاع^(١)، مفتاحاً للحديث عن دراسة أبي علي ومراجعته فهو يقول: «... وأما أبو علي فأشد تفرداً بالكتاب وأشد إكباباً عليه... وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد، وأطرافاً بما لغيره، وتفتيش كتب أبي علي نفسها يجعلنا نتحقق من قولته أبي حيان، وبخاصة كتابه الحجّة الذي قال في إهدائه للصاحب بن عباد: «فما تضمن من أثر، وقراءة، أولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم»^(٢).

كتب أبي علي تدل على أنه حفظ القرآن الكريم، وانتفع به، ونظر فيه نظرة الفاحص المستشهد على آرائه النحوية. اسمع إليه يقول: «ما أصبت مما أعمل فيه الثاني قوله (تعالى): «قال آتوني أفرغ عليه قطراً»^(٣). تر كيف يقف أبو علي أمام آي القرآن الكريم يتفحصها، ويستخرج منها ما تدل عليه بما يذهب إليه، ثم تراه قوى الاستحضار، لآي القرآن يفسر بعضها ببعض، ويشرح لفظاً هنا بلفظ هناك^(٤)، وهو عالم بالتفسير^(٥). وقد اطلع على تفسير ابن عباس^(٦) ويحكى عن أبي عمر في تفسيره^(٧). ويورد تفسير السدي للقليل في قوله تعالى: «ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً»^(٨). ويتصل بأبي عبيدة في مجازه، ويستعين به^(٩). ويروي عن الزجاج كتاب الإبانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم^(١٠)، كذلك كان من ثقافة أبي علي الحديث، يسمعه ويرويه، وله تلاميذ يسمعون منه، وقد قال عن نفسه: قد سمعت الكثير في أول الأمر، وكنت أستحي أن أقول: أتبتوا اسمي^(١١) كما استظهرت في مكان آخر على روايته للحديث، وعلى تفقهه في الدين، ومشاركته في هذا اللون من الثقافة الدينية. وما من شك كذلك أنه بجانب هذه الدراسات الدينية واللغوية والنحوية كانت له مشاركة في رواية الشعر^(١٢) وكان يقايس بين المسائل النحوية

-
- (١) الجزء الأول ١٣١
(٢) معجم الأدباء ٧/٢٣٩-٢٤٠
(٣) يرى أبو علي ما لا يراه البصريون
(٤) سأعطي ذلك فضل بيان فيما بعد
(٥) انظر الشرايات ٨١
(٦) الحجّة ١/٢٣ مراد ملا والاغفال
(٧) الحجّة ١/٢٢٨ مراد ملا
(٨) الحجّة ١/١٥٤ مراد ملا
(٩) انظر مثلاً الحجّة ١/١٥٩، ١٦٩، ١٧١، ٢٠٦، ٢٣١، ٢٧٣ من البلدية.
(١٠) انظر المخطوطة رقم ٦٧ نحو الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة.
(١١) معجم الأدباء ٧/٢٥٥
(١٢) انظر البصريات لوحة ٥٧

والمعاني الشعرية^(١) ، كما كان له علم بالأخبار الأدبية^(٢) ، وقد قرأ على أبي بكر ابن السراج ديوان النابغة من رواية الأصمعي^(٣) .

وقد أجاز ابن جنى رواية أبيات المعاني^(٤) للأشناداني الراوية البصري^(٥) ، وكتابه المعاني يتضمن الكلام على المذاهب الشعرية ونقدها ، وضروبها ، وأساليبها وأطوارها في عصورها المختلفة ، وتفسير غريبها^(٦) . كذلك رأيت أبا علي يعتمد على ما قال أبو مالك عمر بن كركرة الأعرابي^(٧) ، وأبو مالك هذا أحد فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء^(٨) . كذلك اتصل أبو علي بمعاني الشعر لأستاذه أبي بكر بن الخياط^(٩) .

وشاهد أبي علي دالة على ماله من وفرة المحفوظ^(١٠) ، والضلاعة في الاستشهاد ، واليقظة في الاستنتاج^(١١) . يذكر الأمثال^(١٢) ، ويستشهد بأقوال الكهان^(١٣) ودعاء الأعراب^(١٤) وأقوالهم^(١٥) ، وآثار الأخبار^(١٦) ، ويروي الأخبار^(١٧) ، ويعرف ما يذكره حذاق الفلاسفة^(١٨) ، وهو عالم بعادات العرب^(١٩) ، وعادات الفرس^(٢٠) .

ومن المراجع اللغوية والنحوية والصرفية التي اعتمد عليها أبو علي واتصل بها : نوادر الأصمعي^(٢١) ، وكتاب الخيل للأصمعي أيضاً^(٢٢) ، والألفاظ له كذلك^(٢٣) ،

-
- (١) انظر الخصائص: ٥٦٨/١ (٢) انظر الشيرازيات: ١٨ ، ١٢٠
 (٣) انظر البغداديات: ٢٩
 (٤) انظر خزنة الأدب: ١٢/١ (٥) بغية الوعاة: ٣٢٤
 (٦) الكتاب مطبوع بدمشق ١٩٢٢ م ، ١٣٤٠ هـ
 (٧) الشيرازيات: ٣٩
 (٨) انظر الفهرست: ٦٦ في ترجمة ويلتقم الحمار الستمع وصحتها الحمار المستمع وانظر الرواة
 ٣٦٠/٣ (٩) معجم الأدباء: ٧/٧٦٦
 (١٠) انظر مثلا المخصص لابن سيده: ٩٨/٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤/٧ ،
 ٢٣ ، ٢٤ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١١٣ (١١) اقرأ مثلا المخصص: ٧/١٨٧-١٨٨
 (١٢) المخصص: ٤/١٢١ ، ١٥٥/٩ (١٣) المخصص: ٤/٦٤
 (١٤) نفس المصدر: ١٦/١٤٣ (١٥) المخصص: ١٢/٣
 (١٦) ٧/٩ (١٧) المخصص: ١٦/٤٣
 (١٨) المخصص: ١١/٣١٩ (١٩) انظر المخصص مثلا: ٨/٤٩
 (٢٠) انظر المخصص: ٧/١٥٩ في شرح البحار
 (٢١) انظر انباء الرواة: ٢/١١٩ (٢٢) انظر القلم رقم ٧٨٦ المحفوظ بمهد احياء
 المخطوطات العربية (٢٣) انظر البغداديات: ٤٩ ، ٣٥ في كلمة تنفة وانظر سيوبه ٢/٢٣٠

ويتصل بنوادر ابن الأعرابي^(١) ، والأصول لأبي بكر بن السراج^(٢) ، والجل^(٣) ، وكتاب الأخبار لأبي عثمان^(٤) . ويروى كتاب التصريف عن ابن السراج عن المبرد^(٥) .

ويستعين بما قال الجرمي في اللغة^(٦) ، ويقرأ كتابه الفرخ^(٧) . وهو القائل : « قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة^(٨) » . ويكتب الاشتقاق لابن دريد إملاء عنه^(٩) . ويتصل بكتب يعقوب بن السكيت^(١٠) ، وينص على أنه قرأ إصلاح المنطق على أبي إسحق^(١١) . كما يقرأ التصريف للفراء^(١٢) ، ويطلع الفارسي على كتب أبي الحسن بعامة^(١٣) ويشير قوله : أنشده : (يريد فلو كان البكاء يرد شيئاً) — أبو الحسن في المعاني إلى اطلاعه على ذلك الكتاب^(١٤) . وكذلك قوله قال أبو الحسن في كتابه في القرآن^(١٥) ، كما يتصل بكتاب الغلط للمبرد^(١٦) . وينظر في المقتضب فما ينتفع منه بشيء إلا بمسألة واحدة^(١٧) ، ويطلع على المسائل المشروحة من كتاب سيويه للمبرد ، ويقرؤه على ابن السراج^(١٨) . ويتصل بأحمد بن يحيى ثعلب عن طريق أبي بكر بن مجاهد الذي حدث عنه ، وكان على علم بمذهب الكسائي والفراء^(١٩) وآراء الكوفيين على العموم^(٢٠) ، ثم هو يطلع على كتاب العروض لأحمد بن محمد العروضي حتى قال أبو علي . وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع : « وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب^(٢١) » .

هذه أمثلة من مصادره تجمل لنا سعة اطلاعه ، وحرصه على آثار من سبقوه ، كما كان حريصاً على نقل الفوائد^(٢٢) . كذلك تدل بعض أنبائه أنه كان يعقد سمعه

-
- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) البصريات : ٦١ | (٢) البغداديات : ٣٩ والبصريات : ٦٤ |
| (٣) معجم الأدياء : ٢٣٩/٧ | (٤) البصريات : ٦٦ |
| (٥) انظر النصف لابن جني ٦ تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين | |
| (٦) الشيرازيات : ٣٦ | (٧) البصريات : ٦٤ ، ٨٣ |
| (٨) نزعة الألباء : ١٠١ | (٩) البصريات : ٥٧ |
| (١٠) البصريات : ٧٣ | (١١) المخصص : ٧٤/٥ |
| (١٢) انظر خزائن الأدب : ٢٥٩/٢ (١٣) انظر الحجة : ٣٦/١ من البلدية | |
| (١٤) انظر المسائل المنثورة لوحة ١٥٦ | (١٥) الحجة : ٢٤٨/١ من مراد الملا |
| (١٦) الاغفال : ١٥ | (١٧) انظر معجم الأدياء : ١٢١/١٩ |
| (١٨) الاغفال : ١٩٧ | (١٩) الحجة : ٢٨٩/١ من البلدية |
| (٢٠) انظر البصريات : ٦٤ | (٢١) معجم الأدياء : ٢٣٣/٤ |
| (٢٢) انظر معجم الأدياء : ٢٣٧/٧ | |

على لهجات الناس ، وما يلوون به ألسنتهم ، فتنبه هذه الظواهر إلى لفظها ، وتسجيلها ، والإفادة منها في تلاحق اللهجات ، وسريانها على ألسن المتكلمين^(١) .

ومما يدل على حبه للعلم موقفه من كتبه التي احترقت ، وما ناله من الهم والحزن والتحير والذهول ، وبقاؤه على ذلك شهرين لا يكلم أحداً لغلبة الفكر عليه^(٢) .

ومما مكن له في العلم أنه أقام على أنسه به لا يشغله عنه شيء — كما يقول تلميذه ابن جنى — سبعين سنة زائحة عله ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة وقد حط من أمثاله ، وألقى عصا ترحاله^(٣) . .

ثم هو بنظره في العربية ، والخوض فيها ، يستجيب لداع ديني يفسره شرحه للحديث الشريف : « إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، حيث قال : معنى النهي في هذا الحديث المجادلة بالباطل ؛ ليدحض به الحق ، وليس على النهي عن الخوض في العربية وتعلمها ؛ لأن الحوض على النظر فيها قد كثرت الرواية به عن السلف (رحمهم الله) ، ثم قال : حدثنا اسماعيل بن محمد قال : « حدثنا محمد بن عيسى العطار قال : حدثنا كثير بن هشام قال : « حدثنا عيسى بن ابراهيم عن الحكم بن عبد الله الزهري ، عن سالم عن أبيه قال^(٤) : « مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون رشقاً فقال : بئس ما رميتم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا قوم متعلمين . فقال : والله لذنبكم في لحنكم أشد على من ذنبكم في رميكم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله رجلاً أصلح من لسانه^(٥) .

بهذه النزعة الدينية يخوض أبو علي في العربية ، وناهيك بها نزعة دافعة إلى بلوغ أقصى الغايات ؛ استجابة لداع من دواعي العقيدة ، ورغبة في مذخور الثواب بتقديم القربات .

أما دور العلم والأماكن التي درس فيها أبو علي ، وثقف ، وثقف فقد كانت :

(١) المساجد : ويقول المقدسي : « ومن رسوم أهل فارس إذا صليت العصر

كل يوم جلس العلماء للعوام إلى المغرب ، وكذلك بعد الغداة إلى ضحى ، وأيام الجمع

(١) انظر الخصائص: ٩٥/١ (٢) انظر معجم الأدباء: ٢٥٦/٧ - ٢٥٧

(٣) الخصائص: ٢٨٥/١

(٤) حرصت على نقل الاسناد في هذا الحديث لأت توثيقه على هذه الصورة من تمام

(٥) الحجية: ٢٣١/١ مراد ملا

البرهان على ما أنا فيه

يجمعون في غير موضع ، وطابت شيراز بجامعها ، والصوفية به كثير^(١) . ونجد في نهاية المسألة الأولى من الشيرازيات لأبي علي ما نصه : « هذه مسألة أملاها — أي أبو علي — بشيراز في المسجد الكبير بالريض^(٢) » .

(ب) والدور : قال ابن جرير الطبري : حضرت باب دار أبي كريب الهمداني مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له ، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجون ، فقال : أيكم يحفظ ما كتب عنى ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ، ثم نظروا إلى وقالوا : « أنت تحفظ ما كتبت عنه ؟ » قال : قلت نعم ا فقالوا : هذا فسله ، فقلت : « حدثنا في كذا بكذا ، وفي يوم كذا بكذا » . قال : « وأخذ أبو كريب في مساءته إلى أن أعظم في نفسه ، فقال له : ادخل إلى فدخل إليه ، وعرف قدره على حدائته ، ومكنه من حديثه^(٣) .

ونجد في صدر رسالة من الشيرازيات ما نصه : « قرأتها على الشيخ (أبده الله) في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة في منزله^(٤) » .

(ج) وخزائن الكتب : وتلقى العلم عنها يتضح بما يذكره ياقوت عن جعفر ابن محمد الموصلي (ت ٣٢٣ هـ) من أنه كان له ببلدة دار علم جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحداً من دخولها ، إذا جاء غريب يطلب الأدب ، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملى عليهم من شعره ، وشعر غيره ومصنفاته . . يلى من حفظه من الحكايات المستطابة ، وشيئاً من النوادر المؤلفة ، و طرفاً من الفقه ، وما يتعلق به^(٥) . ولعل أبا علي ورد هذا المنهل في بعض رحلاته إلى الموصل . هذا وكانت خزانة عضد الدولة مفتوحة للعلماء كما نفهم من المقدسي^(٦) .

-
- | | |
|-------------------------|--------------------------------------|
| (١) أحسن التقاسيم: ٤٣٩ | (٢) المسائل الشيرازيات : لوحة رقم ١٠ |
| (٣) معجم الأدباء: ٥١/١٨ | (٤) الشيرازيات: لوحة رقم ١١ |
| (٥) معجم الأدباء: ١٩٣/٧ | (٦) انظر أحسن التقاسيم: ٣٩٤ ، ٤٤٨ |

هل كان أبو علي يعرف الفارسية؟

أبو علي يلقب الفسوي حيناً ، والفارسي أحياناً (١) ، وهو لقب يوحى بأنه على صلة بالفرس ، فاللقب الأول دال على مولده ، والآخر يشير إلى جنسيته ، ثم هو قد انتقل من بلاد فارس إلى بغداد في نحو العشرين من عمره ، وإذن فقد أمضى مدة طويلة في فارس : فسا مولده . وشيراز التي عاش فيها قبل أن يرحل إلى بغداد عاصمة الخلافة فهل كان بعد ذلك كله — يعرف الفارسية ؟

يشير ابن جنى في كتابه الخصائص إلى أن أبا علي قد تدرب بالفارسية قبل استغرابه (٢) ، ولكن تدربه بالفارسية لم يكن يبلغ به إلى أن يكون عالماً باللغة العجمية عليه باللغة العربية (٣) .

وفي مكان آخر من الخصائص يقول ابن جنى : « ورأيت أبا علي (رحمه الله) كغير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم . . . قال : « وإنما خفي حال هذا في اللغة العجمية لما فيها من الزممة ، يريد أنها لما كثر ذلك فيها ضعفت حركاتها ، وخفضت (٤) .

وملاحظ أني على في النص الأخير ، وعدم استيحاشه من ابتداء العجم بالساكن ، وتعليله ذلك بما علل . كل ذلك لا ينهض دليلاً قوياً على علمه بالفارسية ؛ لأن هذا الملاحظ يتأتى للعربي خالص العروبة ، كما يتأتى لمن هو غير أعجمي على وجه العموم . ومثل ذلك يوجه إلى قوله في البغداديات : « وإنما تكون الدربة بحسب كثرة العادة ، وهذا وجود في العادات ، وبين عند أهل اللغة . ألا ترى أن المتكلم باللغة العربية لا يسهل عليه النطق باللغة الفارسية ، ولقلة اعتياده لذلك ، وكذلك المتكلم باللغة الفارسية ، وكثيراً لا يسهل عليه النطق باللغة العربية سهولة الفارسية ، وليس ذلك لشيء أكثر من أن كل واحد من أهل اللغتين لما لم يكثر ذلك في عادته فلم يرتض به لم يخف عليه (٥) .

وإذا كان ابن جنى الرومي يعرف الكلمات الفارسية (٦) ، فأحر بشيخه الفارسي أبي علي أن يعرفها .

على أني بعد ذلك وجدت ما يدل على علم أبي علي بترجمة بعض كلمات فارسية

(١) انظر تحقيق ذلك في ص ٤١ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) الخصائص : ٣٥٢/١ (٣) نفس المصدر : ٢٥٢/١-٢٥٣

(٤) الخصائص : ٩٤/١ (٥) البغداديات : لوحة ٤٧

(٦) الخصائص : ٩٣/١ وما بعدها

ذلك قوله في معرض الحديث عن الخبر في قولهم « هو حلو حامض ، ألا ترى أن أبا عمرو قال في تفسير ذلك : « ترش شيرين ^(١) » ، وترش شيرين كلمة فارسية؛ معناها حلو حامض ^(٢) .

وفسر الزجاج الاسوار من أساورة الفرس بأنه الجيد الرمي بالسهم ، وتعقبه الفارسي بقوله : « وما ذكره في الاسوار أنه الجيد الرمي بالسهم فهذا لعمري صفة من أوصافهم ، وليس بترجمة اللفظ على حقيقته ، والترجمة ذو الفرس ^(٣) .

وقال أبو علي في الحليات : « والأبريق ، ترجمته بالفارسية أحد شيتين : (١) أما أن يكون طريق الماء . (ب) أو صاب الماء على هيئة ^(٤) » ، وانظر كلامه في الأسكرجه ^(٥) .

وأورد أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرب من كلام الأعمشى على حروف المعجم ما نصه : « حكى عن أبي علي قال : « رأيت أبا بكر يدير هذه اللفظة : (بوصى) ، ليشتها فقلت : « أين تذهب ؟ أنها فارسية : إنما هو بوزيد وهو اسم جدنا ، قال ومعناه سالم فقال أبو بكر : « فرجت عني » .

فذلك النص يدل على معرفة أبي علي للفارسية ^(٦) ، وثقة أبي بكر به فيها ، وما يحدث عنها

وبعد : فإن فارسية أبي علي ، وإقامته قرابة أربعين عاماً ببلاد فارس قبل أن يرحل إلى بئداد ، وبعد أن لحق بخدمة الدولة الديلمي ، ثم صداقته لعضد الدولة الذي يرتفع في نسبه من بوبه إلى واحد من ملوك الفرس ^(٧) ومعرفة عضد الدولة للفارسية ^(٨) ، وحكمة بلاد فارس في وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية — كل ذلك بعض الدلائل على صلة أبي علي بالفارسية وعلمه بها .

على أنني بعد أعود إلى قوله ابن جنى عنه — وقوله الفصل في ذلك : — إنه تدرب بالفارسية قبل استعراجه ، ويبدو أنه لما استعرب تغلبت العربية ، ولحقت الفارسية الحيف من العربية كما يقرر الجاحظ في بعض ما قال ^(٩) .

(١) الحجة : ١٣٦/١

(٢) انظر القاموس الفارسي العربي في هاتين الكلمتين

(٣) الاقفال رقم ٦٩٩ تفسير : ٥٢٨

(٤) الحليات ظهر ورقة ٨٧ (٥) الحليات : ٨٤

(٦) المعرب . ٤ (٧) الفخرى : ٢٤٤

(٨) انظر أحسن التقاسيم : ٤٣٢ في كلامه على جور (٩) انظر البيان والتبيين :

مذهب أبي علي في القراءات

يجدر بي وموضوع البحث « أبو علي وأثره في القراءات والنحو ، أن أتبين مذهب أبي علي في القراءة كما أتبين مذهبه في النحو ، وأن أتعرف القراءة التي كان يقرأ بها القرآن الكريم ، والإمام الذي كان يتأثره في قراءته ، والأسباب التي دفعته إلى تأثر ذلك الإمام دون سواه ؟ ثم دلائل هذا التأثير فيما ترك لنا أبو علي من شواهد ونصوص ، ويعينني المقدسي في أحسن التقاسيم لإعانة خاصة . حيث يبين أصحاب القراءات المستعملة في عهده — وهو معاصر لأبي علي — كما يذكر أما كتبها في العالم الإسلامي ، وذلك قوله : « وأما أصحاب القراءات المستعملة اليوم فعلى أربعة أقسام :

(أ) حروف أهل الحجاز وهن أربع : قراءة نافع ، وابن كثير ، وشيبة ، وابن جعفر .
(ب) وحروف أهل العراق وهن أربع : حرف عاصم ، وحمره ، والكسائي ، وأبي عمرو .

(ج) وقراءة أهل الشام وهي لعبد الله بن عامر .

(د) وحروف الخاص وهن أربع : قراءة يعقوب الحضرمي ، واختيار أبي عبيدة ، واختيار أبي حاتم ، وقراءة الأعمش . وأكثر الأئمة على أن الجميع صواب (١) وشيوع قراءات هؤلاء الأئمة في تلك البيئات أثر من آثار استيطانهم لها ، وأخذ أهلها القراءات عنهم ، وتلاوة القرآن بحروفهم :

١ — فابن عامر أحد العرفاء الذين أقامهم أبو الدرداء الانصاري في جامع دمشق ، ولما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر (٢) .

(١) أحسن التقاسيم : ٣٩ ط ليدن الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩

(٢) طبقات القراء : ٦٠٦/١

٢ - وابن كثير مكي ، ولد بمكة ، وظل ثلاثة أرباع قرن بها مقياً فيها ^(١) .
ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات بها ^(٢) .
٢ - ونافع مدني عاش بالمدينة يقرئ فيها الناس دهرأ طويلاً نيفاً وسبعين سنة ^(٣) .

٤ - بقي بعد ذلك العراقيون : أبو عمرو البصري ^(٤) ، وعاصم ، وحمزة ،
والكسائي الكوفيون ^(٥) ، فمن الطبيعي لإذن وهذه بينات القراء السبعة أن تذيب
قراءتهم فيها إذ كان الناس يتلقون عنهم ، ويقروءون - سماعاً أو عرضاً عليهم .
وأستطيع أن أستبعد كلا من ابن عامر الشامي ، ونافع ، وابن كثير الحجازيين ؛
لأن أبا علي لم يعيش في بيئة الشام إلا قليلاً ، بل كما أعلم - لم يعيش في الحجاز أصلاً -
فليست له وسيلة إلى قراءة إمام من هؤلاء الأئمة الثلاثة .
وبقي بعد ذلك شيوخ البيئة العراقية التي عاش فيها أبو بكر بن مجاهد الذي روى
أبو علي القراءة عرضاً عليه ^(٦) .

وأثر هؤلاء الأئمة العراقيين ، ودلائل تأثر المقرئين بقراءتهم واضحة فيما يرويه
المؤرخون من أن أبا جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) كان يقرأ قديماً لحزمة قبل أن
يختار قراءته ^(٧) ، وأن نفظويه (ت ٣٢٣ هـ) كان يقرئ القرآن على قراءة عاصم
بمسجد الانباريين ^(٨) .

ويمكنني بعد ذلك استبعاد الأئمة الكوفيين : عاصم ، وحمزة ، والكسائي ،
لكوفيتهم ، ونزعة أبي علي التي تقذف به إلى جانب البصريين . ولم يبق بعد هذه
التصفية إلا أبو عمرو البصري ، وهو ما أرجح أن يكون أبو علي يقرأ القرآن على
حرفه ، أو يكون له اختيار يميل به إلى مذهب أبي عمرو
فلأبي علي صلوات بأبي عمرو البصري ترجع إلى أساتذته من الشيوخ الذين يعتمد
عليهم ويوثقهم ، وأخص هؤلاء أبو زيد الأنصاري ، وسيبويه ، فأبو زيد يؤولف
في قراءة أبي عمرو ^(٩) ، وسيبويه يقرأ على أبي عمرو ^(١٠) . ويأخذ الحروف عنه ^(١١) .

(١) إبراز الماني : ٢١ (٢) طبقات القراء : ٤٤٥/١

(٣) انظر طبقات القراء ٣٣١/٢ (٤) سراج القاريء لابن القاصح : ١١

(٥) انظر الصدر السابق : ١٢ (٦) طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٧) معجم الأدباء : ٦٦/١٨ (٨) انباه الرواة : ١٨١/١

(٩) الفهرست : ٨١ (١٠) طبقات القراء ٢٩٠/١

(١١) انظر دليل ذلك في الكتاب : ١٦٧/٢

وترى أبا علي في كتاب الاغفال يحتاج لقراءة أبي عمرو : يومنون بالتخفيف ويختار ذلك على التحقيق^(١) . ويظهر ارتياحه لقراءة أبي عمرو ، وأقرأ معي ذلك النص من كتابه الحجّة ترأقباله على قراءة أبي عمرو ، واحتفاله بالاحتجاج لها ، والتدليل عليها ، ومهاجمة قراءة الكوفيين بعد أن يحتاج لها في فتور : (ولا بد أن يحتاج لها لأن هذا مهمه في كتاب الحجّة) .

قال ابن مجاهد ما ملخصه : « اختلفوا في قوله عز وجل : أنذرتهم ، وما كان مثله في كل القرآن من الهمزتين في الكلمة الواحدة : فهو بتحقيق الهمزتين عند عاصم وحزة ، والكسائي ، في أحد قولي ، وابن عامر . . وهو بتخفيف الثانية وإدخال الألف بينهما عند ابن كثير وأبي عمرو ، غير أن مد أبي عمرو في أنذرتهم أطول من ابن كثير^(٢) .

وقال أبو علي في الاحتجاج لالتقاء الهمزتين في أنذرتهم وتحقيقهما : من حجة من حققهما أن يقول : إن الهمزة حرف من حروف الحلق ، فكما اجتمع مثله في سائر حروف الحلق نحو فةً وفهت وكعٌ وكعت كذلك حكم الهمزة . وكما يجوز ذلك ويسوغه أن سيبويه زعم أن ابن إسحاق كان يحقق الهمزة ، وأناس معه . قال سيبويه ، وقد تكلم ببعضه العرب وهو ردى^(٣) . فانظر إلى ذلك الحكم الذي نقله عن سيبويه ، وبه يقرر رداة تحقيق الهمزتين ، وبالتالي يكون حكم القراءة بالتحقيق ثم قال : والحجة لقول من قال أنذرتهم فلم يجمع بين الهمزتين ، وخفف الثانية أن يقول : إن العرب قد رفضت جمعها في مواضع من كلامهم . وبعد أن ضرب الأمثلة لذلك قال : ففي هذا دلالة بينة على رفضهم اجتماعها . . ثم عاد وكرر هذه العبارة ، ثم وازن بين الهمزة وأخواتها الحلقية ، ثم دفع اعتراضاً قد يرد . وذكر أن العرب الزموا باب رزئة وخطيئة القلب عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه ، فقالوا خطأيا ورزايا فلو كان لاجتماعهما عندهم مساغ ما رفضوا ذلك الأصل كما أنه كان (كذا) وأظن (لو كان) هنا ساقطة — لتحرك العينات في نحو قال وباع مجاز ما الزومهما القلب . فإن قلت : « قد حكى عن بعضهم خطأياً (كذا) بتحقيق الهمزتين

(١) الاغفال : ٦٠ تفسير رقم ٨٧٥

(٢) ملخص من سبعة ابن مجاهد : الحجّة ١٦٦/١ مراد ملا وانظر النضر في القراءات

المشر لابن الجزرى : ٣٦٣/١

(٣) الحجّة : ١٨٨/١

فذلك يجرى مجرى الأصول المفوضة نحو ضنونا والأظلل كذا ، ولو جاز الاعتداد بذلك وما أشبهه لجاز أن يقال في تمكيس مطية مطاء (كذا) كقول بعضهم سياء ، فإذا كانوا قد رفضوا ذلك في حال السعة والاختيار مع أنه أسهل من اجتماع الهمزتين فإن يرفضوا اجتماع الهمزتين أجدر^(١) .

وأنت ترى في تضاعيف هذا الاحتجاج تحمس أبي علي ، وميله إلى القول برأى أبي عمرو وألفاظه الدالة على ذلك . الدلالة البينة على رفض العرب اجتماع الهمزتين ، وتكريره هذه العبارة ، ودفعه الاعتراضات التي قد ترد . وأن العرب قد الزموا باب رزية وخطية القلب عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه ، وأن تحقيق الهمزتين في خطائي يجرى مجرى الأصول المفوضة ، وأنهم رفضوا ما هو أسهل من اجتماع الهمزتين فرفض اجتماعهما أجدر . ثم انظر قوله في مكان آخر : وقول أبي عمرو أرجح عندنا^(٢) ، وهذا كله ينتهي بنا إلى النتيجة التي رجحتها من قبل ؛ وهو أن أبا علي كان يقرأ بحرف أبي عمرو ، أو على الأقل يكون له اختيار يميل به إلى ما ذهب إليه ذلك الإمام .

الفقه ومذهبه فيه

وأبو علي يلم في كتبه بمسائل من الفقه تدل على اتصاله به ، ووعيه له ، فهو يتحدث عن الربا وأنواعه^(٣) . وعن الصدقة وإخفائها^(٤) . وعن ذى الأمانة من المودع والمعير والموكل والشريك ، ومن يك في ماله يد أمانة لاضمان كما يتحدث عن الكافر المودع^(٥) ، ومن صار ذا أمن في ماله ونفسه بإظهار الشهادتين ، وخرج عن أن يكون حربا مستحل المال النفس^(٦) ، ويذكر اختلاف الفقهاء في د اشهد بالله . وهل يكون يمينا إذا لم يوصل بالله^(٧) ، وأن أبا حنيفة لم يوجب الكفارة على من حلف : يعلم الله ثم حنث^(٨) ، ويذكر قول الفقهاء : وإن المولى

(١) الحجية : ١٩٠/١ مراد ملا
(٢) الحجية : ٢٨/٣ البلدية
(٣) الحجية : ٤٠/٣ (٤)
(٥) ٢٠٥/١ (٥)
(٦) ٢٠٧/١ (٦)
(٧) الشرايات : ٢٦
(٨) الحجية : ٤٠٦/١٠ مراد الملا

إذا قال لعبده : يا بني لم يعتك عليه كما يعتك إذا أقر بنسب ذى رحم محرم منه (١) ،
ويشرح لا يقتل مسلم بكافر ، ولا ذوعهد في عهده بكافر (٢) ، ويتحدث عن الإقالة
في البيع (٣) ، كما يتحدث عن بعض صور الطلاق شارحا لها ، ومخرجا أحكامها (٤) .

ويبدو أنه درس من المذاهب الفقهية مذهب أبي حنيفة ، وقد جمعت للتدليل
على ذلك أدلة منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص :

فمن الإدلة العامة (١) ما ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم عن قوله : « وأصحاب
أبي حنيفة في بلاد فارس كثير (٥) » .

(ب) وما ذكره الصفدى في الفيت المنسجم من أن الغالب في الحنفية معتزلة (٦) .

ومعروف عن أبي على أنه كان معتزليا ، وقد برهنت في مكان آخر على ذلك .

ومن الأدلة الخاصة (١) أن أبا على قياس ، وعبارته في ذلك مشهورة (٧) .

وأبو حنيفة وأصحابه يمثلون مدرسة القياس (٨) . ومن هنا كان أثر أبي حنيفة دون
غيره من الأئمة شديد الوضوح في أبي على .

(ب) ما ذكره ابن جنى (تليذ أبي على) قائلا : « اعلم أن أصحابنا انتزعوا

العلل من كتب محمد بن الحسن ، وجمعوها منها بالملاطفة والمرفق (٩) .

(ج) ثناء أبي على — على أبي حنيفة في أمثلة وردت بكتبه .

فمن ذلك ما قال : « كما يجوز تشبيه المعنى بالعين للبالغة في أمره ، والرفع منه

جاز أيضا تشبيه العين بالمعنى إذا أكثر من محاولة ذلك المعنى ، وكثير أخذه فيه ،

واكتاره منه فتقول على ذلك أبو حنيفة الفقه ، وأصبح ماؤم غورا .

وكذلك ثناؤه على أبي يوسف في قوله : أبو يوسف أبو حنيفة (١٠) .

(د) استشهاده بأقوال أبي يوسف (١١) ، وقد ورد ذلك الاستشهاد أيضا في

الشيرازيات (١٢) والخصائص (١٣) ، كما استشهد بمحمد في الشيرازيات (١٤) .

(١) الشيرازيات : ٤٤ (٢) الشيرازيات لوحة ١٥٢

(٣) الحجّة ٢٣٨/١ مراد الملا (٤) الحجّة ٣٥/١ ، ٥٢

(٥) أحسن التقاسيم : ٤٣٩ (٦) الفيت المنسجم : ٤٧/٣

(٧) انظر نزهة الألباء : ٢١٠ (٨) وتاريخ بغداد : ٣٥٠ ، ٣٣٢/١٣

(٩) الاقتراح : ٥١ وانظر الخصائص : ١٦٨

(١٠) الايضاح : ١٩ رقم ١١٢٠ نحو مخطوط بدار السكت

(١١) الحجّة : ٢٠/١ مراد ملا (١٢) ١٥٦

(١٣) انظر ٢١٣/١ (١٤) انظر ص ٢٦

(هـ) وقد عقد ابن جنى مسألة من كلام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتاب الإيمان وهي: قال محمد بن الحسن، ان قال أى عبيدى ضربك فهو حر، فضربه جميعهم عتقوا كلهم، ولو قال أى عبيدى ضربته فهو حر فضرب واحدا من عبيده عتق ذلك العبد، فإن ضرب غيره من بعده منهم لم يعتق غير الاول وحده وعلق أبو على على هذه المسألة^(١).

(و) ولما احترقت كتب أبي على لم يبق منها إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن^(٢).

(ز) ما ذكروه من أن الحسن بن أبي الحسين النعماني الفارسي لقب بالفارسي لأنه تفقه بشيراز على مذهب أبي حنيفة^(٣)،

(ح) وقد ذكر استدلال أبي يوسف بقوله تعالى: «إنا أنزنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله، على جواز الاجتهاد من النبي ﷺ». هذه هي الأدلة العامة والخاصة التي استندت إليها في تقرير مذهب أبي على الفقهى، وكانت دراسته لمذهب أبي حنيفة من العوامل التي جعلته بارعا في القياس على النحو الذي سأتناوله بالبيان.

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٣٧٩ رقم ١٦

(٢) معجم الأدباء : ٢٥٧/٧

(٣) ورقة ٥٧ طبقات المفسرين تأليف محمد بن على أحمد الداودى المالكي مخطوط بدار

الكتب ١٦٨ تاريخ

مذهب أبي علي النحوي

أبو علي عند أبي بكر الزبيدي في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين ، ومن أصحاب ابن السراج^(١) . وابن النديم يجعل أبا علي كذلك من النحويين البصريين^(٢) وهو كذلك عند المتأخرين ، وذلك قول (السيوطي ٩١١ هـ) في الجمع : « و اختلف البصريون في كيفية وضعها - وضع همزة الوصل - فقال الفارسي وغيره ، « اجتلبت ساكنة ، وكسرت لائتقاء الساكنين »^(٣) . . . ،

وينظر المحدثون إلى مذهب أبي علي في النحو نظرات متخالفات : فالأستاذ عبد الحميد حسن يتحدث عنه بين نحاة بغداد^(٤) . ويرى صاحب نشأة النحو أن أبا علي ممن ترسموا خطأ المذهب البغدادي^(٥) والأستاذ الشيخ محمد النجار يرى في تقديمه كتاب الخصائص أن أبا علي يميل في نزعه النحوية إلى البصرية^(٦) .
والباحث إزاء هذا التخالف لا بد أن يقيم الدليل على الرأي الذي يراه في تحقيق مذهب أبي علي النحوي :

فأولاً : ماذا تشير إليه النصوص ؟

وثانياً : وماذا تدل عليه المقابلة بين السمات العامة للمذهب البصري أو الكوفي ،

وما ورد من هذه السمات في كتب أبي علي ؟

وثالثاً : ثم ماذا تنتهي إليه الموازنة بين رأي كل من الفريقين في المسائل النحوية

المختلفة ورأى أبي علي في هذه المسائل ؟.

ولأريد هنا الاستقصاء أو الاستيعاب ، وإنما اكتفي بذكر أمثلة في هذه النواحي

الثلاث ، يستدل بها ، ويقاس عليها ، وتختصر الدلالة على مذهب أبي علي النحوي في إجمال .

أولاً : أما النصوص فيمكنني أن أعرض منها ما يأتي :

(١) يقول أبو حيان : « أبو علي أشد تفرداً بالكتاب ، وأشد اكباهاً عليه ، وأبعد

من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين »^(٧) .

(٢) وحدث أبو علي ابن جني أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم

(١) انظر طبقات الزبيدي : ١٢٦/ - ١٣٠ (٢) انظر الفهرست : ٥٩ - ٩٥

(٣) الجمع : ٢١١/٢ (٤) انظر القواعد النحوية : ١٠١

(٥) انظر نشأة النحو : محمد طبطاوي : ٩٧ ، ٩٨ ط سنة ١٣٥٧ ، ١٩٣٨ م

(٦) انظر تقديم الخصائص ط ص ٤٤ ط دار الكتب (٧) الإمتاع : ١/١٣١

البصريين ، قال : « وكننت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على أصحابنا »^(١) .
(٣) وترى أبا علي يقول - مثلاً - قياس أصحابنا كذا ، وقياس البغداديين كذا^(٢) .
(٤) وعقد ابن جنى - تلميذ أبي علي - باباً في أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل
المدر^(٣) . وغرضه من ذلك التذحح في الكوفيين^(٤) .
ثانياً : وأما السمات العامة للذهب البصرى وصداها في كتب أبي علي فمنها :

(١) انه يعتد بالكثرة ويعدها من أسباب قوة القراءة^(٥) .
(٢) ثم هو لا يقيس على الشاذ^(٦) . ولا يعتد بالقليل^(٧) . قال : ترك القياس
على القليل أولى من القياس عليه لقلة ذلك ، وخروجه مع قلته على القياس ،
ولإذا جاء الشيء خارجاً عن قياس الجمهور والكثرة في جنس لم يبلغ أن
يتجاوز به ذلك الجنس^(٨) . ، ومن هذا يرتضى أبو علي ما كان أقوى
في القياس ، وأشيع في الاستعمال^(٩) . ويرفض ما ليس بالمتسع في الاستعمال
ولا المتسجه في القياس^(١٠) .

(٣) يضاف إلى ذلك موقفه الذي شذذ فيه بعض القراءات العربية عن ابن عامر
أو حمزة مثلاً . وذلك ما يتفق فيه مع نزعة البصريين على وجه العموم .

ثالثاً : وأما المقارنة بين رأى أبي علي ورأى البصريين والكوفيين فهي كذلك
تهدى إلى نزعة أبي علي البصرية ، فمن المسائل التي رأى فيها أبو علي رأى
البصريين ، واحتج لهم ما يأتي :

(١) الشيطان فيعال من شطن مثل البيطار^(١١) .
(٢) تصويب إيه بالكسر من غير تنوين في قول ذى الرمة :
وقفنا ، فقلنا إيه عن أم مالك^(١٢) وما بال تكليم الديار البلاع^(١٣)
(٣) الحال لا تتقدم على العامل إذا كان معنى^(١٤) ، والكوفيون لا يجيزون تقديم

- (١) معجم الأدباء : ٢٥٦/٧ (٢) الشيرازيات : ١٤١
(٣) انظر الخصائص : ٤٠٥/١ (٤) الاقتراح : ٣٢
(٥) الحجة : ٣٨/٢ من البلدية (٦) انظر البغداديات لوحة ٢٥
(٧) انظر الحجة : ١١١/١ (٨) انظر الحجة : ١٥/٣-٢٠ من البلدية
(٩) انظر الحجة : ٦٨/١ من مراد ملا
(١٠) الحجة : ١٢٨/١ (١١) الحجة : ٣١٤/١ من مراد ملا
(١٢) معجم الأدباء : ٢٣٤/٨ وانظر شرح السيرافي للكتاب : ١٠٨/١
(١٣) شرح السيرافي للكتاب : ١٠٨/١ (١٤) الحجة : ١٦٠/١ والانصاف : ١٥٨/١

الحال على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر نحو راكباً جاء زيد ، ويجوزونه مع المضمر راكباً جئت . وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر .

وقد بينت في حديثي عن كتاب الإيضاح مذهب أبي على البصرى وظهوره في ذلك الكتاب (١) ومن هنا كان أبو على بصرياً ما في ذلك شك ، وقد ارتفع أبو على عن طبقة المعاصرة إلى طبقة القدامى من النحويين الأولين ، فهو لا يضع نفسه في الطبقة التي وضعه فيها الزبيدي ، حقيقة هو من أصحاب ابن السراج من حيث الزمن والتلقي ، ولكنه ينزع إلى تقدير الخليل وسيبويه والأخفش ، فتراه في الأعم الأغلب يدور في فلك هؤلاء النحاة ، ويقول بأرائهم . وربما خالفهم في الأقل الأندر (٢) . ثم يرمى باعتراضاته من جاء بعدهم من النحاة بصريين كانوا أو كوفيين .

ويعد كتابه الاغفال مخالفة صريحة لآراء الزجاج في مسائل نحوية تتصل بكتاب سيبويه ، وفهمها الزجاج على وجه ، وفهمها أبو على وجه آخر ، وانتصر فيها لسيبويه في الأغلب الأعم . كذلك نراه يستدرك على أبي بكر بن السراج في الاحتجاج .

وقد بينت في مواضع مختلفات من هذا البحث موقف أبي على من المبرد ، وعلت لذلك ، هذا ومساائله المختلفة - ولا سيما البصريات - تلقى ضوءاً عن موقفه من الكسائي ، والفراء ، وأحمد بن يحيى ، كما تدل على علمه بأرائهم وتقويمها . والطابع العام في موقفه مع المبرد التخالف ، وقد يتفق معه القليل (٣) . ، واتفق في بعض ما ذهب إليه مع الكوفيين (٤) . وهو في توافقه وتخالفه يصدر عن اقتناع مؤيد بالحجة ، ويقين مدعوم بالبراهين ، وذلك كله ينتهي بي إلى القول بأن أبا على في زمنه كان إماماً بصرياً مستقلاً بأرائه في النحو ، وشيخاً لمدرسة قائمة بذاتها تلاميذها

(١) راجع الإيضاح في الصفحات الآتية ١٢، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٦٣، ٧١

(٢) انظر مثلاً المصم : ٧/١

(٣) انظر أمثلة لذلك في المنى ٢١/٢ والمصم ٧٥/١ ، ٧٧ ، ١٩٥/٢

(٤) انظر مثلاً الشيرازيات : ٤١ والمنى ٦١/١ ، ٦٢ ، ١٠٥ ، والمصم ٢١/٢ وشرح

الأصموني : ١٨٧/٢

أنصاره يقولون بقوله ، ويستعينون بكلامه ، ومن هنا يؤلف ابن جنى اللمع يجمعه من كلام شيخه أبي علي ، ويشرح أبو طالب العبدى الإيضاح فقالوا ، إنه شرح كلام أبي علي بكلام أبي علي^(١) ، ويتفق مع أبي علي كثير من تلاميذه في كثير من المسائل النحوية^(٢)

وهذا كله يفسر لنا قول صاحب البدائع : « لا يجوز اخمار حرف العطف خلافاً للفارسي ومن تبعه^(٣) . أو قول ابن هشام : « حيث تقع مفعولاً به وفاقاً للفارسي^(٤) ، ما ورد في معجم الأدباء : من أن فلاناً النحوي لقي ببغداد أصحاب أبي علي^(٥) . إلى غير ذلك من الأقوال التي تشير إلى تفرد صاحبه بالرأى ، وإماميته فيه .

أبو علي والشعر

حدث علم الدين — أبو علي محمد القاسم بن أحمد الأندلسي قال : « وجدت في مسائل نحوية تنسب إلى ابن جنى قال : « لم أسمع لأبي علي شعراً قط ، إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء ، فجرى ذكر الشعر ، فقال أبو علي أني لأغبطكم على قول هذا الشعر ، فان خاطرى لا يواتيني على قوله ، مع تحقيقي للعلوم التي هي من مواده فقال له ذلك الرجل : فما قلت قط شيئاً منه ألبتة ؟ فقال ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب وهي قوله :

وخضب الشيب أولى أن يعابا	خضبت الشيب لما كان عيبا
ولا عيباً خشيت ، ولا عتابا	ولم أخضب ؛ مخافة هجرٍ خلّ
فصيرت الخضاب له عقابا ^(٦)	ولكن المشيب بدا ذمياً

ويستنبط من هذا النص ما يأتي :

-
- (١) انباه الرواة : ٣٨٧/٢
 - (٢) انظر مثلاً اللمع ١/٣٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ١٢٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٠٢ ، ٨٥ والمغني : ١/٣٧ في اتفاق ابن جنى معه وانظر ٢/٨٩ في اتفاق الربيعي مثلاً
 - (٣) بدائع الفوائد ٢٠٩ (٤) مغني ١/١١٤
 - (٥) معجم الأدباء ١٧/٥ ، ٢٠
 - (٦) معجم الأدباء : ٧/٢٠١ ، ٢٥٢

أولاً: أن أبا على لم يرزق حظاً من الطبع الذى هو ملاك قول الشعر ، والذى بدونه لا تغنى مواده شيئاً .

ثانياً: انه لم يقل هذه الأبيات الثلاثة إلا بأخرة من زمنه ، بدليل أنه قالها فى المشيب ما لم يكن قالها تفصيحاً ومحاكاة لغيره فى الموضوع .

ثالثاً: أنه فى هذه الأبيات ينزع ذلك النزوع العقلى الذى عرف عنه ، واشتهر به ، فالتعليل يبدو واضحاً فى كل بيت من الأبيات الثلاثة :

(أ) فى الأول منها القول بالأولى والأجدر .

(ب) وفى البيتين الآخرين تقلاب الامر على وجوهه ، ثم ترجيح وجه منها . فكأنه فى هذه الأبيات الثلاثة أمام مسألة نحوية يدل على رأيه فيها مستعيناً بمناهج البحث المنطقي .

ويبدو أن أبا على — بالرغم من كثرة حفظه للشعار — كان لا ينظر إلى الشعر على أنه وسيلة من وسائل التذوق الأدبي والاستمتاع الفنى ، فهو إن نظر فى بيت نظر إليه من حيث الافادة اللغوية ، أو الصناعة النحوية ، يفتش فيه عن لفظ أو يبحث فيه عن شاهد من شواهد النحو يضيفه إلى هذه الشواهد التى رواها الأئمة السابقون ، أو يستنتج منه دليلاً على رأى يراه ، ومن الدلائل عندى على أنه كان ينظر إلى الشعر هذه النظرة : نظرة النحوى المستشهد ، لا نظرة الأديب المستمتع ما جاء فى البصريات من قوله : مما أصبت مما أعمل فيه الثانى قول كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة مطول معنى غريمها
أعمل الثانى وهو : فوفى^(١) .

وما رواه ابن جنى فى مشابهة معانى الإعراب معانى الشعر ، وأن الذى نبه إليه أبو على وضرب لذلك أمثلة منها : قولهم فى (لا) النافية للتكثرة أنها تبني معها فتصير كجزء واحد من الاسم نحو : لا رجل فى الدار ، ولا بأس عليك ، وأنشد أبو على فى هذا المعنى

خيطة على زفرة ، قتم ولم يرجع إلى دقة ، ولا هضم^(٢)

(١) البصريات ٦٨ (٢) الخصائص : ٥٦٠/١ وانظر هناك شرح البيت*

(*) والزفرة : وسط الفرس يقال : إنه لعظيم الزفرة ، وبميرض فور شديد تلاحم المفاصل ، =

وكان إذا أوجبت القسمة عنده أمرين كل واحد منهما غير جائز^(١). (كقولهم أنهم لا يبنون من ضرب وعلم وما كانت عينه لأمّاً أو راه مثل غسل، قالوا: ولانا نصير به إلى ضرب وعلم، فان أدغمتنا ألبس بفعل، وان أظهرنا النون قبل الراء واللام ثقلت، فتركنا بناءه أصلاً^(٢)). — يقول فيه قسمة الأعشى:

فاختر وما فيهما حظ لمختار،^(٣)

وقد عرف ابن جنى — وهو التليذ الأول هذه النزعة عند أبي علي، قالوا: كان أبو علي الفارسي بشيراز، وكان يمر المتنبي إلى دار عضد الدولة على دار أبي علي الفارسي، فكان إذا مر به أبو الطيب يستثقله على قبح زيه، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء.

وكان لابن جنى هوى في أبي الطيب، كثير الإعجاب بشعره، لا يبالي بأحد يذمه، أو يحبط منه، وكان يسوؤه أطناب أبي علي في ذمه، وانفق أن قال أبو علي يوماً: اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحت فيه، فبدأ ابن جنى وأنشد:

حلت دون المزار فالיום لوزر
ت لحال التحول دون العناق
فاستحسنه أبو علي واستعاده وقال: «لمن هذا البيت؛ فانه غريب المعنى، فقال ابن جنى: «للذئ يقول»:

أزورهم، وسواد الليل يشفع لي
وأثنى، وبياض الصبح يغري بي
فقال ولأن هذا حسن بديع جداً فلن هذا؟ قال: للذئ يقول:

أمضى إرادته؛ فسوف له قد
واستقرب الأقصى، فثم له هنا

فكثر إعجاب أبي علي، واستغرب معناه، وقال لمن هذا؟ فقال ابن جنى للذئ يقول:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر، كوضع السيف في موضع الندى

== ويقال للفرس إنه لعظم الزفرة أى عظم الجوف، وقال الجمدى: خبط على زفرة... يقول: كأنه زافر أبدأ من عظم جوفه، فكأنه زفر فخط على ذلك. انظر لسان العرب. مادة زفر

(١) الخصائص: ١/٦١٠

(٢) الخصائص: ١/٦٨٠

فقال : « وهذا أحسن والله ! لقد أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ قال : « هو الذى لا يزال الشيخ يستثقله ، ويستقبح زيه وفعله ، وما علينا من القشور إذا استقام اللب ! » قال أبو علي : « أظنك تعنى المتنبي ! » قلت نعم قال : والله لقد حببته لى ، ونهض ودخل إلى عضد الدولة ، فأطال فى الثناء على أبي الطيب ولما اجتاز به استنزله واستنشده ، وكتب عنه أبياتاً (١) .

ومن المهم هنا أن أشير إلى ما سلكه ابن جنى من لطف المدخل ، وحسن التأتى ! فقد عرض أبياتاً على الشيخ أبي علي قصد إلها عامداً ؛ لأنها من ذلك النوع الذى يتأثر به الفارسى ، وينترع منه إعجاباً .

فالأبيات فى مجموعها تحتوى على مقابلات أحوال بأحوال فى صورة منطقية عامة : فهى حالت دون المزار فشغه الوجد حتى حال تحوله دون العناق ! وسواد الليل يشفع زائراً ، وبياض الصبح يغرى به منثياً ، ثم هذا البيت المملوء كلمات نحوية : سوف — قد — ثم — هنا ، والإشارة الدالة على معانيها ، واستغلال هذه المعانى ، فى تصوير ما أراد الشاعر من المدح بمضاه الإرادة ، وبعد الهمة ! .. ذلك منهج تفكير أبي علي النحوى المنطقي ، وقد كان ابن جنى ماهراً حين عرض هذه الأبيات لاسترضاء الشيخ دون سواها ، وقد مكنته هذه الصيغة الطويلة ، لأبي علي فى الحل والارتحال — إلى ذكائه — من تفهم نفسية أبي علي والغوص فى أعماقها ، والتعرف على خطواتها ، فقدم إليه المتنبي وأنزله من نفسه بأبيات مليئة بالأدوات النحوية ، قريبة من صنعة النحاة ، وصنعة أبي علي بوجه خاص . وكان لابن جنى مندوحوه عن هذا الشعر المصنوع بشعر المتنبي المطبوع ، ولكنها نزعة أبي علي عرفها ابن جنى ، ودلف إلى شيحة منها ، فكان أثرها فى إقبال الشيخ على المتنبي ذلك الإقبال الذى يرويه المؤرخون .

ومن هنا أرى فى هذه النزعة غير ما رأى الدكتور إبراهيم سلامة ، فى قوله على التعميم : « بل كانوا — أى النحاة — أديباً ومشتغلين بالأدب فى الأقل ، لأن الأدب مادة علمهم ، والمقياس الذى يرجعون إليه إذا اختلط عليهم الأمر (٢) » . فلم يكن نظر الكثير منهم فى الأدب اشتغالا به ؛ بل كانوا — أو على الأقل أبو علي

(١) الصبح المنبى على هامش العكبى : ١ / ١٠٦

(٢) محاضرات فى البلاغة والنقد : ٢٠

خاصة — نحاة اشتغلوا بالنحو ومسائله وتعليقاته إذا ما نظروا إلى الأدب، أو اتصلوا به على الوجه الذى سبق به البيان .

ومهما يكن من أمر فإن لأبى على نظراء من النحاة تخلفوا فى قول الشعر، فلم يؤثر مثلاً — عن شيخه الأول سيوييه — قرص الشعر، كذلك لم يؤثر شيء من ذلك عن الكسائى والقراء (١) . كذلك كان المبرد متخلفاً فى قول الشعر، وكان لا ينتحل ذلك، ولا يعتزى إليه، ولا يرسم نفسه به— وإن رويت له الأشعار (٢)، وكان له تذوق فنى، وكان للجوهري شعر العلماء لا شعر مفلقى الشعراء (٣)، وقد شاع بين الناس تأخر النحاة فى الشعر، وبرودته منهم، قالوا: « وللحسن بن بندار أبى محمد التفليسى شعر عليه تكلف وبرد كشعر النحاة (٤) » .

نثر أبى على

وأنتقل بعد ذلك إلى التحدث عن نثر أبى على، ولا أريد هنا أن أتحدث عن نثره العلمى؛ فلذلك مكانه المقسوم من هذا البحث عند الحديث عن أسلوبه فى كتبه المختلفة، ولكن أريد التحدث عن نثره الفنى، وبيان ما يمكن أن يكون له من خصائص فيما ترك لنا من هذا القبيل، ونجد لأبى على من ذلك:

- (أ) مقدمات كتبه: الإيضاح، والتكلمة، والحجة .
- (ب) ثم كتابه إلى سيف الدولة، وقد ورد فى الحلبيات من مسأله .
- (ج) ثم شرحه للأبيات التى تعرض لشرحها .
- (د) وأخيراً مكاتباته إلى الصاحب بن عباد .

(١) ومقدمات كتب أبى على قصيرة، بل إن بعضها خلا من المقدمات كالمسائل على وجه العموم، وأرى أن السبب فى ذلك قصر باع الرجل فى النثر الفنى، فهو لا يود أن يطيل؛ لأنه لا طاقة له بالفن، ولا قدرة عنده عليه . ولو رجعت إلى مقدمة الإيضاح ثم إلى مقدمة التكلمة لوجدته يقول فى الإيضاح:

(١) طبقات النحويين للزبيدي: ١٢٢

(٢) انظر طبقات النحويين: ١١٢

(٣) بئيمة الدهر: ٢٨١/٤ (٤) انباه الرواة: ٢٩٠/١

بسم الله الرحمن الرحيم أما على أثر ذلك — (أطال الله بقاء الملك الجليل عضد الدولة، وأدام عزه، وتمكينه، وأسبغ عليه طوله وفضله) — ، فإن جمعت في هذا الكتاب أبواباً من العربية متحريراً في جمعها على ما ورد به أمره (أعلاه الله) فإن وافق اجتهادى مارسم فذاك يمين تقبيته، وحسن تنبيهه وهدايته، وإن قصر إدراك عبده عما وجدته مولانا (أدام الله لإرشاده ورشده) رجوت أن يسعني صفحه، لعله بأن الخطأ بعد التحرى موضوع عن المخطئ^(١).

ويقول في تقديم التكملة: « الحمد لله رب العالمين الذى جعل حمده فاتحة كتابه وخاتمة دعوى أوليائه فى جنته؛ فقال تعالى: « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى أنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وإياه نسأل وإليه نرغب فى إيزاع الشكر، وإلهام الحمد على ما منح الانام، وشمل الخاص والعام من النعمة بالملك العادل عضد الدولة (أطال الله بقاءه، وأسبغ عليه نعماءه) كما أفاض فى البلاد عدله، وأوسع العباد فضله، وبث فيهم عرفه وطوله، وقبض عنهم الآراء الجائرة، وكف عنهم الأيدي العاشمة، حتى ما تجد إلا فقيراً مجبوراً، وغنياً موفوراً، فىلى الله عز وجل نبتل فى امتاعه بما خوله، وخول به من هذه النعم، وإبقائه عماداً للدين، وجمالاً للدنيا، انه سميع الدعاء، فعال لما يشاء^(٢).

وليس فى مقدمة الحجة شىء يستحق التعليق؛ لأنها لاتتجاوز حمد الله والصلاة على خاتم أنبيائه، والدعاء لعضد الدولة، وبيان الداعى لتأليف الكتاب فى أسطر لا تزيد عن خمسة عشر سطراً، وهى بعد جارية على نمط مقدمتى الايضاح والتكملة وواضح من هذه المقدمات:

١ — التذلل والخضوع، ولم يكن أبو عى فى ذلك وحيداً؛ فقد كانت هذه سمة الكتاب فى هذا العصر.

٢ — كثرة الاعتراضات بالجلل الدعائية.

٣ — الصناعة النحوية البادية فى أسلوبه؛ كقوله: «أما على أثر ذلك، وهو تحليل لقول غيره «أما بعد».

٤ — الصناعة الصرفية البادية فى قوله: «إيزاع الشكر، وإلهام الحمد».

(١) الايضاح: نحو ١١٢٠

(٢) التكملة ص ٦٤ من الايضاح نحو ١٠٠٦

٥ - التقديم الذى يشعر بالاختصاص : إياه نسال - إليه نرغب ، إلى الله عز وجل نبتهل .

٦ - النزعة المنطقية : كالقياس فى قوله : (أطال الله بقاءه) كما أفاض فى البلاد عدله . . .) .

٧ - الهروب من بذل الجهد الفنى بالالتجاء إلى الاقتباس من القرآن الكريم (جعل حمده فاتحة كتابه ، وخاتمة دعوى أوليائه فى جنته فقال تعالى : وآخر دعواهم . . .)

٨ - وقوله : « حتى ما تجد إلا فقيراً مجبوراً ، وغنياً موفوراً ، مأثور عن بعض السابقين وقد سأله خليفة : كيف وجدت الرعية ؟ .

٩ - المزوجة حيناً ، والسجع غير الملتزم حيناً .

١٠ - ظهور ثقافته الشرعية فى نحو قوله : « الخطأ بعد التحرى موضوع عن المخطيء وهو أصل تعبدى قهيبى .

(ب) أما كتابه إلى سيف الدولة الوارد بالجليات^(١) . فيبدو فيه كذلك الخضوع والتزلف ، كما يبدو فيه الضعف والتكلف ، إلى ما فيه من الغموض والابهام ، وأنه لا يستطيع أن يقيم سطراً دون أن يتعثر أو يصيبه البهر ، فلا يستطيع البيان ، والكتاب رد على ابن خالويه فى مسائل نحوية ، ومن هنا لا يهمننا منه إلا مقدمته وخاتمته ؛ لأنه فى هاتين لا يتحدث فى هذه المسائل ، وإنما يقدم ما نحن بسبيله ، وما يمكن أن يكون مادة للحكم على نثره : قال فى صدر الكتاب :

« قرأ (أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة) - عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به ، لاسيما مع مثل صاحب الرقعة ...

فانظر كم تكررت كلمة سيدنا فى هذين السطرين ؟

ثم كم تكررت كلمة العبد ؟

وكيف دل التكرار على ضعف الأسلوب والخنوع حيث جاء مهلهلاً لا يبدو

فيه التماسك ؟

ثم اقرأ قوله في آخر هذا الكتاب يرد على ابن خالويه وقد هاجمه بأن أحدا لا يعرف ما يقول : وليس في الرقعة التي وصلت إلى عبد سيدنا شيء حكمه أن يتكلم عليه، وآخرها حرف لم يبعد فيه وهو قوله : وليس يعرف أحدا ما يقول فكيف ينقضه؟ وما يصدق هذا أن رقعة من ثلاث رقاع وردت حضرة سيدنا الأمير سيف الدولة (أطال الله بقاءه) فما ذكره فيها قول الشاعر :

« قالت الاليت ما (كذا) هذا الحمام لنا ،

وتعاطى تفسير الرفع والنصب في الحمام فقال : « ومن رفع الحمام جعله خبر ليت ، وهذا (أطال الله بقاء سيدنا) من العويص الذي يفهمه أحد ، ولا يعرفه ولا ينقضه ولا يبرمه ، وقد نفذ جواب عبد سيدنا في ذلك على الوجه الذي يعرف (١) .

وهو هنا يضعف ويدل لسيف الدولة بمقدار ما يهجم ويعنف مع ابن خالويه إلى جانب هذه السمات التي لا تختلف عما سبق به البيان .

(ح) أما شرحه لبعض الأبيات التي استشهد بها ، فهو شرح قائم على الصنعة الإعرابية (٢) . وقد أدى ذلك إلى إخلاله بالأداء الفني في التعبير ، فالتطبيق النحوي عنده في المحل الأول ، ولا شيء يهيم به بعد ذلك : اقرأ مثلا - شرحه للبيت :

(فلك بالليط الذي تحت قشرها كغرقى بيض كنه القميص من عل)

قال أبو علي : ينبغي أن يكون موضع الذي نصبا بأنه مفعول به ملك ، ولا يكون جراً على أنه وصف لليط ؛ لأن الليط فوق القلب ليس تحته ، والمعنى : ملك بالقشر الذي فوق القلب الذي تحت القشر ؛ ليصون القشر القلب فلا ينشق (٣) .

وهو هنا يعطينا نموذجاً لأسلوبه ، وهو أسلوب تبدو عليه الصنعة الإعرابية والتزام الترتيب النحوي في حل البيت ، وإظهار الأسماء ، ووضعها مكان الضمائر ، ولو أدى ذلك إلى تكرار يوهن الأسلوب .

(١) الحليبات ورقة : ٢٨ (٢) إنباه الرواة : ١١٩/٢ تتحكم هذه الصنعة حتى في حديثه الدارج : انظر قوله إلى عبد الله الأندلسي لما أراد صرفه : إلى كم تتبعني ؟ والله إن علو وجه الأرض أعنى منك كيف أجاب القسم ؟ وكيف وضع (إن) موضع (ما) ؟ .
(٣) الحجية : ١٠/١

(د) وقد كتب أبو علي إلى الصاحب بن عباد؛ ذلك ما يفهمه قول الصاحب :
وللشيخ (أيده الله) بكتابه الوارد^(١) . ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا
بما كتب أبو علي ، ولعل عدم احتفاظه بذلك لأنه لم يكن مما يستحق أن
يروى أو يحتفظ به . وهل يفهم قول الصاحب لابن علي : والشيخ (أدام
الله عزه) يقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى
الشطاط^(٢) . هل يفهم قوله هذا — ما استظهرته آنفاً من أن أبا علي كان يلتزم
الافلال فيما يكتب من نثر؛ لأنه لا طاقة له بالاطالة فيه ؟ أرجح ذلك .
وبعد : فان بعد أبي علي من صناعتي النثر والنظم يؤكد قول أبي حيان :
و أكثر أئمة العربية بمعزل عن التصرف في الفصاحة ، والتفنن في البلاغة
أن ترى نحوياً بارعاً في النظم والنثر^(٣)

وهذا أبو سعيد السيرافي — وهو هو — لم يستطع أن يقيم كتاباً للصيمري
يرد به علي ابن العميد في خبر مفيد طريف يرويه أبو حيان في الإمتاع^(٤) .
ومما سبق يتضح ما كان يراد من قولهم مثلاً : « إن أبا القاسم بن جرو الأسدي
أخذ الأدب عن الشيخ أبي علي الفارسي^(٥) . . . فالمراد ما كان يشيع عند أبي علي من
ثقافة عربية شاملة في اللغة والنحو^(٦) ، والصرف ، والعروض ، وتوجيه القراءات ،
والشعر ، ورواية الأخبار . . . ولا يفهم منها — بناء على ما سبق — التعرض
لهذه الآثار المروية ، والاشعار بالتذوق الأدبي ، أو النقد بأسلوب يمت إلى الأساليب
الأدبية كما يصطنعه أرباب البلاغة والبيان .

(١) معجم الأدباء : ٢٤١/٧

(٢) بئمة الدهر : ٢٧١/٤ ومعجم الأدباء ٢٥٠/٧

(٣) البحر المحيط : ٩١ (٤) انظر الامتاع : ١٣٢/١ وما بعدها

(٥) بنية الوعاة : ٣٢٠ (٦) انظر نزعة الألباء : ٦١

« شيوخ أبي علي »

لأبي علي ضربان من الشيوخ : ضرب عاصره ، وأخذ منه ، وتلقى عنه ، وضرب لم يعاصره ، ولكنه اعتمد على كتبه وأقواله ، فجعلها مصادره : استقى منها ، واعتد بها .

والضرب الأول هو الذي يذكره المؤرخون والمترجمون ، فينصّون على أنه تلميذ للزجاج^(١) ، وابن السراج^(٢) ، وابن الخياط^(٣) ، وابن دريد^(٤) ، وابن مجاهد^(٥) ، ومبرمان^(٦) ولم أر واحداً يتحدث عن تلميذ أبي علي للأخفش : علي بن سليمان^(٧) مع أنه عاصره ، والتقى به ، وأخذ منه ، وحدث عنه .

كذلك لم أرهم يتحدثون عن غير ابن مجاهد من شيوخه اقرء وهم كثير . أما الضرب الآخر الذي لم يعاصره أبو علي فيمثله كثير من الشيوخ أخصمهم . . أبو زيد — وسيبويه والأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة .

وسأحدث عن الضريين ، وأبين مدى تأثير أبي علي بكل — في تفصيل :

(١) أبو اسحق إبراهيم بن السري الزجاج^(٨) :

تعرض أبو علي للزجاج وذكر أنه أحد شيوخه عند الحديث على إعراب قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »^(٩) وتعرض له من غير تصريح باسمه في الكلام على «مهما»^(١٠) ولم يكن الزجاج في أول الأمر من المشتغلين بالعلم ؛ وإنما كان يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، ولزم المبرد^(١١) وصار أقدم أصحابه قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه^(١٢) . وقد ارتفعت منزلة الزجاج في الحياة الاجتماعية ، وبلغ مكانة عند الخلفاء حتى نادى المكتفي^(١٣) ، والمعتضد^(١٤) . وقد كان الزجاج من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد^(١٥)

(١) ت ٣١١ هـ (٢) ت ٣١٦ هـ (٣) ت ٣٢٠ هـ

(٤) ت ٣٢١ هـ (٥) ت ٣٢٤ هـ (٦) ت ٣٤٥ هـ

(٧) ت ٣١٥ هـ (٨) ت ٣١١ وقيل ٣١٦ هـ (٩) الحجّة : ١/١٨٥

(١٠) البغداديات : ٢٨، ٢٧ (١١) بقية الوفاة : ١٧٩ (١٢) الفهرست : ٩٠

(١٣) طبقات الزبيدي ١٢١ (١٤) إنباه الرواة : ١/١٦٤

(١٥) إنباه الرواة : ١/١٦٤

وتجلى عقيدته عندما ذكر اسم الله فقال : « أكره أن أذكر ما قاله النحويون في هذا الاسم تنزيهاً »^(١).

والزجاج صاحب اختيار في النحو والعروض^(٢) كما عرف بنظرية الاشتقاق التي زعم فيها أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وإن نقص حروف أحدهما عن حروف الأخرى ، فإن إحدهما مشتقة من الأخرى^(٣).

والزجاج المذكور بكتابه معاني القرآن^(٤) وله كتب أخرى ذكرها بن النديم^(٥)، منها كتاب الاشتقاق ، وكتاب القوافي ، وكتاب العروض ، وله كذلك مختصر نحو ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف^(٦).

وقد ذكر الزبيدي أن أبا إسحق كان يقول بالعلم والنظر^(٧).

أما مدى تأثير أبي علي بشيخه أبي إسحق فقد رأيت يروى ما أخبره به الشيخ في اللغويات^(٨)، ويتعرض له في الإعراب^(٩)، وإذا كان أبو إسحق يقول بالعلم والنظر فإن أبا علي برع في ذلك ، وربما كان من منابع براعته اتجاه شيخه الزجاج ، وقد عقدت في هذا البحث دراسة مقارنة بين الشيخ وتلميذه في الاحتجاج . وقد سمع أبو علي من شيخه كتابه في معاني القرآن^(١٠) وقد كان معاني القرآن مثار نشاط فكري : أبو علي يصلح عليه مسائل في كتابه الذي سماه^(١١) الاغفال أو المسائل المصلحة ثم يرد ابن خالويه على كتاب الاغفال ، فيؤلف أبو علي نقض الهاذور في الرد على ابن خالويه ، وكان أبو علي قوى الهجوم على شيخه : يصفه بالسهب في الحكاية والغلط^(١٢)، والخطأ^(١٣)، أو يصف كلامه بأنه فاسد^(١٤)، وليس بالجميل^(١٥)، وحيناً ينصفه^(١٦)، وقد تناوأت ذلك بالتفصيل عند الحديث على كتاب الاغفال، وقد روى

-
- | | |
|---|---|
| (١) الاغفال : ٢ | (٢) نزهة الأبناء : ١٦٦ |
| (٣) معجم الأدياء : ١٤٥/١ | (٤) انباه الرواة : ١٥٩ |
| (٥) فهرست / ٦١ | (٦) محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٤١ نحو |
| (٧) طبقات : ١١٩ | |
| (٨) انظر مثلا العسكريات : ١٣٣ والحجة : ٢٨٦/١ مراد ملا | |
| (٩) انظر الحجة : ١٨٥/١ | (١٠) الاغفال : ٢ |
| (١١) انظر إقليد الحزاة : ٦٢ ، ١٢٥ | (١٢) الاغفال : ٢ رقم ٨٧٥ تفسير |
| (١٣) ٤٤٢ - ٤٤٣ | (١٤) ٣١ |
| (١٥) ٤٨ | (١٦) انظر ص ٦١ |

أبو علي عن شيخه كتابه ، الإبانة والتفيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم (١) .
ويعد أبو اسحق الزجاج طريق أبي علي إلى المازني (٢) .

(٢) الأخفش الصغيرت ٥٣١٥ :

وهو أبو الحسن علي بن سليمان ، قرأ على ثعلب والمبرد (٣) ، ويختلف المترجمون في تقديره : فهو عند أبي البركات الانباري من أفاضل علماء العربية (٤) ، وهو عند المرزباتي : « لم يكن بالموسع في الرواية في الاخبار والعلم بالنحو » (٥) ، وكان إذا سأل عن مسائل النحو ضجر ، وانتهر كثيراً من يواصل مسأله ويتابعها (٦) ، علي حين يقرر ابن النديم في الفهرست أن علي بن سليمان كان حافظاً للاخبار (٧) .

وكان علي بن سليمان مولعاً باعتراض ابن الرومي بما يتطير به ، فشق ذلك على ابن الرومي فهجاه وأقذع ، واستعمل الأخفش حفظ هجائه ، وأملاه فيما يلي من الاخبار والشعار على أصحابه ، فلما رأى ابن الرومي أن الأخفش لا يألم لهجائه أقصر عنه (٨) .

ويبدو أن أبا علي اتفح بالجانب الذي برع فيه علي بن سليمان ؛ وهو رواية الاخبار ، فالفارسي يروي عنه بسنده قصيدة يزيد بن الحكم الثقفى لأخيه من أبيه وأمه عبد ربه (٩) ، وينص في الإيضاح على أنه أنشده (١٠) ، ويستثبته في آراء شيخه ثعلب (١١) واستعانة أبي علي بالأخفش الصغير لم تبلغ مبلغ استعانته بالأخفش الأوسط على أية حال .

-
- (١) انظر المخطوطة رقم ٦٧ نحوش دار الكتب الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة والرسالة في المجموعة الثالثة وقد ذكر فهرس المحفوظات المصورة بالأمانة العامة أن الرسالة للزجاجي ت ٣٧٧ هـ
(٢) انظر البغداديات ٣٢٠، ٣٢٩
(٣) بشية الوعاة : ٣٣٨ (٤) نزهة الألباء : ١٦٨
(٥) معجم الأدياء : ٢٤٧/١٣ وبشية الوعاة : ٣٣٨
(٦) المصدر السابق وانظر الفهرست لابن النديم ١٣٧
(٧) الفهرست : ١٢٣ (٨) طبقات الزبيدي : ١٢٦
(٩) البصريات : ٥٧ (١٠) الايضاح : ٣٩
(١١) الحجة : ٢٢٦/١ من البلدية

(٣) أبو بكر محمد بن السرى البغدادى ابن السراج ت ٥٣١٦ هـ :

ومن أشياخ أبي علي محمد بن السرى بن السراج صاحب الكتب المفيدة فى النحو ، منها كتاب الاصول ، جمع فيه أصول العربية ، وأخذ مسائل سيويه ، ورتبها أحسن ترتيب^(١) ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه^(٢) ، وكتاب الاصول غاية فى الشرف ، والفائدة^(٣) ولا بن السراج كتاب فى مختصر النحو أختصر فيه أصول العربية ، وجمع مقاييسها^(٤) .

وكان ابن السراج من أحدث غلمان المبرد سناً مع ذكائه وفطنته ، وقد انتهت إليه الرياسة بعد موت الزجاج^(٥) ، نظر فى دقائق سيويه وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين فى مسائل كثيرة ، ويقال د ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله^(٦) وابن السراج هو الذى احتج للقراءات التى ذكرها ابن مجاهد ، وكانت بينهما صحبه^(٧) ، وقفى قفوه أبو علي الفارسي ، على النحو الذى تعرضت له عند حديث الموازنة بين الرجلين فى الاحتجاج .

وكان (رحمه الله) يعرف قدر المتقدمين عليه ، والذين سبقوه بمن اشتغلوا بالعلم^(٨) ، وقد أخذ أبو علي عن ابن السراج كتاب سيويه^(٩) .

وهما نحن أولاء نرى مقدار الأثر الكبير الذى تركه ابن السراج فى نفس أبى ، فجمعه المقاييس ، ونظره فى دقائق الكتاب ، وتعويله على مسائل الأخفش واحتجاجة للقراءات ، ومعرفته فضل المتقدمين ، كل أولئك بعض ما كان لابن السراج من آثار عند الفارسي . وقد أخبره أبو بكر بن السراج بمذاهب الكوفيين ، ومن هنا يعتمد عليه أبو علي فى تفسير مصطلحاتهم^(١٠) .

وقد رأيت أبا علي يحتفل فى مسائله بابن السراج : يسأله مستقهماً^(١١) .

(١) تزهة الألباء : ٦٩ (٢) معجم الأدباء : ١٨ / ٢٠٠

(٣) طبقات الزبيدي : ١٢٢ (٤) طبقات الزبيدي : ١٢٢

(٥) الفهرست : ٩٢ (٦) معجم الأدباء : ١٨ / ١٩٨

(٧) انظر تزهة الألباء : ١٦٨ (٨) انظر معجم الأدباء : ١٥ / ٢٠٠ - ١٢٠١

(٩) بشية الرواة : ٤٥ (١٠) انظر البغداديات : ٣٦

(١١) البغداديات : ٢١

ويورد قوله ويشرحه (١)، ويعقب عليه (٢)، ويقيس على كلامه (٣)، ويستأنس بما يمل عليه (٤)، وينقل تعريفه للاسم ويعلق عليه (٥)، ويدلل على رأيه ويعلمه (٦)، ويعتمد عليه في تقسيم الشاذ (٧) وينشد ما أنشده عن أبي العباس عن أبي عثمان (٨)، ويروي ما أنشده عن السكري عن هاشم (٩) — وكل ذلك في اعتداد وتوثيق.

(٤) أبو بكر بن الخياط ت ٣٢٠ هـ :

أما أبو بكر الخياط فهو محمد بن أحمد بن منصور، قدم بغداد، واجتمع مع إبراهيم ابن السري الزجاج، وجرى بينهما مناظرة، وكان يخلط المذهبين: نحو البصريين والكوفيين، اثنى عليه السيوطي، ذكر له صاحب الفهرست (١٠) النحو الكبير، ومعاني القرآن، والمقنع (١١). والموجز فهو بذلك مشارك في الدراسات النحوية والقرآنية جميعاً:

قرأ عليه أبو علي الفارسي، وكتب عنه شيئاً من علم العربية — رأى ذلك ياقوت بخط أبي علي (١٢).

وقد ادعى ابن خالويه على أبي علي الفارسي أنه قال بأن ابن الخياط لا يعرف شيئاً، فرد ذلك أبو علي في كتاب منه إلى سيف الدولة حيث قال:

وأما قوله: اني قلت أن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً فلفظ في الحكاية. كيف استجيز ذلك؟ وقد كتبت ابن الخياط في مجالس كثيرة، ولكني قلت: إنه لا لقاء له؛ لأنه دخل إلى بغداد، بعد موت محمد بن يزيد، وصادف أحمد بن يحيى، وقد صمَّ صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه، فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان

(١) البصريات : ٦٦

(٢) البصريات : ٦٨

(٣) البصريات : ٦٩

(٤) البصريات : ٧٤

(٥) المسكريات : ١٣٢

(٦) نفس المصدر

(٧) المسكريات : ١٣٤

(٨) المسكريات : ١٣٥

(٩) المسكريات : ١٣٧

(١٠) وانظر تهمة الألباء وبينة الوعاة : ١٢١

(١١) في البغية المتقن في النحو وهو تحريف انظر ص ١٩

(١٢) معجم الأدباء : ١٧/١٤٢ ، وانظر معجم الأدباء : ٧/٢٦١

يقوله (كذا والصواب يقول) فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه ، دون ما كان يقرأ عليه^(١) .

وفارق أبو علي أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعة التي توفي فيها ، ورجع أبو علي إلى بلاد فارس ثم عاد وقد توفي أبو بكر^(٢) . وقد اتى ابن جنى على كتب أبي بكر بحضرة أبي علي الفارسي قائلاً لو عاش لظهر من جهته علم كثير ، فقال أبو علي ، : نعم إلا أنه كان يطول كتبه^(٣) . . .

فإذا أردت التعرف على أثر ابن الخياط في أبي علي وجدته في مشاركته في الدراسات النحوية ، والقرآنية ، ومعرفته مذاهب الكوفيين والبصريين جميعاً ، وما كان عليه الرجل من علم كثير . وقد كتب ابن الخياط كثيراً من كتب أبي زيد^(٤) وسنرى مقدار ارتفاع أبي علي بابن الخياط ، وتأثره به في هذا الجانب^(٥) .

(٥) أبو بكر بن دريدت ٥٣٢١ :

وابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن (٢١٣ — ٥٢٢١ هـ) ، ولد بالبصرة ونشأ بعمان فأقام بها مدة ، ثم صار إلى جزيرة ابن عمارة^(٦) . فسكنها مدة ثم صار إلى فارس ففطنها ، ثم صار إلى بغداد^(٧) ، بعد أن أسن ، فأقام بها إلى آخر عمره^(٨) . فربما التقى به أبو علي في فارس ، وربما التقى به في بغداد .

وكان ابن دريد عالماً باللغة ، وأشعار العرب ، أخذ عن علماء البصريين ، وقرأ عليهم أخذ عن أبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الاصمعي^(٩) ، وهو مشهور بكتابه الجمهرة في علم اللغة^(١٠) ، ومقصودته^(١١) التي مدح بها الأمير أبا العباس الميكالي رئيس نيسابور^(١٢) .

ولذا كان كل من الزجاج ، وابن السراج ، وابن الخياط من أساتذة أبي علي المذكوراً

(١) معجم الأدباء : ١٤٥/١٧ (٢) معجم الأدباء : ٢٦١/٧

(٣) انظر معجم الأدباء : ٢٦٠/٧ (٤) المصدر السابق

(٥) انظر ص ١٢٨ من هذا الكتاب

(٦) في معجم الأدباء جزيرة ابن عمر : ١٢٨/١٨

(٧) الفهرست : ٩١ (٨) معجم الأدباء : ١٢٨/١٨

(٩) تزهة الألباء : ١٧٣ (١٠) الفهرست : ٩١

(١١) تزهة الألباء : ١٧٣ (١٢) معجم : ١٣١/١٨

بحميد الأخلاق ، وحسن العقيدة ؛ فان ابن دريد كان محباً للشراب والغناء، حتى كان يعلق العيدان والشراب المصنفي في بيته وقد جاوز التسعين (١) ، يلقاه الناس على كبر سنه — سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره (٢) ، وكان يتصدق بدينار الخمر قائلاً: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون » ، كما كانت تهدي إليه الدينان (٣) ، كما كان يتعلق بالوضوء من الغلبان (٤) .

وكان لا يمسك شيئاً يقع بيده (٥) . تصدر ابن دريد في العلم ستين سنة ، وقد مات . هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ، فقال الناس : « مات علم اللغة والكلام (٦) » .

فإذا تبينت آثار ابن دريد في الفارسي وجدته في العلم باللغة ، ورواية أشعار العرب ، وفي مسائل أبي علي — البصريات يظهر تأثير أبي علي بابن دريد واضحاً فهو يروي ما أنشد ابن دريد : « تقول عرسي وهي لي في عومرة . . . الخ ، ويشرح ألفاظ البيت بألفاظ ابن دريد ولا يزيد ، كذلك يروي ما قاله ابن دريد في الرحمان من غير تعليق (٧) » ، وقد روى شيئاً من كلامه (٨) . كما يروي عنه ما جرى بين الأصمعي والمفضل الضبي (٩) .

وربما تأثر أبو علي بشيء من شرب ابن دريد ومجاثته (١٠) .

(٦) أبو بكر بن مجاهد (ت ٥٢٢٤هـ) :

وأبو بكر بن مجاهد هو أحمد بن موسى آخر من انتهت إليه رئاسة القراءات والاقراء بمدينة السلام في عصره ، اجتمع في حاقته نحو ثلثمائة مصدر (١١) ، ذكره ابن النديم ، فأثنى عليه ، ووصفه بأوصاف حسنة من الفضل — والعلم ، والديانة

(١) نزهة الألباء : ١٧٤ وانظر معجم الأديباء : ١٨/١٣٠

(٢) معجم الأديباء : ١٨/١٣١ (٣) معجم الأديباء : ١٨/١٣٦

(٤) ١٣٩/١٨ (٥) طبقات الزبيدي : ٢٠١

(٦) نزهة الألباء : ٤٧٥

(٧) انظر البصريات : لوحة رقم ٥٧

(٨) انظر الاغفال : ٥٨ تفسير ٨٧٥ بدار الكتب

(٩) انظر المخصص : ٢٩/١ (١٠) انظر الكلام عن أخلاق أبي علي

(١١) طبقات القراء : ١٤٢/١

والمعرفة بالقراءات ، وعلوم القرآن، وحسن الأدب ، ورقة الخلق ، وثقوب
الفظنة ^(١) ، ووصفه ابن الجزرى فى كتابه الطبقات : بأنه شيخ الصنعة ، وأول من
سبع السبعة ^(٢) وهو الذى حمل الوزير ابن مقلة على تعذيب ابن شنبوذ ^(٣) ، وروى
أبو على القراءة عنه عرضاً ^(٤) .

ولولا أبو بكر بن مجاهد ما كان كتاب الحجة لأبى على ، ويكنى ذلك أراً
يتحدث عن فضل ابن مجاهد ، وصدى لعلمه وكتبه فى نفس الفارسى . وقد استظهرت
فى مكان آخر أن الجدل الذى أقامه ابن مجاهد حول القراءات الشاذة كان بعض
ما دفع ابن جنى — تليذ الفارسى — إلى تأليف المحتسب .

(٧) أبو بكر مبرمان (ت ٥٣٤٥)

أما المبرمان فهو محمد بن على بن اسماعيل العسكرى ، كان إماماً فى النحو قياً به
أخذ عنه السيرافى والفارسى ، وكان مع علمه وفضله وضع النفس ^(٥) ، ساقط المروءة
نحيفاً ، إذا أراد أن يمضى لمصلحة طرح نفسه فى طبق حمال ، وشده بجبل ، وربما كان
معه نبق أو غيره فىأكل ، ويرمى الناس بالنوى يتعمد رموسهم ، وربما بال على رأس
الحمال ^(٦) ، وقد كان مبرمان ضنيناً بعمله لا ييسر سبيل الأخذ عنه ، فكان لا يقرأ
كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، وقد احتال عليه أبو هاشم الجبائى ، وسخر منه فى حيلة
طريفة يروها المترجمون ^(٧) ، كانت لمبرمان عناية بكتاب سيبويه ، شرحه ، وشرح
شواهد ، إلى جانب شرحه كتاب الأخصس ؛ وله كتب أخرى فى النحو ^(٨) . . . هذا
ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله له ^(٩) .

ولعلك ترى ما كان لمبرمان من أثر عند الفارسى : فهو معنىً بالكتاب ، وحسبك
هذا عملاً له أثر جليل فى نفس التليذ أبى على . وأصحح هنا ما قال العاملى صاحب

(١) الفهرست : ٤٧

(٢) ١٣٩/١

(٣) انظر طبقات القراء : ٥٤/٢ - ٥٥

(٤) طبقات القراء : ٢٠٧

(٥) الفلاكة والفلوكون : ١١٣ (٦) بغية الوعاة : ٧٥

(٧) انظر معجم الأدباء : ٢٥٦/١٨ (٨) انظر بغية الوعاة : ٧٥

(٩) الفلاكة والفلوكون : ١١٣

أعيان الشيعة ، فبعد أن ذكر مشايخ أبي علي ، وعد منهم أبا أسحق الزجاج ، وأبا بكر ابن السراج ، وأبا بكر مبرمان ، وأبا بكر الخياط — قال : وفي لسان الميزان أخذ عن أبي بكر بن مجاهد — ثم علق العاملى على ذلك بقوله : « ولعله أحد المذكورين ، أقول : وهذا الذى قاله العاملى خطأ ؛ فإن أبا بكر بن مجاهد غير الزجاج ، وابن السراج ومبرمان ، وابن الخياط . كذلك وقع العاملى فى خطأ آخر ؛ فبعد أن ذكر قول ابن جنى الذى أورده ياقوت فى معجم الأديباء وسؤاله أبا علي هل قرأ على أبي بكر؟ قال العاملى : ولا يعلم أن أبا بكر هذا من هو ؛ لأنه مر فى مشايخه أنه أخذ عن ثلاثة كلهم يكنى أبا بكر ، ولعل المراد به السراج فإنه أعرفهم وأشهرهم والله أعلم (١) .
أقول : وأبو بكر هنا هو أبو بكر بن الخياط الوارد فى كتاب الفارسي لسيف الدولة (٢) ...

وبعد فهؤلاء هم شيوخ أبي علي فى القراءة واللغة والنحو وقد أُوردهم على حسب سنى وفاتهم ، وذكرت ما كان لكل شيخ من الأثر الخلقى والعلمى فى نفس أبي علي ، وما يستحق التسجيل أن معظم هؤلاء الشيوخ قد اختارهم الله إلى جواره فى الربع الأول من القرن الرابع الهجرى ، وبعد نزول أبي علي بغداد بنحو خمسة عشر عاما ؛ فالزجاج ت ٣١١هـ (٣) ، وابن السراج توفى سنة ٣١٦هـ (٤) ، وابن الخياط ت (٣٢٠هـ) (٥) . وابن دريد ت (٥٣٢١) (٦) . وابن مجاهد ت (٥٣٢٤هـ) (٧) . والذى أريد أن أرتبه على ذلك أن أبا علي قد خلا الجوله نحو خمسين عاما : نصف قرن من الزمان ، تصدر فيه للإمامة ، وقد أحس أبو علي من نفسه ذلك فى حياة شيخه أبي بكر بن الخياط ؛ إذ يرى أنه أصبح فى درجة تلو به على أصحاب ابن الخياط ، وترفعه إلى درجة ابن الخياط نفسه : قال ابن جنى : حدثني أبو علي قال : اجتمعت مع أبي بكر بن الخياط عند أبي العباس المعمرى بنهر معقل فى حديث طويل ، فسأله عن العامل فى إذا من قوله سبحانه : هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق ... ، قال فسلك فيها مسلك الكوفيين ، فكلمته إلى أن

(١) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١

(٢) انظر الحلييات : ٣٣ ظهره نحو

(٣) انظر تزهة الألباء : ١٦٨ (٤) المصدر السابق : ١٦٩

(٥) انظر معجم الأديباء : ١٤١/١٧ (٦) تزهة الألباء : ١٧٥

(٧) الفهرست : ٤٧

أمسك، فسألته عن غيرها، وعن غيرها، وافترقنا، فلما كان الفدا اجتمعت معه عند أبي العباس، وقد أحضر جماعة من أصحابه، فسألوني فلم أر فيهم طائلا، فلما انقضى سؤالهم قلت لأبي بكرهم: كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت؟ فأجابته مسرعا: سفرووت، فلما سمعت ذلك قمت في المسجد قائما وصفقت بين الجماعة: سفرووت سفرووت!! فالتفت إليهم أبو بكر وقال: «لا أحسن الله جزاءكم، ولا أكثر في الناس أمثالكم»^(١)؛ خجلا بما جرى، واستحياء من أبي علي^(٢) وافترقنا فكان آخر العهد بهم^(٣)، وهذه الحكاية إلى جانب ما استشهدت بها عليه — تدل على براعة أبي علي في التصريف، وتقلبه في مجالس العلم، ومناصرتة أهله من الشيوخ، ونابغي الطلاب؛ فها تنذا ترى أنه يكلم ابن الخياط إلى أن يمسك، وأنه يقبل على أكبر طلابه سنا، وأرجحهم عقلا، وأوسعهم علما عند نفسه، فيأتي عليه هذه المسألة الصرفية التي يجيب عنها لإجابة نخجل أبا بكر بن الخياط، وتبعث في نفسه الاستحياء من أبي علي، ثم يكون الافتراق بين الرجلين الذي لا لقاء بعده.

وهكذا يرتفع أبو علي عن طبقة شيوخه الذين تلمذ عنهم، فيتعرض للزجاج في كتابه الاغفال، ويعرض احتجاجه للقرآن جنبا إلى جنب احتجاج شيخه أبي بكر ابن السراج على النحو الذي عرضت له في مكان آخر من ذلك البحث، ويتحدث في بعض كتبه أن شيوخه كانوا يسألونه^(٤). ويتعرض لابن دريد بقوله: «وقد كان شيخ من أهل اللغة وزن هذه الكلمة — يستعور — يفتمول حتى نبه عليه، وله فيما كان أملا من الأبنية حروف كثيرة تحتاج إلى إصلاح»^(٥) وبهذا يرتفع أبو علي عن شيوخه المعاصرين، ويعلو باسناده إلى المصادر الأولى^(٦).

وقد بينت في حديثي عن ثقافة أبي علي ارتفاعه بالشيوخ القدامى أمثال الاصمعي وأبي عبيدة، وأبي عثمان المازني، وأحمد بن يحيى ثعلب، كما أوردت في غضون عرضي لمسائله مهاجمة القراء، والكسائي، والمبرد ثم ثعلب حيناً، ورأيت أبا علي لم يكن يعجبه نقل اللحياني^(٧). كما رأيت يهاجم ابن السكيت (هو أبو يوسف يعقوب ابن

(١) الخصائص: ٥٩٤/٢ وما بعدها ٢٧٤ نحو تيمور

(٢) معجم الأدياب: ٢٣٥/٧ (٣) الخصائص: ٥٩٥/٢

(٤) انظر الحجة: ٣٢٦/١ مهاده ملا (٥) البغداديات: لوحة رقم ٤

(٦) انظر طبقات الزبيدي: ١٢٧ (٧) المخصص: ١٤٦/٣، ٤٤٤/٤، ٣٣٢/١٤

وهو علي بن حازم اللحياني، انظر نزهة الألباء: ١٢٢

السكيت^(١) . فيخطئه في الرواية^(٢) ، ويرميه بالوهم^(٣) ، وينص على أنه غير مسموع له في التصريف^(٤) .

لكن أبرز من انتفع بهم أبو علي من الشيوخ القدماء ، واعتد بأقوالهم في توقيه وإجلال ثلاثة رجال : أبو زيد ، وسيويه ، والاخفش

(١) فاما أبو زيد فهو سعيد بن أوس بن ثابت . . . الانصارى^(٥) وثابت هذا شهد أحداً ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) . وأبو زيد معدود من القراء ، والنحاة ، واللغويين : روى القراءة عن المفضل عن عاصم الكوفي ، كما روى عن أبي عمرو بن العلاء البصرى^(٦) ، وألف كتاباً في قراءة أبي عمرو^(٧) .

وكان من جلة أصحابه وكبرائهم^(٨) . ويقول السيرافي : د وعامة كتاب النوادر لأبي زيد عن المفضل^(٩) . فها نحن أولاء نرى أن أبا زيد لا يتعصب في طلب المعرفة^(١٠) . وهذا ما يقرره السيرافي إذ يقول : د ولانعلم أحداً من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد^(١١) . ومعظم تأليف أبي زيد في اللغة^(١٢) .

ورأيت أبا علي يصف أبا زيد بالضبط في الرواية^(١٣) ، ويعقد لما ينشده مسألة مستقلة سأل عنها عضد الدولة^(١٤) ، ويستعين به في تفسير الكلمات^(١٥) ، ويروي ما أنشده في كثرة ظاهرة ، ويوجه إعراب ما ينشده^(١٦) . ويعرف طريقته في

(١) انظر نزعة الألباء : ١٢٣ المخصص : ١٠٧/٧

(٢) المخصص : ١٠٧/٧ (٣) المخصص : ١٠٢/٤ ، ٦٢/١٤

(٤) انظر المخصص ١١٢/٨ في وزن تحجيز

(٥) طبقات الزبيدي : ١٨٢ (٦) طبقات القراء : ١٨٩/١

(٧) الفهرست : ٨١

(٨) طبقات القراء : ٣٠٥/١ (٩) أخبار النحويين البصريين : ٤٥ وفي صدر

النوادر تفصيل لما أخذ أبو زيد عن المفضل وما سمعه عن العرب من شعر القصيد وأبواب

الرجز واللغات انظر نوادر اللغة : ١ (١٠) سيويه امام النحاة لأستاذنا : ٦٢

(١١) أخبار النحويين البصريين : ٤٥ (١٢) انظر الفهرست : ٨١

(١٣) الحجة : ٢٦٧/١ ، من البلدية (١٤) انظر الشرايات : ٩٩

(١٥) الحجة : ٢٢٩/١ من البلدية (١٦) الحجة : ١٤٨/١ من البلدية

تناوله مسائل اللغة (١) ، ويورد تفسيره للكلمات (٢) ، ويبلغ اعتداد أبي علي بأبي زيد مبلغه إذ ينشد ما حكى أبو زيد .

(فإذا سمعت بأنتي قد بعثهم بوصال غانية فقل كذبذب)

ثم يعلق على ذلك بقوله : « وهذه الكلمة : « كذبذب » ، حكى فيما شذ عن سيبويه في الأبنية ، ولولا ثقة أبي زيد ، وسكون النفس إلى ما يرويه لكان ردها مذهبا (٣) . وجاءت عناية أبي علي بأبي زيد مصداقاً لقولة أبي حيان : « وما تجاوز أبو علي في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً ما لغيره (٤) » .

فإذا ذهبت أتلس الأسباب التي من أجلها تأثر أبو علي بأبي زيد رأيت منها :
أولاً — أن أبا زيد ثقة مقبول الرواية (٥) . فيه غفاب وتقوى وإسلام (٦) .

وثانياً — أنه روى عن الأعراب الفصحاء (٧) : روى عن عقيل وقشير من أعراب مضر ، وقد نزلوا بالبصرة من محل أصابهم (٨) .

وثالثاً — أن شيخا من شيوخ أبي علي - هو أبو بكر بن الخياط - كتب كثيراً من كتب أبي زيد (٩) . فلعل التلميذ تأثر بما تأثر به الشيخ .

ورابعاً — أن الناس عنوان من قديم بكتب أبي زيد ، فقد كان الرياشي يحفظ الشعر الذي في النوادر ، كما يحفظ السورة من القرآن . كما حفظ كتاب الهمز لأبي زيد وقرأه عليه حفظاً ، وكان يمد حروفه (١٠) . وقد شرح نوادر أبي زيد أبو الحسن الأخفش ، وأبو هاشم ، والجرمي ، والسكري (١١) .

وخامساً — أن سيبويه كرم أبا زيد في الكتاب ، فلم يصرح باسمه في الرواية عنه ، بل كنى عنه بأفضل ما يكتن به عن الرواة والعلماء مثل : « من نثق به ، ومن لآنتهم » ، فكانما أراد سيبويه — كما يقول أستاذنا — أن يدعو الناس إلى هذه التسمية ، وأن يشاركه فيها من لم يكن يشاركه ؛ اجلالاً للرجل ومكافأة (١٢) . وسيبويه هو من هو

(١) الخصاص : ٢٤٨/١٤ (٢) الحجية : ١٧٦/١ ، ١٨٠ مراد ملا

(٣) الحجية : ٢٢٨/١ مراد ملا (٤) الامتاع : ١٣١/١

(٥) أخبار التحويين والبصريين : ٤٢ (٦) تزهة الألباء : ٨٧

(٧) الحجية : ٧٣/١ من البلدية (٨) طبقات الزبيدي : ١٨٢

(٩) معجم الأدباء : ٢٦٠/٧ (١٠) نوادر أبي زيد : ٢

(١١) انظر لإقليد الخزانة : ١٢٥ (١٢) انظر سيبويه امام النجاة : ٩٣

جلال قدر ، وارتفاع محل عند أبي علي بخاصة ، فلا غرو أن يكون أول المستجيبين لدعوة سيويوه إلى إكبار أبي زيد .

(ب) وأما سيويوه فيبلى موقف أبي علي منه ، ويختصر تقديره له ما قال أبو حيان : « أما أبو علي فأشد تفرداً بالكتاب ، وأشد إكباباً عليه ^(١) ، وفي غضون بحثي هذا ، وعند عرض كتب أبي علي المختلفة جليت مصداق قولته أبي حيان ، وأنه من المعاد المكرور أن أذكر النصوص الدالة على هذه القولة ، فذلك مما يطيل حبل الكلام ، ولكنني أكتفي — اختصاراً بذكر مظاهر تأثر أبي علي بسيويوه :

أبو علي قرأ الكتاب قراءة فاحصة واعية ^(٢) ، ووازن نسخته بعضها ببعض ^(٣) ، ورد ما قد يتوهم في الكتاب من التدافع ^(٤) ، وصحح مذهبه ^(٥) ، واحتج به ^(٦) ، واحتج له ^(٧) . ونص على أن القول قول سيويوه ^(٨) ، وبني على ما يرويه ، وقاس على ما يحكيه ^(٩) . وجاء الحججة شرحاً للكثير من نصوص سيويوه ، وتطبيقاً للقواعد التي ذكرت في الكتاب ^(١٠) . ورأيت أبا علي يستعمل بعض ألفاظ سيويوه ، إن قال سيويوه مثلاً : « أخبرني من نشق به . . . » . قال أبو علي : « أنشدنا بعض من نشق بروايته . . » . أخبرني وإن قال سيويوه : « وجيه ضعيف ^(١١) » . قال أبو علي : « أبو علي : « وجيه في القياس ^(١٢) » . ومن هنا فهم أبو علي أسلوب سيويوه ، وحكمه وصار إليه ^(١٣) ، ولا يقتصر نظر أبي علي إلى سيويوه على اللغة والنحو ؛ بل يستهدى به قارئاً راوية للقراءات ^(١٤) . يعقد في الحججة كلام سيويوه فيما يصدره من أحكام على مختلف الروايات . قال : « وقد روى أن بعضهم قرأ يوم التناد ، وكأنه اعتبر يوم يفر المرء من أخيه فجعل التناد تفاعلاً من ند البعير إذا شرد ونفر ، وليس ذلك بالوجه ، ألا ترى أنه لا يسهل أن تقول : « نددت بما لزمك ولا ناددت منه كما يقول : فررت منه ، ونرى سيويوه يستعمل

(١) الامتاع : ١٣١/١ (٢) انظر عرض كتاب الاغفال

(٣) انظر المخصص ١٤٥/١٤ ، ١٨٠

(٤) الحججة : ١٩٦/١ مراد ملا (٥) الحججة : ٢٦٢/١ مراد ملا

(٦) الحججة : ٤٠/١ من البلدية (٧) البغداديات : ٢٥

(٨) البصريات : ٨٨/٢٦٠ (٩) الحججة : ٦٠/١ من البلدية

(١٠) الحججة : ٥٣-٥١/١ (١١) الكتاب : ٣٥٤/٢

(١٢) الحججة : ١٥/٣-٢٠ من البلدية (١٣) انظر المخصص ١٩١/٦

(١٤) انظر الحججة : ٤٤/١ من البلدية

في هذا المعنى فرّ كثيراً ، ولا يستعمل ند وليس هذا الاعتبار إذأ بالوجه (١) .
وقد نقل هذا ابن سيده في المخصص (٢) . رأيتم كيف احتكم أبو علي إلى استعمال
سيبويه ، وبني عليه ؟ ومن أجل سيبويه خاصم أبو علي المبرد ومن تابعه ، والمبرد
نقض على سيبويه ، ومن أجله أيضاً سالم في الأعم الأغلب أحمد بن يحيى خصم المبرد .
ولسيبويه المكانة الأولى بين النحاة ، والباحث في غنى بسبب هذه المكانة عن
التعليل لدوران أبي علي في فلك سيبويه ، ولكن هناك أسباباً خاصة تجعل أبا علي
يقف هذا الموقف من إمام النحاة . فكلاهما فارسي ، بل إن قبر سيبويه بشيراز (٣) ،
حيث سلخ أبو علي أيام صباه وتلقيه قبل أن ينتقل إلى بغداد ، ثم حيث أقام
عشرين سنة أخرى بعد اتصاله بعضد الدولة ، فهذه نحو أربعين عاماً يقضيها بشيراز
قريباً من ذلك الكنز الدفين . ألا يكفي ذلك لأن يحذو أبو علي حذوه ، ويقتفي منه
الآثار ؟ بلى !

(ج) أما الأخفش : فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة (٤) . وكان تأثر أبي علي
به ظاهراً : قوى قراءاته ، ودلّل عليها (٥) ، وخطأ ما حكى السكري بما قال أبو الحسن (٦)
وفهم كلامه على وجهه ، ورد فهم ابن السراج له ، وقيد إطلاق المبرد عنه (٧) ،
واعتمد عليه في اللغويات (٨) ، وتصريف الكلمات (٩) ، وأخذ برأيه في بعض المسائل
النحوية (١٠) ، وقاس على ما يقول (١١) ، واحتج له (١٢) ، وأورد كلامه ووجهه (١٣) .
وكان أبو علي يوثق الأخفش ، ويثني على صدقه ، ويعلم ذلك لتلاميذه . حكى
ابن جنى قال : قال لنا أبو علي : « يكاد يعرف صدق أبي الحسن ضرورة ، وذلك
أنه كان مع الخليل في بلد واحد ، ولم يحك عنه حرفاً واحداً (١٤) . ولعل الأخفش
أحد أولئك الذين وجها أبا علي للنطق والقياس ؛ فقد كان الأخفش فيما يقول

(١) الحجة : ٣٢٢/١ مراد ملا (٢) انظر : ١١٨/٧

(٣) معجم الأدباء : ١١٦/١٦ (٤) المزهري : ٤١٩/٢

(٥) الحجة : ٢٥٢-٢٥٤ مراد ملا

(٦) الحجة : ١٨٢/١ بلدية (٧) الحجة : ٢٥٤/١ مراد ملا

(٨) الحجة : ٢١٦/١ ، ٢٣١ من البلدية

(٩) الحجة : ١٠٤، ١٠٣، ٨/١ من البلدية

(١٠) الحجة : ٢٨/١ من البلدية (١١) المصدر السابق ١٨٠/١

(١٢) نفس المصدر : ١٨٨/١ (١٣) ٢٤٨/١ مراد ملا

(١٤) انظر المزهري : ٤١٦/٢

السيوطي : « أعلم الناس بالكلام ، وأحذقهم في الجدل ^(١) ، وألف فيما ألف المقائيس في النحو ^(٢) ، ، وعندى أن اعتداد أبي علي بسيبويه وأبي زيد هو الذي جعله يتأثر بأبي الحسن ، فهو الطريق إلى الكتاب ^(٣) ، ثم هو أحذق أصحاب سيبويه ^(٤) ، وأعلم من أخذ عنه ^(٥) ، وأحفظهم ^(٦) . وهو بعد ذلك شارح نوادر أبي زيد ^(٧) .

هذا وكان أبو علي يروي عن أبي الحسن عن طريق أبي عبد الله الزيدى عن عمه عنه ^(٨) .

حاشية : يدلل بعض المشتغلين بالعلم في زماننا على قيمة مؤلفات الأخفش ، بما نقله ابن جنى عن بعضها ، ومادري أت الذي وجه ابن جنى إلى الأخفش هو أستاذه أبو علي الذي تلمذ على الأخفش كما سلف به البيان ^(٩) .

زملاء أبي علي

كان لأبي علي زملاء أخذوا العلم معه عن شيوخه ، وبرز منهم :

- (أ) أبو سعيد السيرافي .
- (ب) علي بن عيسى الرماني .
- (ج) أبو القاسم الزجاجي .
- (د) ابن خالويه .

وقد عقدت في مناسبات البحث المختلفة ، دراسات موازنة بين أبي علي وهؤلاء الزملاء بما يغني عن إعادة الحديث في هذا المقام .

(١) بغية الوعاة : ٢٥٨ (٢) الفهرست : ٧٨

(٣) الفهرست : ٧٨ ونزهة الألباء : ٤٥

(٤) أخبار النحويين البصريين : ٣٩

(٥) نزهة الألباء : ٩٤ (٦) بنية الوعاة : ٢٥٨

(٧) خزنة الأدب : ١٤/١ (٨) الحجية : ١/٤٤٠ مراد ملا

(٩) انظر بحث الأستاذ طه الزبيني عن الأخفش مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية برقم ٣٧٣

تلاميذ أبي علي

جلس أبو علي للتدريس في البلاد التي تنقل فيها: شيراز، وبغداد، والبصرة، وواسط والموصل، وحلب، وغيرها، وكان له في كل بلد من هذه البلاد تلاميذ أخذوا عنه، ومنهم من صحبه وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه كابن جني^(١). ومنهم من أقام عليه عشرين سنة، حتى لا يبقى له شيء يحتاج أن يسأل عنه، وذلك علي بن عيسى الربعي^(٢). وقد ذكر العبدى أبا علي، وأحصى من كان يحضر مجلسه ويقرأ عليه كتاب سيديويه دون غيره من المتوسطات، فجعلهم ثلاثين رجلاً وأكثر^(٣). وقد تقسم تلاميذ أبي علي علمه، واختلفت حظوظهم منه، فمنهم مستوعب علم أبي علي يتأثره في أطرافه المختلفة كابن جني، ومنهم قارى يروى القراءة عنه عرضاً كعبد الملك ابن بكران النهرواني^(٤). ومنهم من سمع منه الحديث كأبي القاسم التنوخي، وعلي ابن المحسن الذي سمع في أوائل حاله^(٥) من أبي علي وقبيل وفاة أبي علي^(٦)، ومحمد ابن عبد الواحد أبي الحسن^(٧)، ومحمد بن عبد الواحد أبي عبد الله ابن زوج الحره^(٨)، وهلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي^(٩).

ومنهم العروضي، والنحوي، واللغوي. ومنهم بارع كأستاذه في جودة النظر ودقة الفهم والقياس وهكذا وهكذا...

ولا يكاد المترجمون لأبي علي يذكرون في ترجمته غير ابن جني والربعي^(١٠)، مع أن تلاميذه الآخرين قد رزقوا حظاً من الشهرة، واحتل بعضهم مكانة مرموقة في الحياة، وإليك طائفة من تلاميذ أبي علي، وأكثرهم متصدر متميز، وما منهم إلا له مقام معلوم في اللغة، والنحو، والعروض، أو النظر، والقياس، وإقامة الحجج. وتفصيل الحديث عن تلاميذه على سبيل التقصى، وبيان مدى تأثيرهم بأبي علي،

(١) انباه الرواة: ٣٣/٢ (٢) انباه الرواة: ٢٩٧/٢

(٣) انباه الرواة: ٣٨٧/٢ (٤) انظر طبقات القراء: ٢٠٧/١

(٥) انظر تاريخ بغداد: ١١٥/١٢ (٦) تاريخ بغداد: ٢٧٥/٧

(٧) تاريخ بغداد: ٣٦١/٢ (٨) نفس المصدر: ٣٦

(٩) تاريخ بغداد: ٧٦/١٤، ومعجم الأدباء: ٢٩٤/١٩، ووفيات الأعيان: ١٥٢/٥

(١٠) تحدثت عنها بالتفصيل عند الكلام على كتاب الختسب، وفي الكلام على أخلاق أبي

علي تحدثت عن تلميذه محمد بن طويس القصرى تلميذه النحوى المعتزلى، والذي إليه تنسب المسائل القصريات في بعض الأقوال (انظر معجم الأدباء: ٢٩٦/١٨)

بما يتصل اتصالاً وثيقاً بطرف من موضوع هذا البحث : آثار أبي علي في النحو ، وقد ذكرت قريباً بإيجاز من سمع الحديث من أبي علي ، وهام أولاء بقية تلاميذه على حسب سنوات الوفاة :

١ — كان من تلاميذ أبي علي قاضي القضاة بشيراز عبيد الله بن أحمد الفزاري ، وهو من أولئك الذين تلقوا العلم على الفارسي بشيراز ، وصنف صناعة الإعراب ، وعيون الإعراب (٢) .

٢ — ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم اللغوي ، قال عنه ياقوت : إمام عالم جيد الضبط صحيح الخط معتمد عليه (٣) .

٣ — إبراهيم بن علي الفارسي : ذكره الثعالبي في البخاريين ، وقال : كان من الأعيان في اللغة والنحو ، ورد بخاري في أيام السامانية ، فأجل ، وبجل ، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولى التصفح في ديوان الرسائل ، وصنف وأملئ ، وشرح ، وتكلم في العروض والقوافي ، والمعاني (٤) ، وشرح كتاب الجرمي وناقض المتنبي ، وحفظ الطم والرم (أي الكثير ، فهو مثل (٥)) .

٤ — هذا ويجعل صاحب أعيان الشيعة من تلاميذ أبي علي الأزهرى (٦) . ولم أجد شيئاً من ذلك في كتب التراجم الأخرى (٧) .

٥ — عبد الله بن محمد بن جرو الأسدي أبو القاسم : كان كأستاذه نحوياً عروضياً ، معتزلياً (٨) ، كما سلك مسلك أستاذه في المقايسة بين مسائل النحو ، ومعاني الشعر (٩) . أنشد في مسألة يامات الإضافة :

ويسقط بينها المرتى لغواً كما أسقطت في الدية الحوار (١٠)
وكان أبو القاسم الأسدي من أهل الموصل ، قدم بغداد ، وقرأ على شيوخها (١١) .

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر

(٢) بنية الوعاة : ٣٢٠ ، وروضات الجنات : ٢٢١

(٣) معجم الأدياب : ٢٠٨/١٧ ، بنية الوعاة : ١٥

(٤) معجم الأدياب : ٢٠٥/٧ (٥) بنية الوعاة : ١٨٤

(٦) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١

(٧) انظر مثلاً نزحة الألباء : ٢١٤ ، معجم الأدياب : ١٦٥/١٧ — ١٦٦

(٨) انظر معجم الأدياب : ٦٣/١٢ (٩) انظر الخصائص : ٥٦٠/١ وما بعدها ..

(١٠) انباء الرواة : ١٥٥/٢ (١١) معجم الأدياب : ٦٣/١٢

وقد عرفه القفطي بأنه صاحب أبي علي^(١)، وكانت له مناظرات جرت له مع الشيوخ في العروض أورد بعضها ياقوت^(٢). وكان فيه بعد ذلك حذق، وذكاه مع جودة خط، وصحة ضبط^(٣).

كان أبو علي باراً بأبي القاسم الأسدي، واثقاً به، قدمه أبو علي إلى عضد الدولة أماماً يصلح به حين طالب منه ذلك، واقترح عليه أن يكون جامعاً إلى العلم بالقراءة العلم بالعربية، وصلى أبو القاسم بعضد الدولة، فلما كان الغد وأتى أبو علي، وسأل الملك عنه فقال: «هو كما وصفت إلا أنه لا يقيم الراء، فيقدم أبو علي لصاحبه نصيحة حتى لا يبلغ، وينتصح الأسدي فتستقيم له الراء^(٤)».

وتوفي ابن جرير الأسدي (٣٨٧ هـ) بعد أن صنف الموضح في العروض والمفصح في القوافي، والأمد في علوم القرآن^(٥).

٦ - اسماعيل بن حماد الجوهري: صاحب الصحاح^(٦). من أعاجيب الدنيا^(٧) ذكاه وفضنة رعلماً^(٨). دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخه زمانه، ونور عين أوانه أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي^(٩). ومضى لسبيله عن آثار جليلة، وله كتاب العروض ومقدمة في النحو^(١٠). والصحاح في اللغة قال الثعالبي: «وهو أحسن من الجهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولاً من مجمل اللغة^(١١)». وقد رأيت يراجع في الصحاح إلى شيخه أبي علي، ويروي عنه (انظر مثلاً بابي «بسم»: و«مدن»^(١٢)). وقال ابن فضل الله في المسالك مات الجوهري: ٣٩٣ هـ^(١٣).

٧ - عبد الباقي بن محمد بن الحسن: قرأ على الفارسي^(١٤). وكان نحوياً متصديراً

- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) انباه الرواة: ١٥٤/٢ | (٢) معجم الأدباء: ٦٣/١٢-٦٥ |
| (٣) نفس المصدر | (٤) انظر خبر ذلك في بنية الوعاة: ٣٢٠ |
| (٥) معجم الأدباء: ٦٥/١٢ | (٦) نزهة الألباء: ٢٢٧ |
| (٧) يتيمة الدهر: ٢٨٩/٤ | (٨) معجم الأدباء: ١٥١/٦-١٥٢ |
| (٩) معجم الأدباء: ١٥٣/٦ | (١٠) بنية الوعاة: ١٩٥ |
| (١١) يتيمة الدهر: ٢٨٩/٤ | |
| (١٢) تاج اللغة وصحاح العربية، في هاتين المادتين وانظر مختار الصحاح: ٦٠، ٦١٩ | |
| (١٣) انظر بنية الوعاة: ١٩٥.... | (١٤) بنية الوعاة: ٢٩٤ |

للافادة^(١) مات لعشر بقين من ربيع الأول سنة أربع مائة وصنف الدواة واشتقاقها، وشرح حروف العطف^(٢).

٨ — أبو طالب أحمد بن بكر العبدى: أخذ عن أبي علي جل ما عنده^(٣) وكان نحوياً لغوياً قياً بالقياس كما يقول السيوطي^(٤). اعتنى بكتاب العضدى وشرحه شرحاً كافياً شافياً^(٥). وبلغ من تأثره بشيخه أنه شرح كتاب أبي علي بكلام أبي علي لكثرة اطلاعه على كتبه وفوائده، وفي رأى القفطى أن شرح العبدى للعضدى يعد عمدة لكل من تعرض لشرح هذا الكتاب^(٦). وله غير شرح العضدى — شرح كتاب الجرمي^(٨) ولعل الذى وجهه إلى شرح هذا الكتاب قولة أستاذه أبي علي فيه^(٩). عاش العبدى إلى قريب من سنة عشرين وأربعمائة^(١٠). ويقول ياقوت أنه توفى سنة ست وأربعمائة فى خلافة القادر بالله وينقل السيوطى ذلك^(١١).

٩ — محمد بن عثمان بن بلبل: لغوى، نحوى، صحب السيرافى، والفارسى، وروى عنه كتاب الحجة، وسمعه منه ابن بشران النحوى^(١٢) ومات سنة عشرين وأربعمائة، وقد رأيت أحمد بن تميم بن هشام اللبلى ينقل العسكريات من خطه^(١٣). وفى الأمانة العامة للجامعة العربية (الإدارة الثقافية) نسخة من كتاب المبهج كتبت سنة ٤٢٠ هـ منقولة من خط ابن بلبل^(١٤).

١٠ — علي بن عبيد الله السمسى: اللغوى^(١٥)، النحوى^(١٦)، تصدر ببغداد للرواية وأقرأ الأدب، وكان جيد المعرفة بفضون العربية، كما كان ثقة فى روايته مات فى المحرم سنة ٥٤١٥ هـ.

- (١) انباه الرواة: ١٥٥/٢، وأورده باسم عبد الباقي بن محمد بن بانيسى النحوى
 (٢) بنية الوعاة: ٢٩٤
 (٣) انباه الرواة: ٣٨٧/٢
 (٤) البنية: ١٢٩
 (٥) نزهة الأبناء: ٢٢٢
 (٦) انظر انباه الرواة: ٣٨٧/٢
 (٧) البنية: ١٢٩، وهذه قضية يحتاج تحقيقها إلى مقام غير ما أنا فيه الآن
 (٨) انظر نزهة الأبناء: ١٠١
 (٩) انباه الرواة: ٣٨٨/٢
 (١٠) البنية: ١٢٩
 (١١) معجم الأدباء: ٢٣٧/٢
 (١٢) بنية الوعاة: ٧٢ ومعجم الأدباء: ٢٤٩/١٨، انظر طبقات القراء: ٥٦٦/١
 (١٣) انظر لوحة ٢/٢٤١ العسكريات (١٤) انظر فهرس المخطوطات المصورة: ٣٦٩
 (١٥) انباه الرواة: ٢٨٨/٢
 (١٦) معجم الأدباء: ٥٨/١٤
 (١٧) وانظر بنية الوعاة: ٣٤٣....

١١ — على بن عبيد الله الدقيق النحوي: أحد الآئمة العلماء في هذا الشأن وكان مباركا في التعليم، تخرج عليه كثير لحسن خلقه، وبجاجة سيرته، وله شرح الإيضاح، وشرح الجرمي^(١). وكتاب العروض. والمقدمات. توفي سنة ٤١٥هـ^(٢).

١٢ — صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي البغدادي أبو العلاء: لغوى أديب، كان عارفاً باللغة، وفنون الأدب، والأخبار^(٣) وكان أحضر الناس شاهداً، وأرواهم لكلمة غريبة^(٤). وأصله من الموصل، ودخل الأندلس، واتصل بالمنصور بن أبي عامر ونادمه وأحسن المنصور إليه وزاد^(٥). ومعنى ذلك أنه نشر علم أستاذه في المغرب، ألف للمنصور كتاب الفصوص على مثال نوادر أبي علي القالي^(٦). وقد اتهمه الصفدي بالكذب في نقله، وعلل بذلك رفض الناس كتبه^(٧). وكان يسمى كتبه أسماء غريبة لا أصل لها^(٨). وكان وفيّاً للمنصور فلم يحضر مجلس أنس بعده، وقد كان أولاده تولوا الأمر، فادعى وجعاً لساقه منعه الحضور^(٩). وله طرف حكاهما القفطي والسيوطي نقلًا عن تذكرة الصفدي^(١٠). توفي بصقلية سنة ٤١٧ فيما يذكر السيوطي وسنة ٤١٩ فيما يذكر القفطي نقلًا عن ابن حزم^(١١).

١٣ — أحمد بن محمد بن الحسن الإمام المرزوقي أبو علي: من أصبهان كان غاية في الذكاء والفتنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج^(١٢) قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي، وتلذذ له بعد أن كان رأساً بنفسه^(١٣). وقد أخذ الناس عنه واستفادوا منه، وكان الحجة في وقته^(١٤). عني في تأليفه بشرح الشعر، فكان له: شرح الحماسة، وشرح المفضليات، وشرح أشعار هذيل^(١٥)، وشرح الفصيح، وشرح الموجز، ثم كان له كتاب الأزمئة^(١٦).

- (١) انظر سبب العناية بفتح ذلك الكتاب ترجمة الألباء: ١٠١
 (٢) انظر ياقوت: ٥٧٢٥٦/١٤ — بنية الوعاة: ٣٤٣
 (٣) معجم الأديباء: ٢٨٢-٢٨١/١١ (٤) بنية الوعاة: ٢٦٨
 (٥) انباه الرواة: ٨٦/٢ (٦) معجم الأديباء: ٢٨٣/١١
 (٧) انظر بنية الوعاة: ٢٦٨
 (٨) انباه الرواة: ٨٦/٦ وانظر معجم الأديباء: ٢٨٥/١١
 (٩) انظر انباه الرواة ومعجم الأديباء (١٠) البنية: ٢٦٨
 (١١) انظر انباه الرواة: ٩٠/٢ (١٢) بنية الوعاة: ١٥٩
 (١٣) الوافي بالوفيات: ٦/قسم ثالث ٢٤١ (١٤) انباه الرواة: ١٠٦/١
 (١٥) انظر بنية الوعاة: ١٥٩ (١٦) انظر الوافي بالوفيات: ٢/قسم ثالث ٢٤١ ..

ومفردات متعددة في النحو^(١) . وكان معلم أولاد بني بويه بأصبهان ، دخل عليه الصاحب بن عباد فلم يقيم له ، فلما أفضت إليه الوزارة جفاه توفي سنة احدى وعشرين وأربعمائة^(٢) .

١٤ - أبو الحسين عبدالوارث النحوى ابن أخت أبي على الفارسى : وقد تحدثت عنه عند الكلام على أسرة أبي على^(٣) .

١٥ - الحسين بن محمد بن جعفر النحوى المعروف بالخالع^(٤) : رافقى الاصلى ، سكن الجانب الشرقى من بغداد^(٥) . قال الصفدى : كان من كبار النحاة ، وكان من الشعراء^(٦) . وقد حدث عنه الخطيب البغدادي^(٧) . وقد عنى الخالع فى تأليفه عناية خاصة بالآداب ، فكان له فى ذلك : « الأمثال ، وتخييلات العرب ، شرح أبي تمام صناعة الشعر كما كان له : الاودية والجبال والرمال^(٨) . مات الخالع سنة ٤٢٢هـ^(٩) .

١٦ - على بن طلحة بن كردان النحوى أبو القاسم : قرأ على أبي على والرماني كتاب سيويوه - من نحاة واسط ، وعنه أخذ النحوجماعة من الواسطيين ، وهم يفضلونه على ابن جنى والربيعى^(١٠) . وهو موصوف بالفضل والمعرفة^(١١) واشتهر بالتصوف والتزهد ، وصنف إعراب القرآن فى خمسة عشر مجلداً ، ثم بدا له فغسله قبل موته توفى سنة ٤٢٤هـ^(١٢) .

١٧ - محمد بن محمد بن عيسى أو الحسن المعروف بالخيشى : من أهل البصرة قرأ على أبي على ، وبرع فى النحو والآداب ، وسكن واسط مدة ، وأقرأ بها ، وروى عنه ، وقدم آخر عمره إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات ، وحدث بها ، وكان من أئمة

(١) انباه الرواة : ١٠٦/١

(٢) راجع معجم الأدباء : ٢٤١/٤ ، بغية الوعاة : ١٥٩ ، الوافى بالوفيات : ٢/قسم

ثالث : ٣٤١ وانباه الرواة : ١٠٦/١

(٣) راجع بيتيمة الدهر : ٢٧٢/٢ ، تزهة الألباء : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، معجم الأدباء :

(٤) معجم الأدباء : ١٠٠/١٥٥

(٥) بغية الوعاة : ٣٨

(٦) بغية الوعاة : ٢٣٥

(٧) تاريخ بغداد : ١٠٥/٨

(٨) معجم الأدباء : ١٠٠/١٥٥

(٩) تاريخ بغداد : ١٠٥/٨

(١٠) انباه الرواة : ٢/٢٨٤

(١١) تاريخ بغداد : ١٠٦/٨

(١٢) معجم الأدباء : ٢٩٠/١٣

(١٣) راجع معجم الأدباء : ٢٥٩/١٣ ، وانباه الرواة : ٢/٢٨٤ ، والبغية : ٣٣٩

النحاة المشهورين بالفضل والتبيل ، وأخذ كذلك عن ابن جنى واضرابه مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة (١) .

١٨ — عالي بن عثمان بن جنى أبو سعد النحوى ، ولا يذكر ياقوت أنه أخذ عن أبي علي (٢) . وتبعه في ذلك السيوطى فى البغية (٣) . ولكن القفطى يعده ممن أخذ العربية عن أبيه وعن أبي علي الفارسى ، وظاهر أن شيئاً من ذلك قد كان لصحبة أبيه الطويلة وملازمته أبا علي ، وكان عال فوق علمه بالعربية شاعراً (٤) . توفى سنة سبع وخمسين وأربعمائة أو ثمان وخمسين (٥) .

هذا وقد ورد فى رياض العلماء القول بأن الشريف الرضى قرأ النحو على أبي علي (٦) ، وقد يكون ذلك فى أوائل حال الرضى وأواخر حياة أبي علي كما يقول العالمى فى أعيان الشيعة (٧) . ويبدو أن الشريف الرضى بدأ بقراءة النحو على الربيعى ، ولم يتلذذ لأبي علي (٨) . وإن كان قد عاصره ، ولقيه بدليل ما قال فيه من رثاء (٩) .

كما يعد العالمى أيضاً — صاحب بن عباد من بين تلاميذ أبي علي (١٠) . ويذكر أنه أجازته بالرواية عنه ، وعن مشايخه ، وقد ورد شيء من هذا فى مكتبة من أبي علي للصاحب حيث يقول : كتابى فى قراء الأمصار . . . فأتضمن من أثر ، وقراءة ، ولغة فهو من المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم ، وأسندته لإيهم ، فتى أثر سيدنا الصاحب الجليل آدم الله عزه . . . الخ حكاية شيء منه عنهم أو عنى لهذه المكتبة فعل ، وكتب الحسن بن أحمد الفارسى بخطه (١١) ، ولعل العالمى ينظر إلى هذه العبارة ، فهل الإجازة بالرواية تبرر أن يكون الصاحب بن عباد تلميذاً لأبي علي دون أن يجلس ابن عباد إلى الشيخ مجلس التلميذ إلى أستاذه يتلقى منه ، ويأخذ عنه ؟ وقد وجدت عبارة من ابن عباد إلى أبي علي تمت بصلة إلى ما أنا فيه تلك :

(١) انظر بغية الوعاة : ٩٩ - ١٠٠ . .

(٢) انظر معجم الأدباء : ٢٩/١٢ (٣) انظر : ٢٧٤

(٤) انظر إنباه الرواة : ٣٨٥/٢ (٥) انظر ياقوت : ٣٩/١٢

(٦) انظر ص ٣٩-٤١ مخطوط الشيخ أغابزررك

(٧) ٢٨/٢١ (٨) انظر حقائق التأويل : ٨٧/٥

(٩) انظر الحديث عن صفات أبي علي العقلية

(١٠) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١ (١١) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ - ٢٤٠

• والشيخ (أدام الله عزه) — يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته بعبارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه ، وييسط في حاجاته ، فإني أظنني أجدر أخوانه بقضاء مهماته إن شاء الله تعالى (١) .

وأرى أن الصاحب لم يعترف صراحةً بلمذة لأبي علي ، وإنما أراد أن يؤنس الشيخ حتى يفضي إليه بحاجاته ، ولو كان ابن عباد تلميذاً حقاً لأبي علي لغير وجه الكلام من التشبيه إلى الاعتراف الصريح ، على أنه سرعان ما عاد لجعل أبا علي من طبقته إن لم يرتفع الصاحب بنفسه في عبارته التي فيها يقول : «فإني أظنني... الخ ، إلى مرتبة فوق مرتبة النظراء .

هذا وقد قرأ علي بن عيسى الرماني — كتاب الجمل ، وكتاب الموجز لابن السراج على أبي علي — في حياة ابن السراج (٢) . ولكن ذلك ليس معناه تتلمذ الرماني للفارسي ؛ فقد كانا من طبقة واحدة (٣) لا تجعل أحدهما شيخاً ، والآخر تلميذاً ، وإن كان ذلك يدل على ارتفاع درجة أبي علي — ولعل قراءة الرماني على أبي علي ، لأن ابن السراج عمل من الموجز النصف الأول ، ثم تقدم إلى أبي علي بآتمامه ، فنقل أبو علي ما وضعه من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل (٤) .

وبعد : فقد قصدت قصداً إلى استقصاء تلاميذ أبي علي الذين أخذوا عنه في فارس . والعراق ، ثم شرقوا ، وغربوا في الآفاق ، في بلاد العراق ، والشام ، وصقلية والاندلس ، ثم في فارس ، وأفغانستان ، وخراسان ، وأصبهان ، وجرجان ، وغيرها من البلدان التي حلوا بها ، وتقلوا فيها ينشرون معهم علم الشيخ أبي علي ويرسمون صورة واضحة المعالم لذيوع ثقافة الرجل في مختلف أقطار الإسلام ، ويتركون له بذلك أثراً باقياً على مدى الأيام

(١) معجم الادباء : ٢٥٠/٧ (٢) معجم الادباء : ٢٣٩/٧

(٣) انظر طبقات الزبيدي : ١٢٩ ، ١٣٠

(٤) رسالة النفران : ٣٥٧-٣٥٨ تحقيق ابنة الشاطيء

وفاة أبي علي

وتاريخ الوفاة مختلف فيه على ثلاثة أقوال :

- (أ) قول ابن النديم في الفهرست .
- (ب) قول ابن الأثير في الكامل وتابعه أبو الفداء .
- (ج) قول سائر المترجمين .

ولرأى ابن النديم أهمية خاصة ؛ لأنه . معاصر لأبي علي ، وقد صنف كتابه كما يقول ياقوت سنة ٣٧٧هـ^(١) ، وابن النجار في كتابه ذيل د تاريخ بغداد يوفى التحديد إلى أبعد مما ذكر ياقوت فيقول : د صنف ابن النديم كتابه الفهرست في شعبان سنة ٣٧٧ هـ ، ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٤ هـ^(٢) ولهذا التحديد في التصنيف صلة بما أنه فيه من الحديث عن سنة الوفاة رباطاً بين ما قاله ابن النديم وما قاله سائر المؤرخين .

وأسارع فأذكر أقوال المؤرخين جملة حتى يتاح لي التعليق : يقول ابن النديم : أن أبا علي توفي قبل السبعين وثلاثمائة^(٣) .

ويقول ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٣٧٦ هـ : وفيها توفي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي صاحب الإيضاح . . . ، وقد جاوز تسعين سنة^(٤) وتكاد تكون عبارة أبي الفداء في تاريخه هي عبارة ابن الأثير ، فهو متفق معه على أن سنة الوفاة ٣٧٦ هـ ، وأنه قد جاوز التسعين^(٥) .

والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) يقول : د قال محمد بن أبي الفوارس في سنة سبع و - سبعين وثلاثمائة توفي أبو علي الفسوي النحوي ، كما يذكر الخطيب في وفاة أبي علي قوله : د توفي أبو علي الفارسي النحوي في يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة^(٦) .

وتابعه الابنباري في نزهة الألباء ، وسائر المؤرخين للنحاة ، واللغويين ، والأدباء

(١) انظر معجم الأدباء : ١٨ / ١٧
(٢) الفهرست / ١٥
(٣) الكامل لابن الأثير : ٩ / ١٩
(٤) تاريخ بغداد : ٧ / ٢٨٦
(٥) تاريخ أبي الفداء : ٢ / ١٣١
(٦) مقدمة الفهرست :

والفرق يسير بين ما ذكره هؤلاء، وما قاله ابن الأثير وأبو الفداء، ولكنه كبير بين ما ذكره الخطيب البغدادي، وما ذكره ابن النديم .

فبأى القولين آخذ ! وأيهما أدع !؟

أرجح أن أبا علي توفي سنة ٢٧٧ هـ . لما يأتي :

(أولاً) في سنة ٣٦٩ كان أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد العقد للخليفة

الطائع لله على ابنة عضد الدولة (١) .

(و ثانياً) تذكر كتب تاريخ المحدثين أن أبا علي الفارسي روى عنه التنوخي

والجوهرى (٢) فتمى روى التنوخي أو الجوهري عن أبي علي ١٩

قد سمح التنوخي — فيما يروى البغدادي — أبا علي في رجب سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (٣) . وهذا ينفي قول ابن النديم أنه توفي قبل السبعين وثلاثمائة، وقد قرى في نفسى أن يكون هناك خطأ وتغاير بين النسخة الخطية للفهرست والنسخ المطبوعة فرجعت إلى كل النسخ التي استطعت العثور عليها، والرجوع إليها، فوجدتها متفقة على أن سنة الوفاة قبل السبعين بقى علي أن أوافق أحد المؤرخين : ابن الأثير أو الخطيب، ولا سبيل إلى ترجيح أحد القولين على الآخر : لأن السنوات قد تتقارض فتأخذ هذه من تلك، ومن هنا يقع الاختلاف والتردد في تاريخ الحوادث بين سنتين متتاليتين .

لكن إجماع المؤرخين — عدا ابن الأثير — على أن أبا علي توفي سنة ٢٧٧ هـ يرجح أنه توفي في هذا العام . وقد اتفقوا في اليوم الذي انتقل فيه أبو علي إلى جوار ربه وأنه يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع، ويختلفون : آخر هو أم الأول (٤) ؟ . فابن خلكان يقول بالآخر، والخطيب البغدادي (٥) وابن الأثير (٦) . يقولان بالأول . ولا يعنى الباحث هذا الخلاف اليسير، اللهم — إلا إذا رجحنا قول البغدادي لإجماع المؤرخين الأوائل عليه .

(١) تاريخ الاسلام للذهبي وهامش : ٤١٤ تجارب الامم

(٢) لسان الميزان : ١٩٥/٢ وعقد الجمان للمعنى القسم الثالث : ٤٠٠

(٣) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ (٤) ٣٦٢/١

(٥) ٢٧٦/٧ (٦) نزهة الالباء : ٢١٠/١

و (ثالثاً) وهناك دليل لاسقاط قول ابن النديم :

فابن جنى يولد سنة ٣٣٠ (١) ، وقد صحب أبا علي أربعين سنة (٢) ، ولما مات تصدر مجلسه ببغداد (٣) فاذا كان موت أبي علي قبل سنة ٣٣٠ كما يقول ابن النديم فمعنى هذا أن ابن جنى — على أكثر تقدير — لازم شيخه منذ ولادته ، وهذا مستحيل أى مستحيل ١٤

والمؤرخون يذكرون أن ابن جنى كان يقرئ النحو — وهو شاب — بجامع الموصل فرآه به أبو علي ، فاعترض عليه الفارسي ، فوجده مقصراً ، وسأل ابن جنى عنه فقيل له : « هذا أبو علي ، فأخذ في طلبه ، فوجده ينزل إلى السمرية يقصد بغداد ، فنزل معه في الحال ، ولزمه وصاحبه منذ ذلك الحين إلى أن مات ، وخلفه ابن جنى ، وتصدر مجلسه في بغداد . (٤) فمتى بدأت الصحبة ؟ هناك بريق من النور يرشد إلى ذلك ، هو قول ابن جنى : « وحدثنا أبو علي سنة إحدى وأربعين (٥) ، » .

فن المحقق الثابت أن الصحبة بدأت منذ ذلك التاريخ ، وإن كان هذا لا ينفي أن تكون الصحبة بدأت قبل ذلك ، وانتهت بموت الفارسي ، ومعنى هذا أن الصحبة استمرت نحو الأربعين عاماً (٦) كما يقول ياقوت . .

(١) معجم الأدياء : ٨٣/١٢ ووفيات الأعيان : ٤١٢/٢

(٢) بنية الوعاة : ٣٢٢ (٣) معجم الادباء : ٩٠/١٢

(٤) تزهة الالباء : ٢٢١ (٥) الخصائص : س ٧٦/٧

(٦) التحديد الضابط غير مقصود في عدد السنين فليس معنى صحبة أربعين سنة أنها لا تزيد ولا تنقص ، وحسبى أن يكون العدد قريباً من الاربعين .

من آراء القدماء في أبي علي وأقوالهم عنه

يثني القدماء على أبي علي ، ويرون فيه رأياً حسناً ، ذكره الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) فنقل عن قوم من تلامذة أبي علي أنهم قالوا : « أبو علي الفارسي فوق المبرد وأعلم منه^(١) ، وأثنى البغدادي على كتبه ، ووصفها بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها ، وذكر شهرته في الآفاق ، وبراعة غلمان له حذاق^(٢) ، وقال أبو طالب العبدي : « ما كان بين سيويه وأبي علي أفضل منه^(٣) . وكان أبو علي إمام وقته^(٤) ، وانتهت إليه الرياسة في النحو^(٥) وانفرد به ، وقصده الناس من الأقطار وعلت منزلته في العربية^(٦) .

وكان عضد الدولة يقول إذا افتخر بالعلم والمعلمين : « معلى في النحو أبو علي^(٧) . أو يقول : « أنا غلام أبي علي النحو في النحو^(٨) .

وقد بلغ من تقدير المعاصرين لأبي علي أن تليذ عليه الإمام المرزوق أحمد بن محمد بعد أن كان — أي المرزوق — رأساً بنفسه^(٩) . وذكر محمد بن الحسن الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) أبا علي ، ووصفه بأنه فارس العريضة ، وحاز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة^(١٠) . وقد مات قبل ثناء الشريف الرضي على الشيخ في أبياته التي بهارثيه ، وذكر الشيخ أبو علي الطبري (ت ٥٤٨ هـ) صاحب مجمع البيان^(١١) عن الشيخ أبي علي الفارسي كلاماً في ذيل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ... الآية » ، ثم قال : « وهذه كلمة مأخوذة من كلام أبي علي الفارسي ، وناهيك به فارساً في هذا الميدان ! نقاباً يخبر

(١) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ ، ونزهة الالباء : ٢٠٩ ، والمنظّم لابن الجوزي : ١٣٨/٧

(٢) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ وانظر النجوم الزاهرة : ١٥١/٤

(٣) نزهة الالباء : ٢٠٩ (٤) عقد اللجان القسم الثالث : ٤٠٠

(٥) إشارة التبيين (٦) النجوم الزاهرة : ١٥١/٤

(٧) اخبار العلماء بأحكام الحكماء : ١٥٢

(٨) انظر تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ ، وإنباه الرواة : ٢٧٣/١ ، ووفيات الاعيان : ٣٦٢/١

وفية الوعاة : ٢١٦ وشذرات الذهب : ٨٨/٣

(٩) معجم الادباء : ٣٥/٥ (١٠) معجم الادباء : ١٥٧/١٨

(١١) انظر معجم سر كيس : ١٢٢٧

عن مكنون هذا العلم بواضح البيان ، . ثم عقب صاحب الروضات بقوله : « وناهيك به ثناء على مرتبة الرجل من شيخ كبير ، ومطلع خبير ، مضافاً إلى سائر ما يوجد من التعظيم عليه في مواضع كثيرة من تضعيف مصنفات الأدب والتفسير (١) .

وأثنى القاضي الأكرم على ابن الحشاش (ت ٥٦٧ هـ) فقال : « إنه كان في درجة أبي على الفارسي (٢) . وثناء الأكرم على ابن الحشاش ومقارنته بأبي على في مضمونه اعتداد بفضل الشيخ ، وتقدير لمكاتبته .

وقال في مسالك الأبصار عن أبي على : « رجل خط براءة ، وحط الصبح عن قناعه ، وكف الدهر عن قراءه ، وسعت إليه الزمر ، وسعد لديه بالثمر ، وجاءته الوفود ، وتزاحمت لديه على الورود ، وصدرت عنه الركائب ، وقد أودعت حقايبها طيباً ، وحقايقها ما كان لسقام الأفهام طيبياً ، وكان على هذا لا يسلم من لسان حاسد ، وثالب حاشد ، وثباته على هذا عجب ، وإثباته في أهل الفضل قد وجب (٣) .
فها نحن أولاء نرى أن مبعث ثناء القدماء على أبي على ، وتقديرهم له أمور :

(أ) صلته بعضد الدولة .

(ب) إمامته في النحو .

(ج) مصنفاته .

(د) براعة تلاميذه وحذقهم .

وبما لا شك فيه أن تقدم أبي على عند عضد الدولة ، أضفى عليه كثيراً من تقدير القدماء ، على أن الرجل ما كان ليتقدم عند الأملرولا قدمه الراسيخة في النحو ، وبراعته الفائقة في التصنيف .

وأود أن أقف وقفة عند رأي لأبي العلاء في أبي على أورده في رسالة الغفران قال : « وكنت قد رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا وظلمتنا ، فلما رأني أشار إلى يديه ، فجئته فإذا عنده طبقة منهم (يزيد بن الحكم الكلابي) وهو يقول : « ويحك ! أنشدت عنى هذا البيت ، برفع (الماء) يعنى قوله :

(١) روضات الجنات : ٢١٩ ، ٢٢٠ (٢) انظر معجم الادب . : ٤٨/١٢

(٣) مسالك الابصار ج ٤ مجلد ٢ : ٣٠١

فليت كفافا كان شرك كله وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى^(١)
ولم أقل إلا الماء، وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى :
تبدل خليلا بنى كشكلك شكله فانى خليلا صالحاً بك مةتوى
ولانما قلت : مقتوى بضم الميم .

* * *

وإذا رجل آخر يقول : ادعيت على أن الهاء راجعة على الدرس فى قولى :
هذا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب
أفجنون أنا حتى أعتقد ذلك ؟
وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله ، فقلت : يا قوم ! إن هذه
أمور هينة ، فلا تعتوا هذا الشيخ ؛ فإنه يمت بكتابه فى (القرآن) المعروف (بكتاب
الحجة) ، وأنه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم ما لا فتفرقوا عنه^(٢) .
وفى هذا النص دلالات :

أولها : أن أبا على يتأول على الشعراء ، ويدعى عليهم .
وثانيها : وأن تأوله — هنا — وادعاه من الأمور الهينة .
وثالثها : أن كتاب الحجة لأبى على مقدر من أبى العلاء ، ومن أجله نهى عن
إعنات الشيخ ، ودفع عنه الهجوم .

واتهم أبو محمد الأسود فى كتابه نزهة الأديب أبا على بتحريف البيت :
وطرفك إما جئتنا فاحبسه كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
وذكر أن الصواب فيه :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر^(٣)
وإذا كان أبو على مشهوراً بأمانته العلمية ، ودقته فيما يرويه وتحريه ، فالباحث
لا يسلم بما اتهم به من تحريف أو ادعاء ، سواء أكان ذلك من الأسود أم من
أبى العلاء ؛ فالقصيدة التى ورد فيها بيتا يزيد الكلابى مسنده إليه فى البصريات إسناداً
دقيقاً ، أنشدها أبو على ؛ عن أبى الحسن على بن سليمان الأخفش ، عن أبى العباس

(١) فى البصريات لوحة ٥٧ واملأى القال : ٦٨/١

فليت كفافا كان خيرك كله وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

(٢) رسالة النفران تحقيق ابنة الشاطىء : ١٥٤ (٣) المنى لابن هشام : ١٤٨/١

ثعلب ، عن أبي الحسن ، عن الأحول الذى رواها عن رجل عن أبي عبيدة . إلى أن كُتبتى الماء ومقتوى ، مضبوطان بما أراد يزيد^(١) . فلعل هذا الضبط توارثه تلاميذ أبي على عنه ، على أنى رأيت أبا على يتعقب الرواة بما يدل على تحقيقه للرواية وتمحيصه ما ينشد المنشدون^(٢) . ورجل هذا شأنه يكون بعيداً عن قصد التحريف أو الادعاء .

هذا ويتفق كل من الأعلام الشفتمرى والبغدادى مع أبي على الفارسى فى رجوع الضمير على الدرس فى البيت ، هذا سراقة . . . ، ولم يجوز عوده على القرآن ؛ لئلا يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معاً^(٣) . ولإذن للرأى الذى ذهب إليه أبو على فى البيت وجه من الصناعة النحوية ، وعلى أية حال فإتهام الشيخ بما اتهم به لا يضع من مكانته ، ولا يحط من قيمته ، ويكفيه ما انتهى إليه حكم أبي العلاء ، وهو حكم ترضى حكومته

(١) البصريات : ٥٧
(٢) انظر المخصص : ١٠٢/٤ ، ١٠٧/٧
(٣) انظر شرح الشواهد للأعلام - الكتاب : ٤٣٧/١ ، والحزانة ط السلفية : ٢/٢
وانظر الحجة : ٥٥/٤ ن البلدية حيث أورد أبو على البيت ، وخرجه ، وعلل لتخريجه .

الفصل الثالث

آثار أبي علي

إحصاؤها - وترتيبها - وملاك ذلك

عاش أبو علي في عصر انقسام الدولة العباسية إلى دويلات تكرم العلم، وتتنافس على اجتذاب العلماء، ويسعى هؤلاء إلى نيل الخطوة عند الحكام والأمراء بما يهدونه من تأليف ينسبونها إليهم، ثم كان أن تليد أبو علي لشيخو تختلف نواحي تخصصهم: ففيهم القارى كآبي بكر بن مجاهد، وفيهم النحوى كآبن السراج والزجاج، وفيهم اللغوى كآبن دريد، وكان أبو علي بعد ذلك محباً للعلم مشغوفاً به، مكباً على دراسة ما خلف الأقدمون من تراث في النحو والثقافة العربية، ثم نسا الله له في أجله، فامتلات حياته الطويلة بالبحث، والدرس، والتأليف، وتقل أبو علي في الاقطار الإسلامية المختلفة يسعى إليه طلاب العلم، يجتمعون حوله، مستمعين إليه، مشتركين معه فيما يتناوله من مسائل اللغة والصرف بحثاً، ودراسة، وتفسيراً، وتفتيشاً، وإملاء، وتدويناً. ثم يكون أبو علي مؤدباً لأبناء خسرو، ويؤلف لعضد الدولة الذى تليد له.. وكانت طبيعة آبي علي ناقدة، وقرىحته وقادة تعقب الشيخو إصلاح ما أغفلوه، وتبجهم بالتنبيه على مواضع السهو والغلط، لجاءت آثار آبي علي صورة صادقة لهذه العوامل التى أحاطت به فى بيئته العامة، وطبيعته، وظروفه الخاصة، وترك ثروة علمية ضخمة أحصيتها بما ذكره المترجمون والوراقون فيما يأتى:

- ١ - الحجة .
- ٢ - التذكرة: قال فى كشف الظنون، وهو كبير فى مجلدات (١) .
- ٣ - آبيات الإعراب .
- ٤ - شرح آبيات الإيضاح، ذكره ابن النديم .
- ٥ - مختصر عوامل الإعراب
- ٦ - المسائل المصلحة يروها عن الزجاج، وتعرف بالأغفال .

- ٧ — الإيضاح .
٨ — المقصور والمدود .
٩ — الإيضاح الشعري .
١٠ — المسائل الحلبية .
١١ — المسائل البغدادية .
١٢ — المسائل الشيرازية .
١٣ — المسائل القصرية .
١٤ — نقض الهاذور .
١٥ — كتاب الترجمة ذكره ياقوت (١) .
١٦ — المسائل المنثورة .
١٧ — المسائل الدمشقية .
١٨ — أبيات المعاني .
١٩ — التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير .
٢٠ — تفسير قوله تعالى : « يأبها الدين آمنوا إذا قتم إلى الصلاة » .
٢١ — المسائل البصرية .
٢٢ — المسائل العسكرية .
٢٣ — المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج .
٢٤ — المسائل المشككة .
٢٥ — المسائل الكرمانية : ذكرها ياقوت ، والقفطي ، والسيوطي ، وابن الحاج خليفة .
٢٦ — العوامل المائة .
٢٧ — المسائل المجلسيات .
٢٨ — المسائل الذهبيات : انفرد بذكرها القفطي في إنباه الرواة (١) .
٢٩ — تعليقة على كتاب سيويه : ذكره السيوطي في بغية الوعاة (٢) .
٣٠ — جواهر النحو : انفرد بذكره بروكلمان وذكر أنه بكتبه مشهد (٣) .
٣١ — الهيئات : ذكرها ابن هشام في المعنى (٤) ، كما ذكره البغدادي (٥) .
٣٢ — أقسام الأخبار في المعاني (٦) .
٣٣ — الأهوازيات : ذكرها ابن سيده في المحكم (٧) .

(١) انظر معجم الأدباء : ٢٤١/٧ ..

(٢) انظر ٢٧٤/١

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي : ١١٣/١ ، ١١٤٢ ، والملحق ١٧٥ ، ١٧٦ ،

(٤) انظر : ١٠/٢ (٥) انظر الخزانة : ٦٣/٢

(٦) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٣٧٩

(٧) المحكم و اللغة لابن سيده : ١ ص ١٤

تعليق وتحقيق :

(١) النحو هو الطابع العام لكتب أبي علي التي نظرتها ، وأستثنى كتاب الحجة فهو موسوعة جامعة للثقافة العربية .

(ب) نسب العلامة أحمد تيمور كتاب البارغ للفارسي وقال : « لأنه لا يوجد إلا تنف منه بباريس (١) » . والمعروف أن البارغ لأبي علي القالي (٢) ، فلعل هناك لبساً دعا إليه تشابه الكنيتين .

(ج) علق المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر على كتاب نقض الهاذور بقوله : وهذا الكتاب ذكره أبو بكر بن خير في فهرسه (٣) ، ولم نفهم له موضوعاً إلا أن يراد من الهاذور الهاذر ، غير أن هذا الوزن لم يرد في القاموس مع كثرة ما جاء به من الوصف في الهذر (٤) . وتشير علامة الاستفهام التي وضعها محققو سر صناعة الإعراب بعد : نقص (كذا) الهاذور إلى نحو ما حاك في صدر الأستاذ عبد الخالق عمر (٥) . وأقول : إن موضوع نقض الهاذور هو الرد على ابن خالويه في رده كتاب الأغفال (٦) .

(د) لا أعلم أن أحداً من المترجمين ذكر أن للفارسي كتاباً في معاني القرآن ، ولعل الأمر قد التبس على بعض الباحثين في زمننا (٧) .

(هـ) المسائل القصرية : أملاها أبو علي على تلميذه أبي الطيب محمد بن طويس القصري فسميت به (٨) ، ويذكر صاحب الروضات أسباباً أخرى في تسميتها بالقصرية (٩) .

(١) انظر مجلة الهلال سنة ٢٨ ص ٣٣١

(٢) انظر وفيات الأعيان : ٢٠٤/١ ، وتذكرة النوادر : ١١١ مطبعة دائرة المعارف الهندية سنة ١٣٥٠ هـ

(٣) ص ٣١٠

(٤) حاشية معجم الأدباء : ٢٤١/٧

(٥) انظر مقدمة سر الصناعة : ٣٠

(٦) انظر الفلاحة والملوكين : ١٠٢ وخزانة الأدب : ٤/١٢٥

(٧) انظر أثر القرآن في تطور النقد العربي : محمد زغلول سلام : ٣٣

(٨) انظر كشف الظنون : ٣/١١٧٠

(٩) راجع روضات الجنات : ٢٢٠ وأعيان الشيعة : ٤٦٥/٢٠

(و) ذكر ياقوت من كتب أبي علي : المسائل المصلحة على ابن السراج^(١) .
والذى أعرفه أن أبا علي أصلح على الزجاج حسب^(٢) .

(ز) هل الإيضاح الشعرى هو شرح أبيات الإيضاح ؟ أو هو كتاب الشعر ؟
أو هو ما ذكره أبو علي في كتاب الحججة باسم : « شرح الأبيات المشككة الإعراب
من الشعر^(٣) » .

ليس لدى ما أجيب به عن هذه الأسئلة على وجه اليقين .

(ح) عقد أبو علي في التكملة فصلاً جامعاً عن المقصور والمدود ، فهل هو كتاب
المقصور والمدود الذى ورد في الإحصائية السابقة ؟

(ط) قال المرحوم أحمد أمين ما نصه : « وقد رحل أبو علي إلى بلاد كثيرة ،
وكان يدون في كتابه ما يجرى له من مناظرات في كل بلد ، فكتاب المسائل الحلييات
والبغداديات ، والشيرازيات الخ^(٤) » .

والقارىء لمسائل أبي علي هذه لا يجد شيئاً فيها من مناظرات ؛ وإنما هي مسائل
أشتات بعيدة كل البعد عن جو المناظرات ، ولا رائحة فيها لشيء من ذلك (راجع
البحوث التى عرفت فيها بهذه المسائل) .

(ى) رتبت ما عثرت إليه من كتب أبي علي على النحو الآتى :

المسائل المشككة ، فالاغفال فيما أغفله الزجاج من المعانى ، فالبغداديات ،
فالعسكريات ، فالبصريات ، فالحلييات ، فالإيضاح ، والتكملة ، فالشيرازيات ،
ثم الشعر ، وأقسام الأخبار ، والمسائل المنثورة ، فالحجة .

أما الأسس التى بنيت عليها هذا الترتيب فتكاد تنحصر فيما يأتى :

(١) نصوص وردت فى كتبه تشير إلى تقدم كتاب عن كتاب ، فهو يشير
فى الاغفال إلى المشككة ، ويشير فى الحلييات إلى الاغفال ، كما يشير فى الحججة إلى
مسائله جميعاً .

(ب) ما انتهيت إليه فى فصل (بيته أبي على المكانية) الذى رتبت فيه تنقلاته
فى المدن التى زارها ، وعلى هذا الترتيب نسقت مسائله التى عثرت عليها ، فكانت

(٢) انظر التعريف . بالاغفال

(٤) ظهر الاسلام : ١/٢٤٣

(١) انظر معجم الأدباء : ٧/١٤١

(٣) انظر الحججة : ٣/١٥٠ ن البلدية

البغداديات ، والبصريات سابقتين للحلبيات ، وكانت هذه سابقة للشيرازيات ، وهكذا ...

(ج) بدء صلته بعضد الدولة عينت لى تاريخ الإيضاح والتسكلة ومكانهما الزمنى فى ترتيب كتبه .

(د) لم أهدى لى ميلاد الشعر ، والعسكرىات ، وأقسام الأخبار ، فليس هناك نصوص كاشفة ولا دلائل تعين ، وقد أورد أبو حيان فى ارتشاف الضرب (١) . رأى أبى على فى أن القسم يجوز أن يتلقى بلام كى ، وقال : « إن أباً على أجازه فى العسكرىات ، ورجع عنه فى البصرىات ، والتذكرة ، ، فهل يفهم من ذلك أن العسكرىات سابقة على البصرىات والتذكرة ١٤ !

وقد أعددت أول الأمر أن يكون أساس الترتيب ما يبدو فى كتب الشيخ من دلائل التطور العقلى وآثاره ؛ فالكتاب الذى يظهر فيه العمق والنضج يكون خالفاً ، والذى يبدو فيه الساحة والقجاجة يكون سالفاً — هذا على وجه العموم — وعنىت بخاصة أخذاً بذلك الملاك — بجمع مسائل وردت فى أكثر من كتاب ، والموازنة بينها ، والتعرف على دلائل التطور العقلى فيها — كحديثه مثلاً عن إعراب أوجاء وكم حصرت صدورهم فقد ورد فى البغداديات (٢) . والشيرازيات (٣) ، وتدليله على أن الجمل لا تقوم مقام الفاعل فقد ورد فى البصرىات (٤) . والبغداديات (٥) وحديثه عن شتآن (٦) . وحديثه عن أن (٧) . وهكذا (٨) ... ولكنى رأيت أن الأخذ بذلك الملاك يتدافع . أولاً — مع النصوص التى وردت فى كتبه ، وهى أحق أن يؤخذ بها ، وأن تعتبر دون سواها ، ثم رأيت . ثانياً — أن مرد التعمق عند الشيخ الحال التى أُلّف فيها ، والظروف التى أحاطت به ، وأهمية الموضوع الذى يتناوله . ومن أجل ذلكم كان احتفاله بالاغفال — وهو من كتبه الأولى —

(١) انظر ص ٨٦٨

(٢) لوحة : ١٩ (٣) لوحة : ٤٢

(٤) لوحة : ٤٧ (٥) ٤٦

(٦) انظر البغداديات : ٤٥ ، والعسكرىات : ١٣٣

(٧) انظر الشيرازيات : ٦٧ والثورة ١٦٤

(٨) راجع التعرف بهذه الكتب

لأنه تعرض لشيخه الزجاج ، فلا بد أن يحشد الجهد ، وأن يدقق إذا ما أخذ أو ردَّ ، ثم كان احتفاله بكتابه إلى سيف الدولة — وهو جزء من الحلبيات — ؛ لأنه يرد فيه كيداً ، ويفحم به خصماً ، افترى عليه حسداً ، كما كان احتفاله بالشيرازيات ؛ لأنها ولدت في فترة من الهدوء والاستقرار مكَّنا للشيخ أن يتعمق وأن يتأنق^(١) .

أما كتابه الحجة فقد اجتمعت عوامل مختلفة دفعت الشيخ إلى تجويده : فهو أولاً من كتبه المؤلفة أخيراً ثم هو ثانياً يقرن احتجاجه للقراءات بما احتج ابن السراج^(٢) ، وأخيراً كان موضوعه كافياً لأن يحمل الشيخ على الاحتفال به ، فجاء الكتاب بعد ذلك نابضاً بحيويته ، ومعرضاً لثقافته وشخصيته . . .

الباب الثاني

أبو علي والاحتجاج للقراءات

الفصل الأول

الاحتجاج للقراءات، وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي

أعقد هذا الفصل، والغرض منه المامه بأهم ظواهر الاحتجاج للقراءات وتطورها منذ عصر صدر الإسلام حتى عصر أبي علي الفارسي؛ لتكامل أمانى حلقات البحث في سلسلة مترابطة آخذ بعضها بحجز بعض. حتى إذا ما انتهيت إلى أبي علي فصلت الكلام على عمله في الاحتجاج تفصيلاً، وبذلكم يتجلى جهده في تطور الاحتجاج، وموازناً عمله بالسالفين، متحدثاً عن أثره في الخالفين.

ومن الحق أن أذكر أنى لم أستقص مظاهر الاحتجاج كلها فما لى طاقة بذلك، وان كانت — فليس من الشأن فى هذا البحث أن أحشد الجهد له، ولكنه مجرد التمثيل للعالم الكبرى التى بدت لى من آثار المشهورين من المحتجين، قراءاً كانوا أو نحويين. وأبدأ الحديث فأقول:

قد يكون التخالف بين قراءة وقراءة ناشئاً من اختلاف المصاحف^(١)، أو من لهجات القبائل العربية^(٢). وقد يكون التخالف — فى الأعم الأغلب بسبب اختلاف الأحكام النحوية فى الأساليب العربية، وهو ما سماه أبو الفضل الرازى: «الاختلاف من حيث وجوه الإعراب»^(٣). وما سماه ابن قتيبة: «الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها»^(٤). وقد اشتغل كل من القراء والنحاة

(١) انظر الفهرست لابن النديم / ٥٤

(٢) راجع القرطين لابن مطرف الكنانى : ٢٢٢

(٣) انفسر فى القراءات المعسر لابن الجزرى : ٢٧/١

(٤) القرطين : ٢٢١

بالاحتجاج للقراءات ، فوجهوها ، وكشفوا عن عللها على اختلاف بين الفريقين في النزعة ، ومنهج التناول على ماسأ بينه في موضعه المقسوم إن شاء الله .

وكانت هناك احتجاجات فردية لبعض القراءات ، وتمثل هذه الاحتجاجات فيما روى — مثلاً عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) (١) . انه قرأ نشرها من قوله تعالى :

« وانظر إلى العظام كيف نشرها . . . (٢) ، واحتج (٣) بقوله : « ثم إذا شاء أنشره ، وما روى عن عاصم الجعدي (ت ١٢٨ هـ) (٤) انه كان يقرأ مَلِك يوم الدين (٥) — بغير ألف ، واحتج على من قرأها مالك « بألف ، فقال : يلزمه أن يقرأ : « أعوذ برب الناس مالك الناس (٦) . »

وكان عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) يقرأ : « يا جبال أوّبي معه والطير (٧) ، بالنصب ويقول : هو على النداء (٨) . وأستطيع أن أستنتج من رواية ابن السراج عن الزبيدي أن أبا عمرو أحد القراء السبعة (ت ١٥٤ هـ) (٩) . احتج لقراءته في بعض منها : جاء في كتاب الحجّة في الاحتجاج لقراءة أبي عمرو « مالك يوم الدين » ، قال أبو بكر محمد بن السري : قال أبو عمرو فيما أخذته عن الزبيدي : « إن ملك يجمع مالكا . »

وكان يحتج على من قرأها مالك بألف (١٠) — بقوله : « أفلا يقرءون : فتعالى الله المالك الحق (١١) ؟ . »

يقول أبو عمرو ذلك متعجباً : إذ لم يقرأها في سورة طه بالألف أحد من العشرة (١٢) ولا من الأربعة عشر (١٣) .

-
- (١) طبقات القراء : ٤٢٦/١ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٩
(٣) معاني القرآن للقراء : ١٧٣/١
(٤) سورة عبس آية ٢٢
(٥) طبقات القراء : ٣٤٩/١
(٦) سورة الفاتحة آية : ٤
(٧) الحجّة : ٣/١
(٨) سورة سبأ آية ١٠
(٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٣٦
(١٠) طبقات القراء : ٢٩٢/١
(١١) الحجّة : ١/لوحه ٢ من مراد ملا
(١٢) سورة طه آية : ١١٤
(١٣) انظر النقر : ٣٢٢/١
(١٤) انظر تحف فضلاء البصر ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

ويبدو أن التوجيه الإعرابي للقراءات المتخالفة قد ذاع في عصر محمد بن سليمان
والى البصرة (ت ١٧٣ هـ) ^(١) .

فقد كان يقول : « إن الله وملائكته ، وكان يرفع الملائكة ، فقيل له في ذلك ،
فقال : « خرجوا لها وجها ، ولم يكن يدع الرفع » ^(٢) .

هذه تخريجات فردية مرتبة ترتيباً تاريخياً لبعض القراءات ، ينهج أصحابها نهجاً
لغوياً وإعرابياً في الاحتجاج ^(٣) . ، أو يستعينون بقراءة على تخريج أخرى ^(٤)
حتى إذا كان هرون بن موسى الأعمور (ت قبل سنة ٢٠٠) ^(٥) وذكر صاحب
البغية أنه تولى في حدود السبعين ومائة ^(٦) — رأيناه فيما يقول أبو حاتم السجستاني:
أول من سمع البصرة وجوه القراءات ، وألفها ، وتبع الشاذ منها ، فبحث عن
اسناده ^(٧) ، وكان الذي هيا له ذلك — فيما يبدو — أنه روى القراءة عن ثلاثة
من القراء : قرأ على عاصم بن أبي النجود ، وعبد الله بن كثير ، وأبي عمرو
ابن العلاء ^(٨) ، وإذن فهرون الأعمور يعد الخطوة الأولى — كما يقول أبو حاتم —
في تأليف القراءات والاحتجاج لها ، وأذكر هنا جهد سيوييه (ت ١٨٠ هـ)
 واحتججه للقراءات في مواضع من الكتاب ، وأسفردها بعد بالحديث والبيان .

وقد ذكر ابن الجزرى أن العباس بن الفضل (ت ١٨٦ هـ) ناظر الكسائى
في الإمالة ^(٩) ، والمناظرة بما فيها من برهان وتديل ، يرجح عندها أنها جاءت على
صورة احتجاج وتليل ، وربما كان معنى ناظر الكسائى أنه نظيره ، وبذلك التفسير
لم تقع هناك منافسة ، ولهذا التفسير وجهة من قول ابن الجزرى عن يحيى بن زياد
الخرارزمى رواية عن الهذلى أنه — أى يحيى — نظير قتيبة في الإمالة ^(١٠) .
ولكن يبعد هذا التأويل عندي :
(١) صيغة المفاعلة مع الكسائى .

-
- (١) انظر شذرات الذهب : ٧٨٢/١ (٢) البيان والتبيين للاجحاظ : ٢٣٤/٦
(٣) انظر تخريج عيسى بن عمر لقراءة ياجبال أو يبي معه والطير وكذلك تخريج حمزة لمز
الذئب ، وتسجيل الحوت
(٤) انظر تخريج ابن عباس لقراءة (نشرها) (٥) طبقات القراء : ٣٤٨/٢
(٦) بنية الوعاة : ٤٠٦ (٧) طبقات القراء : ٣٤٨/٢
(٨) المصدر السابق (٩) طبقات القراء : ٣٥٣/١
(١٠) المصدر السابق : ٣٧٢/٢

(ب) قول الذهبي: « أن قتيبة بن مهران له إملات مزججة معروفة ^(١) ، فيكون ابن الجزرى أراد أن يحيى بن زياد نظير قتيبة في ذلك .

(ج) أن العباس بن الفضل والكسائي كانا متعاصرين عما يقوى وقوع المناظرة بينهما (فقد توفى الأول ١٨٦ هـ) ، (وتوفى الكسائي ١٨٢ هـ وقيل سنة ١٨٩ هـ) ^(٢) .

ويمثل لنا ما دار بين حمزة بن حبيب — أحد القراء السبعة وتلميذه الكسائي . طرفاً من المناقشات حول القراءات . . . وما في غضون هذه المناقشات من احتجاج: قالوا: « قرأ الكسائي أمام حمزة — سورة يوسف ، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ: « فأكله الذئب » بغير همزة فقال له حمزة: « الذئب بالهمزة » فقال له الكسائي: « ولذلك أهز الحوت وقرأ: « فالتقمه الحوت » فقال: « لا ، فقال الكسائي — لم همزت الذئب ، ولم تهمز الحوت ، وهنا فأكله الذئب ، وهذا فالتقمه الحوت ١٩ فرجع حمزة ببصره إلى حماد الاحول وكان أكمل أصحابه ، فتقدم إليه في جماعة أهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئاً ، وقالوا: « أفدنا (يرحمك الله تعالى) فقال — والتمائل حمزة — تقول « إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذاب ولو قلت: قد استذاب بهير همز لكننت إنما نسبت إلى الذئب . فتقول: قد استذاب الرجل إذا ذاب شحمه بغير همز وإذا نسبت إلى الحوت قلت: قد استحات الرجل أى كثر أكله للحوت إذا كان يأكل منه كثيراً ، فلا يجوز فيه الهمز ، فلتلك العلة همز الذئب ، ولم يهز الحوت ، وفيه معنى آخر: لا تسقط الهمزة من مفردة ولا من جمعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب ، وابنـه ، وأبوـه ! أنت عندي من أذؤب ضاريات ^(٣)

وقد دارت مناقشة حول قوله تعالى: « إنما أنا رسول ربك لأهب لك ^(٤) . اشترك فيها يحيى أكثم ، واليزيديان: محمد بن أبي محمد وأخوه ابراهيم وكانا يقرئان المأمون: قرأ المأمون « إنما أنا رسول ربك ليهب لك » فردها يحيى متمسكاً برسم المصحف وأقرأها محمد ، وخرجها على وجه من التأويل ^(٥) . فسئل يحيى في هذه

(٢) انظر نزعة الألباء: ٤٧

(١) طبقات القراء: ٢٦/٢

(٤) سورة صريم آية ١٩

(٣) نزعة الألباء: ٤٤

(٥) انظر خبر هذه المناقشة في طبقات النحويين واللغويين لزيدى: ٧٩

المنافشة جانب القول بالآثر^(١)، وذهب محمد فيها مذهب أهل الرأى من المحتجين .
ويذكر المترجمون يعقوب بن اسحق بن زيد الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) أحد القراء
العشرة^(٢) وحفيد عبد الله بن أبي اسحق النحوي — بعمل في الاحتجاج . يقول عنه
أبو حاتم : « كان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف ، والاختلاف في القرآن ، وتعليقه
ومذاهبه ، ومذاهب النحو في القرآن ، وأزوى الناس لحروف القرآن ، وحديث
الفقهاء^(٣) ، وقد ألف يعقوب كتاباً سماه الجامع ، جمع فيه عامة اختلاف وجوه
القرآن ، ونسب كل حرف إلى من قرأ به^(٤) . ويبدو أن كلا من هرون الأعمور
(ت في حدود ١٧٠ هـ) ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) جمع بين القراءات
المتواترة والشاذة ، كما كان من أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) مثل ذلك ،
جاء في كشف الظنون : « أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب ، وجعلها فيما أحسب
خمساً وعشرين قراءة مع السبعة^(٥) .

وبقيت التخریجات الفردية بجانب هذه الكتب الجامعة للقراءات واسنادها
ذلكم ما قاله أبو سوار^(٦) . فيما يرويه أبو عثمان المازني (ت ٢٤٦ هـ) قال : قرأتُ
على أبي وأنا غلام : ترى الودق يخرج من خلاله ، فقال أبو سوار وكان فصيحاً : يخرج
من خلله ، فقال أبي : « من خلله قراءة ٤١ ، فقال أبو سوار : أما سمعت
قول الشاعر :

« يشير بغمزة ، يخرج من خلل السحاب ،
قال أبو عثمان : خلل وخلال واحد ؛ هما مصدران^(٧) . وكان أمر تقتضيه
طبيعة الأشياء أن تولى كتب الاحتجاج للقراء السبعة بعد أن اختارها ابن مجاهد
(ت ٢٢٤ هـ) أول من سبع السبعة^(٨) في كتابه المترجم بقراءات الأمصار ،
إذ كيف يكون احتجاج للقراء السبعة ولما يقع عليهم الاختيار ١٤ قبل ابن مجاهد

(١) كان يحيى سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة انظر تاريخ بنداد : ١٩٨/١٤

(٢) طبقات القراء : ٣٨٢/٢

(٣) طبقات الزيدى : ٥١ وطبقات القراء : ٣٨٩/٢

(٤) طبقات النحويين والعمويين للزيدى : ٥١ (٥) كشف الظنون : ٢٢٠/٢

(٦) لم أجد في كتب التراجم إلا سوار بن عبد الله (٥٢٤٥ هـ) انظر تاريخ بنداد : ٢١٠/٩
والابن سوار ، وليس هو المذكور هنا إذ أن ابن سوار هذا توفي سنة ٤٩٦ هـ انظر
طبقات القراء : ٨٦/١

(٧) ابراز الماني : ٥

(٨) الفهرست لابن النديم : ٦٧

كانت الكتب الجامعة للقراءات تشتمل على السبعة التي وثقتها ابن مجاهد فيما بعد ، بجانب ما تشتمل على غيرها من القراءات الأخرى ، واحتج العلماء لهذه القراءات جميعاً السبعة وغيرها كالذي كان من المبرد (ت ٥٢٨٥) الذي ألف كتابه احتجاج القراءة ^(١) . في ذلك الوقت الذي سبق ابن مجاهد بما يقرب من نصف قرن . وكالذي كان من الطبري (ت ٣١٠) على النحو الذي سأعرض له فيما بعد بالتفصيل . وقد ألف ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) كتاب الاحتجاج للقراء ، كما يذكر ابن النديم ^(٢) . وقد توفي ابن درستويه بعد ابن مجاهد ، ومن هنا لا أستطيع على التحقيق أن أجزم بأن احتجاج ابن درستويه كان للقراء السبعة أو كان على نحو احتجاج المبرد — شاملاً للسبعة وغيرها ؟ ومن المرجح أن يكون على هذا النحو الأخير ، كما يفهم من تقديم أبي على كتاب الحجّة حيث يذكر أنه مسبوق بعمله في الاحتجاج لسبعة ابن مجاهد : سبقه محمد بن السري حسب ، ولم يعرض لذكر ابن درستويه ^(٣) . ويعد عمل ابن مجاهد خطوة حاسمة باختياره القراء السبعة ، وكان الرجل ذا قدم راسخة في القراءات ، وكان بعيد الصيت مع الدين والحفظ والخير ^(٤) . كما كان مسموع الكلمة عند الحكام ، فانتصروا لهذه القراءات ، وأوقعوا من خالفها العذاب ^(٥) . واتجه المحتجون إلى الاحتجاج لقراء الأمصار السبعة ، بحمّية للدين ، وحفاظاً على التنزيل ، فتتابع المعالم الكبرى للتأليف في الاحتجاج على النحو الآتي :

يحتج أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (٥٣١٦ هـ) للقراءات المسموعة التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه القراءات ، فيتم سورة الفاتحة ويتناول جزءاً من سورة البقرة ثم يمك ^(٦) . ويؤلف أبوطاهر عبد الواحد البزار (ت ٥٣٤٩ هـ) كتاب الانتصار لحزمة ^(٧) . وقد جعلته من كتب الاحتجاج لما يوحى به العوان ، كما يؤلف محمد بن الحسن الأنصاري (ت ٥٢٥١ هـ) كتاب السبعة بعلمها الكبير ^(٨) ، وينشط أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم (ت ٥٣٦٢ هـ) في هذا الباب فيؤلف :

(٢) الفهرست : ٥٣ ، ٩٤

(٤) طبقات القراء : ١٤٢/١

(٦) تقديم الحجّة : ٢/١

(٨) الفهرست : ٥٠

(١) الفهرست : ٨٨

(٣) الحجّة : ١/لوحه

(٥) كما حدث لابن شنبوذ وابن مقسم

(٧) الفهرست : ٤٨

(١) كتاب احتجاج القراءات . (ب) كتاب السبعة بعلمها الكبير .
(ج) كتاب السبعة بعلمها الأوسط . (د) كتاب السبعة بعلمها الأصغر^(١) .
ويؤلف الأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) صاحب تهذيب اللغة كتاباً فى علل
القراءات^(٢) .

ثم يعقبه أبو على الفارسى (٣٧٧ هـ) بكتابه الحجة، ويعاصر أباعلى ابن خالويه
(٣٧٠ هـ) فيحتج لقراءات السبعة كذلك^(٣) . ويحيى ابن جنى تليذ الفارسى
(ت ٣٩٢ هـ) فينتصر لما شذذ ابن مجاهد من القراءات، ويحتج لها فى
كتابه المحتسب .

وفى القرن الخامس ينشط القراء فى الاحتجاج ، فيؤلف مكى بن أبى طالب
حوش (ت ٤٣٧ هـ) كتابه الكشف عن علل القراءات وحججها^(٤) . ويؤلف
الدانى (٤٤٤ هـ) كتاب الموضح لمذاهب القراء واختلافهم فى الفتح والإمالة^(٥) .
وتتابع كتب القراء جامعة تفصيل مذاهب السبعة^(٦) . أو العشرة^(٧) أو الاربع
عشرة^(٨) واغلبها يحتج احتجاجاً موجزاً للأصول ، وفرش الحروف . وبقى على
أن أقول : ه ان هناك كتباً ألفت فى معانى القرآن^(٩) ، وقد قصدت هذه الكتب .
كما يدل عليها اسمها ، وكما استنتجت من اطلاعى على الباقية منها^(١٠) قصدت إلى
إلى تفسير القرآن ، وتعرضت — تبعاً لذلك — إلى إعراب الكلمات التى تتعلق
باعرابها توجيه المعنى . وتختلف باختلافه الأوجه الإعرابية فى الكلمة ، أو إلى
التفسير اللغوى للدين القرآنى الذى اختلفت القراء فى ألفاظه . وتعرض هذه الكتب
لتوجيه القراء ، ولكن من هذه الزاوية أولاً — ومن هذه الناحية يعدها الباحث
من كتب الاحتجاج .

-
- (١) الفهرست : ٤٩
(٢) تاريخ الاسلام الذهبى : ١٠٩ حوادث سنة ٣٦٨
(٣) فى حجة ابن خالويه مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب
(٤) الكتاب بدار الكتب رقم ١٩١٨٢ ب
(٥) له نسختان بمكتبة الأزهر رقم ١٠٣، ٥٩٨٠٢ قراءات
(٦) كاليسير وجامع البيان للدانى والفتاح لأبى القاسم عبد الوهاب بن محمد المحفوظ بدار
الكتب رقم ١٩٦٦٩ ب
(٧) كالنصر لابن الجزرى
(٨) كاتحاف فضلاء البشر للبنا الديبلى
(٩) اظفر الفهرست : ٥١
(١٠) كمعانى القرآن للقراء والزجاج

وبعد : فيجدري أن ألخص المعالم الكبرى للاحتجاج في الخطوات الآتية :
كانت الخطوة الأولى في الاحتجاج تتمثل في هذه التخريجات الفردية ، تأتي
منثورة هنا وهناك ، يدعو إليها المقام ، وترد عند الاقتضاء ، واستمرت هذه
الخطوة مسيرة للخطوة الثانية التي تمثلت في جمع القراءات الصحيحة والشاذة —
والبحث عن أسنادها كما فعل هرون بن الأعور ، ويعقوب بن أبي اسحق ، وأبو عبيد
القاسم بن سلام ، وأمام المفسرين الطبري في كتابه القراءات ، وهذه الخطوة تكاد
تكون مفقودة طوى كتبها الزمان ، وعصفت بها الأحداث .

ثم كانت المرحلة الفاصلة في الخطوة الثالثة باختيار إمام القراء أبي بكر بن مجاهد
القراءات السبع ، ويدور حول عمله هذا نشاط له مظاهر أربع تتمثل في :
(١) الاحتجاج لهذه القراءات والكشف عن عللها جملة ؛ كما فعل أبو علي
في الحجة .

(ب) توثيق غير هذه السبع والاحتجاج له ؛ كما فعل ابن جنى في المحتسب .
(ج) الاقتصار على الانتصار لقاريء من السبعة ؛ كما فعل أبو طاهر البزار
في كتابه الانتصار لمخزومة

(د) الاحتجاج لأصل من أصول القراءات يعمل المؤلف لمذاهب القراء
السبعة فيه ؛ كما فعل الداني في كتابة الموضح حيث احتج للفتح والإمالة عند سبعة
القراء . ويبرز بين هذه المعالم — كتاب سيويوه علما شامخا يهدي المحتجين ، كما
تظهر بجانبه في الاحتجاج كتب المفسرين . وسأعرض في الفصول التالية نزعة كل
من إمام النخاعة ، وإمام المفسرين ، وإمام القراء — في الاحتجاج تمهيدا لتناول
نزعة أبي علي بالدرس والبيان ...

سيبويه والاحتجاج للقراءات

يعد الكتاب فيما أرى - الأصل في باب الاحتجاج ، وهو العمدة لمن سلك هذا المنهج من المحتجين ، قراء كانوا أو نحويين ، ومن هنا كان من الضروري أن أتحدث عما كان من سيبويه في هذا السبيل .

وأقدم أن سيبويه في كتابه كان يحتج للأساليب العربية ، وأوجه الخلاف والمشابهة بينهما ، وطرائق إعرابها ، ومقتضيات هذه الطرائق ، وتلك الأوجه من المعنى والاستعمال (١) .

وقد قال سيبويه في معرض التدليل على أن العرب يستخفون فيحذفون النون والتنوين ، ولا يتغير من المعنى شيء . . . وبعد أن أورد طرفاً من الأمثلة يستشهد بها على ذلك ، قال : « وستره أيضاً مفرداً في بابه مع غير هذا من الحجج (٢) » . فدل لفظه هذا أنه كان يقصد إلى الاحتجاج قصداً ، وهو بعمله هذا قد فتح باب الاحتجاج لمن جاء بعده من النحاة والقراء ، وقد كان أبو علي الفارسي في الحجة ينظر إلى الكتاب (٣) .

وأسجل فيما يأتي بعض الملاحظات على منهج سيبويه في تناوله الآيات القرآنية التي قرئت بأوجه متخالفة (٤) :

(١) فهو أحياناً يخطئ القارىء ، ويضعف القراءة إذا لم تكن متفقة هي وما انتهى إليه من رأى أو قياس ، وذلك تخريجه لإعراب فيكون من قوله تعالى : « دكن فيكون » ، فاختار الرفع ، ثم قال : وقد يجوز النصب في الواجب في اضطراب الشعر . . .

فما نصب في الشعر اضطراباً قول الشاعر :

سأترك منزلي لبني نعيم وألحق بالحجاز فأستريحاً

وقول الأعشى :

ثم لا تجزوني عند ذاكم ولكن سيجزيني الإله فيعقبا

(١) سيبويه إمام النحاة : ٣٧

(٢) الكتاب : ٨٤/١ (٣) انظر الحديث عن سيبويه شيبغا من شيوخ أبي علي

(٤) أعانتني فهارس شواهد الكتاب التي أوردتها أستاذي الأستاذ علي النجدي على هذا البحث

ثم قال : وهو ضعيف في الكلام^(١).

وقد رجعت إلى كتب القراءات ، فوجدت أن قراءة النصب عن ابن عامر في ستة المواضع التي ورد فيها هذا الحرف في القرآن الكريم ، ووافقه الكسائي في حرفي النحل ويس^(٢) . فكيف يقول سيويه : والنصب ضعيف في الكلام ؟ وقد ورد في قراءات إمام ناهيك من إمام ١٩

وقد جرى النحاة البصريون وراء سيويه ، فهذا أبو علي الفارسي يرى ما يراه إمامه^(٣) . .

ويجئ العكبري فيلف لهما ؛ إذ يقول : « وقرئ بالنصب على جواب لفظ الأمر ، وهو ضعيف ، ثم دلل على هذا الضعف^(٤) .

(ب) وقد ينفرد قارئ من القراء العشرة بقراءة ، ويقرأ غيره بغيرها ، ومع ذلك فإن سيويه يحكم بأن هذه القراءات المنفردة أكثر وأجود ، فقد قرر أن النصب في معذرة من قوله تعالى : « قالوا معذرة إلى ربكم . . . » أكثر وأجود^(٥) .

فأما كون القراءة أجود فلا اعتراض لي عليه ، وذلك لأن القراءات قد تتفاوت في ذلك لما نقل ابن الجزري في كتابه (منجد الطالبين) ، عن أبي نصر الشيرازي في تفسيره : « إنا لاندعى أن كل ما في القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة^(٦) » وإن كان سبيل التأديب يلزمنا الاعتداد بها جميعاً .

وأما أن قراءة النصب أكثر فيرده أن حفصاً هو الذي قرأ بالنصب والباقي قرءوا بالرفع^(٧) ، ولا شك في أن هؤلاء القراء يمثلون الأثرية في العرب إذا ما اجتمعوا على شيء ، فحكم سيويه يتخالف هو وإجماع بقية القراء ، على غير ما رأى وقرر .

وكان خيراً لو أطلق التجويز من غير ترجيح ، كما حكم في قوله تعالى : « كلا إنها لظلي نزاعة للشوى^(٨) » .

(١) الكتاب : ج ١ ص ٤٢٣

(٢) راجع النشر : ٢٢٠/٢ (٣) الحجة : ج ١ ص ٤٧٤ نسخة مراد ملا

(٤) إعراب القرآن للعكبري : ج ١ ص ٣٣ (٥) الكتاب : ج ١ ص ١٦٢

(٦) منجد القرنين : ٦٥ (٧) انظر النشر في القراءات العشر : ج ٢ ص ٢٧٢/٢

(٨) ج ١ ص ٢٠٨

ومن التوافق الملحوظ أن ينفرد حفص بالنصب ، ويقرأ الباقيون من العشرة بالرفع (١) . تماماً كما في قوله تعالى : قالوا معذرة إلى ربكم

(ج) وأحياناً يجوز قراءة لم ترد عن واحد من القراء العشرة ، فقد جوز الرفع والنصب في « جواب ، من قوله تعالى : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ، ؛ إذ يقول : في تأويل النصب — أن محمولة على كان كأنه قال : « فما كان جواب قومه إلا قول كذا وكذا ، ، ثم قال : وإن شئت رفعت الجواب ، فكانت إن منصوبة (٢) . وقد فهمت تجوزها الأمرين في مساواة من قوله مخيراً : « وإن شئت » ثم رجعت إلى كتاب النشر فلم أجد الرفع في القراءات العشر (٣) . وهذا دليل عندى على أن أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفى في اللغة ، والأقيس في العربية ؛ بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية (٤) . ومن هذا القبيل — أى من تحكيم القياس وبجانبه العمل بالأثر — أن يقول سيبويه مثلاً : ولو قرئ بكذا كان جيداً ، كما ذكر في قوله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً (٥) » .

(د) وأحياناً يجوز قراءة مشهورة ، ويجوز وجهاً غير مقروء به كأن يقول في : « وأما ثمود فهديناهم ، ، النصب عربى كثير ، والرفع أجود (٦) . ومن التخالف الذى لم أستطع تفسيره ، أنه مع تحكيمه القياس ، وبجانبه العمل بالأثر في ظاهر أمره ومخرجه يقول : « القراءة لا تخالف لأنها سنة ! (٧) ، ولا زلت أتمس تعليلاً لهذين الموقفين المتناقضين ، أو أرجو توفيقاً بينهما .

فهل كان سيبويه يتخير القراءات على مذاهب العربية ؟ هذا هو ما أميل إليه وأرجحه ، وليس سيبويه في ذلك نسج وحده ؛ بل إن أستاذه عيسى بن عمر له اختيار في القراءة على مذاهب العربية كذلك (٧) .

(هـ) وهو يكتفى بالإشارة إلى أن الآية قرئت على وجه من وجوه الإعراب دون اهتمام — فى الأعم الأغلب — بذكر القارىء بما يدل على أن المهم عنده أن يحتج للوجه الذى قرئت به الآية ، ولا يهمه أن يحتج للقارىء فيما ذهب إليه .

(١) النشر ج ٢ ص ٣٩٠ (٢) ج ١ ص ٤٧٦

(٣) ج ٢/٣٤٨ (٤) منجد القرئين : ٥٦

(٥) ج ١ ص ٧٤ (٦) المصدر السابق : ٤٢ ، ٧٤

(٧) طبقات القراء لابن الجزرى : ج ١/٦١٣

فهل ذلك هو الصواب في تعليل هذه الظاهرة، أو الصواب أن القراء لم يتضح منزلة الأئمة منهم في زمنه، فزاه يقول: « وقرأ أهل المدينة كذا^(١) دون إسناد إلى نافع مثلاً؟ »، « وقرأ أهل الكوفة كذا^(٢)، دون إسناد إلى حمزة أو الكسائي؟ » وقرأ بعضهم كذا^(٣)، أو أن هذه قراءة أهل الحجاز^(٤)، أو قراءة أهل مكة كذا^(٥) دون إسناد إلى ابن كثير؟ أو دفعته العصبية الطائفية، والمنافسة في الصنعة إلى عدم ذكر هؤلاء.

فعلی حسب ما استقصيت — لم أره ينص إذا ما نص — إلا على إمام بصرى كآبي عمرو بن العلاء^(٦). أو من قرأ على بصرى كالأعرج^(٧) أو عيسى^(٨). أو من بعد عن هذه العصبية كعبد الله بن مسعود^(٩) أو أبي^(١٠).

وقد استفتيت كتب القراءات والتفسير فيما جوّزه أو جوّده سيويه من قراءات في مثل قوله تعالى: « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا^(١١) »، « تلتقطه بعض السيارة^(١٢) ».

« تماماً على الذي أحسن^(١٣) »، « لكن الراسخون في العلم منهم .. والمقيمون^(١٤) ». « وأما ثمود فهديناهم^(١٥) »، « ولكن البرّ من آمن بالله .. والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس^(١٦) ».

فوجدت أن الذي قرأ بالرفع في قوله: « فما كان جواب .. » الحسن وابن أبي اسحق^(١٧) وبتأنيث الفعل تلتقطه الحسن وقتادة وأبو رجاء^(١٨) وبرفع أحسن يحيى بن يعمر . وابن أبي اسحق^(١٩).

-
- (١) الكتاب: ج ٢٨٣/١، ٤٢٩، ٤٧٥، مثلاً
 (٢) الكتاب: ج ٤٣٠/١، ٤٧٦، مثلاً (٣) الكتاب: ج ٢٥/١
 (٤) الكتاب: ج ٤١٧/١ مثلاً (٥) الكتاب: ج ١٠/٢ مثلاً
 (٦) الكتاب: ج ٢٣٨/٢ مثلاً (٧) الكتاب: ج ٣٠/١ مثلاً
 (٨) وانظر ترجمة حميد بن قيس الأعرج وقد روى عنه أبو عمرو ج ٢٦٥/٢ طبقات القراء، الكتاب: ج ٤٧١/١ مثلاً
 (٩) ج ٢٥٨/١، ٤٧١
 (١٠) ج ٤٨١/١
 (١١) الكتاب: ج ٤٧٦/١
 (١٢) ج ١٥/١
 (١٣) ج ٢٧٠/١
 (١٤) الكتاب: ج ٣٤٨/١
 (١٥) ج ٤١/١، ٢٤، ج ٢٨/٢
 (١٦) الكتاب: ج ٢٤٨/١
 (١٧) البحر المحیط لأبي حيان ج ٨٦/٧ (١٨) البحر المحیط لأبي حيان ج ٢٨٤/٥
 (١٩) البحر المحیط لأبي حيان ج ٢٥٥/٤

وبرفع المقيمين : ابن جبير ، وعمرو بن عبيد .
والجحدري وعيسى بن عمر ومالك بن دينار وعصمة عن الاعمش .
ويونس ، وهارون عن أبي عمرو ^(١) . وبرفع ثمود في قوله :
وأما ثمود : الحسن وابن أبي اسحق ^(٢) ، ورفع الصابرين : الحسن والاعمش
ويعقوب ^(٣) .

ثم رجعت إلى كتب طبقات القراء ، فوجدت أن هؤلاء القراء بصريون :
فيعقوب بصرى ^(٤) (٥٢٠٥ هـ) ، وعمرو بن عبيد (١٤٤ هـ) كذلك ^(٥) ،
والمرجح أنه لم يدركه سيويه (١٨٠ هـ) وربما رويت عنه قراءة فرواها سيويه ^(٦) ،
وعيسى بن عمر (١٤٩ هـ) معروفة مكاتته في الشيوخ البصريين ^(٧) ، وكل من :
عصمة بن عروة ^(٨) ، وهارون الأعور ^(٩) ، وقناة ^(١٠) (١١٧ هـ) ، ومالك
بن دينار ^(١١) (١٣٧ هـ) ، ويونس بن حبيب ^(١٢) ، وأبو رجاء العطاردي ^(١٣)
(١٠٥ هـ) ويحيى بن يعمر بصرى ^(١٤) ، كما تنص كتب طبقات القراء . ولم أعر
على ترجمة للجحدري الذي روى قراءة الرفع في المقيمين .

وأخلص من هذا العرض إلى نتيجة : هي أن سيويه ، وقد اهتم هذا الاهتمام
الواضح بإيراد هذه الآيات ، وبالقرارات التي رويت بها ، وبالقرراء الذين ظهروا
— بعد استفتاء كتب القراءات والطبقات — أنهم بصريون ، بتوجيه قراءاتهم
على النحو الذي أورد في الكتاب — أقول يمكن أن أستخلص من هذا ما أستطيع
أن أسميه نحو القراء البصريين ، وهو أمر خليق بأن يختبر ، ويتوسع فيه ، ويتوجه
إليه الدارسون والباحثون ، إلى ما فيه من توثيق لقراء لم يردوا في العشر ، وأن يقيم
ماورد في كتاب سيويه إلى ما ذكرته كتب التفسير المعنية بالقراءات كالبجر المحيط
لابن حيان ، والمحاسب لابن جنى ، فلعلنا نخرج من هذه الدراسة بنتائج ذات قيمة

(١) البجر المحيط لأبي حيان ج ٣/٣٩٥

(٢) البجر المحيط لابن حيان ج ٧/٤٩١ (٣) المصدر السابق ج ٢/٨

(٤) طبقات القراء : ج ٢/٢٨٨ (٥) طبقات القراء : ج ١/٦٠٢

(٦) المصدر السابق (٧) طبقات القراء : ج ١/٦١٣

(٨) طبقات القراء : ج ١/٥١٢ (٩) طبقات القراء : ج ٢/٤٤٨

(١٠) طبقات القراء : ج ٢/٢٥٠ (١١) طبقات القراء : ج ٢/٣٦

(١٢) طبقات القراء : ج ٢/٤٦٦ (١٣) طبقات القراء : ج ١/٦٠٤

(١٤) طبقات القراء : ج ٢/٣٨١ في البجر المحيط يحيى بن معمر والصواب ما أثبتناه .

في البحوث المتعلقة بالقرآن وتوثيق قراءاته . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً .

وبما يتصل بموقف سيبويه من المنافسين ، أنه كاد يطرد عندي إذا قال : وقرأها بعضهم أو نحواً من ذلك : أنه القارىء كوفي ، فقد قال : وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً ، وامرأته حمالة الحطب^(١) ، وقد رجعت إلى كتاب النشر فرأيت أن الذي قرأ بالنصب عاصم^(٢)

وقد قال : وقرأها بعضهم خاف^(٣) (بالإمالة) ، وما بعضهم إلا حمزة^(٤) ، وإلا كالأل هذا البحث أذكر أن سيبويه يحتج لأوجه القراءة بما هو مرسوم في بعض المصاحف ، مسمى أصحابها حيناً ، وحيناً يفغل ذلك ، فقد ذكر في قوله تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » ، زعم هرون أنها في بعض المصاحف : ودوا لو تدهن فيدهنوا^(٥) ، وقد أوردها Jeffrey في مصحف ابن مسعود^(٦) فوجدتها كذلك^(٧) ، وكذلك وردت في مصحف أبي والأعمش^(٨) .

وذكر قول الله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء » ، ثم قال : وزعموا أنها في مصحف أبي أنهم لا يقدرون^(٩) ، وقد ذكرها Jeffrey في كتاب المصاحف — بكسر الهمزة — وهو خطأ^(١٠) .

وسيبويه باستشاده بما جاء في المصاحف يقرب كثيراً من أهل النقل والأثر ، ويبعد عن أصحاب القياس والنظر ، وهي ظاهرة لو انضمت إلى قوله : « والقراءة لا تخالف لأنها سنة^(١١) . فإن ذلك يجعلني أضع سيبويه مع مدرسة القراء الذين يأخذون بالنقل عن الأئمة ، ويعتدون برسم المصحف . ولكن ما جاء في كتابه من اعتماد بالقياس . وتضعيف بعض القراء الأئمة يدفعني إلى القول بأنه كان متردداً بين المذهبين . وهو إلى مذهب القياس ومدرسة النحاة أقرب ، ذلك لأن الملاك العام في احتجاجة للقراءات أنه أراد أن يجرى القراءات على مقاييس العربية ، ومن هنا رأينا أنه لا يتحرج أن يصف كلا من القارىء والقراءة بالضعف ، كما بينت من قبل^(١٢) . ثم أخلص إلى الحديث عن اتجاه إمام المفسرين أبي جعفر الطبري ، ومكاته في الاحتجاج .

(١) الكتاب ج ١/٢٥٢ (٢) النشرح ج ٢/٤٠٤ (٣) الكتاب ج ٢/٢٦١
 (٤) النشرح ج ٢/٥٩ و ابراز المعاني لأبي شامة /١٦٩ في شرح بيت الشاطبي :
 وكيف اللائي غير زاغت بماضى أمل خاب ، خافوا ، طاب ، ضاقت لتجلا
 (٥) الكتاب ج ١/٤٢٢ (٦) P. 103 (٧) المصاحف لسجستاني / ٦٣
 (٨) P. 47 (٩) الكتاب ج ١/٤٨١ (١٠) P. 169
 (١١) الكتاب ج ١/٤٨١ (١٢) الكتاب ج ١/٤٢٣

أبو جعفر الطبري والاحتجاج

(٢٢٤ — ٨٣١٠ هـ)

يمثل أبو جعفر الطبري نضج الثقافة الإسلامية في عصورها الذهبية ، فقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من عصره^(١) . وكان مليئاً بما نهض فيه من أي علم كان^(٢) . والطبري شيخ أبي بكر بن مجاهد^(٣) . سمع ابن مجاهد منه رواية ورش عن نافع^(٤) . وقد بلغ من تقديره للطبري أنه كان يجتاز على مسجده فلا يدخله ، ويقف بباب مسجد الطبري يستمع قراءته طويلاً ، وكان يثنى عليها^(٥) ، كان يقول : « ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر^(٦) ، وقد ألف الطبري فيما ألف — كتاباً في القراءات أثنى عليه الناس^(٧) . ونقل ياقوت أنه في ثمانى عشرة مجلدة ، جمع فيه القراءات من المشهور والشاذ ، وعلل ذلك وشرحه^(٨) . ولعله كتاب الفصل بين القراءات^(٩) الذى ذكره ياقوت وكان أبو بكر يقول فيه : « ما صنف فى معنى كتابه مثله^(١٠) ، ووصفه البرانى بأنه كتاب حسن^(١١) . وكتاب الطبري فى القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، لأنه كان عنده وعليه بنى كتابه^(١٢) . فالطبري إذن يمثل حلقة من سلسلة متصلة بدأت بهارون الأعور ، وتتابعت حلقاتها عملة فى يعقوب الحضرمي ، وأبى عبيد القاسم بن سلام ، ولتن عصفت الأحداث بكتاب الطبري فى القراءات فلم يصل إلينا إن كتابه (جامع البيان فى تفسير القرآن) المشهور المتعامل بين الناس ، يضىء للباحث السبيل فى التعرف على حلقة من حلقات التطور فى الاحتجاج للقراءات ، كما يبين نزعة الطبري فى ذلك ، فهو يروى فى كتابه هذا القراءات المختلفة مسندة إلى من قرأها ، يستجيز بعضاً فيرجحه ، ولا يستجيز بعضاً فيفسده ، وملاك الترجيح عنده أمور :

- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) تاريخ بغداد : ١٦٣/٢ | (٢) مجمع الأدباء : ٧٨/١٨ |
| (٣) طبقات القراء : ١٠٧/٢ | (٤) مجمع الأدباء : ٦٧/١٨ |
| (٥) تاريخ بغداد : ١٦٤/٢ | (٦) مجمع الأدباء : ٦٦/١٨ |
| (٧) انظر طبقات القراء : ١٠٧/٢ | (٨) مجمع الأدباء : ٤٥/١٨ |
| (٩) مجمع الأدباء : ٦٥/١٨ | (١٠) المصدر السابق : ٦٦/١٨ |
| (١١) طبقات القراء : ١٠٧/٢ | (١٢) مجمع الأدباء : ٦٨/١٨ |

(١) ما حدث به عن أشياخه، وما نقل من أقوال السلف من الصحابة، والأئمة، والخلف، والتابعين، وعلماؤ الأمة^(١).

(ب) الأخذ بظاهري المعنى، وحقيقة اللفظ، من غير التجاء إلى المجاز.

(ج) إجماع الحجة من الأمصار، وفي ذلك يقول: . ما جاءت به الحجة متفقة عليه حجة على من بلغه، وما جاء به المنفرد فغير جائز لا اعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلا، وقولا، وعملا^(٢)، وتراه لا يستجيز القراءة بما خالف اتفاق الحجة، وإن كان له في التأويل، والعربية وجه مفهوم^(٣) فإن قرأ بقراءة جمهور، وقرأ بأخرى قلة، أشار إلى أن القارىء مصيب الصواب بأى هذه القراءة قرأه، وإن كان يجب ألا يعدو في قراءته قراءة ما عليه الجمهور^(٤).

(د) رسم المصحف، فليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين^(٥). وفي هذا المرجح والذي قبله يقول في قراءة: د والذين يؤتون ما أتوا^(٦)، وعلى هذه القراءة قراءة الأمصار، وبه رسوم مصاحفهم، وبه تقرأ لإجماع الحجة من القراء عليه، ووفاقه خط مصاحف المسلمين^(٧).

(هـ) الشواهد من الأشعار السائرة، ومنطق العرب ولغاتهم المستفيضة المعروفة، وذلك مشروط بعدم خروجه عن أقوال السلف^(٨).
وقد أصبت مثالا جامعاً، لعظم هذه المرجحات، يستدل به وينقاد على وتيرته، قال أبو جعفر:

(١) حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: د أخبرنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال في حرف ابن مسعود، وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال، هو مثل قوله: د تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا، واختلفت القراء في قراءة قوله: د لتزول منه الجبال، فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز، والمدينة، والعراق ما خلا الكسائي، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال — بكسر اللام الأولى وفتح الثانية — وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وقرأه الكسائي: وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

(٢) جامع البيان : ٣٠٧/١

(١) جامع البيان : ٣١/١

(٤) المصدر السابق : ٦٢٥/١٤

(٣) جامع البيان : ٤٨/٢

(٦) المؤمنون: آية ٦٠

(٥) جامع البيان : ١١٢/١

(٨) المصدر السابق : ٣١/١

(٧) جامع البيان : ٢٣/١٨

— بفتح اللام الأولى ورفع الثانية — على تأويل قراءة من قرأ ذلك : « وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال ، من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال أو كادت تزول منه . وكان الكسائي يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال برفع تزول . حدثني بذلك الحارث عن القاسم عنه . والصواب من القراءة عندنا قراءة : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام وفتح الثانية ، بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وإنما قلنا ذلك هو الصواب .

(ب) لأن اللام الأولى إذا فتحت ، فعنى الكلام وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزول ، (وفي هذا أخذ بظاهر المعنى) .

(ج) وأخرى إجماع الحجة من القراء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على فتحها وفساد غيرها (١١) ، فإن ظن ظان أن ذلك ليس بإجماع من الحجة إذا كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك ، فإن الأمر بخلاف ما ظن في ذلك ، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام ورفع الثانية ، وقرءوا : « وإن كاد مكرهم بالبدال ، وهي إذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع « وإن كان ، فتح اللام الأولى ، ورفع الثانية على ما قرءوا ، وغير جائز عندنا القراءة كذلك (١) .

(د) لأن مصاحفنا بخلاف ذلك ، وإنما خط مصاحفنا « وإن كان ، بالنون لا بالبدال . وإذا كانت كذلك فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين ، وإذا لم يجوز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ما عليه قراءة الأمصار ، دون من شذ بقراءته عنهم (٢) . . .

(هـ) أما احتجاجه بالشواهد العربية في القراءات ، فقد أكثر أبو جعفر منها حتى عد كتابه مصدراً من هذه المصادر التي تعنى بإيراد هذه الشواهد ، ويبدو موقفه في الاحتجاج بهذه الشواهد من المثال الآتي :

وأما الميتة من قوله تعالى : « وإنما حرم عليكم الميتة والدم . . . » فإن القراء مختلفة في قراءتها ، فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يخففها كما يخفف القائلون : وهو هين لين ، الهين اللين كما قال الشاعر :

(١) يلحظ تشبُّه الطبرى في التعبير هنا .

(٢) جامع البيان : ١٤٧/١٣ وما بعدها

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
لجمع بين اللتين في بيت واحد في معنى واحد ، وقرأها بعضهم بالتشديد ،
وخطوها على الأصل . والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد
في باء الميتة لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارىء
فصيب ؛ لأنه لا اختلاف في معنيهما (١) .

هذه النزعة من الطبرى ، وسلوكه هذه المسالك ، دليل على أنه كان سلفياً ،
يعتمد على الرواية ، والنقل ، والإجماع ، ورسم المصحف ، وهو في سبيل إقراره هذا
المسلك لم يستجز قراءة ابن عامر (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم
شركائهم) ، لإجماع الحجة من القراء على غيرها ، وأن تأويل أهل التأويل ورد
عليه لإجماع القراء (٢) ، وهذا أمر غريب ، وأغرب منه وصفه قراءة حمزة —
والأرحام في قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تسامون به والأرحام » ، بأنها غير
فصيحة — مكروهة في المنطق ، رديئة في الإعراب (٣) . فإذا علمنا أن الطبرى
معدود من الكوفيين النحويين (٤) . وهم يجوزون قراءة حمزة ، وأن الطبرى كان
يقراً قديماً لحزة قبل أن يختار قراءته (٥) . وأن قراءة ابن عامر وحمزة منقولة بالسند
الصحيح إذا علمنا ذلك ، بدأ الطبرى متدافعاً في مسلكه ، ولا يستطيع الباحث له تعليلاً .
على أن موقفه في تفسير قراءة متواترة ، قليلة نادرة ، وهو في جل مذهبه كما أورد
ياقوت على الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنة (٦) . وأترك
أبا جعفر الطبرى لأتعرّف على حلقة جديدة من حلقات الاحتجاج في مسلك
تليذه — شيخ القراء — ابن مجاهد أحمد بن موسى .

(١) جامع البيان : ٤٨/٢ (٢) جامع البيان : ٣١/٨
(٣) انظر جامع البيان : ١٤١/٤ (٤) معجم الأدباء : ٦٠/١٨
(٥) معجم الأدباء : ٦٦/١٨ (٦) معجم الأدباء : ٨٢ ، ٨١/١٨

أبو بكر بن مجاهد والاحتجاج (ت ٥٣٢٤)

روى أبو بكر بن مجاهد قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار في كتابه المترجم بالقراءات ، وكان اختياره لها قائماً على الأساسين الآتين :

(١) ماحدثه به الشيوخ مسنداً إلى الإمام القارىء .
(ب) رسم المصحف ، فكان اعتداده بهذين الأساسين بمثابة توثيق واحتجاج لما اختار من القراءات . وسأعطى مثالا لكل يكشف من هذه النزعة عند ابن مجاهد .

(١) قال في احتجاج لقراءة ابن كثير جبريل — بفتح الجيم وكسر الراء — من غير همز ، وميكائيل ميموز . . حدثني الحسين بن بشر الصوفي (١) . من روح ابن عبد المؤمن عن محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير قال : « رأيت النبي ﷺ في المقام ، وهو يقرأ جبريل وميكائيل فلا أقرأهما أبداً إلا هكذا (٢) » .

(ب) وفي الاحتجاج برسم المصحف يقول : قرأ ابن عامر وحده : قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بغير واو ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام (٣) . ومن أجل تمسك ابن مجاهد بهذين الأساسين دفع الوزير بن مقلة إلى تعذيب ابن مقسم ، الذي خالف في قراءته الأساس الأول ، إذ كان يقول : « إن كل قراءة وافقت المصحف ووجهاً في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند (٤) » ، كما عذب ابن شنبوذ الذي كان يقرأ معتمداً على السند ، وموافقة العربية ، وإن خالف المصحف الإمام (٥) . ويبدو من هذا تمسك ابن مجاهد بالآثر تمسكا شديداً ، وأرى السبب في ذلك أنه تأثر في ذلك بالنزعة التي غلبت على شيخه الطبرى أولاً ، ولأنه لم يكن ذا بصر بالعربية ثانياً (٦) ، ولأن كتابه القراءات قائم على النقل والرواية ثالثاً . ومن هنا لم يجز شيئاً غلبت من القراءة على مقاييس النحاة . وفيما يلي الحلقة الكبرى في هذا البحث؛ تلكم الحجة لأبي علي . .

(٢) الحجة : ٤٤٠/١ ن مراد ملا .

(٤) طبقات القراء : ١٢٤/١

(٦) انظر المحتسب لابن جنى : ٦٠/١

(١) انظر طبقات القراء : ٢٣٩/١

(٣) الحجة : ٤٧٢/١ مراد ملا

(٥) طبقات القراء : ٥٤/٢

الفصل الثاني

الحجة

لم يشر الزبيدي في طبقاته إلى شيء من تأليف أبي علي ، فأغفل فيما أغفل كتابه (الحجة) ، وجعله ابن النديم (٣٨٥ هـ) في فهرسته أول كتبه حين ذكر تصانيفه ، وأورده باسم الحجة ولم يزد ، ويزيد البغدادي (٦٣ : ٥ هـ) في تاريخه ، فيذكر الكتاب باسم (الحجة في علل القراءات السبع) ، وفي فهرس المخطوطات المصورة يرد الكتاب بأسماء مختلفة ، فهو حيناً الحجة في شرح القراءات السبع ، وحيناً الحجة للأئمة السبعة من قراء الأمصار في القراءات السبع ، وحيناً الحجة في علل القراءات . وهذه الأسماء كلها تدور حول معنى الاحتجاج للقراءات ، مقيدة بالسبع وموصفة بها حيناً ، وعطلا من ذلك حيناً آخر ويحمل بي أن أبين الأسباب العامة والخاصة التي دعت أبا علي إلى تأليف ذلك الكتاب .

فأول هذه الأسباب أن القراءات السبع جمعت في كتاب ، جمعها أبو بكر ابن مجاهد (ت ٢٢٤ هـ) ^(١) . ومنذ ذلك الحين كانت الخطوة الطبيعية التالية ، وهي الاحتجاج لهذه القراءات ، وكان الذي قام بهذا العمل تلميذ ابن مجاهد ، وهو أبو بكر بن السراج ، ثم جاء من بعده أبو علي الفارسي . نعم كان هناك احتجاج للقراءات المتخالفة في بعض الآيات ، ولكن لم تكن جمعت بعد في كتاب .

وسبب ثان ، ذلك أن هؤلاء الذين تصدوا للاحتجاج كانوا من النحاة الذين أكبوا على كتاب سيبويه يدرسونه ، ويتفهمونه — وأبو علي في الصدارة منهم ، وكان في الكتاب احتجاج للقراءات المختلفة في بعض الآيات ، وفيه كذلك توجيه لبعض الأساليب العربية التي لها نظائر في آي القرآن ، وأضرابها ، وأوجهها التي رويت بها ، فلما أراد النحاة المتأخرون التأليف في الاحتجاج وجدوا الباب مفتوحاً ،

(١) ورد في بغية الوعاة في ترجمة هارون بن موسى بن شريك المعروف بالأخفش أنه كان قياً بالقراءات السبع ؟ ، فهل ألف ابن مجاهد هذه القراءات السبع قبل وفاة هارون هـ هذا سنة ٢٩٢ هـ ؟! (انظر بغية ص ٤٠٦) .

فتحه أمامهم سيويوه — ولئن كان الناس قد أسمو الكتاب (قرآن النحو^(١)) .
إن هؤلاء النحاة المحتجين وجدوا فيه — كذلك ما أسميه (نحو القراءات) ، وجدوا
فيه مثلاً للاحتجاج للقراءات المختلفة في الآيات الآتية :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة^(٢) » ، « لأنه لحق مثل ما أنكم تنطقون^(٣) » .
« تلتقطه بعض السيارة^(٤) » ، تماماً على الذي أحسن^(٥) » .

ولم يكن النحاة ليفوتهم هذا الجانب من كتاب سيويوه ، وهم الذين اتخذوه
قرآناً ، أكبوا عليه ، ودرسوا ما فيه .

وثالث ، أن البيئة العلمية العامة أصبحت بيئة جدلية ، يقوم الدين فيها على
الاقتناع واليقين ، لا على الاتباع والتلقين ، وكان شأن الناس في القراءات شأنهم
في العقائد والديانات ، فلم يؤمنوا بأن الله واحد لأنهم قرءوا سورة الإخلاص ،
وفيه أمر بوحداية الله ، وتزيهه عن الشركة والولد . . لا : بل لأنهم نظروا ،
وفكروا ، وجدلوا ، وقدروا ، وانتهوا من ذلك كله إلى علم اليقين إن لم يكونوا
معرضين . وكذلك القراءات : ما سندها ؟ وما حجتها ؟ ولم ذهب ذلك القارىء هذا
المذهب ؟ وهل له معتمد من اللغة والنحو ؟ ومن هنا كانت خطة هؤلاء النحاة
المحتجين — على ما يبدو لى — من أنهم آثروا القياس والنظر ، وأعملوها فيما
هو ثابت بالثقل والاثر ، وهي خطة لا يرتضيها القراء ، ولكن النحاة المحتجين
كانوا إليها مضطرين لمواجهة المعاندين والمنكرين ، في عصر شاعت فيه الزندقة ،
وتغشاه الإلحاد ، وفيهم ملحدون يكيدون للإسلام ، ويفضون من عقائد المسلمين ،
وينقرون عما يمكن أن يكون ثلثة في كتابهم الكريم ، ويعتمدون في كيدهم وتعرضهم
على مباحث الجدل ، ومسائل الفلسفة والمنطق ، وما فيه من تعليل وقياس
وقد ألف أبو الحسين محمد بن أحمد الملطى الشافعي وهو معاصر لأبي علي ، وتوفى
معه في عام واحد (٣٧٧ هـ) ألف كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع^(٦)
وفي ذلك دليل على ما ذاع في هذا العصر من قالة هؤلاء الملحدين ، وتجرد حماة الدين

(٢) مراتب التحويين الورقة ١٠٦ (٣) الكتاب : ٢٨٧/١

(٤) الكتاب : ٤٧٠/١ والسكريات ١٣٥ .

(٥) الكتاب : ٢٥/١ (٦) نفس المصدر : ٢٧٠/١ .

(١) قام بطبع هذا الكتاب السيد عزت المطار الحسيني (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)
واظر س (١ - ١٠) في التعريف بال مؤلف ومنهجه في البحث بقلم المرحوم محمد زاهد الكوثري

للرد عليهم بالحجة والبرهان . كما تعرض ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) إلى هؤلاء الملحدين ، فأحب كما يقول : « أن ينضح عن كتاب الله ، ويرى من ورائه بالحجج النيرة ، والبراهين البينة ، ويكشف للناس ما يلبسون^(١) ، وربما حسب هؤلاء وكانوا يستمعون من العلماء^(٢) ، أنهم يستطيعون العثور على أخطاء نحوية في الكتاب الكريم ، كما يقول دى بور^(٣) .

قال يحيى بن المبارك اليزيدي : « كان يجيئني رجل فيسألني عن آيات من كتاب الله مشكلات ، وكنت أتبين العنت في سؤاله ، فكنت إذا أجبته أرى لونه يربد ويسود ، فقال لي يوماً : « أيجوز في كلام العرب أن تقول : أدخلت القوم الدار ثم أخرجتهم رجلاً ؟ ، فقلت : « لا يجوز ذلك حتى تقول : أخرجتهم رجلاً رجلاً ، فتدل على تفصيل الجنس ، قال : فكيف قال الله تعالى : « ثم يخرجكم طفلاً ؟ ، فقلت : « ليس هذا من ذلك ، لأن الطفل مصدر في الأصل : فهو يقع على الواحد ، والاثنتين ، والجمع بلفظ واحد ، فنقول هذا طفل ، وهذا طفل ، وهؤلاء طفل ، وهؤلاء طفل ، كما قال تعالى : « والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، وطفل في الآية موضع أطفال ، فكأنه قال : « ثم يخرجكم أطفالاً ، قال فأخبرني عن قوله : « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، من أين لهم هذه الأرض هناك ؟

فقلت له : « وهمت ! أما سمعت قوله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض ، فودوا أن تلك الأرض تسوى بهم ؟ فسكت !^(٤) .

وإذن كان من المعاندين نظر في كتاب الله ، وكان من المسلمين دفاع عن صحة أسلوبه ، وفهم متشابهه ، وأحرفه المختلفة ، وتجد ابن جنى يرد هذه المطاعن في بعض ما أورد من كتابه المحتسب^(٥) . وينص ابن بشار الانباري على أنه ألف كتاب الأضداد ليدفع ظن أهل البدع والزيغ^(٦) .

(١) تأويل مشكل القرآن ١٧ وما بعدها (٢) تاريخ بغداد : ٥٦/١٤

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ٣٧٠ .

(٤) أخبار أبي القاسم الزجاجي ورقة ١٥ .

(٥) انظر المحتسب : ١/٣٦٨ حيث يقرر ابن جنى أن القراءات كلها مروية ، ويرد على

من ظن عليها عند الاحتجاج لقراءة (فولوا إياه وهم يجمزون) .

(٦) انظر الأضداد للانباري : ٢

ومالي أذهب بعيداً ، وهذا أبو علي صريح في نصه الآتي على أنه صدر في كتاب
الحجة عن نزعة الحفاظ على كتاب الله ، ودفع ما قد يتوهم من اللحن في قراءته ،
فبعد أن احتج لقراءة حمزة: ومكر السبيء وإسكانه الهمزة في الادراج ، وبني احتجاجه
على إجرائهم الوصل بجرى الوقف كما في قولهم هذا أفعويا هذا — قال ، فإذا ساغ
ما ذكر في هذه القراءة من التأويل لم يسغ لقائله أن يقول : «لأنه لحن ، ألا ترى
أن العرب قد استعملت ما في قياس ذلك؟ فلو جاز لقائل أن يقول إنه لحن لزمه
أن يقول : إن قول من قال أفعو في الوصل لحن ، فإذا كان ما قرأ به على قياس
ما استعملوه في كلامهم المنشور لم يكن لحناً ، وإذا لم يكن لحناً لم يكن لقادح
بذلك قدح .

ثم قال : « وهذه القراءة وإن كان لها مخلص من الطعن فالوجه قراءة الحرف
على ما عليه الجمهور في الدرج (١) .

وبما يؤكد هذه النزعة من أبي علي عندي أنه يقف هذا الموقف مع حمزة
وهو من الأئمة الكوفيين ، ثم تدعو البصرية أباً على لئلا ترجيح القراءة بما عليه
الجمهور وإن كانت قراءة حمزة خالصة من الطعن لجريانها على ما استعمله العرب
في نثرهم .

وسبب رابع : يؤيد ما سبق : هو أن المحتجين في العهد الأول للقراءات
بصريون : فأبو طاهر البزار بصري (٢) ، والنقاش الأنصاري بصري (٣) ، وكل من
ابن السراج (٤) ، وأبي علي الفارسي (٥) . وابن جنى بصري كذلك ، والبصرة كما تعلم
متأثرة بالمذاهب الفلسفية ، وما شاع في سكانها من مسائل المنطق (٦) ، ومن أجل ذلك
ألف قطرب (٢٠٦ هـ) كتاب الرد على الملحدين في مشابه القرآن (٧) أو فيما سأل
عنه الملحدون من آي القرآن (٨) ، وألف ابن درستويه كتاب الاحتجاج للقراء ،
وهو كما يقول ابن النديم في الفهرست يتعصب للبصريين عصبية شديدة (٩) .
وقد قدر الخاصة المثقفون ، والعلماء البصرون عمل هؤلاء الأئمة المحتجين ، فهذا

(١) الحجة : ١٩٠/٦ ن البلدية .

(٢) الفهرست : ٤٨ (٣) الفهرست : ٥٠ (٤) الفهرست : ٩٢

(٥) الفهرست : ٩٥ (٦) تاريخ الفلاسفة : ٤٩ (٧) الفهرست : ٧٩

(٨) نفس المصدر : ٥٧ (٩) الفهرست : ١٣

أبو العلاء المعري ينصف أبا علي الفارسي في رسالة الغفران، وقد اجتمع عليه قوم في الآخرة، يتمرسون به ويطالبونه فيأمرهم أبو العلاء أن يكفوا عنه فلا يعنتوه لانه يمتُّ بكتابه في القرآن المعروف بكتاب الحجة^(١).

هذه الاسباب العامة بجانبها أسباب خاصة بأبي علي دفعته إلى الاحتجاج للقراءات :

فالرجل عالم بالكتاب أولاً^(٢). قارئ على أبي بكر بن مجاهد^(٣). الذي سبغ السبغة ثانياً^(٤). مقتف أثر أستاذه أبي بكر محمد بن السري في الاحتجاج لسبع ابن مجاهد ثالثاً^(٥). ثم هو أخيراً أوتي ضلالة في اللغة، والنحو، وتوجيه المعنى، والإعراب، وتدرس برواية الأحاديث، وبراعة في القياس، وألم في كتبه السابقة للحجة بطلاقة من الآيات القرآنية وتجه القراءات المختلفة فيها، فكانت هذه الاسباب مجتمعة داعية لأبي علي أن يمتحج للقراءات بدل أن تكون مفرقة في كتبه هنا وهناك^(٦) : وحكم النظر والقياس دفاعاً عن القرآن، ودفعاً للمفتريين من الجوس والنصارى واليهود الذين سكنوا فارس^(٧) الذي نشأ به وعاش الشطر الأكبر من حياته فيه . وأبو علي قصير النفس في تقديم الحجة ولكنه مع ذلك يحمل منهجه في الكتاب ويبين الاسباب التي دعت به إلى تأليفه في إيجاز، فبعد أن حمد الله، وصلى على خاتم النبيين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وسائر الصالحين قال :

« أما بعد (أطال الله بقاء الأمير الجليل عضد الدولة وتاج الملة وأدام له العزة والبسطة، وأمددة بالتوفيق والتسديد، وأيده بالنصر والتكين) فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى ابن العباس بن مجاهد (رحمه الله) المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز

(١) رسالة الغفران : ١٥٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة : ١٣١/١ (٣) انظر طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٤) المصدر السابق : ١٢٩/١ (٥) لوحة ٢

(٦) انظر المسائل المنثورة لوحة : ١٥٣، ١٥٩، والشرايات : لوحة ١٨ والسكريات ١٣٥ ثم الايضاح : ٣٤ ، ٤٣ ، ٦٦ في توجيهه على التوالي : فا كان جواب قومه إلا أن قالوا بالرفع والنصب (الايضاح ٣٤) وما هو على الضم بظنين أو بضنين - في باب ظن (٤٣ الايضاح) - لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر الايضاح : ٦٦ نحو ١١٢

(٧) أحسن التقاسيم ٤٣٩ :

والعراق والشام ، بعد أن تقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذنا عنه . وقد كان أبو بكر محمد بن السرى شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتداءً باملأته ، وارتفع منه بعض (كذا) ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم ، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا ، وإلى الله نرغب في تفسير ما قصدته ، والمعونة عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١) .

وفي هذا التقديم دلالات ؛ فكتاب الحجة مهدي إلى عضد الدولة ، وإذن فهو مؤلف قبل سنة ٣٧٢ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها ذلك المليك^(٢) . بل يبدو أنه مؤلف بعد سنة ٣٦٧ هـ . وذلك ما يدل عليه لفظ « تاج الملة » ، فقد لقب عضد الدولة به — فيما يقول الذهبي — في سنة ٣٦٧ هـ^(٣) . وخطب بالملك سنة ٣٦٨ هـ على ما يذكر الشيخ ابن العميد^(٤) . وهي السنة التي لحق فيها أبو علي بالخدمة الموسومة به^(٥) . بعد أن استقر الأمر لعضد الدولة في بغداد .

ودلالة أخرى في ذلك التقديم : هي أن أبا علي بين منهجه في الحجة ، فهو يذكر ما ثبت عن ابن مجاهد في كتابه (قراءات أهل الأمصار) على حسب ما رواه ، وأخذ أبو علي عنه ، ثم يذكر كلام ابن السراج في الاحتجاج ، إلى أن استقل أبو علي به . وأرى أبا علي قد وفي بهذا النهج غاية الوفاء ، بل أنه ذكر هنا الخطوط الرئيسية من نهجه دون أن يتعرض له بالتفصيل والاستقصاء ، وإليك ما يبدو للباحث من نهج أبي علي في الحجة بشيء من البيان .

(١) الحجة لوحة ٢

(٢) انظر الكامل لابن الأثير : ٢/٩

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٣٦٧ هـ

(٤) انظر تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

(٥) انظر الإمتاع : ١٣١/١

نهج أبي علي في كتاب الحججة

يبدأ أبو علي بنص أبي بكر بن مجاهد في كتابه القراءات، فيذكر اختلاف القراء في الحرف الذي يريد الاحتجاج له ، مرتباً ذلك على ترتيب آي القرآن الكريم في الحروف التي وقع الاختلاف فيها ، ثم يورد كلام أبي بكر بن السراج ، ثم ينهي الحكاية عنه ، ثم يصدر احتجاجه بكلمة : « قال أبو علي ، .

وظل أبو علي يصطنع ذلك الأسلوب حتى وصل إلى آخر قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ، وبعد هذه الآية يستقل أبو علي بالاحتجاج ، فلا يرد ذكر ابن السراج ، وقد عقدت فصلاً بينت فيه أوجه التخالف والتشابه بين الشيخين في الاحتجاج .

ولا يعتمد أبو علي إلى اللفظ القرآني ، الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء ، فيتحدث عنه محتجاً له ؛ بل يتناول الآية التي وقع فيها ذلك الحرف ، فيتحدث عن التفسير اللغوي لكلماتها ، مستقصياً المعاني التي تحملتها هذه الكلمات ، مورداً لكل معنى سنده من القرآن الكريم ، مستدلاً بأقوال أئمة اللغة السابقين : التوزي ، والجزمي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، والسكري ، وأبي حاتم ، وثعلب . . ومستشهداً بما روى من الشعر ، جاهليه وإسلاميه . وهكذا يمضي في الشرح اللغوي ، ثم يتبعه بتصريف الكلمة — إن كانت تحتل التصريف ، ذاكراً الآراء المحتملة ، مستدلاً على كل رأي بما لديه من نصوص قرآنية وشعر وأقوال ، ويذكر الرأي الذي يختار ويستدل عليه ، ثم يخلص من ذلك إلى الحديث فيما يتصل بذلك من مسائل النحو ، فيذكر آراء أئمة النحاة من أمثال الخليل ، وسيبويه ، والاختفش ، والمازني ، والجزمي ، والكسائي ، والفراء ، وثعلب ، والمبرد ؛ وينتصر لفريق دون فريق ، ويرى الرأي ويعززه بالأدلة والشواهد من النقل والقياس ، وفي غضون كل بحث من هذه البحوث يستطرد بذكر قضايا ، ويستدل عليها حتى ينتهي من ألفاظ الآية على هذا النحو ؛ لغة ، ونحواً ، و صرفاً ، وتفسيراً ، واحتجاجاً ، وتدليلاً ؛ وقد يخطط ذلك كله بمسائل تتصل بالفقه ، والكلام ، والبلاغة .

ثم يعود إلى إعراب الآية ، وقد يذكر شيئاً من الأصول النحوية التي بني عليها توجيه الإعرابي .

وبعد هذه الجولة الواسعة المتقصية المستطردة يعود إلى الاحتجاج للقراء ، فيذكر الحججة لكل إمام ، راجعاً كل قراءة إلى أصل من أصول العربية .

ولم تختف شخصية أبي علي وراء هذه النقول التي يوردها للأئمة الأقدمين ، من علماء اللغة، والنحو، والصرف، ومنشدي الأشعار ، ونقلة الأخبار ، ورواة الآثار ، بل هو — عند ذلك — يبدو ماثلاً من وراء ستار ، ثم يسفر أمامك سفوراً في تعقيبه ، وتعليقه ، وتحليله ، وتعليله ، وتفنيدته ، وتعريضه ، وقياسه ، وتنظيره ، وإغماضه ، وإبهامه ، وتشقيق المقال ، وبسط الجدال ، وتأصيل المذهب ، والمعالجة بالرأى ، ووفرة الاستشهاد ، ونزعة الاستطراد ؛ ويحمل بي أن أعطى مثلاً : مثلاً واحداً يتبين منه هذا الذي ذكرت :

مثال من استطراده ، واستيعابه ، وتقصيه :

الخطوات التي سلكها في الاحتجاج لاختلافهم في قوله تعالى :

« فخلق آدم من ربه كلمات ، ورفع الاسم ونصب الكلمات ، ونصب الاسم ورفع الكلمات »^(١) :

١ — أورد ما ذكر ابن مجاهد في كتابه القراءات :

(أ) من قرأ بنصب الاسم ورفع الكلمات وذكر أنه ابن كثير .

(ب) من قرأ برفع الاسم ونصب الكلمات وذكر أنهم الباقون .

٢ — ثم بدأ احتجازه مصدرأ كلامه بقوله : « قال أبو علي ، » .

٣ — « لقي ، يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان غير مضعف .

٤ — واستشهد على هذه القضية بالآيات التي وردت في التنزيل :

(أ) « فإذا لقيتم الذين كفروا ، » .

(ب) « إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله ، » .

(ب) « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، » .

٥ — إذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين ، وضرب أمثلة ، واستشهد بالآية

الكريمة : « ولقاهم نضرة وسرورا ، » .

٦ — ليس تضعيف العين هنا على حد : فرح وأفرحته وفرحته ، وخرج

وأخرجته وخرجته .

(١) الحجة : ٢٠/١٩ نسخة البلدية ، ١/٣١٦ نسخة مراد ملا .

٧ — أخذ يدلل على هذه القضية :

إذا قلت ألقيت كذا فليس بمنقول من لقيته ، كأشربته من شرابه .

٨ — ثم دلل على عدم نقله من لقيته بأنه لو كان كذلك لتعدى إلى مفعولين كما تعدى لقيت ، فلما لم يتعد إلى الثاني إلا بحرف الجر نحو : ألقيت متاعك بعنه على بعض ، علمت أنه استئناف بناء على حده ، وليست الهمزة همزة نقل ، كالتى فى قولك : ضربت زيدا وأضربته إياه . . . فجعلوا ألقيته بمنزلة طرحته فى تعديه إلى مفعول واحد .

٩ — ثم تحدث عن مصدر لقيت ناقلا كلام أبى زيد فى ذلك .

١٠ — وجره ذلك إلى التحدث عن الآية :

« إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا .

فذكر أن المعنى بالحياة الدنيا ؛ بدلا من الآخرة .

١١ — وأكد تفسيره ذلك ، بالآية الكريمة الأخرى :

(أ) « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، أى بدلا منها .

(ب) وبالآية : « لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون ، أى بدلا منكم .

١٢ — وناظر الآيات السابقة كلها : « إن الذين لا يرجون لقاءنا . . . »

و « أرضيتم بالحياة . . . » و « لو نشاء لجعلنا منكم . . . » بالآيات الكريمة :

(أ) « إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين . »

(ب) « إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، كما أنشأكم من

ذرية قوم آخرين . »

(ج) وقول الراعى :

« أخذوا المخاض من الفصيل غلبَةً ظلماً ، ويكتب للأمير أفبلا . »

(د) وقول الآخر :

كسوناها من الربط اليماني ملاء ، فى بناقها فضول

أى بدلا من الربط .

١٣ — ثم عاد إلى تفسير الرجاء فى الآية : « لا يرجون لقاءنا ، ففسر لا يرجون

بلا يخافون ، ودلل على ذلك :

(١) بدليل عقلي : لأنهم لا يؤمنون بها ، فلا يوجلون منها كما يوجل المؤمنون المصدقون بها المعينون بقوله تعالى : « إنما أنت منذر من يخشاها » .

(ب) وبالذليل النقلى خليطاً بالعقلى : « إنما أنت منذر من يخشاها » ، وقال : « وهم من الساعة مشفقون » .

ويرتب على هذه المقدمات النتيجة الآتية حيث يقول :
فيكون الرجاء هنا الخوف كما قال : « لا ترجون لله وقارا ، وكما قال :
« إذا لسعته النحل لم يرج لسعها » .

١٤ — ثم ذكر معنى آخر للرجاء ، وهو الرجاء الذى خلافه اليأس .
واستشهد على ذلك بقوله تعالى : « قد يؤسوا من الآخرة كما يؤس الكفار من أصحاب القبور » .

١٥ — وذكر المحذوف فى الآية وقدره : « كما يؤس الكفار من أصحاب القبور من الآخرة » وذكر علة المحذوف ، وأنها تقدم ذكر المحذوف .

١٦ — وقاس الحذف فى هذه الآية على قوله : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » ، حيث حذف المتأخر لدلالة ما تقدم عليه .

١٨ — ثم قدر محذوفاً آخر فى الآية : « كما يؤس الكفار . . . » لجعل اليأس من الحشر لا من الآخرة على حذف مضاف ويكون التقدير : « كما يؤس الكفار من حشر أصحاب القبور » .

١٨ — وناظر هذا الشرح فى تلك الآية بقوله تعالى :
(١) « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا » .

(ب) « قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله » ،

(ج) « بل هم ببقاء ربهم كافرون » .

مفسراً لقاء الله فى هذه الآيات بالبعث .

١٩ — واستشهد على ذلك التفسير بقوله تعالى : « بل كانوا لا يرجون نشورا » .
وقوى رأيه بقول الله تعالى : « حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة » .

٢٠ — وأسله الكلام على معنى اللقاء فى الآيات السابقة إلى ما يلحقون فى قوله

تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وذكر أنه على معنى يوم يلقون ثوابه ، إذ هم على العكس من أولئك الموصوفين بقوله تعالى : « فسوف يلقون غياً » .
٢١ — وشرح حال هذين الفريقين : يلقى أحدهما الثواب ، ويلقى الآخر العقاب بقوله تعالى :

« الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم » ، أى ملاقو ثواب ربهم .
خلاف من وصفوا بقوله : « لا يقدرّون على شيء مما كسبوا » . وقوله : « حتى إذا جاءهم لم يجده شيئاً » ، ونحو ذلك مما يدل على إحباط الثواب .
٢٢ — ثم مضى يشرح قوله تعالى : « وأنهم إليه راجعون » ، بأنهم يصدقون بالبعث ولا يكذبون به ، مستدلاً بقوله تعالى فيما حكى عن المنكرين له فى نحو « إذا متنا وكنا تراباً وأبواؤنا أئماً لمبعوثون » ، ونحو قولهم فيه : « إن هذا إلا أساطير الأولين » .
٢٣ — ثم رجع يفسر الظن ما هنا بالعلم وفى قول المؤمن : « إني ظننت أنى ملاق حسابه » .

٢٤ — ثم فرق بين معنى الظن فى الآيتين : ففى الآية الأولى : « الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم » ، أى ثوابه قال : « يجوز ألا يكون منهم القطع على ذلك والحتم به مستدلاً بقول إبراهيم :

« والذى أطعم أن يغفرلى خطيئتي يوم الدين . . . » ، وأما الظن فى الآية الثانية : « إني ظننت أنى ملاق حسابه » ، فلا يكون إلا على العلم والتيقن مستدلاً بدليل عقلى أو عقيدى إذ يقول : « لأن صحة الإيمان إنما يكون بالقطع على ذلك والتيقن به ، والشاك فيه لا إيمان له » .

٢٥ — ثم عاد بعد هذا التشقيق إلى النقطة التى بدأ منها ، وقد بعد عنها — عاد إلى « لقيته ولاقيته » ، وضرب الشواهد :

(١) من القرآن الكريم على لاقيت : « واعلموا أنكم ملاقوه » ، والذين

يظنون أنهم ملاقو ربهم . وعلى لقيت : « وإذا لقوا الذين آمنوا » .

(ب) وبالشعر : « يانفس صبراً كل حى لاق ، أى لاق منيته وأجله .

(١) فلاقى ابن أئى يبتغى مثل ما ابتغى

من القوم مسقى السام حدايده

(٢) وكان وإياها كحراف لم يفق

عن الماء إذ لاقاه حتى تهدأ

٢٦ — ثم جره التحدث عن الفعلين : لقي ولاقى إلى التحدث عن مصدرهما المضاف مستشهداً بقوله تعالى : ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه .

٢٧ — وهل الإضافة في لقائه : (أ) من إضافة المصدر إلى المفعول ؟
(ب) ومن إضافة المصدر إلى الفاعل ؟

وجوزّ الأمرين :

٢٨ — وضرب أمثلة لإضافة المصدر إلى المفعول بقوله تعالى :
« بسؤال نعجتك إلى نعاجه » ، « وهم من بعد غلبهم سيغلبون » لأن الضمير للروم وهم المغلوبون .

وفسر الإضافة إلى المفعول في قوله : « فلا تكن في مرية من لقائه » بفهم الرسول ما ورد في القرآن الكريم كأنه قيل نخذها بقوة أى بجد اجتهاد أعلننا أنه أخذ بما أمر به وتلقاه بالقبول فالمعنى من لقاء موسى الكتاب فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب .

ووجه ذلك بقوله : وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به ، وتنبية على الأخذ بمثل هذا الفعل كقوله : « اتبع ما أوحى إليك من ربك » ، وإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ويجوز أن يكون الضمير لموسى في قوله من لقائه ، ويكون الفاعل محذوفاً ، والمعنى من لقاءك موسى ، ويكون ذلك في الحشر ، والاجتماع للبعث ، أو في الجنة ، فيكون كقوله ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها .

وفسر الإضافة إلى الفاعل بتجوز أن يكون الضمير لموسى والمفعول بمحذوفه وضرب لذلك أمثلة :

(أ) إن تدعوهم لا يسمعون دعاءهم . « فالدعاء مضاف إلى الفاعل والمفعولون محذوفون .

(ب) لمقت الله أكبر من مقتكم .

٢٩ — ثم انتهى من ذلك كله إلى مقايضة الإضافة في قوله « فلا تكن في مرية من لقائه » ، في حال إضافة الضمير إلى موسى ، بقوله تعالى : فتلقي آدم من ربه كلمات ، « لأن موسى هو اللاتي كما أن آدم هو المتلقى .

٣٠ — ثم فسر التلاقي في قوله تعالى : لينذر يوم التلاق بأن يكون يوم تلاقى الظالم والمظلوم ، والجائر والعاقل ، وتلاقى الأمم مع شهدائها كقوله : ونزعنا من كل أمة شهيداً .

وشبه التلقى هنا بالجمع في قوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ، وفي قوله : « ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ونحو ذلك من الآي .

٣١ — ودفع التوهم الذى قد يسبق إلى الذهن بأن يوم القيامة فيه التفرق لا الجمع بأن ذكر أن التفرق في قوله : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، تفرق بعد الاجتماع ، والتلاقي الذى أضيف السوم إليهما ، وذلك بعد الاخذ للظالم من الظالم ، وأيد ذلك بقوله تعالى :

« فريق في الجنة وفريق في السعير . »

٣٢ — ووفق بين الفرار في قوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه . ويوم الجمع ويوم التلاقي بأن ليس المراد بالفرار المضاف إليه اليوم الشراد ولا النفار ، وأنت قد تقول لمن تكلم فررت بما لزمك ، لا تريد بذلك بعداً في المحل . وشرح الفرار في هذه الآية : « يوم يفر المرء من أخيه » . يعنى : « يوم يفر المرء من موالاته أخيه ، أو من نصرته ، أو من مساهلة أخيه » واستدل على كل بالقرآن الكريم .

(أ) فالفرار من الموالاته : يدل عليه قوله : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ،

(ب) والفرار من النصرة : على حد ما كانوا يتناصرون في الدنيا فيدل عليه قوله . يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً إلا من رحم الله .

(ج) والفرار من المساهلة : يدل عليه قوله : ولا يسأل حميم حميماً .

٣٣ — وإذ قد فسر الفرار بأنه ليس المراد به الشراد ولا النفار دفع قراءة من قرأ يوم التناد وكان القارىء اعتبر يوم يفر المرء من أخيه فجعل التناد تفاعلاً من ند البعير إذا شرد ونفر — بقوله : « وليس ذلك بالوجه ، وعلل عدم وجاهة هذا الرأى بقوله :

(أ) ألا ترى أنه لا يسهل نددت بما لزمك ، ولا ناددت منه كما تقول : فررت منه

- (ب) ونرى سيويه يستعمل في هذا المعنى فر كثير ولا يستعمل ند .
(ح) التنادى الذى عليه الكثرة والجمهور يدل عليه قوله :
١ — يوم يدعو الداعى إلى شيء نكر ٢ — يوم ندعو كل أناس بإمامهم
٣ — يوم يدعوكم فستجيئون بحمده . فالتنادى أشبه بهذه الآى .
وعلل لهذه القضية فقال :

ألا ترى أن الدعاء والنداء يتقاربان . واستشهد بقوله تعالى :

- ١ — إذ نادى ربه نداء خفياً .
٢ — فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب .
فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر .
فقد استعمل كل واحد من النداء والدعاء في موضع الآخر ، وليس التناد
والفرار كذلك .

٣٤ — وبعد أن انتهى من بحث لنى — وما استطرده إليه — خلس إلى
الحديث عن الكلمات في قوله تعالى : « فتلقي آدم من ربه كلمات ،
فذكر أنها جمع كلمة ، والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير والقليل .

ومثل لوقوعها على الكثير :

قال امرؤ قيس في كلبته أى قصيدته
وقال قيس في كلبته يعنون خطبته
وقال ابن الأعرابي . لفلان كلبة شاعرة أى قصيدة .
وأما وقوعها على القليل : فان سيويه أوقعها على الاسم المفرد ، والفعل المفرد ،
والحرف المفرد وناظر الكلمة بالليل ، واستشهد بالقرآن الكريم على وقف الليل
على الكثير بقوله تعالى : « وجعلنا الليل لباساً » ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله ، .
ومن وقوع الليل على القليل وهو مادون ليلة قوله تعالى : « وإنكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل .

ثم ذكر استعمال سيويه للكلام ، ودلل عليه ، وذكر أنه على هذا الذى استعمله
سيويه جاء التنزيل . وذكر الدليل من القرآن الكريم :

٣٦ — ثم أخذ يفسر الكلمات المذكورة في قوله « فلتلق آدم من ربه كلمات ، مستشهداً بما فسره المفسرون ، وبأقوال بعض السلف من المسلمين .

٣٧ — ثم انتقل إلى بيان المراد من الكلمات في قوله تعالى « ولإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمن ، وحمل على قوله تعالى : « وصدقت بكلمات ربها ، أي (بالشرائع فأخذت بها) .

٣٨ — ثم بين أن من الكلم ما يجعل على أنه قول في قوله تعالى :

(أ) إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته يعني بها قوله والله أعلم .
(خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون)

(ب) « وتمت كلمة ربك الحسنی على بنی اسرائیل بما صبروا ، يعني بها قوله والله أعلم :

« وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، .

(ج) « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو كقوله : « ما بيدل القول كدَى ، .
(د) « وألزمهم كلمة التقوى أي شرائعه التي أمروا بالآخذ لها ، والتمسك بها .
أو لإله إلا الله .

٣٩ — ثم ساقه الحديث إلى إعراب (من الذين هادوا) في قوله تعالى : والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . وربط الإعراب بالمراد من التحريف في قوله : يحرفون الكلم كأنه قال :

« سماعون محرفين الكلم ، أو المراد بالتحريف ما كانوا يقصدونه في قولهم :
راعنا من السب ، وخلاف ما يقصد المسلمون ، .

٤١ — ثم انتقل إلى استعمال الكلام في موضع النطق واستشهد .

٤١ — وأخيراً — وبعد هذه الجولة الواسعة — انتقل إلى الاحتجاج على الرفع والنصب في كلمات آدم وكلمات . ومضى في احتجاجه على هذا النحو من الاستطراد ، وذكر أقوال الأئمة للتدليل والاستشهاد ، وترجيح بعض هذه الأقوال على بعض .

ذلكم نهج أبي علي في الحجة ، وهو نهج فيه ثقافة عربية عالية ، ومعرض لعقيلة

أبي علي وشخصيته ، ولكنه معرض مرهق ، وميداني ، يجهد من يطوف به
أو يسير فيه :

مرهق بذلك الاستطراد الذي يسلك من موضوع إلى موضوع حتى ليغيب
عنه الموضوع الأصلي الذي عهد من أجله الحديث ، وقد كنت في أغلب الأحيان
أود التعرف على حجته لقراءة من القراءات فلا يتيسر لي ذلك إلا بعد عناء ، ومرور
بما قال في الآية من مسائل نحوية ، ولغوية ، و صرفية ، وكثير منها لا يتصل إلا اتصالاً
خفياً من بعيد ، ولولا الاستطراد ماوردت هذه المسائل في مواضعها من الكتاب .
ويجهد بحشده الآراء المختلفة للنحاة الذين سبقوه ، ومناقشة كل رأى مناقشة
تقوم على مزج مسائل النحو بمسائل المنطق في عسر ، وإرهاق ، وتعقيد في التعبير .
والقارئ لحجة أبي علي لا بد أن يكون متأنياً واعياً : لأن الشيخ يكتب بعقله ،
يقايس وينظر ، ويعلل حتى يشب الخردل ، ويدلل ، ويستطرد حتى لكأنه يشقق
الشعرة ولكل كلمة موضعها ، ولها ميزانها .

وتنخل كتاب الحجة فلا تجد من كلام الشيخ إلا القليل ، والكثير نقول من كلام
الله ، والشعراء ، ونصوص من كتب النحاة — وبخاصة - بيويه — وشواهد نظمها
نظماً عجيباً ، وقرن بينها في ترابط وتداع ، واتغل كل أولئك فيما هو بصده من
من حديث ، فبدت هذه النقول جميعاً — وحدة متأسكة يشد بعضها بعضاً ،
أو يناظر بعضها بعضاً ، أو يتخالف بعضها مع بعض . وهي في تناظرها وتخالفها
وتآلفها كالبنيان المرصوص .

فإذا أردت التعليل لنزعة الاستطراد عند أبي علي وجدت من أسبابها :

(أولاً) : ما شاع في كتب المشتغلين بالعلم في هذا الزمان الذي عاش فيه أبو علي ،
والذي سبقه من لدن الجاحظ ، وابن قتيبة ، إلى أبي حيان التوحيدى المعاصر لأبي علي .
وبما لاشك فيه أن كتب الجاحظ كانت شائعة متداولة زمن الفارسي ، ونجد ابن
جنى في الخصائص يذكر الجاحظ (١) . وهذا عبد الله بن حمود أبو محمد الزبيدي

الاندلسي تليذ القارسي كان مغرى بكلام الجاحظ حتى أنه ، رضى بكتبه في الجنة عوضاً عن نعيمها^(١) ١١١ .

وكان الميدان الذي يعمل فيه أبو علي ميداناً جافاً : ميدان النحو والصرف ، والتوجيه الإعرابي ، والتدليل المنطقي ، فاذا أضيف إلى ذلك أسلوب أبي علي وطريقته في التدليل ، وإشارته التطويل ، كان العناء الذي يحسه القارىء لكتابه الحجّة ، فتجاوز بذلك حاجة القراءة إلى ما يخفض عنه كثير من العلماء^(٢) . وحتى منع كثيراً ممن يدعى العربية - فضلاً على القراءة - منه ، وأجفاهم عنه^(٣) .

ومن المهم أن أبين أن هذه النزعة بلغت أشدها في الأجزاء الأولى من الكتاب ثم أخذت تتناقص تدريجياً ، ولعل السبب في ذلك أنه كان يحيل إلى النظائر السابقة دون ميل إلى التكرار^(٤) .

(ثانياً) : يبدو أن أبا علي - وقد جاء بعد أستاذه ابن السراج - أراد أن يفيض بما عنده من علم وثقافة في الاحتجاج ، حتى يظهر فرق ما بين الرجلين ، والمدى الشاسع بين النزعتين ، وتلك كانت سنة أبي علي مع المعاصرين^(٥) .

(ثالثاً) الجو الذي ألف فيه أبو علي كتابه الحجّة : فهو كما استظهرت آنفاً ألفه بعد أن استقرت الحال بعرض الدولة ، ومن هنا كان الدرس المتأني المتقصى ، المستوعب ، الجامع لثقافة العمر .

هذا الأسلوب من الإغماض والإبهام ، وهذه النزعة من الإطالة والاستقصاء أغضبت القراء ، وأجفهم عن الحجّة ، وإذا كان ابن الشجري يقرر أن أبا علي يفسر أحياناً فيزيد تفسيره إشكالاً^(٦) . وأنه أحياناً يلغز فيهم^(٧) . فماذا يكون موقف القراء؟

(١) بنية الوعاة : ٢٨٢

(٢) المحتسب : ٢٨٨/١ ، وانظر المحتسب

(٣) المحتسب : ٦٠

أيضاً : ٤٠٠/١ - ٤٠١ ، ٢٢٦/٢ - ٢٦١

(٤) يشير أبو علي كثيراً إلى ما تقدم كقوله : « قد قلنا فيما تقدم في القرية أن يكون واحداً وجملاً : الحجّة : ٥٧/٤ ، وكقوله في : تأنيهم اللاتسكة بالياء والتاء » وقد تقدم هذا النحوي غير موضح انظر الحجّة : ١٣٣/٤ - وفي تحقيق الهمزتين يقول : وقد تقدم القول في أوائل هذا الكتاب : ٢٨٩/٤ وانظر الحجّة : ٣٦،٣٥/٦ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ١٣١،٩٦ . ن البلدة

(٥) انظر في ذلك الحديث عن الاغفال (٦) امالي ابن الشجري : ١٨٢/١

(٧) المصدر السابق : ٣١٧/١

وقد رمى ابن خالويه أبا علي بأنه لا يفهم أحد ما يقول (١) . ولم يشأ أبو علي أن يتنصل من هذه ، بل أقرها معتزاً بها .

وجاء الحجة بهذا بعيداً عن الأسلوب العلمي بما شاع فيه من إبهام ، وما غشيه من تكلف واستطراد ، ويبدو أن أبا علي لم يرزق حظاً من البيان ، فكان أسلوبه مهمل النسيج ، ضعيف الأسر فاستمع إليه — مثلاً — حين يقول :

رأينا الحركات إنما تلتقي على الحروف التي تكون قبل الحروف التي تنقل منها ، ولا تنقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة (٢)
أو يقول في شرح البيت :

فلك بالليط الذي تحت قشرها .

فلك بالقشر الذي فوق القلب الذي تحت القشر ليصون القشر القلب فلا ينشق (٣) وقد أصلح ابن جنى ما أفسد الشيخ ، فجعل المحتسب سمحاً مقرباً على أهل القرآن ليحفظوا به ولا يناؤا عن فهمه (٤) ، ولا يلفظ عنهم (٥) .

تفسير أبي علي للقرآن الكريم في كتابه الحجة

رحل أبو علي من بلاد فارس إلى بغداد على ما استظهرته ، وما يرويه المترجمون سنة ٣٠٧ هـ (٦) . وإذا كان ابن جرير الطبري مات ببغداد سنة ٣١٦ هـ على ما يرويه ياقوت في رأى ، وسنة ٣١١ على ما يرويه في رأى آخر ، فقد أدرك أبو علي الطبري شيخ المفسرين مدة لا تقل عن أربع سنوات ، وقد تصل إلى تسع .

* * *

ولم يعرف أن أبا علي تلمذ لابن جرير الطبري ، فلم يذكر واحد من المؤرخين ذلك ، ولكن كانت هناك سحجة بين الطبري ، وأبي بكر بن مجاهد ، شيخ أبي علي في القراءات

(١) الخليات : ٣٨ ورقة ٥ نحو

(٢) الحجة : ٢٦٠/١ ص ٢٦٦/١ مراد ملا والبيت لأوس

ابن حجر يصف قوساً ترك صانها شيئاً من القصر على قلبها تماك به ويكنها لتلايدو قلب القوس فينشق .

(٤) المحتسب : ٦/١ (٥) المصدر السابق : ٢٨٨/١

(٦) وفيات الأعيان : ٣٦/١

وكان أبو بكر معجباً بالطبرى أخذ القراءات عنه وكان لا يجرى ذكره إلا فضله^(١)،
ويروى عنه^(٢)، ويثنى على قراءته^(٣) ويصحح معه للطعام والترويح^(٤). وقد أدرك
أبو علي ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ، وروى عنه القراءة عرضاً^(٥) وربما كانت
هذه الصلة بابن مجاهد الذى كان ذا مودة مع ابن جرير الطبرى - بعض مادفع أبا علي
إلى التحدث فى التفسير، وابن مجاهد هو الذى نقل عن الطبرى قوله :

« انى أعجب من قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته^(٦) إلى جانب
هذا الدافع دوافع أخرى دفعت أبا علي إلى التفسير فى كتابه الحجة أجمعها فيما يلي :

(١) أبو علي يتعرض فى كتابه الحجة الى الإعراب، والإعراب فرع المعنى،
واذن كان لا بد أن يلم أبو علي بالتفسير معرباً حتى يوجه الإعراب مرتباً إياه على
معنى الآية المعربة .

(ب) ثم أن أبا علي موجه للقراءات، والتوجيه يتطلب التفسير، ذلك لأن
الاحتجاج للقراءات يعتمد فيما يعتمد على شرح الآيات، وتفسير المراد من الألفاظ
التي وقع فيها الاختلاف عند القراء .

(ج) إلى أن نزعة الاستطراد التي عرف بها أبو علي، والتي جرت له إلى تناول
مسائل مختلفة - دفعت له إلى أن يتناول فيما تناول - التفسير .

(د) وقد تحدث القدامى فى وجوب معرفة النحو علم الكتاب، والسنة، والإبقي
فارغاً بطلا لعا^(٧)

(هـ) وأبو علي بعد ذلك متبحر فى المواد التي بها يكون التفسير، وقد عدها
صاحب البحر المحيط فى تقديم كتابه^(٨) .

* * *

(١) معجم الأدباء : ٦٦/١٨

(٢) المصدر السابق : ٦٣ (٣) معجم الأدباء : ٦٦/١٨

(٤) المصدر السابق : ٩٠/١٨ (٥) طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٦) معجم الأدباء : ٦٣/١٨

(٧) بيان زغل العلم والطلب لشمس الهين الذهبي : ١٩

(٨) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١ ص ٥ وما بعدها

ولم أر لأبي علي كتاباً بعينه في التفسير ، وإن كان صاحب كشف الظنون عند الكلام على التفسير - ذكر جماعة من المفسرين الأقدمين ثم قال :
ثم انتصبت طبقة إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد مثل أبي إسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي (١)

* * *

ولم يذكر الداودي المالكي أبا علي في طبقات المفسرين ، على أن الرضی قد مدح أبا علي في تفسيره الموسوم بمحقات التأويل ، وتعصب له (٢) .
والذي ذكره الوراقون المترجمون متصلاً بعمل أبي علي في التفسير (٣) كتابان . أحدهما : كتاب التبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير نحو مائة ورقة .
والآخر : كتاب تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة (٤) » :
ولا أعد كتاب الاغفال لأبي علي - من كتب التفسير فهو خاص بمسائل أصلها على الزجاج في معاني النحو على ما استظهرته في مكان آخر (٥) .
ولئن فاتني الاطلاع على ما كتب أبو علي في التفسير مستقلاً - إن كتاب الحجة يعني في التعرف على منهجه في التفسير أيما غناء .
والكلام على منهج أبي علي في التفسير يتناول عنصرين :
(ا) طريقته في شرح غريب القرآن ومكائنه في ذلك بين من سبقوه وبخاصة أبو عبيدة في مجاز القرآن ، وابن قتيبة في غريب القرآن ، وتأويل مشكله . وأبو بكر محمد بن عزيز السجستاني .
(ب) ثم طريقته في تناول « النص القرآني » ، بالتفسير .

(١) كشف الظنون باب التفسير (٢) أعيان الشيعة : ٢٩/٢١

(٣) هذا يرد كلام الشيخ منير الدمشقي في كتابه جامع علوم الشريعة من أن أبا علي الفارسي لم يؤلف تفسيراً ، ولا أحد ذكر له في ترجمته شيئاً في التفسير .

(٤) معجم الأدباء لياقوت : ٢٤١/٧ (٥) انظر البحث الخامس بكتاب الاغفال

تفسير أبي علي لغريب القرآن

في كتابه الحجّة ومكاته من أبي عبيدة، وابن قتيبة، وأبي بكر السجستاني

وأبو علي في ذلك يستعرض المادة التي هو بصدد شرحها في آياتها القرآنية، وما يحفظه من الشعر، وكلام العرب، وما نقله أو رواه عن الأئمة السابقين، ثم يجعل من كل أولئك وحدة يفسر بعضها بعضاً، ويستعين ببعضها على بعض، في استطراد يخرج فيه من قول إلى قول، وربما مزج الحديث عن الغريب بالتعريف، ويعقب على ذلك كله مؤيداً بعض الأئمة أو معارضاً، مستغلاً مسائل المنطق وقضاياها في تفسير الغريب القرآني.

وهو يعتمد غالباً في التفسير اللغوي على سيبويه^(١)، وأبي زيد^(٢)، والاختش وأبي عبيدة^(٣)، وأحمد بن يحيى ثعلب^(٤).

فأين أبو علي بعد ذلك من أبي عبيدة، وابن قتيبة، وأبي بكر السجستاني * ؟
أبو علي يروي ما يقول أبو عبيدة، وربما أورد ما يقول ابن قتيبة من غير أن يشير إليه — وهو بعد ذلك — يزيد برواية أقوال سيبويه، وأبي زيد، والاختش وغيرهم من الأئمة، واستشهاده بأحمد بن يحيى كثيراً، وحديثه في مسائل التصريف والنحو، وبمزجه كل ذلك بالقياس: ثم هو لا يروي ما يقول أبو عبيدة، أو ابن قتيبة حسب؛ بل يناقش، ويرد ما قال أبو عبيدة إلى الأصول التي استقى منها^(٥)

(١) انظر الحجّة (نسخة البلدية): ١٦٩/١

(٢) المصدر السابق: ٢٠٣/١ (٣) نفس المصدر: ١٦٩/١

(٤) الحجّة (نسخة البلدية): ٢٣٠/١

* حاشية: اخترت هؤلاء العلماء في الموازنة بين طريقتهم، وطريقة أبي علي لما يأتي: أنهم يلقون ضوئاً على تطور القاموس القرآني منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع: فأبو عبيدة يمثل القرن الثاني؛ إذ توفي سنة ٢١٠ وقد قارب المائة، وألف كتابه سنة ١٨٨هـ (انظر معجم الأدباء: ١٥٨/١٩) وابن قتيبة يمثل القرن الثالث إذ توفي سنة ٢٧٦هـ والسجستاني يمثل أوائل القرن الرابع توفي سنة ٣٣٠هـ (٥) الحجّة مراد ملا: ٢٠٤/١

أبو عبيدة في شرحه للغريب يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالحدِيث الشريف ، ثم يتبعهما بالشاهد الشعري القديم ، أو بكلام العرب الفصيح ، وهو في ذلك قصير النفس لا يبلغ مبلغ أبي علي ، ثم هو لا يلتزم ذلك في كل الألفاظ .

وابن قتيبة في الغريب أقصر من أبي عبيدة نفساً ، وأما أبو بكر السجستاني فهو يقتصر — في الأعم الأغلب — على شرح الألفاظ بمرادها من غير أن يعنى بتأييد ما يقول بالشواهد .

ويطول بن الحديث لو استشهدت على هذه الخصائص من كلام هؤلاء الأعلام ، ولكنني أضرب مثلاً واحداً في شرح كل منهم لكلمة هدى للبتين ؛ فهو يكشف عن اتجاه كل ، ومنهجه ، ثم أتبعه بما أرى من تعليق .

قال أبو عبيدة : هدى للبتين أي بياناً للبتين اه (١)

وقال ابن قتيبة : هدى للبتين أي رشد لهم إلى الحق اه (٢)

وقال أبو بكر السجستاني : هدى أي رشد اه (٣)

فإذا أورد أبو علي ؟ : أورد ما قال سيويه . « قلنا يكون ما ضم أوله من المصدر منقوصاً ؛ لأن فَعَلَ لا تكاد (٤) مصدرأ من بنات الياء والواو ا . ه .

وقال أيضاً : « قد جاء في هذا الباب يعني باب اعتلال اللام — المصدر على فعل قالوا هديته هدى ، ولم يكن هذا في غير هدى ،

ثم برهن على ما قال سيويه مستشهداً ومعلقاً ، وانتهى إلى أن الهدى والسرى والتقى — وفي التنزيل إلا أن تقوا منهم تقاة — يكون هذا النحو قد استغنى به عن المصدر كما قالوا : « هو يدعه تركاً شديداً ،

ثم أورد اعتراضاً هر : لم لا يجعل تقاه في الآية مثل رماه ، فيكون حالاً مؤكدة ؟ ورد هذا الاعتراض .

ثم استشهد بقول أبي عبيدة السابق في تفسيره هدى للبتين ، ثم أورد قول أبي الحسن في أن من العرب من يؤنت الهدى .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٩ (٢) غريب القرآن — الفرطين : ١١

(٣) غريب القرآن للسجستاني : ١٩٠ ط صبيح

(٤) كذا — ولعل تجيء ساقطة .

ثم بين أن الفعل من الهدى متعد إلى مفعولين — يتعدى إلى الثاني منهما بأحد حرفي جر: إلى واللام، واستشهد من القرآن الكريم .

وقايس ذلك بالفعل أوحى ، واستشهد كذلك^(١) . . .

وقد رأيت في التفسير اللغوي يعتمد على ما ذكر ابن عباس ، وابن مسعود ، وقتادة ، وعلى ما حدث به عن شيوخه^(٢) ، ذلك فوق نزعه في التحليل والتشقيق .

فإذا كان من نعرف بمن سبق أبا علي من أمثال ابن عباس ، وأبي عبيدة ، وابن قتيبة . . . يمثلون مدرسة الرواية في اعتمادها على المأثور من الحديث والشعر فإن أبا علي — في شرحه اللفظ القرآني — يمثل مدرسة التحليل الدقيق العميق في شمول واستيعاب .

وأقصد بالتحليل الدقيق ما يقوم به من الحديث عن تصريف الكلمة ، وإعرابها بموازنة بين الأقوال المختلفة ، وترجيح بعضها على بعض ، وإيراد الاعتراضات وردّها وتقليب اللفظ القرآني على وجوهه في معانيه التي يحتملها والتوفيق بين معان نرى النظرة العابرة أنها متدافعة متضاربة .

وأود ألا يفهم من لفظ الاستيعاب والشمول أنه شرح جميع الغريب من الألفاظ القرآنية كما فعل أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والسجستاني ، فإن هذا المعنى لا يستقيم مع اقتضاره على الغريب من الآيات التي وردت فيها قراءات مختلفة . وإنما أقصد بالاستيعاب والشمول هذا النهج الواسع النطاق ، البعيد المدى ، المتعدد الجوانب على ما شرحت آنفاً .

(ب) ثم أنتقل بعد ذلك إلى بيان طريقة أبي علي في تفسيره النص القرآني في كتابه الحجة .

يسلك أبو علي بعض الطرق الآتية في تفسيره :

(١) تفسير القرآن بالقرآن : وملاك ذلك أن القرآن كالشيء الواحد^(٤)

وأن مجازه مجاز سورة واحدة ، وكلام واحد ، فقد يجيء الشيء منه في سورة ويجيء

(١) الحجة : ١٢٠/١ (٢) انظر تفسيره طبقاً عن طبق — الحجة : ٢٥٧/٧

ن البلدية ، وانظر تفسيره هو لحديث ١٢٦/٦

(٣) انظر في ذلك شرحه للكلمات الكفر : الحجة ١٦٦/١ مراد ملا وسواء ١٦٨/١

وختم : ٢٠٨/١ والنبأ : ٣٠٢/١ وآدم : ٣٠٨/١

(٤) الحروف للرماني: لوحة ١٤

جوابه في سورة أخرى كقوله: « وقالوا مجنون وازدجر، فجاء جواب ذلك في سورة أخرى: فقال: « ما أنت بنعمة ربك بمجنون(١) ،

وقد جعل ابن تيمية أحسن طرق التفسير، « أن يفسر القرآن بالقرآن(٢) ، وأبو علي يستغل ذلك الطريق بما يدل على يقظة بعيدة، واستحضار سريع تداعي عنده الأشباه والنظائر، ويدفع ما يوهم التضاد والضائر— في موالاته، وحفظ جيد للقرآن الكريم:

قال في تفسير قوله تعالى: « يوم يفر المرء من أخيه »:

يعنى يوم يفر المرء من موالاته أخيه، أو من نصرته، أو من مساملة أخيه (١) فالفرار من الموالاته يدل عليه قوله: « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا.

(ب) والفرار من النصره على حد ما كانوا يتناصرون في الدنيا فيدل عليه قوله:

« لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله ،

(ج) والفرار من المساملة يدل عليه قوله: « ولا يسأل حميم حميماً(٣) ،

وانظر تفسيره الرجاء في قوله تعالى: « لا يرجون لقاءنا(٤) ،

ومن تداعي الأشياء عنده إيراد الآيات القرآنية التي تتضمن مادة واحدة مثل الآيات المتضمنة مادة (النبأ): « عم يتساءلون عن النبأ العظيم ، « ونبئهم عن ضيف إبراهيم ، « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ، « أنبئوني بأسماء هؤلاء ، « يا آدم أنبئهم بأسمائهم(٥) ، ...

ومن دفعه ما يوهم التضاد قوله: « فأما جمع من جمع بين قوله تعالى « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، وبين الآية الأخرى وهي قوله: « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وقوله انهما متدافعان؛ لأن الوجع خلاف الطمأنينة — فجعل وزهاج عما عليه الآيتان وما أريد بهما ، وذلك أن الاطمئنان إنما يكون عن ثلج القلب، وشرح الصدر بمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة، والثواب الجزيل، والوجع إنما يكون

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ٢٥

(١) الشراذم: ١٤

(٤) الحجة: ١/٣١٨. مراد ملا

(٣) الحجة: ٥٦/٢ ن البلدية

(٥) الحجة: ٣٠٢/١ مراد ملا

عند خوف الزبغ ، والذهاب عن الهدى ، وما يستحق به الوعيد ، فتوجل القلوب لذلك فكل واحدة من الحالين غير صاحبها ، فليس هنا إذا تضاد ولا تدافع ، وهذان المعنيان المتفرقان في هاتين الآيتين قد اجتمعا في آية واحدة ؛ وهي قوله : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء » ؛ لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ، ووثقوا به فاتنى عنهم الشك والارتياب الذى يعرض لمن كان خلافهم بمن أظهر الإسلام تعودا فحصل له حكمه دون العلم الموجب لثلج الصدور ، وانتفاء الريب والشك (١)

وأراه بهذا التدليل النقلى ، والمنطقى يصدر عن نزعة الدفاع عن كتاب الله ، ودفع ما يلقى به الكائدون من شبهة التدافع والتضاد ، وهي النزعة التي انتهت إلى أنه صدر عنها في كتابه الحجة ، وكانت سببا دفعته إلى تأليفه .

وأقرأ حديثه كذلك في تفسيره « يوم يجمعكم ليوم الجمع » — بيوم التلاقي ، ودفعه ما يوهم التضاد بين المعنى الذى ذكره في هذه الآية وقوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه (٢) »

هذه أمثلة لبيان هذه الطريقة التي سلكها أبو على في تفسير القرآن بالقرآن ومظاهرها المختلفة وما يتصل بها :

(٢) تفسير القرآن بقراءة أخرى : وقد كان ابن عباس يفسر القرآن ويستدل بقراءة على قراءة ، قال في قوله تعالى : « نشرها ثم نكسوها لحماً (٣) » : لإشارتها لإحيائها ، واحتج بقوله تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » ، وقد سلك أبو على هذه السبيل حيث يقول : مثلاً —

فأما قوله : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » فهو في المعنى كقوله : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » ، وقوله : « وكل شيء أحصيناه كتاباً » أى كل شيء من أعمالهم كما قال : « وكل شيء فعلوه في الزبر » ، وكل صغير وكبير مستطر ، وقال : « أحصاه الله ونسوه » ، وقال : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » ، وقال : (وهنا موضع الشاهد)

(١) المصدر السابق : ١٥٢/١

(٢) الحجة : ٢٥/٢ وما بعدها من البلدية ٣٢٠/١ نسخة مراد ملا

(٣) معاني القرآن للقراء : ١٣٧

« هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت ، من التلاوة وهي قراءة حمزة والكسائي^(١) .
وانظر في ذلك صلة من قرأ يوم التناد بتفسير قوله تعالى : « يوم يفر المرء
من أخيه^(٢) » .

(٣) تفسير القرآن بالحديث الشريف : قال ابن تيمية : « فإن أعياك تفسير
القرآن بالقرآن فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له . . .^(٣) » ، وأعان
أبا علي في سلوكه هذا المسلك أنه محدث^(٤) ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى :
« أفمن شرح الله صدره للإسلام . . .^(٥) » ، ويتصل بذلك أنه

(٤) يفسر مسنداً : وهو بذلك ينحو منحى الطبري في تفسيره ، وذلك قول
أبي علي : حدثنا يوسف بن يعقوب الأزرق بإسناد عن مجاهد كلمة التقوى « لا إله
إلا الله^(٦) » ، وانظر شرحه لقوله تعالى : « مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ، فقد
حدث عن أحمد بن محمد البصري : قال حدثنا المؤمل قال : حدثنا إسماعيل عن أبي رجاء
عن الحسن . . .^(٧) » ، ويبدو أنه يتحدث عن أحمد بن محمد البصري كثيراً^(٨) .

(٥) ويفسر القرآن بأقوال بعض السلف : وذلك قوله في تفسير الكلمات
المذكورة في قوله تعالى « فخلق آدم من ربه كلمات ، سئل بعض السلف عما يقول
المذنب فقال : يقول ما قاله أبوه آدم ، « ربنا ظلمنا أنفسنا . . . الآية^(٩) » ، وأعانه
على ذلك أنه عالم بطريق السلف المفسرين^(١٠) .

(٦) كما ينقل في تفسيره عن المتأولين ، وهو إذا نقل عنهم يضيف إلى تقوله
أدلة تبرز كيانه ، وتحدث عن شخصيته ؛ قال في تفسير قوله تعالى : « الذين يؤمنون
بالغيب » .

قال بعض المتأولين : أى يؤمنون إذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين الذين
يقولون « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » ، ثم قال : ويقوى ما ذهب إليه هذا المتأول
قوله : « الذين يخشون ربهم بالغيب » ، وقوله « وخشى الرحمن بالغيب » ، وقال الهذلي :
أخالد ! ماراعيت منى قرابة فتحفظنى بالغيب ، أو بعض ماتبدي

(١) القمر: ٢/٢٨٣ (٢) الحجّة: ١/٣٢٢ مراد ملا

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ٢٥

(٤) تاريخ بغداد ومجمع الأدباء: ٧/١٥٥

(٥) الحجّة: ١/١٢٤ مراد ملا (٦) الحجّة: ٢/٣١

(٧) الحجّة: ١/١٥٦ مراد ملا (٨) انظر الحجّة: ١/٣٥٠ مراد ملا

(٩) الحجّة: ١/٣٢٤ مراد ملا (١٠) الحجّة: ١/٤٦٨

فالجار والمجرور في موضع الحال أي تحفظني غائباً، ويخشون ربهم غائبين عن مرآة الناس، لا يريدن بإيمانهم تصنعاً لأحد ولا تقرباً إليه رجاءً لماله. ولكن يخلصون لله^(١).

وفي هذا النص السابق ما يشير إلى طريقة أخرى من طرائق تفسيره تلك.

(٧) تفسيره كلام الله بالشعر: ولست في حاجة إلى أكثر من ذلك النص لتأييد ما أقول، فأبو علي لا يفتأ يفسر القرآن بالشعر، فإن تلبست الأسباب التي تدفعه إلى هذه الظاهرة وجدت تلاحق الأئمة: ابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي^(٢) واتفقهم على قول ابن عباس: الشعر ديوان العرب^(٣)، وقد كان ابن عباس يرجع إلى الشعر في تفسيره للألفاظ القرآنية^(٤) وكان يقول: «إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر؛ فإن الشعر عربي»^(٥)، وإلى جانب ذلك ترى أن أبا علي نحوي يستشهد على مذهبه بما أنشد الشعراء، وأنه لغوى اتصل بكتب أبي زيد، وأطراف مما لغيره^(٦) وأنه بعد ذلك متصل اتصال صداقة وعلم بأبي نصر محمد بن هبة الله^(٧) الشيرازي^(٨) أحد الذين رووا حديث نافع بن الأزرق وسؤاله ابن عباس عن طائفة من الألفاظ القرآنية طالباً من ابن عباس أن يستدل على معناها من الشعر العربي القديم^(٩). ويتصل باستشهاد أبي علي بالشعر في تفسير النص القرآني.

(٨) تفسيره بأقوال اللغويين، قال: «وما يقوى الرفع في آدم أن أبا عبيدة قال في تأويل قوله: «فخلق آدم من ربه كلمات، أي قبلها، ثم بينى على ذلك فيقول: فإذا كان آدم القابل للكلمات مقبولة... الخ»^(١٠) وهو هنا كذلك يزيد بما يدل على شخصيته.

(٩) كما يفسر القرآن بالدليل العقلي فأبر علي في كتاب الحجة منطقي قياسي،

(١) الحجة: ١٥٦/١ ن مراد ملا

(٢) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزى السكبي ٩/١ ط مصطنع محمد ١٣٥٥ هـ

(٣) الاتقان: ١٤٩/١ (٤) طبقات ابن سعد: ١٢١/٢

(٥) المعجم الكبير للطبراني: ١٢٩/٩٧

(٦) الامتاع: ١٣١/١ (٧) الشيرازيات: ٨٥ (٨) طبقات القراء: ٢٧٤/٢

(٩) الاتقان للسيوطي: النوع السادس والثلاثون: ١٤٩/١

(١٠) وقد تقدم النص في التمثيل لظاهرة الاستطراد عنده.

لا يستمسك بالأثر في تفسيره ؛ بل يضيف إلى ذلك المنطق والقياس ؛ فمن المعاني التي أوردتها في شرح المؤمن المهيمن أن يكون معناه المصدق أى المصدق الموحدين له على توحيدهم لإياه . يدل على ذلك قوله :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو ،

ألا ترى أن الشاهد مصدق لما يشهد به ؟ كما أنه مصدق من شهد له ؟ فإذا شهد سبحانه بالتوحيد فقد صدق الموحدين (١) .

وهذا تفسير كما ترون بالدليل المنطقي الذي يجوز أن يوضع في صورة قضايا تؤدى إلى نتيجة .

(١٠) وحينما يستهدى أبو على الحس الإنسانى في تفسيره ، قال : وأما قوله « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، فليس المعنى على ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين عندك ؛ لأن الأنبياء لا تكذب الصادقين ، ولكن المعنى : « ما أنت واثقاً ولا غير خائف الكذب في قولنا ، ولو كنا على الحقيقة صادقين عندك ؛ لما خلونا من ظنة منك في تهمة لك بأنا قد كذبتناك لفرط محبتك ليوسف ، وإشفاقك عليه ، وهذا المعنى متعالماً في استعمال الناس (٢) »

هذه هى طرائق أبي على في تناوله النص القرآنى بالتفسير ، ولست أدعى حصر هذه الطرائق ، ولكن ما ذكرته يتردد في كتابه الحجة في كثرة ظاهرة تدعو إلى لحظها وتسجيلها .

ومن أجل ما تعرض أبو على في كتابه الحجة إلى تفسير كتاب الله لفظاً ونصاً اعتمد كثير من المفسرين عليه ، وأوردوا أقواله معتدين بها وقد رأيت هذا - مثلاً - في البحر المحیط لأبى حيان في مواضع متقاربات (٣) كما اعتمد عليه ابن القيم في كتابه « التبيان في أقسام القرآن » (٤) ، كما رأيت نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى يستعين بأبى على (٥) .

(١) الحجة : ١٥٦/١ مراد ملا ، ٣٩/٢ البلدية

(٢) الحجة : ١٥٤/١ مراد ملا

(٣) انظر مثلاً من الصفحات الحسنة الأولى من الجزء الأول : ١٧ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٥ و

٣٨ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٩

(٤) انظر مثلاً التبيان : ١٠١ ، ١٢٥ ، ١٥٢ ، مطبعة حجازى ١٣٥٢ - ١٩٣٣ م

(٥) انظر تفسير النيسابورى - غرائب القرآن و رغائب الفرقان على هامش الطبرى :

١٧٦/٤ ، ٥٢/١٢ مثلاً

أبو علي المحدث والاحتجاج

كان أبو علي يقول : « قد سمعت الكثير في أول الامر ، وكنت أستحي أن أقول : اثبتوا اسمي ، (١) . وإذن فلأبي علي أساتذة محدثون سمع منهم الحديث (٢) أو شيئاً منه (٣) . ، وله كذلك تلاميذ أخذوا عنه : سمع من علي بن الحسين بن معدان (٤) الفارسي عن اسحق بن راهويه ، كما اتصل أبو علي بمحدثي زمانه ، وكاتبهم وإن لم يعدوا من شيوخه الذين سمع منهم ، من هؤلاء الذين اتصل بهم محمد بن هبة الله (٥) . وهو شيرازي (٦) . وكان محمد بن هبة الله هذا محدثاه وأحد الذين رووا حديث نافع بن الأزرق وبسؤاله ابن عباس عن أمثلة من الألفاظ القرآنية ، وطلبة من ابن عباس أن يستدل على معناها من الشعر العربي القديم (٨) . وقد رأيت أبا علي يحدث عن أحمد بن محمد البصري (٩) كثيراً (١٠) .

أما الذين رووا عن أبي علي فمنهم محمد بن عبد الواحد أبو الحسن (١١) . ، ومحمد بن عبد الواحد أبو عبد الله ابن زوج الحرّة (١٢) . ، وهلال بن المحسن (١٣) . والقاضي أبو القاسم التنوخي ، والجوهري (١٤) ، والأزهري ، وعلي بن محمد بن الحسن المالكي (١٥) .

(١) مجمع الأدياء : ٢٥٥/٧ (٢) النجوم الزاهرة : ١٩١/٤
(٣) عقد الجمان للعيني ، القسم : ٤٠٠
(٤) في طبقات النحاة واللغويين لابن شهية الأسدي ص ٢٩٥ سعدان بدل معدان
والصحيح ما أثبتته

(٥) لسان الميزان : ١٩٥/١ (٦) انظر الشيرازيات : ٨٥
(٧) انظر طبقات القراء : ٢٧٤/٣ (٨) الاتقان : ١٤٩/١
(٩) طبقات القراء : ١٢٦/١
(١٠) انظر مثلاً الحجة : ٢٥٠/١ ن مراد ملا ٣١٧/٤ ، ١٣٩/٦
(١١) تاريخ بغداد : ٣٦١/٢ (١٢) المصدر السابق : ٣٦٠/٢
(١٣) نفس المصدر : ٧٦/١٤ (١٤) لسان الميزان : ١٩٥/٢
(١٥) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧

هؤلاء أساتذة أبي علي وتلاميذه المحدثون، وتلك اتصالاته بأهل التحديث في زمانه، على قدر ما أعانتني عليه المصادر — فإذا كانت نتيجة هذه الدراسة في كتابه الحججة؟

تجلك هذه الدراسة في الحججة — متخذة المظاهر الآتية:

أولاً: — روايته الأحاديث في كتبه بأسانيدھا.

ثانياً: — توثيقه متون الأحاديث أو تضعيفها.

ثالثاً: — فهمه الأحاديث فهما يتفق مع ذلك التوثيق أو التضعيف، وتصحيحه

فهم غيره لها.

رابعاً: — احتجاجة بالحديث في اللغة، والنحو، والصرف.

وسأضرب لهذه الأحوال أمثلة كاشفة تختصر التفصيل والاستقصاء.

(١) مثال روايته الأحاديث في الحججة بأسانيدھا قوله: «حدثنا أحمد بن محمد

البصرى قال: «حدثنا المؤمل قال: حدثنا اسماعيل عن كعب عن مجاهد: «ومن الناس

من يشتري لھو الحديث قال سماعة الغناء (١)»، وقد أورد أبو علي في تفسير طائفة

من قوله تعالى: «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، الإسناد الآتي:»، قال أبو علي:

حدثنا أحمد بن محمد البصرى قال: «حدثنا المؤمل بن هشام قال: حدثنا اسماعيل

ابن عليّة عن ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله سبحانه وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين»

قال: «أقله رجل، وقال عطاء: أقله رجلان (٢)». وقد أوردت في الحديث

عن ثقافة أبي علي اسناده للحديث: «رحم الله رجلا أصلح من لسانه، فليراجع

هناك (٣)

(ب) مثال توثيقه متون الأحاديث أو تضعيفها تعليقه على ما روى من أن النبي

(صلى الله عليه) قرأ سورة النجم، فأتى على قوله: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة

الثالثة الأخرى، ووصل به تلك الغرائقة العُلى، وإن شفاعتهن لترجيى —

تعليقه بقوله:

(١) الحججة: ١٢٩/٦ (٢) الحججة: ٣١٧/٤ ن البلدية

(٣) واطر الحججة: ٢٣٦/١ ن مراد ملا

« هذا حديث مروى من أخبار الآحاد التي لا توجب العلم ، وذهب عامة أهل النظر فيما علمت إلى إبطاله ورده ، وأن ذلك لا يجوز على رسول الله (صلى الله عليه) على وجه ما رووه ، ولو صح الحديث وثبت لم يكن في هذا الكلام ثناء على آلهة المشركين ، ولا مدح لها . ولكن يكون التقدير . . . وإن شفاعتهن لترتجى عندكم ، لأنها في الحقيقة كذلك . . . (١) ، وذلك أيضاً مثال فهمه الأحاديث فهماً يتفق مع وثيقها أو تضعيفها .

ومثله فهمه الحديث : « يعذب المصورون يوم القيامة ، وفي بعض الحديث : « ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » . وقال : « يعذب المصورون ، يكون على من صور الله تصوير الأجسام ، وأما الزيادة فن أخبار الآحاد التي لا توجب العلم ، فلا يقدح لذلك في الإجماع على ما ذكرنا (٢) .

وقد فسر أحمد بن يحيى التذكير فيما رواه ابن مسعود : « ذكروا القرآن ، بأنه خلاف التأنيت ، وناقشه أبو علي في ذلك ، وبرهن على أن المراد به الموعظة والدعاء عليه ، كما قال : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ، إلا أنه حذف الجار على القياس الذى ينبغى أن يكون عليه (٣) . . .

(د) ومثال احتجاجه بالحديث في اللغة قوله : « الكفر القرية سميت لاجتماع الناس فيها ، وما ستر فقد جمع ، ومنه الحديث « تخرجكم الروم منها كفراً كفراً (٤) . وانظر شرحه لكلمة : أمين ، واستدلالة بالحديث على معناها (٥) .

(١) الحجة : ٤٥٤/١ ن مراد ملا

(٢) الحجة : ٣٥٦/١ ن مراد ملا ، وقد تنبه بعض الباحثين في زماننا إلى رأى أبي علي واعتمد عليه في جواز تصوير الأحياء ، وأن الحظر مقصور على تصوير الله تعالى تصوير الأجسام (انظر سر الزخرفة الإسلامية للدكتور بفر فارس عميد ٣١ - ٣٤ مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار العرفية بالقاهرة ١٩٥٢) وانظر مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والمصورون جادى الأولى ١٣٧١ هـ مقال : المسلمون والتصوير : ٤٦٨ . ولم يتفق الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية العربية المتحدة مع أبي علي في تفسير هذا الحديث (انظر صحيفة الأخبار عدد ١٩٥٥/١٢/١٥)

(٣) الحجة : ٥١/٢ ، ٥٣ ن البلدية

(٤) النخمس : ٧٨/١ (٥) الحلبيات : ٧٣/٧٢

كذلك رأيت يمتحج بالحديث في النحو والصرف ، فقد جاء الاحاد في الإضافة
الجميع كقوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، وفي الحديث : « منعت
العراق درهمها وقفيزها ، (١) .

وقال : الأَدَبُ من الجمال : الكثير وبر الوجه ، فأما قول النبي (صلى الله عليه
وسلم) يخاطب نساءه ، « ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأَدَبُ » ، تخرج فتنبجها
كلاب الحوَاب ، فإنه ضعف الأَدَبُ بفك الادمغام لينخرج على مثال الحوَاب (٢) .
وأود هنا أن أعلق على ما ذكره « يوهان فك » ، في كتابه العربية ، إذ يقرر أن
أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة هو النحوي ابن
خروف الأندلسي ... مات في حلب في أوائل القرن السابع الهجري ، وتبعه في ذلك
أشهر نحاة القرن السابع ابن مالك (٣) .

ومن قبل يوهان فك قال أبو الحسن الضائع في شرح الجمل : « وابن خروف
يستشهد بالحديث كثيراً (٤) ، . وقد وفقَّ صاحب الخزانة الكلام على الخلاف
في جواز الاستشهاد بالحديث على مسائل اللغة والنحو في صدر الخزانة (٥) . ،
ولم يتعرض إلى موقف أبي علي في ذلك ، ويكاد الباحثون من أهل العربية يجمعون
على أن ابن خروف له فضل السبق في الاعتداد بالأحاديث والاستشهاد بها ، ويبدو
أن يوهان فك تابعهم في ذلك على النحو الذي رأيناه ، ولست أزعم هنا أن صاحبي
أول من اعتمد على الأحاديث في الاحتجاج اللغوي ، والنحوي ، والصرفي — لست
أزعم ذلك ؛ لأن هذه قضية عريضة تستلزم استقصاء آثار النحاة الذين سبقوا
أبا علي ، وليكني أكتفي بتقرير أن أبا علي سبق ابن خروف في الاحتجاج بالحديث
والاستشهاد به في مسائل اللغة والنحو والصرف .

وأرى أن ابن خروف قد تأثر بأبي علي ؛ إذ كان نسبه العلمي موصولا به ؛ فقد
تلمذ ابن خروف على الحَدَبِ ، وكان أجل من أخذ منه (٦) . والحَدَبُ

(١) الحجّة: ١٠١/٧ ن البلدية (٢) المخصص : ٧٩/٧
(٣) العربية : يوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار : ٢٢٦
(٤) خزانة الأدب للبغدادى : ٦/١ (٥) راجع ص ٦ وما بعدها
(٦) بغية الوعاة : ٣٥٤

هذا هو ابن طاهر (١) . أبو بكر محمد بن أحمد (٢) . وكان للحدب عناية بإيضاح أبي علي ، فعلق عليه (٣) ، واهتمام الحدب بالإيضاح كاف لاتصاله بأبي علي ، وتفسير تأثره ، وتأثر تلميذه ابن خروف معه بالشيخ الفارسي ، وانتقال بعض منهجه إلى ابن خروف ومنه الاحتجاج بالحديث ، وقد أشرت إلى استشهاد أبي علي بالحديث واحتجاجه به في حديثي عن كتاب الايضاح .

وتعليل هذا الاتجاه عند أبي علي ميسور : فهو قد جمع إلى ثقافته في اللغة والنحو والصرف — التحديث ، وإذن فهو يدري حرص المحدثين على رواية الأحاديث ونحوي النقل فيها ، وضبط ألفاظها ، ثم هل كان عند أبي علي الأعجمي ثقة في رواية الحديث وهم أعاجم ؟ على أية حال فالنتيجة التي أريد الانتهاء إليها هي إثبات سبق أبي علي نحاة القرنين الخامس والسادس في الاحتجاج بالحديث ، والاستشهاد في اللغة والنحو والصرف جميعاً على الوجه الذي سلف به البيان .

(تبويب شواهد الحجية من القرآن الكريم والشعر)

وأبو علي حاضر الذهن في إيراد الشواهد محتجاً بها ، يوردها مفسوقة وكأنه ينظمها في سلك ؛ ليستقيم أمامك الدليل لؤلؤاً فريداً ، ويظهر التدليل عقداً نضيداً . وأكثر ما يستشهد أبو علي بالقرآن الكريم ، والشعر العربي القديم .

وقسمت ما يستشهد به في هذين : القرآن والشعر — إلى الجوانب الآتية :

أولاً : في القراءات : (١) محتجاً لقراءة أو (ب) مقوياً جانب قراءة من القراءات .

ثانياً : في المعنى : (١) محتجاً لمعنى كلمة أو (ب) مقوياً معنى ذكره .

ثالثاً : في الاعراب ، والتصريف ، والنحو ، واللغة :

(١) بغية الوعاة : ٤٢٩

(٢) انظر بغية الوعاة : ١٢

(٣) المصدر السابق : ٤٣٢

رابعاً : في التعبير: وذلك حين يأتي بالشاهد ؛ ليستدل به على صحة تعبير ، وعدم جواز غيره .

خامساً : في التدليل على قضية منطقية .

ولايكم الامثلة الكاشفة عن كل جانب من الجوانب السابقة بالتفصيل فيما هو خاص بشواهد القرآن الكريم ، وأشار بعد إلى هذه الجوانب — وغيرها — فيما هو خاص بالشعر لإثارة للاختصار .

أولاً - في القراءات

(١) وهو حين يستشهد بالقرآن محتجاً لقراءة يستعرض ما جاء في القرآن من الآيات المختلفة التي يستغلها في البرهنة على ما هو بسيله من الاحتجاج للقراءات فتأتي هذه الآيات نصاً فيما يريد ، ولا تحتمل سواه .

ففي الاحتجاج لإثبات الالف وإسقاطها من قوله جل وعز (لسحر مبين) قال أبو علي : يدل على قول من قال سحر قوله : « فلما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنما به كفرون » .

ويدل على ساحر قوله تعالى : « وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (١) » .

(ب) وحينما يستشهد بالقرآن مقوياً جانب قراءة من القراءات ، وفي هذه الحال لا يحتاج بالآية ابتداء ، وإنما يأتي بها مقوية لما ساقه من دليل قبل ذلك ، قال :

« وما يشهد لمن قرأ (مالك) (٢) من التنزيل قوله تعالى : « والامر يومئذ لله » ، فإن قولك « الامر له » وهو « مالك الامر » ، بمعنى : ألا ترى أن لام الجر معناها الملك والاستحقاق ؟ وكذلك قوله : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً » ، يقوى ذلك ، والتقدير : « مالك يوم الدين من الأحكام ما لا تملكه نفس لنفس » ، ففي هذا دلالة وتقوية لقراءة من قرأ مالك (٣) .

(١) الحجة : ٣٥٩/٤

(٢) في توجيه قراءة مالك يوم الدين

(٣) الحجة : ١١/١ البلدية

ثانياً - في المعنى

(١) محتجاً لمعنى ذكره : فالدين في قوله تعالى : « مالك يوم الدين » معناه الجزاء ، بدلالة قوله تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » ، « واليوم تجزون ما كنتم تعملون ^(١) » ،

والسلام في قوله تعالى : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام » ، أى سبيل دار السلام بدلالة قوله : « لهم دار السلام عند ربهم . . . » ، وإما أن يراد بالسلام جمع سلامة كأنه دار السلام التي لا يلقون في حلولها عنثاً ولا تعذيباً كما قال : « الذي أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب ^(٢) . »

(ب) أو مقوياً معنى ذكره ، وذلك كإشارته إلى أن الله خص الإنسان بالخلق في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق الذي خلق الإنسان من علق » ، تنبيهاً على تأمل ما فيه من إتقان الصنعة ووجوه الحكمة كما قال : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ،

ثالثاً - في الإعراب ، والتصريف ، والنحو ، واللفظة

(١) في الإعراب : كما ذكر في إعراب (الذي) في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » — وأنه وصف للمضاف إليه دون الأول المضاف ؛ لأنه كقوله : « هو الله الخالق البارئ ^(٣) » ،

(ب) وفي التصريف : — قولهم آمن زيد يحتمل غير وجه : يجوز أن يكون أمنتهم فآمن بجاء المطاوع على (أفعل) كقولك كبنته فأكب ، وفي التنزيل « فسكبت وجوههم في النار » ، وفيه « أفن يمشى مكباً على وجهه . . . ^(٤) » ،

(ج) وفي النحو : وأما الفعل من الهدى فيتعدى إلى مفعولين : يتعدى إلى الثاني منهما بأحد حرفي الجر : « إلى أو اللام » . فمن تعديه بإلى قوله : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ، ومنه قوله : « واهدنا إلى سواء الصراط » ، ومن تعديه باللام قوله : « الحمد لله الذي هدانا لهذا » ، وقوله : « قل الله يهدي للحق ^(٥) » ،

(١) الحجة : ٢٧/١ (٢) الحجة : ١٧٢/١ - ١٧٣ ن مراد ملا

(٣) الحجة : ٨/١ ن مراد ملا (٤) الحجة : ٢٠٧/١

(٥) الحجة : ١٧١/١ ن مراد ملا

(د) وفي اللغة: قال: «وأما الخطيئة فتقع على الصغير، وعلى الكبير. فمن وقوعه على الصغير قوله: «والذي أطمع أن يفتقر لي خطيئتي يوم الدين» ومن وقوعه على الكبير قوله: «وأحاطت به خطيئته»^(١)، ويقال استوقد وأوقد، قال تعالى: «كمثل الذي استوقد ناراً»، «وكلنا أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله»^(٢)،

رابعاً - في التعبير

وهو جانب يتصل بالصنعة النحوية؛ ليجرى التعبير على سنن صحيح من العربية قال: «فإن قلت: أيجوز أن توقع الجملة التي من الابتداء والخبر موقع التي من الفعل والفاعل في نحو: «سواء على أقت أم قعدت»، فنقول: سواء على أدرهم مالك أم دينار، وما أبالي أقاتم أنت أم قاعد؟»، فالقول في ذلك: أن أبا الحسن يزعم أن ذلك لا يحسن، قال: وكذلك لو قلت: «ما أبالي أقوم أم تقعد لم يحسن؛ لأنه ليس معه الحرف الذي يجزم (الذي يحوله إلى الماضي) وهم يصححون ما وقع ماضياً، ومما يدل على ما قال أن ما جاء في التنزيل من هذا النحو جاء مع المثال الماضي كقوله تعالى: «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا»، «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم»، «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم»^(٣)،

خامساً - في التبريل النظري المنطقي

قال: «مثل الانذار في أنه ضرب من العلم — قولهم «اليقين»، فكل يقين علم، وليس كل علم يقيناً، وذلك أن اليقين كأنه علم يحصل بعد استدلال ونظر؛ لغموض العلم المنظور فيه، أو لإشكال ذلك على الناظر يقوى ذلك قوله (عز وجل): «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»

(٢) ٣٢٣/١

(١) الحجة: ٣٩٤/١

(٣) الحجة: ٢٥٢/١ وما بعدها

ثم ذكر بعد ما كان من نظره واستدلالة ، ولذلك لم يجوز أن يوصف القديم سبحانه به (١) .

أما شواهد الشعر في كتاب الحجة فهي غزيرة متنوعة ، وكان من الطبيعي أن يستكثر أبو علي من الشواهد الشعرية في ذلك الكتاب الضخم الذي عقده للاحتجاج ، والشعر ركن مهم من أركان هذا الاحتجاج ، وقد أورد أبو علي في الحجة من الأشعار ما لو جمع لكان كتاباً ضخماً قائماً بذاته .

كما دفع الاستطراد أبا علي إلى تنويع المقاصد التي يورد من أجلها شواهد الشعرية ، فهو يورد الشاهد :

(١) محتجاً لقراءة : كاحتجاجة على حذف حرف اللين بعد الميم ، واختياره على وصلها بحرف اللين في (عليهم) بقول الشاعر :

لا يبعد الله أصحاباً تركتهم لم أدر بعد غداة الأمس ما صنع
وقول الشاعر :

لو ساوفتنا بسوف من تحيتها سوف العيوف لراح الركب قد قنع
وقول عنتره :

يا دار عبلة بالجواء تكلم

فكما حذفوهما في هذه المواضع ، كذلك حذفوهما في عليهم ونحوه (٢) .

(ب) أو يورد الشاهد الشعري موجهاً معنى ذكره ، وإعراباً ارتضاه (٣)

(ج) أو متحدثاً في تصريف كلمة (٤) ، أو مسألة نحوية (٥) .

(د) أو مدلاً على صحة تعبير ، وعدم جواز غيره (٦) .

(هـ) أو مبرهنناً على أمر نظري (٧) .

(و) أو يورد الشاهد الشعري متصلاً بالحديث عن أمر في العقيدة (٨) .

(١) الحجة : ٢٣٩/١

(٢) الحجة : ٥٠/١ ن مراد ملا (٣) انظر الحجة : ١٥٦/١ ن البلدية

(٤) انظر الحجة : ٧٢/١ ن البلدية (٥) المصدر السابق : ٢٠٥/١

(٦) نفس المصدر : ٢٥٢/١ (٧) انظر : ٢٤٠/١

(٨) انظر مثلاً الحجة : ٢٤٣/١

(ز) وكثيراً ما يناظر شواهد سيويه بشواهد أخرى يأتي بها من عنده تعزز شواهد الكتاب^(١).

(ح) أو يستشهد على صحة كلام سيويه ، فإن قال سيويه — مثلاً : « يقال دريت الشيء ودريت به ، وتعديه بحرف الجر أكثر في كلامهم يقول أبو علي محتجاً لذلك ، ومدللاً عليه بما أنشد أبو زيد :

وأصبحت من أسماء قيس كقابض على الماء ، لا يدرى بما هو قابض^(٢) وقد يكون (ر ، ح) مما يختلف فيه استشاده بالقرآن الكريم ، على أن هناك أمراً آخر بعد هذين ، ذلك التحدث في أمر عروضي ، فهو كثير أما يستشهد بالشعر له ، كاستشاده على جعلهم الماء المتحركة بمنزلة الألف الساكنة ، فقول الأعشى :

« رحلت سمية غدوة أجمالها ،

اللام فيه حرف الروى ، والهاء وصل^(٣) ، وكحديته في تخفيف ياء النسب في الشعر .^(٤) وهكذا استطاع أبو علي بتنويع المقاصد التي يستشهد لها بالشعر — أن يصدق قول ابن نباتة : « من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحجج لا تؤخذ إلا منه ، أعنى أن العلماء ، والحكام ، والفقهاء ، والنحويين ، واللغويين ، يقولون قال الشاعر ، وهذا كثير في الشعر ، والشعر قد أتى به ، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة^(٥) .

* * *

وهو حيناً ينسب الشواهد إلى قائلها من الشعراء ، أو يسندها إلى منشئها من العلماء ، وحيناً يتركها غفلاً من ذلك .

نسب لامرى القيس^(٦) ، والنابغة^(٧) ، وزهير^(٨) ، وعدى بن زيد^(٩) ، ولييد^(١٠) ،

(١) انظر الحجة ن البلدية : ١٥٨/١ والكتاب : ٣٥٧/١

(٢) الحجة : ٢٤٢/١

(٣) الحجة : ٤٦/١ ن مراد ملا (٤) الحجة : ٥٤/١

(٥) الإمتاع والمؤانسة : ١٣٦/٢ (٦) الحجة : ١٨٥/٧ ن البلدية

(٧) ١١٦/٤ ، ٢٩/٧ (٨) ١١٦/٧

(٩) الحجة : ٣١٤/١ ، ١٢٢ ، ٢٨ مراد ملا (١٠) ٨٠/٤

وعنترة^(١)، والأعشى^(٢)، وأميمة^(٣) — من الجاهليين كما أنشد لأبي طالب عم النبي^(٤).

ومن الأمويين نسب إلى الفرزدق^(٥)، وجريير^(٦)، والعجاج^(٧)، ورؤية^(٨)، والاحظل^(٩)، والراعي^(١٠)، والكهيت^(١١).

وهو حين يغفل نسبة الشواهد إلى قائلها يبدو أنه على علم بهم، بدليل أن هناك عدداً من هذه الشواهد معروف قائلوها لمن له صلة ما بالثقافة العربية فكيف بأبي علي؟ من ذلك قوله: وما جاء بغير الجار — يريد الفعل يذكر — قولها:

يذكرني طلوع الشمس صحرا
وأذكره لكل غروب شمس ا

والمعروف أن ذلك للخنساء، وهو ظاهر في غنى عن الإشارة، ولكنه أغفل ذكرها، وإن كان قد أوماً إليها. بتأنيك الضمير في قولها.

واستشاده بقول الشاعر:

«وعيد أبي قابوس في غير كنه»، فلك أبي قابوس أضحي وقد نجز^(١٢)

فذلك للنايعة وهو معروف.

وأبو علي إن شك في نسبة الشاهد أعلن ذلك، حيث يقول مثلاً: ألا ترى الكهيت أو غيره قال^(١٣) أو يقول: وقال ساعدة أو غيره^(١٤).

وقد لحظت أنه يستشهد كثيراً بشعر الأعشى^(١٥) ولعل ذلك لأنه حفظ له أكثر

من غيره. كما لحظت أنه يكثر من الاستشهاد بجز العجاج^(١٦)، ورؤية^(١٧)، وهما الرجزان المشهوران، واللذان ورد ذكرهما كثيراً في نواذر اللغة التي اعتمد عليها أبو علي.

(١) نفس المصدر: ١٧٤/١، ٢٣٢، (٢) الحجة: ٣٥٧/٧ ن البلدية

(٣) الحجة: ٤٢٦/١ ن مراد ملا (٤) الحجة: ٦/٤ ن البلدية

(٥) الحجة: ٢٥٧/٧ (٦) الحجة: ٣٢٨/٤، ١٩٦/٦، ١٣٩/٧ ن البلدية

(٧) ٣٣٧/٤ (٨) ١٨٢/٦، ١١٥/٧، ٢٠٥

(٩) ٣٦/٤ ن البلدية (١٠) الحجة: ٢٠٠/١، ٢١٢ ن مراد ملا

(١١) نفس المصدر: ٢٢٠/١

(١٢) الحجة: ٥١/٦ ن البلدية (١٣) الحجة: ٢٢٠/١ ن مراد ملا

(١٤) المصدر السابق: ٤١٤/١

(١٥) انظر مثلاً من الجزء الأول: ٤٦، ٩٤، ١٤٦، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٦، ٣٩٤

ومن الجزء الرابع: ١٩، ٤٣، ١١٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٦٦، ٢٠٠، ٢٤١، ٣٢٣، ٣٢٤

(١٦) انظر مثلاً الجزء الأول: ١٧٨، ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٦٢، ٤١٤، ٤٧٤

(١٧) انظر مثلاً ١٨٢/٦، ١١٥/٧، ٢٠٥

ورأيته كذلك يذكر الروايات المختلفة في البيت ^(١) وربما ذكر أقوال المحدثين من الشعراء ^(٢) .

* * *

وأبو علي ينصب في إيراد الشواهد حتى لينسيه ذلك جلال المقام الذي يتحدث فيه ، والمهم الذي نصب نفسه له ، وعقد كتابه عليه ، فيذكر - مثلاً - الأبيات المكشوفة للناطقة في وصف المتجردة ^(٣) ! .

* * *

هذا مجمل الحديث عن شواهد أبي علي ، أما الرواة الذين يسند إليهم والأشياخ من العلماء المنشدين فهو غالباً ما يسميهم :

أنشد لآبي الأسود ^(٤) ، والخليل ^(٥) ، وأبي شمر ^(٦) ، وأبي عثمان ^(٧) ، ومحمد ابن السرى ^(٨) ، وأبي الحسن ^(٩) ، وعلي بن سليمان ^(١٠) ، وأبي عبيدة ^(١١) ، والطوسي عن ابن الاعرابي ^(١٢) ، والسكرى ^(١٣) ، والأصمعي ^(١٤) .

وقد لحظت أن أكثر من ينشد لهم رجلا ن :

أما أحدهما فابو زيد ^(١٥) ، وأما الآخر فأحمد بن يحيى ^(١٦) .

وأبو حيان في الإمتاع يكشف لنا عن سبب استشهاده أبي علي بأبي زيد بهذه الكثرة الغالبة ، وذلك حيث يقول عنه : إنه لم يتجاوز في اللغة كتب أبي زيد ^(١٧) .

(١) انظر مثلاً الحجة : ٥٠/١ مراد ملا

(٢) انظر مثلاً : ١٨٢/١ (٣) الحجة : ٣١٤/١

(٤) ١١/٤ ن البلدية (٥) ٤٤/١ ن مراد ملا

(٦) ١١٧/٦ ن البلدية (٧) ٣١٢ ، ٢٨١/٤

(٨) ٥٤/٦ ، ٣٥٣/٤ (٩) ٩٣/٨ ، ٢٥٧/٤

(١٠) ١١٠/١ (١١) ١٦٠/٦ ، ٤٥/٤

(١٢) ٢١٦/١ (١٣) ٣١٢/١

(١٤) ١٩٢/٧

(١٥) انظر مثلاً : ١٧٨/٧ ، ٩٤ ، ٦١/٦ ، ٢٥٧ ، ٢١٠ ، ١٦١ ، ١٢٣/٤ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ٤٢/١

(١٦) انظر الحجة مثلاً : ١٧٦ ، ٥٢ ، ٤٤/١ و ١٠/٤ ، ٥١ ، ١٩٠/٧

(١٧) الامتاع : ١٣١/١

وأما تعليل كثرة استشهاد أبي علي بأحمد بن يحيى فيسور ، وذلك أن أحمد بن يحيى
ثعلباً كان راوية أولاً ثم كان خصماً لمحمد بن يزيد المبرد^(١) ثانياً والمبرد خصم سيوبه
ونقض عليه ، وأبو علي يقدر الشيخ ثعلباً ، ويأنس إلى الاستشهاد بما أنشد ، مع أنه
لم يكن يعلم مذهب البصريين ، ولا مستخرجاً للقياس ، ولا مطالباً^(٢) له ، وربما كان
جهل ثعلب بمذاهب البصريين سبباً في ما اقشعته أبي علي له في بعض الأحيان^(٣) .

* * *

المسائل البلاغية في الحججة

يلم أبو علي بطائفة من المسائل البلاغية في الحججة^(٤) فهو يتحدث عن الالتفات ،
ولام الصيرورة ، والتفصيل بعد الاجمال : الاطناب بعد الإيجاز ، وخروج
كل من الأمر والاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي آخر ، كما يتحدث
عن ذكر الخاص بعد العام ، كما يشير إلى أن تقديم الجار والمجرور من طرق
التنخيص : القصر .

وهذه أمثلة كاشفة لهذه المسائل التي ألم بها :

(١) الالتفات : — قال : وأما قول الشاعر :

وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً
فإنه بنشد ترى وترأفن أنشده ترى بالياء كان مثل : إياك نعبد بعد الحمد لله ،
وقد يكون هذا قول الأعشى : « حتى تلاقى محمداً بعد قوله : فأليت لا أرتى لها^(٥) .

(ب) لام الصيرورة : — قال : وأما قوله : فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم فإن قوله فلا يؤمنوا ولم يعطوا الأموال ليضلوا ويكفروا ، ولكن لما اختاروا
ذلك ، فصار إليه عاقبة أمرهم كان بمنزلة قوله : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

(١) طبقات الزبيدي : ١٦٠ .

(٢) طبقات الزبيدي : ١٥٥ ، ١٥٦ (٣) انظر مثلاً الحججة : ١/٣٤٠ ن مراد ملا

(٤) سأشير إلى أنه يلم ببعض هذه المسائل في كتبه الأخرى

(٥) الحججة : ٢/٦٠ ن مراد . لا وانظر ١١٩/٦ ن البلدية

عدوا وحرزاً ، لما أدى التقاطهم إياه إلى ذلك ، وإن كان الالتقاط لغيره (١) .

(ح) التفصيل والاجمال (الاطناب والايجاز) : — أورد أبو علي قول المتأولين في قوله تعالى : « والذين يؤمنون بالغيب ، وقواه ثم قال : ويجوز لها وجه آخر ، وهو أن هذه الآية كأنها إجمال ما فصل في قوله : « والمؤمنون كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والموصوفون فيها خلاف من وصف في قوله : « ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ، فكفرهم بالملائكة دعاؤهم إياهم بنات كما ونحوها في قوله : « أم اتخذ مما يخلق بنات ، وقوله : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، . وكفرهم بالكتب إنكارهم لها في قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، وكفرهم بإرسال الرسل إنكارهم لإرسالهم بنحو قوله تعالى : « واتن أطعمت بشرأ مثلكم ، : « أهذا الذى بعث الله رسولا . وكفرهم بالآخرة : قولهم : لا تأتينا الساعة . قل : بلى وربى (٢) . فكل هذه الأمور غيب قد أنكروه ودفعوه ، فلم يؤمنوا به ، ولم يستدلوا على صحته ، فقال تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ، أى بهذه الأشياء التى كفر بها هؤلاء الذين ذكر كفرهم بها عنهم .

(د) ذكر الخاص بعد العام : — وخصهم بالإيمان بالآخرة في قوله : وبالآخرة هم يوقنون ، وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها ، ولما كان من كفر المشركين وجددم إياها في نحو ما حكى عنهم في قوله : « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، فكان تخصيصهم بذلك مدح لهم (٣) . ونظير ذلك فى أنه خص بعد ما عم قوله : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، فعم بقوله خلق جميع مخلوقاته ثم خص فقال : خلق الإنسان من علق . فالذى وصف للضاف إليه دون الاول المضاف ، لأنه كقوله هو الله الخالق البارئ ، ثم خص ذكر الانسان تنبيهاً على تأمل ما فيه من اتقان الصنعة ، ووجوه الحكمة كما قال : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون (٤) .

(١) الحجية : ١٥٤/١

(٢) المصدر السابق : ١٥٦/١ وما بعدها

(٣) المصدر السابق (٤) انظر الحجية ٨/١ مهاده ملا

(هـ) تقديم الجار والمجرور من طرق التخصيص (القصر) : — ويقرب من هذا قوله الرحمن الرحيم حيث أريد تخصيص المسلمين بالكرامة في قوله : « وكان بالمؤمنين رحيماً »^(١) . وقد شرح ذلك في موضع آخر : إذ يقول في قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن أبلغ من الرحيم بدلالة أنه لا يوصف به إلا الله سبحانه ، وذكر الرحيم بعده لتخصيص المسلمين به في قوله : « وكان بالمؤمنين رحيماً » .

(و) خروج كل من الامر والاستفهام عن معناها الحقيقي إلى معنى بلاغى آخر : — قال : المراد بالامر في اهدنا سؤال واستنجاز^(٢) .

وقال في قوله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه الخبر^(٣) .

وجعل الاستفهام في قوله : « أم اتخذ ما يخلق بنات » ، لتوبيخ^(٤) . ، وفي قوله تعالى : « أهذا الذى بعث الله رسولا ، للانكار^(٥) .

وأحياناً تكون له خطوات ذهنية في تقويم الكلمة ومدى ما يكون لها من إشعاع وذلك قوله — مثلاً — وكان قول الله (عز وجل) في الكفار : « ولكن لا يشعرون » ، أبلغ في الذم للبعث عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ، لأن الهيمة قد تشعر من حيث كانت تحس ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم وعلى هذا قوله سبحانه : « ولا تقولوا لمن قتل في سبيل الله أموات بل أحياء ، ولكن لا تشعرون » ، فقال : « ولكن لا تشعرون ولم يقل ولكن لا تعلمون ، لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله (عز وجل) بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفي الله (عز وجل) العلم عنهم بحياتهم ، إذ كانوا قد علموا ذلك بأخباره إياهم وتيقنوه ، ولكن يجوز أن يقال . ولكن لا تشعرون ، لأنهم ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنه ليس كل ما علموه يحسونه بحواسهم ، فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياتهم ،

(١) الحجة : ١٥٦/١ وما بعدها (٢) ٧٢/١ ن البلدية

(٣) الحجة : ٢٤٦/١ ن البلدية

(٤) انظر الحجة : ١٥٨/١ وما بعدها (٥) الحجة : ١٥٦/١ وما بعدها ن البلدية

وأن كانوا علموه بأخبار الله إياهم وجب أن يقال لا تشعرون ، ولم يجوز أن يقال ولكن لا تعلمون على هذا الحد^(١) .

هذا وقد ألم أبو على ببعض مسائل التشبيه^(٢) ، والاستعارة^(٣) . فإذا أردت التعليل للمسام أبي على بهذه المسائل البلاغية — وقد يكون بعضها من أولياته التي لم يسبق إليها — فيما أعلم — أقول إذا أردت تعليل ذلك كان الأمر ميسوراً ، فهو يرجع فيما أرى — إلى ثقافة أبي على ، وحفظه الواعي للقرآن الكريم ، والشواهد العربية ، وسرعة استحضاره الأشباه والنظائر ، والأضداد والضرائر . أقول هذا لأطبق عليه ما أورده في الالتفات ولام الصيرورة ، والتفصيل في موضع الإجمال في آخره فهذه أمور أتصل الكلام فيها — أكثرها أتصل — بالشواهد المتناظرة والمتضادة ، وأود أن نرجع إليها لنرى التناظر في الالتفات ، ولام الصيرورة ، والمضادة في التفصيل والإجمال (الإطناب والإيجاز) .

وكذلك حديثه عن العام والخاص يرجع فيما يبدو إلى ذلك السبب ، مضافاً إليه نزعة المنطقية ، واتجاهه العقلي فيما يتناوله من مسائل : فالخاص والعام اصطلاحان منطقيان ، وقد يمت حديثه في تقويم التعبير بقوله « لا يشعرون ، بدلا » لا يعلمون ، إلى ذلك الفقه اللغوي لمعنى اللفظين ، وإلى ذلك النزوع العقلي المنطقي وهنا أعود إلى قوله : « ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أن ليس كل ما علموه يحسونه ، فهاتان قضيتان حليتان ، كل منهما سالبة جزئية^(٤) .

ذلك — فيما أرى بعض ما هيا له أن يتناول هذه المسائل البلاغية بما تناول على النحو الذي مر بنا من قريب^(٥) .

وليس من شك في أن الجرجاني تأثر بأبي على تأثراً ما ، ألم يكن ابن أخت الفارسي أستاذاً للجرجاني ؟ ألم يتوفر الجرجاني على شرح الإيضاح للفارسي ؟

(١) الحجة : ١٨٠/١ ن مراد ملا (٢) انظر ص ٢٠٤ مراد ملا

(٣) لوحة ٢٣٠ مراد ملا

(٤) انظر الاشارات والتنبيهات لابن سينا ١٦١ ، ١٦٢

(٥) افتر ذلك معترفاً بالتقدم في هذا الباب ، وإن كانت النظرة الحديثة لا تفر مزج المسائل البلاغية بالنزعات المنطقية .

لم يستشهد الجرجاني بأبي على الفارسي في غير دفعة من كتابه دلائل الإعجاز^(١) .
على أني استنتج صلة بين شخصية عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز في المعاني
وكتاب الشيخ أبي على الفارسي ، المسائل المصلحة فيما أغفله الزجاج من المعاني ،
فبعد القاهر يهتف بفضل النحو ، ويدفع عنه ، ويبين مكانه في المعاني^(٢) . وأبو على
يتعقب الزجاج في المسائل المصلحة — وأكثر هذه المسائل يدور حول مسائل
نحوية كان لها الأثر في المعاني^(٣) .

المنطق وظهوره في الحجة

يفسر أبو على لفظ المنطق بالفكر^(٤) ، وهو بهذا يتصل بتعريف المناطقه للإنسان
بأنه حيوان ناطق ، وكان المنطق في كتاب الحجة أكثر ظهوراً منه في أى كتاب
آخر من كتب أبي على — التي أطلعت عليها — ، وذلك أن الغرض من الحجة
التدليل والتعليل ، ثم كان لا بد له أن يقيس أوجه القراءات المختلفة ، ويخرجها
على ما يشبهها من الأصول المقررة ، أو المسموع من كلام العرب .

ومكن لأبي على في المنطق أنه حنفي ، ثم هو معتزلي ، والمعتزلي جدل^(٥) ، ولعله
اقتنى أثر شيخه أبي بكر بن السراج الذي درس المنطق^(٦) ، إلى أن البيهة العامة
كانت بيته جدلية فلسفية يستعان فيها بالمنطق ومسائله على مقارعة الحجة ، وقد قرر
ابن قتيبة من قبل أبي على أن « أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم
الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء ، وحدّ المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله
بالطعن ، وهو لا يعرف معناه^(٧) .

ولئن كان الطاعنون يتخذون المنطق وسيلة لأغراضهم إن أبا على اتخذها وسيلة

(١) انظر مثلاً دلائل الإعجاز : ٣٥٣ ، ٣٨٥

(٢) انظر مثلاً دلائل الإعجاز ص ٢٣٠٦

(٣) انظر بحث كتاب الاعتقال في موضعه من هذه الرسالة

(٤) الخصاص : ١١٤/٢ (٥) انظر بتيمة الدهر : ١٠٦/٣

(٦) الفهرست : ٩٢ (٧) مقدمة أدب الكاتب : ٣

لرد كيدهم في نحوهم ، فكان ذلك سببا من أسباب شيوع المنطق في كتاب
الحجة بخاصة .

ولفظ الحجة (اسم الكتاب) موح بالمنطق ، فالشيء الموصل إلى التصديق
المطلوب يسمى حجة^(١)، ويفسر هذا الجرجاني إذ يعرف الحجة د بأنها ما دل به على
صحة الدعوى ،^(٢) .

وتكثر الالفاظ المنطقية في الحجة: كالأستدلال، والنظر^(٣)، والأدلة والدلالة^(٤)،
والوجه ، والحد ، والحجة ، والقسمة ، والغلط^(٥) ، والقياس ، والعلة ، والشياخ ،
ومعنى الجنس ، وخلاف الخصوص وأشبه الوجوه^(٦) كما يتجلى
المنطق كذلك في هذه الاعتراضات التي يوردها ثم يدفعها أدلة يقين عليها مارآه^(٧)
تتجلى المنطقية — أيضاً — في القسمة العقلية ، فتراه يورد الأوجه المحتملة ، ثم يصححها
جميعاً^(٨) ، أو يبطلها إلا واحدة تتعلق بها الحكم فيصححها^(٩) . وأول ما عني به أبو علي
من مسائل المنطق د القياس ، وهو ما سأتناوله بالبيان فيما يأتي :

أبو علي والقياس

القياس لغة تقدير شيء على مثال شيء آخر ، وتسميته به^(١٠) ، وعند المناطق أن
يحاول الحكم على شيء بحكم موجود في شبيهه ، والقياس قديم عند النحاة لأولين^(١١) ،
فهم يقولون عن عبد الله بن أبي اسحق أنه أول من بعج النحو ، ومد القياس^(١٢)

(١) الاشارات والتنبيهات للرئيس ابن سينا القسم الأول : ٢٦

(٢) التعريفات للجرجاني : ٧٢ (٣) الحجة : ١٧٤/١ مراد بلا .

(٤) الحجة : ١٩٠/١ مراد ملا (٥) الحجة : ١١٠/١ البلدية

(٦) الحجة : ٣٧/١ بلدية (٧) انظر الحجة : ٢٥/١ وما بعدها البلدية

(٨) انظر الحجة : ٢٣١/١ البلدية

(٩) انظر مثلا الحجة : ١٦٠/١ ن مراد ملا

(١٠) ارشاد الفحول للشوكاني : ١٨٤

(١١) الاشارات والتنبيهات لابن سينا القسم الأول : ٢٠٧

(١٢) طبقات الزبيدي : ٢٥

والعلل^(١)، وكذلك كان كل من عيسى بن عمر بن العلاء^(٢) وجاء الخليل ومكنته ثقافته وبيئته أن يكون الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه^(٣)، واستنبط من ذلك ما لم يستنبطه أحد^(٤)، وكان لأبي زيد فضل معرفته بمقاييس النحو^(٥)، وكذلك كان ليونس بن حبيب مذاهب وأقيسة تفرد بها^(٦).

أما إمام النحاة فكثيرا ما يشبه — في الكتاب — مثالا بمثال، ويجرى على أحدهما ما يجريه على الآخر، لاشتراكهما في العلة^(٧) وأقرأ نصه الآتي، والحظ مقايسته بين رأى العلية، وأن وأخواتها لاشتراك كل في الدلالة على معنى، قال: «وإذا أردت رؤية العين لم يجز رأيتي، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت، وإذا أردت التي بمنزلة علمت صارت بمنزلة أن وأخواتها، لأنهن لسن بأفعال، وإنما يجتن لمعنى، كذلك هذه الأفعال إنما جئن لعلم أو شك، ولم يرد فعلا سلف منه إلى إنسان ببئته^(٨)».

ويطول بي الحديث إن ذهبت أستقصى ما أورد سيبويه في الكتاب من أمثلة القياس، وحسبي ما ذكرت.

واستمر ظهور القياس عند النحاة — بعد سيبويه .. دليلا على براعتهم في النحو، ورسوخ قدمهم فيه، فسعيد بن مسعدة يغلب عليه النحو ومقاييسه^(٩)، وكان يحيى ابن المبارك اليزيدي مبرز أفي النحو، والعلل، ومقاييسها^(١٠)، وكذلك كان كل من المبرد ونفطويه^(١١).

-
- (١) تهذيب اللغة للأزهري مصور بالجميع اللغوي رقم ٦٢٦ لغة
(٢) انظر طبقات اليزيدي : ٣٦ في تأويل كل من الرجلين نصب (الطير) في قوله :
إلى « يا حبال أوبي معه والطير »
(٣) نزعة الأنباء : ٢٩
(٤) انظر أمثلة من أقيسة الخليل في الكتاب لسبويه مثلا : ٢٧٥/١ ، ١١/٢
(٥) تهذيب اللغة : ٥ (٦) نزعة الأنباء : ٣٢
(٧) انظر مثلا : (١/٢١٣، ٤٣٠) . (٨) الكتاب : ٢٨٦/١
(٩) تهذيب اللغة : ٥ (١٠) للصدر السابق .
(١١) نفس المصدر : ١٣

وكذلك كان الكوفيون قائلين : فالكسائي هو الذى قال : وإنما النحو قياس يتبع ، ^(١) وكثيراً ما يردد القراء فى معانى القرآن عبارة : فأجر الكلام على هذا ، أو ابن الكلام على هذا ^(٢) ونحو ذلك . وإن كان هناك من فرق بين البصريين والكوفيين فهو فى أن البصريين كانوا يقيسون على الكثير الشائع ، أما الكوفيون فلا يرون بأساً من القياس على الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة ويجعلونه أصلاً ^(٣) .

* * *

هذه نبذة عابرة فى تاريخ القياس ، ومكان كل من النحاة الأقدمين السابقين لابن على الفارسي فيه ، قدمت هذه الكلمة بين يدي الحديث عن القياس عند أبى على حتى تبدو السلسلة متصلة الحلقات ، وحتى أتبين طابع صاحبي فى تناول القياس ، وطابع النحاة السابقين .

ويبدو من القياس عند السابقين وبخاصة الشيخان : الخليل وسيبويه — أنه قياس فطرى لا أثر فيه للتعق ، هو مجرد مشابهة شىء بشىء ، أو اعتبار هذا بذلك ، من غير مزج لذلك بالقضايا المنطقية ، أو وصله بالمسائل العقلية البحتة ، ومن هنا قام قياس الأقدمين على الحس اللغوى ، وطبيعة الأساليب العربية ، وغلبت فيه الروح الفطرية على الصناعة الفلسفية أو المنطقية .

فإذا كان من أمر أبى على فى القياس ؟!

أبو على يعبر عن القياس بالتوفيق ^(٤) ، أو موافقة الأشباه ^(٥) ، ويسميه الأصل المستمر ^(٦) ، وهو عنده نوع من التشبيه ^(٧) ، وقد خطأ أبو على بالقياس — فى كتابه الحججة — خطوات واسعات أبعدته عن سنن الأقدمين ، فهو :

أولاً : نوع القياس ، وتوسع فيه .

(١) بغية الوعاة : ٣٢٧

(٢) معاني القرآن : ١٥ ، ١٨ ، ١٣ (٣) بغية الوعاة : ٣٣٦ .

(٤) الحجج : ٦٢ من البلدية . (٥) الحجج : ١/٢٧٤ .

(٦) الاغفال : ١١ رقم ٨٧٤ تفسير (٧) البصريات لوحة ٧٧

ثانياً : تعمق فيه حتى أصبح عقلياً يتمشى مع الصناعة المنطقية .

ثالثاً : حكم القياس فيما هو ثابت بالنقل والآثر .

تلكم مظاهر ثلاثة للقياس عند أبي علي ، فرقت بينه وبين الأقدمين ، وطورت ظاهرة القياس على يديه — في تاريخ النحو والنحويين ، وسأتناول كل ظاهرة بما يكشف عنها بأمثلة يقاس عليها ، وينقاد على وتيرتها .

أما التنوع في القياس عند أبي علي فأراه في ضربين .

(١) قياس الشبه . (٢) وقياس العلة .

وتحت كل ضرب من هذين أقسام وفروع .

(١) ففي قياس الشبه يقيس أبو علي بعض الكلم على بعض إذا انعقد بينهما شبه ، وقد رأيت أقسامه وفروعه عند أبي علي فيما يأتي :

(١) القياس الصوتي . (ب) القياس اللغوي . (ح) القياس العروضي .

(د) القياس المعنوي . (هـ) القياس الاعرابي . (و) القياس الصرفي .

(ر) القياس الشرعي . (ح) القياس التعليمي . (ط) قياس الحذف .

وأضرب لكل من هذه الأنواع مثلاً يختصر ما أريد بيانه في إجمال :

(١) فمثال القياس الصوتي قوله : حجة من قرأ بالصاد (الصراط) أن القراءة

بالسين مضارعة لما أجمعوا على رفضه من كلامهم ، ألا ترى أنهم تركوا امالة وافد ونحوه كراهة أن يصعدوا بالمستعلي بعد التسفل بالامالة ، فكذلك يكره على هذا أن يتسفل ثم يتصعد بالطاء في سراط^(١)

(ب) ومثال القياس اللغوي : قوله : « قالوا سي » ، بمعنى سواء ، كما قالوا التي

بمعنى قواء^(٢) وقالوا سيان فتنوا كما قالوا مثلان^(٣) .

(ح) ومثال القياس العروضي : قال : « جعلوا الهاء المتحركة بمنزلة الالف

الساکنة ، ألا ترى أن قول الاعشى :

« رحلت سمية غدوة أجمالها ،

(١) الحجة : ٢٩/١ بلدية .

(٢) التي : بالكسر قفر الأرض كالقواء بالكسر والد .

(٣) الحجة : ٢٣٠/١ .

اللام فيه حرف الروى والهاء وصل ، فجعلت الهاء مع تحركها بمنزلة الواو والياء والهاء السواكن فى نحو :

عاذل والعتابا - ونحو حبيب ومنزلى - وإن لام لائمو ، والهاء فى نحو : وبكى النساء على حمزه (١) ..

(د) ومثال القياس المعنوى قوله : « وعلى أبصارهم غشاوة » فى المعنى مثل « صم بكم عمى » وكذلك قوله تعالى : « صم وبكم فى الطلبات » ؛ لأن وصف البصير بالكون فى الطلبات بمنزلة الوصف بالعمى ، وكذلك وصفه بكون الغشاوة عليه ؛ لأنه فى هذه الاحوال كلها لا يصح به أبصار (٢) .

وانظر إلى قياسه المعنوى فى قوله : « وقول موسى (عليه السلام) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فى جواب ألتخذنا هزوا ، يدل على أن الهازىء من الجاهلين (٣) .

(هـ) القياس الاعرابى : قال : « وقد دخلت لازادة فى مواضع كثيرة فى التنزيل وغيره .. قال تعالى : « ما منعك أن لا تسجد (كذا) وفى الأخرى ما منعك أن تسجد (٤) .

وربما اقتنى أبو على أثر أبى الحسن الأخفش فى شىء من ذلك ، فقد أجاز فى قوله : « وجزاء سيئة سيئة بمثلها ، أن تكون الباء داخله على خبر المبتدأ ؛ لأنه قد جاء وجزاء سيئة سيئة مثلها (٥) ، وليس بغريب أن يكون من أبى على احتذاء للأخفش فى القياس : فقد ألف الأخفش فيما ألف « المقائيس فى النحو » (٦) .

(و) القياس الصرفى : قال : الغشاوة من الغشيان كالجباوة ، من جبيت فى أن الواو كأنها بدل من الياء ، وإن لم يصرف منه فعل (٧) كما لم يصرف من الجباوة . وإن شئت قلت : إن غشى يغشى مثل رضى يرضى ، ولام الكلمة الواو ؛ بدلالة غشاوة وغشوة

(١) الحجة : ٦١/١ ربما بعدها من البلدية (٢) الحجة (٢) الحجة (١) ٢٨٠/١ بلديه

(٣) الحجة : ١٥٠/١ بلديه . (٤) الحجة : ١٤٠/١ بلديه .

(٥) الحجة : ١٨٣ بلديه . (٦) الفهرست : ٧٨ وبنية الوعاة ٢٥٨ .

(٧) قال قبل ذلك : وأما الغشاوة فلم أسمع منه فعلا مصرفا بالواو .

ويكون الغشيان كعليان ودينيا ونحو ذلك (١).

(ر) لقياس الشرعي : قال : المؤمن والمسلم من أسماء المدح في الشرع ، وسوت الشريعة بين التسمية بالمؤمن والمسلم كقوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » (٢) .

(ح) وأما القياس التعليمي فقد رأيت أنه يلم به في كتابه الايضاح ، ولعل ذلك مرده إلى النزعة إلى صدره في تأليفه ذلك الكتاب على النحو الذي بينت في مكان آخر ، ومن أمثلة ذلك القياس قوله : ما كان من الأماكن مخصوصاً فإن الفعل الذي لا يتعدى لا يتعدى إليه : لا تقول : قمت بغداد ، ولا قعدت السوق ، ولا قمت المسجد ، لأن هذه الأماكن مخصوصة ، كريد ، وعمرو ، وينفصل بعضها من بعض بصور وحقاق ، فهي في ذلك كالإناس ، ولحومهم من الجثث المخصوصة ، فكما لا يتعدى الفعل الذي لا يتعدى إلى الإنسان كذلك لا يتعدى إلى ما كان من الأماكن بمعناها في الاختصاص (٣) .

(ط) ومن أمثلة قياس الحذف : قوله : ليت شعري أصلها : « ليت شعرت كما قالوا : « ذهب بعدرها ، أصلها ذهب بعدرتها (٤) .

وأنتقل بعد ذلك إلى بيان الضرب الثاني من أضرب القياس عند الشيخ ذلكم هو : قياس العلة . والعلماء إذ يتحدثون عن قياس العلة يذكرون أن القياس فيه مبنى على اشتراك المقيس والمقيس عليه في العلة التي يقوم الحكم عليها . ويقسموه أنواعاً ثلاثة : —

(أ) قياس الأولى : وفيه تكون العلة في الفرع أقوى منها في الأصل .

(ب) قياس المساوي : وفيه تكون العلة في الفرع والأصل على سواء .

(ج) قياس الأدنى : وفيه تكون العلة في الفرع أضعف منها في الأصل (٥)

وقد رأيت أبا علي حين يبرهن على قضية من القضايا غالباً ما يتبع الخطوات

الآتية : —

(أ) يصدر أولاً تدليله بما يمكن أن أسميه (البرهان المؤسس) وهو أقرب

ما يكون إلى القياس المساوي .

(١) الحجج : ٢٠٨ مراد ملا . (٢) الحجج : ٢٠٧/١ بلديه

(٣) الايضاح ص ٥٨/١٢٠ نحو . (٤) الحجج : ١٧٨/١ مراد ملا .

(٥) انظر القياس في اللغة العربية للأستاذ الرحوم محمد الحضرمي ط ١٣٦٣ هـ / ٧٧ وما بعدها .

(ب) ثم يتبع ذلك البرهان المؤكد أو المقوى ، وقد يرقى فيه إلى القول بالأولى والأجدر وذلك هو قياس الأولى .

(ج) وربما أتى بالبرهان السلبي الذي يتجلى في الاعتراض وردده ، وتشير هذه الخطوة إلى القياس الأدنى . وتبين خطوات أبي على هذه من المثال الآتي : قال :
(١) الحجة لقول من قال : أنذرتم فلم يجمع بين الهمزتين ، وخفف الثانية أن يقول : « إن العرب قد رفضت جمعها في مواضع من الكلام ؛ من ذلك أنهما لما اجتمعتا في آدم ، وأزر ، وأخر الزموا جميعاً الثانية البدل ، ولم يحققوا الثانية ، ولما كسروا وحقروا جعلوا هذه المبدلة بمنزلة مالا أصل له في الهمز ، فقالوا أوأخر وأويخر ... (وهذا هو الدليل المؤسس أو قياس المساوى) .

(ب) ثم قال ومن ذلك أنا لم نجد كلمة عينها همزة ، ولامها كذلك . كما وجدنا ذلك في سائر أخوات الهمزة الخلفية كقولهم ماه ، وفه ، ويدع اليتيم .. فإن لم يجمعوا بين الهمزتين في الموضع الذي جمع فيه بين أخواتها وكررت دلالة على رفضهم لجمعها وإذا لم يتوال ذلك في بنات الثلاثة فالأ يتوالى ذلك في بنات الأربعة أولى ... (وذلك هو البرهان المقوى أو قياس الأولى) .

(ج) ثم يأتي باعتراض ويرده في قوله : فأما نحو قافاً، وطاطأ، وبأبا الصبي أباه فقد حيز الحرف بينهما ، وإنما الذي ينكر ، تواليهما من غير أن يحجز بينهما شيء (١) .
(وذلك هو ما سميت البرهان السلبي ، أو قياس الأدنى)

* * *

وهكذا يتنوع القياس عند أبي على ، وأود أن أذكر أني لم أقصد في تعداد هذا النوع الحصر ، فهناك ضروب من القيلس تدخل في بعض الأنواع السابقة حيناً ، وتستقل عنها حيناً (٢) .

ولكني أردت إعطاء صورة تؤيد هذه النزعة التي جرى عليها أبو على ، حتى يتبين فرق ما بينه وبين السابقين .
وأنقل إلى بيان المظهر الآخر الذي يميز أبا على في قياسه عن الأئمة السابقين :
ذلكم التعمق في القياس :

(١) الحجة : ١٨٨/١ وما بعدها مراد الملا .

(٢) راجع الاقتراح للسيوطي : ٣٩ وما بعدها (كتاب القياس)

أما تعمقه في القياس : فيلتاكَ في كثرة غامرة من كتابه الحجّة ، وفي مظاهر متعددة ، فهو يقايس حتى لا يكاد يخلو احتجاج لآية من قياس - ويسلك في قياسه سبيل المناطق في التدليل والتعليل ، وأكتفى بمظاهر ستة تشرح سلوكه في تعمق القياس :

أولا : قضايا من الشكل الأول : - فتراه أحيانا يصوغ الدليل في صورة قضية منطقية ذات مقدمات ونتيجة ، وأقرأ معي ذلك الكلام تجده يسير فيه سيراً منطقياً يؤلف قضية من الشكل الأول : قال :

وأما قولنا في وصف القديم (سبحانه) المؤمن ، فإنه يحتمل تأويلين ، وبعد أن ذكر أحدهما قال : والآخر أن يكون معناه المصدق ، أي المصدق الموحد له على توحيدهم إياه ، يدل على ذلك قوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو » . ألا ترى أن الشاهد مصدق لما يشهد ، كما أنه مصدق من يشهد له ، فإذا شهد سبحانه بالتوحيد فقد صدق الموحدين^(١) .

ويؤلف هذا الكلام قياساً من الشكل الأول يمكن وضعه على الصورة الآتية :
صغرى ، وكبرى ، ونتيجة .
الصغرى : الله شاهد بالتوحيد في قوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » ،
الكبرى : وكل شاهد مصدق لما يشهد به (أي التوحيد) كما أنه مصدق من يشهد له (أي الموحدين) .

النتيجة : فالله مصدق للتوحيد ، والموحدين .

وأقرأ تدليله على « المشابهة المعتبرة بين الماء، والياء، مشابتهما الألف تجده كذلك قياساً من الشكل الأول^(٢)

(١) الحجّه : ٢١٥/١ - ٢١٦ البلدية .

(٢) الحجّه : ١٢٢/١ البلدية .

ثانياً : القياس الاستثنائي الانفصالي : وأبو على مغرم بذلك القياس ، يقدمه للتدليل على كثير من المسائل ، فمثلا العامل في حيث من قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » لا يخلو من أن يكون أعلم هذه المذكورة أو غيرها ، وأن عمل أعلم فلا يخلو من أن يكون ظرفاً أو غير ظرف ، فلا يجوز أن يكون العامل فيه أعلم هذه ودل ، ثم انتهى من ذلك إلى أن العامل في حيث فعل يدل عليه أعلم ^(١) .

ثالثاً : وهناك ما يشبه القياس الاقتراني المضمحل الجمل وذلك قوله : وقول موسى (عليه السلام) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين في جواب « أتخذنا هزواً ، يدل على أن الهازي جاهل ^(٢) .

وقوله : قوله تعالى : « وعلى أبصارهم غشاوة » في المعنى مثل : صم بكم عمى ، وكذلك قوله تعالى : صم بكم في الظلمات ، لأن وصف البصر بالكون في الظلمات بمنزلة الوصف بالعمى ، وكذلك وصفه يكون الغشاوة عليه ، لأنه في هذه الأحوال كلها لا يصح له إِبصار ^(٣) .

رابعاً : وتراه يدفع الفارق في القياس حتى يصح ؛ وليجري حكماً واحداً على المتقايسين قال :

« فان قلت : إن الألف التي شبهت بها الهاء في عليهم ودارهم لانكون لإساكنة ، وهذه الهاء متحركة فكيف وفقت بينهما مع اختلافهما من حيث ذكرنا ؟ قيل : إن هذا الذي ذكرت من الخلاف بينهما لا يوجب لها اختلاف حكم بينهما وبين الألف فيما ذكرنا ؛ لانهم قد جعلوا الهاء متحركة بمنزلة الألف الساكنة ، ثم أخذ يدل على هذه القضية الأخيرة ^(٤) .

خامساً : ومن أسباب الغلط في القياس تحريفه ، والجهل بقياسيته ^(٥) ، ومن هنا تراه لا يجعل علة ما ليس بعلة ؛ وذلك حيث يقول : « وليست الدلالة على أن ضمير الجمع المجرور أو المنصوب أصله الضم — انضمام الهاء في هم ، ^(٦) .

(١) الحجج : ١٧/١

(٢) الحجج : ٣٨٤/١ مراد ملا . (٣) الحجج : ٣٠٨/١ مراد ملا .

(٤) انظر الحجج : ١٩٢، ٦١/١ ، ١٩٢، ٦١/١ — وانظر كذلك ٣٨٨/١ مراد ملا .

(٥) انظر الاشارات والتنبيهات لابن سينا : ٢٨٩ — ٢٩٢

(٦) الحجج : ١٢٠/١ — ١٢١ بلدية

سادساً: ويرد في كلام أبي علي « العموم والخصوص الوجهي ، فكل موضع جاز فيه الكسر فالضم فيه جائز^(١) ، وأما الانذار فاعلام معه تخويف ، فكل منذر معلم ، وليس كل معلم منذرا^(٢) .

ومثل الانذار في أنه ضرب من العلم قوهم اليقين : فكل يقين علم ، وليس كل علم يقينا^(٣) .

وأنتقل إلى الفارق الثالث بين أبي علي والسالفين — في القياس وذلك : تحكيم القياس فيما هو ثابت بالآثر : — وكتاب الحجة كله قائم على ذلك ، وقد حاول أبو علي أن يجرى مقاييس العربية على القراءة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فهو يجرى وراء القياس إلى أبعد الحدود ، ولا يقول بالآثر المنقول إلا إذا لم يكن منه بد ، كما فعل في تعليقه إمالة حمزة ما كان منسوقا بالواو من فعل الإحياء^(٤) ، وذلك حيث يقول : « ولعل حمزة اتبع في ذلك أثرا ، لأن القراءة ليست موقوفة على مقاييس العربية دون اتباع الأثر فيها . ثم نراه — مع ذلك — يوجه ما ذهب إليه الكسائي من ترك الفصل بين الفعل الذي قبله واو أو فاء وبين ما ليس قبله من ذلك شيء ، وذلك حيث يقول : « وما ذهب إليه الكسائي . . . هو الوجه في قياس العربية^(٥) ، بل أحيانا إذا أعوزه القياس لا يحتج بالآثر ، فتراه يقول : « وليس له وجه^(٦) .

وقد لحظت أن ما كان من القراءات موافقا للقياس وصفه أبو علي بالحسن والجمال^(٧) وما لم يكن موافقا وصفه بالقمح^(٨) . ويقرر أن الحمل عليه والرد إليه ينبغي ألا يجوز ما وجد عنه مذوحة^(٩) .

وإنه ليلبغ الغاية في الاعتداد بالقياس حين يقرر أن الكتاب جاء عليه : : اقرأ

(١) الحجج : ١٢٣/١ بلديه . (٢) الحجج ١٧٢/١٠٠ مراد ملا .

(٣) المصدر السابق ١٧٤/١ .

(٤) يذهب حمزة إلى عدم إمالة الفعل أحياء إذا كان منسوقا بالواو ، ويميل ما كان منسوقا بالفاء ، ولا يفرق الكسائي فيميل المنسوق بالفاء والواو . انظر قرة العين في الفتح والامالة وبين اللغتين لابن الفاصح سورة البقرة . (٥) الحجج : ٢٩٠ . مراد ملا .

(٦) الحجج : ٣٨١/٧ البلديه .

(٧) انظر الحجج : ٣٦١/١ — ٣٨٢ البلديه .

(٨) انظر الحجج : ٢١٤/١ . (٩) الحجج : ٢٢٤/١ من البلديه .

قوله في وقف حمزة على جزء في الجر ، والرفع (١) — قال أبو علي : فان وقف بالجر والرفع أسكن الزاى فى اللغة الشائعة فقال : « هذا جز ، ومررت بجز ، وإن كان ممن يقول هذا فرجاً فنقل لزمه أن ينقل الحرف الذى ألقى عليه حركة الهمزة ، فاذا عضد هذا القياس أن يكون الكتاب عليه جمع إليه موافقة الكتاب ، وإنما جاء الكتاب فيما نرى على هذا القياس (٢) .

أرأيتم كيف يجعل الكتاب تابعاً للقياس ؟ وأن القياس هو الأصل عنده وما ثبت بالنقل والأثر هو الفرع ؟ وذلك عندى غاية ما يعتد به فى أمر القياس حتى يحكمه أبو علي على هذه الصورة فى كتاب الله !

* * *

وبعد فتنوع القياس عند أبي علي ، وتعمقه فيه ، وتحكيمة إياه فيما هو ثابت بالنقل والأثر كل ذلك يحقق ما روى ابن جنى عنه إذ يقول : « قال له أبو علي (رحمه الله) بجلب سنة ست وأربعين ، أخطيء فى خمسين مسألة فى اللغة ، ولا أخطيء فى واحدة من القياس (٣) .

ولا يعتذر لأبي علي من نزعه فى الاحتجاج ، وتحكيمة القياس على النحو الذى بينت إلا ما استظهرته آنفاً من أنه حكم القياس فى القراءات ؛ دفاعاً ، ومحمة للكتاب الكريم أمام هؤلاء المكابرين المعاندين الطاعنين (٤) .

ولموقف أبي علي من القياس أرى أنه كتب الحجة بروح النحوى لابروح القارى ، فإذا أضفت إلى ذلك موقفه من القراءات الصحيحة التى تخالف مذهبه النحوى (٥) ، وكثرة تعرضه للمسائل النحوية والصرفية ، والبرهنة على ما يراه من هذه المسائل برهاناً قائماً على التدايل المنطقى فى تقص واستطراد (٦) — إذا أضيف ذلك عرفنا السبب فى جفوة القراء عن حجته ، وبعدهم منه ، وصدودهم عنه ، حتى عدوه كتاب نحو بما فيه من تخريج ودراية ، لا كتاب قراءات يتبع فيه التلقى والرواية .

* * *

(١) الرفع كما فى قوله تعالى : لكل باب منهم جزء مقسوم « وأما جزء بالجر فلم ترد فى القرآن الكريم . راجع مفتاح كنوز القرآن

(٢) الحجية : ٣٨٨/١ مراد ملا . (٣) الخصائص : ٤٨٣/١ .

(٤) انظر مطلع الحديث عن الحجية فى هذا البحث . (٥) بينت ذلك فى مكان آخر

(٦) ضربت أمثلة لاستطراده عند الكلام على نهجه فى الحجية .

ويجدري — وأنا أتحدث هنا عن القياس — أن أذكر الرأي في أمر فهمه
الاستاذ أحمد أمين على غير وجهه ، وقرره في بحث ألقاه على مؤتمر الجمع ، وناقش
المؤتمرون هذا الرأي دون أن يفتنوا إلى الحقيقة فيه ، وتناقل العلماء في كتبهم
ما انتهى إليه الاستاذ أحمد أمين — خطأ — عن رأي أبي علي في القياس . والدراسة
الفاحصة تقضى بالرجوع إلى كتب أبي علي ، والاتصال بنصوه فيها ، حتى نظفر
بنتائج صحيحة ، ويستقيم لنا الحكم على أبي علي ونظرة في القياس ، وتقويم الرأي فيه :
فإذا قال الاستاذ أحمد أمين ؟

ألقى الاستاذ بحثاً بعنوان مدرسة القياس في اللغة ، في الجلسة التاسعة من جلسات
مؤتمر الجمع في دررته الخامسة عشرة .

قسم الأستاذ المشتغلين بالعلم — ومنهم اللغويون والنحاة — إلى أحرار ، وهم
الذين يقيسون ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص — ومحاظين يلتزمون
ما ورد في اللغة ، ولا يخرج منه بحال من الأحوال (١) ، وقرر أن من اللغويين
المحاظين الذين وقفوا عند ماورد — الأصمعي وابن الأعرابي ، وأبا زيد ، واستدل
على محافظتهم بأنهم لم يكونوا يستبيحون لأنفسهم أن يقولوا كلمة ، أو يشتقوا اشتقاقاً
إلا عن سماع ، وكذلك جعل منهم أصحاب المعاجم كالجوهرى ، والفيروزابادى ،
وابن منظور ؛ لأنهم لم يقيسوا على ما رويوا (٢) .

ثم جعل بجانب هؤلاء قلة من القياسيين ممثلة في أبي علي الفارسي ، وتلميذه
ابن جني ، واستدل المرحوم أحمد أمين على قياسية أبي علي فنسب إليه العبارة الآتية :
« ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » (٣) ، وقوله : « لأن أخطى »
في خمسين مسألة بما به الرواية أحب إلى من أن أخطى في مسألة واحدة قياسية ، ،
وقول أحد تلاميذه : أحسب أن أبا علي قد خطر له ، وانتزع من علل هذا العلم
ثلث ما وقع لجميع أصحابنا (٤) .

(١) انظر محضر الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة عشرة ص (٢) .

(٢) انظر نهاية ص ٤ من المحضر المذكور .

(٣) قائل هذه العبارة أبو عثمان المازني «ت ٥٢٤٧ هـ لا أبو علي انظر الخصائص : ١/٣٦٢
(والاقتراح : ٢٦) .

(٤) يبدو واضحاً اعتماد الدكتور إبراهيم أنيس على هذه المحاضرة في كلامه عن القياس :
قابل ص ٢٠ من أسرار اللغة ص ٤ ، ٥ من محاضرة الدكتور أحمد أمين . ومن هنا اكتفى
بمناقشة الدكتور أحمد أمين ؛ في ذلك غناء عن مناقشة من قبله .

ونصوص أبي علي كاشفة عن رأيه في القياس على غير ذلك الذي انتهى إليه
الاستاذ أحمد أمين ، وفيها يبدو أبو علي أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين ، واقروا
نصه الذي قال في الحليات : « ولو لم يعاضد القياس السماع حتى يجيء السمع بشيء
خارج عن قياس لوجب اطراح القياس ، والمصير إلى ما أتى به السمع ، ألا ترى أن التعلق
بالقياس من غير مراعاة السمع منه يؤدي إلى الخروج عن لغتهم والنطق بما هو خطأ
في كلامهم ؟ فلو أعلنت استحوذ ، ولم تراخ فيه السماع وقلت : « انه جاء معلا نحو
استعاد ، واستفاد ، فكذلك أعل هذا المثال قياساً على الكثير الشائع ، لكنك ناطقاً بغير
لغتهم ، ومدخلاً فيما ليس منها ، فالقياس أبدأ يترك للسماع ، وإنما يلجأ إليه إذا عدم
في الشيء السمع ، فأما أن يترك السماع للقياس خطأ فاحش ، وعدول عن الصواب
بين . ألا ترى أنه يجوز في القياس أشياء كثيرة ؛ نحو الجر في لدن غدوة ، والضيم في لعمرك
في القسم ، واستعمال الماضي في يذرو يدع ، وإيقاع أسماء الفاعلين أخباراً لكاد ، وعسى
ثم لا يجيء به السماع فيرفض ولا يؤخذ ، وي طرح ولا يستعمل ، ويكون المستعمل
لذلك آخذاً بشيء رفضه أهل العربية كما رفضوا استعمال سائر اللغات التي ليست بلغة
لهم ، وهذا طريق يؤدي سالكه إلى خلاف ما وضعت له العربية ؛ لأن هذه العطل
إنما تستخرج من المسموعات بعد اطرادها في الاستعمال ، لتوصل إلى النطق
به على حسب ما نطق به أهل اللغة العربية ، وتسوى في الفصاحة بمن أدركها ، وبأمن
بتمسكها بها الزيف عن لغة الفصحاء العربيين إلى لغة من لم يكن على وصفهم ، فإذا أدى
إلى خلاف ذلك وجب أن ينبذ وي طرح ؛ من حيث كان ضدًا عما له وضعت هذه
الصناعة ، واستخرج من أجله هذا العلم (١) .
ولهذا النص دلالات :

أولها : ما يجوز في القياس ، ولا يجيء به السماع يرفض ، وي طرح ولا يستعمل
أو كما يقولون : « يحفظ ولا يقاس عليه » .

ثانيها : القياس على الشاذ خطأ ، والأخذ به أخذ بشيء رفضه أهل العربية ،
وادخال فيها لأجنبي عنها ليس منها
ثالثها : يسوى أبو علي الأخذ بالقياس على الشاذ باستعمال سائر اللغات
الأجنبية عن لغة العرب .

رابعها: السماع مقدم على القياس ، وترك السماع للقياس خطأ فاحش ، ولا يلجأ إلى القياس إلا إذا عدم السماع .

خامسها: الغرض من القياس تمكن غير العربي من النطق بما نطق به أهل العربية ، وتسويته في الفصاحة بأهلها ، وذلك لا يكون إلا بالقياس على المسموعات المطردة في الاستعمال .

وسادسها: أن أبا على يقف موقفاً وسطاً بين المحافظين والمجددين ، بل كان محافظاً في تجديده ، فالقياس في اللغة أمر دعت إليه الحاجة فيؤخذ به على مقدارها^(١) ، ومن هنا توسط في القياس ، فرأى أن ما لم يسمع لا يقاس عليه حتى ولو كان المقيس عليه كثيراً شائعاً ، وهذه نظرة محافظة ، فالقياس عنده على المسموع الوارد ، لا على الذي لم يرد . ثم هو بعد ذلك يرى اللجوء إلى القياس إذا عدم السماع ، فإذا جاءت الرواية لم يرد بالقياس^(٢) ، وهناك فريق أفسح طريق القياس ، ووسع ميدانه على وجه لم يقره أبو على ومن هؤلاء المبرد ، فقد رأى سيويه أن أما في قول الشاعر :

و أبا خراشة أما أنت ذا نفر ، لا يذكر بعدها الفعل المضمر ؛ لأنه من المضمر المتروك اظهاره حتى صار ساقطاً بمنزلة تركهم ذلك في النداء^(٣) . وجوز أبو العباس المبرد في القياس وقوع الفعل بعد أن ، ولم ير ذلك ممتنعاً ، وتعقبه أبو على في البغداديات فقال :

و فأما ما ذكر أبو العباس في الرد من أنه لا يرى وقوع الفعل بعد أن هذه ممتنعاً ، وأنه جائز عنده في القياس فكالمغالطة ، ألا ترى أنه قد يجوز في القياس أشياء كثيرة لا يجيء به الاستعمال . . . وكذلك إظهار الفعل في هذا الموضع لا يجوز لشذوذه عن استعمال ، وإن أجازته القياس . . . ثم كرر رأيه الذي ذكره في الحليات من أن العلل إنما تستخرج ، وتوضع بعد سماع الشيء واطراده في الاستعمال ؛ ليوصل إلى النطق بالشيء على حسب ما نطق به أهل اللغة ، فإذا أدى إلى خلافه ، وجب أن يشذو وي طرح ، فحكم السماع في أن يتقدم القياس ، فإذا لم يتقدمه فلا موضع للقياس وقرر بعد ذلك أنه لا يقاس على الشاذ في قوله :

(١) انظر القياس في اللغة للأستاذ محمد الخضر حسين (رحمه الله) : ٥٢

(٢) الحجج : ٣٦٣/١ مراد ملا . (٣) انظر الكتاب : ١٤٨

« فإذا لم يسمع الشيء إلا على بينه ، ولم يحفظ إلا على هيئة ، فلا معدل عنه إلى سواء ، ولا مجاوزة فيه إلى ما عداه ما لم يسمع منهم فلم يحفظ عنهم ، فعلى هذا مجرى القياس النحوي وحكمه ^(١) »

فهل يعد أبو علي بعد هذه النصوص الصريحة — مجدداً ؟ وهل نعتبره من اللغويين الأحرار بعد هذه القيود التي وضعها للقياس ؟؟ والتي حرص على ترديدها في كتبه المختلفة ، في البغداديات ، وفي الحلبيات ، وفي الحجة ، على أن رأيته في المسكريات ^(٢) يورد أقسام الشاذ ويجعلها ثلاثة :

(أ) الشاذ عن الاستعمال المطرد في القياس . (ب) والمطرود الاستعمال الشاذ عن القياس .

(ج) الشاذ في الاستعمال وعن القياس ، ثم يرفض هذه الأقسام جميعاً ، ولا يأخذ إلا بالمطرود في القياس والاستعمال : (السماع) متفقاً في ذلك مع نظرة المحافظين ^(٣) .

وهكذا يكرر أبو علي في كتبه رأيه في القياس ويصور لنا هذا الرأي بأعلى أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين ، وإذا كان الأمر كذلك فما تفسير قوله : « أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطيء في واحدة من القياس ؟ وكيف لا يجعله هذه القولة من الأحرار المجددين كما ذهب إليه الاستاذ أحمد أمين ؟ »

تفسيرها ما انتهيت إليه في غضون هذا الفصل من أنه نوع القياس ، وتعمق فيه ، وحكمه فيما هو ثابت بالنقل والأثر ، فخرج القراءات ، واعتبرها بما ورد في اللغة — ، وما سمع منها ، وكانت براعته في القياس دليلاً على رسوخ قدمه في الصنعة فأحب إلى نفسه أن يخطيء في اللغة ، ولا يخطيء في القياس حتى أنه ليتجاوز عن خطئه في خمسين مسألة لغوية ، ثم يعدها كبيرة إن أخطأ في واحدة من القياس . وما كان الرجل خطأً في اللغة أو القياس ، ولكنه أخرج العبارة مخرج ما يعتبر الناس .

وبعد ، فقد وصف الأستاذ أحمد أمين صاحب الحرية والتجديد ، وكنت أود

(١) البغداديات لوحة ٢٦، ٣٥ .

(٢) المسكريات لوحة ١٣٤ .

(٣) انظر من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٠ وما بعدها .

أن يكون كذلك ، لولا أن سيدى هنا تصحيح الرأى ، وتقويم أبى على بما له وما عليه فى انصاف بعيد عن التحيز ، ومن غير محاباة أو محاماة ، مستدلاً بالنصوص الواردة فى كتب الشيخ ، وأقواله الشاهدة على نزعته ، وما يتصل بهذا مسألة أخرى فهم فيها أبو على على غير رأيه ، ووصف فيها - كذلك بالتجديد - تلکم مارآه بعض الناس فى زماننا حول ما أسموه مشكلة الاعراب ، وفيما يلي تناول رأى أبى على بالتحقيق :

نجمت فى أيامنا هذه دعوة إلى ترك الإعراب ، واستعان أصحاب هذه الدعوة بسيبويه وصاحبى أبى على - يتكلم الداعون على نصوصهما فى تأييد ما إليه يذهبون ، وقال هؤلاء :

« إنه قد وردت آيات أسكنت فيها حركات الاعراب مثل قوله تعالى : « وبعلوثهن أحمق بردهن ، باسكان التاء . ومثل : « وما يعدم الشيطان ، ومثل : « وإذ يعدمكم الله ، باسكان الدال فيهما ، ومثل « فتوبوا إلى بارئكم ، باسكان الهمز . قالوا : وقد تناولها علماء القراءات بالبحث فرجعوها إلى أصولها (١) . وأوردوا نص أبى على الذى يقول فيه : « أما حركة الإعراب فختلف فى تجويز اسكانها ، فن الناس من ينكر فيقول : « إن اسكانها لا يجوز من حيث كانت علماً للاعراب ، وسيبويه يجوز ذلك فى الشعر (٢) .

ومن الحق على - وموضوع بحثى أبو على ، - أن أتناول هذه الدعوة بالتحصيل والنقاش فأقول :

يسقط دعوى هؤلاء من أساسها أن سيبويه وأبا بكر بن مجاهد رويا عن أبى عمرو فى قوله تعالى : إلى بارئكم - اختلاس حركة الاعراب : ذلك الاختلاس الذى يسرع فيه القارىء باللفظ لإسراعاً يبقى على الحركة ويحذفها ، ولم يرويا للاسكان أصلاً ، ووافقهما أبو على محتجاً للاختلاس لا للاسكان فى قوله تعالى : إلى بارئكم ، ويعلمهم الكتاب ، ويلعنهم الله (٣) .

وقد عقد سيبويه فصلاً فى الكتاب سماه « باب الإشباع فى الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هى » ، قال فيه : « فأما الذين يشبعون فيمططون ، وعلامتها

(١) انظر الرسالة الجديدة : العدد الحادى عشر / ٨ .

(٢) انظر الهلال : فبراير ٥٥ مشكلة الإعراب .

(٣) انظر الحجة : ١/٣٦٦ مراد ملا .

واو وياه وهذا تحكمه لك المشافهة ، وذلك قولك : يضربها ومن مأمك وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا ، وذلك قولك يضربها ، ومن مأمك يسرعون اللفظ . ومن ثم قال أبو عمرو إلى بارئكم ، ويدلك على أنها متحركة قولهم : من مأمك فيبينون النون ، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون (١) .

صحيح ورد في كتاب سيبويه تسكين المرفوع ، والمجرور في الشعر ، وقد جعله النحاة من أقبح الضرورات (٢) .

ومثل ما قال لإمام النحاة روى شيخ القراء : ابن مجاهد فقال : اختلفوا في د بارئكم ، في كسر الهمزة ، واختلاس حركتها ، وذكر القراء الذين يكسرون ، والذين يقرءون باختلاس الحركة ، وأورد ماروى سيبويه عن أبي عمرو ، وما حدثه الشيوخ عن أبي عمرو أيضاً في قراءته ، ويعلمهم الكتاب ، ويلعنهم بأشمام الميم والنون التي قبل الماء الضم من غير اشباع ، وكذلك عن أسلحتكم وأمتعتكم ، ويزكيهم ويعلمكم ، ويوم يجمعكم ، وكذلك قراءته د يأمركم ويأمرهم وينشركم . . . وما أشبه ذلك من الحركات المتواليات . ثم أورد ابن مجاهد قول اليزيدي في ذلك كله أن أبا عمرو كان يسكن اللام من الفعل في جميعه ، ولكنه رد ذلك بقوله : والقول ما خبرتك من إشار أبي عمرو التخفيف في قراءته كلها (٣) .

وجاء أبو علي من بعد سيبويه وأبي بكر — وقبل أن يحتاج لما ذكر أبو بكر من اختلافهم في بارئكم ، — تحدث في الساكن والمتحرك من حروف المعجم ، وضروب كل منهما ، وقسم الحركة إلى حركة اعراب ، وحركة بناء ، وذكر أن حركة البناء لا خلاف في تجويز اسكانها ، وأما حركة الاعراب فختلف في تجويز إسكانها ، قال : « وسيبويه يجوز ذلك ، ولا يفصل بين القبليين في الشعر ، وذكر — فيما ذكر — الشواهد الشعرية التي رواها سيبويه في الكتاب (٤) . ثم برهن على ما يرى سيبويه ، فجاء برهانه على جواز إسكان حركة الاعراب في الشعر ، لا في سعة الكلام (٥) .

(١) الكتاب : ٢٩٧/٢ .

(٢) انظر شرح الشواهد للشتمري : أسفل الكتاب : ٢٩٧/٢ .

(٣) انظر الحجة : ١ : ٣٦٠ وما بعدها . (٤) انظر : ٢٩٧/٢ .

(٥) انظر الحجة : ١/٣٦٤ مراد ملا

ثم خُص من ذلك إلى الاحتجاج لقراءة أبي عمرو بالاختلاس ، واتفق مع سيبويه وابن مجاهد فقال : « لعل من رواها عن أبي عمرو بالإسكان سمعه يختلس حسبه لضعف الصوت به والختفاء إسكاناً ، وعلى هذا يكون قوله : « ويعلمهم الكتاب ويلعنهم الله ، وكذلك عن أسلحتكم ، وأمتعتكم ، ويزكيهم ويعلمهم ، ويوم يجمعكم ، ولا يأمركم . » هذا كله على الاختلاس مستقيم ، ومن روى عنه الإسكان — وقد جاء ذلك في الشعر — فلعله ظن الاختلاس إسكاناً (١) .

وهذا أبو سعيد السيرافي يرى أن نحو « وقد بدا هنك من المنزر ، مرفوع تركت ضمته استقالاتاً (٢) . وكذلك قرر ابن جنى في الخصائص أن قراءة أبي عمرو إلى بارئكم بالإختلاس غير ممكن كسرة الهمزة ، « حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً ، ثم يعتذر ابن جنى من موقف القراء ، ولعله يقصد اليزيدي فيقول : « ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية (٣) .

أبعد هذه النصوص الصريحة يدعو الداعون إلى جواز إسكان حركة الأعراب ؟ إن سيبويه لم يرو الإسكان إلا في الشعر ، واحتج أبو على لهذا الذي روى سيبويه ، فهل تجعل الضرورة الخاصة قاعدة عامة يؤخذ بها في سعة الكلام ؟

إلى أن سيبويه ، وابن مجاهد ، وأبا على ، والسيرافي ، وابن جنى — ويتفق معهم ابن خالويه (٤) — لا يقولون بالإسكان في إلى بارئكم ونحوه ، ويقولون ماورد عن اليزيدي بما رأينا ، فكيف ينسب أصحاب هذه الدعوة إلى سيبويه ، وأبي على ، ومن لف لفهما — ما نسبوا ؟ وكيف يرتبون على ذلك القول بجواز ترك الإعراب ؟ ؟ وبعد : فكم كنت أود لو أن صاحبي قد سبق إلى روح التجديد — كما يقول أصحاب هذه الدعوة — وأن المجددين يجدون في نصوصه دليلاً يؤيدون به ما إليه يتجهون . ولكن النصوص كما رأينا — لاتعين على صحة ما يذهب إليه هؤلاء الداعون (٥) .

(١) الحجة : ٣٦٦/١ . (٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٦٤٩/٣ ، ٦٥٠ .

(٣) الخصائص : ٧٥/١ . (٤) انظر الحجة لابن خالويه : ورقة ٩ وجه .

(٥) أردت أن أبين حقيقة موقف أبي على من هذه الدعوة غير مسترسل في التعرض إلى الدعوة ذاتها بالتفنيد ، أو التأييد ، فليس هنا لمىء من ذلك مجال .

علل أبي علي وتقويمها

بعض تعليقات أبي علي مصطنع ، يجتهد فيه علي حسب ما يحضره في الحال ، فيبدو عدائد التمحل في التعليل والاستدلال ، من ذلك طلب عضد الدولة منه تعليل نصب الاسم الواقع بعد إلا في نحو « خرج القوم إلا زيدا ، فيعلل الشيخ ، ويراجعه عضد الدولة ، فينطق أبو علي بما يدل على أن تعليله من قبيل الاجتهاد في الناس العلة ، واصطناعها ، والتمحل فيها ، وذلك إذ يقول : « هذا جواب ميداني ، وإذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح »^(١) ، ويسجل أبو علي نحواً من هذا على نفسه في مسألة أخرى ، وذلك ما يحكي ابن جنى عنه « كان أبو علي (رحمه الله) يقول في هيات : أنا أفتى مرة بكونها إسما سمي به الفعل كصه ومه ، وأفتى مرة أخرى بكونها ظرفاً على قدر ما يحضرنى في الحال »^(٢) .

وهذا التعليقات — على ما فيها من صناعة — تدل على ما عند أبي علي من براعة ، حيث يستطع أن يفتى بأمرين متخالفين ، ويلتمس العلة لكل منهما مع تخالفهما ، وقد برهن في البغداديات على أن ما في قوله تعالى « وما رزقناهم ينفقون » — حرف^(٣) ثم عاد في الشيرازيات ، وبرهن على أنها موصولة^(٤) . وإذا كانت النظرة المجددة لا تلتقي بالآلهة العلل النحوية المصطنعة^(٥) ، ونزجو بحق أن يتخلى النحو عنها تخلياً تاماً^(٦) — فإن التخريجات النظرية كانت دليلاً على رسوخ القدم في الصنعة ، في عصر تفلسفت العلوم فيه ، وشاع ذلك التفلسف في فروع العلم المختلفة وفيها النحو . وآية ذلك ما قال أبو علي في الألف من يا في قول الشاعر :

تغير نحن عند الناس منكم إذا الداعي المثوب قال : يا لا

-
- (١) نزهة الألباء : ٢١٠ . والانصاف : ١٧٠/١ — وكان الشيخ يسير مع عضد الدولة في الميدان بشيراز .
(٢) الخصائص : ٢١٣ . (٣) البغداديات : لوحة ٢٢ .
(٤) الشيرازيات : لوحة ١٢٩ .
(٥) انظر الرد على النحاة لابن مضاء : وإحياء النحو لابراهيم مصطفي .
(٦) انظر الاجتهاد في النحو العربي لأمين الحولي : ١٣ .

وذها به إلى أنها خلطت باللام بعدها ، ووقف عليها ، فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزلة قال ، والالف في موضع العين وهي مجهولة فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو !! - وما أثار هذا التعليل المصطنع من اعجاب ابن جنى حتى يقول فيه وفي الشيخ : « وهذا أجل ما قاله ، والله هو ! (وعليه رحمته) ! لما كان أقوى قياسه ! ، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقا له ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها ، وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحة عله ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه (١) .

وابن جنى يشير في نضه هذا إلى أسباب أخرى لبراعة أبي علي في التعليل والقياس ، فهو قد تمرس به ، زمناً طويلاً ، واتجه بهمه إليه ، وعكف فارغ البال عليه ، (حتى انتزع - كما يقول ابن جنى - من العلل ثلث ما وقع ببيع أصحابه !!) (٢)

وأرى أن يضاف إلى ما ذكر ابن جنى من الأسباب ثقافة أبي علي العربية الشاملة ، وإكبابه على الكتاب ، مع ذكاء ، وقوة حافظه ، وسرعة استحضار .

* * *

بجانب هذه التعليلات المصنوعة - تعليلات أخرى يتهدى فيها الشيخ بالحس النفسى (٣) أو بالنظر البلاغى ، كقوله في إعراب صيبا من قوله تعالى : « كيف نكلم من كان في المهد صيبا ؟ ، أنه حال من نكلم أى كيف نكلمه صيبا ؟ وإن جعلته حالا بما في المهد كان الأول أحسن ؛ لأنه أدل على موضع المعجزة (٤) .

* * *

ومن المهم أن أذكر - وأنا في صدد تقويم أبي علي في تعليله - أن الرجل فطن في بعض ما علل إلى ما يقوله الحدوثون من علماء اللغة والأصوات ، فقد أورد في معرض الاحتجاج لقراءة عليهم بالكسر ، وترجيحها هذا الاعتراض :

(١) الخصائص: ٢٨٤/١ - ٢٨٥

(٢) الخصائص: ٢١٥ ولست أرى لم قدر ابن جنى الثلث ولم يزد ولم يتقص : وعلى أى أساس قاس هذا التقدير ؟ .

(٣) انظر بحث الشيرازيات وانظر لوحتي ٧٤، ٤٣ من هذه المسائل .

(٤) البصريات: ٨٥ .

فإن قال قائل : « إن الضمة هي الأصل في عليهم، وبهم، ونحو ذلك، بدلالة أن علامة المضمر المجرور كعلامة المضمر المنصوب المتصل، وأن ما جاز فيه الكسر جاز فيه الضم، نحو بُهو، وبدار فهو الأرض، وليس كل ما جاز فيه الضم يجوز فيه الكسر، تقول هذا له، وسكنت دار هو، ولا يجوز كسر الهاء في شيء من ذلك، وإذا كان استعمال الضم فيه أعم وكان الأصل، وجب أن يكون أوجه من الكسر، قيل : « إن كون الضم الأصل ليس مما يجب من أجله أن يختار على الكسر مع مجاورة الكسرة أو الياء؛ لأنه قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل طلباً للتشاكل، وما يوجب الموافقة، ألا ترى أن الأصل الذي هو السين في الصراط الصاد أحسن منه؟، وأن النون التي هي الأصل في شنباء قد رفضت وترك استعمالها^(١) .

وأبو علي في هذا يلتقي مع نظرية للحدثين من علماء الاعاءات تارك ظاهرة التشاكل (Assimilation)^(٢)، وفيها يتحول أحد الصوتين المتجاورين أو المتقاربين إلى صوت من نوع الصوت الآخر، وقد قسموا ظاهرة التشاكل هذه قسمين :
(أ) فإذا تأثر الصوت الأول منهما بالآخر سمي ذلك التأثير رجعياً (REGRESSIVE)^(٣) .

(ب) وإذا تأثر الصوت الآخر منهما بالصوت الأول سمي ذلك التأثير تقدماً (PROGRESSIVE) .

وأرى أبا علي قد جمع في نصه السابق نوعي التأثير المذكورين، فكان التأثير في قراءة عليهم وبهم من النوع التقدمي، إذ تأثرت حركة الهاء بالياء في عليهم وبكسرة الباء في بهم، فحركت من أجل ذلك بالكسرة طلباً للبهائلة .

وكان التأثير في الصراط بالصاد وشنباء بالميم من النوع الرجعي، حيث قلبت السين صاداً حتى تتشاكل مع الطاء؛ لأنهما من حروف الاستعلاء والاطباق^(٤)، كذلك قلبت النون ميماً في شنباء؛ حتى تتشاكل مع الباء، وهما حرفان شفويان^(٥) .

(١) الحجة : ٤٦/١ مراد ملا

(٢) انظر ص ٧٠ وتواجهها من DAWZAT LA VIE DU LANGAGE

(٣) انظر الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٠٦ وما بعدها والهجاء العربية : ٥١

(٤) ارتشاف الضرب : ٨٠ والنشر ٢٠٢/١ ، ٢٠٣

(٥) ارتشاف الضرب لأبي حيان : ٥ والنشر : ٢٠١/١

والتأثر الرجعي يدل على الاستعداد، والتأهب للنطق قبل أن يلبس المتكلم النطق بالحرف وهو عندي نوع من النشاط الفكري والنطقي معاً^(١)، وفي اللغة العربية كان التأثير الرجعي أكثر شيوعاً من التأثير التقدمي^(٢) مما يدل على أنها لغة نشاط فكري ونطقي، لأنها لغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، وذلك شيء يتصل بما يتصف به العرب من فصاحة وبيان، وقد لحظ ذلك أبو علي، وأشار إليه، وإن لم يفصح به وذلك قوله: «قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل: طلباً للتشاكل»^(٣).

* * *

وأمر آخر فطن إليه أبو علي، والتقى فيه مع المحدثين، وأقره علماء الأصوات منهم، ذلك قوله: «وأخر الآي موضع وقوف، والوقوف رأيناه قد أوجب إعلالا في الموقوف عليه، وتغييراً عما عليه في الوصل، ويشرح ذلك فيقول: «الأتري أنهم قد أبدلوا من التاء الهاء في نحو رحمة؟ ومن الألف الياء أو الواو في نحو أفعى وأفعوا؟ وزادوا فيه في نحو هذا فرج»، وهو يجلب؟ ونقصوا منه في نحو: «وبعض القوم يخلق ثم لا يفر»^(٤).

ذلكم كلام أبي علي، فماذا قال المحدثون؟ قالوا: «إن موقع الصوت في الكلمة يعرضه لكثير من صنوف التطور والانحراف، وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات»^(٥). وأتم ترون أن أبا علي يلتقي مع المحدثين في تقرير هذه القاعدة أولاً، وفي ضرب الأمثلة لصنوف التطور — من إبدال أو زيادة أو نقص — ثانياً^(٦).

وتوفيق أبي علي في التعليل، والتقاؤه مع المحدثين — ربما يرجع في بعض منه

(١) القراءات واللهجات العربية — الامالة : ٢٢٢

(٢) انظر القراءات واللهجات العربية — الامالة : ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(٣) الحجة : ٤٦/١ مراد ملا . (٤) الحجة : ٣٨١/١ وانظر ٣٥٧/٧ من البلدية .

(٥) انظر علم اللغة للدكتور على الواحد : ٢١٤ وفتنه اللغة له أيضاً : ١٤٨ .

(٦) ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام على مؤتمر المجتمع في دورته الثانية والمشرين

بتاريخ ١٢/١/١٩٥٦ بحثاً عن «أحكام القوافي في الإنشاد» تعرض فيه لما يمتري القوافي من حذف أو زيادة، وتبادل المؤتمر من أعضاء المجتمع الرأي في ذلك وتمليله. وكان يختصر لهم التعليل لهذه الظاهرة مذكره أبو علي من أن الأواخر موضع وقوف، والوقف يوجب تغييراً مما عليه في الوصل .

إلى تأثره بما كان للهنود في الاصوات من دراسات ، وبما كان للقراء في فن التجويد من تفصيلات (١) .

العروض في الحجة

لم يعرف عن أبي علي أنه ألف في العروض ، أو القوافي ، وإن كان تلميذه ابن جنى له في ذلك كتاب العروض والقوافي ، ومختصر القوافي (٢) ، وأبو علي مع ذلك له صلة وثيقة بالعروض ، ورجاله ، فقد التقى منذ صباه الباكر بأبي جعفر البصير الموصلي العروضي ، وكان إماما في استخراج المعنى والعروض ، وهو الذي قال له الزجاج يوما وقد سأله عن أشياء من العروض : يا أبا جعفر! لو رأيك الخليل لفرح بك (٣)

وقبل أن ينظر أبو علي في العروض كان يدلل على مسأله بما يعرف من مسائل النحو كجوابه عن خرم متفاعلن (٤) . وتدل كتب أبي علي أنه اتصل بما ألف أبو الحسن الأخفش في القوافي (٥) ، كما أنه اتصل كذلك بما ألف أحمد بن محمد أبو الحسن العروضي ، وكان أماما في العروض (٦) ، وتطالعك معرفة أبي علي للعروض في حديثه هنا وهناك في كتاب الحجة : رأيته يسوق الشاهد الشعري للتحديث في قياس عروضي (٧) أو لأمر يتعلق بالقافية ، تحدث عن الروى ، والتأسيس ، والردف (٨) وفي لزوم ما يلزم (٩) وفي الضرورات الشعرية (١٠) ويسوق تعليقات تتعلق بالعروض أو القافية : لم تعاقبت السين والفاء في مستفعلن التي هي عروض البيت الأول من المنسرح ؟ (١١) ولم وقعت الواو والياء ردفا في قصيدة دون الألف (١٢) ؟ كما دلل على أن الهاء في وزن الشعر وإن كانت خفية تجرى

(١) التطور النحوى للغة العربية : برجستراسر (ص ٥)

(٢) أنظر فهرس المخطوطات المصورة : ٤١٥ وما بعدها .

(٣) معجم الأدباء : ٢٠٤، ٢٠٣/١٨ . (٤) انظر معجم الأدباء : ٢٣٥/٧ وما بعدها .

(٥) انظر التبريزات لوحة ١٨ ولأبي الحسن كتاب القوافي فهرس المخطوطات المصورة : ٤١٦ .

(٦) معجم الأدباء : ٢٣٢/٤ . (٧) الحجة : ٦١/١ البلدية .

(٨) المصدر السابق : ٦٢/١ (٩) نفس المصدر : ٦٣/١ .

(١٠) الحجة : ٧٣/١ . انظر المسكيات : ١٣٤ (١١) الحجة : ٧٠/١ وما بعدها .

(١٢) نفس المصدر : ٧٦/١

يجرى غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها^(١)، وعلى أن الهمزة المخففة في الوزن مثل المحققة^(٢)، واستجاسة حذف الحركة في الزحاف^(٣)، ولفظ وسنط الساكن الأوسط يستعمل ظرفاً، فإذا اضطر الشاعر استعمله اسماً، واستشهد على ذلك بيت للفردق، وآخر للقتال الكلابي^(٤) كما رأيت يشبه فواصل الآيات بالقوافي^(٥) وقد فعل ذلك الرماني^(٦).

وكان لأبي علي أثره عند المشتغلين بالعروض بعده: نقل تعليقه لتعاقب السين والفاء في مستفعلن — السابقة الذكر — الدمهوري في شرح متن الكافي^(٧) كما نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كلام أبي علي لابن جنى فيما يجوز من الضرورة في الشعر، وأورده الدمهوري في آخر حاشيته على متن الكافي^(٨).

وهكذا يضع أبو علي لبنة في صرح العروض الذي ابتدأه الخليل، وانتهى إلى أبي علي، وتسلبه تلاميذه من بعده.

(موقف أبي علي من القراءات التي تخالف مذهبه، وتقويمه)

أقدم بين يدي هذا الموضوع نصوصاً من كتب أبي علي، ثم استنتج منها ما يدل على موقفه من القراءات التي تخالف مذهبه: لتكون الأحكام صادرة عن بيئة لا لبس فيها ولا غموض، ثم اتبع ذلك تقويم ما يذهب إليه أبو علي.

(١) أورد أبو علي في قراءة حمزة: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام»، قوله: «وأما من جر الأرحام فانه عطفه على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن^(٩).

ثم أخذ يدلل على ضعف هذه القراءة في القياس.

(ب) وقال: «وأما قول ابن عامر: «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم»^(١٠). فان الفعل المبني للفعول به أسند إلى القتل، فأعمل المصدر

(١) الحجة: ١٩٩/٢. (٢) ٢٦٧: ١ (٣) (١٦٣/١)

(٤) الحجة: ٢٣٣/١ - ٢٣٤ (٥) انظر الحجة: ٣٥٥/١ البلدية

(٦) انظر النكت في إعجاز القرآن مخطوط بالخزانة التيمورية رقم ٢٩٨ تفسير:

٣٦ - ٣٩ (٧) انظر ص ٦٠ (٨) انظر ص ١١٢.

(٩) الحجة: ٢٢٩/٣ البلدية (١٠) الأنعام آية ١٣٣

عمل الفعل ، وأضافه إلى الفاعل . . . والمعنى « قتل شركائهم أولادهم » ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به ، والمفعول به مفعول المصدر ، وهذا قبيح قليل في الاستعمال ، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى (١) .

(ج) رأى أن إعراب تقاة في قوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة مصدر أوجه من إعرابها حالا مؤكدة ؛ لأن القراءة الأخرى « إلا أن تتقوا منهم تقية » (٢) .

(د) وقال : « وما يجوز ذلك ويسوغه — يشير إلى تحقيق الهمزتين في أنذرتهم ، أن سيبويه زعم أن ابن أبي اسحق كان يحقق الهمزتين وأناس معه (٣) .

(هـ) ويقول في العسكريات : وأما قراءة : ومن وراء اسحق يعقوب (٤) بالفتح ، فلا يخلو من أن تعطفه على الباء المجرورة كأنه أراد أنها بشرت بهما ، أو تحمله على موضع الجار والمجرور على حد من قرأ « وحوار أعيناه بعد » ، يظاف عليهم بكأس ، والوجه الأول ليس بالسهل ؛ لأن الواو عاطفة على حرف جر ، وقد فصل بينهما وبين المعطوف بها بالظروف ، والآخر أيضاً كذلك ، وإن كان الأول أخش ، وهذا كما أعلنتك إنما نجد في الشعر (٥) .

والذي قرأ (يعقوب بالفتح) ابن عامر ، وحزمة من السبعة (٦)

هذه النصوص لها الدلالات الآتية :

١ — أن أبا على أجرى مقاييس العربية على القراءات المروية ، وأصدر أحكام القبح والحسن على هذه القراءات بمقدار ما لها من جريان على القياس . فما اتفق من هذه القراءات مع تلك المقاييس كان حسناً ، وما لم يتفق كان رديئاً !!

٢ — أنه يعتد بأقوال النحاة فيأخذ بها ، ولا يعتد بالقراء السبعة إذا خالفوا في قراءتهم مذهبه النحوى . (انظر العلة في جواز أنذرتها بالتحقيق) .

٣ — أنه يأخذ بقراءة فوق السبعة مادامت دليلاً على ما هو بسبيله من قضية يبرهن عليها : فقارى « إلا أن تتقوا منهم تقية » هو يعقوب بن اسحق الحضرمي (٧) .

- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) الحجة : ١٠١/٤ ن البلدية | (٢) الحجة : ١٧١/١ ن البلدية |
| (٣) الحجة : ٢٥٦/١ ن البلدية | (٤) سورة هود آية ٧١ |
| (٥) العسكريات لوحة : ١٣٥ | (٦) انظر البحر المحيط : ٢٤٤/٥ |
| (٧) انظر النشر : ٢٣٩/٢ وإتحاف فضلاء البشر : ١٧٢ | |

٤ — أن مسلكه في ذلك مسلك القياس والنظر لا مسلك الرواية والآثر .

تقويم مذهب أبي علي : —

أحكام الحسن وأمثاله لا ضير فيها ، ولا حرج منها ، ففي النشر لابن الجزرى مثل هذه الأحكام ، فإذا توافق قياس العربية مع القراءة المروية كان ذلك حسناً^(١)

ولا يدعى القراء أن كل ما في القراءات من الفصاحة على أرفع الدرجات^(٢) لكن الأمر الذي لا يفهم ما يصدره أبو علي وغيره من البصريين ، ومن لف لفهم — من أحكام القبح على قراءة ثبتت بالرواية ، وصحت بالسند ، وأن قراءة من هذه القراءة لحن لا تحمل القراءة بها^(٣) ؛ لأنها لم توافق مذاهب النحاة . والوضع مقلوب بمسلك أبي علي ؛ فالقراءة يحتج بها على قواعد النحاة ومقاييسهم ، لا أن تجرى مقاييس اللغة على ما روى من القراءات . إذا سمع عن العربي أخذ بما قال ، وإذا قرأ القارئ بقراءة صحيحة متصلة بالسند بالرسول ردت لأنها لم تسمع عن العرب ؟ وهل استقصى الرواة كل ما نطق العرب به ؟ إن شيئاً من ذلك ما كان ! وقد كان الأئمة السابقون من متقدمي أهل العربية ينكرون على القارئ قراءته ويلحنونه ؛ لأنهم لم يعرفوا لها وجهاً من كلام العرب ، حتى إذا عرفوا وجهاً أقروها : حكى أبو زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ لم يطمئن لأنس قبلهم ولا جان . قال أبو زيد : « غفلته وقد لحن حتى سمعت العرب بعد ذلك تقول دأبه وشأبه فعلت أن عمراً لم يلحن^(٤) .

وهذه الحكاية مع دلالتها على مذهب النحاة في تقديم ما يرويه العرب على ما يقرأ به القراء — تشير إلى أن كلام العرب لم يُتَقَصَّ كله كما تدل على صحة ما رواه القراء ، ومن المحال أن يصح في القراءات ما لا يسوغ في العربية^(٥) . هذا إلى أن من لحن قراءتهم كانوا موثقين : فقد أطلق على حمزة حبر القرآن^(٦) . وكان شعيب بن حرب يقول : « ألا تسألونني عن الدر . . . يعني قراءة حمزة^(٧) .

(١) النشر : ٤٣٢/١ (٢) انظر منجد المقرئين : ٦٥

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٦٠

(٤) البصريات لوحة : ٥٨ والشيرازيات : ١٥٣

(٥) النشر : ٤٢٩/١ (٦) طبقات القراء : ٢٦٣/١

(٧) معجم الأدباء : ٢٩٢/١٠

وقال سفيان الثوري عنه : « ما قرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر (١) » وقد انصف المقدسي البشارى ابن عامر بما يجب له من التوثيق (٢) .

وما هو ذا ابن جنى كان أسلم موقفاً من شيخه ، ومن أبي العباس المبرد ، يتألفه كتاب المحتسب ، وتصحيحه قراءة حمزة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » حيث قال : « ليست هذه القراءات عندنا من الأبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، بل الأمر فيها دون ذلك ، وأقرب وأخف ، وألطف ، ثم ذكر وجه ذلك (٣) .

وقد كان الكوفيون فى هذا أسلم موقفاً من البصريين على وجه العموم ، وإنك لترى القراء لا يطنن فى القراءة ؛ بل يقول : « فى الوجه الذى يرجحه : « وإنه لأحب الوجهين إلى ، أو نحو ذلك (٤) .

وقيض الله للمذاهب القراءة من النحاة من يحتج لها ، ويأخذ بها كابن يعين (٥) . وابن مالك (٦) . فقد جوز الفصل بين المتضامين بغير الظرف والجار والمجرور ، وقال :

وحجتى قراءة ابن عامر فكتم لها من عاضد وناصر
ودل على ذلك بوجوه :

(١) أن الفصل فضله وهو لذلك صالح لعدم الاعتداد به .

(ب) أنه غير أجنبى معنى لأنه معمول للضاف وهو المصدر .

(ج) أن الفاصل مقدر التأخير ؛ لأن المضاف إليه مقدر التقديم ، لأنه فاعل فى المعنى (٧) .

والمسألة لا تحتاج إل هذه الصناعة فى التخرىج فيكفى -- عندى -- أن تروى عن إمام ، وأن يصح سندها عن الرسول (عليه السلام) .

وقد وقف مثل هذه الوقفة المنصفة أحمد بن منير الاسكندرى (ت ٨٦٨٣) فى رده على الزمخشري (٨) . وكذلك فعل أبو حيان فى البحر المحيظ (٩) . والنيسابورى

(١) النشر : ٢٣٠/١ (٢) انظر أحسن التقاسيم ١٤٢ الطبعة الثانية ط ليدن سنة ١٩٠٩

(٣) انظر الخصائص : ٢٩٤/١

(٤) انظر معانى القرآن للقراء : ٧٤ ، ٧٥

(٥) انظر شرح المفصل : ٧٨/٣ (٦) الاقتراح : ١٥

(٧) النشر : ٢٦٤/٢ وما بعدها

(٨) انظر تفسير الكشاف : ٤١/٢ (٩) البحر المحيظ : ٢٢٩/٤

في غرائب القرآن^(١) . والسيوطي في الاقتراح^(٢) . ومن قبل تعجب الرازي من استشهاد النحاة بالشعر المجهول ، وتركهم الاستشهاد بقراءة في القرآن العظيم^(٣) . وفي زماننا انبرى الأستاذ محمد الخضر حسين (رحمه الله^(٤)) يدفع عن قراءة ابن عامر ، فلم يسلم أن الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ، وبين أن في اللسان الألماني يفصلون بين أداة التعريف ، والمعرف بجمل كثيرة ، وربما كان الفعل مركباً من قطعتين فيضعون القطعة الأولى في صدر الكلام ، ويلقون الأخرى في نهايته ، فيتفق أن يكون بين القطعتين كلمات فوق العشر ، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة ، ولا شبهة أن الارتباط بين هذه الأشياء لا يقل في شدته عن ارتباط المضاف بالمضاف إليه^(٥) .

ولاشك أن الأستاذ (رحمه الله) أراد أن يقيم الدليل — مشكوراً — على صحة هذه القراءة وسوغها بالنظر إلى الأساليب المستعملة في اللغات الحديثة ، وإن كان الأمر يقطع القول فيه بأن هذه القراءات إلى الرسول مسندة ، ومن عند الله منزلة ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، فلا يجوز أن يحكم القياس فيما ثبت بالنقل والرواية^(٦) .

رسم المصحف ، وموقف أبي علي من الاحتجاج به

ما المراد بالرسم هنا ؟ وأي مصحف يريدون ؟ يجب أبو العباس القسطلاني هذين السؤالين فيقول : الرسم الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقرير الابتداء بها ، والوقوف عليها .

والمراد بالمصحف : المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة^(٧) .

وقد وقف القدامى من المحتجين للقراءات مواقف مختلفات بالنسبة لرسم المصحف ، فمنهم من ينظر إليه ، ويعتمد عليه ، ويمنحه فضل اهتمام في الاحتجاج

(١) انظر غرائب القرآن على هامش الطبري : ١٧٦/٤ ، ٣١/٨

(٢) انظر ص ١٧ (٣) انظر تفسير الرازي : ١٩٣/٣

(٤) توفي أثناء طبع هذه الرسالة ، وكان (رحمه الله) من العلماء العاملين في خلق متين ،

وتدين قويم .

(٥) انظر القياس : ٣٠ ، ٣١ (٦) انظر مثلاً الشاطبية : ٧٨ ط ١٣٥١ هـ

(٧) انظر لطائف الاشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني : ٢١١

والتعليل لمذاهب القراء ، ومن المحتجين من لا يعتمد على رسم المصحف ، سالكا سبيل أهل الرأي والنظر في التخريج والاحتجاج ، وقد رأينا قبل موقف سيبويه (١٨٠ هـ) من رسم المصحف ، وأنه يحتج لأوجه القراءة بما هو مرسوم في بعض المصاحف - غير المصحف الإمام - مسمى أصحابها حيناً ، وحيناً يغفل ذلك (١) .
وسنرى موقف القراء (٢٠٧ هـ) من رسم المصحف ، وأنه لا يخضع في كتابه معاني القرآن ، إلى نظرة ذات اتجاه معين أو مطرد ، والملاك العام عنده في ذلك - اتباع الرسم إذا وجد له وجهاً من كلام العرب - أحب إليه من خلافه (٢) .

وكان الزجاج (٣١١ هـ) يلح في مواضع مختلفات من كتابه « معاني القرآن » ، بأن رسم المصحف لا يخالف ، ووجدته يدافع عن كتبة المصاحف من الصحابة (٣) .
كذلك كان ابن خالويه (٢٧٠ هـ) يعتد بالرسم اعتداداً عظيماً حتى بلغ منه في ذلك أنه قال في احتجاجه لمن قرأ : « ثم اتخذتم ، بالإظهار : « أنه أتى بالكلمة على أصلها ، واغتم الثواب على كل حرف منها (٤) » .

رأيت على بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) في كتابه الحروف يعتد برسم المصحف ؛ حتى أنه قال في رد رواية ابن قنبل عن ابن كثير « لا قسم ، على أن اللام لام القسم : وهذه القراءة فيها نظر من وجهين :

أحدهما : حذف الألف التي بعد لا ، وهي في الإمام ثابتة .

والثاني : حذف النون التي تصحب لام القسم (٥) .

أما مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) في الكشف ، وأبو عمرو الداني (٤٤٤ هـ) في الموضح فقد تردد اعتدادهما برسم المصحف في كتابيهما بكثرة ظاهرة ، حتى أشبهت عبارتهما التماذج التعبيرية تلتق هنا وهناك ، وهذا ظاهر عند الداني في الاحتجاج لمذاهب القراء في ذوات الياء من الأسماء والأفعال بما هو مرسوم في المصحف بالياء (٦) .

(١) انظر الكتاب : ٧٤/١ ، ٢٥٨ ، ٤٢٢ ، ٤٨١ ، وانظر البحث الخامس بسبويه والاحتجاج في هذه الرسالة .

(٢) الصاحبى لابن فارس : ١١

(٣) وكان كل الشيخين الطبرى وابن مجاهد يعتد برسم المصحف على النحو الذى سبق به البيان

(٤) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٨ من المخطوطة

(٥) معاني الحروف للرماني لوحة رقم ١

(٦) يراجع الموضح في هذا الباب

بينما يقف هؤلاء جميعاً هذا الموقف إذ أجد أبا علي الفارسي (٢٧٧ هـ) يقف في الجانب الآخر من الرأي ، فلا يكاد^(١) يقول برسم المصحف فيما يسوقه من احتجاج ، فلم يقل برسم المصحف مثلاً في احتجاجه لا تفاق القراء على قراءة لم يتسنه في الوصل بالهاء^(٢) . ، واحتجاجه — تاركا القول برسم المصحف — لقراءة ، والذين اتخذوا مسجداً أضراً ، بالواو وغير الواو^(٣) .

وقد وعدت في غصون الفصول المختلفة التي تعرضت فيها للعالم الكبرى لمنهج أولئك الذين سبقوا أبا علي في الاحتجاج ، أو خلفوا من بعده — وعدت ببيان الرأي الذي أذهب إليه ، وأراه صواباً ، وقد حان الآن وقت الوفاء فأقول : « الملاك العام عندي في هذا الأمر : أن القراءه سنه ، فما خالف منها ظاهر

الخط فلا سبيل إلا إلى القراءة به مرجحين جانب النقل والرواية ، وما وافق منها الرسم فذلك نور على نور^(٤) » وذلك ما يشير إليه أبو شامة (٦٦٥ هـ) حيث يقول : « القراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجردة ، واجبا مالم يعضده نقل ، فإن وافق فيها ونعمت^(٥) .

ويؤكد ما ذكره الداني عن شيوخه عن عاصم الجحدري قال : في الإمام مصحف عثمان في الحجة^(٦) . ولؤلؤاً بالالف ، والتي في الملائك^(٧) . ولؤلؤ خفض بغير ألف^(٨) .

قال الشيخ السخاوي : « وهذا الموضع أول دليل على اتباع النقل في القراءة ؛ لأنهم لو اتبعوا الخط ، وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقروها أي في سورة الحجج بألف : « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ،

(١) اخترت ذلك التعبير لأنني وجدت أبا علي مرة يقول : وجه قول من أثبت في الوصل الألف — من قوله الظنوننا — الرسولا — السببلا — أنها في المصحف كذلك ، وهي رأس آية .
وردهوس الآي تشبه الفواصل من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع الحجة : ١٤٧/٦
(٢) الحجة : ١٥/٣ — ٢٠ ن البلدية وانظر ١/٤٧١ ن مراد ملا
(٣) الحجة : ٣٤٧/٤

(٤) ناقشت الداني في الاحتجاج برسم المصحف في رسالة الماجستير : القراءات واللهجات العربية — الإمامة : فليراجع الفصل الخامس بذلك هناك .

(٦) س ٢٦ آية ٢٢

(٥) إبراز المعاني : ٤٠٦

(٨) المفتح ٤٢ وانظر مورد الطمان : ٢٢

(٧) س ٢٥ آية ٣٣

وفي فاطر بالخفض وجنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ،^(١).
قال أبو عبيد: «لولا الكراهه لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب
إلى، فيكون في الحج بالنصب، وفي فاخر بالخفض، فإنه رسم بالآلف في الحج
خاصة دون فاخر^(٢) يقول ذلك أبو عبيدة، ولكنه لم يقرأه متبعا للنقل لا الرسم.
فالنقل لا الرسم هو الذى يحتج به في هذه الكلمات التى تتصل برسم المصحف،
وإذا أردت تهويم آراء القدامى في مواقفهم المختلفة من الرسم أقول.

«أما سيويه فقد كان على حق دلالة احتج بمصحف ابن مسعود^(٣)،
ومصحف أبي مثلاً^(٤). لأنه احتج بما هو جائز في العربية، موثق بالأسانيد، وإن
خالف رسم المصحف الإمام، ويكفى لتجويز إعراب^٥ ما أن تستشهد بما فى مرسوم
المصاحف التى كانت قبل المصحف الإمام، إذ كانت كما قلت موثقة الأسناد،
لكن لا يقرأ بها لمخالفتها المصحف المجمع عليه.

ومسلك سيويه يبدو طبيعياً؛ إذ كانت صفته الأولى والباقية على الدهر أنه نحوى
ينظر إلى المصاحف على عمومها، محتجا بما جاء فى مرسومها، غير مقيد بمصحف
الإمام ما دامت المصاحف الأخرى كافية فى الاحتجاج على المذاهب العربية
فى فنون الكلام.

وصحيح من القراء، والزجاج، والطبرى أن يرفض كل مخالفة لرسم المصحف
فما يتصل بنقص^(٥) أو تبديل^(٦) ما هو مرسوم بالمصحف الإمام، فهذه المخالفة
المردودة عند القراء بعد الاستقرار على المصحف الإمام، أما القراءات التى يحتملها
الرسم العثماني وكانت ترجع فى أساسها الأولى إلى النقل على النحو الذى فصلت فى
قول الزجاج بالآثر فلا داعى لإقحام الاحتجاج برسم المصحف فيها، فالنص على ذلك
أمر لاضرورة له، وأرجو أن ترجعوا إلى تفسير ذلكم فى مكانه من هذا البحث^(٧).

(١) انظر عقبة اتراب العقائد وشرحها تلخيص الفوائد : ٤٤ ، ٤٥

(٢) ابراز الماني : ٤٠٦ (٣) الكتاب : ٢٥٨/١

(٤) الكتاب : ٤٨١/١ (٥) كقراءة فاذا لا يؤتوا الناس تقيرا

(٦) كقراءة فاذا اطلباً نتم ، كقراءة وإن كاد مكرم لتزول منه الجبال

(٧) وتوضيح ذلك - أنى لا أرى إقحام الاحتجاج بالرسم مثلا - لقراءة من قرأ بالإمالة
ذوات الياء من الأسماء والأفعال ، لأنها رسمت فى المصحف بالياء . فاحتجاج بالنقل وحده
هو العمدة فى ذلك عند أهل الأثر ، ومن هنا يجتمع فى بعض الحروف من أسباب الإمالة =

وأقول لابن خالويه من حيث مسلكه في الاحتجاج مثل ما قلت للزجاج ،
وأزيد : أن ابن خالويه بالغ في أن جعل ثواب الله أكبر بقراءة الإظهار في قوله
تعالى : « ثم اتخذتم ، فان كرم الله لن يضيق بثوابه على التالين لكتابه ، والمتعبدين
بما به ، ولن يكون ضيقاً حرجاً بالإدغام ، وواسعاً عفواً بالإظهار ! فتواب التلاوة
ثابت في كلتا الحالين بقدر ما تخشع القلوب ، وتلين الجلود ١١

وقد بدالى أن أبا على جانب الأثر في احتجاجه وأراد أن يحتج للقراءات
بطريق النظر ؛ فقد دعت الاتجاهات العامة في عصره أن يرد على الملحدن المجادلين
في آيات الله ، وهم لا يعتدون بالأثر ، ولا يقتنعون إلا بالرأى القائم على الحجة
والدليل المنطقي ، فأجرى مقاييس العربية على القراءات ، هذا داع من الدواعي
الدافعة لأبي على أن يسلك مسلكه ، وشيء آخر : لقد كان معاصراً لابن مقسم
(١٥٤ هـ) الذى قرأ — خاطئاً — بكل ما يحتمله رسم المصحف فأبعد كل هذا
أبا على — فيما أرى — عن الاحتجاج بالرسم ، ووثق القراءات الصحيحة السبعة
بجريانها على ركن هام من أركانها ذلك هو قياس العربية ، بجانب الآثار العربية .
فإذا لم يستطع أبو على أن يجرى مقاييس العربية على قراءة من القراءات سلم مضطراً
بأن القراءة سنة ، ثم هو : لا يخفى تسليمه عندئذ من الإشارة إلى أن القراءة بما
يوافق القياس أحسن وأولى .

وإذا أردت تقويم اتجاهه وجدته خيراً وأحسن تأيلاً من سلوك مسالك الأثر
في عصر اشتعلت فيه نيران الجدل ، وتفشته مظاهر الخلاف ، واختلفت فيه النحل ،
وتفرقت فيه الأحزاب طرائق قدداً ، ثم اجتمعوا على الكيد للإسلام فكان لا بد
من اصطناع البراهين التي يسطعون ، واتخاذ الوسائل التي يسلكون ، وإن كان أبو على
قد غالى في ذلك حتى لا يكاد يقول برسم المصحف ، وتجاوزه إلى قياس القراءة على
العروض والقوافي . ويشفع له في ذلك أنه كان عن كتاب الله مناجياً ، ومن هنا لم يكن
غريباً أن ينال تقدير صادق الحكومة أبي العلاء في رسالة الغفران ، فأخلاه من لوم
اللائمين ؛ لأنه يمسئ إلى الله بكتابة الحجة وهو سبب متين (١) .

وأرجو أن يكون مفهوماً — وهذه عقيدة الفارسي — أن ليس معنى انصرافه

== مالا يجتمع في حروف أخرى من جنسها فيميل بعض القراء ما كان سبب الامالة فيه ضعفاً
ويترك ما كان السبب فيه قويا (انظر الامالة لـ كي ورقة ١٤ والموضع للداني ص : ٢٤٧ .

(١) رسالة الغفران : ١٥٤

عن الاحتجاج برسم الامام أنه لا يقول به ركناً من أركان القراء الصحيحة (١) .
ولكنه ترك جانب الأثر إلى غيره من الجوانب التي دعت إليها دواعي العصر الذي
كان يعيش فيه .

مادة الاحتجاج عند أبي علي

في دراساتي السابقة أملت بما يحتج به أبو علي ، وأجمع هنا في إيجاز ما تفرق
في غضون هذه الدراسات .

يورد أبو علي شواهد من القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم محتجاً للقراءات
المختلفة ، أو مقرباً جانب قراءة من هذه القراءات ، أو مفسراً ، أو معرباً ، أو مصرفاً ،
أو متحدثاً في مسائل النحو اللغة ، أو مستدلاً على صحة تعبير وعدم جواز غيره ،
أو مبرهنأ على القضايا المنطقية

وقد عرضت قبل موقفه — في الاحتجاج — من القراءات التي تخالف مذهبه
النحوي ، وقومت اتجاهه عند ذلك ، ومكانه بين السابقين في هذا الموضوع .

أما رسم الصحف فلا يكاد أبو علي يحتج به ، وقد علقت لذلك ، وقومته ،
ووازنت بين موقفه هذا وموقف السالفين والذين خلفوه من النحاة والقراء .

ثم بينت أنه سبق المدرسة الأندلسية ممثلة في ابن خروف ، وابن مالك —
في الاحتجاج بالحديث الشريف ، واعتداده به ، وعلقت لموقفه هذا .

ورأيت أبا علي يأخذ باللهاجات المختلفة ، ويسميا اللغات ، ويحتج بها في توجيه
القراءات (٢) .

كما رأيت يعمد بالكثرة ، ويحتج بها ، ويعدها من أسباب قوة القراءة ، ويختصر
الدليل على هذه النزعة عنده قوله : « حزنته أكثر من أحزنته ، وفي ترك قول الأكثر

ضرب من الاستيحاء (٣) . ويروي قول أبي الحسن : في خرقوا وخرقوا — الخفيفة
أعجب إلى لأنها أكثر ، وبها أقرأ (٤) . وقوله : بشهاب قبس الاضافة أكثر وأجود

في القراءة (٥) .

(١) — معروف بالضرورة بـ لأنه يقول برسم المصحف نادراً وفي هذا اعتراف به صمياً

(٢) انظر مثلاً الحجة : ٧٨/١ ن مراد ملا .

(٣) الحجة ٥/٤ ذ البلدية

(٤) ٧٣/٤ ذ البلدية وانظر ٢٨/٢ في الاحتجاج

(٥) الحجة : ٥٢/٦

قراءة فتلقى آدم من ربه كلمات

وعرفت أبا علي يقدم السماع والرواية على القياس، ثم يحاول أن يجري مقاييس العربية على القراءات المروية فيخرجها بما يتفق مع الصناعة النحوية، وأنه ليلبغ الذروة في ذلك حيث يقول: «ولأنما جاء الكتاب فيما نرى على هذا القياس^(١)». وحيث يقول: «وإذا جاءت الرواية عن العرب^(٢). لم ترد بالقياس»،^(٣).

هذا وكانت عبارة سيبويه في الكتاب بله الشواهد — مادة لاحتجاج أبي علي، ولأنه ليرقى في ذلك حتى ينص على أن التنزيل جاء على الذي استعمله سيبويه^(٤).

فالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي القديم، ولهجات العرب المختلفة، والاعتداد بالكثرة، وتقديم السماع والرواية عن العرب على القياس، وتطبيق القياس على ما نقله القراء، وعبارة سيبويه في الكتاب، كل أولئك كان مادة الاحتجاج عند أبي علي في كتابه الحجة.

ولا أزعجني أنني حصرت كل ما كان منه في ذلك، ولكنني كدت أو قاربت بقدر ما أعاني الجهد والتثبت في الاستقصاء، ومع ذلك فهذه هي الظواهر الكبرى في الاحتجاج تتردد في كثرة تدعو إلى التقييد والتسجيل.

قيمة الحجة:

ألف أبو علي كتاب الحجة للقراءات السبع التي ذكرها ابن بهاهد في كتابه القراءات، ثم قدمه إلى عضد الدولة^(٥). أشهر آل بويه، فوضع الكتاب إذا جليل، والمهدى إليه له مكاتته وسلطانه، والمؤلف له أمامته العلمية في زمانه، وعلى هدى من موضوع الكتاب، ومكانة عضد الدولة، وإمامة أبي علي سار ذكر الحجة إلى أن الكتاب يعد معلية تفتح آفاقا جديدة في فروع الثقافة الإسلامية المختلفة، وقد استظهرت من قبل أن أبا علي ألفه في فترة من الاستقرار والاطمئنان في أخرة من زمانه، وبعد جملة صالحة عن كتبه، فجاء الكتاب مرآة لضلعة أبي علي وبراعته وتبحره وتمكنه من الثقافة الإسلامية، ودرايته، بأساليب العرب، وسنن العربية فهو يجد فيها مادة الدليل، وعنصر التدليل، فهذا قارىء يميل. وآخر لا يميل، وهذا يهزم، وآخر يخفف، وهذا يقرأ الآية بالرفع مثلا، وآخر يقرؤها بالنصب وهكذا

(١) الحجة: ٣٤٨/١ ن مراد ملا (٢) ما بين المرطنين زيادة مني للتوضيح

(٣) الحجة: ٣٦٢/١ ن مراد ملا. (٤) انظر الحجة: ٣٢٢/١ من مراد ملا.

(٥) انظر مقدمة الحجة: ١

وهكذا... فيحتاج لكل ويستشهد، ويورد أقوال القدامى، ويعلق، ويناقش، ويعقب بما يدل على فقهه العربية، ويتابع أدلته دليلاً بعد دليل، كما قد نظم ذلك كله في سلك يعينه وفرة محفوظة، وقوة ذاكراته، وقدرته على جميع الاشباه والنظائر بعضها إلى بعض، مستعيناً بالقرآن، والحديث، وأحكام الشرع، وأقوال الأئمة جميعاً^(١).
 فجاء الحجة موسوعة جامعة لكتب مختلفة في القراءات، والتفسير. واللغة، والنحو، والصرف، ومسائل الخلاف، والاحتجاج لها، والعروض، والشواهد العربية القديمة، مع تفسيرها وشرح لمتنها^(٢).، ولهجات القبائل: فضحاء البين، وقيس^(٣). وطيه^(٤). وأهل الحجاز عامة^(٥). وأهل مكة خاصة^(٦) ومن هنا كان الحجة معتمد القراء، والمفسرين، واللغويين، والنحويين، كما أسلفت بذلك البيان. ولإذ كنا نحرص على تراثنا القديم، ونعمل جاهدين على تتبعه في مظانه من مكنتات العالم، وتحقيقه، وإخراجه إلى النور — فان كتاب الحجة لأبي علي من أنفع ما خلف أسلافنا في الثقافة العربية الإسلامية، ثم هو يشتمل — فيما يشتمل — على كتاب القراءات السبع للامام الحافظ أبي بكر بن مجاهد^(٧). ولئن عصفت الأحداث بكثير مما للإسلام من تراث، وطوت فيما طوته كتاب أبي بكر بن مجاهد هذا — إن كتاب الحجة يهدي إليه، ومن أراد كتاب ابن مجاهد مستقلاً فليجرده، متبعماً له في أجزاء الحجة المختلفة، وبذلك نظفر من تراثنا القديم بأثر يعدُّ أمّاً في أصالته، وتفرده، وأسبقيته، وتوثيقه لقراءات السبعة من أهل الأمصار بالحجاز، والعراق، والشام.

وما كاد اللغوي النحوي محمد بن عثمان بن بلبل (ت ٤١٠ هـ) يذيع الحجة ويرويه^(٨). حتى شغل به الناس قادين منزلته، فسمعه منه ابن بشران النحوي^(٩). وعنى به الأندلسيون عناية ظاهرة: اختصره مكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت ٤٣٧ هـ)^(١٠). في كتاب سماه فيما أورده ياقوت: منتخب الحجة في القراءات

(١) انظر مثلاً الحجة ١٥٦/١ ن مراد بلا، ٥٦/١ ن البلدية

(٢) انظر الحجة: ٢٧٦/١، ١٧٧ ن البلدية (٣) الحجة: ٤٨/١

(٤) المصدر السابق: ٢٤/١

(٥) انظر الحجة: ١/١، ٥٦، ٧٤، ١٧٥، ٣٤٣٢

(٦) الحجة: ٤٤/١ (٧) كشف الظنون: ٢/٢١٤.

(٨) انظر معجم الأدباء: ٢٤٩/١٨ (٩) انظر بنية الوعاة: ٢٢

(١٠) كشف الظنون: ٢/٢٤٤

وجعله في ثلاثين جزءاً^(١). كما اختصره أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأندلسي (ت ٤٥٥ هـ)^(٢). ومحمد بن شريح الرعيثي (ت ٤٧٦ هـ)^(٣). وبمحاشية أحد المصاحف بالخزانة التيمورية مختصر الحججة لم يعلم اسم مختصره^(٤). وتدارس الحججة عدد من مشهورى القراء، والمفسرين، والنحاة، واللغويين^(٥).

وانتقلت العناية بالحججة من الأندلسيين إلى أهل الشام؛ حتى كانوا يقرءونه ويحفظونه في القرن السابع الهجرى^(٦). وكان كتاب الحججة من المصادر التي اعتمد عليها البغدادي في خزائنه^(٧).

ثناء القدماء على الحججة: —

أثنى القدماء على الحججة وأجلوه، سواء في ذلك المؤرخون، والأدباء، والنحويون، واللغويون، والقراء، فأقوالهم تدل على أكبارهم له وإعجابهم به.

قال في ذيل تجارب الأمم: «صنف في أيام عند الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فيها كتاب الحججة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلاله قدر، واشتهار ذكر^(٨)».

ويرى أبو العلاء المعرى أن أبا علي يكتب الحججة حقيق أن يؤخذ بالرفق في الأمر كله، لأنه عمل مالم يعمل مثله الآخرون، وذلك إذ يقول في رسالة الغفران — وقد امرت قوم بأبي علي يطالبونه: «يا قوم! ... لا تعنتوا هذا الشيخ؛ فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف بكتاب الحججة^(٩)».

وفي طبقات النحاة واللغويين: «كتاب الحججة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها^(١٠)». وقال في طبقات القراء: «وألّف أبو علي كتاب

(١) معجم الأدباء: ١٩/١٦٩

(٢) كشف الظنون: ٢/١٩٤ وطبقات القراء: ١/١٦٤ وبغية الوعاة: ١٩٥ وانظر تحفة الاخوان لابن الجزرى: ٧ مخطوطة رقم ٣٠٦ تفسير بالخزانة التيمورية.

(٣) انظر الصلة لابن بشكوال: ٢١٥ مخطوطة رقم ٣٦٢

(٤) انظر المصحف ٢٦٤ قراءات وفهرست الخزانة التيمورية ١/٢٨٩ تفسير

(٥) انظر التمليكات والسماعات التي على نسخة مرادملا الجزء الأول.

(٦) انظر النجوم الزاهرة: ٦/٢٦٧

(٧) انظر إقليد الخزانة ٤٢٥ (٨) ذيل تجارب الأمم: ١٨٣.

(٩) رسالة الغفران: ١٥٢ - ١٥٤

(١٠) طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة الأسدی: ٢٩٥.

الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد^(١)، وتقدم في شهادة القدماء وأقوالهم في أبي على ثناؤهم على مؤلفاته بصفة عامة^(٢). هذه نظرة القدامى إلى كتاب الحجة، وذلك مبلغ انتفاعهم، وحرصهم عليه، وأما عبارة ابن جنى التي تشير إلى أن القراء رفضوا كتاب الحجة، ولم يقبلوا عليه^(٣). فإنها لا تدل على انتقاص الحجة وسوء الرأي فيه فإن جنى أبعاد الناس من أن يرى هذا الرأي في أبي على. وعبارة ابن جنى — فيما أرى تدل على أن الحجة موضوع لخاصة المثقفين من أهل العربية دون عامتهم، ذلك ما يفهم من قول ابن جنى: «وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة فأغمضه، وأطاله حتى منع كثير أمن يدعى العربية — فضلا على القراء — منه وأجفاهم عنه^(٤)». وجفوة هؤلاء ممن يدعى العربية والقراءة عن كتب الحجة لا يضع مكاتته، وأحسب أنه على العكس — يرفع من درجته، ويعلى من قيمته.

وبعد: فلعل الجهود تتضافر لإخراج هذا الكتاب وتحقيقه، ونشره، إذا لافادت الثقافة الإسلامية العربية، وانتفع طلاب العلم به أيما انتفاع. ولا يزال الرأي حسنا في كتاب الحجة وصاحبه حتى هذا الزمان ذكر الأستاذ أحمد تيمور نسخة الحجة المودعة خزانة البلدية بالإسكندرية، وأنها تنقص جزءاً ثم قال: «وقد قرأتها كلها، واستخرجت منها فوائد عزيزة^(٥)». وقراءة تيمور للحجة دليل على تفضنه لهذا الكتاب، واستخراج ما استخرج من فوائد وصفها بأنها عزيزة، ينبه الباحثين إلى ما في الحجة من ذخائر العربية لا تظفر بها من سواه. وجاء في صحيفة الأهرام ما نصه:

«دأبني الدكتور بشر فارس في قاعة المجمع العلمي المصري محاضرة ضمنها نصاً عربياً قديماً في كتاب مخطوط ألفه أبو على الفارسي من أئمة العربية المسلمين في القرن الرابع الهجري، خصصه لبحث مسألة التصوير في الإسلام، مصرحاً بأنه جائز بإجماع لا يقدح فيه اعتراض الآحاد، والحظر فيه مقصور على تصوير الله (سبحانه وتعالى) تصوير الأجسام، فأما غير ذلك من أنواع التصاوير للأحياء فليس محظوراً.

(١) طبقات القراء: ٢٠٧/١ (٢) راجع المتظم: ١٣٨/٧

(٣) راجع المحتسب: ٢٣٦/١ (٤) المحتسب: ٢٨٨/١

(٥) مجلة الهلال سنة ٥٠/٢٨.

وقد طلب كثير من الأدباء المستمعين طبع هذه المحاضرة إذاعة لذلك النص
تفريدا المفيد ، وتعزيرا للنهضة الفنية في الشرق الحديث ، فوعدوا بإجابة طلبهم^(١) .
وقد يكون الباعث على ذلك توجيه الذس إلى نص من نصوص أبي علي يحسم
الخلافا في جواز التصوير ، وربما كانت الغاية منه تفتيه الأذهان إلى جهد المحاضر
في البحث ، وتعمقه في التنقيب والتنقير ، وأيا ما كان الباعث على ذلك المقال فإن
فيه تسجيلا لفضل أبي علي في كل حال .

وقد ذكر المحاضر في كتابه « سر الزخرفة في الإسلام » ، أنه قدم النص^(٢)
بالفرنسية إلى مجلة الجمعية الآسيوية بباريس في ١٠/١١/١٩٥٠ ، ثم بين ما للنص
من شأن ، وما لصاحبه من فحولة بين علماء الإسلام^(٣) .
نسخ الحججة وأما كتبها :

أقدم نسخ الحججة التي أعلم نسخة كتبت في حياة أبي علي سنة ٢٧٤ هـ بخط
كبير جداً كتبها العباس بن أحمد بن أبي مواس ، والذي سلم على الدهر منها مجلدتان :
تحتوى المجلدة الأولى على الأجزاء (٢١ — ٣٢) وتبتدىء من قوله تعالى :
« أو المنافقين في الدك الأسفل من النار »^(٤) وتتمتسى إلى قوله : « بل لله
الأمر جميعاً »^(٥) وجاءت هذه المجلدة في ثلاثمائة وستين ورقة كبيرة الحجم .
ويحتوى المجلدة الأخرى على الأجزاء (٣٣ — ٤٤) مبتدئة من قوله تعالى :
« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ، سورة النساء : آية ١٦٣ ، ومنتهية بأوائل
سورة الزخرف . وبلغ عدد أوراق هذه المجلدة ثلاثمائة وثمانيا وثمانين ورقة
كبيرة الحجم .

وكلنا المجلدتين بشييد على رقم ٢٦ ، ٢٧ .

تلى هذه النسخة في القدم نسخة كتبت سنة ٣١٠ هـ بخط شرقي جميل تقع في ستة

(١) صحيفة الأهرام : ١٠/٣/١٩٥١

(٢) النص يقع في الحججة : ٦٧/٢ — ٦٩ ن البلدية ، وقد تعرضت لذلك النص عند الحديث
من أبي علي المحدث

(٣) انظر نص الزخرفة في الإسلام تمهيد ٣١ — ٣٤ . ويدهمى كاتب مقال (المسلمون
والتصوير) في (مجلة الأزهر جادى الأولى ١٣٧١ هـ المجلد الثالث والعشرون السبق في نشر
نص أبي علي في جواز التصوير لأول مرة واست هنا في مقام تحقيق هذه الدعوى وإن كانت
تفر إلى تنازع الناس فضل كتاب الحججة ، والاعتراف بمجدوى الاتصال به على الباحثين
فى الدراسات الإسلامية جماء

(٤) النساء : آية ١٤٥ (٥) الرعد آية ٣١

مجلدات ينقصها الخامس بمكتبة بلدية الاسكندرية برقم ٣٥٧٠ ع، وبدار الكتب مصورة منها تحت رقم ٤٦٢ قراءات وقام بجمع اللغة العربية بتصوير نسخة منها وأودعها خزائنه .

وفي مكتبة مرادملا باستانبول رقم (٦-٩) نسخة كاملة تقع في أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون النحوى المقرئ^(١) . كتب الاجزاء الثلاثة الأولى سنة ٤٢٧ وكتب الجزء الرابع سنة ٤٢٨ . ويبدأ الجزء الأول من أول سورة البقرة إلى قوله : كن فيكون من سورة البقرة أيضاً^(٢) . في تسع وثلاثين ومائتي ورقة . وبدأ الجزء الثاني ببقية سورة البقرة وينتهي بآخر سورة الأنعام في ست وثلاثين ومائتي ورقة . ويتبدى الجزء الثالث بسورة الأعراف وينتهي بآخر سورة الانبياء في خمسين ومائتي ورقة . أما الجزء الرابع فيبتدىء بسورة الحج ، وينتهي بآخر القرآن في أربع وخمسين ومائتي ورقة .

وعلى الجزء الأول من هذه النسخة تملكات وساعات لرجال من أهل العلم ترجم لهم المؤرخون ، من هؤلاء الذين ملكوا أحمد بن مكتوم (ت ٧٤٩) تليد أبي حيان^(٣) . ويرى توقيعه على هذه النسخة بخطه ، ومن الذين سمعوا الحجة وأقرموها زيد بن الحسن بن زيد الكندى أبو الين النحوى ، اللغوى ، المقرئ ، المحدث ، الحافظ^(٤) . قال أبو الين في ظاهرة هذه النسخة : وكتاب الحجة أحد مقروءاتى على شيخى الامام أبي محمد المعزى النحوى ، عن أبي طاهر المعزى النحوى ، عن أبي عبد الله الآمدى ، عن الربيعى النحوى ، عن أبي على الفارسى ، وكتب زيد بن الحسن بن زيد الكندى أبو الين فى ذى الحجة من سنة ست وستائة . وفى آخر هذه النسخة ساعات عن أبي الين الكندى هذا من خلق كثير منهم : علم الدين السنخاوى المقرئ المفسر النحوى اللغوى شيخ مشايخ الاقراء بدمشق ت ٦٤٣ هـ^(٥) — وأحمد بن تميم بن هشام اللبلى كاتب المسائل المشككة ، والبصريات ، والمنثورة ، والعسكريات لأبى على وأقر هذه الساعات أبو الين الكندى بقوله : هذا صحيح وكتب أبو الين الكندى بخطه^(٦) .

(١) ترجمة فى طبقات القراء : ٣٣٩/١ (٢) آية : ١١٢

(٣) ترجمته فى طبقات القراء : ٧٠/١ ، وبغية الوعاة : ١٤٠ وما بعدها

(٤) ٥٢٠ - ٦١٣ هـ ٥ ترجمة فى طبقات القراء : ٢٩٧/١ وبغية الوعاة : ٣٤٩

(٥) ترجمته فى طبقات القراء : ٥٦٩/١ وما بعدها وبغية الوعاة : ٣٤٩

(٦) انظر الحجة : ٤٧٧/١ مراد ملا

وهذه النسخ الثلاث من المخطوطات المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية
(معهد لإحياء المخطوطات) (١) .

هذا ورأيت بمكتبة جامعة القاهرة مجلدات أربعة من كتاب الحجة مصورة رقم
٢٤٠١٢ وتنتهى المجلدة الأولى إلى قوله تعالى « كن فيكون » (٢) وتبتدىء المجلدة الثانية
من قوله تعالى : « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » (٣) . وتنتهى بقوله تعالى : «
ولما أتيتكم من كتاب وحكمة » (٤) وتبتدىء المجلدة الثالثة بقوله تعالى « وإذا أخذ
ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » (٥) . وآخرها « فأرسل معنا أخانا نكتل
وإناله لحافظون » (٦) أما المجلدة الرابعة فتبتدىء من قوله تعالى : « وما أرسلنا
من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى » (٧) . وتنتهى بقوله تعالى :
« ثم ليقتضوا نفثهم » (٨) .

وهذه المجلدة الأخيرة مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، وكاتبها غير كاتب المجلدات
الثلاث الأولى .

ومن كتاب الحجة جزءان عتيقان كتبنا في القرن الخامس بخط عادى فى مكتبة
بانسكى بور (٩) ، ولعل هذين الجزئين بعض المجلدات الثلاث التى صورها معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة بانسكى بور المذكورة رقم ١١٤ (١٠) .
وبعد : فالأمل معقود على المحققين والباحثين لتحقيق الحجة وإخراجه ونشره ،
وعسى أن تتاح لى الفرصة للاسهام فى هذا العمل الجليل الذى أعرف قدره والمدى
البعيد لجدواه (١١) .

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٨/١

(٢) سورة البقرة : ١١٧

(٣) سورة البقرة : ١١٩

(٤) آل عمران : ٨١

(٥) سورة الاعراف : ١٧٢

(٦) سورة يوسف : ٦٣

(٧) سورة يوسف : ١٠٩

(٨) سورة الحجة : ٣٩

(٩) إقنيد الجزانه : هامش ٤٢

(١٠) أخبرنى الأستاذ محمدرشاد عبد المطلب أن بالأمانة العامة للجامعة العربية (معهد لإحياء
المخطوطات) مجلدات ثلاثا مصورة من مكتبة بانسكى بور رقم ١١٤ . قام سيادته بتصويرها
فى بعثته إلى الهند سنة ١٩٥٢ مندوبا عن المعهد .

(١١) وقد حقق الله رجائى ؛ فكلفت رسمياً تحقيق كتاب الحجة بالاشتراك مع الأستاذين
الجليلين : على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار . والله الموفق لخدمة اللغة العربية
لمنة السكتاب الكريم .

الباب الثالث

دراسات مقارنة

الفصل الأول

بين الفراء والفارسي في الاحتجاج

اشتغل أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (يرحمه الله) بالبحوث القرآنية، فكان له غير معاني القرآن — المصادر في القرآن، والجمع والتثنية في القرآن^(١)، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف^(٢).

وكان إلى جانب ذلك يروى الحروف، ويجلس للإقراء، وتروى القراءة عنه: روى الحروف عن أبي بكر بن عياش راوى عاصم أحد القراء السبعة^(٣)، كما روى عن علي بن حمزة الكسائي^(٤)، ومن تلاميذه الذين رووا عنه: سلبة بن عاصم، ومحمد بن الجهم^(٥). ومحمد بن الجهم هذا هو الذي روى كتاب معاني القرآن^(٦).

ولعل من الأسباب التي دعت إلى اشتغال الفراء بهذه الدراسات القرآنية أنه كان مولى لبني أسد^(٧) من أهل الكوفة^(٨)، وبنو أسد، وأهل الكوفة لهم سبق مذكور في القراءة والإقراء، ومن مشهورهم: زربن حُبَيْش الأسدي الكوفي (ت ٨٢ هـ)، وأبو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي (ت ٩٦ هـ)^(٩)، وهما شيخان لعاصم الأسدي مولاهم الكوفي (ت ١٢٧ هـ)^(١٠). ثم كان بالكوفة حمزة (١٥٦ هـ)^(١١)، وتلميذه الكسائي الأسدي مولاهم الكوفي (١٨٩ هـ)^(١٢)، وكل هؤلاء إمام في القراءة والإقراء.

- | | |
|------------------------------|---------------------------------------|
| (١) الفهرست : ١٠٠ | (٢) معجم الأدباء : ١٣/٢٠ |
| (٣) طبقات الفراء : ٣٢٧/١ | (٤) طبقات القراء : ٣٧١/١ |
| (٥) المصدر السابق | (٦) انظر معاني القرآن ص ١ ط دار الكتب |
| (٧) معجم الأدباء : ١٠ ، ٩/٢٠ | (٨) نزعة الألباء : ٦٦ |
| (٩) طبقات القراء : ٢٩٤/١ | (١٠) ٣٤٢/١ |
| (١١) طبقات الفراء : ٢٨١/١ | (١٢) طبقات : ٥٤٥-٥٣٥/١ |

وكان الفراء يعقد مجالس للاملاء أول النهار من أيام الثلاثاءات والجمع في شهر رمضان ، وقد أملى على الناس كتابه « معاني القرآن » في هذه المجالس من شهر سنة اثنتين ، وفي شهر سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين (١) .
وذهب الفراء حاجا سنة ٢٠٦ (٢) ، وتوفي بطريق مكة (٣) سنة سبع ومائتين (٤) ، بعد دخول المأمون العراق بثلاث سنوات (٥) ، توفي الفراء وعمره ثلاث وستون (٦) ، ومعنى هذا أن كتاب المعاني أملى على الناس والفراء يدرج نحو الستين : أى بعد استقراره الذهني والمذهبي ، وإذن فهذا الكتاب : كتاب معاني القرآن يمثل المرحلة التي انتهى إليها علم الفراء في الثقافة العربية على وجه عام . ولهذا الاستنتاج أهميته في تفهيم الآراء التي صدرت عنه : ما كان منها متصلا باتجاهاته اللغوية والنحوية ، وما كان متصلا بالبحوث القرآنية ، وهو ما سأعرض له في هذا الفصل بالبيان

ومعاني القرآن كتاب للفراء يكشف عن مذاهب القراء من الكوفيين في الاحتجاج في تلك الحقبة التي سبقت عصر ابن مجاهد أولا — الى جانب ما يكشف عنه — ثانياً — من خصائص نحاتهم ، والسمات العامة لمنهجهم . وكلا الأمرين يتصل بهذا البحث الاتصال الوثيق . ثم هو بعد يمثل حلقة من الحلقات المتتابعة في الدراسات القرآنية — سبقت أبا على الفارسي بما يقرب من قرن ونصف من الزمان .
على أن لكل من الرجلين موقفاً يخالف موقف الآخر نحو القراءات التي لم تتواتر ونحو الاحتجاج بها ، وبرسم المصحف والاعتداد به — أى في الاحتجاج — ، وهو ما يبيحه لي الحديث عن معاني القرآن وتناول هذه النواحي منه بالبيان . هذا إلى جعل أسلوب الشيخين في الكتابين موضعاً للوازنة والتعليل . على أن أبا على قد قرأ كتاب المعاني على ابن مجاهد :

قال ابن جنى : أخبرنا — أى أبو على — بما في كتاب المعاني عن أبي اسحق إبراهيم بن السري الزجاج سماعاً منه ، وبمعاني الفراء عن ابن مجاهد عن الفراء (٧) :

(١) معاني القرآن ١ ط دار الكتب (٢) طبقات القراء : ٣٦١/٢
(٣) الفهرست : ١٠٠ (٤) وردت سنة الوفاة خطأ في كتاب طبقات
الزبيدي المطبوع أخيراً (سبع ومائتين ومائة) ولم ينتبه إليه المحقق .
(٥) نزهة الألباء : ٧٠ (٦) معجم الأدباء : ١٣/٢٠
(٧) المحتسب : ١٠/١

فاذا أضيف إلى ذلك كله مكانة كل من الرجلين في التاريخ النحوى، وما قرره المؤرخون من أن الفراء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى (١)، وأنه ما كان بين سيويوه وأبى على أفضل منه (٢) — إذا كان كذلك علمنا أهمية دراستى لمعانى القرآن بجانب دراستى لآثار الفارسي .

والفراء لم يقصد فى كتابه «معانى القرآن» إلى الاحتجاج للقراءات، حقيقة هو يحتاج لكثير من القراءات التى وردت فى القرآن الكريم، ولكن احتجاجة هذا جاء تبعاً للغرض الأول الذى من أجله ألف الكتاب، والذى بسببه أسماه: «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه»، فان كان فى الآية مشكل إعرابى أو معنوى، وكان توضيحه يدعو إلى توجيه القراءات فيه تعرض للاحتجاج، ومن هنا نراه لا يلتزم الموالاة فى عرض كتاب الله، يتحدث عن تفسير كلمة أو جملة من آية، ثم يتخطى بعض أحرف بعدها، ليعود إلى التحدث بعد ذلك فى تفسير مشكل أو إعرابه، وقد تكون بالحروف التى تخطاها قراءات، واختلاف فيها الأئمة القراء، ولكنه يتركها، لأنها لا تتصل بالغرض الذى إليه قصد من تأليف الكتاب، والذى ندبه إليه «عمر بن بكير» (٣)، فهو يتحدث عن قوله تعالى: «الحمد لله» (٤)، وينتقل بعدها إلى الحديث عن قوله: عليهم (٥)؛ تاركا الحديث عن القراءات فى: مالك (٦) والصراط، مع أن فيهما قراءات (٧).

كما يتحدث عن قراءتى الرفع والنصب فى (فيضاعفه) من قوله تعالى فى سورة البقرة: «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له» (٨)، وينتقل بعدها إلى قوله تعالى: «ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله» ويترك الحديث عن القراءات المختلفة فى (فيضاعفه) من حيث حذف الألف، وتشديد العين، ثم لا يذكر شيئاً عن القراءات فى قوله تعالى: يبسط (٩). مع أن ابن مجاهد روى أنها بالسين فيما حدث به الفراء نفسه عن الكسائى (١٠).

وآية أنه لم يقصد إلى الاحتجاج — أيضاً — أنه يشير إلى القراء — أحيانا —

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (١) بنية الوعاة: ٤١١ | (٢) نزهة الألباء: ٢٠٩ |
| (٣) الفهرست: ٩٩ | (٤) سورة الفاتحة: ٣ |
| (٥) ص: ٥ | (٦) الحجية: ٤/١ مراد ملا |
| (٧) انظر الحجية: ٣٠/١ مراد لا. | (٨) ص: ١٥٧ |
| (٩) انظر النمر: ٢٢٨/٢ | (١٠) انظر طبقات القراء: ٣٧٢/٢ |

إشارة غير معينة ؛ فتراه يأتي بها مجملة من غير ذكر للأسماء ، وذلك إذ يقول — مثلا — والقراء تقرأ^(١) ، وبعضهم يقرأ كذا^(٢) ، أو يقول : وبعض من قراء أهل المدينة^(٣) الخ . . .

ويظهر أنه كانت له قراءة ، فتراه يقول مثلا : وفي قراءة^(٤) ، وقد روى محمد بن الجهم عنه ما يعزز ذلك^(٥) . ويبدو كذلك أن مذهبه في القراءات لم يكتب له الاختيار من أبي بكر بن مجاهد كما كتب لأستاذه : حمزة والكسائي^(٦) . والقراء إلى جانب ذلك مذكور بين علماء الكوفيين^(٧) ، بل هو رأس الطبقة الثالثة من نجاحهم^(٨) ، حتى لقب في النحو بأمر المؤمنين^(٩) .

وكان لهذه الدراسات الكوفية أثرها ومظهرها في معاني القرآن للقراء :

(١) فهو يصطنع اصطلاحات الكوفيين التي اشتهروا بها . وأخذت عنهم .

ومن هذه الاصطلاحات : مردود^(١٠) أي معطوف ، وينصب ويخفض^(١١)

فيا يقابل يفتح ويكسر ، ويذكر القطع ويريد به الحال ، والصفة ويريد بها حرف الجر^(١٢) ، والجارى (للمصرف) ، وغير الجارى (للمنوع من الصرف)^(١٣) ، والعماد لضمير الفصل عند البصريين^(١٤) ، والتبيان ويريد به الاظهار عند البصريين^(١٥) ، وواو الصرف . وهي التي في نحو قول الشاعر : لا تنه عن خلق وتأني مثله^(١٦) .

(٢) وقد وردت في معاني القرآن كلمة مبيوع بدل مبيع^(١٧) .

(٣) ويقيس على الشواهد الفردية من كلام العرب ، ويبني على هذه الشواهد قواعده سواء كانت هذه الشواهد شعراً أم نثراً ، فتراه يحتج بالبيت الذي لا يعرف قائله : كأن يقول : أنشدني بعض العرب^(١٨) ، وأنشدني آخر^(١٩) ، وأنشدني بعضهم ، من غير تعيين القائل ولا قبيلته . وأحيانا يعين القبيلة دون تعيين القائل منها ، فيقول — مثلا — أنشدني بعض ربيعة^(٢٠) وبعض

(٢) ص : ٢٠٧

(١) ص : ٧٧

(٣) انظر مثلا ١٧ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٨٢

(٥) انظر طبقات القراء : ٣٨١/٢

(٤) معاني القرآن : ٢٨

(٧) الفهرست لابن النديم : ٩٨

(٦) انظر اراز المعاني ص ٥

(٩) أخبار النحويين لسيرافي : ١٢٦

(٨) طبقات الزبيدي : ١٤٣

(١١) ٩٨-١٧ (١٢) ٣١

(١٠) معاني القرآن : ١٧

(١٦) ٣٤ (١٧) ١٨

(١٤) ٥١ (١٣) ٤٢

(١٩) ٣٢ (٢٠) ٥٦

(١٨) ٣٢ ، ٤٤ ، ٧٢ ، ٢١٢ (١٧) ٣٠

بني عقيل (١) ، وبعض بني أسد (٢) ، وعكل (٣) .
وأحياناً يسمى من أنشده : كلقام بن معن (٤) ، وسليمان بن عينه (٥) ،
وأبو ثروان (٦) ، والمفضل (٧) ، كما ينشده يونس بن حبيب (٨) ، والكسائي (٩) .
وبعض هذه الشواهد أوردها للدلالة على أن موضع الشاهد فيها كثير في كلام
العرب (١٠) . ومن أمثلة الشواهد الثرية ما أورد من أنه سمع بعض بني الحارث
يقول : « كان به جرب فنشر . أى عاد وحجى (١١) . ويرد البصريون الشواهد الفردية
أو الشواهد غير المعروف قائلها ، فلا يقيسون بها ، ولا يبنون قواعدم عليها (١٢) .
(٤) وهناك ظاهرة استرعت نظري ، ذلك أني رأيت يشير في كثرة إلى قراءة
عبدالله (١٣) ويشير إلى قراءة أبي أقل من إشارته إلى عبدالله ، ولكنها كثيرة بالنسبة
إلى ابن عباس (١٤) ، والحسن البصرى (١٥) ، وحمزة الزيات (١٦) ويحيى بن وثاب (١٧) ،
والمفضل عن عاصم أبي النجود (١٨) ، وزهير الفرقي (١٩) ، وأبي حمفر محمد بن على
ابن الحسين (٢٠) ، وعمر بن الخطاب (٢١) ، ومجاهد (٢٢) ، فالإشارة إلى هؤلاء قليلة
نادرة ، ومن الملاحظ أن أغلبهم كوفيون ، ولهذا أهميته ؛ ذلك لأننا نستطيع بهذا
أن نتعرف على اتجاهات قراء الكوفة ، بعد أن عرفنا اتجاهات نحاتها ، وقد رأينا
من قبل كيف أن سيويوه يشير إلى تجويد قراءات أغلب أصحابها بصريون ،
وقد دعوت إلى اختبار هذه القراءات ودراستها ، وهنا أدعو إلى مثل هذه الدعوة
بجاناب شيخ النحاة الكوفيين ، كما دعوت إليها بجانب إمام النحاة أجمعين .

هذا وتعليل الاشارة الكثيرة إلى عبد الله — وهو عبد الله بن مسعود — أمر
ميسور ؛ ذلك لأنه إليه تنتهى قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي (٢٣) ، الكوفيين .
وقد عرفت بمكانة هؤلاء وأثرهم في الشيخ القراء . هذه واحدة ، والأخرى أنه لم يكن
أحد من أهل الكوفة يرغب عن قراءة ابن مسعود (٢٤) فيما يقول حذيفة بن اليمان ،

١٣٦،٦٨ (٤)	١٨٢ (٣)	٦٨ (٢)	٦٧ (١)
١٢٧ (٨)	٦١ (٧)	٥٦ (٦)	٢٢٢ (٥)
١٢٦ (١٠) انظر مثلاً		١٠٣،٩١،٨٠ (٩)	
١٢٦ (١١) وانظر ص ٥١ (١٢) راجع الانصاف في مسائل الخلاف ١/٢٥١، ٢/٣٤٦،			
٢٨٠ مثلاً		(١٣) انظر مثلاً ص ٢٨، ٣١، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٧٣، ٧٨، ٨٧، ١٠٦،	
١٥٦ الخ ...	٧٥ (١٤)	٩٦،٧٠ (١٥)	٧٠ (١٦)
١٨٨ (٢٢)	١٥٠ (٢١)	٧٥،٨٥ (٢٠)	٤٢ (١٩)
٢٣) طبقات القراء : ٤٥٩/١		٢٤) انظر المصاحف للسجستاني : ٣٥	

فاذا اجتمع إلى ذلك أن له كتاب ، اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف^(١) فهنا السر في الإشارة إلى قراءة عبد الله بن مسعود هذه الإشارة الظاهرة ، وأكثر هذه القراءات التي أشار إليها الفراء قراءات شاذة ، وقد احتج بها ، وعلى سبيل المثال لم ترد قراءة عبد الله : «لأن تخافوا ألا يقبأ حدود الله»^(٢) بين القراءات العشر^(٣) . وكذلك لم ترد «وإن كان ذا عسرة»^(٤) . وهذه القراءة لعبد الله . كما له أيضاً قراءة : «وأولوا العلم القائم بالقسط»^(٥) ، ولم ترد في العشر أيضاً^(٦) .

* * *

وهذه أمثلة توضح منهج الفراء في الاحتجاج بالقراءات الشاذة — وهو منهج سليم^(٧) — ثم هو يتفق مع منهج الكوفيين في الاحتجاج بالمثال الواحد ، والبيت الذي لا يعرف قائله ، فإذا كان هذا شأنهم مع الشواهد التي قالها العرب فما بالك بقراءة مذنوبة إلى قارئها ، مشهور بين الناس أمرها ، متصلة بالرسول في سندها ، موافقة للعربية على وجه من وجوهها ؟

ومن هنا أيضاً رأيت الفراء يجوز القراءات التي تميزها الصنعة الاعرابية ، واللغوية ، فتراه يقول — في كثرة ظاهرة — ولو قرأ قارئ بكذا — كان صواباً . . كما ذكر في قوله تعالى : «قد كان لكم آية في فتنتين التقافتة تقاتل»^(٨) ، قرئت بالرفع وهو وجه الكلام على معنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله^(٩) (وأخرى كافرة) على الاستئناف كما قال الشاعر :

فكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
ولو خففت لكان جيداً : ترده على الخفض الأول كأنك قلت : كذي رجلين :
كذي رجل صحيحة ورجل سليمة . وكذلك يجوز خفض الفتنة والأخرى
على أول الكلام .

- (١) معجم الأدباء : ١٣/٢٠
معاني القرآن .
(٢) سورة البقرة : ٢٢٩ وانظر ١٤٥
(٣) انظر النسر : ٢٣٨/٢
(٤) معاني القرآن ١٨٦ وانظر النسر : ٢٣٦/٢
(٥) معاني القرآن : ٢٠٠
(٦) انظر النسر : ٢٣٨/٢
(٧) سأزيد ذلك بيانا في موضع آخر
(٨) سورة آل عمران : ١٣
(٩) معاني القرآن ص ١٩٢

ولو قلت : ففة « تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، كان صواباً على قولك : التقنا مختلفتين » (١) وكما قال عند قوله تعالى : « هب لي من لدنك ذرية طيبة » الذرية جمع ، وقد تكون في معنى واحد ، فهذا من ذلك ، لأنه قد قال : « هب لي من لدنك ولياً ، ولم يقل أولياء وإنما قيل ذرية طيبة ، ولم يقل طيباً ، لأن الطيبة أخرجت على لفظ الذرية فأثنت لتأنيثها ، ولو قيل ذرية طيباً كان صواباً » (٢) .

وإذن فالملك العام عنده — الاعتداد بالشاذ ، وتصويب القراءة ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية — كما رأيت — ومن هنا نراه يحتج لقراءة صحيحة بقراءة شذذت — فيما بعد — كاحتجاجه لرفع الحق ، من قوله تعالى : « ذلك عيسى بن مريم قول الحق ، قال : رفعه حمزة والكسائي ، وجعلنا الحق هو الله تبارك وتعالى) لأنها في حرف عبد الله ، « ذلك عيسى ابن مريم قال الله ، كقولك : كلمة الله ، فيجعلون » قال ، بمنزلة القول ، كما قالوا : العاب والعيب » (٣) .

وبعد أن أورد قول الله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » (٤) قال : رفع — أي الملائكة — مردود على (الله) تبارك وتعالى ، وقد خفضها بعض أهل المدينة (٥) ، « يريد في ظلل من الغمام وفي الملائكة ، والرفع أجود ؛ لأنها في قراءة عبد الله : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام » (٦) .

وقد أعطانا الفراء هذا الملك العام في قوله : « والكتاب أعرب وأقوى في الحجية من الشعر » (٧) كما نراه يقف من القراءات التي لا توافق مذهبه موقفاً سليماً لا يهاجم فيه — بل يعترف به في لطف كأن يقول : « وأنه لأحب الوجهين إلى (٨) » ، أو يقول : « والرفع أحب إلى من الجزم في قراءة من قرأ : « لا يمحزنهم الفزع الأكبر ، ومن قرأ : « أنزل مكموها وأنتم لها كارهون » (٩) . فأنت ترى أن كلا من الوجهين

(١) ص ١٩٢

(٢) معاني القرآن : ٢٠٨ ، وانظر في مثل ذلك من معاني القرآن ص ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ (٣) معاني القرآن ص ١٠٥ (٤) سورة البقرة : ٢١٠

(٥) هو أبو جعفر يزيد بن القمقاع انظر البحر : ٢ / ٣٢٥

(٦) معاني القرآن : ١٣٤ (٧) معاني القرآن : ١٤٠

(٨) معاني القرآن : ٧٥ (٩) معاني القرآن : ٨٨

حبيب إليه ، ولكن أحدهما أحب إليه من الآخر ، ومبعث هذا عنده ما يراه في صحة القراءات جمعا ، وذلك قوله في سلامة من العقيدة : « ولم يجتمع في قراءتنا وفي قراءة أبي لإعلى صواب والله أعلم »^(١) .

* * *

وغاية ما يبدو منه إذا لم يسترح إلى قراءة أن يقول : « ولست أشتهى ذلك »^(٢) أو يقول : « ولا يعجبني ذلك »^(٣) ، وهنا نراه ينفي حبه وإعجابه ، ولكن ليس في قسوة البصريين الذين قالوا في قراءة لعبد الله بن عامر : « هي واهية ، والقارىء بها واهم »^(٤) ؟ وقد رأينا مواقف أبي على الفارسي نحو القراءات التي تخالف مذهبه ، وهو يتجه في سمتة العامة اتجاه البصريين^(٥) .

* * *

(٥) والفراء يستفتى في — معاني القرآن — روح العربية — فهذا وجه من الأوجه كثير الدوران في الكلام ، خفيف على الألسنة . ولذلك نطق به ، ويجعل الخفة ، وكثرة الدوران سبباً من أسباب الاحتجاج ، أو وسيلة إلى توجيه قراءة من القراءات^(٦) .

* * *

(٦) أما القياس واستغلاله في الاحتجاج ، فواضح في كتاب معاني القرآن ، تراه مثلاً يقيس خفض الدال من قوله : الحمد لله على اجتماع الكسرتين في إِبِل^(٧) ، ويقيس رفع الدال في قراءة من قرأ : الحمد لله على المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل : الحُمُّ والعُقْب . وانظر قياسه كسر الصاد في صاد على خفض النون من «رجلان» ، وفتح النون في «نون» ، و«القلم» على «المسلمون»^(٨) .

-
- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١) معاني القرآن : ١٠٦ | (٢) معاني القرآن : ١٢٥ |
| (٣) معاني القرآن : ١٤٥ | (٤) الانصاف : ٢٥٢/١ |
| (٥) انظر الفصل الخاص بذلك | (٦) معاني القرآن انظر ص . |
| (٧) معاني القرآن : ٣ | |
| (٨) معاني القرآن : ١٠ | |

وأحياناً يعطى قاعدة عامة تنتظم مسائل كثيرة متشابهة ثم يقول : فأجر الكلام على هذا (١) ، أو يقول : فابن على هذا (٢) .

وواضح من هذا أنه يدعو إلى القياس على الكثير الشائع ، ومعلوم من مذهب الكوفيين أنهم يقيسون أيضاً — على القليل النادر ، ولكن الفراء يعلن أنه لا يستحب القياس عليه ، وذلك ما توحى به عبارته التي ذكرها في الجمع بين صيغة الأفعال والباء — في قراءة من قرأ : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » (٣) ، حيث قال : ولست أستحب ذلك لقلته ، (٤) ،

* * *

(٧) أما موقفه من النحاة السابقين فإنا نراه يثنى على شيخ الكوفيين : أبي حمفر الرؤاسي — حيث يقول : « وقد قرأها — ألم الله — رجل من النحويين وهو أبو جعفر الرؤاسي — وكان رجلاً صالحاً » (٥) .
وليس معنى ذلك أنه جرى على هذا الثناء لشيوخته ، فقد رأيت يتبع أستاذه الكسائي ، يعرض آراءه ، ويردها حيناً (٦) ، كما رأيت يعرضها ويدلل عليها (٧) .

* * *

ولا ينظر إلى البصريين ، ولا يستشهد بسببويه إلا في الأقل الأندر ، وأبو عبيدة — وهو بصرى — غير موثق عنده — فقد أورد في معاني القرآن قوله : قال بعض من لا يعرف العربية إن معنى غير في الحمد (سورة الفاتحة) معنى سوى ، وأن دلاء صلة في الكلام ، واحتج بقول الشاعر :
في بئر لا حور سرى وما شعر (٨)
ومن لا يعرف العربية هنا هو أبو عبيدة (٩) .

* * *

(١) معاني القرآن : ١٥

(٢) المصدر السابق وانظر مثلاً ص ٨١ ، ٩٣

(٣) سورة النور : ٤٣ (٤) معاني القرآن ص ١٩

(٥) معاني القرآن ٩ (٦) انظر معاني القرآن : ٣٢

(٧) انظر : ٥٨ ، ٥٦ (٨) معاني القرآن : ٨

(٩) انظر اللسان (غير)

ويظهر أن أبا عبيدة قد تناولته السنة كثيرة بعدم التوثيق^(١)، فربما كان الدافع للفراء ما في الرجل من شخصيته، لا مذهبه في بصريته .
وقد اتخذ موقف الفراء من رسم المصحف، والاعتماد عليه في الاحتجاج مظاهر مختلفة ألخص معالمها الكبرى في النقاط الآتية :

(أ) فهو حينما يعلل لرسم كتاب المصاحف « بسم الله الرحمن الرحيم » من غير ألف، ورسمهم : فسبح باسم ربك العظيم بألف^(٢) .

(ب) وقد تكون القراءة صحيحة خالفت رسم المصحف — المخالفة الجائزة على النحو الذي بينته في فصل سابق — فيحتاج لها الفراء^(٣) .

(ج) وقد يرتضى القراءة الشاذة التي تجوزها العربية وإن كانت مخالفة للرسم^(٤) .

(د) وقد ينفي شهورته (كذا) قراءة صحيحة ؛ لأنها مخالفة للرسم^(٥) .

(هـ) ويحتج لرجوع الكسائي عن قراءة إلى أخرى بموافقتها قراءة العامة ، والكتاب^(٦) .

* * *

وهو — كما ترى — اتجاه لا يخضع لنظام معين ، أو نظرة مطردة ، إذ هو حينما يرتضى ما يخالف الرسم ، وأحياناً يشير إلى موافقة الكتاب فيحتاج برسمه .
على أن الاتجاه — في أغلبه — يدل على أنه معتد بالرسم إذا وجد له وجهاً من كلام العرب^(٧) وذلك يجعله بين أهل الأثر، ويبعده عن أصحاب القياس والنظر .

* * *

هذا والمترجمون للفراء يقولون : « أنه كان يتفلسف في تصانيفه »^(٨) ، ولعل صحبته لتامة بن الأشرس أثرت في ذلك^(٩) ، وقد ألف الفراء كتاب « الحدود » ولا أستطيع أن أحكم على أسلوبه فيه لاني لم أطلع عليه ، إلا أن اسمه يوحى بمنطق ،

- | | |
|------------------------------|------------------------|
| (١) طبقات انظر الزبيدي : ١٩٢ | (٢) ص ٢ |
| (٣) معاني القرآن : ٨٨ | (٤) معاني القرآن : ٩٦ |
| (٥) معاني القرآن : ١٢٥ | (٦) معاني القرآن : ٢٠٢ |
| (٧) الصاحي : ١١ | (٨) بقية الوعاة : ٤١١ |
| (٩) نزعة الألباء : ٦٨ | |

وقد أورد ابن التديم مسائل هذا الكتاب ، وهي تعاريف لأبواب العربية والنحو ، فعمله كان في هذه التعاريف جامعاً مانعاً كما يقول المنطقيون .

على أنى — فيما قرأت — من معانى القرآن للفراء لم أجد نصاً يشير إلى هذا التفلسف ، وربما كان ذلك — إن صح — في كتبه الأخرى ، وربما كان السبب في بعده عن التفلسف في معانى القرآن — ميله إلى الايضاح الذى دعت إليه دواع أفصلها فيما يلي (١) :

يبدو أن الفراء آثر — في كتابه معانى القرآن — البيان والايضاح في أسلوبه متأثراً بما يسطنعه المؤدبون ، فقد حدثنا المترجمون أنه كان مؤدباً لولدى المأمون (٢) ، إلى أن كتابه معنون بتفسير المشكل وما أحوج مثل ذلك إلى الأسلوب السهل حتى يزيل من إشكاله ، ويفتح المغاليق من أقفاله ، وسبب ثالث أراه دعا الفراء إلى أن يسلك أوضح المسالك ، ذلك أنه ألف الكتاب ملياً على خلائق كثير من الناس ، وقد هم أبو بريدة الوضاحى أن يعدّم فلم يضبط عددهم (٣) ، وموقف الاملاء على مثل هؤلاء وأكثر الناس — من العامة — يدعو إلى التبسط في المقال ؛ مراعاة لمقتضى الحال .

وكان في طبيعة الفراء سماحة ، كان أكثر مقامه في بغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة ، فأقام بها أربعين يوماً يفرق في أهله ما جمعه (٤) ، كما كان في خلق الفراء لإسباح ، وذلك ما تحدثني به عبارة د أبو بريدة ، عندما خزن الوراقون كتاب المعانى عن الناس ليتكسبوا به ، وأغلوا نسنخه حتى جعلوه درهما عن كل خمسة أوراق ، وشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين وكلهم في ذلك ، وقال عبارته التى أستنتج منها سجاخته د قاربوا الناس تنفخوا ، وتنتفخوا (٥) ، ورجل هذه نزعتة في الخير ، وذلك حبه لمقاربة الناس — خليق بأن يزيل عنهم فيما يمليه الغموض والالباس ، تقرأ ذلك أيضاً في عبارته التى يهدد بها الوراقين عندما أبوا عليه دعوته في مقاربة الناس: إني أريد أن أملى كتاب معانى أتم شرحاً ، وأبسط قولاً من الذى أمليت قلاً (٦) .

(١) الفهرست : ١٠٠

(٢) معجم الأدباء : ١٢/٢٠

(٣) نزهة الألباء : ٦٧

(٤) معجم الأدباء : ١٢/٢

(٥) بنية الوعاة : ٤١١

(٦) معجم الأدباء : ١٣/٢٠

ولوقوفه موقف المعلم الموضح نراه يجيل الكلام على صورة حوار .
قال — في قوله تعالى « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » (١) — يقول القائل
« وإنما تقتلون » للمستقبل فكيف قال . من قبل ؟ ... ثم أخذ يجيب بضرب الأمثلة
الموضحة من القرآن الكريم والشعر (٢) ، وربما قال في نهاية حديثه عن مشكل ... :
وفي هذا بيان (٣) .

ومن أجل ذلك وردت قواعد عامة في كلام الفراء ، كأنه يريد بهذه القواعد
تيسير الأمر على الناس بضم أشتات العلم في قواعد وتطبيق على مسائل متعددة كأن
يقول « وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحدأ فأجزه (٤) » ، أو يقول . وإن العرب
لتجتمع بين الحرفين ولإنهما لواحد إذا اختلف لفظهما كما قال عدى بن زيد .

وقدمت الأديم لراهشيه (٥) وألني قولها كذباً وميناً

وقولهم . بعدا وسحقا ، والبعد والسحق واحد .

وكأن يقول وقد تجعل العرب « ما » في بعض الكلام للناس ،
وليس بالكثير (٦) .

وبعد ، فكثير من الباحثين ينسبون إلى ابن السراج أنه أول من وضع أصول
العربية والنحو في كتابه الأصول ، وقد ذكر شيئاً من ذلك محققو كتاب « سر صناعة
الاعراب » في مقدمته (٧) ولا بد هنا أن نعترف « ليحيى بن زياد الفراء » في هذا
الميدان ، وأنه سبق ابن السراج في وضع أصول العربية بنحو قرن من الزمان ،
ولعل هذه القواعد العامة — وأمثالها كثير ، في كتاب معاني القرآن . بعض هذه
الأصول التي قررها الفراء . على أن المؤرخين من الوراقين يذكرون أن لأبي زكريا
يحيى بن زياد الفراء كتاباً في أصول النحو . قال . أبو بريدة الواضحى أمر أمير
المؤمنين الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب (٨) . ومن هنا

(١) سورة البقرة : ٩١

(٣) معاني القرآن : ٣٦

(٢) معاني القرآن ص ٦٠

(٥) معاني القرآن ص ٣٧

(٤) معاني القرآن : ١٥

(٦) معاني القرآن ١٠٢ وانظر في هذه القواعد العامة ص ١٤ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ١٠٣ .

١٤٢ مثلاً .

(٨) معجم الأدباء : ١٢/٢٠

(٧) ص ٦

قال أحمد بن يحيى ثعلب « لولا الفراء لما كانت اللغة ؛ لأنه حصلها وضبطها . . ولولا الفراء لسقطت العربية (١) .

ويقولون مثل هذه العبارة في الأصول لابن السراج (٢) .
فهذه نماذج من أصول العربية للفراء في كتابه معاني القرآن ، وإذا كان علم ابن السراج في الأصول قد بسطه ابن جنى في كتابه « الخصائص » ، وخصه السيوطي في كتابه الاقتراح فإن دراسة هذه الكتب تفتح لنا آفاقاً جديدة في التعرف على مذاهب الكوفيين ممثلة في (شيخ النحاة الفراء) ، ومذاهب البصريين ممثلة في ابن جنى .

* * *

وبعد فهذا عرض سريع لكتاب معاني القرآن للفراء بعامة وفي الاحتجاج للقراءات بخاصة ، أضعه حلقة في سلسلة تاريخ الاحتجاج ، ومعاله الكبرى ، كما أعده كاشفاً عن منهج الكوفيين في هذا السبيل ، كما عدت « الكتاب » ، كاشفاً عن منهج البصريين ، وعلى ضوء هذين نستطيع أن ندرس ما سميته من قبل .
« نحو القراءات » ، وهو ما أرجو أن يتجه إليه الباحثون .

(٢) انظر نزعة الألباء : ١٦٩

(١) نزعة الألباء : ٦٦

الفصل الثاني

بين الزجاج في معاني القرآن وتليذه أبي علي في الاحتجاج

هناك أسباب كثيرة تدعوني إلى إقامة الدرس حول معاني القرآن لأبي اسحق إبراهيم بن السري بن سهل الملقب بالزجاج (ت ٣١١ هـ)، فالزجاج شيخ لأبي علي الفارسي، وقد سمع الفارسي من شيخه كتاب المعاني^(١)، فلا بد أن يكون هناك تفاعل بين الرجلين، هذا إلى أن معاني القرآن للزجاج يمثل حلقة من هذه الحلقات المتتابعة في الدراسات القرآنية، ونحو القراءات، وهو أمر يتصل بموضوع هذا البحث اتصالاً وثيقاً، وقد عرضت من قبل لهذا الجانب من نحو القراءات ممثلاً في دراستي لكتاب سيويه، ثم تسكمت عن اتجاه القراء الكوفي في معاني القرآن، ووجدت هناك طابعاً خاصاً تناولته بالبيان، ودعوت وأنا أصعب سيويه في الكتاب، والقراء في المعاني إلى اختبار هذا النحو القرآني: والآن أضيف حلقة جديدة إلى هذه الحلقات فتمتد سلسلة الدراسات إلى الزجاج فأتعرف هذه الناحية عنده، كما سيكون كتاب الموضح للداني حلقة أخرى تمثل نظرة القراء إلى النحو والنحاة، وأرجو بعد ذلك كله الدعوة إلى النظر في هذا التراث: فهو لاء شيوخه، وتلك مدارسه، فلعلنا نظفر بنجر موثق مدعوم الأسانيد من القراءات الصحيحة.

والمطل على ثبت الكتب التي أضافها الزجاج إلى المكتبة العربية يرى أنها متصلة في الأعم الأغلب باللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والعروض، والقوافي جميعاً^(٢). ولم يترك أثراً متصلاً بالدراسات القرآنية إلا كتابه «معاني القرآن»، على ما علمت من كتب التراجم. وعلى الرغم من ذلك، يظهر أن الزجاج اشتهر به دون غيره من كتبه الأخرى، حتى إن أبا بكر الخطيب البغدادي في تاريخه لا يعرفه إلا به: فيقول: «إبراهيم بن السري بن سهل... صاحب كتاب معاني القرآن^(٣)»، ويأتي بذكر كتبه الأخرى في إشارة بجملة حيث يقول: «وله مصنفات حسنة في الأدب»^(٤) ولا يزيد

(٢) تاريخ بغداد: ٩٢/٦

(٣) تاريخ بغداد: ٨٩/٦

(١) المحتسب: ١٠/١

(٢) الفهرست لابن النديم: ٩١

(٤) المصدر السابق: ٩٠/٦

وقد أورد ياقوت في معجمه قوله : « قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتداءً أبو اسحق باملأه كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة (١) ، وأود أن أسوق النصوص الآتية وهي كاشفة عن حلقات التأليف في معاني القرآن وكيف ألف الزجاج في المعاني مندفعاً ببعض شيوخه في ذلك .

(١) قال صاحب طبقات المفسرين (٢) : « ومن تأليف اسماعيل بن اسحق (٣) ... كتاب معاني القرآن وإعرابه خمسة وعشرون جزءاً ، و ... ، وكتاب المعاني المذكور كان ابتداءً أبو عبيد القاسم بن سلام ، بلغ فيه إلى الحج ، والانباء ، ثم تركه فلم يكمله . وذلك أن الامام أحمد بن حنبل كتب إليه يقول : « بلغني أنك تؤلف كتاباً في القراءات أتمت فيه القراء ، وأباعبيدة ، أئمة يحتاج بهم في معاني القرآن فلا تفعل ، فأخذته إسماعيل ، وزاد فيه زيادة وانتهى إلى حيث انتهى أبو عبيده ، وتوفى فجأة ... سنة ٢٨٢ هـ .

(ب) وأود كذلك أن أضيف إلى هذا النص ما يأتي :
أولاً - كانت هناك صلة مودة وتعاطف بين المبرد شيخ الزجاج وإسماعيل ابن اسحاق (٤) .

ثانياً - يشير أبو اسحق الزجاج إلى اسماعيل بن اسحق هذا مثلاً عند الاحتجاج لقراءة « واتقوا الله الذي تساملون به والأرحام » .

ثالثاً - آخر ما سمع من الزجاج قوله : « اللهم احشرنى على مذهب أحمد ابن حنبل (٥) »

رابعاً - يخطئ الزجاج القراء في معاني القرآن ، ويهاجم أبا عبدة على النحو الذى سأشرحه بعد في هذا الفصل .

وأظننى بعد تلك القرائن أستطيع أن أستنتج السبب الذى من أجله ألف الزجاج معاني القرآن مبتدئاً فيه بعيد الوقت الذى توفى فيه اسماعيل بن اسحق ، محققاً توجهات ابن حنبل لأبي عبيد القاسم بن سلام .

(١) معجم الادباء : ١٥١/١

(٢) ورقة : ٤٥

(٣) قاضى بغدادت ٢٧٢ هـ (المصدر السابق)

(٤) معجم الأدباء : ١٣٠/١

(٥) معجم الأدباء : ١٣٥/٦

هذا وكتاب معاني القرآن للزجاج مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١ م تفسير ، وما في الدار منه إلا جزء واحد من سورة النساء إلى آخر هود .
وفي الأمانة العامة للجامعة العربية (معهد المخطوطات) أفلام لأجزاء مختلفة من معاني القرآن للزجاج^(١) . وأمضى بعد ذلك إلى بيان خصائص هذا الكتاب ، ومقدار ما بين الزجاج وأبي علي من تخالف أو اتفاق

خصائص معاني القرآن للزجاج

أولا — في تفسير اللفظ القرآني ، وقد رأيت أبا إسحق يسلك طرقا مختلفات في تفسير اللفظ القرآني ، وأن أبا علي يشترك معه في بعض منها ، متأثرا بشيخه فيها ، غير مطئي^٢ ، ذلك شخصية أبي علي ، فهو وإن كان قفي قفو أستاذه — محتفظ بما له من سمات ، تبدو في تناوله هذه اللغويات ، كما تبدو فيما تراه من إضافات وتعقيبات .

وفي بعض آخر ينفرد أبو إسحق ، ولا يجرى أبو علي في سننه ، مما يجعل ذلك طابعا خاصا للزجاج ، يدل عليه ، ويشير إليه ، ويميزه عن عداه . وابدأ ببيان السمة المميزة لأبي إسحق فأقول :

الاشتقاق

وأبو إسحق مولع ولعا شديدا بالاشتقاق : يجعل للفظ معنى أصيلا تؤخذ منه وتدور حوله معاني الألفاظ التي تمت له باتفاقها معه في بعض الحروف ، ومتصرفه منه ، وهكذا يأخذ أصلا من الأصول يجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، وهو ما سماه ابن جنى الاشتقاق الصغير^(٣) .

فإذا ما تعرض الزجاج مثلا لشرح « فريضة » ، من قوله تعالى : « . . . فريضة من الله ، إن الله كان عليا حكيما^(٤) » قال : أصل الفرض في اللغة القطع ، الفريضة : الثلمة تكون في النهر ، والفرض : الحز الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط ،

(١) انظر فهرس المخطوطات الصورة : ٤٥

(٢) الخصائص : ١/٦٢٠ (٣) سورة ٤ آية ١١

والفرض في القوس : الحز الذي تشد فيه الوتر ، والفريضة في سائر ما افترض ما أمر الله به العباد فجعله أمراً حتماً عليهم قاطعاً ، وكذلك قوله : « وقد فرضتم لمن فريضة ، أى جعلتم لمن قطعة من المال .

وإذا ما شرح لفظ كفل في قوله تعالى : « ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها ، ^(١) . قال : الكفل في اللغة النصيب ، وأخذ من قولهم : « أكفلت البعير ، إذا أدرت على سنامه ، أو على موضع من ظهره كساء ، وركبت عليه ، وإنما قيل له كفل ، واكفل البعير ؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله ، وإنما استعمل نصيب من الظهر ، ولم يستعمل كله .

والزجاج يشير إلى طريقته في الاشتقاق من أنه يأخذ أصلاً من الأصول يجمع بين معانيه وذلك إذ يقول : « قد استعز المرض على المريض إذا اشتد وجعه وكذلك قول الناس : يعز على أن تفعل : أى يشتد ، فأما قولهم : قد عز الشيء إذا لم يوجد ، فتأويله : قد اشتد وجوده أى صعب أن يوجد ، والمآب واحد ، وألق بالك معنى إلى قوله : « والمآب واحد » ترفيه إشارة إلى نزعته في الاشتقاق ، وتأصيل الأصول لمعاني الكلمات .

وقد رمى به ولعه بالاشتقاق على هذا النحو إلى ترجيح جانبه على ما عدها من التأويلات ، فإذا كانت هناك عدة تأويلات ، وكان بعضها يرجع في معناها إلى أصل من أصول الاشتقاق رجح هذا الجانب ، ونبه عليه : « أورد في قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء مقيماً ، ^(٢) .

قال بعضهم : المقيت : القدير . وقال بعضهم : « المقيت : الحفيظ ، ثم يختار هذا التأويل بدليل قوله : « وهو عندي — والله أعلم — بالحفيظ أشبه ، ثم بين سبب الاختيار بقوله : هو بالحفيظ أشبه ؛ لأنه من القوت مشتق : يقال قت الرجل أقوته قوتاً إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته . والقوت اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه ، ولا فضل فيه على قوت الحفظ . فعنى المقيت — والله أعلم — الحفيظ الذي يعطى الشيء قدر الحاجة من الحفظ . قال الشاعر :

ألى الفضل أم على إذا حو سبت إني على الحساب مقيت

(١) سورة ٤ آية ٥٨

(٢) سورة النساء آية (٨٥)

وهكذا كان ولع الزجاج بالاشتقاق ، وقد وجه حمزة بن الحسن الأصهباني في كتابه الموازنة — نقداً لاذعاً إلى أبي اسحق حيث قال : « كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإن إحداهما مشتقة من الأخرى^(١) ، فيقول : « الرجل مشتق من الرجل ، والثور إنما يسمى ثورا لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما سمي ثوبا لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً (حسيبه^(٢) الله ا) ، ثم أورد حمزة سؤال يحيى بن علي بن يحيى المنجم — الزجاج عن الاشتقاق للجرجير ... ولم سمي الجبل جريرا ، وتعليل تسمية الجرة والجرة ، والجرجور وقد ناقشة يحيى بن علي في تعليله تسمية الفصيل المجر الذي يشق طرف لسانه لثلا يرتضع أمه بقوله — أى الزجاج — « لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه ، فقال يحيى ينقض عليه : « فان جروا أذنيه فقطعهما تسميه مجرا؟ قال الزجاج : لا يجوز ذلك ا قال يحيى بعد أن رمى الزجاج بمناقضة العلة التي أتى بها : « ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له^(٣) ، وهكذا رمى الزجاج بهذه التكرار .

ويظهر أن الزجاج قد اشتهر بهذا المذهب شهرة تجعله يجادل فيه ، ويسأل عنه ، ثم يكون موضع المفاكحة والتندر : حكى ابن العلاف الشاعر : « ... يلزمه أن يقول .. والدب مشتق من الدب ، والعدب من الشراب مشتق من العذاب ، والخريف من الخروف ... والخنفساء من ... والخنثى من الأثني ... والمخنث من المؤنث ... (شرط ا بليس على ذا من أدب^(٤) ١١)

والحق أن خصوم الزجاج غالوا في مهاجمته على النحو الذي ترى ، وعندى أن الزجاج على صحة من المذهب في بعض ما رأى ، لكن لا على أن يعم ويتعمل ،

(١) المراد من الاشتقاق هنا مجرد الأخذ كما نص على ذلك المحقق لمعجم الأدباء

(٢) معجم الأدباء : ١٤٤/١

(٣) معجم الادباء : ١٤٦/٢ (٤) معجم الادباء : ١٤٧/١

حاشية : وقد بقيت أثارة من هذا التندر في أهل زماننا هذا ، سمعت بعض المشتغلين بالعلم يقول : « ان كادر الموظفين مشتق من الكدر » وما أهد ما اشتقوا : لفظاً أعجمياً من آخر عربي ، ويظهر أن شيئاً من ذلك كان عند الأقدمين ، فقد نبه ابن السراج في رسالته عليه ، وحذر إياه حيث يقول : « مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » (المزهر للسيوطي : ١/٢٠٥ ط صبيح)

ويتلس العلاقة البعيدة في اشتقاق كلمة ، وارتباط معنى بمعنى ، فهذا يرمى به إلى جانب من التكلف يؤدي به إلى خطأ وانتقاض كانا موضع التعقب والتندر والتهجم من الخصوم .

* * *

وإذ قد قومت مذهب الزجاج في الاشتقاق ، وذكرت موقف القدامى منه ، وقلت كلمة الإنصاف في هؤلاء وهؤلاء ، أود أن أذكر الأسباب التي أراها دعت الزجاج إلى انفراده بما انفرد من الامعان في الاشتقاق ، والتكلم فيه على هذه الصورة الواسعة :

ربما كان الباعث على هذا المذهب عند الزجاج أنه كان ضعيف العلم باللغة (١) فأراد أن يستر ضعفه ، وأن يستوعب معانيها على هذا الوجه المقرب ، بإيجاد هذه العلاقات والترابط بين الألفاظ والمعاني ، وهو أسلوب يأخذ به طلاب العلم أنفسهم لحفظ ما يحصلون ، ويصطنعها بعض المعلمين لتقريب ما يلقون إلى من يعلون ، وقد كان الزجاج معلماً لأولاد بني ما رقة (٢) ثم ولد عبيد الله بن سليمان (٣) .

على أن شيئاً من ذلك يتصل — فيما بدا في — بصناعته الأولى ، حيث كان يخرط الزجاج (٤) ، وما يلزم هذه الصناعة من أخذ شيء من شيء ، واشتقاق فروع يشكلها من أصول ، والمرء مشدود إلى بيئته يشير إليها ، وتدل عليه ، وتعمل عملها في حديثه وتصرفه حتى لا فكك له من ذلك ، لاسيما إذا علمنا أن الزجاج جمع بين خراطة الزجاج ، وتلقى العلم في وقت واحد ، يأخذ من الأولى ؛ ليرد على أستاذه المبرد ما وعده به أن يعطيه كل يوم درهما (٥) .

ولا يدفع بعض هذه التعليقات ما كان من مؤلفات في الاشتقاق للأئمة السابقين كالأخفش (٦) ، والأصمعي (٧) ، وأحمد بن حاتم (٨) ، والمبرد شيخ الزجاج (٩) ،

(٢) معجم الادباء : ١/١٣١

(١) الفهرست : ٩٠

(٣) الفهرست : ٩٠

(٤) وفيات الأعيان : ١/٣٢

(٥) تاريخ بغداد : ٦/٩٠ ، نزهة الألباء : ١٦٦ ، ومعجم الادباء : ١/١

(٧) المصدر السابق : ٨١

(٦) الفهرست : ٧٨

(٩) الفهرست : ٨٨

(٨) ٨٣

كما كان لابن دريد (١) ، وابن اسراج (٢) وللرمانى الاشتقاق الصغير ، والاشتقاق الكبير (٣) . كما أفرد النحاس وابن خالويه الاشتقاق (٤) بالتأليف أقول : « لا يدفع ما علقت — شيء من ذلك ؛ لأن تعرض الناس للزجاج بما تعرضوا — وقد سقت طرفاً منه — يجعل للزجاج طابعاً خاصاً — وقد أشرت إليه — فى تناوله الاشتقاق ، ميزاً له عن غيره من الأئمة اللغويين ، متصلاً فيما يتصل بالحياة التى اضطرب فيها الزجاج ، والظروف التى أحاطت به ، ووجهته ، وأثرت فيه .

(١) الفهرست : ٩٢ (٢) الفهرست : ٩٣

(٣) الفهرست : ٩٥ (٤) الزهر : ٢٠٤/١ ط صبيح

(*) وهذه المناسبة أقول : « إن الباحثين من المحدثين المحققين يذكرون لابن دريد أنه بدأ النجاح الكبير لفكرة الاشتقاق بتأليف كتاب الاشتقاق ، وأن ابن فارس قد تأسى به . (انظر مقدمة كتاب مقاييس اللغة تحقيق الاستاذ عبد السلام هرون ٢٣) ويفهم من هذه العبارة أن المؤلفين القدامى — قبل ابن دريد — كانت لهم بحوث فى الاشتقاق ، ولكنها لم تبلغ الدرجة العليا من النجاح وذلك الكلام يحتاج إلى تعقيب ، فطبيعة الاشياء تدعونا إلى الاعتداد بالتطور التاريخى لهذا الامر ، وبناء المخالفين على أصول السالفين من اللغويين ، فأبو عمرو ابن العلاء (٥١٥٤هـ) ، يسأل أعرابياً عن اشتقاق الخيل — وسؤاله دليل على مشغلة الناس فى ذلك الوقت بالاشتقاق — فيجيب الاعرابى أنه استفاد الاسم من فعل السير ، ويفسر أبو عمرو ذلك بأنه مشتق من الخيلاء والمجب ، ويقول : ألا تراها تسمى المرضنة خيلاء وتتكبرا (طبقات الزبيدى ٢٩) .

وأبو زيد الانصارى (٢١٤هـ) يقول : سميت « منى » منى لما معنى فيها من الدماء (الزهر ٢٠٥/١) والاخفش (٢١٥هـ) «طبقات الزبيدى ٧٦» يسمه أبو عتبان يقول : «اشتقاق الدكان من الدكدك ، وهى أرض فيها غلظ وانبساط ، ومنه اشتقاق ناقة دكاه ، إذا كانت مفترشة السنام فى ظهرها أو مجبوته (الزهر ٢٠٥/١)

ومنذ الاخفش يتجه العلماء إلى التأليف فى الاشتقاق وأفراده بالبحوث ، وقد قرر الاستاذ « عبد السلام هرون » أن الكلام فى الاشتقاق قديم ، فقد أشار إلى المؤلفين القدامى فيه ، (مقدمة مقاييس اللغة انظر ص ٢٣ ج ١) ولكنه يغفل ما أردت الإشارة إليه هنا فى هذا الفصل وهو مشاركة أبى اسحق الزجاج فى هذا الباب على هذه الصورة التى تستحق التسجيل ، والتى عرضت أمثلة لها فى تفسيره اللفظ القرآنى ، وأرجو بعد ذلك ألا ينسب إلى ابن دريد أنه بدأ النجاح الكبير فى الاشتقاق ، وينسى أبو اسحق الزجاج (ت ٣١١) وهو معاصر ابن دريد (٣٢٤هـ) . ويذكره المؤرخون فى كتب الطبقات سابقاً عليه

وربما كان الأستاذ مدفوعاً إلى ما رأى بأن الكتب المؤلفة فى الاشتقاق طواها الزمن ، وامتدت إليها يد الضياع ، خلا كتاب ابن دريد فى الاشتقاق المعروف فى أيدى الناس (الكتاب مطبوع فى جوتجن سنة ١٨٥٤م) فهل تلتبس المذرة بعد أن أورد الزجاج هذه

أما أبو علي فلم يحفل بهذا الاشتقاق في تفسير الألفاظ القرآنية التي عرض لها في كتابه الحجة ، وإنما كان يعتاده ، ولا يعول عليه ، حتى لا يستطيع من ذلك أن أخلص إلى النتيجة التي أريد تسجيلها وهي : « أن تفسير اللفظ القرآني بطريق الاشتقاق طابع خاص تميز به الزجاج ، وفصل عنه تلميذه الفارسي ، ولم يشأ أبو علي أن يحذو حذو شيخه فيه . »

وربما كان السبب في ذلك أن أبا علي تأثر أكثر ما تأثر في اللغة بكتب أبي زيد الأنصاري^(١) ولم يكن الاشتقاق — على ما يبدو — قد ظهر في صورة واضحة المعالم في ذلك العهد عهد أبي زيد ، وإنما كان الكلام فيه تتفأ تروى ولم تبلغ درجة الرشد والاكتمال . وأمضى في بيان بقية خصائص كتاب معاني القرآن للزجاج .

ثانياً : تفسير اللفظ القرآني أولاً بالقرآن : وهذه ذات شعبتين :

١ — فيما أن يكون اللفظ المفسر لاحقاً للفظ المفسر في آية واحدة ، فيستدل بذلك على هذا بطريق الاستنتاج كما في قوله تعالى : « يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً^(٢) . قال: الطاغوت : الشيطان بدليل قوله تعالى : ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وفي قوله تعالى : « وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ، قال : ادعوني : أعبدوني والدليل أن الذين يستكبرون عن عبادتي ، »

== الطائفة الصالحة من الاشتقاق في كتابه معاني القرآن ؟! وأى الشيخين المتعاصرين بدأ النجاح الكبير في نظرية الاشتقاق إذاسلمت جدلاً ، بدم الاعتداد بجهود السابقين !؟ صحيح أن بعض العلماء — وربما دفهم التحاليل — لم يرضوا عن منهج الزجاج في الاشتقاق — كما أشرت إلى ذلك من قبل — ولكن هذا لا يدعو إلى عدم الاعتداد به ، وإغفاله حتى لا يشار إليه ، مع أنه يمثل مرحلة كبرى من المراحل التي خطاها السابقون في هذه السبيل ، وبما يزيد في أهمية هذه المرحلة — عند الزجاج — أنه يكاد يلتزمها في تفسير اللفظ القرآني ، في كتابه المعاني . هذا وقد عرضت في مكان آخر أبي بكر محمد بن السري الملقب بابن السراج — وهو معاصر كذلك لابن دريد — وبينت تأسي ابن فارس به ، ودعمت ما رأيت بالنصوص ، وانتهيت إلى أن ابن السراج هو الأصل في الحديث عن الاشتقاق على صورة رضى عنها العلماء المشهورون بالادق (كابن جني في خصائصه ١/٥٢٦) راجع ص ٢٩٣ وما بعدها من هذا البحث .

وفي هذا النوع يبدو المنطق ، ولكنه لا يكون في شكل قصبة كما يفعل أبو علي الفارسي .

٢ - وإما أن يكون اللفظ المفسر في سورة ، واللفظ المفسر في أخرى ، وذلك هو الأكثر ، كما في قوله تعالى :

(١) بث فيها رجالا كثيرا ونساء : معنى بث : نشر . يقال : بث الله الخلق ،

وقال (عز وجل) د كالفراس المبتوث ، فهذا يدل على بث .

(ب) الدليل على أن المحصنات هن العفاف قوله ومريم ابنة عمران

التي أحصنت فرجها ، أي أعفت فرجها^(١) .

والأصل في هذين القسمين ما ذكره أبو اسحق . من أن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ألا ترى أن جواب الشيء فيه يقع وبينهما سور ، كما قال (جل وعز) جواباً لقوله : وقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، فقال : نون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون .

ومما يجدر ذكره أن أبا علي تأثر بشيخه أبي اسحق الزجاج في مسلكه هذا تأثراً واضحاً على الفرق بين الرجلين في ظهور مسحة المنطق عند أبي علي^(٢) ، وخفتها عند الزجاج ، ولكن أبا علي متأثر بشيخه في هذا على أية حال .

كما يفسر اللفظ القرآني ثانياً بالشعر العربي ، وأقوال الأئمة اللغويين من شيوخه أو من تأسوا بهم من السابقين ، وذلك قوله : والكلالة سوى الولد والوالد ، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر :

فإن أبا المرء أحى له ومولى الكلالة لا يفضب

وقد يمزج في الشرح بين الاشتقاق ، وأقوال الأئمة ، والاستشهاد الشعري كما في قوله العزة ، المنعة وشدة الغلبة ، وهو مأخوذ من قولهم : أرض عزاز ، قال الأصمعي العزاز النفل من الأرض الصلب الحجارة الذي يسرع منه جرى الماء والسيل ، فتأويل العزة الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال ، قالت الخنساء .

كأن لم يـكـونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز براء

أي من قوى غلب وسلب .

وهكذا تراه يبني على قول الأصمعي ، ويرجع المعنى في العزة إلى ما ذكره وهو

(١) كتاب معاني القرآن : سورة النساء (٢) راجع فصل المنطق عند الفارسي

في إيراد الشواهد قصير الباع ، ضيق النفس ، فلا يورد في الكثير الغالب إلا الشاهد الواحد ، على العكس من أبي على تليذه الذي يطول نفسه في ذلك إلى أمد بعيد .

ثم ترى أبا على يناقش هذه الشواهد ، ويعقب عليها ، بما يظهر من شخصيته ، ثم يضيف هو إلى ماروي الأقدمون — شواهد من محفوظه تنثال على لسانه اثنيالا يدل على حافظة قوية وذاكرة حاضرة ، ودقة نادرة في استحضار الشواهد المتعددة في الموضوع الذي يتحدث فيه .

ثالثاً : وقد رأيت الزجاج مستهماً بأقوال اللغويين ، يحكمهم ، ويرضى حكومتهم في :

(ا) اختيار القراءات .

(ب) وفي التفسير القرآني .

(ج) وفي مسائل الفقه .

(د) ويعد مذاهب اللغويين أقوى في الرد على الملحدين .

(هـ) وأنهم منزهون عن الوهم الكتابي في رسم المصحف .

وأضرب لكل واحدة من هذه مثالا يختصر ذكر نظائره ، ويقفى عن الحصر والتفصيل .

(ا) قال محمداً اللغة في اختيار القراءات : (زبوراً) القراءة فيه بفتح الزاي

وضمها ، وأكثر القراء على فتح الزاي ، وقد قرأت جماعة زبوراً منهم الأعمش وحمة .

فن قرأ زبوراً بفتح الزاي فعناه كتاباً وهذا الوجه عند أهل اللغة ، لأن الآثار

كذا جاءت زبور داود ، كما جاء توراة موسى ، وإنجيل عيسى .

(ب) وقال في الأخذ بأقوال اللغويين في التفسير القرآني :

وقال بعضهم : إلا ليؤمنن به أى سيؤمن بعيسى إذا نزل لقتل الدجال ، وهذا

بعيد في اللغة ، لأنه قال : « وإن منهم إلا ليؤمنن به » المعنى ما أحد منهم

إلا سيؤمنن به قبل موته ، والذين يقولون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم ،

ولكنه يحتمل أنهم كلهم يقولون : « إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نحن نؤمن به

فيجوز على هذا ، والله أعلم بحقيقته .

(ج) وقال في اختياره مذاهب اللغويين في مسائل الفقه :

« يجوز أن يكون أو في قوله تعالى : « هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك ^(١) صياماً ، — وهو الأجود في اللغة — للتخيير ، فإن شاء أهدي ، وإن شاء أمسك الهدى ، وأطعم بدله ، أو جعل مثل ذلك صياماً ، لأن أول للتخيير . وقال بعضهم : كأنه ان لم يقدر على الأبل والغنم فينبغي أن يطعم أو يصوم ، والذي يوجه اللفظ للتخيير وأهل الفقه أعلم بالسنة في ذلك إلا أني أختار على مذهب اللغة أنه بخير .

(د) وعنده أن العلم باللغة يمكن منه الرد على الملحدن :

قال أبو اسحق : « وهذا موضع أعنى تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، يلبس به أهل الإلحاد على من ضعف علمه باللغة ، ولا يعلم حقيقة هذا إلا من اللغة :

قال أهل اللغة : « النفس في كلام العرب تجرى على ضربين : أحدهما قولك : « خرجت نفس فلان ، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا .

والضرب الآخر : معنى النفس فيه جملة الشيء ، ومعنى حقيقة الشيء ، تقول « قتل فلان نفسه ، ، وأهلك فلان نفسه ، فليس معناه أن الأهلاك وقع ببعضه ، إنما الأهلاك وقع بذاته كلها ، ووقع بحقيقته . ومعنى تعلم ما في نفسي . أى تعلم ما أضمره ، ولا أعلم ما في نفسك : لا أعلم ما في حقيقتك ، وما عندى علمه . فالتأويل : « أنك تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم ويدلك عليه إنك أنت علام الغيوم . فانما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم ، والتوكيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله (جل ثناؤه) .

ه — في تنزيه أهل اللغة الأولين عن الوهم في الكتابة :

قال بعضهم : المقيمين عطف على الهاء والميم : المعنى لكن الرايخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويين ردى ، لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمرة المجرور إلا في الشعر ، وذهب بعضهم إلى أن هذا وهم من الكاتب ، وقال بعضهم في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها ، وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جداً ؛ لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب

رسول الله ، وهم أهل اللغة ، وهم القدوة ، وهم قريبو العهد بالاسلام ، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يصلحه غيرهم ؟ وهم الذين أخذوه عن رسول الله وجمعه ؟ وهذا ساقط من لا يعلم بعدهم ، وساقط عن من يعلم لأنهم يقتدى بهم ، فهذا مما ينبغي أن ينسب إليهم (رحمة الله عليهم) . والقرآن محكم لا لحن فيه ، ولا فيه شيء تتكلم العرب بأجود منه في الاعراب ؛ كما قال الله (جل وعز) : «تنزيل من حكيم حميد» . وقال : « بلسان عربي مبين » .

وقد لحظت في أكثر هذه النقاط أنه يعترف بالآثر إلى جانب اعتداده باللغويين كأن يقول :

في (١) الآثار جاءت في الزبور .

وفي (ج) أهل الفقه أعلم بالسنة .

وفي (هـ) والصحابة هداية وقدوة ، والقرآن محكم .

على أنه إلى القول بالآثر على النحو الذي ترى إلى الجانب اللغوي أميل ، فاذا حكى أهل اللغة في اللفظ وجهين ، وافق على أحدهما أصحاب الآثر — كان المرجع عنده — حينئذ — في الاختيار الآثر من اجتماع المحدثين : قال : القراءاة الدرك بفتح الراء ، والدرك بتسكين الراء واللتان حكاهما جميعاً أهل اللغة ، إلا أن الاختيار فتح الراء لاجتماع المدنيين والبصريين عليها ، وإن أحداً من المحدثين مارواها إلا الدرك بفتح الراء ، فذلك اخترنا الدرك .

ويبعد أبو علي كثيراً عن منهج شيخه أبي اسحق في ذلك ، فهو لا يستهم بأقوال اللغويين على النحو الذي يبدو عند الزجاج ، ولا يخطط القول بالآثر مع أقوال اللغويين في الاحتجاج . ولعل ذلك فيما يبدو — أثر من آثار شخصية كل من الشيخين ، فالزجاج ينطوي تحت الأئمة اللغويين السابقين ؛ لأنه كان ضعيف العلم باللغة كما يقرر ابن النديم^(١) . فهو مغلوب على أمره بجانبهم ، والمغلوبون مولعون بالجرى وراء الغالبين ، سنة الله في خلقه أفراداً وجماعات من السابقين ، واللاحقين^(٢) .

هذا إلى أن الزجاج كان مشهوراً بحسن الاعتقاد وجميل المذهب^(٣) ، وأنه كان

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون

(١) الفهرست : ٩٠

(٣) تاريخ بغداد : ٨٩/٦

من أهل الدين المتين ^(١) ، والقول بالآثر يتصل إلى حد ما بمثانة الدين ،
وحسن اليقين .

على أن القول بالآثر عند الزجاج له مظاهر أخرى أتاولها فيما يرد من حديث ؛
إذ تعد سمة من سماته ، وخصيصة من خصائصه في كتاب معاني القرآن .

رابعاً : قول الزجاج بالآثر : ويتجلى ذلك في شعبتين

(أ) القراءة سنة .

(ب) ورسم المصحف لا يخالف .

وأبدأ بالمظهر الأول ، حيث كان كذلك في حقيقة الواقع ، وأضرب أمثلة
في نواح ثلاث : في اللغويات ، والاعراب ، والصرفيات ، أعرضها في اختصار
يحمل التفصيل :

القراءة سنة في اللغويات :

قوله (عز وجل) : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » : يقال : صدق المرأة ، وصدق
المرأة ، وصدق المرأة ، وصدق المرأة مفتوح أولها . والذي في القرآن جمع صدقة .
ومن قال : صدقة قال صدقاتهن ، كما يقول غرفة وغرفات ، ويجوز صدقاتهن ، وصدقاتهن
بضم الصاد وفتح الدال ، ويجوز صدقاتهن .

وبعد أن أورد اللغات الجائزة في هذه الكلمة نبه على ما ورد منها في سنة القراءة ،
وصحيح الرواية ، حيث يقول : ولا يقرأ من هذا إلا بما قد قرئ به ، لأن القراءة
سنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون ، وأن تتبع ، فإن الذي روى
من المشهور في القراءة أجود عند النحويين ، فيجتمع في القراءة بما قد روى الاتباع
ولإيثار ما هو أقوى حجة إن شاء الله .

وبعد أن أورد أنه يجوز في عبد الطاغوت : عبد الطاغوت ، وعبد الطاغوت
قال : « ولا تقرأن بهذين الوجهين ، وإن كانا جائزين ؛ لأن القراءة لا تبتدع
على وجه يجوز ، وإنما سبيل القراءة اتباع من تقدم » .

* * *

القراءة سنة في الإعراب :

بعد أن وجه الرفع والنصب في « غير » من قوله تعالى : لا يستوى القاعدون

من المؤمنين غير أولى الضرر... قال : ، ويجوز جر غير على الصفة للمؤمنين
أى لا يستوى القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون ، فالرفع والنصب القراءة
بهما كثير ، والجر وجه جيد إلا أن أهل الامصار لم يقرءوا به ، وإن كان وجهاً
جيداً : لأن القراءة سنة متبعة .

في قوله تعالى : لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، قال : د القراءة الرفع مع تخفيف
لكن ، والنصب جائز... إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن ثبت به رواية
عن الصحابة أو قراء الامصار .

* * *

القراءة سنة : في الصرفيات :

قال بعد أن ذكر القراءات في هزواً وفيها وجه آخر لا يجوز القراءة به ،
لأنه لم يقرأ به وهو : هُزأ مثل هدى .
وانظر قوله د في أن يمسمكم ، ولو قرئت أن يمسمكم فرح كان صواباً ، ولكن
لا تقرأ به لمخالفة الصحف ، ولأن القراءة سنة .

* * *

(ب) رسم المصحف لا يخالف :

وهو يقول برسم المصحف ، ويتخذه حجة في تحذيره القارى قراءة من القراءات
تخالفه ، وإليك ثلاثة من الأمثلة يعنى إيرادها عن الحصر والتفصيل :
رسم المصحف في اللغويات :

قال : فاذا اطمأنتم : أى سكنت قلوبكم ، ويقال اطمان الشيء إذا سكن ، وطمأنته
إذا سكنته ، وقد روى اطبان بالباء ، ولكن لا تقرأ بها : لأن المصحف
لا يخالف ألبتة .

رسم المصحف في الاعراب :

قال : دوأما رفع يوتون في قوله تعالى : وإذا لا يوتون الناس تغيراً ، فعلى فلا يوتون
الناس تغيراً إذا . ومن نصب فقال فاذا لا يوتوا الناس جاز ذلك في غير القراءة
فأما المصحف فلا يخالف .

تعلق : قرأ بها ابن مسعود (١) !

رسم المصحف في الصرفيات :

قال: « وأما من يرتدد فهو الأصل ؛ لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضاعفين ظهر التضعيف نحو قوله : « إن يمسك قرح ، ولو قرئت أن يمسك قرح كان صواباً ، ولكن لا تقرأن به لمخالفة المصحف . ولأن القراءة سنة .

* * *

ويبدو أنه ضرب صفحاً عن الاعتداد بمصحف أهل الشام ذلك قوله في الآية : « ما فعلوه إلا قليل منهم ، رفع قليل على البدل من الواو : المعنى : ما فعله إلا قليل منهم . والنصب جائز في غير القرآن ، يذهب إلى أن النصب لا يجوز في القراءة لما في ذلك من مخالفة رسم المصحف ، مع أن ابن مجاهد نص على أن قراءة النصب لابن عامر ؛ لأنها كذلك في مصاحف أهل الشام (١) .

وعندي : أن رسم المصحف راجع في حقيقة الواقع إلى سنة القراءة ، وصحة الرواية ، فهو يندمج فيها ، ويدخل تحتها ، وقد تنبه هو نفسه إلى ذلك حيث يقول : قوله تعالى : « ولا يجدون عنها محيصاً ، أي لا يجدون عنها معدلاً ولا ملجأً . يقال : حصت عن الرجل أحيص ، ورووا : حصت عنه أحيض بالميم والضاد المعجمة بمعنى حصت ، ولا يجوز ذلك في القرآن ، وإن كان المعنى واحداً والخط غير مخالف ، لأن القرآن سنة متبعة لا تخالف فيه الرواية عن النبي (صلى الله عليه وسلم وأصحابه) ، والسلف ، وقراء الأمصار ، بما يجوز في النحو واللغة ، وما فيه أفصح مما يجوز ، فالاتباع فيه أولى .

وأرجو أن أرجع بكم إلى ما كان من الفراء في معاني القرآن ، فقد جوز في غير قيد ولا تحذير — القراءة بما يتفق هو والأوجه الاعرابية ، واللغوية ، والصرفية ؛ وقد رأينا أن ذلك قد ورد في كتابه في كثرة غامرة (٢) .

ونرى هنا الزجاج يجوز ذلك في العربية ، ويحذر القارىء إياه في القرآن ، فلعل ذلك الموقف من أبي اسحق البصرى يجبه به الفراء الكوفي فيما جوز واختار ، ويحقق

(١) كتاب القراءات لابن مجاهد . الحجة ٣ وانظر المقدم للدان ١١٠ والنشر ٢٥٠/٢

والاعلان بتكلمة مورد الظمان لابن عامر ٣٨

(٢) راجع ذلك في هذا البحث

إشارة ابن حنبل التي بها أشار^(١)، ثم هو دليل على الصرامة التي نوهت بها، وأشرت إليها، واشتهر بها البصريون، إذ لا يجوزون كثيراً بما يجوز الكوفيون.
كما أود أيضاً أن أشير إلى أن أبا علي لا يقول بالرسم، ولا يتخذ سبباً من الأسباب التي يحتج بها^(٢)، ثم هو كذلك لا يقول بأن القراءة سنة إلا إذا ضاقت عليه سبل التعليل، ولم يستطع أن يخرج القراءة على وجه من وجوه القياس، وعند ذلك يلقي هذه العبارة مضطراً، ومع ذلك يشير إلى أن القراءة بما يجرى على سنة القياس أجدر وأولى^(٣).

* * *

خامساً : المذهب البصرى والزجاج :

والمذهب البصرى غالب على أمره يجوده، ويعتد به، ويدفع عنه، ويحتج له، ويهجم القراء المخالفين، فيضعف قراءتهم بالخطأ في العربية، بل بالخطأ العظيم في الدين، ويسم مذاهبهم بالرداءة، ويرميهم بالقبح والنكير، وذلك تناقض ظاهر مع قوله بالآثر، وبعد عنه كبير.

وأود أن تقرأ قوله في تخريج قراءة حمزة: والأرحام في قوله تعالى: واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام : قال : القراءة الجيدة نصب الأرحام : المعنى ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وأما الجرفى الأرحام خطأ فى العربية^(٤) لا يجوز إلا فى اضطرار شعر ، وخطأ أيضاً فى أمر الدين عظيم . . ثم أخذ يذكر العلة ، ويوجه الخطأ فى العربية ، والخطأ فى الدين .

ثم اقرأ كلامه فى تأويل قراءة وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ، : وقد رويت شركائهم بالياء فى بعض المصاحف ، ولكن لا يجوز إلا على : زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم فيكون : شركائهم من نعت أولادهم ، لان أولادهم شركاؤهم فى أموالهم .

ويجوز شركائهم ، لأنها إنما رويت أنها وجدت فى بعض المصاحف بالياء ، فيكون فى موضع رفع ، وتبدل من الهمزة الياء كما روى بعضهم فى رداان ردايان ۱۱ وهذا ردىء جداً ، ومخالف للمصحف المجتمع عليه ، فلا تقرأن به ، ولا تلتفت إليه .

(١) راجع صدر هذا الفصل (٢) انظر ذلك فى فصل ابن خالويه وأبى على

(٣) راجع مثلاً الحجة : ١٠٩/٤ نالدية (٤) الكوفيون يجوزون ذلك انظر الانصاف

وهكذا يغفل الإشارة إلى قراءة ابن عامر جملة ، وفي قراءة تتفق مع مذهب النحاة الكوفيين (١) ويذهب في تجويز شركائهم برسم المصحف ، ثم يشير إلى رداءة هذه القراءة بهذه الإشارة التي يتبعها بالنهي عن القراءة بها ، والالتفات إليها ١١ وقال في قراءة يهدى من قوله تعالى : « أم من لا يهدى » : قرأ بعضهم بإسكان الهاء والذال ، وهذه القراءة مروية إلا أن اللفظ بها ممنوع ، فلست أدري كيف قرئ بها وهي شاذة ١٩ وقد حكى سيبويه أن مثلها قد يتكلم به .

وأقول : « أما بعضهم الذي أشار إليه بأنه قرأ بها ، فهم أهل المدينة لإلورشاش (٢) فكيف يشذها مع أنها مروية ؟ ثم ما باله يعجب فلا يدري ١٩ والعجب منه هو : يردد دائماً القراءة سنة متبعة أو نحواً من ذلك بما في معناه كما سبق ، ويتخذ ذلك سبيلاً إلى التحذير من قراءة جازت في العربية ، ومذاهب البصرية ، ولم يرد بها أثر . فهل تراه يعد نحاة البصرة هم النحاة ، وقراءهم هم القراء ، ولا شيء غير هؤلاء وهؤلاء ١٩ .

ذلك أثر من آثار بصريته ، ومظهر من مظاهر عصبيته ، ومن هنا وقف من القراء الكوفيين موقف التجهم والتضعيف ، وهو معهم يشدد النكير على غير موقعه من القراء المدنيين ؛ فقد رأيناه من قبل يتعجب من قراءتهم (لا يهدى) بإسكان الهاء والذال على شذوذها في رأيه هو ، ويتلمس لهم وجهاً من كلام سيبويه ، ولا يزيد . أما الكوفيون فإذا أورد قراءتهم يهدى بكسر الهاء والياء وهي قراءة لعاصم قال : وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء .

وتسأل نفسك : أي القراءتين أثقل في النطق : آقراءة المدنية وفيها التقاء الساكنين ؟ أم القراءة الكوفية ومبعث الثقل فيها الكسرة في الياء ؟ لا شك أن قراءة المدنيين أثقل وأصعب ، فكيف يرى القراءة الكوفية — مع سهولتها موازنة بالمدنية — بالرداءة ١٩ هي العصبية تعمي البصائر ، وتعصب الأنظار ١١ (ألا قاتلها الله) .

وقد دفعت بصريته المتعصبة إلى أن يتجاهل قراءة كوفي مثل الكسائي — وربما جهلها — وذلك قوله : والعين بالعين . بعد أن وجه الرفع فيها قال : ولا أعلم أحداً قرأ بها ١١ ولا يقرآن بها إلا أن تثبت بها رواية صحيحة .

(١) يجوز الكوفيون الفضل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور في سعة الكلام

(٢) انظر البحر المحيط : ١٥٦/٥

وقد قرأ بها الكسائي^(١)، فهل جهله الزجاج أو تجاهله؟ إن هذه القراءات كانت شائعة في عصره، فابن مجاهد سبع السبعة، وألف كتابه حوالي عام ٣٠٠هـ^(٢)، والزجاج حتى يرزق، ثم ما قوله ولا يقرآن بها إلا أن ثبت بها رواية صحيحة؟ ألا يصح عنده ما يروى الكسائي؟ أم لأنه كوفي يتجاهله، ويتجاهل قراءته؟ ثم اقرأ معي قول الزجاج: «ون تلووا أو تعرضوا»، قرأ أبو عاصم، وأبو عمرو بن العلاء، وأهل المدينة تلووا بواوين، وقرأ يحيى بن وثاب، والأعشى وحزرة بواو واحدة تلووا. والأشبه على ما جاء في التفسير مذهب أهل المدينة وأبي عمرو لأنه جاء في التفسير: إن لوى الحاكم أو أعرض... ثلاثة بعدد هم: عاصم، وأبو عمرو، وأهل المدينة، فإذا ما حكم بالجودة عز عليه أن يذكر عاصماً فيقتصر على ذكر أهل المدينة، وأبي عمرو، ويسكت عن عاصم ١١ والنص أمامكم أود أن تراجعوه.

لا شيء عليه أن يختار قراءة البصريين، كاختياره مثلاً قراءة الدرك الأسفل، بالفتح على الدرك بالسكون وهي قراءة الكوفيين^(٣)، أما أن يسكت عن الإشارة بجودة قراءة الكوفيين فلا تعرف إلا استنتاجاً، وأما أن يصفها بالرداءة حيناً، والبعد عن الدين حيناً... فشيء من ذلك لا أوافق عليه! بل يجب أن يوجه من أجله اللوم إليه، أما أبو علي وموقفه من القراءات التي تتخالف هي ومذهبه النحوي، فقد اشترت إليه أنفاً في موضعه المقسوم.

سادساً — تعرض الزجاج للنحاة الكوفيين:

رأينا تعرض الزجاج للقراء الكوفيين، ورأينا كيف شدد عليهم النكير، وإذا كان ذلك موقفه من قرائهم الذين رووا القراءة بالسند المتصل عن رسول الله فلا شك أن موقفه من نحاتهم يكون أشد وأنكى:

١ — تراه يخطئ القراء في حكايته، أن لام الأمر قد فتحها بعض العرب في نحو قولك ليجلس، فقالوا: ليجلس ففتحوا، وهذا خطأ لا يجوز فتح لام الأمر لثلاث تشبه لام التوكيد. ثم يمتد من شذوذ حكاية بعض البصريين، وأنهم عنده صادقون في الرواية، إلا أن الذي سمع منهم هو الذي أخطأ ١١ قال:

(٢) الحضارة الإسلامية لتر: ٣٢١/١

(١) البحر المحيط: ٤٩٤/٣

(٣) النفر: ٢٠٣/٢

« وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك المال لزيد . . . وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى ، لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر والأمر ، ولا يلتفت إلى الشذوذ خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية . وجميع من ذكرنا من الذين رروا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية إلا أن الذي سمع منهى مخطئ . »

(ب) كما يخطئ الكسائي في قوله : والصابئون نسق على ما في هادوا^(١) . . . في قوله تعالى : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » . كما يخطئه في قوله : ان أشياء أشبه آخرها آخر حمراء ، ووزنها عنده أفعال ، وكثر استعمالهم فلم تصرف قال : « وقد أجمعوا على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه ألا يعرف أبناء ، وأسماء . »

(ج) ويرى الفراء ، والكسائي معاً بالتقصير في التعليل في اعراب خيراً من قوله تعالى « فأمنوا خيراً لكم^(٢) » ، من قوله تعالى : يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فأمنوا خيراً لكم وان تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله علياً حكيماً . »

(د) ويهاجم الكوفيين جملة ، وذلك عند قوله (تعالى) : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، قال : « ذلك : الكاف فيه للمخاطبة واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين ، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيء من كتبهم ، ولا عرفوه ، وهذه من الأشياء التي كان ينبغي أن يتكلموا فيها ؛ إذ كان ذلك إشارة إلى كل متراح عنك — إلا أن تركهم الكلام أعوذ عليهم من تكلمهم ، إذ كان أول ما نطقوا به في فعل (كذا) قد نقض سائر العربية ، ثم قال : وقد بينا ذلك قديماً . »

وكان بودى أن أعرف بيانه فأنتى لى ذلك ١٩

سابعاً — استغلاله العروض في التعليل :

ويبدو ذلك في قوله : فأما د والليل إذا يسر ، فخذفت الياء ؛ لأنها رأس آية ،

(٢) سورة النساء آية : ١٧٠

(١) سورة المائدة آية : ٦٩

ورموس الآى الحذف جائز فيها ، كما يجوز في أواخر الآيات (١) .
وقد كان الزجاج على علم بالعروض ، وصاحب اختيار فيه (٢) ، ألف فيما ألف
كتاب القوافي ، وكتاب العروض (٣) ، ومن هنا رأيت يتعرض للرجز مستطرداً ،
تحدث عن أصله في اللغة ، وأورد رأى الخليل فيه ، وأدلته على ما رأى ، وتعليق
الأخفش على رأى الخليل ، وذلك حيث يقول :

أصل الرجز في اللغة تتابع الحركات فن ذلك قولهم : ناقة رجزاء ، إذا كانت ترتعد
قوائمها عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر : لأنه أقصر آيات الشعر ، والانتقال من
بيت إلى بيت سريع نحو قوله :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع
ونحو قولهم . صبرا بنى عبد الدار ، ونحو قولهم : ما هاج أحراناً وشجوا
قد شجوا .

* * *

وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر ، وإنما هو أنصاف آيات وأثلاث ، ودليل
الخليل في ذلك : ما روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأخبار
قال الخليل : لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم)
« ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً » . وجاء النصف الثاني على غير تأليف الشعر ؛
لأن نصف البيت لا يقال له شعر ، ولا بيت ، ولو جاز أن يقال لنصف البيت شعر
لقيل لجزء منه شعر ، وجرى على لسانه فيما روى :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال بعضهم إنما هو (لا كذب) . أنا ابن عبد المطلب بفتح الباء على الوصل .
قال الخليل : فلو كان شعراً لم يجر على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال الله :
« وما علنناه الشعر وما ينبغي له » ، أى وما يتسهل له .

قال الأخفش : كان قول الخليل إن هذه الأشياء شعر ، قال : وأنا أقول : إنها
ليست بشعر . وذكر أنه ألزم الخليل ما ذكرناه أن الخليل اعتمده . . .

(١) أنظر تفسير قوله تعالى : (وسوف يؤتاهم المؤمنون أجرًا عظيماً) من مآنى القرآن للزجاج .

(٢) الفهرست : ٩١

(٣) تركة الألباء : ١٦٦

وتناول الزجاج للعروض على كل حال في معاني القرآن — يبدو قليلا ، فلم يتوسع فيه .

أما أبو علي فقد ذهب في ذلك إلى مدى بعيد تناولته بالبيان في موضعه .
والزجاج يعتمد اعتماداً ظاهراً على سيبويه ، ولا غرو في ذلك ، فقد كان للكتاب أهلا .

قال ابن كيسان عندما قصده أبو بكر مبرمان ليقراً عليه كتاب : « اذهب إلى أهله ، يشير بذلك إلى الزجاج (١) .

ويظهر من عبارة الزجاج التي يقول فيها : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة (٢) . يظهر من عبارته تلك أنه كان يقرأ ، ويتفحص ويمحص ، ويستخرج .

(ب) ويثني على المازني ، ويقف منه موقف التقدير اذ يقول : « وقد فسر المازني هذا تفسيراً مقنعاً ، يشير الى عطف الظاهر على المضمرة في حال الجر ، وكونه لا يجوز الا بإظهار الجار .

(ج) كما يأخذ بقوال الخليل ، والأصمعي ، والاختش

(د) ويشير الى أبي اسحق اسماعيل بن اسحق حيث يقول : في بيان خطأ قراءة والأرحام في أمر الدين : « ورأيت أبا اسحق اسماعيل بن اسحق يذهب الى أن الحلف بغير الله أمر عظيم ، وأن ذلك خاص لله (عز وجل) على ما أتت به الرواية ، .
وأبو اسحق هذا هو الأزدي ، اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد (٢٠٠ — ٢٨٢ (١) هـ) والذي أدركه الزجاج ، ولعله نظر اليه في التأليف في معاني القرآن ، فله فيه كتاب (٢) ، وكان من أعلام القضاة ببغداد (٣) ، وأنت تلحظ أنه ينقل عنه في النص السابق ما يتصل بالحلف والإيمان ، وهو ما يأخذ به القضاة الخصوم في صدر المقاضاة ، على أن له صلة الحكاية عن المبرد (٤) ، واذ كان المبرد أخص شيوخ زجاج صلة به ، فمن حقه أن يعطى فضل بيان ؛ اذ كانت هذه الصلة سبباً في مهاجمة أبي علي الزجاج فيما أرى :

(٢) المصدر السابق : ٧٣

(٣) انظر طبقات المفسرين ورقة ٤٥

(٤) طبقات الزبيدي : ١٠٨

(١) طبقات الزبيدي : ١٧١

(١) المذكور في اول هذا الفصل

(٣) المرقبة العليا : ٣٢

(١) فقول المبرد على مذهب العربية حسن في رأى الزجاج ، وذلك قوله : ميمن في معنى مؤتمن ، إلا أن الهاء بدل من الهمزة ، والأصل مؤتمنا عليه كما قالوا : هرقت الماء وأرقت الماء ، وكما قالوا : إياك وهياك .

(ب) والمبرد من أهل النظر : وذلك حيث يقول الزجاج : « اختلف أهل النظر في تفسير قول عيسى : « وإن تغفر لهم ، فقال بعضهم : « إن تغفر لهم كذبهم على ، وقالوا : عيسى لا يجوز أن يقول : إن الله يجوز أن يغفر الكفر ، وكأنه على هذا القول إن تغفر لهم الحكاية فقط هذا قول أبي العباس محمد بن يزيد ، ولا أدري أشيء سمعه ، أم استخرجه ؟ .

فانظر قوله أولاً اختلف أهل النظر ، ثم قوله أخيراً هذا قول أبي العباس . .

(ج) وبذكر أدلته ، ويصوبها بأدلة أخرى (١) .

(د) وفي الأقل الأندر يغلطه : قال أبو العباس محمد بن يزيد في إعراب كان من قوله تعالى « إنه كان فاحشة ومقتاً ، جائزاً أن تكون كان زائدة ، فالعنى على هذا إنه فاحشة ومقت ، وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حلت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

قال أبو اسحق « هذا غلط من أبي العباس ؛ لأن كان لو كانت زائدة لم تنصب خبرها ، والدليل على هذا البيت الذى أنشدوه « وجيران لنا كانوا كرام ، ولم يقل كانوا كراما .

وموقفه منه على هذه الانحاء صورة من مواقفه منه في حياته العامة : فالزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه (٢) ، وكان الزجاج يخدم المبرد في أموره (٣) ، وكان لا يخليه من التفقد ، والمبرد هو الذى أسمى الزجاج لبنى مارقة معلباً لأولادهم بالصراة ، ويرد عنه في غيبته (٤) ، ويرد على ثعلب في الفصيح (٥) وثعلب خصيم المبرد (٦) ، وقد ظل وفاقاً له إلى أن مات (٧) ، وبعد المات ، أما تغليطه في الأقل الأندر فقد كان كذلك

(١) انظر في معاني القرآن إعراب المبرد اللاتي في قوله تعالى : « من نساءكم اللاتي دخلتم بهن »

سورة النساء آية ٢٢ .

(٢) بنية الوعاة : ١٧٩ وما بعدها

(٢) الفهرست : ٩٠

(٥) نزعة الألباء : ١٧٦

(٤) معجم الأدباء : ١/١٢٧

(٧) تاريخ بغداد : ٩٠/٦

(٦) طبقات الزيدى : ١١٣

صورة من علاقته به ، فقد مرت بالزجاج فتيرة انقطع فيها عن بر أستاذه ، وعن إجرائه عليه ما كان تعود منه (١) .

وشخصية الزجاج ظاهرة كل الظهور في كلامه عن الاشتقاق ، وتناوله تفسير الكلمات على هذا النمط الذي أشرت إليه من قبل ، حتى أصبح المتصل دراسة بالزجاج يستطيع أن يميزه بذلك ، اذ كان مما يطالع القارىء في كتابه كثيراً .

وهو أحياناً يسرد الأقوال من غير تعليق ، تراه يورد أقوال الشيوخ السابقين في تفسير قوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » . فيذكر قول مجاهد ، ثم يقول : وقال غيره ثم يقول : وقال بعض المفسرين قولاً ثالثاً ، وقال أهل البصر من أهل العربية . . . فهو يكثر من القول لكثراً يخفى شخصيته الباحثة أو المعقبة (٢) . وحيناً يعلق ، ولكنه مع ذلك لا تبرز له شخصية واضحة (٣) .

وأحياناً يعطى حكماً من غير تحليل ، فيورد الأقوال في تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنا وآبائنا ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله ، ثم يقول : « والتأويل الأول أشبه ، ولكنه لا يبين لم كان كذلك ؟

وأحياناً ينبض كلامه بشيء من الذاتية . ولكنه لا يكون دافقاً ولا قويا ؛ كأن يورد الأوجه الاعرابية في موضع من في قوله تعالى : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، ثم يقول : « وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه ، وانظر كلامه في توجيه المعنى من قوله تعالى : « هل يستطيع ربك ، وهل يستطيع ربك » وهو كلام قريب لا يدل على غور بعيد .

هذا وللزجاج اختيار في بعض مسائل النحو (٤) ، ولكن ذلك ليس بالكثير . وقد وقف من أبي عبيدة موقفاً يشبه موقف الفراء منه في معاني القرآن يغلطه (٥) ، ويجهله ، فيروي عنه أنه لا يعرف عدد أجزاء الجزور في قسمة الجزور ، ويرى غير ما يراه ، فقد قال أبو عبيدة المائدة في معنى مفعولة ، ولفظها فاعلة ، وقال الزجاج :

(١) طبقات الزبيدي : ١٣٣

(٢) وانظر قوله في تفسير قوله تعالى : فنردها على أعقابها

(٣) انظر رأيه في تبديل الجلود في قوله تعالى : كلما نضجت جلودهم

(٤) انظر الانصاف ص ١٩ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٤٠٦

(٥) انظر الكلام على ومن يرتد

والأصل عندى فى مائة أنها فاعلة من ماد يميد إذا تحرك فكأنما تميد بما عليها ، (١) .
وقد علقت موقف الفراء من أبى عبيدة ، وكذلك يكون هنا ذلك التعليل ،
وأضيف إليه : أن أبى عبيدة لم يكن بارعاً فى الاشتقاق الذى برع فيه الزجاج ،
حتى رووا عنه أنه قال عندما سئل عن اشتقاق كلمة « منى » ، قال فى سخرية : لم أكن
مع آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء (٢) ، ولعلمكم معى أن القول
بما قال أبو عبيدة يهدم نظرية الزجاج فى الاشتقاق . ثم إشارة ابن حنبل إلى أبى عبيدة
وعدم توثيقه له .

هذا وقد وجدت للزجاج أصولاً فى العربية ، ولكنها لا تكثر كثرتها عند الفراء
من قبل ، وهى تعد بذرة لهذه الأصول التى ملأها تليذه الزجاجى كتابه الجمل
فيا أرى . مثل هذه الأصول .

١ — الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث .

٢ — لا ينوب الواحد عن الجماعة إلا أن يكون من أسماء الفاعلين ، فلو كان
حسن القوم رجلاً لم يجز عنده .

٣ — كلام العرب موضوع على الإيجاز والتخفيف ، لاعلى التثقيب ، ولهذا خطأ
قول من قال : إن أصل سدس : سدس .

٤ — الحال يستقبل بها .

وبعد فهل أستطيع بعد الذى ذكرت أن أجمع أوجه التخالف بين أبى على الفارسى

وشيخه الزجاج فى كتابه معانى القرآن فيما هو خاص بالاحتجاج ؟

الزجاج يحتج لقراءات غير القراءات السبعة التى ذكرها ابن مجاهد فى كتابه
المترجم بقراءات الأمصار ، ويدخل فى الاحتجاج الأثر ، ويقول برسم المصحف ،
ولا يوثق قراءته ؛ فتراه يقول قرأ بعضهم كذا ... على حين أن الفارسى يلتزم فى الأعم
الأغلب تخريجها على وجوه القياس ، كما يسند كل قراءة يحتج لها إلى الإمام
القارى بها :

(١) فى قوله تعالى : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء

(٢) الزهر : ٢٠٥/١ ط صبيح

والزجاج لا يستطرد؛ بل هو معتدل في إيراد الاحتجاج على خلاف مع الفارسي في ذلك، وقد رأينا أن الزجاج يورد الشواهد على قلة، وكان فيها قصير الباع، وأنه يحكم الاشتقاق، ويأخذه به، كما أن مسائل المنطق وقضاياها خافتة عند الزجاج، ومن هنا كان أسلوبه سمحاً سهلاً لا أثر للتعقيد فيه ولا الالتواء، وربما كان سبب ذلك أيضاً اتصاله بالمبرد الأديب، وروايته الأخبار والأشعار على أبي نواس، والعباس بن الأحنف، وابن المعتز، وقد كانت صلة الزجاج بالمبرد قوية على النحو الذي بينت، والمبرد قد نقض على سيويه الكتاب، فكان أن تعصب أبو على الفارسي لسيويه، ورد على المبرد في كتبه، وأنصف منه إمام النحاة، وأصاب الزجاج شرر من هذه الخصومة. فكان كتاب الاغفال للفارسي ألفه فيما أغفله الزجاج من معاني القرآن

الفصل الثالث

بين أبي بكر بن السراج، وأبي علي في الاحتجاج

في الصدر الأول من كتاب الحجّة لأبي علي الفارسي يطالع القارئ العبارة الآتية :
« وقد كان أبو بكر محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك — يشير إلى الاحتجاج لوجوه القراءات — في كتاب كان ابتداءً بإملائه ، وارتفع منه بعض (كذا) ما في سورة البقره من وجوه الاختلاف (١) ، فمن محمد بن السري هذا الذي سبق الفارسي في الاحتجاج ، وبنى عليه أبو علي ؟ محمد بن السري هذا هو أبو بكر محمد ابن السري بن السراج (٢) ، وهو أحد الأشياخ الذين أخذ عنهم أبو علي (٣) ، ودرس له فيما درس كتاب الجمل ، وكتاب الموجز (٤) ، وسمع منه الكتاب (٥) ، وابن السراج معدود من مشهورى النحاة (٦) ، مذكور بكتابه في « أصول النحو » الذى ظفر بثناء العلماء عليه حتى زماننا هذا (٧) ، حتى قال الزبيدي في طبقاته : « هو غاية من الشرف والفائدة (٨) » ، وقالوا : « ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله (٩) » ، ولم يتعرض ابن الجزرى لمحمد بن السري في طبقات القراء حتى أمكن من معرفة مكانة الرجل بين القراء.. نعم ! ورد في طبقات القراء من اسمه ابن السراج ، ولكنه المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعائة (١٠) ، وبدهى أن ابن السراج الذى عناه أبو علي لا بد أن يكون متقدماً عليه ، وهناك آخران بين القراء عرفا بالسراج أحدهما (١١) أحمد بن مسعود أبو العباس (١٢) ، والآخر محمد بن اسحق بن ابراهيم بن مهران ابن عبد الله ، وليس فيهما من اشتهر بأبي بكر ، أو من كان اسمه محمد بن السري .

(١) الحجّة لفارسي : ١/١

(٢) تاريخ بغداد : ٣١٩/٥ في ذكر من اسمه محمد واسم أبيه السري .

(٣) نزعة الألباء : ١٦٩ (٤) معجم الأديباء : ٢٣٩/٧

(٥) بنية الرعاة : ٤٤ (٦) نزعة الألباء : ١٦٩

(٧) انظر مقدمة سر صناعة الاعراب (٨) طبقات الزبيدي : ١٢٢

(٩) معجم الأديباء : ١٩٨/١٨ (١٠) طبقات القراء : ٢٥٦/٢

(١١) طبقات القراء : ٩٧/٢ (١٢) طبقات القراء : ١٣٨/١

محمد بن السرى السراج غير معدود في طبقات القراء ومع ذلك فله فيما يقول المؤرخون من الوراقين — كتاب احتجاج القراءة^(١)، ويسميه ياقوت: احتجاج القراء^(٢)، ويشير أبو علي إلى أن لابن السراج كتاباً في القراءات، وأنه اطلع عليه^(٣) وإذن فللرجل مشاركة فيما هو متصل بالقراءات، وإن كان غير معدود في القراء، ويظهر أن انتهار الزجاج إياه حتى هم بضربه لخطئه في مسألة نحوية^(٤) جملة يشغل بالنحو، ويعكف عليه دون ما سواه، كما عكف سيويه لأجل ذلك من قبل على الدراسات النحوية، بعد أن كان يطلب الحديث في حلقة حماد بن سلبة^(٥).

وإذا كان ابن السراج قد توفي سنة ست عشرة وثلثمائة^(٦)، وكانت وفاته في سن مبكرة^(٧)، وإذا علمنا أن أبا علي انتقل من بلاده إلى بغداد سنة ٣٠٧ هـ^(٨)، وأنه سمع الكتاب على ابن السراج^(٩)، فعنى هذا أن اتصال أبي علي بابن السراج كان اتصالاً مبكراً في صدر الشباب من أبي علي^(١٠)، منذ أوائل نزوله بالعراق.

ويشهد بما كان عليه ابن السراج من الذكاء — ما تركه من كتب أئني عليها العلماء واتصلت مع ذلك بفنون مختلفة: في القراءة، والنحو، واللغة، والآداب، والخط^(١١) مع أنه لم يعمر طويلاً، فلم تطل مدته، ومات شاباً^(١٢).

وكان الشيخ أبو بكر عظيم الثقة بتلميذه أبي علي، وآية ذلك أن الشيخ يتقدم للتلميذ راغباً إليه بإتمام الموجز بعد أن عمل نصفه — بما ينقله من كلام في الأصول والجل^(١٣). وإذن فقد تأثر أبو علي بابن السراج في دراساته النحوية منذ باكورة الشباب، يقرأ عليه الكتاب، وينقل من كتاب ابن السراج في الأصول ليم كتاب الموجز، ثم يجلس أبو علي للدرس ليقراً عليه الناس كتاب الجمل، وكتاب الموجز لشيخه ابن السراج^(١٤)، وكان من هؤلاء الذين يقرءون على أبي علي هذين الكتابين على بن عيسى الرمانى^(١٥)، كما يتأثر أبو علي بابن السراج في الدراسات القرآنية،

- | | |
|---|---------------------------|
| (١) الفهرست : ٩٣ | (٢) معجم الأدباء : ٢٠٠/١٨ |
| (٣) انظر كتاب الحجّة : ١/٣٣٦ | (٤) الفهرست : ٩٢ |
| (٥) طبقات القراء : ٦٦ | (٦) ترهة الألباء : ١٦٩ |
| (٧) بنية الوعاة : ٤٤ | (٨) وفيات الأعيان : ٣٦١ |
| (٩) معجم الأدباء : ٢٠١/١٨ | (١٠) ولد أبو علي سنة ٢٨٨ |
| (١١) انظر معجم الأدباء : ١٩٨/١٨ | (١٢) بنية الوعاة : ٤٤ |
| (١٣) رسالة الغفران : ٣٠٨ تحقيق ابنة الشاطيء | |
| (١٤) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ | (١٥) المصدر السابق |

إذ يطلع على كتابه في القراءات^(١)، ويقفو أثره في الاحتجاج للقراء^(٢)، ولعله تأثر به في الناحية الأدبية كذلك، فقد كان يندم ما يرويه أستاذه على ما أورد ياقوت^(٣). وسنراه واضح الشخصية فيما يعرض لابن السراج في الاحتجاج مقبلاً، أو شارحاً، أو ناقداً مفنداً.

ومهما يكن من أمر في كون ابن السراج غير معدود في طبقات القراء، فإن القدر الذي تركه لنا في الاحتجاج — على ضآلته — يتيح لنا فرصة التعرض لمنهجه بالحديث عنه — وأقول على ضآلته، لأن الرجل (رحمه الله) احتج باختلاف القراء في أم الكتاب، ثم انتقل منها إلى سورة البقرة، ووصل فيها إلى آخر قوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»، ثم أمسك.

ولقد أراد أبو علي الفارسي أن يطلع الناس على منهجه في الاحتجاج، وما أوتي من قدرة عليه، وتمسك فيه، إلى جانب احتجاج ابن السراج، فالتزم في القدر الذي ترك ابن السراج — أن يسند إليه ما فسر من ذلك في كتابه^(٤)، ثم يشير إلى أن الحكاية انتهت عن أبي بكر، ثم يبدأ هو بالاحتجاج بقوله: قال أبو علي... وبذلك أتاح أبو علي للدارسين بما أسند إلى ابن السراج، وأورد من كلامه في الاحتجاج أتاح لهم التعرف على خطة ابن السراج، واختبار منهجه وموازنته بمنهج أبي علي، وعقد دراسة مقارنة بينهما، توضح خطة الرجلين، ومقدار ما بينهما من تشابه، أو اختلاف في القدر الذي اشتركا فيه من الاحتجاج، ولهذا المقارنات مكاتبتها في الدراسات القرآنية بعامة، وما هو متصل منها بالاحتجاج للقراء على وجه خاص، وهو ما أنا في سبيل إليه الآن.

ولست بحاجة إلى بيان الأسباب الداعية إلى تأليف ابن السراج في الاحتجاج، فقد تعرضت لشيء من ذلك — على وجه عام — في الفصول السابقة، وذكرت أني سأفرد للكلام عن منهج ابن السراج فصلاً خاصاً أتعرف فيه عليه، إلا أنه مما يستحق الذكر في مقامى هذا أن أذكر أن المبرد (٢٨٥ هـ) شيخ أبي السراج^(٥) الف في احتجاج القراء^(٦)، وقد كان اتصال ابن السراج بالمبرد، وصحبته له

(١) الحجبه : ٣٣٦/١ نسخة البلدية
(٢) الحجبه : ١/١ نسخة مراد ملا
(٣) انظر معجم الادباء : ١٧/١٩٧
(٤) انظر الحجبه : ١/١
(٥) انظر تاريخ بغداد : ٥/٣١٩
(٦) الفهرست : ٨٨

مبكرة كذلك ؛ إذ يحكون أن ابن السراج كان أحدث أصحاب المبرد سناً^(١) ، فتأثر الشاب الناشئ بأستاذه الشيخ ، فكان احتجاجه للقراءة كما احتج أستاذه ، وإلى جانب ذلك كانت هناك صحبة بين أبي بكر بن السراج ، وشيخ القراءة والإقراء ببغداد . وهو ابن مجاهد (٣٢٤ هـ) الذي سبغ السبعة ، وأطلق عليه شيخ الصنعة^(٢) ، وقد أشار إلى هذه الصحبة التي انعقدت بين الشيخين — ابن الأنباري في نزهة الألباء ، في حكاية طريفة عند ترجمته لابن السراج^(٣) . كما أن لأبي حاتم السجستاني وكثيراً ما ينقل عنه ابن السراج — كتاباً في القراءات^(٤) ، وللزجاج أستاذ ابن السراج مشاركته كذلك في التأليف القرآنية إذ له : معاني القرآن^(٥) ، ويسميه ابن الأنباري « المعاني في القرآن »^(٦) ، فهذه أسباب خاصة دافعة لابن السراج إلى أن يؤلف في الاحتجاج بجانب هذه الأسباب العامة التي فصلتها في مكانها تفصيلاً^(٧) .

وأبو بكر بن السراج يستهدى الحس في الاحتجاج ، فتراه يستريح إلى القراءة الخفيفة على اللسان الحسنة في السمع والأكثر دوراناً على الألسنة ، وذلك اختياره القراءة بالصاد في « الصراط » ، حيث يقول :

« للقارىء بالسين أن يقول هو أصل الكلمة ، ولو لزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها ، ، ويقول من يقرأ بالصاد : « لأنها أخف على اللسان ، لأن الصاد حرف مطبق كالظاء يتقاربان ؛ ويحسنان في السمع » ، وبعد أن أورد الحجة لمن قرأ بالزاي ، والحجة لمن قرأ بالمضارعة التي بين الصاد والزاي قال : « والاختيار عندي الصاد للخفة والحسن في السمع ، وهو غير ملتبس . . . ومع ذلك فهي قراءة الأكثر ، ألا ترى لمن من رويت عنه القراءة بالسين منهم قد رويت عنه بالصاد ؟ ثم قال : « وأما القراءة بالمضارعة التي بين الصاد والزاي فعدلت عن القراءة بها ؛ لأنه تكلف حرف بين حرفين وذاك أصعب على اللسان^(٨) . . . » .

وقال في موضع آخر بعد أن أورد القراءات المختلفة في (عليهم) ، واحتج للقارئ بها : « والاختيار عليهم بالكسر ، لأنها أخف على اللسان ، وهي قراءة

(٢) طبقة القراء : ١٣٩/١

(٤) الفهرست : ٨٧

(٦) نزهة الألباء : ١٦٦

(٨) الحجة : ٣٠ نسخة مراد ملا

(١) بنية الوعاة : ٤٤

(٣) نزهة الألباء : ١٦٩

(٥) الفهرست : ٩١

(٧) انظر الفصل الخاص بذلك

الاكثر^(١) — وقال في موضع آخر: من أثبت الياء في (فيه هدى) لا يجوز له أن يدغم، لأنه لم يلتق حرفان، ومع ذلك فهي من الحروف التي يكره إدغام بعضها في بعض لتقل ذلك^(٢).

هذه النظرية الفنية من ابن السراج في حاجة إلى تعليل، حقيقة، تبه سيويه من قبل إلى أن العرب جرت على ألسنتهم لهجات بعينها دعاهم إليها التماس الخفة في الانسجام الصوتي^(٣). ومن قبل سيويه، كان لشيخه الخليل تجولات في هذا الباب^(٤).

ولكن أليس من تعليل لهذا الاتجاه عند الخليل، واختيار ابن السراج من القراءات ما خف على اللسان، وارتاحت إليه الآذان؟

وهذا ابن جنى يقرر أن الخذاق المتقنين من التحويين يحلون في علمهم — على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال، وخفتها على النفس^(٥)، ثم يكرر هذا المعنى في صفحات متتابعة من الباب الذي عقده لعل العربية أكلامية لي أم فقهية^(٦)؟ ولكن لم كان ذلك الاختيار من ابن السراج، والتعليل من الخليل ١١ السبب عندي أن كلا منهما قد اشتغل بالموسيقى؛ فالخليل له معرفة بالإيقاع والنغم^(٧)، وألف فيه كتاب الإيقاع والنغم^(٨)، كما أن ابن السراج كان يشتغل بالموسيقى^(٩)، فليس بعيد إذن أن يستريح إلى القراءة التي يكون لها وقع موسيقى على الآذان بما فيها من خفة على اللسان. وأن ينبه إلى ذلك في احتجاجه بوضوح وبيان.

• • •

وإذا كان لابن السراج جهد مذكور في دراسة كتاب سيويه، واستخراج مسأله، وعقد أصوله^(١٠)، فلا غرابة أن رأيناه في احتجاجه — وتلك صلته بالكتاب — ينظر إلى سيويه، ويستمد منه التعليل، وذلك حيث يقول — مثلاً — في حجة من قرأ عليهم فكسر الهاء ووصل الميم بواو — وهو قول ابن كثير ونافع

(١) الحجة: ٣٨/١ نسخة مراد ملا

(٢) الحجة نسخة مراد ملا: ١١٨ (٣) انظر مثلاً الكتاب لسيويه ٢٥٩٢/٢٤ وماحواليها

(٤) انظر اللسان: ٢٢٥/٣ و ٣٤٩/٩ (٥) ص ٤٦/٦ الخصائص

(٦) المصدر السابق انظر: ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٩، ٦٢، ٧٠.

(٧) ينية الوعاة: ٢٤٤ (٨) المصدر السابق: ٢٤٥ والفهرست: ٦٥

(٩) الفهرست: ٩٢ (١٠) انظر ترمه الالباء: ١٦٩

في أحد قوله — قال سيويه : « قال بعضهم : عليهم أتبع الياء ما أشبهها وترك ما لا يشبه الياء ولا الألف على الأصل (١) .

* * *

ولذا كان ابن السراج قد درس المنطق (٢) ، فإننا نرى ملاحظ هذه الدراسة فيما أُورد من احتجاج ، فهو يذكر بعض اصطلاحات المناطقة كالجنس (٣) ، والعموم ، والخصوص ، قال : الوصف بالملك أعم من الوصف بالملك ... ثم قال مبيناً أن فيهما عموماً وخصوصاً مطلقاً ... فكل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكاً .

* * *

ولذا كان ياقوت قد أُورد قوله عن ابن السراج : أنه عول على مسائل الاخفش والكوفيين (٤) فإننا نراه يروي عن الاخفش كثيراً ، ويعتمد عليه في الاحتجاج (٥) . كما رأيت ابن السراج يعتمد كثيراً على ما يحكيه أبو حاتم (٦) ، وأبو حاتم هذا هو أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) إمام البصرة في النحو ، والقراءة ، واللغة والعروض ، قال ابن الجزري : وأحسبه أول من صنف في القراءات (٧) ، فلعل ابن السراج اعتمد على ما كتب في هذا الشأن .

وهو وإن كان يعتمد على ما اتصل بهم دراسة ، فيحكي عنهم ، وينظر اليهم ، ويروي نقولهم ، نراه يقف من هؤلاء موقف الناقد المنقد ، كأن يقول : « رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم في قوله تعالى : فيه هدى : (٨) هذا محال ، لا يمكن الادغام مع شيء من هذا ، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال لا بقطع ولا حركة ، ولا ضرب من الضروب ، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد ، وإنما كان أبو عمرو يختلس ويخفي فيظن به الادغام ، وكيف يكون متحرك مدغم ؟ فيجب أن يكون متحركاً ساكناً ، (٩) .

(١) الحجة : ٣٦ نسخة مراد ملا
(٢) الفهرست : ٩٢
(٣) الحجة نسخة مراد ملا ٤/١
(٤) معجم الادباء : ١٩٨/١٨
(٥) نسخة مراد ملا اظن ورقة ١٢٠
(٦) اظن مثلاً ورقة ٣٠ و ٣٨ و ١٢٨ و ١٢٠ (٧) طبقات القراء : ١/٣٢٠
(٨) سورة البقرة آية ٢
(٩) الحجة ١ ورقة ١٢٠ نسخة مراد ملا

ونلاحظ هنا أيضاً تدليله المنطقي، وذلك يتصل بدراساته المنطقية التي أشرت إليها قبل .

هذا ويذكر المترجمون لأبي بكر بن السراج أنه عول على مسائل... الكوفيين وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة^(١)، وقد ظهر أثر ذلك في اعتداده برسم المصحف، وتلك نظرة كوفية رأيناها عند الفراء في معاني القرآن^(٢)، كما يعتد بكثرة الدور على الألسنة، وهذه أيضاً يعتد بها الأئمة الكوفيون^(٣)، وإن أردت الدليل على اتجاه ابن السراج الكوفي فاقراً قوله: «الاختيار في فيه الكسر بغير ياء ولا إدغام، وحكى عن أبي حاتم أن ذلك قراءة العامة، قال أبو بكر: «وهو الأخف، وخط المصحف بغير ياء، قال: وأكره الإدغام، لأن من كسر فالياء يريد، ومن أثبت الياء لم يجز له أن يدغم، لأنه لم يلتق حرفان، ومع ذلك فهي من الحروف التي يكره ادغام بعضها في بعض لثقل ذلك^(٤)».

ومع أنه يختار بعض القراءات، ويكره البعض الآخر فهو معترف بها جميعاً محتج لها كذلك، «ولولا ذلك ما جازت القراءة به، ولا بد للبعاني من أن تتقارب^(٥)». ثم الحظ اختياره للقراءة لأنها كثيرة الدور على السنة أكثر العرب في قوله: والاختيار عندى الصاد (في الصراط) للخفة، والحسن في السمع... ومع ذلك فهي قراءة الأكثر، ألا ترى أن من رويت عنه القراءة بالسین منهم قد رويت عنه بالصاد^(٦)؟

ذلك أثر دراساته الكوفية، وأخذه بأراء الكوفيين، واتجاهات مدرستهم في البحوث القرآنية، ورسم المصحف لا يقول به أبو علي كما بينت ذلك في فصل آخر. ومن أثر اختلاط الدراسات الكوفية بنحوه البصري استعماله منجزة (بدل ساكنة^(٧))، وذلك اصطلاح كوفي^(٨). ثم هو إلى جانب ذلك يورد أقوالاً لأحمد

(١) مجمع الایاء: ١٨٨/١٨ (٢) انظر معاني القرآن ص ٢ و ١٤

(٣) انظر مثلاً معاني القرآن ٤ وه

(٤) الحجية: ١١٨/١ نسخة مراد ملا (٥) نسخة مراد ملا ورقة ٦

(٦) الحجية: ٣٠/١ نسخة مراد ملا (٧) ٤٦/١

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ص ٢٢٣

ابن يحيى ثعلب يحتج فيها للكسائي ، وهذا الى جانب دلالة عل نزعه الكوفية — يدل على أن الخلاف بين المدرستين لم يكن في المسائل النحوية حسية ؛ بل تعداه الى احتجاج كل مدرسة لشيوخها في القراءات ، وأورد ابن السراج في الاحتجاج لقراءة الكسائي مالك بألف : د وقال أحمد بن يحيى : من حجة الكسائي أنه يقال : ملك الناس ، مثل سيد الناس ، ورب الناس ، ومالك يوم الدين ، ولا يقال سيد يوم الدين ، فاذا كان مع الناس (١) ما يفضل عليهم كان ملك ، وإذا كان مع غير الناس كان مالك (٢) .

وأود هنا أن أنصف ابن السراج ، وأرد اليه فضل السبق في التحدث عن الاشتقاق الصغير ، ذلك لأن الأستاذ أحمد أمين (رحمه الله) قال في ظهر الاسلام ما نصه : د ومن خير ما ألف في اللغة أيضاً (٣) في ذلك العصر كتاب مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، وقد نحا فيه نحواً جديداً ، وقد استخلص من معاني الكلمة المختلفة معنى واحداً ، أو معنيين جعله أساساً للكلمة ، ونقص عليه ، وبين أن الاشتقاقات المختلفة تدور حوله . مثال ذلك د وجب ، قال الواو والجيم والباء أصل واحد يدل على سقوط الشيء ووقوعه ، ثم يتفرع ، يقال وجب البيع وجوباً — حق ووقع ، ووجب الميت سقط ، والقتيل واجب ، وفي الحديث : د إذا وجب فلا تبكين باكية ، أي إذا سقط . وقال الله في النسك د فاذا وجبت جنوبها ، قال قيس :

أطاعت بنو عوف أميراً نهاهم
عن السلم حتى كان أول واجب
ووجب الحائط سقط (٤) .

فأنت ترى أن الأستاذ أحمد أمين وصف ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة بأنه د نحا نحواً جديداً فيه ، ، ثم بين ذلك النحو الجديد بأن يؤول المعاني كلها الى معنى واحد ، أو كما قال : يريد أن يصب الكلام المتشعب في د برشامة ، واحدة (٥) وأرى أن ابن فارس (٣٩٥ هـ) لم يكن مبتدعاً ذلك ابتداءً ، فقد سبقه فيه ابن السراج ، والزجاج ، ولكن ابن السراج ينفرد بأنه ألف كتاباً في الاشتقاق

(١) في نسخة مراد ملا وما يفضل لهم والتصحيح عن نسخة البلدية : ٤/١

(٢) نسخة مراد ملا ٤/١ (٣) في الكتاب (غير) والصحيح ما أثبتته

(٤) ظهر الإسلام ٩٣/٢

(٥) مؤتمر المجمع القوي الدورة الخامسة عشرة ، من الجلسة التاسعة ص ١٦ (١٩٤٨/

كما يقول ابن جنى (ت ٣١٦ هـ) ، واقرأ معى كلام أبى بكر فيما أورد من الاحتجاج لقراءة من قرأ ملك يوم الدين ، وأنه يختار هذه القراءة قال : « الاختيار عندى ملك يوم الدين ، والحجة فى ذلك أن الملك والملك يجمعهما معنى واحد ، ويرجعان إلى أصل : وهو الربط والشد ، كما قالوا : ملكت العجين أى شدته ، وقال الشاعر :

ملكته بها كنى فأهزرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراها
يصف طعنة ، يقول : « شدت بها كنى » ، والاملاك من هذا : إنما هو رباط الرجل بالمرأة ، وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض ، فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالابنية ، فيلزم كل بناء ضرباً من ذلك الجنس ، مثال ذلك : العدل يشق منه العدل ، والعديل ، فالعدل ما كان متاعاً ، والعديل الانسان ، والأصل إنما هو العدل ، فكذلك مالك وملك ، فالملك الذى يملك الكثير من الأشياء ، وشارك غيره من الناس بأن يشاركه فى ملكه بالحكم عليه فيه ، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك ، ويسوسه ^(١) به الخ ...

وقد أورد ابن فارس فى كتابه مقاييس اللغة كلاماً فى مادة ملك ينظر فيه إلى قول ابن السراج ^(٢) . فهأتم أولاء ترون سبق ابن السراج فى هذا الباب ؟ وكيف ساق الأمثلة من كلام العرب وقد ساقها بعد ابن فارس ؟ وكيف أورد شواهد الشعر كما أورد ؟ أيجوز بعد ذلك أن نطمئن إلى ما يقول الأستاذ أحمد أمين : « ان ابن فارس نحاً نحواً جديداً فى كتابه مقاييس اللغة » ^(٣) ؟ على أنى وجدت ابن قتيبة — وهو سابق لابن السراج — يرجع المعانى المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت منه وتفرعت عنه ، فقد ذكر — مثلاً — كلمة القضاء وبين معانيها المختلفة التى تصير إليها ثم ختم بحثه بقوله : وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد ^(٤) . فلعل الأستاذ أحمد أمين (رحمه الله) يرى أن ابن فارس أول من ألف كتاباً نحاً فيه هذا النحو الجديد ، ولكن هذا مردود أيضاً لأن ابن السراج « قد قدم رسالته فيه ، ، ولم يأل فيه — كما يقول ابن جنى — نصحاً ، وإحكاماً ، وصنعة ، وتأنيساً ^(٥) إلى أن الكلام فى الاشتقاق قديم يرجع العهد به إلى زمان الاصمعى ، وقطرب

(٢) انظر مقاييس اللغة ٦/١

(٤) الشكل : ٣٤٣

(١) الحجة نسخة مراد ملا : ٤/١

(٣) ظهر الإسلام : ٩٣/٢

(٥) الحصائص لابن جنى : ٥٢٦/١

وأبي الحسن الاخفش وكلهم قد ألف في هذا الفن^(١). ولم يقننه رجال مجمع اللغة العربية إلى سبق ابن السراج وإحكامه وصنعتة، ذلك أنه لم يناقش أحد منهم — فيما أعلم — السيد محمد رضا الشيباني في تقريره أن ابن فارس في مقدمة أئمة مدرسة القياس بما ألف من كتاب المقاييس في اللغة^(٢).

ومن تمام الحديث أعرض لحظة كل من الرجلين: ابن السراج، وأبي علي؛ ليتجلى الفرق واضحاً بين المنهجين.

فإن السراج يبدأ ببيان أوجه القراءة في اللفظ الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء، ثم يعين قراءة كل قارئ من القراء السبعة في ذلك اللفظ، ثم يحتاج لكل فريق من القراء اتفاق على قراءة في الحرف المختلف عليه، ويعتمد في احتجاجه على:

(١) دليل نقلي ويشمل:

١ — النقول التي سمعها من شيوخه، وقد تصل هذه النقول إلى قارئ من القراء السبعة بطريق السند.

٢ — ما اتفقوا على قراءته فيما يشبه هذا الحرف المختلف عليه فيحتاج لقراءة ملك يوم الدين لأن الله قال: «ملك الناس، والملك القدوس»، ويحتاج لقراءة مالك يوم الدين بأن الله قال: «قل اللهم مالك الملك».

(ب) دليل يمكن أن نسميه دليلاً عقلياً — أو معنوياً — وهنا يعرض للبعنى الذي عليه الآية مقرومة بالوجه الذي يحتاج له.

(ج) — ثم يذكر ما يختار من القراءة، ويحتاج لاختياره احتجاجاً يكشف عن شخصيته هو.

(د) ثم يذكر رأى الفريق الآخر ويذكر احتجاجه معترفاً بحسن ما ذهب إليه، إذ لولا ذلك ما جازت القراءة.

(هـ) ثم يقوى جانب ما اختار، ويضعف الجانب الذي ترك.

وبدهى أن الخطوات التي قبل الاحتجاج — وهي أوجه القراءة في اللفظ الذي وقع فيه الاختلاف، وتعيين قراءة كل قارئ من الأئمة السبعة — هذه الخطوات من عمل ابن مجاهد، بل هي كتابه في القراءات^(٣)، وقد سار أبو علي هذا النهج

(١) الزهر: ٣٥١/

(٢) الدورة الخامسة عشرة للمجمع القوي س ١١ من الجلسة التاسعة.

(٣) الفهرست: ٤٧

الذى سار عليه ابن السراج فيما هو خاص بعرض قراءات القراء واختلافهم في فرش الحروف (١).

وتبدو خطوات ابن السراج السابقة من هذا المثال :
اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل : «مالك يوم الدين» (٢)،
فقرأ عاصم والكسائي مالك بألف ، وقرأ الباقون ملك بغير ألف ، ولم يمل أحد
الألف في مالك .

(١) قال أبو بكر محمد بن السرى : « قال أبو عمرو فيما أخذته عن اليزيديين :
أن « ملك » يجمع « مالكا » أى ملك ذلك اليوم بما فيه ، ومالك إما يكون للشيء
وحده ، تقول « مالك هذا الشيء » ، وقال الله عز وجل : « قل اللهم مالك الملك » (٣)
للشيء بعينه ، فملك يجمع مالكا ، ومالك لا يجمع ملكا ، وقال الله عز وجل :
« ملك الناس » (٤) و « الملك القدوس » (٥) .

قال : وحكى أن عاصم الجحدري قرأها ملك بغير ألف ، فقال محتجاً على من قرأ
مالك بالألف يلزمه أن يقرأ : « قل أعوذ برب الناس » : قال هرون : قد ذكرت
ذلك لأبي عمرو ، فقال : نعم ! أفلا يقرءون « فتعالى الله المالك الحق » (٦) ، قال :
وقال بعض من اختار القراءة بملك أن الله قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله :
« رب العالمين » ، فلا فائدة في تكريره ذكر ما قد مضى ذكره من غير فصل بينهما
بذكره معنى غيره قال : وقال : « وإن الخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
بقراءته ملك يوم الدين أصح إسناداً من الخبر بقراءته مالك ، وأن وصفه بالملك
أبلغ في المدح قال : وهى قراءة أبي جعفر ، والأعرج ، وشيبة بن نصار ، وقال أحمد
ابن يحيى : « من حجة الكسائي أنه يقال : ملك الناس ، مثل سيد الناس ، ورب الناس ،
ومالك يوم الدين . ولا يقال سيد يوم الدين ، فإذا كان مع الناس وما يفضل عليهم
كان ملك ، وإذا كان مع غير الناس كان مالك » .

(١) تعبير للقراء يقصد به الألفاظ التى وقع الاختلاف فى قراءتها فى القرآن الكريم. انظر

النشر : ٣٠٦/٢

(٣) سورة آل عمران

(٢) سورة الفاتحة

(٥) سورة الحفر

(٤) سورة الناس

(٦) سورة طه

قال : وقال من احتج بالملك ، وكره ملك : أن أول من قرأ ملك : مروان بن الحكم ، وأنه قد يدخل في المُلْك ما لا يجوز ولا يصح دخوله في المُلْك ، قالوا : « وذلك أنه صحيح في الكلام أن يقال : ، فلان مالك الدراهم والطيور ، وغير صحيح أن يقال فلان ملك (الدراهم والدنانير) .

(ب) قالوا : فالوصف بالملك أعم من الوصف بالملك ، والله مالك كل شيء ، قالوا : والمعنى أنه يملك الحَكَم يوم الدين بين خلقه دون سائر الخلق الذين كانوا يحكمون بينهم في الدنيا . « قالوا : ، وقد وصف الله (عز وجل) نفسه بأنه مالك الملك ، فقال : ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، ولا يقال « هو مَلِكُ الملك ، ، قالوا : فوصفه بالملك أبلغ في الثناء وأعم في المدح من وصفه بالملك .

وقرأ (مالك) من متقدمي القراء قتادة ، والأعمش . وقال أبو عبيدة في قوله : « ملك يوم الدين ، معناه الملك يومئذ ليس ملك غير ، ومن قرأ مالك أراد به أنه يملك الدين والحساب لا يليه سواه قال : وكذلك يروى عن عمر .

(ج) قال أبو بكر : الاختيار عندي « ملك يوم الدين ، ، والحجة في ذلك أن الملك والمالك يجمعهما معنى واحد ، ويرجعان إلى أصل ، وهو الربط والشد ، كما قالوا : ملكت العجين أي شددته . وقال الشاعر :

ملكته بها كفي فأنهزت فتحتها يرى قائم من دونها ما وراءها

يصف طعنة يقول : شددت بها كفي ، والاملاك من هذا إنما هو رباط الرجل بالمرأة . وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض ، فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالابنية ، فيلزم كل بناء ضرباً من ذلك الجنس ، مثال ذلك العدل ، يشتق منه العدل ، والعديل ، فالعدل ما كان متاعاً ، والعديل الانسان ، والأصل إنما هو العدل ، فكذلك مالك وملك ، فالملك الذي يملك الكثير من الأشياء ، ويشارك غيره من الناس بأن يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه ، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك ويسوسه به ، ويجتمع مع ذلك أن الملك يملك على الناس أمورهم في أنفسهم وجميع متصرفاتهم (III) ، فلا يستحق اسم الملك حتى يجمع له ملك هذا كله ، فكل مَلِكٍ مالك ، وليس كل مالك مَلِكاً . وأما قوله (عز وجل) مالك الملك « فإن الله (عز وجل) يملك ملوك الدنيا ، وما ملكوا ، وإنما تأويل ذلك أنه يملك ملك الدنيا ، فيؤتي الملك من يشاء ، فأما يوم الدين فليس إلا ملكه ، وهو ملك الملوك

(جل وعز) يملكهم كلهم، وقد يستعمل هذا في الناس، فيقال: فلان ملك الملوك وأمير الأمراء، يراد بذلك أن من دونه ملوكا وأمراء، فيقال ملك الملوك، وأمير الأمراء ولا يقال ملك الملك، ولا أمير الامارة، لأن أميرا وملكاً صفة غير جارية على فعل، ولا معنى لاضافتها إلى المصدر. وأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال: ملك عام كذا، وملك سنة كذا، وملك الدهر الأول، وملك زمانه، وسيد زمانه، وهو في المدح أبلغ، والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى، والصفة له، ألا ترى قوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، فالربوبية والملك متشابهان».

(د) قال: وللختار لملك أن يقول: قرأت مالك لأن المعنى يملك يوم الدين وهو يوم الجزاء، ولا يملك ذلك اليوم أن يأتي به، ولا سائر الأيام غير الله. وهذا ما لا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى، فيقال: هذا الذي قلت حسن، ولولا هذا المعنى وما يؤديه ما جازت القراءة به، ولا بد للبعاني من أن تتقارب، والملك في ذلك اليوم أيضاً لا يكون إلا لله، فهو متفرد بهذا الوصف، ويقوى ذلك قوله لمن الملك اليوم؟ لله ١١ (١)، وقوله «والأمر يومئذ لله».

(هـ) فإن احتج المختار لملك بما روى من أن أول من قرأ ملك مروان بن الحكم، احتج عليه من الأخبار بما يبطل ذلك، ولعل القائل لذلك أراد أن أول من قرأ في ذلك العصر، أو من ضربه، لأن القراءة بذلك أعرض وأوسع من ذلك بحسب ما انتهى إلينا. انتهت الحكاية عن أبي بكر. (٢)

وهكذا نرى ابن السراج يمزج في احتجاجه بين الأدلة المنقولة عن شيوخ القراءة واللغة، والأدلة العقلية التي يناقش بها هذه النقول النقلية، ثم تظهر شخصيته واضحة فيما يختار من الأوجه المختلفة، وما يدل به على ذلك الاختيار، وهو بعد ذلك منظم في عرض الفكرة، معتدل بين الإيجاز والاطناب، ثم إن إطنابه لا يسلك إلى نوع من الاستطراد الذي يبعد بك عن النقطة الأصلية التي توجه بالاحتجاج لها والتحدث فيها.

فإن هذا من خطة أبي على التي ترمى بك إلى ناحية من الاستطراد والاحتجاج الذي يخلطه أو يقدم له، ويمشوه، ويفرع فيه، ويدحوه، بذكر مسائل في النحو والصرف، والعروض، واللغة، والاعراب، حتى يبلغ الملل منك مبلغاً يضيع معه الاحتجاج الذي وسم كتابه به، وآية الفرق ما بين الخططين أنك إذا قرأت كلام

(٢) الحجة نسخة مراد ملا ورقة ٣ وما بعدها

(١) سورة المؤمن

أبي بكر بن السراج أدركت من أول وهلة الموضوع الذي يتحدث فيه ، والحرف المختلف عليه ، والذي يحتج له دون أن يكذب أو يجهدك . على حين أنك لو قرأت كلام أبي على الفارسي لا تصل في سرعة ويسر إلى إدراك القراءة التي يحتج لها ، والموضع المختلف عليه الذي يتحدث فيه ، وقد ضربت مثالا لاستطراده في موضع آخر من هذا البحث ، ولكن من الموضح أن أشير إلى ما تبعه في الاحتجاج لاختلاف القراءة في ملك ومالك ، حتى يبدو الفرق بينه وبين ابن السراج واضحاً .

بدأ أبو على الاحتجاج لمن قرأ بإسقاط الألف أو اثباتها في مالك يوم الدين ببحث لغوي في معنى أملاك المرأة ، ومعنى الملك للشيء فيذكر أنه اختصاص من المالك به ، وخروجه عن أن يكون مباحاً لغيره ، ثم يستطرد فيذكر معنى الإباحة ، ويقرن ذلك بقولهم : باح السر ، وباحت الدار ، ويستدل على أن التمليك معناه التشديد بقول أوس بن حجر :

فلك بالليط الذي تحت قشرها كغرقه بيض كنه القبيض من عل

ثم يأخذ في إعراب الذي ، وأنه في موضع نصب بأنه مفعول به ملك ، ولا يكون في موضع جر على أنه وصف لليط ، ويذكر السبب في ذلك التوجيه و ، وتسال نفسك : ما علاقة الاحتجاج لاختلاف القراءة في إسقاط الألف من مالك أو اثباتها بالحديث عن موضع الذي من الاعراب في قوله : فلك بالليط الذي تحت قشرها ؟ ، وبالحديث ^(١) عن الاضافة إلى يوم الدين في كتابنا القراءتين ؟ وبانتصاب أياماً في قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً — على أنه مفعول به على الاتساع ، وكان في الأصل ظرفاً ؛ وبتقدير المحذوف في قوله : « الحج أشهر معلومات ^(٢) ، « ودموعكم يوم الزينة ^(٣) ، « ، وبالعامل في قوله : « الله يعلم حيث يجعل رسالته ^(٤) ، « ، وبعراب يوم في قوله تعالى : « وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ^(٥) ، « ، وفي قول الشاعر :

حمت عليه الدرع حتى وجهه من حرها يوم الكريمة أسفع ^(٦)

١٤/١ (٢)

(١) نسخة البلدية ٩/١

١٧/١ (٤)

(٢) ١٥/١

٢١/١ (٦)

(٥) ١٩/١

وفي قوله تعالى : ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون (١١) . ويتعلق الباء في قولهم بامامهم من قول الله : يوم يدعو كل أناس بامامهم (١٢) ، وبالعامل في إذا من قوله تعالى : فإذا قرئ التأبور (١٣) ، وباعراب الشهر في قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١٤) ، وبالحديث عن حذف ما يعلم (١٥) ؟ ، وبالعامل في الصفة (١٦) ، وبالحكم الشرعي في قول من قال : المرأة التي أتزوجها فهي طالق (١٧) وما صلة هذا كله — وهو بعض ما أورد — بالاحتجاج لاختلاف القراء في إسقاط الألف أو إثباتها من مالك ؟ ولكنها خطة أبي علي في الاستطراد ، وسأتحدث عن هذا ، وعن دلالاته ، وآثاره في مكان آخر .

ولم يشأ أبو علي أن تمنح شخصيته بجانب شخصية ابن السراج ، وقد كان هذا الجولان الواسع المدى كافياً وحده على شخصيته — ولكنه إلى ذلك نراه ، يعقب ، أو يكمل ، أو يشرح كلام ابن السراج ، فيضيف أدلة جديدة من القرآن والشعر تفسر انجازه ، وتؤيد ما ذهب إليه ، فإذا قال ابن السراج . أن الله (سبحانه) وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله : رب العالمين ، فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى — عقب الفارسي على ذلك (٨) ، ثم نراه — كذلك — يقوى قراءة رأها ابن السراج ضعيفة (٩) ، وإذا قال ابن السراج : لم يمل أحد الألف من مالك (١٠) ، قال أبو علي : الامالة في مالك لا تتمتع في القياس (١١) ، وأحياناً يعنف أبو علي حتى ليقول على رأي شيخه ابن السراج : لأنه ليس بمستقيم (١٢) .

* * *

وقد وصل ابن السراج إلى آخر قوله تعالى : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للبتقين ، ولم ينبه أبو علي إلى ذلك ، ولم ترد إشارة إلى انتهاء ابن السراج ، ولكن القارىء (١٣) يدرك أن روح ابن السراج قد اختفت بما فيها من وضوح الحججة ، وإيراد الحججة ، والاعتدال في سوق الكلام ، يدرك هذا دون حاجة إلى الإشارة إليه ؛ ليستقل أبو علي بالاحتجاج ، وليخلص له وحده الميدان (١٤) .

٢٥/١ (٤)	٢٤/١ (٣)	٢٢/١ (٢)	٢٢/١ (١)
٣٥/١ (٧)	٢٨/١ (٦)		٢٥/١ (٥)
	١١/١ (٩)		١٠/١ (٨)
	٢٨/١ (١١)		٣/١ (١٠)
			١٢٠/١ و ١٢٢ و ١٢٤ وانظر : ٢٠٠
٢٠٥-١	(١٤) نسخة البلدية ابتداء من		(١٣) التصل بكتاب الحججة

الفصل الرابع

بين أبي علي الفارسي، وأبي عبد الله بن خالويه في الاحتجاج

تلذ أبو علي الفارسي لأحمد بن موسى بن مجاهد، كما تلذ أبو عبد الله بن خالويه له أيضاً^(١)، وكل من الفارسي وابن خالويه يؤخذ عنه القراءة، ويكون له تلاميذ من القراء: فأبو علي يروي عنه عرضاً عبد الملك بن بكران النهرواني^(٢)، كما يروي عن ابن خالويه عرضاً أبو علي الحسين بن علي الراهمي^(٣)، وكان لكل تأليف في الدراسات القرآنية، والذي يهمني منها في هذا البحث — الآن — كتاباهما المسميان باسم «الحجة».

وقد كانت الدوافع إلى الاحتجاج للقراءات كثيرة: عامة وخاصة كما ذكرت من قبل، ومن هذه الدوافع أستطيع أن أفسر تأليف كل من أبي علي الفارسي، وابن خالويه — ومعهما ابن السراج — في الاحتجاج، وأخص من هذه الدوافع — العامة والخاصة — أن كلا من الفارسي وابن خالويه عاشا في عصر واحد؛ إذ توفي الفارسي (٣٧٧ هـ)، وتوفي ابن خالويه (٣٧٠ هـ)^(٤)، وإذن فقد تأثرا بهذه العوامل التي دفعت العلماء إلى الاحتجاج في هذا العصر، إلى أن كلا منهما قرأ على ابن مجاهد الذي سبغ السبعة كما يقولون^(٥)، ومعنى هذا أن طريق الاحتجاج لقراء الأمصار قد مهد بعمل شيخهما الجليل ابن مجاهد (رحمه الله).

وكان بين أبي علي الفارسي وابن خالويه منافسة في بلاط سيف الدولة بحلب^(٦)، كما كانت هذه المنافسة كذلك في بلاط عضد الدولة، فكلاهما يقدم له كتبه: ابن خالويه يؤلف له كتابه «المجدول في القراءات على ما يذكر ابن الجزري^(٧)»، والفارسي يذكر اسم عضد الدولة في صدر كتابه الحجة، ويدعو له بالعزة والبسطة والنصر والتكفين^(٨).

وعلى الرغم من هذه المنافسة فأنا لا أملك من الأقوال ما يجعلني أفسر تأليف

(١) طبقات القراء: ٢٣٧/١ (٢) طبقات القراء: ٢٠٧/١

(٣) المصدر السابق: ٢٣٧/١ (٤) معجم الأدباء: ٢٠٤/٩

(٥) إبراز المعاني: ٥ (٦) انظر المسائل الحلييات ورقة ٣٣ مخطوطه نجوش

(٧) النمر: ٢٣٧/١ (٨) الحجة: ١/١

كل من ابن خالويه وأبي علي في الاحتجاج — بالمنافسة التي كانت بينهما ، لسبب قريب : هو أني لست أعرف على التحديد أي الرجلين سبق بالتأليف في الاحتجاج ولو كنت أعرف، شيئاً من ذلك لكان من المرجح عندي أن المتأخر منهما — في الاحتجاج — نافس المتقدم ، ولكن هذا غير مستبين ، فالقول به ضرب من إرسال الكلام لإرسالاً لا يقوم على بينة ، ولا يهض به دليل .

على أن هناك خيطاً دقيقاً أستطيع أن أمسك به ، للاهتمام في هذه المسألة ، فإن جني في كتابه المحتسب يقرر أن أبا علي لم يكن واضح العبارة في كتابه الحجّة ، وأن ذلك كان سبباً في بعد القراء عنه ، وعدم الفهم له ، وأن ابن جني — من أجل ذلك — قد تحضف في عبارته تخفضاً يجعل كتابه قريباً من أفهام القراء ، حبيبا إلى منجهم الذي ألفوه : أسلوباً ، واختصاراً ، ووضوحاً^(١) .

وإبن خالويه في مقدمة كتابه الحجّة — يومئذ إيماء خفياً إلى هذا الذي ذكره ابن جني ، فيؤلف ابن خالويه كتابه : قاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ، ولا إكثار ، محتدياً لمن تقدم في مقالهم ، مترجماً عن ألفاظهم واعتلاهم ، جامعاً ذلك بلفظ جزل ، ومقام واضح سهل ، ليقرب على مريده ، ويسهل على مستفيده^(٢) .

فإن خالويه بهذه السهولة التي تحاشاها أبو علي في كتابه الحجّة يحقق للريدين الفوائد ، ويسهل على المستفيدين المراد .

ذلك هو الخيط الدقيق الذي أشرت إليه من قبل ، وهو على أية حال — لا يدل دلالة صريحة على أن ابن خالويه قد نافس أبا علي في الاحتجاج . نعم ! وهو يشير إلى ذلك في خفاء .

* * *

هذا ومن المهم أن أشير إلى أن كتب التراجم لا تذكر لابن خالويه كتاباً باسم الحجّة ، والذي ذكره ابن الأنباري في نزهة الألباء من كتب القرآن والقراءات : كتاب البديع في القراءات ، وكتاباً في إعراب سور من القرآن ، وكتاب البديع معروف أخرجه المستشرق (ج . برجستراسر) ، وهو في شواذ القراءات . وكتاب الاعراب يسميه يا قوت : إعراب ثلاثين سورة^(٣) ، على أن كتاب الحجّة لابن خالويه مخطوط تحت رقم (١٩٥٢٣ ب) دار الكتب ، وهذه النسخة هي التي اعتمدت

(١) انظر المحتسب لابن جني

(٢) الحجّة لابن خالويه ٣ (٣) معجم الأدباء : ٢٠٤/٩

عليها في هذا البحث . ولابن خالويه كتاب القراءات مخطوط نسخة كتبت سنة ٦٠٠ هـ يقول في أوله : هذا كتاب شرحت فيه قراءات أهل الأمصار ، ولم يعد ذلك إلى ما يتصل بالاعراب من تفسير مشكل ، أو غريب حروف القراءة الشاذة (١) . ولعله كتابه الموسوم بالحجة ! .

* * *

ومهما يكن من أمر فإن الذي يعينني هذه الدراسة المقارنة التي أتعرف فيها منهج كل من أبي علي الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج ، وما كان بينهما من توافق في ذلك المنهج ، وما كان بينهما من خلاف .

والملاك العام الذي التزمه ابن خالويه بينه في مقدمه كتابه إذ يقول : « وبعد : فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة (٢) المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ - فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار ، وأنا بعون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم واتلافهم فيه ، معتمد على ذكر القراءة المشهورة ، ومنكب على الروايات الشاذة المنكورة (٣) .

وهو بهذا التقديم يشير إلى منهجه في تناول هذه القراءات ، والاحتجاج لها ، بعد ثنائه على أصحابها اتقان حفظ ، وأمانة رواية ، وأستطيع أن أحدد منهجه في النقاط الآتية :

فهو أولا - سيسلك مسلك النحاة في الاحتجاج للقراءة .

ثم هو ثانياً - سيحتج للقراءات المشهورة ، ويقصد بهذه قراءات الأئمة السبعة : « نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وأبي عمرو ، وابن عامر (٤) ، وهم الذين وثقهم ابن عاهد ، وإن كان ابن خالويه لم يشر إليه في هذا التقديم .

(١) مراد ملا ٨٥ ، ٣٢٥ ق ، ١٤ × ١٠ سم ١٢ فهرس المخطوطات المصورة .

(٢) يقصد مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق (٣) الحجة لابن خالويه : ١

(٤) انظر إبراز الماني : •

ثم هو ثالثاً - ينكر قراءة غير السبعة ، فلا يتعرض لشيء منها ، وبعدها شاذة منكورة . « وسرى أن ابن جنى ، وقف من هذه القراءات موقفاً آخر سأوضحه عند الكلام على منهجه في الاحتجاج للقراءة الشاذة في كتابه « المحتسب ، فهل تراه التزم هذا المنهج ؟ أما من حيث سلوكه مسلك النحاة فلم يكن ذلك منه على اطراد ، فقد تردد بين مسلكهم حيناً ، ومسلك القراء حيناً آخر . سنراه يهاجم القراء في القراءات التي تخالف مذاهب النحاة . وذلك مسلك نحوى (١) ، ونراه مثلاً - يحتج برسم المصحف (٢) ، وذلك مذهب أهل الأثر الذي يخالف مذاهب النحاة أهل القياس ، والنظر ، وقد كان مضطراً إلى أن يسلك مسلك غير النحاة ، لأن تخالف القراءات لا يرجع إلى الأوجه الإعرابية حسب ، بل إلى أسباب أخرى تعرضت لها في صدر الكلام على الاحتجاج للقراءات (٣) .

وهو بعد وثى بما ذكره من حيث الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة ، وإن كنت قد وجدت بينه وبين أبي علي بعض التخالف اليسير في الحروف التي احتج لها ، وسأشير إلى ذلك قريباً (٤) .

على أنه وإن شذ ما تجاوز السبع من القراءات ، نراه ينكر بعض ما ورد من القراءات التي رواها الأئمة القراء الثقات ، شأنه في ذلك شأن أهل الصنعة من النحاة . وأنتقل بعد ذلك إلى عرض نصوص أستنبط منها أوجه التخالف ، وأوجه التوافق بين الإمامين في الكتابين :

أولاً: رسم المصحف :

(١) قال ابن خالويه : قوله تعالى : « إن الله على كل شيء قدير (٥) » ، قرأه حمزة باشباع فتح الشين ووقفه على الياء قبل الهمزة ، وكذلك يفعل بكل حرف سكن قبل الهمزة . والحجة له في ذلك أنه أراد صحة اللفظ بالهمزة وتحقيقها على أصلها ، فجعلها كالمبتدأ ، وسهل ذلك عليه أنها في حرف عبد الله مكتوبة في السواد شأى بألف . . . (٦) ، وصحيح ما قال ابن خالويه :

(١) سأسوق أمثلة لذلك في حينه إن شاء الله

(٢) سأعرض لذلك بما يوضحه في هذا الفصل بعد قليل

(٣) انظر الفصل الخامس بذلك (٤) انظر ص ٣٢٤ من هذا الكتاب

(٥) آية سورة البقرة

(٦) وجه ورقه (٦) الهجاء لابن خالويه

جاء في المقنع للداني ما نصه : قال محمد بن عيسى : رأيت في المصاحف كلها شيء بغير ألف ما خلا الذي في الكهف (س ١٨ آ ٢٣) يعني قوله : « ولا نقولن لشيء ، قال وفي مصحف عبد الله رأيت كلها بالألف (شأى^(١))

(ب) وقال في الاحتجاج لمن قرأ اتخذتم بالإظهار ثم أتى بالكلمة على أصلها واغتمم الثواب على كل حرف منها^(٢) ،

(ج) وقال في موضع آخر : « لم اتفقت القراء على قوله خطاياكم هنا (البقرة) واختلفوا في الأعراف ، وسورة نوح ؟ فقل : لأن هذه كتبت بالألف في المصحف فأدى اللفظ ما تضمنه السواد ، وتينك كتبنا بالثاء من غير ألف^(٣) ،

(د) وقال : قوله تعالى : « أتخذنا هزواً ، تقرأ هزواً وكفواً بالضم والهمز وجزءاً بإسكان الزاي والهمز ، والحجة في ذلك اتباع الخط ، لأن هزواً وكفواً في المصحف مكتوبان بالواو ، وجزءاً بغير واو ، فاتبعوا في القراءة تأدية الخط^(٤) .

(هـ) وقال ابن خالويه : قوله تعالى : « لم يتسنه ، يقرأ وما شاكله (ما أغنى عنى ماليه ، سلطانيه ، وما أدراك ما هيه^(٥)) باثبات الهاء ، وطرحها في الإدراج . فالحجة لمن أثبتها أنه اتبع الخط ، فأدى ما تضمنه السواد . والحجة لمن طرحها

أنه إنما أثبت لتبين بها حركة ما قبلها في الوقف ، فلما اتصل الكلام صار عوضاً منها ، وميزانها في آخر الكلام كألف الوصل في أوله ، وكان بعض القراء يتعمد الوقوف على الهاء ، ليجمع بذلك موافقة الخط ، وتأدية اللفظ . وبعضهم يثبت بعضاً ، وي طرح بعضاً بغير ما علة . . .^(٦) ،

وقال أبو علي الفارسي^(٧) : فأما قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وابن عامر هذه الحروف كلها باثبات الهاء في الوصل فإن ذلك مستقيم في قياس العربية في يتسنه ، وذلك أنهم يجعلون اللام في يتسنه الهاء ، فإذا وقفوا وقرأوا على اللام ، وإذا وصلوا كان بمنزلة لم يتقه زيد ، ولم يجبه عمر . . . ثم قال أبو علي :

(١) المقنع : ٤٥

(٢) المخطوطة ظهر ورقه (٨)

(٣) المخطوطة ظهر ورقه (٩)

(٤) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة (١٠)

(٥) نسخة البلدية انظر الحجة لفارسي : ١٧/٣

(٦) الحجة لابن خالويه وجه ورقة ٣٠ (٧) نسخة البلدية الحجة : ١٥/٣

قال أحمد بن موسى « ولم يختلفوا في كتابيه ، وحسابيه أنها بالهاء في الوصل ، فاتفقهم في هذا دلالة على تشبيهم ذلك بالقوافي ، وذلك أنه لا يخلو من أن يكون لهذا التشبيه ، أو لأنهم راعوا إثباتها في المصحف ، فلا يجوز أن يكون لهذا الوجه ، ألا ترى أن تامات التأنيت أو عامتها قد أثبتت في المصحف هاءات ، لأن الكتابة على أن كل حرف منفصل من الآخر ، وموقوف عليه ، فلو كان ذلك للخط لوجب أن يجعل تامات التأنيت في الدرج هاءات لكتابتهم إياها هاءات ، ولوجب في نحو قوله : « إخواناً على سرر متقابلين ^(١) » ، أن يكون في الدرج بالألف ؛ لأن الكتابة بالألف ، فإذا لم يجر هذا علمت أن الكتابة ليست معتبرة في الوقف على هذه الهاءات ، وإذا لم تكن معتبرة علمت أنه للتشبيه بالقوافي .

ولإثبات هذه الهاءات في الوصل وجيه في القياس ، وذلك أن سيبويه حكى في العدد أنهم يقولون ثلاثه أربعة ، وقد أجروا الوصل في هذا مجرى الوقف على التاء التي للتأنيت . . . وترك القياس على هذا أولى من القياس عليه ؟ اقله ذلك وخروجه مع قلته على القياس ، وإذا جاء الشيء خارجاً عن قياس الجمهور والكثرة في جنس لم ينبغ أن يتجاوز به ذلك الجنس ^(٢) .

* * *

من هذه النصوص أستطيع أن أستنتج أن ابن خالويه ^(٣) مولع بالاحتجاج برسم المصحف ، وهذا أمر يقربه من مسلك أهل الأثر ، والتعبد بما رسم الكاتبون في السواد — على حد تعبيره — والدليل على أنه يسلك طريق أهل الأثر — كذلك — ما قاله في موضع الاحتجاج لمن قرأ ثم اتخذتم بالاظهار :

أنه أتى بالكلمة على أصلها ، واغتنم الثواب على كل حرف منها ^(٤)

ونرى أبا علي الفارسي في نصه الذي عرضت ينبغي أن يكون إثبات الهاء في المصحف من قوله تعالى : « كتابيه وحسابيه . . . سبياً في اتفاق القراء على قراءتها

(١) آية ٤٧ سورة الحجر

(٢) الحجية للفارسي نسخة البلدية ٣/١٥-٢٠

(٣) الحجية لابن خالويه وجه ورقة (٣) ووجه ورقة (١١)

(٤) الحجية لابن خالويه ظهر ورقة (٨)

بالهاء في الوصل ، ثم يبرهن بهذا القياس الذي أورد على ما اتجه إليه ورآه من أنهم أثبتوها في الوصل تشبيهاً لها بالقوافي ...

إلى أن لإثبات الهاء في هذه الأحرف — وجيباً من القياس ... (١)

ثانياً : المنطق والقياس ومدى ظهوره عند كل :

قال أبو علي : اختلفوا في قوله تعالى : « فأزلهما الشيطان عنها ، فقرأ حمزة فأزلهما بألف خفيفة ، وقرأ الباقون : « فأزلهما ، مشدداً بغير ألف . قال أبو بكر أحمد ؛ « وروى أبو عبيد أن حمزة قرأ فأزلهما بالإمالة وهذا غلط ، وحجة حمزة في قراءته « فأزلهما الشيطان عنها ، أن قوله عز وجل : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها ، تأويله أثبتا فثبتنا ، فأزلهما الشيطان ، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه ، ومثل ذلك قوله (عز وجل) « وأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانقلب (٢) ، تأويله فاضرب فانقلب ، ومثله : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية (٣) ، أي خلق فعلية فدية ، ونسب الفعل إلى الشيطان ، لأن زوالها عنها إنما كان بتزيينه ، ووسوسته ، وتسويله ، فلما كان ذلك منه سبب زوالها عنها أسند الفعل إليه ، ومثل هذا قوله عز وجل : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، فالرتمي كان للنبي عليه السلام حيث رمى فقال ؛ « شأته الوجوه ، إلا أنه لما كان بقوة الله وإرادته نسب إليه ، وبما يقوى قراءته قوله فأخرجهما مما كانا فيه ، فقوله فأخرجهما في المعنى قريب من ازالهما ، ألا ترى أن إخراجهما إياهما إزالة منه لهما عما كانا فيه . فان قال قائل : « ما تنكر أن يكون فاعل أخرجهما لا يكون ضمير الشيطان ، ولكن المصدر الذي ذكر فعله كقولهم : « من كذب كان شراً له ، — فالدلالة على فاعل أخرجهما ضمير الشيطان قوله في الأخرى : « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة ، ففاعل أخرجهما الشيطان كما بين ذلك في هذه الآية . ويقوى قراءته أيضاً تأويل من تأول أن أزلهما من زل الذي هو عثر ؛ ألا ترى أن ذلك قريب من الازالة في المعنى ؟ فان قال قائل : فانه إذا قرأ فأزلهما كان قوله بعد : فأخرجهما تكريراً ، فالقراءة الأخرى أرجح ، لأنها لا تكون على التكرير ، قيل : إن قوله عز وجل : أخرجهما

(١) نسخة البلدية . انظر الهجعة للفارسي : ١٥/٣ - ٢٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩٦

(٣) سورة الشعراء آية ٦٣

ليس بتكرير لافائدة فيه ، ألا ترى أنه قد يجوز أن يزيلها عن مواضعها ، ولا يخرجها عما كانا فيه من الدعة والرافية ، فإذا كان كذلك لم يكن تكريراً غير مفيد ، وعلى أن التكرير في مثل هذا الموضع لتفخيم القصة ، وتعظيمها باللفاظ مختلفة ليس بمكروه ولا مجتنب ؛ بل هو مستحب مستعمل كقول القائل : أزلت نعمته ، وأخرجته من ملكه ، وغلظت عقوبته ، وقالوا : « زال عن موضعه وأزلته » ، وفي التنزيل : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، وفيه : « وإن كان مكروهاً لنزول منه الجبال » .

حجة من قرأ فأزلها الشيطان ، أن أزلها يحتمل تأويلين : أحدهما : كسبها الزلة ، والآخر أن يكون : أزل من زل الذي يراد به عثر . والدلالة على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من تزيينه لها تناول ما حظر عليهما جنسه بقوله : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ، إلى قوله : « لمن الناصحين » ، وقوله عز وجل : « فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سوءاتهما ، وقد نسب كسب الانسان الزلة إلى الشيطان في قوله عز وجل : « إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، واستزل وأزل كقولهم استجاب وأجاب ، واستخلف لأهله وأخلف ، فكما أن استزلهم من الزلة المعنى فيه كسبهم الشيطان الزلة ، كذلك قوله : فأزلها الشيطان والوجه الآخر أن يكون فأزلها من زل عن المكان إذا عثر فلم يثبت عليه ، ويدل على هذا قوله عز وجل : « فأخرجها مما كانا فيه ، كما أن خروجه عن الموضع الذي هو فيه انتقال عنه إلى غيره ، كذلك عثاره فيه وزلته » (١) .

فما الذي قاله ابن خالويه في الاحتجاج لاختلاف القراء في هذا الحرف ؟ كل ما كان منه أن قال : قوله تعالى : فأزلها يقرأ بأثبات الالف والتخفيف ، وبطرحها والتشديد . فالحجة لمن أثبت الالف أن يجعله من الزوال والانتقال عن الجنة . والحجة لمن طرحها أن يجعله من الزلل (٢) . ثم مضى بعد ذلك إلى الاحتجاج لما اختلف فيه القراء بعد ذلك .

ولكننا إذا أردنا أن نضع أيدينا على القياس عند أبي علي في احتجاجه لاختلاف القراء في أزلها . « رأيناها يقابل مقابلاً قوله تعالى : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها — أي أثبتنا فثبتنا فأزلها الشيطان — يقابل ذلك بقوله تعالى :

(١) الحجة نسخة مهاده ملا ورقة ٣٤٠ وما بعدها (٢) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٧

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب ، أي فاضرب فانقلب ، ، ويقوله تعالى : « فن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية أي خلق فعليه فدية . . » ، ورأيناه كذلك يعقد القياس بين اسناد الفعل إلى الشيطان ؛ لأن وسوسته كانت سبباً في زوال آدم وحواء عن الجنة — وإسناد الرمي إلى الله تعالى ؛ لأنه كان بقوة الله وإرادته (١) . ونراه أيضاً — يقايس — مبرهنا — على أن فاعل أخرجهما ضمير الشيطان في قوله تعالى : فأخرجهما بما كانا فيه بقوله تعالى : يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة . .

ثم نراه يعتبر التكرير في قوله تعالى « فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما » — بالتكرير في قول القائل : « أزلت نعمته ، وأخرجته من ملكه ، وغلظت عقوبته .
ثم انظر كيف يبرهن — على القراءة الأخرى : فأزالها — إذ يتأول هذا الحرف على أنه من زل عن المكان إذا عثر فلم يثبت عليه ، ويقايس الخروج في قوله تعالى : « فأخرجهما بما كانا فيه ، على العثار من حيث أن الخروج عن الوضع انتقال عنه إلى غيره كالعثار (٢) .

وبعد فالقياس شائع عند أبي علي ، وقد عقدت فصلاً تحدثت فيه عن القياس عنده بالتفصيل (٣) ، ولكنني أردت بعرض هذين المثالين أن أبين اختلاف المنهجين بين الامامين في حرف ؛ لتكون الموازنة أوضح ، ولتبين طريقة كل منهما في جلاء . ومن المهم أن أقول : « إن هذا المنهج هو السمة العامة لكل ، ومن الحق أيضاً أن أقرر ، أن ابن خالويه تبدو عنده في القياس لمحات خافتات ، تعد فلتات نادرات (٤) ، ثم هي لا تكون في مثل ذلك الاستطراد الذي رأيناه عند الفارسي ، حيث يسلك القياس إلى قياس ، وهذه الفلتات لندرتهما لا تبني عليها الأحكام .

ثالثاً — العروض واستغلاله في الاحتجاج :

ومن الظواهر البادية عند أبي علي الفارسي استغلاله العروض ومسائله في الاحتجاج ، ولا أثر لذلك في كتاب الحجّة عند ابن خالويه ، فالفارسي يقايس على العروض (٥) ، ويتحدث عن الروى ، والتأسيس ، والردف (٦) ، وفي لزوم

(١) الحجّة نسخة مهاد ملا ورقة ٣١٠

(٢) الحجّة للفارسي نسخة مراد ملا ورقة ٣١٢

(٣) راجع الفصل الخامس بذلك (٤) انظر مثلاً وجه ورقة ٣٠

(٥) الحجّة نسخة البلدية : ٦١/١ (٦) الحجّة : ٦٢/١

ملا يلزم^(١١) ، ولم تعاقبت السين والفاء في مستغلقن التي هي عروض البيت الأول من المنسرح^(١٢) ، ويسوق الشواهد على الضرورات الشعرية^(١٣) ، واستجازة حذف الحركة في الزحاف^(١٤) . وقد عقدت فصلاً تحدثت فيه عن كل ذلك وغيره في تفصيل ، ثم قومت منهج الفارسي في استغلاله العروض^(١٥) .

رابعاً — الاصطلاحات وتعددتها عند الفارسي :

وعلى سبيل المثال أذكر أن ابن خالويه يلتزم في حديثه عن الأحرف التي وقعت الإمالة فيها من القراء — يلتزم قوله : يقرأ بالإمالة والتفخيم^(١٦) ، ولكن أبا علي يتحدث عن الإمالة : أسمائها ودرجاتها ، كالكسر^(١٧) ، والإجناح^(١٨) ، والبطح^(١٩) ، والإضجاع^(٢٠) ، والإمالة^(٢١) الشديدة ، وأشباع الإمالة^(٢٢) ، والقاريء لا يفتح ولا يكسر^(٢٣) وبين الفتح والكسر ، وبين الكسر والتفخيم^(٢٤) ، وبين الإمالة والتفخيم^(٢٥) ، ويسمى عدم الإمالة فتحاً^(٢٦) ، ونصباً^(٢٧) ، وتفخياً^(٢٨) وهكذا يراوح أبو علي في تعبيره بين الاصطلاحات المختلفة ، وقد تعرضت لهذه الاصطلاحات عند كلامه على مذهبه النحوي .

خامساً تدفق أبي علي في إيراد الشواهد ، ولا شيء من ذلك عند ابن خالويه :

وربما كان السبب في مثل هذا ونحوه من ابن خالويه أنه أخذ على نفسه الاختصار ، والتزام الاقتصار من غير اطالة ولا إكثار^(٢٩) ؛ وبمثل هذا أعلل .

سادساً — نسبة القراءات المختلفة إلى أمتها عند الفارسي كما يذكر أسانيدنا ،

وتجاوز ابن خالويه عن ذلك .

فأبو علي يروي عن القصبي^(٣٠) بإسناده عن عبد الوارث عن أبي عمرو واليزيدي^(٣١) ، ويحكى عن أبي هشام بإسناده عن سليم عن حمزة ... ، ويحدث

(١) ٦٣/١ (٢) ص ٧٠ وما بعدها (٣) ٧٣ (٤) ٢٦٣/١

(٥) راجع الفصل الخامس بذلك (٦) انظر ورقات ٧٠٣، ٦٠٥، ٦٠٦ من كتاب

الحجة لابن خالويه وص ١٥ من بحثي القراءات واللهجات العربية : الإمالة

(٧) ١٤٦/٢ (٨) ٣٧٣/١ (٩) ٣٨٣/٧ (١٠) ٢٨٢ (١١) ٣٧٣/١

(١٢) ٣٧٣/١ (١٣) ٣٤٨/١ (١٤) ٣٧٦/١

(١٥) ٣٤٨/١ (١٦) ٥٤٨/٢ (١٧) ٣٥٤/١

(١٨) ٣٦١/١ و ١٥٣/٢ (١٩) ظهر ورقة ١

(٢٠) لم أجد القصبي متقدماً على الفارسي والقصبي الذي وجدته متأخر توفي سنة ٥٤٠

انظر طبقات القراء ٦٦/١ (٢١) الحجة : ٣٨٠/١

عن أبي بكر بن مجاهد بسنده عن وهيب بن عبد الله ... ، عن الحسن بن المبارك عن عمرو بن الصباح عن حفص عن عاصم ... ، ويحدث عن وهيب (١) بن عبد الله المروذي عن الحسن بن المبارك عن أبي حفص ... كما يحدثه سهل أبو عمرو عن أبي عمرو عن عاصم ... ويخبره محمد بن الفرغ عن محمد بن إسحق عن أبيه نافع ... ويحدثه أبو سعيد البصرى الحارثى عن الأصمعى عن نافع (٢) ... وهكذا ، ولكن ابن خالويه يروى القراءات ، ويحتج لها ، دون أن يذكر أسانيدها ، والمنهج أبي علي قيمة : هي توثيق هذه القراءات ، بذكر أسانيد المتصلة بالقراء السبعة الذين اتصل سندهم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي ذلك — ضمناً — دفاع عن هذه القراءات ، وأنها تنزيل من حكيم حميد .

سابعا — اللغويات عند كل من الإمامين :

وهذه تذكر على نحو واسع متقص في الحجة لأبي علي ، وعلى الرغم من أن المترجمين يذكرون ابن خالويه بأنه لغوى (٣) ومن كبار أهل اللغة (٤) ، ووصفه الداني بأنه حافظ للغة (٥) — على الرغم من ذلك فإن خالويه لا يتعرض للغويات على صورة واسعة شاملة (٦) ، وتعرض أبي علي الفارسي للفردات اللغوية وشرحها ، والاستشهاد لها من كتاب الله ، والشعر ، وكلام العرب ، وما نقل الأئمة وما رووا — من أمثال سيويوه ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، أقول تعرضه على هذه الصورة له قيمة في تفسير القاموس القرآني ، وفي تاريخ تطوره منذ أبي عبيدة في مجازه حتى الراغب الأصفهاني في مفرداته ، وتعليقه ، وقد خصصت فصلا لذلك وفي تقويمه ، وتعليقه ، ولعل ابن خالويه لم يتعرض لشيء منه مع شهرته اللغوية ؛ لأنه التزم كما قلت الاختصار ... ويتصل بذلك أنك تجد أبا علي .

ثامناً — يهتم بتفسير القرآن الكريم : ذلك لأن أبا علي أراد أن يوجه إعراب الكلمات التي وقع الاختلاف فيها ، وغيرها مما هو متصل بها ، ويدعو الاستطراد إلى التعرض لها — كما وجه معنى كل قراءة احتج لها ، فأسله ذلك إلى

(١) الموجود في طبقات القراء وهب ٣٦١/٢ (٢) انظر الحجة نسخة مرادملا ١ ورقة ٣٨٢

(٣) طبقات القراء : ٢٣٧/١ (٤) نزعة الألباء : ٢٠٧

(٥) معجم الأدباء : ٢٠٢/٩

(٦) انظر تعرضه الوجز لهز النبيين والصابئين الحجة ظهر ورقة ١٠ وانظر وجه ورقة

التفسير ، ومن هنا كان الفارسي يمثل حلقة من السلسلة المتتابعة في هذا الميدان ، وهو ما ذكر بالتفصيل في الفصل المقفود لذلك : منهجه ؟ وكيف استقى من المفسرين قبله ؟ وكيف تأثر به من بعده ؟ وما يستحق التسجيل أن محمد بن علي أحمد الداودي المالكي لم يذكر الفارسي في طبقات المفسرين^(١) مع أنه ذكر ابن خالويه ويتفرع على ذلك .

تاسعاً : تقرير أن أبا علي يستخدم القرآن استخداماً يدعو إلى الدهشة ويدل على اليقظة الذهنية الدقيقة في توجيه الإعراب ، والاحتجاج ، انظر مثلاً قوله : فأما النون والياء في قوله « نكفر ويكفر عنكم من سيئاتكم ويدخلكم^(٢) » ، فن قال : ويكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد ، فيكفر أشبه بما بعده من الافراد منه بالجمع . وأما من قال : نكفر على لفظ الجمع فإنه أتى بلفظ الجمع ، ثم أفرد كما أتى بلفظ الافراد ، ثم جمع في قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده » ، ثم قال : « وآتينا موسى الكتاب^(٣) » . وهذا قليل من كثير ما أورد في هذا الباب ، وقد نجد شيئاً من ذلك عند ابن خالويه ، ولكنه يأتي في قلة نادرة ، تطالعك فتحس كأنها جاءت إليك بعد غيبة طويلة ، فتجد لها في نفسك غربة ؛ لأنها وردت عليك بعد انقطاع عنك ، على حين تأتي عند أبي علي في كثرة غامرة أولاً ، ثم هي تدل على عمق ويقظة ذهنية ثانياً ، ولا شيء من ذلك تحسه عند ابن خالويه ، وأكتفي بما ذكرت في فصل « الشواهد » عند أبي علي دالاً على منهجه وطابعه في إيراد الآيات القرآنية ، وإليك بعض أمثلة لابن خالويه في هذا الباب تحدثك عن طابعه من السطحية في الاحتجاج بآيات الكتاب ، والضعف - كذلك - قال : قوله تعالى « قل فيها لإثم كبير ، قرىء كبير ، بدليل قوله : وإثمها أكبر ولم يقل أكثر ، و « كثير ، بدليل قوله : ولا أدنى من ذلك ولا أكثر^(٤) » ،

وقال : قوله تعالى : من موصٍ بالتشديد من وصى بدليل قوله : « وما وصينا به إبراهيم » ، و « من موصٍ ، بالتخفيف من أوصى ، ودليله قوله « يوصيكم الله^(٥) » ، ومثال الضعف عند ابن خالويه احتجاجه لقوله تعالى : « فأتته قليلاً ، أمتعه

(٢) كذا عبارته وجه ورقة ١٤

(١) ظهر ورقة ١٦

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٨ تاريخ (٤) سورة النساء آية ٣١

(٥) نسخة البلدية : ٤٢/٣

يقرأ بالتشديد التاء وتخفيفها . فالحجة لمن شدد تكرير الفعل ومداومته ، ودليله قوله :
 « ومتعناهم إلى حين » ، والحجة لمن خفف أن تكرير الفعل لا يكون معه « قليلا » ،
 فلما جاء معه بقليل كان أمتع أولى به من متع ، على أن أفعل وفعل يأتيان في الكلام
 بمعنى واحد كقولك أكرمت وكرمت ، ويأتيان والمعنى مختلف كقولك : أفرطت
 وفرطت ، وتأتي فعلت لما لا تأتي له أفعلت كقولك كلمت زيدا ، ولا يقال أكلت ،
 وأجلست زيدا ، ولا يقال جلست .

فأنت ترى أنه ذكر وجهين للاحتجاج آخرهما لا يستقيم مع الاحتجاج^(١)
 الأول بل هو يسقطه ، والأولى أن يقتصر على قوله : أن أفعل وفعل يأتيان
 في الكلام بمعنى واحد .

وقال : قوله تعالى : « أن ينزل الله » : يقرأ بالتشديد والتخفيف . حجة
 من شدد أنه أخذه من نزل ينزل ، وحجة من خفف أنه أخذه من أنزل ينزل
 والحجة لها (أى للكسائي وحمة) في ترك التشديد في قوله : « وينزل الغيث » ،
 في لقمان ، وهو الذي ينزل الغيث ، في عسق قوله « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » ،
 فصارع أنزل ينزل بالتخفيف فاعرفه^(٢) ١١ ،

وأراه في هذا يفسر الماء بالماء ١١ وأية دقة في أن مضارع أنزل هو : ينزل حتى
 يدعولى معرفتها ١١ وانظر استدلاله بالقراءة على قراءة أخرى كلامه في قوله تعالى :
 « ولا تسأل » . ومثل ذلك استدلال كل بالحديث الشريف^(٣)

عاشراً — شخصية كل :

وأبو على ظاهر الشخصية بما يعلق أو يعقب^(٤) ، أو ينشئ من الأدلة إنشاء ،
 وما يورد من الشواهد بعد شواهد الشيوخ^(٥) ، أو بما يتفهم من نصوص الأئمة
 السابقين ، فهو - كما يقول المحدثون - يفهم ما بين السطور ، ويضع النقط على
 الحروف . وتعليقاته وتعميقاته تدل على عمق فهم ، وبعد غور^(٦) ، وقد تعرضت
 لذلك في تفصيل في البحث الذي عقدته عن شيوخه فليراجع . ولم يكن ذلك من

(١) الحجة لابن خالويه وجه ١٨ (٢) وجه ورقة ١٣ (٣) ظهر ورقة ١٣

(٤) انظر لابن خالويه الحجة ظهر ورقة ١٥ ولأبي على الفارسي : ١٢٠/٢ نسخة البلدية

(٥) الحجة نسخة البلدية : ٢٢/٣ (٦) نسخة البلدية : ٤٤، ١٥/٣

(٧) الحجة نسخة البلدية : ٢٢/٣

ابن خالويه بالضرورة ؛ لأنه لم يتعرض لاقوال الأئمة الذين سبقوه أو عاصروه حتى تتاح له فرصة التعقيب أو التعليق أو النقد . . . وأكبر الظن أنه لو تعرض لاقوالهم ما استطاع أن يقف منها موقف الفارسي ، أقول ذلك مستنتجاً لإياه من المواطن الأخرى التي تعرض فيها الرجلان إلى الحديث عنها ، واختلفا في المنهج عمقاً عند الفارسي ، وسطحية عند ابن خالويه .

وقد وجدت : حادى عشر : أن ابن خالويه يتعرض لمذاهب القراء من حيث الأداء ، فهو يتعرض للبد ومقداره ، والتنوين بغنة وبغيرها ، والوقف في حروف لم يتعرض لها أبو علي ، قال ابن خالويه : قوله تعالى : « يا بني إسرائيل ، كان ابن كثير يمد إسرائيل أكثر من مد بني ، والحجة له في ذلك أن مد بني لأجل استقبال الهمزة فهي مد حرف لحرف ، والمد في إسرائيل من أصل بنية الكلمة لأجل غيرها ، وسوى الباقرين بين مدتيهما ؛ لأنهما في اللفظ سيان (١) . »

ولم يذكر أبو علي شيئاً من اختلاف القراء في ذلك وقال ابن خالويه : قوله تعالى : « من يقول ، يقرأ مدغماً بغنة ، وبغير غنة ؛ لأن النون والتنوين يدغمان عند ستة أحرف يجمعها قولك . يرملون ، ويظهران عند ستة أحرف ، وهي الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والحاء ، ويخفيان عند سائر الحروف فالنون الساكنة ، والتنوين يدغمان في اللام ، والراء وبغير غنة ، وفي الواو كذلك في قراءة حمزة ، ويدغمان في الميم والنون بغنة لا غير (٢) ، فالحجة لمن أدغم في اللام ، والراء ، والياء ، والواو ، وبغير غنة أر اللام ، والراء حرفان شديدان ، والغنة من الأنف فبعدت منهما ، والياء ، والراء ، رخوتان فجزتا مع النون والتنوين في غنة الخياشيم . واتفقوا على إدغام النون ، والتنوين عند الميم بغنة لا غير ؛ لمشاركة الميم لها في الخروج من الخياشيم ، واستدلوا على ذلك بأن المتكلم بالميم والنون الساكنة لو أمسك بأفقه لأدخل ذلك بلفظهما (٣) ، ولم أر أباً على تعرض لهذا الإدغام ، وفصل الكلام فيه على النحو الذي فعل ابن خالويه ، بل إنه لم يذكر هذا الاختلاف في ذلك الحرف من حيث الغنة أو عدمها . ثم انظر تعليل ابن خالويه لوقف حمزة بالتاء على مرضات ، وهيئات هيئات ، ولات ، واللات ، والتورات ويا أبت (٤) ، على حين أن أباً على لم يتعرض لشيء من ذلك ، إذ بعد أن أتم

(١) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٨

(٢) الحجة لابن خالويه ٤

(٣) الحجة وجه ورقة ٤

(٤) ظهر ورقة ١٧

احتجاجة لاختلاف القراء في قوله تعالى : « لا رفك ولا فسوق ولا جدال ، انتقل إلى اختلافهم في السلم »^(١)

هذا وهناك ناحية اختلاف بين المنهجين في الشكل ، أذكرها ؛ إتماماً لسمات الاختلاف بين كل : ذلك أن أبا علي الفارسي ينتقل من حرف إلى حرف بقوله : « اختلفوا ، ثم يذكر قراءات الأئمة واختلافهم في هذا الحرف بالتفصيل ، ويذكر الأسانيد المختلفة لتوثيق هذا الاختلاف ، أما دلالة الانتقال من حرف إلى حرف عند ابن خالويه هو لفظ : قوله تعالى « ومن النادر أن يعين القرىء وقرآته في الحرف المختلف فيه »

* * *

أما عن النواحي التي اتفق فيها الإمامان فهي أولاً : في أن كلا منهما يحتاج للقراء السبعة ، وثانياً : أن كليهما يتعرض للقراءات التي تخالف مذهبه النحوي بالتوهين والتضعيف . وربما بدا ابن خالويه في ذلك أعنف من أبي علي ، وتعليل ذلك عندي - أن أبا علي واسع الأفق ، ماهر في القياس ، قوى في الاحتجاج ، عالم بمذاهب العرب ، دارس لكتاب سيبويه في اتقان . قد أكب عليه ، وتفرد به كما يقول أبو حيان^(٢) ، فقام على ما فيه ، وقد يمكن ذلك كله من الاعتراف بصحة القراءات - في الأعم الأغلب - التي تخالف مذهبه ، وإن كان يتبع ذلك بأحكام الجودة أو الحسن ، أو التنبيه على موافقة القياس للقراءات التي تتفق وما يذهب إليه . وقد تعرضت في تفصيل إلى بيان ذلك الموقف من أبي علي في فصل خاص عقدته له فلتراجع الاستشهادات هناك ، وأسوق هنا بعض الأمثلة لكل للتدليل على ما أقول . قال ابن خالويه : « وأدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من « يغفر لكم ، وما شاكله في القرآن ، وهو ضعيف عند البصريين »^(٣) .

وقال : أما ماروي عن أبي عمرو من إمالة قوله : « فلما رأى القمر ، وما شاكله فنلظ عليه ؛ لأن الإمالة من أجل الياء ؛ فلما سقطت الياء سقطت الإمالة ... » فإن كانت هذه الرواية صحت عنه ، فإنما أراد أن يعلم أنه كذلك يقف ، وفي هذا بعض الوهن ، ولكنه عذر له ، والمشهور عنه في ذلك الفتح^(٤) .

(١) نسخة البداية ١/٢ انظر ورقة ٣١٩ (٢) الامتاع / ١٣١

(٣) الحجة لابن خالويه وجه ورقة ١٠ (٤) آخر وجه ورقة ؟

وجاء في كتاب الحجية لأبي علي : فإذا سقطت الياء في الوصل لساكن لقيها لم يعمل الراء كقوله : « حتى نرى الله جهرة » ، « والنصارى المسيح » ، « ويرى الذين » ، قال أبو علي : هذا الذي ذهب إليه أبو عمرو مذهب ، وللعرب في هذا مذهبان : أحدهما : ألا يميلوا بالفتحة نحو الكسرة ؛ لأن إمالتها إنما كانت لتبيل الألف نحو الياء ، فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين صحح الفتحة ، ولم يملها لسقوط الألف التي كانت الفتحة تمال لتبيلها ، قال سيبويه : « قالوا لم يضربها الذي تعلم ^(١) » ، فلم يميلوا لأن الألف قد ذهبت . والآخرة أن يميل الفتحة نحو الكسرة ، وإن كانت الألف قد سقطت ، لأن الألف كما كان حذفها لالتقاء الساكنين والتقاء الساكنين غير لازم صارت الألف كأنها في اللفظ . وقد روى أحمد بن موسى هذا الوجه الثاني أيضاً عن أبي عمرو فقال : « روى عبد الوارث وعباس بن الفضل عن أبي عمرو أمالة ذلك كله استقبله ساكن أو لم يستقبله ، قال أحمد : المعروف عن أبي عمرو ترك الإمالة في مثل « نرى الله جهره » ، وقد حكى هذا الوجه أبو الحسن ، وحكى الأول الذي حكيناه من سيبويه فقال : إن شئت تركت الإمالة على حالها ، قال ، وذلك نحو « فلما رأى القمر » ، « وفي القتلى الحر » ، « وهدى للمتقين » .

وهكذا تبدو رحابة صدر أبي علي ، التي اعتمدت على سعة علمه بأقوال النحاة والقراء على السواء وقد فقد ذلك ابن خالويه - على ما يبدو في كتابه وإن كنت في شك مما قررت قافراً كيف يعنف ابن خالويه بمخالفة القراء للقياس ويضيق صدره بما يقولون ، ثم انظر كيف يقف أبو علي منهم محتجاً لمذاهبهم فيما يتلون : قال ابن خالويه ^(٢) : فأما إمالة الكسائي (رحمه الله) قوله (تعالى) في آذانهم من الصواعق ^(٣) . فإن كان أماله سماعاً من العرب فالسؤال عنه وبطل (كذا) ، وإن كان أماله قياساً فقد وهم ؛ لأن ألف الجمع في أمثال هذا لا تمال ، ويلزمه على قياسه أن يميل قوله تعالى : « أنبئهم بأسمائهم ^(٤) » ، « ويطاف عليهم بأنية ^(٥) » ، وإمالة هذا محال .

أما ما جاء في كتاب الحجية لأبي علي فقد قال : اختلفوا في قوله (عز وجل)

(٢) الحجية لابن خالويه ظهر ورقة •

(٤) سورة البقرة آية : ٣٣

(١) الكتاب ٢/

(٣) سورة البقرة آية : ٩٩

(٥) سورة الانسان آية : ١٥

« في طغيانهم وفي آذانهم^(١) » قال أبو عمر المدوي، ونصير بن يوسف النحوي: كان الكسائي يميل الألف في طغيانهم، وآذانهم، وقال غيرهما: كان يفتح، وقال أبو الحرث الليث بن خالد، وغيره: كان الكسائي لا يميل هذا وأشباهه، والباقون يفتحون... وبعد أن احتج لإمالة طغيانهم قال: وأما « في آذانهم » فجازت فيها الإمالة، كما جازت في قوله مررت ببابه^(٢)، لمكان كسرة الإعراب، وهي فيه حسنة جائزة، والإمالة في طغيانهم أحسن^(٣)

وقد بينت الرأى الذى إليه انتهيت في موقف النحاة من القراءات التى تخالف مذاهبهم فى مكان مستقل^(٤)، مؤرخاً لنظرتهم تلك، ذاكراً ما رأيت وجه الحق فيها إليه يذهبون.

* * *

وبعد، فكتاب الحجة لابن خالويه لا يخلو من ميزة، لأنه يوفى بحاجة المتخلفين من الراغبين فى التعرف على مذاهب القراء والاحتجاج لها فى سرعة وسهولة، ثم يقنعهم هذا المنهج المتخفف الذى لا يكلفهم عناء ولا إرهاقاً، ولا يكلفهم من أنفسهم مشقة ولا عسراً، أما أولئك الذين يستريحون للتقصى الذى ينقع الغلة، وأولئك الذين يتعمقون ويستريحون لهذا النوع من الاستيعاب، وما أخذوه، أبو على على نفسه من نواحي منهجه التى أشرت إليها فى إجمال هنا، وتفصيل هناك — فلا يمدلون بكتاب الحجة بديلاً، ويمجدونه خيراً مقاماً، وأحسن تأويلاً.

على أن لكتاب الحجة للفارسي هنات، وعليه مأخذ، وفيه سقطات، وقد تحدثت عن هذه منذ حين.

(١) سورة البقرة آية: ١٥، ١٦ (٢) الكتاب لسيدوية: ٢/٢٦١
(٣) الحجة لأبي على نسخة مراد ملا ٢٥٦/١ (٤) انظر ص ٢٤٥ من هذا الكتاب.

الباب الرابع

أثر أبي علي في الاحتجاج للفراءات

الفصل الأول

تأثر ابن جنى في المحتسب بأبي علي

في الموصل ذلك البلد الجليل ، الطيب الهواء ، الصحيح الماء (١) يولد أبو الفتح عثمان بن جنى سنة ثلاثين وثلثمائة بعد الهجرة (٢) وبه ينشأ ، وإليه ينسب (٣) ، وينزع في با كورة صباه إلى العلم ، يفترف من مناهله ، وسدد هذه النزعة عنده ذلك الجوع العلمي الذي اتسمت به الموصل ، فهو كما يقول المقدسي : « كثير المشايخ ، لا يعلو من إسناده عال ، وفقهه مذكور (٤) » . ومن التاذج الصالحة لهؤلاء المشايخ جعفر ابن محمد الموصلى الذي كان له ببلده دار علم جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وفتح أبوابها لطلاب العلم ، ويسر للغرباء والمعسرین امر ارتياد هذه الخزانة والاتفاح بها ، وكان جعفر هذا أدبياً ظريفاً عالماً ، فقيهاً (٥) ، ويدفع الطموح بأب الفتح - ولماً تفضح ملكاته - فيتصدر للتدريس في مسجد الموصل سنة (٤١ هـ) ، ويمر بالصبي الرومی شيخ فارسی في نحو الستين من عمره ، فيترامى إلى أذن الشيخ كلمات تنصل بالنحو الذي وقف عمره عليه ، ويخطيء الصبي ، ويراجعه الشيخ في مسألة صرفية ، فيقول عنه قولته المشهورة : « تزببت قبل أن تتحصرم ا ، . ويلزم الصبي الشيخ . وتستمر الصحبة ما يقرب من ستة وثلاثين عاماً ، ويجد الشيخ في الفتى مخايل النبوغ ، والفتنة ، فيصطنعه على عينه ، ويصحبه في تنقلاته ، ويتلقف ابن جنى

(١) أحسن التقاسيم ١٣٨ (٢) ابن خلكان : ١١٢/٢

(٣) معجم الأدباء : ١٢/نزعة الألباء : ٢٢٠

(٤) أحسن التقاسيم : ١٣٨ (٥) أظفر معجم الأدباء : ١٩٣/٧

الشيخ معتزاً به ، حريصاً عليه ، ويحج الشيخ في ابن جني غلاماً يتخذه كما كان يصطنع الشيخ من الأدباء والنحاة ، فكان أبو عمر الزاهد غلاماً لثعلب^(١) ، وأبو جعفر محمد ابن رستم الطبري غلاماً للمازني^(٢) ، ثم تكون بين الرجلين صحبة ، كما كان بين ابن السراج ، وابن الرومي من قبل .

وقد تعرض محققو كتاب سر الصناعة لأسباب طول الصحبة بين التلميذ ابن جني وشيخه أبي علي ، وأرى أن هناك ما يصح أن يضاف في تفسير هذه الصحبة الطويلة :

فأولاً : كان أبو علي في نحو الستين من عمره ، لم يكن له عقب ، فكان كما يقول ابن جني : خالياً من الأهل والولد^(٣) ، وكان ابن جني في صباه حين بدأ اتصاله بأبي علي ، ورأى الشيخ من الصبي تعلقاً به ، كما يرى فيه ذكاء وفطنة ، ورغبة في ملازمته ، فكان عطف من الشيخ في هذه السن على ابن جني ، يشبه عطف الأب على ابنه .

وثانياً : كان أبو علي في غنى ويسر ، على حين كان ابن جني فيما يبدو يعاني من الضيق والعسر يدل على ذلك قوله :

و لعل الخطرة الواحدة تحرق بفكرى أقصى الحجب المتراخية عنى في جمع الشتات من أمرى ، ودمل العوارض الجائحة لأحوالى ، وأشكر الله ولا أشكره ، وأسأله توفيقاً لما يرضيه^(٤) .

ويدور أن برأبي علي لتلميذه لم ينقطع بموته ، فقد أوصى بثلك ماله انحاة بغداد^(٥) ، ومن يمثل نحاة بغداد ويتجه القصد إليه في هذا المقام إلاّ صاحب ابن جني خليفة الشيخ في مجلس درسه^(٦) ؟

ثالثاً : لم يجد أبو علي في ابن جني ما يؤخذ عليه ، فلم يصرفه كما صرف علي ابن عيسى الربيعي بعد صحبة عشرين عاماً . أو الاندلسي بعد ما اتصل به وأخذ عنه ، فقد كان في الربيعي لوثة ، وكان مبتلى يقتل الكلاب ، ويحكى من سيره وتصرفاته ما طيه أحسن من نشره^(٧) . وأما الاندلسي فقد كان فيه حرص بارد على العلم^(٨) .

-
- (١) نزهة الألباء ١٨٦
(٢) انظر الخصائص لابن جني ٢٨٤/١ : ٢٨
(٣) طبقات القراء : ١/٢٠٧
(٤) مقدمة المختص ٧
(٥) نزهة الألباء ٢٢٦ .
(٦) نزهة الألباء ١
(٨) إنباه الرواة : ١٩/٢

ومهما يكن من أمر فإن طول ملازمة ابن جنى للفارسي كان لها آثارها العامة ومظاهرها التي لا تنتكر :

(أ) فقد درس ابن جنى أبا على دراسة دقيقة حتى عرف خطرات نفسه .

(ب) وحفظ عليه وأذاعه في كتبه .

(ج) وسلك مسلكه في الاحتجاج للقراءات على اختلاف بين الرجلين .

كانت كتب ابن جنى امتداداً لكتب أبي على الفارسي ، وابن جنى يحس ذلك فلا يفرق بين كتبه وكتب الشيخ فنراه يقول : بعد أن أورد آياتاً في الخصائص - وهذه الآيات قد شرحها أبو على (رحمه الله) في البغداديات فلا وجه لاعادة ذلك هنا ، فإذا آثرت معرفة ما فيها فالتسه منها (١) . . وهكذا نرى ابن جنى يشير إلى ما كتب الشيخ ، وكأنه يشير إلى مؤلف له من المؤلفات السابقة .

وبعد : فما الذي دعا ابن جنى إلى تأليف كتاب المحتسب في الاحتجاج للشواذ ١٩ :

شهد القرن الرابع لهجرى حركة غايتها توثيق بعض القراءات ، وتشذيب بعضها الآخر ذلك إلى جانب الأسباب العامة التي دفعت أبا على إلى الاحتجاج على وجه العموم ، وكان قائد هذه الحركة أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) أول من سبع السبعة كما يقولون (٢) ، وشذذ ما عداها ، وقد عرفنا من رجال هذا العصر رجلين من القراء فقرأ بروايات أخرى من التي شذذها ابن مجاهد ، أحدهما : ابن شنبوذ ، والآخر : أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار . وقد حمل ابن مجاهد على ابن شنبوذ ، وعقد له مجلساً بحضرة الوزير ابن مقلة ، وكتب عليه محضراً ، واستنبت عما كان يقرأ به من الشاذ (٣) وكذلك فعل بابن مقسم من بعده (٤) .

أما الرأي العام فينقسم فريقين أمام هذه الحركة المتحررة التي سبق إليها كلا الرجلين كما تدل عليه عبارات كتب التراجم : فكان ابن الجزري يمثل المؤيدين لها حين يقول في ابن شنبوذ : « أنه كان ثقة في نفسه ، صالحاً ، ديناً ، متبحراً في هذا الشأن (٥) » . وحين ينقل عبارة أبي عمرو الداني فيه : « تحمل الناس الرواية عنه ، والعرض

(٢) إراز الماني (٢)

(٤) طبقات القراء : ٢٤/٢

(١) الخصائص ١/٣٢٦

(٣) طبقات القراء ٢/٤٤

(٥) المصدر السابق : ٤/٢٠٤

عليه ، لموضع من العلم ، ومكانه من الضبط (١) .
ويمثل المعارضين ابن النديم حيث يقول في الفهرست : « كان ابن شنبوذ يناوي
أبا بكر ، ولا يفسده ، وكان ديناً فيه سلامة وحق ، وينقل عن الشيخ أبي محمد يوسف
بن الحسن السيرافي عن أبيه أنه كان كثير اللحن ، قليل العلم (٢) .
كذلك كان الحال تجاه ابن مقسم : فهو عند بعض : « مشهور بالضبط والاتقان ،
عالم بالعربية ، حافظ للغة ، حسن التصنيف في علوم القرآن » .

وعند بعض آخر : يتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل ... (٣) ويراه أبو أحمد
الفرضي في النوم ، وقد ولي ظهره للقبلة ، وهو يصلي يستدبرها ، فيتأول ذلك بمخالفة
الأئمة فما اختاره لنفسه ، (٤) .

ويبدو أن ابن جنى كان من أنصار هذه النظرة المتحررة ، ولا سيما وقد اتصل
بإبن شنبوذ حين تلمذ على شيخه أبي جعفر محمد بن علي بن الحجاج (٥) ، كما اتصل بابن
مقسم ، وتلمذ عليه ، وروى عنه ، وتأثر به (٦) .

ولعل ذلك هو أول ما دفع ابن جنى إلى الاحتجاج للشواذ ، وتأليف كتابه
المحتسب ؛ حسبة ، ودفاعاً عنها ؛ إذ كانت من عند الله منزلة ، وعن رسوله مروية (٧) .
وأمر ثان أنه رأى من سبقه من أصحابه لم يفرده هذه الشواذ كتاباً في الاحتجاج (٨) ،
فأراد أن يعمل عملاً يقصره عليها ، ويظل مذكوراً بالانتصار لها ، وتوضيح أسرارها
وعلاها ذلك ما يدل عليه قوله : « ... وإذا كان من مضى من أصحابنا لم يضعوا
للحجاج كتاباً فيه ، ولا أولوه طرفاً من القول عليه ، وإنما ذكروه مروياً مسلماً ،
بمجموعاً أو متفرقاً ، وربما اعتزموا الحرف منه ، فقالوا القول المقتنع فيه ، فأما أن يفردوا

(١) طبقات القراء ٥٦/٢

(٢) الفهرست ٤٧ (٣) طبقات القراء : ١٢٤/٢

(٤) طبقات القراء : ١٢٥/٢ (٥) المحتسب ٢٧٩/١

(٦) انظر المحتسب : ١/٣٧ ، ٢/٢٨٥ ، ٣/٢٣٦ مثلاً

(٧) مقدمة المحتسب ٦

(٨) وجدت إشارات خافتة للاحتجاج للشاذ في كتاب مختصر شواذ القرآن من كتاب
البديع لابن خالويه المطبعة الرعانية مصر ١٩٣٤ . انظر للاحتجاج بالهجات « مالكم
من إله غيره » بالنصب ص ٤٤ ، والاحتجاج القوي ص ١٧١ « يخرج من بين الصلب »
والإعرابي : قال فاللق والحق ١٣٠ والمنوى : من حيث أفاض الناس (س ١٩٩٢)

له كتاباً مقصوراً عليه ، أو يتجردوا للاتصاف له ، ويوضحوا أسرارهم وعلمهم فلا تعلمه .
وأمر ثالث أفضى به في مقدمة المحتسب إذ يقرر أن التشاغل ^(١) بالاحتجاج للشواذ وحى من أستاذه أبي علي ، ذلك أن الشيخ كانت قد هجست خواطره به ، وحدث نفسه بعمله ، وهم أن يضع يده فيه ، ويبدأ به ، ولكن خواج هذا الدهر اعترضت دونه ^(٢) . فكان حسناً من ابن جنى أن يمضى فيما فكر فيه أستاذه ، وأن ينفذ ما اعترزم عليه من ذلك

هذه أسباب قريية دفعت — فيما أرى — ابن جنى إلى الاحتجاج للشواذ ، وإلى جانب ذلك ما كان لابن جنى من قدم راسخة ، فهو عالم باللغة ، محيط بأسرارها ، حافظ لأشعارها ، ملم بأصولها ، إلى ماله من قريحة وقادة ، وذكاة نافذ ، ونظرة عميقة ، واستخراج موفق ، كل ذلك يسر له كثيراً الاحتجاج للشواذ دون عناء كبير .

ثم : ألم يشرح ابن جنى لأبي الطيب المتنبى أبياته الغامضة ؟ والتي كان إذا سئل عنها المتنبى نفسه أحال السائل إلى ابن جنى حتى يستوضحه ، وبين له الوجه فيما قال ^(٣) ؟ ثم ألم يتناول مشكل أبيات الحماسة بالبيان ؟ ولا شك أن ميدان العدل في الاحتجاج للقراءات الشاذة ضرب من هذا القبيل ، إلى ما فيه من التماس للثواب الجميل ، واحتساب الأجر الجزيل .

وفي كتاب المحتسب لابن جنى إشارات تدل على أنه ألفه بعد جملة صالحة من كتبه المعروفة ، إذ يشير إلى كتابه المحاسن ^(٤) ، والمنصف ^(٥) ، وشرح ديوان المتنبى ^(٦) ، وسر الصناعة ^(٧) ، والتنبية وهو تفسير مشكل أبيات الحماسة ^(٨) ، والخطيب ، وهو شرح المذكر والمؤثر لابن السكيت ^(٩) ، كما يشير إلى كتابه الخصائص المشهور بين الناس ^(١٠) . ومعلوم من كتب التراجم أن كتاب الخصائص مؤلف لبهاء الدولة ^(١١) ، الذي ملك سنة (٣٧٩ هـ) ^(١٢) . فكتاب المحتسب إذن مؤلف بعد هذا

- | | |
|--------------------------|--|
| (١) مقدمة المحتسب : ٦ | (٢) مقدمة المحتسب : ٧ |
| (٣) الصبح النبى | (٤) المحتسب : ٢٤٦/١ |
| (٥) ٤٦/١ و ٨٩ و ٣٥٠ مثلا | (٦) ١١٧/١ |
| (٧) ٤٦/١ | (٨) ٢٣٠/١ |
| (٩) ٢٧٤/٢ | (١٠) ٢٧٩ و ٨٧/١ |
| (١١) الخصائص ٢/١ | (١٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢٧٩ وذيل تجارب الأمم ١٥٣/٣ وتاريخ المسلمين لشيخ جرجس بن العميد ط ١٩٢٥ ص ٢٤١ |

التاريخ ، بل إن هناك دليلاً على أنه مؤلف بعد سنة (٣٨٤هـ) وفي جمادى الآخرة من تلك السنة على التحديد ، ذلك أن أبا الفتح عثمان بن جنى كتب أجازة للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر أن يروى عن مصنفاته وكتبه (١) ، ولم يرد المحتسب في هذه الأجازة ، وبما أن هذه الأجازة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٣٨٤هـ فعنى هذا أن كتاب المحتسب مؤلف بعد تاريخ الأجازة ، وإذ كان ابن جنى قد توفى سنة ٣٩٢هـ عن اثنين وستين عاماً ، فإذن قد ألف كتاب المحتسب وهو باخراً من زمانه متقدماً في سنة نحو الخامسة والخصنين . وإذ قد ثبت أن كتاب المحتسب مؤلف بعد الخصائص فهو مؤلف كذلك بعد النوادر الممتعة الذى يشير إليه ابن جنى في كتاب الخصائص (٢) .

ويبدو من مقدمة الكتاب أنه ألف وقد أحس دنو منيته ، وذلك قوله : . . .
« وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك ، وصلتها برأفتك بنا ، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا ، فاذا انقضت علائق مددنا ، واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفاسنا ، واستوفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقبلنا إلى ظل جنتك التى لم تخلقها إلا لمن وسع ظل رحمتك (٣) ،

فالتفكير فى انقضاء علائق الحياة ، واستيفاء الأنفاس ، واستئناف أحوال الدار الآخرة ، والتطلع إلى ما فيها من ظلال النعيم — كل ذلك ظواهر تختلج على ألسنة الذين أدبرت أعمارهم ، وولت حياتهم ، وشعروا بدنو آجالهم .

الذى أريد أن أرتبه على ذلك كله أن أبا الفتح قد اجتمعت له — فى تأليف المحتسب — تجارب طويلة ممتدة ، وخبرات نافعة متعددة ، هى تجارب العمر كله التى انتهت به إلى الاستقرار الذهنى ، وفضح ثمره التحصيل المبكر ، والدرس المستمر ، والصحة الجدية لاستاذه أبي علي . إلى ما ركب الله فيه من صفاء القريحة ، وتوقد الذهن ، والقدرة البالغة على الاستخراج ، والبراعة الفائقة فى فهم اللغة ، والتفقه فى خصائصها ، والتعرف على أصولها ، والغوص البعيد فى أعماقها ، والسعى المديد

(١) معجم الأدباء : ١٢ / ١٠٩ (٢) انظر مثلا ٣٣٦ و ٣٨٨

(٣) مقدمة المحتسب وقرأت بعد ذلك فى حقائق التأويل للرضى مانصه : كان شيخنا أبو الفتح التحوى عمل فى آخر عمره لنا بما يشتمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ . . .
(حقائق التأويل : ٥ / ٣٣١)

في آفاقها ... ومن ثبت الكتب التي تركها ابن جنى استنتج أنه لم يشتمل بالدراسات القرآنية على صورة واسعة ، فلم يعقب في هذه الدراسات إلا كتاب المحتسب في شرح ما شذ من القراءات ، على الرغم من أن له في الدراسات الأدبية والنحوية ما يقرب من ستة وثلاثين كتاباً : جاء بعضها في إجازته لأبي عبد الله الحسين بن نصر ، ونص على البقية الباقية منها يا قوت الحموى في معجم الأدباء (١) .

ولإي جانب ذلك — لم ترد لابن جنى ترجمة في كتاب غاية النهاية لابن الجزرى ، مع أن شيخه أبا علي بن روى القراءة (٢) : روى القراءة عرضاً على أبي بكر بن مجاهد ، كما روى عن أبي علي عرضاً عبد الملك بن بكران النهروانى . وإذا كان ابن جنى قد ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ (٣) فإن اتصاله بأبي علي كان بعد فراغه أى — أبي علي — من التلقى عن ابن مجاهد المتوفى (٣٢٤ هـ) (٤) .

قد يقال : وما الذى يمنع ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) أن يشترك مع عبد الملك ابن بكران النهروانى (ت ٤٠٤ هـ) في أخذ القراءة عن أبي علي الفارسى مع أن النهروانى عاش بعد وفاة ابن جنى ما يزيد عن عشر سنوات كما ترى ١٩

فالجواب ما يبدو من أن النهروانى اتصل مبكراً بأبي علي ، وقبل أن يتصل ابن جنى به ، فالنهروانى — وإن لم يرد ميلاده في كتب التراجم — قد عمر دهرأ كما أورد ابن الجزرى (٥) . ومفهوم ما أورد ابن الجزرى بضميمة جلوسه للأخذ عن أبي علي في السنن التى يؤخذ فيها عادة يرجع أنه اتصل بأبي علي قبل أن يولد ابن جنى :

وشيء آخر أراه صرف ابن جنى من الاشتغال برواية القراءة ، ذلك ما كان من سبب اتصاله بأبي علي — في مسألة صرفية ، فاعتنى منذ ذلك الحين بالتصرف ولزم شيخه ، فما أحد أعلم منه به ، ولا أقوم بأصوله وفروعه (٦) . فلعل اتصاله — وهو حصرم — بأبي علي من أجل مسألة صرفية — صرفه عن رواية القراءة ، إلى دراسة الصرف بخاصة ، والعربية بعامة ، ومن قبل انصرف لإمام النحاة عن دراسة

(٢) اظر غاية النهاية ٢٠٧/١

(٤) الفهرست ٤٧

(١) ١٠٩/١٢ — ١١٣

(٣) معجم الأدباء ٨٣/١٢ .

(٥) طبقات القراء ٤٦٨/١

(٦) معجم الأدباء ٩١/١٢

الآثار والفقهاء إلى طلب النحو بسبب تلحين حماد بن سلمة له^(١)
هذا إلى أن شيخه أبا علي الذي لازمه أربعين سنة كان من المقلين في الإقراء
فلم يقرأ عليه ، إلا عبد الملك بن بكران النهرواني — كما يحدثنا بذلك ابن الجزري^(٢)
وليس معنى انصراف ابن جنى عن الدراسات القرآنية أنه تركها جملة ، لا : بل
أريد أن أقول : ، إنه لم يحتشد لها ، ولم يحتفل بها ، كما فعل في النحو واللغة مثلاً .
فالشواذ التي وردت في كتاب المحتسب عرفها من اطلاعه على كتاب أبي بكر
ابن مجاهد في الشواذ^(٣) ، وكتاب كل من أبي حاتم السجستاني ، وقطرب ، وبعض
هذه الكتب أخبره فيها شيخه أبو علي الفارسي^(٤) ، على أن كتاب المحتسب
في مجموعه كتاب تخريج للقراءات الشاذة من الناحية اللغوية ، والإعرابية ، والصرفية .

* * *

وقد صدر ابن جنى كتاب المحتسب بمقدمة ، بدأها بحمد الله ودعائه ، ثم أتى
على نبيه ، وضمن ذلك ثناء على القرآن الكريم ، وأشار إلى إعجازه الذي كد بمهله شد
المجددين ، واستولى بأوله على آخر غاي الناطقين ، سواء في ذلك ما اجتمع عليه قراء
الأمصار ، وما تعدى ذلك بما سماه أهل زمانه شاذاً .

ثم خُص من ذلك إلى بيان آرائه في الشواذ ، والفرق بينه وبين قراءات
القراء السبع . ومقدار ما للشاذ من وثاقة ، ثم ذكر الأسباب الموجبة إلى التشاغل
بالاحتجاج للشاذ ، وبين ما يلتزمه من الأسلوب في ذلك الكتاب ، وما يدعو ذلك
من الأسباب . ثم وثق كتابه : فذكر المصادر التي استقى منها القراءات الشاذة ،
رواها ، طرفاً ، وطرفاً مروياً له ، ومخبراً به ، كما أنه أشار إلى التزامه الدقة والأمانة
في عرض ما يورد من روايات وقراءات .

وهكذا بين ابن جنى في هذه المقدمة آراءه في الشاذ ، وما يدور حوله من مسائل
في توثيقه ، وما يشير إليه من فصاحة ، وما يكون في الاحتجاج له من لطف
في الصناعة ، وذلك ما أعرضه فيما يأتي من حديث في هذا الفصل ، مبيناً مقدار
ما تلاقى بأبي علي ، وما بعد فيه عنه .

(١) نزعة الألباء ٣٨

(٢) طبقات القراء : ٢٠٧/١ (٣) انظر المحتسب ٣٧٩/١

(٤) انظر ٩ ، ١٠ من كتاب المحتسب

فسر ابن جنى الشاذ بأنه خارج عما أجمع عليه أكثر قراء الأماصار، ولكنه مع خروجه عن قراءات القراء السبع نازع بالثقة إلى قرائه، مخوف بالرواية من أمامه وورائه^(١)، بل ارتقى ابن جنى بالشاذ فقال: «لعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه^(٢)». بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فقرر أنه ربما كان في الشاذ ما تلطف صنعته، وتعنف بغيره فصاحته^(٣)، وابن جنى بذلك لا يخالف القراء المجتمع في أهل الأماصار على قراءتهم، ولا يعدل عما أثرته الثقات عنهم. غاية الأمر أنه يرى قوة ما يسمي في عهده شاذاً، ولا ينبغي أن يغض منه أو يتهم، ثم عاد فدل على ما يرى في الشاذ بما يأتي:

(أ) أن له سنداً من صحة الرواية.

(ب) وأن له وجهاً من سميت العربية.

وإذا كانت الرواية تنميه إلى رسول الله — فنحن مأمورون بتقبله، والأخذ به، والعمل به، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه»^(٤). وإذن فكل من القراءات السبع، والشاذ مروى مسند إلى السلف، وإذا كان المجتمع عليه أقوى إعراباً، وأنهض قياساً، فإن ذلك لا يقدر في الشاذ، ولا يمنع من الأخذ به، لأن ضعف الإعراب لا يمنع من صحة الشاذ. ولو كان ضعف الإعراب في قراءة قادحا فيها، مانعاً من الأخذ بها — ما أخذنا بقراءة ابن كثير ضئلاً بهزتين، وقراءة ابن عامر: «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم»^(٥).

ثم وضع ابن جنى ملاكاً عاماً للقارىء الذى يجب الأخذ بقراءته، وذلك إذ يقول: «ولعمري أن القارىء به من شاعت قراءته، واعتبر الأخذ عنه، فأما من يتوقف من الأخذ به لأن غيره أقوى إعراباً منه فلا»^(٦).

وأرى ابن جنى بعد ذلك على حق فيما ذهب إليه، فإدامت القراءة عن رسول الله مسندة — سواء أكانت من المجتمع عليه أم بما هو خارج عنه — وما دام لها وجه من العربية، فلا معنى لردّها، وعدم الأخذ بها، وليس ضعف العربية

(٢) ٤/١

(٤) سورة ٥٩: ٧٢

(٦) المحتسب: ١/٥ - ٦

(١) المحتسب ٣/١

(٣) ٤/١

(٥) سورة الأنعام

كذلك مما يقدح ، لأن القراءات سنة متبعة ، وليس القياس مدخل فيها هو معتمد على محض الرواية ، وخالص الآثار (١) . .

وبعد أن وثق ابن جنى الشاذ على هذا النحو ، ووطد الميدان الذي سيعمل فيه خالص لبيان السبب في اتجاهه لتأليف كتاب في الاحتجاج للشواذ ، ذلك أن من سبقه ذكروا الشاذ مروياً مسلماً مجموعاً أو متفرقاً دون أن يحتجوا له ، وربما احتجوا الحرف منه ، ولكنهم لم يفرّدوا له كتاباً مقصوداً عليه (٢) ، ومن هنا حسن بل وجب التشاغل بعمل يسد فراغاً ، ويكمل نقصاً ، وبين ابن جنى أن عمله في الشواذ لإبراز لما هجس به خاطر أستاذه أبي علي ، إذ كان وقتاً حدث نفسه بعمله ، وهم أن يضع يده فيه ، ويبدأ به ، فاعترت خوالج هذا الدهر دونه ، وحالت هنواته بينه وبينه (٣) . ومن أجل ذلك كان لكتاب المحتسب موضعه الظاهر في آثار أبي علي الفارسي ،

وذكر ابن جنى أن كتابه ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة من قراءة السبعة ، وإنما الغرض فيه إبانة ما لظفت صنعته ، وأغربت طريقه . أما ما كان غارياً منها ، وليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر فلا وجه للتشاغل به (٤) .

ثم بين أنه سيتناول ذلك بأسلوب سمح ، ويورده بالفاظ قريبة على أهل القرآن ليحظوا به ، ولا يتأوا عن فهمه . وأراه بذلك قد تجنب ما كان من أبي علي في كتاب الحجية ؛ إذ تجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجلو عنه كثير من العلماء . ثم بين المصادر التي استقى منها القراءات الشاذة على الشرط الذي اشترطه فيها — ما كان غامضاً منها وأذهب في طريق الصنعة الصريحة — ، وجعل هذه المصادر فيما يأتي :

أولاً — ما رواه هو .

ثانياً — ما صح عنده من طريق رواية غيره . واعتمد من ذلك على :

(١) كتاب أبي بكر بن مجاهد (رحمه الله) الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة (٥) وقد وثق ابن جنى أبا بكر إذ جعل كتابه أثبت في النفس من كثير من

(١) انظر من الشاطيه ٧٨

(٢) ٦/١

(٤) المصدر السابق

(٣) ٧/١

(٥) لم يرد فيها ذكر ابن النديم لابن مجاهد كتاب بهذا الاسم انظر/٤٧ وقد ذكر له كتابين : القراءات الكبير والقراءات الصغير ، فلعل كتاب الشواذ هو الصغير نهما انظر/٥٣

الشواذ المحكية عن عمر ليست له روايته ، ولا توفيقه ، ولا هدايته
(ب) وكتاب أبي حاتم السجستاني ، وقد أخبره به أبو اسحق ابراهيم
ابن أحمد القرميسيني .

(ج) وكتاب أبي علي بن المستنير قطرب روى منه صدرأ كبير . غير أن كتاب
أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب من حيث كان مقصورا على ذكر القراءات عاريا
من الإسباب في التعليل والاستشهادات التي انحط قطرب فيها وتناهى إلى متباعد
غاياتها . ثم وثق كتاب قطرب بأن ذكر أسناد من أخبره به ^(١) ، ومن المصادر التي
اعتمد عليها ابن جنى .

(د) كتاب المعاني للزجاج .

(هـ) وكتاب المعاني للقراء ، وقد أخبره بكليهما أبو علي : الأول سمعه من

الزجاج ، والآخر سمعه من ابن مجاهد ^(٢) .

وقد بين أنه التزم في كل ذلك ما رواه ، وما صح عنده من طريق رواية غيره
له — الدقة . وتحرى الأمانة في الرواية . ذلك ما يشير إليه قوله : « لا نألو فيه
ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته ، وتحرى الصحة في روايته ^(٣) .

وعلى هذه الأسس من المنهج ، والتوثيق ، والوسيلة ، والغاية ، يمضى

ابن جنى في كتابه مبتدئاً من أول القرآن الكريم في موالاته بين سورته حتى ينتهي إلى
سورة الناس : يذكر الأحرف التي وقع فيها الشذوذ مرتبة في سورها ، مصدراً
الحديث عن كل حرف بقوله : « ومن ذلك ، ثم يوثق ما يورد بذكر سند
القراءة بإيراد القراء الذين قرءوا بها — وهذا من قبل الاحتجاج بالرواية — ثم
يورد التوجيه الذي يراه في هذا الحرف الشاذ ووجهه من العربية — وهذا من
الاحتجاج بالصنعة والدراية .

وبعد : فهل وفي ابن جنى بما ذكر في خطبة المحتسب ؟

يجيب عن ذلك ما ساورده حول هذا الكتاب من دراسات ، وهو ما أنا في
سبيلي إليه إن شاء الله : سأتناول الخصائص البارزة في كتاب المحتسب لابن جنى .
ثم أجمع الفروق التي بدت لي بين أبي علي وتلميذه في الاحتجاج ، ذاكرة مدى تأثر
ابن جنى به في هذا السبيل .

موقف ابن جنى من القراءات التى عدّها غيره شاذة

رأينا ابن جنى ينصب الموازين لتقويم القراءات التى عدّها غيره شاذة : فما كان منها جارياً على سنن من العربية ، فاشياً فى اللغة والشعر وفضيح الكلام ، نازعاً — كما يقولون — بالثقة إلى قرائته . محفوفاً بالرواية من أمامه وورائه — ما كان كذلك قبله ولم يردّه ، وصح الاحتجاج به كالماتر^(١) ، ويرى — وهو على حق فيما يرى — أنه من الخطأ بعد ذلك تسميته شاذاً .

ثم يختلف تقديره للشواذ وموقفه منها بقدر ما اشتملت عليه من هذه الأسس التى بنى عليها التقويم ، فلم يكن ابن جنى فى كتابه المحتسب متحيزاً إلى القراءات الشاذة يرجحها على الإطلاق ، بل وقف منها موقف الحكم العدل ، ولم يجرمه احتجاجه للشواذ ، وأنه عقد كتابه المحتسب من أجلها — على ألا يعدل فى تقدير القراءات . ومن هنا رأيت يقف من القراءات الشاذة مواقف مختلفات :

أولاً — فهو حيناً يرجح القراءة الشاذة على قراءة الكافة .

ثانياً — وحيناً يفسر قراءات الكافة بقراءة شاذة ، ويحتج بهذه لتلك مفسراً أو معرباً . وهو فى هاتين الحالتين لا يشذ ما يراه غيره شاذاً ، بل هو راجح على القراءة السبعة ، أو على الأقل فى درجتها .

ثالثاً — وحيناً تراه يهاجم القراءة الشاذة ، فيتناكر لها ، ويتعجب من القراءة بها . وفى هذه الحالة يتفق هو والكافة فى تشديدها .

والملك العام عنده — حسن الظن بالمنكر من القراءات — يرى أن أويله خير من الحكم عليه بالفساد ، اعتداداً بمن رواها من الأئمة القراء . وقد دعت هذه النزعة إلى إخراج القراءة من دائرة القليل النادر ، أو أنها لا تجوز إلا فى الشعر ، إلى أنها كثيرة فى الشعر ، وواردة فى النثر ، وأورد فى قراءة طلحة بن سليمان أن يحمى الموتى ساكنة ، قوله معنى قول ابن مجاهد أنه قرأه على سكنون الياء من يحمى على لغة من قال : يا دار هند عفت إلا أنافيا ، فأسكن الياء فى موضع النصب ، لا أن الياء فى قوله : يحمى الموتى ، ساكنة ، وذلك أنه لا ياء هناك فى اللفظ أصلاً ، لا ساكنة ولا متحركة ؛ لأنها حذفت لسكونها وسكون اللام من الموتى .

قال أبو العباس : هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضرورات ، حتى أنه لو جاء به جاء فى النثر لكان جائزاً ، وشاهد ذلك فى الشعر أكثر من أن يؤتى بها ،

ومعاجه منه في النثر قولهم : لا أكلمك حيرى دهر ، فأسكن الياء من حيرى وهي في موضع نصب (١) .

وانظر لإيراده قول أبي العباس من أن هذه الياء في موضع النصب من أحسن الضرورات ، وأنها جائزة لوجاهت في النثر . ذلك لأنه يحاول أن يخرج القراءة الشاذة من حكم الشذوذ الذي لا يقاس عليه إلى الشيع والجاوز والانتساع (٢) .

وسأسوق الشواهد الكاشفة عن مواقفه تلك فيما يأتي من حديث :

أولا — ترجيح القراءة الشاذة على قراءة الكافة :

وتتجلى هذه الظاهرة فيما يأتي من الأحوال :

١ — القراءة الشاذة أعرب : وقد حكم بذلك على قراءة الأعرج : لمّا أتيناكم بفتح اللام وتشديد الميم ، وأتيناكم بألف قبل الكاف (٣) .

٢ — تخريج القراءة الشاذة على الكثير الشائع في الشعر وفصيح الكلام :

وذلك قراءة بما حفظ الله (٤) — إذ قال : د هو على حذف مضاف أي بما حفظ دين الله ، وشريعة الله ، وعهود الله ، ومثله إن تنصروا الله ينصركم ، أي دين الله ، ثم قال : د وحذف المضاف في الشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة (٥) .

٣ — استدلاله بقراءة شاذة على مذهب البصريين : ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن عباس في مصحف ابن مسعود : د وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ويقولان ربنا (٦) ... ، وفيه : د والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم (٧) . وفيه : د والملائكة باسطو أيديهم يقولون أخرجوا (٨) .

قال أبو الفتح : وهذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه دون أن يكون القول مقدرًا معه ، وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عرياناً

فهو عندنا نحن على : قالوا . وعلى قولهم لا إضمار قول هناك . لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالوا لنا صار كأنه قال : د قالوا لنا ، فأما على إضمار قالوا والحقيقة فلا . وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما يقدره من القول فصار

(١) ٤١١/٢ — ٤١٢ واضطر ٤٠١/١ — ٤٠٢ (٢) وانظر في مثل ذلك ١١٧/١

(٣) ١٩٣/١ (٤) سورة النساء آ٤ ٣٤٣/١ (٥)

(٦) سورة البقرة آ١٢٧ (٧) سورة الزمر آ٣ (٨) سورة الأمام آ٩٣

قاطعاً على أنه مراد فيما يجرى مجراه . وكذلك : « يدعون عنتر والرماح كأنها ،
فيمن ضم الراء من عنتر أى يقولون يا عنتر ، وكذلك من فتح الراء وهو يريد
يا عنتر . وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ^(١) أى يقولون .
وقد كثر حذف القول من الكلام جداً ^(٢) .

٤ — ويستدل على جواز تقديم خبر كان عليها بقراءة شاذة :

قال : « ومن ذلك — أى من انقراءات الشاذة — قراءة أبي وابن مسعود :
« وباطلا ما كانوا يعملون » ، قال أبو الفتح : « باطلا منصوب يعملون ، ومازائدة
للتوكيد فكأنه قال : « وباطلا كانوا يعملون » ثم قال : « ومن بعد فني هذه القراءة
دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها كقولك : « قائماً كان زيد . . . ووجه الدلالة
من ذلك أنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل . وباطلا منصوب
يعملون . والموضع إذا لسيعلون لوقوع معموله متقدماً عليه . فكأنه قال ويعملون
باطلا كانوا ^(٣) . وانظر استدلاله بقراءة شاذة على إعراب في قراءة سبعية ^(٤) :
« وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » .

٥ — القراءة الشاذة راجحة في معناها على قراءة الجماعة :

قال : « ومن ذلك قراءة الحسن (رضى الله عنه) « اهدانا صراطاً مستقيماً » .
قال أبو الفتح ينبغي أن يكون أرادوا — والله أعلم — التذلل لله (سبحانه) ،
وإظهار الطاعة له : أى قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له : صراط مستقيم ، ولسنا
نريد المبالغة في قول من قرأ الصراط المستقيم ، أى الصراط الذى قدشاعت استقامته ،
وتعلمت في ذلك حاله وطريقته ، فان قليل هذا منك لنا زاك عندنا ، وكثير
من نعمتك علينا ، ونحن له مطيعون ، وإلى ما نأمر به ، ونهى فيه صائرون .
وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى ، وذلك أن تقديره آدم هدايتك لنا ،
فانك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم ، فجرى حينئذ مجرى قولك :
« لئن لقيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتلقين منه رجلاً متناهياً في الخير ،
ورسولاً جامعاً لسبل الفضل ، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد كقول الأخطل :

بنزوة لص بعد ما مر مصعب بأشعث ، لا يفلى ، ولا هو يقمل

ومصعب نفسه هو الأشعث . وعليه قول طرفه :

(١) سورة الرعد آية ٢٤

(٢) المحتسب ١/١١٢ — ١١٣

(٣) ٣٩٩/١

(٤) ٢٣٣/١

جازت القوم إلى أرحلنا آخر الليل يعفور خدر

وهي نفسها عنده يعفور . أنشدنا أبو علي :

أقامت بنو مروان ظلماً دماناً وفي الله إن لم يحكموا حكم عدل
وهو سبحانه أعرف المعارف ، وقد سماه الشاعر حكماً عدلاً ، فأخرج اللفظ
مخرج التنكير ، فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف ،
وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير ، (١) .

وهكذا يرقى ابن جنى بالقراءة التي عدّها غيره شاذة ، فيرجحها على قراءة الكافة
على النحو الذي رأيت .

٦ - رده معنى القراءة الشاذة إلى القراءة الصحيحة بما هو متعارف شائع كثير

عند العرب في القديم والمولد .

من ذلك ما حكى - ابن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لا تقرأ ، فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به ، فان الله ليس له مثل ، ولكن اقرأ بما آمنتم به ، قال : وروى عنه أيضاً
أنه يقرأ بالذي آمنتم به ، قال : وقال عباس في مصحف أنس ، وأبي صالح ، وابن مسعود :
فان آمنوا بما آمنتم به ، قال أبو الفتح : هذا الذي ذهب إليه ابن عباس حسن ، لكن
ليس لأن القراءة المشهورة مردودة ، وصحة ذلك أنه إنما يراد فان آمنوا بما آمنتم به
كما أراده ابن عباس وغيره أن العرب قد تأتي بمثل في نحو هذا تؤكداً وتسديداً يقول
الرجل إذ أتاني عن نفسه القبيح : مثل لا يفعل هذا ، أي أنا لا أفعله ، ومثلك إذا سئل
أعطى ، أي أنت كذلك قال : مثل لا يحسن قولاً ففع ، أي أنا لا أحسنه . وفي حديث
سيف ذي يزن : أيها الملك مثلك من سر ، وبر ، أي أنت كذلك ، وهو كثير في الشعر القديم
والمولد جميعاً (٢) .

٧ - ورب قراءة - عدها غيره شاذة - فيها بلاغة (٣) ، وسأعود إلى تفصيل
ذلك عند الحديث عن استهزاء ابن جنى الروح البلاغية في التعليل والاحتجاج ،
وهو إذ يقف هذا الموقف من القراءات الشاذة فيرقبها إلى درجة فوق قراءة الكافة
أحياناً - يعتمد في نظرتة تلك على الأسس الآتية :

(١) الرواية . (ب) القياس على ما ورد في آية أخرى أو في كلام العرب .

(ج) ما هو فاش في اللغة . (د) الحس اللغوي .

(١) المحتسب ١٧/١ - ١٨

(٢) ١١٨/١

(٣) المحتسب ٢٨٨/١

وقد ترى تلك الأسس مفرقة في توثيقه للشاذ ، وقد يجتمع منها اثنان ، أو أكثر — أحدهما الرواية — ولكنى وجدت مثالا جامعاً لها كلها في قوله (١) :

(١) ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن في رواية عطاء عنه ، وقراءة عاصم الجحدري أيضاً : وملائكته وكتابه على التوحيد (٢) ، قال أبو الفتح : اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس أى وكتبه .

(ب) ومثله قوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق .

(ج) ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة ... ألا ترى إلى قوله تعالى : وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . وقال تعالى : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم ... فلكل إنسان كتاب فهمى جماعة كما ترى . وقد قال : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق .. ، وقال الله تعالى : نخرجكم طفلاً أى أطفالاً .

(د) وحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضاً؛ وذلك أنه موضع إضعاف للعباد ، وإقلال لهم فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة ، لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد فاعرف ذلك (٣) .

وتراه وهو يوثق القراءة بما هو شائع في اللغة يقول مثلاً : حكاية الحال فاشية في اللغة (٤) ، أو حذف المضاف والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة (٥) ، أو يقول « أفشى من الشمس » (٦) ، والنظا ترفيه كثيرة جداً (٧) ، أو قد كثر حذف القول من الكلام جداً (٨) إلى غير ذلك من التعبيرات الدالة على أنه في تخريج القراءة التي يعدها غيره شاذة — يعتمد على الكثرة والذوبوع ، فيخرجها بذلك من دائرة الشاذ إلى الصحة والقياس .

ثانياً : تفسير قراءة الكافة بقراءة شاذة ، ويحتج بهذه لتلك مفسراً أو معرباً

وتجلى هذه الظاهرة فيما يأتي من الأحوال :

١ — تقويته وجهاً لإعرابياً في قراءة صحيحة بما ورد في قراءة شاذة ، قال

ومن ذلك قراءة ابن محيصة ، وبلال بن أبي بردة ، ويعقوب : أن الحمد لله : قال أبو الفتح : هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة أن الحمد لله على أن مخففة من أن بمنزلة قول الأعشى :

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) الحروف أ و ب و ج و د فيما يأتي تشير إلى الأسس السابقة على الترتيب | |
| (٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ | (٣) المحتسب ١/٢٤٢ — ٢٤٣ |
| (٤) ١/٣٨٠ | (٥) ١/٢٢٣ |
| (٦) ١/٢٣٠ | (٧) ١/٢٣٠ |
| (٨) ١/١١٣ | |

في فتية كسيوف الهند قد علوا أن هالك كل من يحني وينتعل
أى أنه هالك ، فكأنه على هذا ، وآخر دعواهم أنه الحمد لله (١) .
٢ — استثناسه لمعنى تحتمله قراءة الكافة بما ورد في قراءة شاذة :

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن : قد أجيبت دعواتكم . قال أبو الفتح هذه
جمع دعوة ، وهذه القراءة تعلم أن قراءة الجماعة : قد أجيبت دعوتكم ، يراد فيها بالواحد
معنى الكثرة ، وساغ ذلك لأن المصدر جنس ... والأجناس يقع قليلها موقع كثيرها ،
وكثيرها موقع قليلها (٢) .

٣ — تقريره أن القراءة الشاذة يؤول معناها إلى قراءة الجماعة :

كما جاء في احتجاجه لقراءة ابن مسعود : « إني أراني أعصر عبدا » قال أبو الفتح :
هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة : « إني أراني أعصر خمرأ ، وذلك أن المعصور
العنب فسماه خمرأ ؛ لما يصير إليه من بعد حكاية لحاله المستأنفة كقول الآخر :
إذا مات ميت من تميم فسرك أن يعيش ، فجئ بزاد
أراد إذا مات حي ، فصار ميتاً كان كذا أو فليكن كذا ، وعليه قول الفرزدق :
قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله (٣)

٤ — استدلاله على إعراب في قراءة الجماعة بقراءة شاذة :

كاحتجاجه لقراءة قتادة : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير ، مشددة . قال :
في هذه القراءة دلالة على أن من قرأ من السبعة قتل أو قاتل معه ربيون ، فإن
(ربيون) مرفوع في قرأته بقتل أو قاتل ، ولبس مرفوعاً بالابتداء ، ولا بالظرف
الذى هو معه كقوله مررت برجل يقرأ عليه سلاح (٤)
ثالثاً : مهاجته القراءة الشاذة وتنكره لها ، وتعبه من القراءة بها ، ويتجلى هذا

المسلك في الأحوال الآتية :

١ — قراءة الكافة أقوى معنى من قراءة شاذة : وذلك عندما احتج لقراءة
ابن مسعود « وكان عبد الله وجهاً » ، قال : قراءة الكافة أقوى معنى من هذه القراءة ،
وذلك أن هذه إنما يفهم منها أنه عبد الله ، ولا يفهم منها وجاهته عند من هي ؟ عند
الله أم عند الناس ؟ وأما قراءة الجماعة فانها تفيد وجاهته عند الله ، وهذا أشرف
من القول الأول ؛ لاسناد وجاهته إلى الله تعالى ، وحسبه هذا شرفاً (٥) . وتراه هنا
يفضل القراءة السبعية ، ولكنه معترف بالشاذة ، ومجومه عليها يكاد يكون هجومياً

٤٢٧/١ (٣)

٣٩٤/١ (٢)

١/٣٨٣ (١)

٣٥٤/١ وانظر ٢٣٢/٢٠ المحتسب : (٥)

/١ (٤)

ضنياً^(١). وانظر كلامه في الاحتجاج لقراءة: لا يقضى عليهم فيموتون، وتقريره أن قراءة العامة أوضح وأشرح وتعليله ذلك^(٢).

٢ — القراءة الشاذة لغة مرذولة: قرر ذلك عند احتجاجه لقراءة ابن محيصن ثم أطره بادغام الضاد في الطاء، قال أبو الفتح: « هذه لغة مرذولة أعنى لإدغام الضاد في الطاء؛ وذلك لما فيها من الامتداد والفتو، فانها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي: الشين، والضاد، والراء، والفاء، والميم، ويجمعها في اللفظ قولهم: ضم شفر، وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك، وجمعها في قولهم: مشفر، قال: لأنه قد حكي ادغام الضاد في الطاء في قولهم: في اضطجع اطجع وأنشدوا قوله: يا رب أباز من العفر صدع تقبض الظل إليه، واجتمع
لما رأى أن لادعه، ولا شبع مال إلى أرطاة حقف واطجع
ويروى واضطجع، وهو الأكثر والأقيس، ويروى أيضاً فالطجع تبدل أيضاً اللام من الضاد.

٣ — القراءة الشاذة لا تعرف في اللغة: ومن ذلك ابن شعيب قال: سمعت يحيى ابن الحارث يقرأ: ولنظر كيف تعملون، نون واحدة قال: فقلت له: ما سمعت أحداً يقرأها قال: هكذا رأيتها في المصحف الامام مصحف عثمان. أيوب عن يحيى عن ابن عامر: ولنظر، بنون واحدة مثله. قال أبو الفتح: ظاهر هذا أنه أدغم نون نظر في الظاء، وهذا لا يعرف في اللغة، ويشبه أن تكون مخفاة، فظنها القراء مدغمة على عاداتهم في تحصيل كثير من الاخفاء إلى أن يظنوه مدغماً وذلك أن النون لا تدغم إلا في ستة أحرف؛ يجمعها قولك: يرملون^(٣).

٤ — القراءة الشاذة ضعيفة جداً: قرر ذلك في قراءة أبي جعفر: للدلائكة^٤ سبحوا. قال أبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جداً؛ وذلك أن الملائكة في موضع جر والتاء إذا مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من اسجدوا لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً، وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح نحو قوله عز وجل: وقالت ادخلوا وأخرج.. فضم لالتقاء الساكنين لينخرج من ضمة إلى ضمة.. فأما ما قبل همزته هذه متحركة، ولا سيما حركة إعراب، فلا وجه لأن تحذف حركته، ويحرك بالضم، ألا تراك لا تقول قل للرجل ادخل، ولا قل للمرأة ادخلي، لأن حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الاتباع إلا على لغية ضعيفة،

(١) ومثل ذلك قراءة ومكرا سبئاً في سبأ ٢٥٣/٢ (٢) المهتسب ٢٥٢/٢ (٣) ٢٨٤/١

وهي قراءة بعض البادية المحذرة بكسر الدال ، ونحو منه ما حكاه لى أبو علي أن أبا عبيدة حكاه من قول بعضهم: دعه في حرِّه ثم خذف كسرة راه حر، وأتى عليها ضمة همزة أمه، وهذا عندنا على شذوذه أعذر من قوله للبلاغة السجودا ... ثم دلل على ذلك الحكم^(١)

* * *

وعلى هذا النحو يقف ابن جنى من الشواذ ، يحكم حكماً عادلاً غير متحيز إلى فئة ، ويوفى بذلك ما ذكره في المقدمة بما وعد به ، ونوه عنه ، غير أنه بعد ذلك حسن الظن بالشاذ لفة ؛ ثقة بن رواه ، وأسوق للتدليل على نظرتك تلك مثالين يختصران هذه للزعة ، ويفنيان عن التفصيل :

(١) ومن ذلك قراءة أبي عمرو في رواية هارون بن حاتم عن حسين عنه (بقتة) قال أبو الفتح: فلعله مثال لم يأت في المصادر ، ولا في الصفات أيضاً ، وإنما هو مختص بالاسم منه الشربة اسم موضع: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن ، عن أبي عباس أحمد ابن يحيى يقول عبد الله بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان في خبر له معه:

ارحم أصيبيتي الذين كأنهم حجلتي تدرج بالشربة وقع

ومنه الجربة الجماعة ، واستشهد لذلك .

وجاء بلاتاء في الاسم أيضاً وهو معد ، وهي ، وهو الصبي الصغير . ثم يقول هذه العبارة التي بها يقرر نزعتك من حيث حسن الظن بالمرؤفة ثقة بن رواه : « ولا بد من حسن الظن بأبي عمرو ، ولا سيما وهو القرآن ، وما أبعدته عن الزيغ والبهتان^(٢) . وكذلك أحسن الظن بابن عباس في قراءته ، وأيقن أنه الفراق^(٣) .

(ب) روى الأعمش قال : سمعت أنسا يقرأ : لولوا إليه وهم يجمزون . قيل له وما يجمزون؟ إنما هي يجمحون ! قال : يجمحون ، ويجمزون ، ويشدون واحد . قال أبو الفتح: ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرءون الحرف مكان نظيره من غير أن تتقدم للقراءة بذلك ، لكن لموافق صاحبه في المعنى ، وهذا موضع يجد الطاعن به إذا كان هكذا على القراءة مطعنا فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولو كانت عنه لماساغ إبدال لفظ مكان لفظ: إذ لم يثبت التعبير في ذلك عنه ، ولما أنكر أيضاً عليه يجمزون . إلا أن حسن الظن بأنس يدعو إلى اعتقاد تقدم للقراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي يجمحون ، يجمزون ، يشدون ، فيقول : اقرأ بأبيها شئت ، فجميعها قراءة مسموعة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لقوله عليه

السلام : . نزل القرآن بسبعة أحرف كلها شاف كاف ، ، فان قيل : لو كانت هذه الأحرف مقروءاً بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل إلينا ، قيل أولاً يكفيك أنس موصلاً إلينا؟ فان قيل أن أنساً لم يحكمها قراءة ، وإنما جمع بينها في المعنى ، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة .

قيل : قد سبق من ذكر حسن الظن به ما هو جواب عن هذا

وبعد أن ساق نحواً من ذلك في كلام العرب شعرائهم ومنشديهم ، قال : « وهذا لعمرى سائق ؛ لأنه شعر ، وتحريفه جائز ؛ لأنه ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً » (١) . أه .
أرأيت كيف بلغ به حسن الظن بالرواة حتى أنه لم يجد جواباً مقنعاً — وقد قلب الأمور على أوجها المختلفة — إلا أن يقول : بحسن الظن بأنس ؟!

ثم أرأيت كيف لا يسلم بهذا التحريف في القرآن محسناً الظن ، ولا يسلم باختلاف الرواية في الشعر ، وتحريف الكلم فيه عن مواضعه ، لأنه ليس دنياً ولا عملاً مسنوناً ؟! وبعد فهذا نحن أولاء نرى ابن جنى يتلصص الأسباب ، ويسلك سبيل الدفاع عن القراءات ، على حين رأينا من قبل أباعلى وقد هاجم حمزة في جره الأرحام من قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تسامون به والأرحام ، وحكم بأن هذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال ، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن » (٢) ، وبمثل ذلك هجم قراءة لابن عامر ، ووصفها بالقبح ، والقلة في الاستعمال ، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى (٣) .
وموقف أبي على يتفق مع خطته في تحكيم القياس والنظر ، والبعد عن التعليل بالآثر ، أما ابن جنى فإن موقفه يتفق مع خطته التي أعلنها في صدر كتابه « المحتسب » من الاعتداد بما سموه شاذاً ، لأنه محفوف بالرواية من أمامه وورائه ، ومن هنا كان ابن جنى أرحب صدرأ ، وأقرب إلى مذاهب القراء رحماً ، إذ كان بموقفه هذا يقترب من أهل الأثر ، حيث يحسن الظن بالرواة من القراء على النحو الذي عرضته منذ قليل (انظر حسن ظنه بابن عباس في قراءته « وأيقن أنه الفراق » (٤) ، وحسن ظنه بأنس في قراءته ، ولولا إليه وهم يجمزون (٥) ، ويوثق ما رووه بما يعرفه من أوجه القياس ، انظر المحتسب في توثيق ابن مجاهد ، وأبي بكر محمد بن مقسم ، واعتداده بما رواه ، ثم تعليل ذلك بالقياس (٦) . وكذلك فعل في الاحتجاج لقراءة حمزة « واتقوا الله الذي تسامون به والأرحام ، وهي مردودة عند جمهرة البصريين » (٧) .

(١) ٣٧٠/١ (٢) الحجة ٢٢٩/٣ (٣) الحجة ١٠٩/٤ (٤) ٤١١/٢
(٥) ٢٧٠/١ (٦) ٢٧٩/١ (٧) راجع كتاب الحصاص ٢٩٤/١

مدى تأثر ابن جنى بأبي علي في المحتسب

وابن جنى أمين جداً فيما ينقله عن أبي علي ، تراه يدل على القدر الذي استعان به فيه ، وينبه عليه ، ثم يزيد هو من عنده معقبا ، أو معلقا ، أو خارجا ، فالمسائل والأصول لأبي علي فيها النصيب الوفور ، ولكن ابن جنى يضعها في بوتقة من فكره وتعليقه ، فيخرجها بعد ذلك أوضح أسلوباً ، وأسد نظراً ، وأشد تحقيقاً ، وأوثق صلة بروح العربية وخصائصها .

تراه مثلاً يقول : « وحدثنى أبو علي بكذا وكذا ، ثم ينبه علي ما انتهى إليه حديث الشيخ بقوله مثلاً : « هذا آخر الحكاية عن أبي علي — ويزيد علي ذلك ما قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ^(١) . أو يقول مثلاً : « وروينا عن أبي زيد فيما أخذناه عن أبي علي ، وعن غير أبي زيد كذا وكذا ^(٢) . . . »

واقراً قوله : « ورأيت أبا علي (رحمه الله) يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي في قوله :

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

لأنه قال : « عدى رضيت بعلي كما تعدى تقيضتها وهي سنخطت به ، وكان قياسه رضيت عني ، وإذا جاز أن يجرى الشيء مجرى تقيضه فأجراؤه مجرى نظيره أسوخ وإلى هنا ينتهي الأصل الذي قرره أبو علي ، ثم يزيد ابن جنى عليه بقوله : « وفيه غيره وذلك إذا رضى عنه فقد أقبل عليه ، فكأنه قال : « إذا أقبلت علي بنو قشير ، وهو غور من أنحاء العربية طريف ، ولطيف ، ومصون ، وبطين ^(٣) .

ويعتمد في التدليل أحياناً علي ما أنشده أبو علي : قال في الاحتجاج لقراءة الأعمش علي الجودي « تخفيف يامى الإضافة قليل إلا في الشعر . أنشدنا أبو علي :

بكي بعينك واكف القطر ابن الحواري العالی الذكر ^(٤)

يريد الحواري ، وروى عنهم لا أكلك حيرى الدهر يريد حيرى الدهر ، وهنا في النثر ، فعليه قراءة الأعمش جودي خفيفاً ^(٥) .

(١) انظر المحتسب ٥٣/١ (٢) أنظر ٥٩/١ ، ٦٠ ، (٣) ٣٢/١

(٤) كل مبالغ في نصرة آخر (حواري) وخص بعضهم به أنصار الأنبياء (عليهم السلام) وقوله وأنشده ابن دريد . إنما أراد ابن الحواري يعني بالحواري الزبير ، وعنى بابنه عبد الله ابن الزبير . . .

(٥) ٤٠٠/١

وتراه يستغل الأصل الذى قاله أبو على وسمعه منه ، وهو أن العرب إذا نطقت بالاجمعي خطت فيه ، كما يستغل ما أنشده أبو على لرؤبة وغيره ثم يرقى من ذلك إلى التدليل على قراءة إسرائيل بلا همز (١) .

وإنك لتراه يعتمد عليه فى التفسير اللغوى ؛ أورد فى تفسير قول الله تعالى : « سول لهم وأملى لهم » (٢) ، ... معنى سول لهم أى دلاهم ، وهو من السول وهو استرخاء البطن ، رجل أسول وامرأة سولاء إذا كان مسترخى البطن قال الهذلى :

كألسحل البيض جلا لونها سح نجاء الخمل الأسول

أى السحاب المسترخى الأسافل لثقله ، وغزر مائه فهذا إذا كقول الله سبحانه : فدلاهما بفرور وهذا اشتقاق حسن أخذناه عن أبي على (٣) .

وتتردد مظاهر هذا التأثير فى مواضع مختلفة من المحتسب ، ولكنى أعطيت الأمثلة الدالة من غير حصر أو استقصاء لأن ذلك أمر يطول .

وابن جنى فى مبتكراته التى يستغل فيها عن أستاذه — وما أكثرها كذلك — يشير إليها كأن يقول مثلا : « ينبغى أن يعلم ما أذكره » (٤) ، أو : « وفيه عندى شيء لم يذكره أبو على ولا غيره من أصحابنا » (٥) ، أو أن يقول : « ووجه ذلك » (٦) عندى ما أذكره (٧) ، أو نحو ذلك مما يرد فى كثير من صفحات الكتاب (٨) .

استغلال ابن جنى للعروض والقافية فى الاحتجاج

وابن جنى يستغل — كأستاذه — « العروض ، فى التدليل والاحتجاج ، ولكنك تلحظ القلة فى ذلك ، هذا معدماتة أسلوب التليذ ، وبعده عن الجفوة والجفاف والتكلف والإفحام الذى تراه عند الشيوخ .

قال فى قراءة ابن عباس : « فأمته قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار » (٩) ، يحتفل أمرين : أحدهما وهو الظاهر أن يكون الفاعل فى قال ضمير إبراهيم عليه السلام أى قال إبراهيم : ومن كفر فأمته يارب ثم أضطره يارب . وحسن على هذا إعادة

(١) ٧١/١ (٢) سورة محمد آية ٢٥ (٣) المحتسب ٣٣٧/٢ (٤) ٤٩/١

(٥) ٤١١/٢ — ٤١٢ (٦) يشير إلى قراءة يحسره على المباد بالهاء ساكنة .

(٧) ٢٦١/٢ (٨) اضطر مثلا ٣٩/١ و١٩٦/١ و٤٥/٢

(٩) س (١) آية ١٢٦ .

قال لامرين . أحدهما : طول الكلام ، فلما تباعد آخره من أوله أعيدت ، قال : لبعدها كما قد يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره . والآخر أنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين ، فكان ذلك أخذاً في كلام آخر ، فاستؤنف معه لفظ القول فجرى ذلك مجرى استئناف التصريح في القصيدة إذا خرج من معنى إلى معنى ، ولهذا ما يقول الشاعر في نحو ذلك :

ألا ناد في آثارهن الغوانيا سقين سما ما لهن وما ليا ؟

كان التصريح مع الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز ، فهذا أحد الوجهين (١) . . .

وجاء في الاحتجاج لقراءة : « يحسره على العباد ، ... مبيئاً أثر إطالة الصوت ، وعلى هذا قال سيويوه : إنهم يقولون سير عليه ليل يريدون ليل طويل ، وهذا إنما يفهم عنه بتطويل الياء فيقولون سير عليه ليل فقامت المدة مقام الصفة ، ومن ذلك ما استعمله العرب من إشباع مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج عناية بالقافية ؛ إذ كانت للشعر نظاماً ، وللبيت اختتاماً (٢) . . . » وانظر مهاجمة الفراء في تأويله قراءة أهل المدينة يخطف بسكون الخاء والطاء والتشديد فيجمع بين ساكنين (٣) .

المنطق وظهوره عند ابن جنى في الاحتجاج

وهو ذو منطق خفيف يأتي به في التذليل سمحاً سهلاً ، لا يعمن فيه كما يعمن أستاذه أبو علي فيه ، ومن هنا لم يشق ابن جنى على القارئ ، ولم يعنف به كما لا يطيل ، فذكر الأوجه ، والتفريعات ، والاحتمالات قليلاً ما يرد عند ابن جنى (٤) . وإنك لتراه يأتي بالمقدمات التي تسلم إلى النتيجة في غير عسر ، كما تراه يقايس ، أو يقول بالأولى والأجدر في هوادة ولين ، وسأضرب أمثلة ثلاثة أعقب ، كل مثال بالإشارة إلى ما يدل على اعتماده على المنطق ، وإلى ما فيه من مسأله في الاحتجاج والتذليل .

المثال الأول :

أنكر ابن مجاهد رواية الحلواني عن قالون عن شيبه ، أو آوى إلى ركن شديد (٥) . فدل ابن جنى على أن ما أنكره ابن مجاهد سائق جائز ؛ وهو أن تعطف آوى على قوة

٤٢/١ (٣)

٢٦١/٢ (٢)

١٠٨/١ (١)

(٥) سورة هود آ ٨٨

(٤) انظر مثلاً ١٠٨/١

فكأنه قال : لو أن لي بكم قوة ، أو أويأ إلى ركن شديد ، فإذا صرت إلى اعتقاد المصدر فقد وجب اضمار أن ونصب الفعل بها ، ومثله قول ميسون بنت بحدل الكلبية :

لبس عباءة وتقرعيني أحب إلى من لبس الشفوف
فكأنها قالت : لبس عباءة وأن تقرعيني ، أي لأن ألبس عباءة وتقرعيني أحب إلى من كذا ، وعليه بيت الكتاب أيضاً :

فلولا رجال من رزام أعزة وآل سبيع أو أسوءك علقما
أي أو أن أسوءك فكأنه قال : أو مسامتي إياك . فكذلك هذه القراءة لو أن لي بكم قوة أو أويأ أي أو أن أوي إلى ركن شديد وهذا واضح (١) .

فانظر إلى ذلك القياس الذي عقده بين هذه الآية وقول ميسون : لبس عباءة . وبيت الكتاب : فلولا رجال . . . ثم انظر إلى ما يشبه النتيجة لهذا القياس في قوله : فكذلك هذه القراءة . . . ثم انظر بعد ذلك إلى قوله : « وهذا واضح ، وهو قول يشبه العبارة التي يسجلها المشتغلون بالنظريات الهندسية في أعقاب البراهين .
المثال الثاني :

دلل على أن ، أيبك ، في قوله تعالى : « وإله أيبك » (٢) جمع لا مفرد بما يأتي — وفيه يرد على ابن مجاهد في أن أيبك مفرد هنا — قال أبو الفتح : « قول ابن مجاهد ، بالتوحيد لا وجه له ، وذلك أن أكثر القراءة ، وإله آبائك جمعاً كما ترى ، فإذا كان أيبك واحداً كان مخالفاً لقراءة الجماعة فنحتاج حينئذ إلى أن يكون أيبك هنا واحداً في معنى الجماعة ، فإذا أمكن أن يكون جمعاً كان كقراءة الجماعة ، ولم يحتج فيه إلى التأول لوقوع الواحد موقع الجماعة ، وطريق ذلك أن يكون أيبك جمع « أب ، على الصحة على قولك للجماعة هؤلاء أبون أحرار ، أي آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك منهم ، ومن أبيات الكتاب :

فلا تبين أصواتنا بكين ، وفديننا بالأينا

وقال أبو طالب :

ألم تر أني بعد همهم لفرقة حرمن أيبين كرام ؟

وقال الآخر : « فهو يفتدى بالأبين والحال . . . »

وقد أشبعنا هذا الموضوع في شرح ديوان المتنبى . ويؤكد أن المراد به الجماعة

ما جاء بعده من قوله : « إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، فأبدل الجماعة من أريك ، فهو جماعة لا محالة ، لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل . فيصير قوله تعالى « وإله أريك ، كقوله « وإله ذريك ، هذا هو الوجه ، وعليه فيمكن العمل ^(١) .

وفي هذا المثال نرى أكثر من دليل على استعانته بالمنطق في التدليل :

(أ) في قوله : « وذلك أن أكثر القراءة وإله آبائك جمعاً كما ترى . . . الخ تعليل لقوله « لا وجه له » .

(ب) وفي استشهاده بأبيات الكتاب، وأبي طالب وغيرهما استعمال للدليل المؤسس.

(ج) وفي قوله : « ويؤكد أن المراد به الجماعة اتباع الدليل المؤسس

بالدليل المؤكد .

(د) وفي قوله : فيصير قوله تعالى وإله أريك . . . قياس وتنظير .

(هـ) وقوله في خاتمة هذا الدليل : « هذا هو الوجه ، وعليه فيمكن العمل ،

— كالنتيجة التي يسلم إليها البرهان .

المثال الثالث : خطأ ابن جنى ابن مجاهد في قوله : آيدتك على فاعلتك من قوله

تعالى : « إذ آيدتك بروح القدس ، ^(٢) قال أبو الفتح : « هذا الذي توهمه ابن مجاهد أن آيدتك على فاعلتك لا وجه له . وإنما آيدتك أفعلتك من الأيد وهو القوة . وقال أبو علي : « إنما أكثر فيه آيدتك ففعلتك ؛ لما يعرض في آيدتك من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في آيدتك ، وأنشدنا قوله :

ينبي تجاليدى واقنادها ثاو كراس القدن المؤيد

فهذا من آيدته أى قوبته لأنه مفعول ككرم . . . ولو كان آيدتك كما ظن ابن مجاهد فاعلتك لكان اسم المفعول منه مؤايد كقاتل ومضارب ، ولكن قراءة من قرأ آينها فاعلنا ، ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر ، لأنه إنما يقال آيتت زيدا بكذا ، وآيتته كقولك أعطيته ، فكذلك لو كان آيتنا أفعلنا لكان آينها كقولك أعطيناها ، وأنت لا تقول آيتته بكذا كما لا تقول أعطيته بكذا . فقوله في تلك القراءة آينها كقولك حاضرنا بها ، وشاهدنا بها وهذا واضح .

ومعنى قول أبي علي : لو جاء آيدتك على ما يجب في مثله من إعلال عين أفعلت إذا كانت حرف علة كآقت زيدا ، وأبعته أى عرضته للبيع لتتابع فيه اعلالان ، لأن أصل آيدت آيدت ؛ كما أن أصل أمر أمر ، فانقلبت الهمزة الثانية ألفاً لاجتماع

المهزتين في كلمة واحدة، والأولى منهما مفتوحة، والثانية ساكنة فهي في الأسماء نحو آدم وآدار، فكان يجب أيضاً أن تلتقي حركة العين على الفاء وتحذف العين، فكان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واواً؛ لأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من بدلهما لوقوع الهزمة الأولى قبلها كما قلت في تكسير آدم أو ادم فكان يلزم على هذا أودته؛ كأقته، وأدرته فتحذف العين كما ترى، وتقلب الفاء التي هي في الأصل همزة واواً فتعقل الفاء والعين جميعاً، وإذا أدى القياس إلى هذا رفض وكثر فيه فقلت أيدت؛ ليؤمن ذلك الاعتلالان، فلما استعمل شيء منه جاء قليلاً شاذاً أعنى أيدت. وإذا كانوا قد أخرجوا عين أفعلت وهي حرف علة على الصحة نحو قوله: صددت فأطولت الصدود، وقولهم: «أغيلت المرأة، وأغيمت السماء، وأخوص الرمث، وأعوز القوم، وأليث الشجر» — ولو خرج على منهج إعلال مثله لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج أيدت على الصحة لما كان يعقب اعلال عينه من اجتماع اعلالها مع اعلال الفاء قبلها أولى وأجدر. فقد ثبت أن قراءة مجاهد إذ أيدتك إنما هو أفعلتك لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد^(١).

وفي هذا المثال غير دليل على تأثير ابن جني بأبي علي في التدليل:

فهو — أولاً — يستشهد به في التدليل:

(أ) فيورد تعليقه الذي يمت إلى الدراية والصنعة وذلك قوله: «إنما كثر فيه أيدتك،

(ب) ثم ينشد قوله: ينبي تجاليدى وأفتادها...

وذلك أشبه بالدليل الثقلي.

وهو — ثانياً — يتبع هذا الاستشهاد الثقلي بشرح كلام أبي علي وإيضاحه

وهو — ثالثاً — يستعمل القياس المضمّر في قوله: ولو كان أيدتك كما ظن

ابن مجاهد... الخ

ثم هو — رابعاً — ينبه إلى قياس خاطيء ربما قاس ابن مجاهد عليه في قوله:

«ولكن قراءة من قرأ آتيناها فاعلنا...»

وهو — خامساً — يعود إلى شرح قول أبي علي مفسراً مبهمات، عارضاً

فكرته في أسلوب أوضح من أسلوبه، ضاربا الأمثلة المقربة^(٢)

وهو — سادساً — يقول بالاولى والأجدر في خروج آيدت على الصحة حيث قد أخرجوا عين أفعلت ، وهي حرف علة على الصحة .
وأخيراً — سابغاً — هذه العبارة التي ذيل بها رده على ابن مجاهد ، والتي تشبه النتيجة التي يصل إليها المبرهن بعد المقدمات والحجيات وهي قوله : « فقد ثبت ، .
ومن آثار أبي على الظاهرة عند ابن جنى :

الاستشهاد بقراءة على قراءة : كما في الاحتجاج ، لقراءة مجاهد ، وسعيد بن جبير ، إن هذا لساحر مبين ، ^(١) قال أبو الفتح : « هذا على قراءة الجماعة لسحر مبين إشارة إلى الفعل الواقع هناك من قلب العصا حية ونحوه ، وهذا على من قرأ لساحر إشارة إلى موسى (عليه السلام) . كما أن هذا من قول الله تعالى : « هذا يوم لا ينطقون ، إشارة إلى اليوم ، وهذا على قراءة من قرأ « هذا يوم لا ينطقون ، بالنصب إشارة إلى الفعل الواقع في ذلك اليوم ^(٢) وكذلك فعل في الاحتجاج لقراءة « وعلم آدم الاسماء ، ^(٣) .

البلاغة وما أثلها في المحتسب : رأينا أبا على يلم ببعض مسائل البلاغة ، وهنا نرى ابن جنى يلم ببعض المسائل الأخرى على نحو آخر يختلف عن أبي على ، ذلك لأن ابن جنى قد اقتدى في تناوله هذه المسائل بالحس اللغوي ، والنزوع النفسى ، والطبع الانسانى ، في أسلوب نقى من شوائب التعقيد . وسأعرض أمثلة لذلك كله ، وأعقب عليها مثالا مالا بما يبدو من ملاحظات :

(١) قراءة ابن مسعود : « إنى أرانى أعصر عنباً ، ^(٤) قال أبو الفتح : « هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة . « إنى أرانى أعصر حمراً ، ذلك أن المعصور حينئذ هو العنب فسماه حمراً لما يصير إليه من بعد حكايته لحاله المستأنفة كقول الآخر :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجىء بزاد
أراد إذا مات حتى فصار ميتاً كان كذا أو فليكن كذا ، وعليه قول الفرزدق :
« قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله ^(٥) .

وغنى عن التعليق هذا المثال ، وما يشير إليه من مسائل المعانى ، فهنا مسألة من مسائل المجاز باعتبار ما يصير إليه أو ما سيكون .

(١) سورة يونس آ ٧٦١ (٢) ٣٩٤/١ (٣) أنظر ٤٩/١ — ٥٣ وأنظر احتجاجه بقراءة يتوتون ١٣٦/١ (٤) سورة يوسف آ ٣٦ (٥) المحتسب ٤٢٧/١

(ب) ومن القراءات التي احتج لها قراءة يزيد البربري: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» قال أبو الفتح: «ينبغي أن يعلم ما أذكره، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة بعد الفاعل كضرب زيد عمراً، وإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فقالوا: «ضرب عمرا زيد»، فاذا ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا: «عمرا ضرب زيد»، فان تظاهرت العناية به عقوده على أنه رب الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فقالوا: عمرو ضربه زيد «لجأوا به بحيثاً يتأني كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد «لخذفوا ضميره، ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة، الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم أنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمراً فقالوا «ضرب عمر»، فاطرح ذكر الفاعل البتة، نعم. وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل ألبتة، وهو قولهم أولعت بالشئ ولا يقول «أولعتي به كذا»، وقالوا: «تُدَلِّجُ فؤاد الرجل»، ولم يقولوا «تُدَلِّجُه كذا»، وامتنعوا له ولم يقولوا: «امتعمه كذا»، ولهذا نظائر فرض الفاعل هنا البتة، واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه وأظنني سمعت أو لعني به كذا، وإن كان كذلك فما أقله أيضاً وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة، وإنما كانت كذلك لأنها تخلو الجملة، وتجعلها تابعة المعنى لها، ألا ترى أنك إذا قلت: «رغبت في زيد»، أفيد منه إيتارك له، «وعنايتك به»، وإذا قلت: «رغبت عن زيد»، أفيد منه اطراحك له، وإعراضك عنه، ورغبت في الموضوعين بلفظ واحد، والمعنى ماتراه من استحالة معنى رغبت إلى معنى زهدت.

وهذا الذي دعاهم إلى تقديم الفضلات في نحو قول الله سبحانه «ولم يكن له كفواً أحد»، وإنما موضع اللام التأخير، ولذلك سيبويه (كذا) إن الجفافة من لا يعلم كيف هي في المصحف يقرؤها «ولم يكن كفواً له أحد».

فان قلت: «فقد قالوا زيدا ضربته فنصبوه»، وإن كانوا قد أعادوا عليه ضميراً يشغل الفعل بعده حتى أضمرُوا له فعلاً ينصبه، ومع هذا فالرفع أقوى وأعرب، وهذا ضد ما ذكرته من جعلهم إياه رب الجملة ومبتدأها في قولهم: «زيد ضربته».

قيل: هذا وإن كان على ما ذكرته فإن فيه غرضاً من موضع آخر، وذلك أنه إذا نصب على ما ذكرت فإنه لا يعدم دليل العناية به وهو تقديمه في اللفظ منصوباً، وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدّمة؛ لتدل على قوة العناية به، لاسيما والفعل الناصب له لا يظهر أبداً مع تفسيره فصار كأن هذا الفعل الظاهر هو الذي نصبه وكذلك يقول الكوفيون أيضاً، فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم الفضلة حتى ألفوا حديث الفاعل معها، وبنوا الفعل لمفعوله فقال: «ضرب زيد، حسن قوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها، لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلّمها وأنس أيضاً عن المخاطبين بأن الله سبحانه هو الذي علمه إياها بقراءة من قرأه وعلم آدم الأسماء كلها، ونحوه قوله تعالى: «إن الإنسان خلق هلوعاً وقوله تعالى: «وخلق الإنسان عجولاً، هذا مع قوله: «خلق الإنسان من علق، وقال سبحانه: «خلق الإنسان علمه البيان، وقال تبارك اسمه: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار، فقد علم أن الغرض بذلك في جميعه أن الإنسان مخلوق ومضعوف، وكذلك قولهم: ضرب زيد، إنما الغرض منه أن يعلم أنه قد ضرب، وليس الغرض أن يعلم من الذي ضربه، فإن أريد ذلك ولم يدل عليه فلا بد أن يذكر الفاعل فيقال: «ضرب فلان زيدا، فإن لم يفعل كلف علم الغيب (١)»، ١١

وقد قصدت قصداً إلى نقل ذلك النص بتمامه — كما قصدت إلى نقل نصوص أخرى في هذا الفصل —؛ ليتضح أسلوب ابن جني في تناوله المسائل العلمية، ثم لا يخفى في هذا النص جزء من جزء، فتفهمه والتعليق عليه يدعوان إلى قراءته جملة واحدة دون بتر أو اكتفاء، ويبدو من هذا النص:

أولاً — ما أشرت إليه منذ حين إلى أن ابن جني إذا ما أحس أنه سيتناول فكرة مبتكرة يستقل بها عن شيوخه: نه إليها بمثل قوله هنا: «ينبغي أن يعلم ما أذكره، أو نحو ذلك».

ثانياً — هذا الأسلوب القوي الأسرفي مسألة من مسائل النحو، ويمكن أن ترجع إلى قوله مثلاً: «فإن ظاهرت العناية به عقدوة على أنه رب الجملة...» أو قوله: «ولم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به، ثم هذه المقابلة في تفسير التعبيرين: «رغبت في زيد، و«رغبت عنه، فالأول» يفيد

إيثارك له ، وعنايتك به ، والآخريفيد اطراحك له ، وإعراضك عنه الخ . . .
ثالثاً — هذا المنطق الخفيف الذى أذابه التدليل السمع فى هوادهة ولين لا يرهق
القارى ، ولا يكبد ذهن السامع .

رابعاً — هذا المنهج التعليمى الذى يقدم النظائر المفهومة ليقرب بها ، ويقيس
عليها نظائر أخرى من أشباهها . ذلك قوله :

فاذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة .. حسن قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء » .

خامساً — ذلك التذوق اللغوى وفهم روح العربية وأسرارها .

سادساً — تحدّثه فى نظرية النظم التى وضع أساسها لعبد القاهر الجرجانى

من بعده .

سابعاً — أنى لا أجد فرقاً بين ما يقوله ابن جنى هنا وما يقرره المحدثون
من النقاد والباحثين فى علوم البلاغة والنقد من أن « الفكرة والصورة فى الأسلوب
كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تعدد ، وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت
فى الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت فى الفكرة تغيرت الصورة فقولك « أعنيك »
« غير قولك » ، إياك أعنى » وقولك « كل ذلك لم يكن غير قولك : « لم يكن كل ذلك ،
وقولك « ما شاعر إلا فلان غير قولك ، ما فلان إلا شاعر » فترتيب الالفاظ
فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن (١) » .

(ح) فى احتجاجه لقراءة « فبذلك فلتفرحوا » (٢) برهن على أن هذه القراءة
خارجة عن أصلها لاستغنائهم ب اضرب عن لتضرب ونحوه . . . ثم قال : « وكان
الذى حسن التاء هنا أنه أمرهم بالفرح فخطبوا بالتاء ؛ لأنها أذهب فى قوة الخطاب
فأعرفه . ولا تقل قياساً على ذلك فلتحزنوا ، لأن الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح
إلا أن تريد لإصغارهم وإزغامهم فتؤكد ذلك بالتاء (٣) .

أرأيت كيف لام بين التعبيرات المختلفة وطبيعة النفس الانسانية ؟ فالفرح
مقبول ، والحزن غير مقبول ، ومن هنا حسن فلتفرحوا ، ولم يحسن فلتحزنوا ،
مستغلاً فى ذلك الاصل النحوى : من أن التاء أذهب فى قوة الخطاب ؟

(١) دفاع عن البلاغة للزيات : ٦٠ (٢) سورة يونس آ ٨٠

(٣) المحتسب ١/٣٩٠

ثم ألا تراه قد نبه إلى خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى التهديد والارغام بما يبرر المخاطبة بالحزن بعد أن نهاك ، عنه ، وحذرك إياه !

ثم ألا تراه - بعد ذلك - كيف استغل الميول الانسانية في الاحتجاج لقراءة مروية ١٩ ثم اقرأ في نحو ذلك حديثه عن قوله تعالى : « نخرجكم طفلاً ، أى أطفالاً ، فبعد أن قرر أصلاً لغوياً هو أن وقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة » قال : ، وحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضاً وذلك أنه موضع إضعاف للعباد ، وإقلال لهم ، فكان لفظ الواحد لقلة أشبه بالموضع من لفظ الجماعة ، لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد فاعرف ذلك (١) .

وهكذا يمزج ابن جى في الاحتجاج بين الأصل اللغوى المقرر ، والادراك الفنى المحرر .

(د) ثم إليك هذا النص الذى أنقله - على طوله - لأن فيه امتاعاً ، وابتكاراً ، واستهداء بالحس النفسى ، واعتماداً على الذوق الأدبى ، واتكاه فى التعليل على طبيعة العربى فى التعبير ، وفيه إلى جانب ذلك دمانة ورقة واشباع (٢) !
قال فى الاحتجاج لقراءة يا حسرة على العباد ، ويا حسرة العباد :

أما يا حسرة على العباد بالهاء ساكنة ففيه النظر ، وذلك أن قوله على العباد متعلق بها أو صفة لها ، وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دون وجه ذلك عندى ما أذكره ، ذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمده ولا معترمة عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه ، وذلك كقوله « قلنا لها قنى لنا قالت قاف ، معناه وقفت ، فاقترت من جملة الكلمة على حرف منها تهاوناً بالحال ، وتثاقلاً عن الاجابة ، واعتماد المقال ، ويكنى فى ذلك قول الله سبحانه : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » قالوا فى تفسيره هو كهولك لا والله ، بلى والله ! فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه ، والاشباع له ، والمماثلة عليه من قول الهدلى :

فوالله لا أنسى قتيلاً رزيتك بجانب قوسى (٣) - ما مشيت على الأرض
أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة فى النطق هنا بها ، وتطيطك لاشباع معنى
القسم عليها ؟

(١) ٢٤٢/١ - ٢٤٣

(٢) هذه هى السبات الظاهرة فى ذلك النص وهناك سبات أخرى يشترك فيها مع نصوص تعدت عنها فى مناسبات مختلفة من هذا الفصل .
(٣) اسم موضع اظفر معجم البلدان لياقوت .

وكذلك أيضاً قد ترى إطالة الصوت بقوله من بعده :

بلى لأنها تعفو الكلوم وإنما توكل بالأدنى، وإن جل ما يمضى
أفلا تراه لما أ كذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه أطال الإقامة
على قوله بلى؛ رجوعاً إلى الحق عنده، وانتكائاً عما كان عقد عليه يمينه، فأين قوله هنا
« فوالله » وقوله « بلى » منهما في قوله : لا والله ، وبلى الله ؟ وعليه قوله تعالى :
« ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، أى وكدتموها وحققتموها ، وإذا أوأيت
هذا أدنى تأمل عرفت منه وبه ما نحن بسبيله ، وعلى سمته ، وعلى هذا قال سيبويه

لأنهم يقولون سير عليه ليل يريدون « ليل طويل » وهذا إنما يفهم عنهم بتطويل
الياء فيقولون : سير عليه ليل ، فقامت المدة مقام الصفة ، ومن ذلك ما تستعمله
العرب من اشباع مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج ، عنابة بالقافية ؛ إذ كانت
للشعر نظاماً ، والبيت اختتاماً ، أخبرنا أبو أحمد الطبراني عن شيخ له ذكره عن البحترى
قال : سمعت ابن الاعرابي يقول : استجيدوا القوافي ؛ فانها حوافر الشعر ، وقال له
الشجرى في بعض كلامه : « القافية رأس البيت » ، وهذا ليس نقضاً للأول ، وإنما
غرضه فيه أنها أشرف ما فيه ، كما أن حوافر الفرس هي أوثق ما فيه ، وبها نهوضه ،
وعليها اعتياده ، ولقد تغنى يوماً خفير لنا بشعر مؤسس نحو قوله : « ألا علائق قبل
يوم العواذل ، فلعهدي به وهو يمطل الألف حتى يخطو به فرسه الخطوة والعشرين .
ولولا ظاهر ما في القول لقلت الاكثر . فاذا تجاوز الألف أسرع عند الدخيل
فاختلس الذال والروى بعدها ، وكان أيضاً يمدّه بتقبل صدى صوته مع تماديه واغتراق
أقصى النفس فيه ما كان يعطيه إياه نقل الفرس به ، فان ذلك كان من الألف ويصنعها
ويزيل تحيرها والسادجية المملولة عنها . . . وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه
بما استطنأه لخدناه يدل على الأصوات تابعة للنعاني فتمت قويت قويت ، ومتى ضعفت
ضعفت . . . علمت أن قراءة من قرأ يا حسرة على العباد بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية
المعنى في النفس ، وذلك أنه موضع وعظ وتنبية ، وإيقاظ وتحذير ، فطال الوقوف
على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه ، الدال على أنه قد بهره ، وملك عليه
لفظه وخطره ، ثم قال من بعد على العباد عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول
دون صلة لما كان فيه ، ودالا للسامع على أنه إنما تجشم ذلك على حاجة الموصول
إلى صلته ، وضعف الاعراب وتحجره على جملة ؛ ليفيد السامع منه ذهاب الصورة

بالناطق ، ولا ينجف ذلك عليك على ما به من ظاهر اتقاض صنمته ، فان العرب
قد تحمل على الفاظها لمعانيها حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى (١)

وهو في مثل هذه الابتكارات يسمح لنفسه بأن يطيل ، ويستطرد من مثال
إلى مثال غير خارج عن الموضوع الذي يتحدث فيه ، ويحتج له .
(٥) ثم أقرأ حديثه عن «التضمين» بما يدل على تفهمه لروح العربية ، وغوصه
البعيد عن أسرارها ، قال في قراءة : « وما يُخَدِّعون إلا أنفسهم » (٢) بضم الياء
وفتح الدال : « هذا على قولك ، خدعت زيدا نفسه » ومعناه عن نفسه ، فان شئت
قلت على هذا حذف حرف الجر فوصل الفعل ، كقوله عز اسمه « واختار موسى قومه
سبعين رجلا ، أى من قومه وقوله : « أمرتك الخير ، أى بالخير » . وإن شئت
قلت : حمله على المعنى فأضمر له ما ينصبه ، وذلك ان قولك خدعت زيدا عن نفسه
يدخله معنى انتقصته نفسه ، وملكت عليه نفسه ، وهذا من أسد وأدمت مذاهب
العربية ، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه اليه ، ويصرفه
بحسب ما يؤثره عليه ، وجملته أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر فكثيراً
ما يجرى أحدهما بجرى صاحبه ، فيعدل في الاستعمال به اليه ، ويحتذى في تصرفه
حذو صاحبه ، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه ، ألا ترى إلى قول الله
(جل اسمه) « هل لك إلى أن تزكى ، (٣) ، وأنت تقول : هل لك في كذا ؟ لكنه
لما دخله معنى أجذبك إلى كذا وأدعوك اليه قال : هل لك أن تزكى ، وعليه
قول الفرزدق :

كيف ترائى قالباً بجنى قد قتل الله زيادا عنى

واستعمل عن ها هنا لما دخله من معنى قد صرفه الله عنى ؛ لأنه إذا قتله فقد
صرف عنه وعليه قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » (٤) ،
وأنت لا تقول رفثت الى المرأة ؛ وإنما رفثت بها ومعها ، ولما كان الرفث بمعنى
الافضاء ، عدى بالى كما يعدى أفضيت بالى ، نحو قولك أفضيت الى المرأة . وهو باب
واسع متقاد فكذلك قوله عز وجل : « وما يُخَدِّعون إلا أنفسهم ، جاء
على خدعته نفسه لما كان معناه معنى انتقصته نفسه (٥) .

(١) ٢٦١/٢

(٢) سورة البقرة آية ٩ (٣) سورة النازعات آية ١٨ (٤) سورة البقرة آية ١٨٧

(٥) ٣١/١

ويبدو في هذا النص أيضاً «المنطق الخفيف» الذي يستقرى الأمثلة، ويستعرض المقدمات؛ ليستنبط منها النتائج... في غير جفاف، ولا إرهاق، ولا تعمل.

(و) وهو في نص آخر يتحدث عن «التجريد» حديث الأديب العالم في تدين وخضوع، ويتناوله بروح الناقد الموازن المستعرض للنظائر من الشعر القديم، وشعر المولدين، في منطق لا يجفو عن القراء، ولا ينبو على الأسماع، ويخرج القراءة الشاذة تخريجاً متضمنة البلاغة في التعبير، ويرجحها بذلك على القراءة السبعية:

«ومن ذلك قراءة الحسن (رضى الله عنه): «اهدنا صراط المستقيم» قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون أراد - والله أعلم - التذلل لله سبحانه، وإظهار الطاعة له، أى قدر رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم «ولسنا نزيد المبالغة في قول من قرأ: الصراط المستقيم، أى الصراط الذى قد شاعت استقامته، وتعملت في ذلك حاله وطريقته، فإن قليل هذا منك لنا ذاك عندنا، وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به، وتنهى فيه صائرون. وزاد في حسن التفكير هنا ما دخله من المعنى، وذلك أن تقديره: «أدم هدايتك لنا»، فإني إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم مجرى حينئذ مجرى قولك: «لئن لقيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتلقين منه رجلاً متناهياً في الخير، ورسولاً جامعاً لكل الفضل»، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد كقول الأخطل:

بنزوة لص بعد ما مر مصعب بأشعث لا يفلى، ولا هو يقمل
ومصعب نفسه هو الأشعث، وعليه قول طرفة:

جازت القوم إلى أرحلنا آخر الليل يبعفور خدر

وهي نفسها عنده البعفور أنشدنا أبو علي:

أقامت بنو مروان ظلماً دماناً وفي الله إن لم يحكوا - حكم عدل

وهو سبحانه أعرف المعارف، وقد سماه الشاعر حكماً عدلاً، فأخرج اللفظ مخرج التنكير، فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف، وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير.

وإذا جاز أن يرضى الإنسان من مخلوق مثله بما رضى به الشاعر من محبوه بما دل عليه قوله: (أنشده ابن الأعرابي):

وإني لأرضى منك يا ليل بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلائله
بلا، وبألا أستطيع، وبالمنى وبألوعد حتى يسأم الوعد آمله
وبالنظرة العجلى، وبألحول ينقضى وأواخره لا نلتقى وأوائله

وأشدني بعض أصحابنا لبعض المولدين :

عدينا ، وأكذبينا ، وامطينا فقد أومت من سوء العقاب
فلسنا من وعيدك في ارتياب ولا من صدق وعيدك في اقتراب
ولكننا لشؤم الجسد منا نفر من العذاب إلى العذاب
وعليه قول الآخر :

عليني بموعد وامطلي ما حيت به
ودعيني أعيش منك بنجوى تطلبه

* * *

ونظائره كثيرة قديمة ومولدة — كان العبد البر، والزاهد المجتهد، أحرى أن يسأل خاتمه (جل وعز) ومقتصداً في سؤاله ، وضامنا من نفسه السمع والطاعة على ذلك من يأمره .

ويؤكد عندك مذهب ما أنشدته آنفاً ما حدثنا به أبو علي قال : لما قال كثير :

« ولست براض من خليلي بنائل قليل ، ولا أرضى له بقليل ،
قال له ابن أبي عتيق :

هذا كلام مكافء . . هلا قلت كما قال ابن الرقيات :

رُقِّ بعمركم لا تهجرينا ومنينا المنى ، ثم امطينا
وأشدني بعض أصحابنا :

وعليني بوعد منك آمهله إني أسر — وإن أخلفت — أن تعدى
وعليه قول الله عز اسمه : « ولهديناهم صراطا مستقيما ، أي هديناهم من نعمتنا عليهم ، ونظرنا لهم صراطاً مستقيماً .
وقال كثير :

أمير المؤمنين على صراط إذا عوج المعاند - مستقيم
وهذا كقولك « أمير المؤمنين على الصراط المستقيم ، لا فرق بينهما ؛ وذلك أن مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملة الأتري إلى قوله :

وأعلم أن تسليها وتركها للامتشابهان ، ولا سواء

فهذا في المعنى كقوله : « إن التسليم والترك لا متشابهان ، ولا سواء » (١) .

* * *

وبعد : فقد عقدت هذا البحث من ذلك الفصل للمسائل البلاغية عند ابن جنى ،
وها نحن أولاء نرى كيف تناول من هذه المسائل على هدى من الحس النفسى ،
والذوق الأدبى ، والطبع الانسانى — وهو ما يدعو إليه المجددون من الباحثين
في هذا الزمان — في تحليل وبراعة ، وغوص على المعانى الدقيقة في سر واسباح .
ومن الانصاف أن أذكر أن أصول هذه المسائل كان بعضها من مبتكرات ابن جنى ،
وبعضها الآخر أشار إلى أثر شيخه أبى على فيها ، لكنه صبغها بمنهجه في البحث
والتعليل ، وطبعها بشخصيته في التناول والتعليل ، فجاءت من بعد دالة عليه ،
مشيرة إليه .

وطريقة ابن جنى في الاحتجاج لبعض القراءات التي تتصل بمسائل بلاغية — لها
دلالتها الكثيرة في أن النحويين القدماء لم يكونوا يعنون بالالفاظ فقط كما اتهمهم
بذلك المناطقة (٢) ، بل إلى جانب ذلك عنوا بالمعاني ، وقدروها حق قدرها ، ويكفى
أن تقرأ كلمة ابن جنى في ذلك إذ يقول : « إن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها
حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى » (٣) ، وهذا القول شبيه بما قاله في الخصائص :
« فان أمكنك أن يكون تقدير الاعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراه ،
وان كان تقدير الاعراب مخالفاً لتفسير المعنى تركت تفسير المعنى على ما هو عليه ،
وصححت طريق تقدير الإعراب » (٤) .

وقد تناولت هنا مدى تأثير ابن جنى بأبى على في المسائل البلاغية ، وحديثه
عن المعاني فيها ، ومن المهم أن أذكر أن هذا الأثر سار في امتداده حتى شيخ البلغاء :
« عبد القاهر الجرجاني » ، الذى يعده الباحثون صاحب « علم المعاني » ، وقد اعتمد
في أغلبه على مسائل النحو ، وردد في غير دفعة من كتابه « دلائل الإعجاز » ،
أن هذه التسمية أتته من معاني النحو .

أما كيف امتد هذا الأثر ، وكيف اتصل عبد القاهر الجرجاني بمدرسة أبى على

(١) ١٧/١ - ٢٠

(٢) راجع القابسات لابن حيان (٣) المحتسب ٢/٢٦١ (٤) الخصائص ١/٢٩٢

في معاني النحو ، فوضعه في القابل من البحث إن شاء الله^(١) .
ومن آثار أبي علي التي يمكن أن أسميها «آثاراً سلبية» — أن ابن جنى تحامى
ما وقع فيه أبو علي من الاطالة ، والغموض في كتابه الحجّة ، قال ابن جنى : ، وقد
كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجّة في قراءة السبعة فأغمضه ، وأطاله ، حتى منع
كثيراً ممن يدعى العربية — فضلاً على القراءة — منه ، وأجفاهم عنه^(٢) ، ويكرر ابن جنى
ما لحظه على شيخه في كتاب الحجّة من الاطالة ، وأن ذلك قد هاج جفوة القراء
له ، وأبعد كثيراً من علماء العربية عنه : فبعد أن بين ابن جنى وجوه الاحتجاج
لقراءة : ثم يدرك الموت قال : « وفيه أكثر من هذا ، إلا أنا نكره وتحمى الاطالة
لا سيما في الدقيق ؛ لأنه مما يجفو على أهل القرآن . وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب
الحجّة وظاهر أمره أنه لأصحاب القراءة ، وفيه أشياء كثيرة قلباً ينتصف فيها كثير
من يدعى هذا العلم ، حتى أنه مجفو عند القراء لما ذكرناه ، »^(٣) .

ومن هنا أراد ابن جنى تقريب كتاب المحتسب على القراء ؛ ليحظوا به ،
ولا ينأوا عن فهمه ، ولتحقيق هذه الغاية اتخذ الوسائل الآتية :

١ — صاغه بالالفاظ السميحة ، والأسلوب الدمث ، ولاغفل هنا في تعليل
ذلك أيضاً — أن ابن جنى أديب : شاعر يقرض الشعر ؛ وناثر تروى له الخطب^(٤) ،
فكانت هذه الهبة الطبيعية عوناً له على أن يتخفف من أسلوبه ، ويسره
على القراء والقارئين .

٢ — اختصر كتابه ، وقلّل من ذكر الشواهد ، وابتعد عن الاسباب
في الاستشهاد ، والتأدى في الاستطراد ، حتى أنه قال في الاحتجاج لقراءة « لا تنفع
نفساً لإيمانها ، على معنى طاعتها : مثل فلان لنوب جاءته كتابي فاحتقرها على معنى
صحيفة ثم قال : والشواهد على ذلك كثيرة ، لكن الطريق التي نحن عليها مختصرة ،
قليلة ، قصيرة ومن هنا فضل كتاب أبي حاتم السجستاني في الشواهد^(٥) عن كتاب قطرب
من حيث كان كتاب أبي حاتم مقصوراً على ذكر القراءات ، عارياً من الاسباب
في التعليل والاستشهادات التي انحط قطرب فيها ، وتناهى إلى متباعد غاياتها^(٦) .

(١) على الباحثين في تاريخ البلاغة أن يعرفوا باثر أبي علي ومكاته في ذلك التاريخ ، وهو
ما لم يتنبه إليه أحد منهم — فيا أعلم .

(٢) المحتسب ٢٨٨/١ (٣) ٢٣٦/١ (٤) معجم الأدباء ٩٣/١٢

(٥) المقدمة ٩ : (٦) مقدمة المحتسب : ٩

وذكر مثل ذلك في الاحتجاج لقراءة : « يوم يأتي بعض آيات ربك ، » (١) .
٣ — ترك الخوض في المسائل الدقيقة من أسرار اللغة ، وخصائص العربية في المحتسب ، على حين كان في كتاب الخصائص — مثلاً — متعمقاً ، غواصاً ، مستخرجاً للعاني الدقيقة ، متوسعاً في الحديث عن أسرار العربية ، وكذلك كان في سر الصناعة . . . وآية ذلك أنه عند الاحتجاج لقراءة « فأكثرت جدلنا ، تحدث عن طرف من الاشتقاق ، وما تدلى عليه مادة (ج دل) ، ثم قال : « ولولا أن القراء لا يفسطون في هذه الطريق لنهت على كثير منه ، بل إذا كان منتحلو هذا العلم ، والترسمون به قلما تطوع طباعهم لهذا الضرب منه ، وإن اضطروا إلى فهم شيء من جلته أظهروا التجاهل به ، ولم يشكروا الله (عز وجل) على ما لاح لهم ، وأعرض من طريقه ؛ جرياً على عادة مستوخمة ، وإخلاداً إلى خليقة كرهة ، حسدا يريهم ، وتفلايجويهم ، وما أقلهم مع ذلك عدداً ، وكذلك هم بحمد الله ولو ضوعفوا مدداً ، فما ظنك بالقراء لو جشموا النظر فيه والتقرى لعزوروه ومطأويه ، ؟ » (٢) .
وبينا يقول ذلك في المحتسب ويقتصر على مثال واحد ولا يزيد ، إذ به يورد أمثلة متعددة في كتابه الخصائص في الحديث عن تصاقب المعنى لتصاقب الحروف (٣) ، ويقول : فهذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب ، والنورد لها وعر المسالك ، ولا يجب مع هذا أن تستنكر ، ولا تستبعد (٤) .

وما رأيت يظيل ، أو يذكر ما فيه صنعة الا اذا أخذ سبيل الاحتجاج لقراءة غريبة ، ظاهرها يدعو الى التناكر لها ، والتعجب منها . عند ذلك يظيل ، ويتصنع ، ولعل في ذلك ارضاء للقراء ؛ لأنه يحتج لما روه وقرهوا به : مثال ذلك في احتجاجة لقراءة ابن عباس وابن سيرين : « ولا أدرا أتمكم به ، » قال : « هذه قراءة قديمة التناكر لها ، والتعجب منها ، ولعمري أنها في بادئ أمرها على ذلك ، غير أن لها وجهاً وان كان فيه صنعة واطالة وطريقة ثم ختم احتجاجة بقوله :
« وهذا وان طالت الصنعة فيه — أمثل من أن تعطى اليد بفساده ، وترك النظر في أمره ، » (٥) ، وانظر احتجاجة لقراءة « ثم يدرك الموت ، » (٦) .

(١) المحتسب ٢٨٨/١

(٢) ٤٠٠ / ١ — ٤٠١ والعزور : السبي الخلق (٣) ص ٥٣٧ وما بعدها

(٤) الخصائص ١٠ (٥) ٣٨٤/١ (٦) ٢٣٣/١

رسم المصحف ومدى اعتماد ابن جنى عليه في الاحتجاج

وابن جنى يستشهد برسم المصحف ، ويعتمد عليه إذا أيد الرسم ما يذهب إليه ، وإذا كان رسم المصحف متفقاً هو وسنن العربية ، ولا يخالف أصلاً من أصولها ، وذلك مارواه ابن مجاهد عن ابن عباس في مصحف ابن مسعود ، « ولاذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ويقولان ربنا (١) » ، وفيه « والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا مانعدهم » (٢) وفيه « والملائكة باسطو أيديهم يقولون أخرجوا » (٣) قال أبو الفتح : « في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه دون أن يكون القول مقدرأ معه ، وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عريانا
فهو عندنا نحن على قالا ، وعلى قولهم : « لا إضمار قول هناك ؛ لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالا لنا صار كأنه قال : « قالا لنا ، فأما على أضمار قالا في الحقيقة فلا وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما يقدره من القول ، فصار قاطعاً على أنه مراد فيما يجرى مجراه (٤) .

ونراه هنا يخرج القراءة على ما يذهب إليه البصريون من تقدير القول في نحو هذه الآيات ، ويجعل دليلاً في تخريجه وتأييد مذهبه النحوي مارواه ابن مجاهد في مصحف ابن مسعود .

كذلك استعان ابن جنى في الاحتجاج لقراءة « فلما تبينت الأنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولاً في العذاب المهين (٥) » ، وأولها معتمداً على ما جاء في مصحف عبد الله (٦) .

ثم نراه لا يلتفت إلى الدليل الذي استشهد به يحيى بن الحارث في قراءته ، ولنظر كيف تعلون ، بنون واحدة . قال ابن شعيب : فقلت له : « ما سمعت أحداً يقرؤها ، قال يحيى : « هكذا رأيتها في الإمام مصحف عثمان . قال أبو الفتح : ظاهر هذا أنه أدغم نون ننظر في الظاء ، وهذا لا يعرف في اللغة ، ويشبه أن تكون مخفاة ، فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الاخفاء إلى أن يظنوه مدغماً (٧) .

(١) س ١ آية ٨٣ انظر المصاحف لسجستاني : ٥٧

(٢) س ٣٩ آية ٢ انظر SURA XXXIX P. 81 من مادة وتاريخ المصاحف: JEFERY

(٣) س ٦ آية ٩٣ س ٤١ من المصدر السابق (٤) ١١٢/١ - ١١٣

(٥) س سبأ آية ١٤ (٦) ٢٣٥/٢ وما بعدها (٧) ٣٨٤/١

ابن جنى وسيبويه

وما يتفق فيه مع شيخه أنه استعان بشواهد سيبويه في توثيق القراءات التي احتج لها في كتابه المحتسب ، وجاءت استعانتها بهذه الشواهد دليلاً على تفهم الكتاب وما يدل عليه شواهد ، ومقايسة هذه الشواهد بما ورد في القراءات من أوجه إعرابية ، واعتبار هذه بتلك ، وتفصيله الكلام في هذه الشواهد بما يعد شرحاً لها وتعليقاً عليها .
اقرأ مثلاً احتجاجه لقراءة « أحكم الجاهلية يبغون » ، بالياء ورفع الميم ^(٢) ، وقد خطأ هذه القراءة ابن مجاهد ، وأنكرها الأعرج جملة ^(٣) .

وعلق ابن جنى على تخطئة ابن مجاهد بما مضمونه : هذه القراءة وجه ، غيره أقوى منه ، وهو جائز في الشعر قال أبو النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنباً ، كله لم أصنع
أى لم أصنعه ، لحذف الهاء ثم ، ولو نصب فقال كله لم ينكر الوزن ، فهذا يؤنسك بأنه ليس للضرورة مطابقة بل لأن له وجهاً من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ؛ وهو إلى الحال أقرب ؛ لأنه ضرب من الخبر ، فالصفة كقولهم : الناس رجلان : رجل أكرمت ، ورجل أهنت ، أى أكرمته وأهنته . والحال كقولهم : مررت بهند يضرب زيد ، أى يضربها زيد لحذف عائد الخبر ، وهو في الصفة أمثل لشبه الصفة بالصلة في نحو قولهم : « أكرمت الذى أهنت أى أهنته » ، ومررت بالتي لقيت أى لقيتها ، فغير بعيد أن يكون قوله : « أحكم الجاهلية يبغون » ، يراد به يبغونه ثم يحذف الضمير ، وهذا وإن كانت فيه صنعة فإنه ليس بخطأ ^(٤) .

واعتبر ما قاله ابن جنى هنا بما ذكره سيبويه في الكتاب ^(٥) — تر أن ابن جنى أضفى على عبارة سيبويه وضوحاً ، وزادها بياناً ، وذيلها تعليقا ، وقايس ما أورد سيبويه بما قرأ يحيى ، وإبراهيم السلى ، « أحكم الجاهلية يبغون ^(٥) » ، واحتج لهذا الوجه من القراءة بما يدل على حضور الذهن ، وإفادة من الكتاب ، واتكأ عليه ، واعتداده ^(٦) .

ثم اقرأ النص الآتي نجد طرفاً آخر لابن جنى في موقفه من سيبويه :

(١) ٢٥٣/١ (٢) انظر المصدر السابق
(٣) المحتسب ٢٥٣/١ (٤) ٤٤/١ وما بعدها (٥) المحتسب ٢٥٣/١
(٦) وانظر مثلاً آخر لذلك في احتجاجه لرواية الحلواني عن قالون عن شيبه أو آوى إلى ركن شديد (المحتسب ٤٠٦/١ - ٤٠٧)

جاء في المحتسب : ومن ذلك — ما حكاه ابن سلام قال : قال سيويه : « كان عيسى بن عمر يقرأ : « على تقوى من الله ، قلت : « على أى شيء نون ؟ قال : « لا أدري ولا أعرفه ، قلت فهل نون أحد غيره ؟ قال : « لا . »

قال أبو الفتح : « أخبرنا بهذه الحكاية أبو جعفر محمد بن علي بن الججاج عن أبي خليفة الفضل بن حباب عن محمد بن سلام . وأما التنوين فإنه — وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءة — فإن قياسه أن تكون ألفة للحاق لا للتأنيث كمتري فيمن نونٌ وجعلها ملحقة بجعفر وكان الأشبه بقدر سيويه ألا يقف في قياس ذلك وألا يقول : « لا أدري ، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها ، فأما أن يقول سيويه : « لم يقرأ بها أحد لجائز يعني فيما سمعه ، لكن لا عذر له في أن يقول : « لا أدري ، لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفة للحاق (١) . »

وهذا النص فوق أنه يشير إلى أن أوجه القراءات كانت موضع نقاش بين النحاة القدامى ، وإلى اعتداد ابن جنى بالرواية — يدل على الحقائق الآتية خاصة بابن جنى وسيويه :

(أ) وقوف ابن جنى أمام عبارات سيويه يتفهمها . ويحللها ، ويقومها . وآية ذلك أنه لا يرى وجها لقول سيويه : لا أدري على حين يفسر قوله : « لم يقرأ بها أحد على وجه تام من التعليق .

(ب) تقديره سيويه . وذلك قوله : « وكان الأشبه بقدر سيويه . . . الخ
(ج) اللطف في تصحيح رأى سيويه والاعتراض عليه ، والصيرورة لما ذهب إليه اعتداداً به — إن كانت هناك مندوحة — وذلك قوله : « ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها . . . لتوقفت فيها . »

(د) الاعتذار لسيويه ما وجد إلى الاعتذار سيلاً : فهو يفسر قوله : « لم يقرأ بها أحد بما يشبه الاعتذار لا التجهيل .

وانك لتلح تردد ابن جنى — بين تصحيح القراءة المروية مرة ، والاعتداد بما ذهب إليه سيويه وتفسيره له من انكار عليه — تلح ذلك في احتجاجه لقراءة محمد بن مروان ، وعيسى الثقفي ، وابن أبي اسحق هن أطهر لكم . قال أبو الفتح : ذكر سيويه هذه القراءة ، وضعفها وقال فيها : « احتج ابن مروان في لحنه ، »

ولأنما قبح ذلك عنده لأنه ذهب إلى أنه جعل من فصلا ، وليست بين الجزم من اللذين هما مبتدأ وخبر وسحو ذلك كقولك : « ظنفت زيدا هو خيرا منك ، » وكان زيدا هو القائم ، . وأنا من بعد أرى أن لهذه القراءة وجهاً صحيحاً ، وهو أن تجعل من أحد جزئى الجملة ، وتجعلها خبراً لبناتى كقولك زيد أخوك هو ، وتجعل أظهر حالا من من ومن بناتى ، والعامل فيه معنى الاشارة كقولك : « هذا زيد هو قائماً أو جالسا أو نحو ذلك فعلى هذا مجازه ، فأما على ما ذهب إليه سيويه ففساد كما قال (١) .

فإذا اتفق قول سيويه مع ما يراه من توجيه للقراءة المروية فقد اكتملت عنده أسباب الاحتجاج ، وعندئذ تراه يهاجم فى صراحة ، وعنف من يخالف سيويه ، ويدفع عنه فى حماسة من يعترض عليه :

أورد فى الاحتجاج لقراءة : « ويعلمهم الكتاب ، » (٢) بسكون الميم بيت الكتاب :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمأ من الله ، ولا واغل

ثم قال : « وأما اعتراض أبى العباس هنا على الكتاب فانما هو على العرب لا على صاحب الكتاب لأنه حكاها كما سمعه ، ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره ، وقول أبى العباس : إنما الرواية فاليوم أشرب ، فكأنه قال لسيويه : « كذبت على العرب ، ولم تسمع ما حكيتهم عنهم ، » وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه . » وكذلك انكاره عليه أيضاً قول الشاعر : « وقد بدا هنك من المنزر ، فقال إنما الرواية : « وقد بدا ذاك من المنزر ، وكذا الاعتراض عليه فى إنشاده قوله :

لا بارك الله فى العوانى هل يصحبن إلا لمن مطلب

ثم قال : « ولو كان إلى الناس تخير ما يحتمله الموضع والسبب اليه لكان الرجل أقوم من الجماعة عنه ، وهكذا يقف ابن جنى من سيويه مدافعاً وموقراً على هذه الصورة البالغة من الدفاع والتوقير ، والبادية فيما قال عنه بأخرة هذا النص ، حيث جعله أقوم من الجماعة بالتخير ، وأوصل الى المراد منه ، وأنى للشغب عنه .

ومحاماة ابن جنى عن سيويه على هذا النحو ، ورد الاعتراض عليه من أبى العباس المبرد هو طريق أبى على فى مجابهة أبى العباس ، لا يختلف التليذ عن الشيخ فى شئ من ذلك . وقد مر بك من قبل البيان .

وابن جنى فى سبيل الاحتجاج للقراءات يستفتى كل شيخ يعين ، ويأتس بكل رأى يؤيد ، ويستشهد بلهجات القبائل يعتمد عليها فى تقرير ما هو بسبيله من احتجاج ، ومن أجل ذلك تراه يتخلى عن العصبية المذهبية ، أو الآراء الطائفية ، ما دام ذلك يحقق له ملاك هدفه فى كتابه المحتسب ؛ وهو توثيق القراءات التى عدّها غيره شواذ : فرجال البصرة ورجال الكوفة البغداديون كل أولئك عنده سواء ، يستشهد بسبويه ، كما يستشهد بالكسائى وعلب فى غير موالاة أو معاداة ، ويثنى على الكسائى ، كما يثنى على إمام النحاة ، ويقرر الحقيقة غير متحيز إلى فئة :

احتج لقراءة : « وما يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، بأنها جاءت على خدعته لما كان معناه معنى انتقصته نفسه . ثم قال : ورأيت أبا على (رحمه الله) يذهب إلى استحسان مذهب الكسائى فى قوله :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

لأنه قال : عدى رضيت بعلى كما تعدى نقيضتها وهى سخطت به ، وكان قياسه رضيت عنى وإذا جاز أن يجرى الشئ بجرى نقيضه فاجراؤه بجرى نظيره أسوغ ، فهذا مذهب الكسائى وما أحسنه (١) ١١

وانظر بعد ذلك استشهاده بالكسائى فى توجيه قراءة : « وهذا بعلى شيخ » ، (٢) وهو فى هذا ونحوه يعتد بالكسائى حتى أنه ليروى قول الكنانى يدح الكسائى : أبى النعمان أخلاق الكسائى وانتهى به المجد أخلاق الأبوسوابق (٣) ولكنه يتخلى عن هذه النزعة ، ويلبس ثوب بصريته ، ويهاجم الكسائى لا ذمًا ، وذلك حيث يقول الكسائى فى قول عنتره :

ولقد شنى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويليك عنتر! أقدم

أراد ويليك ثم حذف اللام . فلا يقبل ابن جنى تأويل الكسائى أو تعليقه ، فقول : « وهذا يحتاج إلى خبر نبي ليقبل » ، (١) ١١

ابن جنى والفراء

اتصل ابن جنى بالفراء عن طريق شيخه أبي على الذى روى له كتاب المعانى عن ابن مجاهد عن الفراء (١) .

على أن خطة ابن جنى فى كتابه المحتسب من حيث اعتداده بالشواذ تقرب من خطة الفراء ، وقد قلت فى تقديم معانى القرآن للفراء : « إن الملاك العام عنده الاعتداد بالشاذ وتصويب القراءة به ، ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية ، وقدمت على هذه القضية الأدلة المدعومة بالاستشهادات من نصوص الفراء فى كتابه معانى القرآن . وإن كان هناك من فرق بين الرجلين فهو أن ابن جنى يوثق القراءة المشذذة بالرواية بجانب موافقتها وجهاً من وجوه العربية ، وبذلك تزداد عنده درجة التوثيق على هذا النحو؛ لأن الفراء يكتفى بأن توافق، القراءة وجهاً من وجوه الصنعة الاعرابية واللغوية من غير نظر إلى الطرق المروية إلا فى القليل .

فاذا تحدث الفراء عن مذهبه الكوفى ، وخالفه فى ذلك ابن جنى بما له من مبول بصرية — بدأ ابن جنى وقد شدد الهجوم فى غير هوادة أو لين :

ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراء ، وفيما ذكر ابن مجاهد : يَخْضَفُ بنصب الياء والخاء والتشديد .

قال ابن مجاهد : وحكى الفراء « أن بعض أهل المدينة يسكن الخاء والطاء ، ويشدد فيجمع بين ساكنين . » قال ابن مجاهد : « ولا نعلم أن هذه القراءة رويت عن أهل المدينة ، » .

قال أبو الفتح : « هذا الذى يميزه الفراء من اجتماع ساكنين فى نحو هذا لا يثبت أصحابنا ، وإنما هو اختلاس وإخفاء بلطف عليهم ، فيرون أنه إدغام ، وإنما هو إخفاء للحركة ، وإضعاف الصوت ، وهذا كما يروى فى قوله :
« ومسحه مر عقاب كاسر ، »

« صدر البيت : كأنها بعد كلال الزاجر (٢) .

إن الخاء مدغمة فى الهاء . وبأليت شعرى كيف يجوز لذى نظر أو من يخلد إلى أدنى فكر أن يدعى أن هنا ادغاماً ، وأن تجمع بين ساكنين ، وقد قابل به جزء التفعيل ، وإذا وقع التحاكم إلى بديهة الحس فقد سقطت كلفة اتعاب النفس ، ألا ترى

أن وزن قوله « ومسحبي » (٢) مفاعلن فالجاء مقابل بها علن على والعين أول الوند .
وهي كما ترى وتعلم حركة أيقابل في الوزن الساكن بالمتحرك ؟ وإذا أفضى الأمر
في السفور الى هاهنا حسر شبهة اللبس والعناء ، (٣) .

ثم نراه يستشهد بأحمد بن يحيى ثعلب — خذ مثلاً لذلك احتجاجه لقراءة « فضحكت » (٤)
فتحاً (٥) ، ويرجع استشهاده بأحمد بن يحيى — فوق السبب الذي كرت الى أن شيخه أبا بكر
محمد بن الحسن (٦) قرأ على أحمد بن يحيى وسمعه ونقل عنه (٧) ، ثم أن ثعلباً خصيم لم برد الذي
هاجم سيويوه ، وحسبك هذا سبباً يجعل ابن جنى يعتقد بأحمد بن يحيى وينقل عنه .
وابن جنى يدل على بغيته للحق ، ونصرته له في احتجاجه لقراءة محمد بن السميع
« قرح » (٨) بفتح القاف والراء وذلك حيث يقول : « ظاهر هذا الأمر أن يكون فيه
لغتان : قرح ، وقرح كالحلب والحلب . . . وفيه أيضاً قرح على فعل يقرأ بها
جميعاً ثم لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفاً حلقياً يفتح ما قبلها كما تفتح
نفسها فيما كان ساكناً من حروف الحلق نحو قوله في الصخر الصخر . . . ولعمري
إن هذا عند أصحابنا ليس أمراً راجعاً إلى حرف الحلق لكها لغات ، وأما أرى
في هذا رأى البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتمداً معتمداً ،
فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لو حرف
الحلق وهو قول بعضهم : نحوه يريد نحوه وهكذا ما لا توقف في أنه أمر راجع
إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألته . . . وبعد أن دلت على ذلك ، وذكر
ما سمعه من الشجرى اعتداداً بقول البغداديين قال : ولا قرابة بيني وبين البصريين
لكنها بيني وبين الحق والحمد لله . »

وتلك غاية ما يسمو اليه منصف فيما يقرر من رأى ، وفيما يصدر من أحكام .
ذلك كان شأن ابن حنى في المحتسب ، لأن هدفه الأول الاحتجاج القراءة التي شذت ،
فاستعان بالمذاهب الأخرى ، ووجد فيها مقعماً ومحتجاً . وهذا يفسر لنا مهاجمته
في الخصائص — مذهب البغداديين — الذي قال به أنفاً — وذلك قوله : « وسمعت
الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى في نحو : « يدو وهو محوم » ،
ولم أسمعها من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ، ولا يبعد

(١) في النسخة : ومرحى (٢) المحتسب : ٤٢/١ (٣) سورة هود آية ٧١
(٤) ٤٠٣/١ — ٤٠٤ (٥) المحتسب : ٢٣٦/٢ (٦) طبقات القراء : ١٢٣/٢
(٧) سورة آل عمران آية ١٤٠

عن الاخذ بلفته ، وما أظن الشجرى إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك حرف
الحلق بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين نحو قول كثير :

له نَعْل لا تطبي الكلب ريجها وإن جعلت وسط المجالس شمت
وقال أبو النجم :

وجبلا طال معداً فاشمخر أشم لا يستطيعه الناس الدهر

وهذا قد قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياساً ، لكن مثله يعدو وهو
محموم لم يرو عنهم فيما علت . فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه ، بل تأمل حال
مورده ، وكيف موقعه من الفصاحة فاحكم عليه وله (١) .

موقنان مختلفان لابن جنى يحذر في الخصائص أن تخلد إلى تحريك حرف الحلق
بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين ، ويرى أن ذلك لا يقاس
عليه ، فإذا احتج في « المحتسب » لقراءة « قرح » رأى ما يرى البغداديون من أن حرف
الحلق يؤثر في الفتح أثراً معتمداً معتمداً (٢) . ثم يقرر أن الذي يراه من رأى البغداديين
هو الحق الذي يقرب وحده بينه وبين النحويين : بصريين كانوا أو بغداديين .
ولا أرى سبباً في تفسير هذين الموقفين إلا ائتناسه بالأراء الموثقة للشواذ
من القراءات وربما كان لاستقراره الذهني أثر في رحابة صدره نحو المذاهب النحوية
واللغوية المختلفة . قد يكون ذلك ، ولكني إلى السبب الأول أميل ، وبه أقول .
ولم يكن ذلك التناقض غريباً من ابن جنى ؛ فاستفتاؤه الشيوخ ، وتخليه عن العصبية
الطائفية ، والتماسه وجه الحق وحده أمر يمليه عليه عمله في الاحتجاج لقراءات
تمت بصلة قوية إلى آراء النحاة من هؤلاء وهؤلاء . ومن أجل ذلك أيضاً احتج
بلهجات القبائل المختلفة ، ونظر إليها معتمداً عليها في توثيق الشاذ من القراءات
إذ كان صورة من هذه اللهجات ، وكانت استعانتها باللهجات في كثرة ظاهرة دفعت
الاستاذ أحمد تيمور (رحمه الله) إلى أفراد ثبت خاص لهذه اللهجات في صدر
كل جزء من جزأى المخطوطة في خزائنه . والنظر في هذه اللهجات يفيد كثيراً في تحليل
القراءات ورجعها إلى أصولها من لهجات القبائل : ما كان منها راجعاً إلى الضبط الحركي ،
أو اختلاف المعنى مع اتحاد الحروف ، أو اختلاف الحروف مع اتحاد المعنى .

واليك بعض أمثلة من ذلك :

اختلاف الحروف مع اتحاد المعنى	اختلاف المعنى مع اتحاد الحروف	الضبط الحركي
الجذف (تميم) ، الجذث (الحجاز ^(٢))	يئس بمعنى علم (هيبيل نفذ من النخم ^(١))	صُنَوَان (تميم) صِنَوَان (الحجاز) القَطْرَان (تميم) كَلِمَةٌ ^(٣)
صَوَاغ (تميم) صَبَاغ (الحجاز ^(٤))		اسكان العين من فُعل يقولون في رُسُل رُسُل لغة تميم والتثقيب لغة الحجاز ^(٥)
أعطأتك في أعطيتك (عقيل)		بَحْرٍ وشَعْرٍ (عقيل ^(٦))
هدى قلب الألف من آخر المقصورياء وهي لغة فاشية في هذيل وغيرهم ^(٩)		مَحْوَةٌ في مَحْوَةٍ ^(٧) وانظر ^(٨)

هذه أمثلة لأنواع من اللهجات قسمتها على هذا النحو ، وقد لاحظت أن ابن جني
يكثر من الاستشهاد بعقيل ، وانك لتجد ذلك متردداً غير دفعة من كتابه المحتسب ،
فتراه في الاحتجاج لقراءة « من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض »^(١٠)
بنصب فساداً - يقول : ينبغي أن يكون ذلك على فعل محذوف يدل عليه أول
الكلام ، وسمعت غلاماً حدثاً من عقيل ومعه سيف في يده فقال له بعض الحاضرين
وكنا مصحرين : يا أعرابي اسيفك هذا يقطع البطيخ فقال : أي والله وغوارب
الرجال ! ، فنصب الغوارب على ذلك . أي ويقطع غوارب الرجال^(١١) .
أو تراه يقول مثلاً : « ورأيت كثيراً من عقيل لا أحصيم يحرك مالا يتحرك
أبدأ لو حرف الحلق^(١٢) » ... ، وفي الخصائص يقرر أنهم كانوا يردون عليه^(١٣) ...
وقد دعاني هذا إلى التعرف على مساكن بني عقيل ، وأين هي من الأماكن التي تنقل
فيها ابن جني ، فاستشرت القلقشندی في صبح الأعشى فعرفت أن بني عقيل قد تغلب

(١) ١٢/٢ (٢) ١٠٠/٢ (٣) ٢٥/٢ و ٢٦ (٤) ١٧٥/١

(٥) ٢٤٥/١ (٦) ٧٧/١ (٧) ١٩٧/١ (٨) ٢٨٥/١ (٩) ٦٧/١

(١٠) سورة السائدة آية ٣٢ (١١) ٢٥٢/١ (١٢) ١٧١/١

عليهم بنو تغلب فطردوهم من البحرين فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، وملكوا تلك البلاد ، وكان منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم ملوك الموصل ، وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بني ساجوق. (٤) والعراق ، والبلاد الفراتية ، والجزيرة ، والموصل كلها شهدت ابن جنى متنةً فيها بل ان الموصل موطنه ومسقط رأسه واليها ينسب (٥).

ولإذن فقد أراد ابن جنى أن يستمع إلى الفصحاء ويشافهمهم ، ويسلك سنة الأئمة الأولين كالخليل بن أحمد ، ومن لفه في الأخذ عن الأعراب في البوادي يحدث غلبانهم ، ويظاول شيوخهم . وهذا ما تراه بادياً في مثل قوله : ، ورأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم (٦) . « أو يقول : ، حضرتي قديماً بالموصل أعرابي عقيلي مجوشى تيمى يقال له محمد بن العساف الشجرى ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته ، والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في ايقاظ طبعه ، واقتداح زند فطنته (٧) . « والى بالك إلى وصف ابن العساف بالفصاحة ، ثم إلى ما يقرره ابن جنى من تلذذه بمطاولته ، وأن ذلك عادة جرى عليها معه ويتفق ابن جنى بذلك في تقرير خصائص العربية ، والاحتجاج للقراءات المروية ، وكثيراً ما كان يذهب إلى هؤلاء الأعراب في بواديهم ، يرصد أحاديثهم ، ذلك قوله : سمعت غلاماً حدثاً من عقيل وكنا مصحرين (٨) ، أو سألت غلاماً من آل الميها فصيحاً (٩) وقد كثر سماعه (١٠) ، ومسألته (١١) للشجرى أبي عبد الله ، ومحمد بن العساف (١٢) .

* * *

وبعد ، فقد كانت استعانة ابن جنى باللهجات العربية المختلفة في الاحتجاج للقراءات الشاذة أكثر من استعانة شيخه أبي علي في احتجاجه لقراءات السبعة . ويبدو ذلك أمراً طبيعياً يسير التعليل ، ذلك أن القراءات الشاذة كانت صورة لهجات مفرقة في قبائل متعددة ولم يرزق كثير من هذه القبائل حظاً من الشهرة بين العرب ، فشذذت القراءات التي تصور لهجات هذه القبائل ، وكان عمل ابن جنى تصحيح النظر إلى هذه القراءات لجاء حديثه عن لهجات القبائل على صورة أوسع من حديث شيخه أبي علي الذي احتج لقراءات تتصل باللهجات قبائل مشهورة فأغناه ذلك عن الإشارة إليها ، أو ذكر أسمائها .

(١) انظر الخصائص : ٤٠٩/١ (٢) صبح الأعشى : ٣٤٢/١ (٣) تزهة الألباء : ٢٢٠

(٤) المحتسب : ١٩٧/١ (٥) معجم الأديب : ١٠٥/١٢ (٦) الخصائص : ٨٠/١

(٧) الخصائص : ٨٠ ، ٤٠٩ والمحتسب : ١٩٧/١ (٨) الخصائص : ٣٤٢/١

(٩) معجم الأديب : ١٠٥/٢ ، والخصائص : ٧٨ (١٠) المحتسب : ٢٥٢/١

ابن جنى و ابو بكر بن مجاهد*

تعقب ابن جنى أبا بكر ابن مجاهد فى كثير من المواضع ، وكان من الطبيعى ذلك التعقب ، ذلك أن ابن جنى فى كتابه المحتسب يمتحج للشواذ من القراءات ويوثقها ، ويرجعها إلى سند من الرواية وأصل من أصول العربية . وهى بذلك الاعتبار موثقة

* حاشية — استقصيت احتجاج ابن جنى للقراءات التى عذب من أجلها ابن شنيوذ فوجدت منها

(١) فأمضوا إلى ذكر الله . قال أبو الفتح فى هذه القراءات تفسير للقراءة العامة فأسعوا إلى أى فاقصدوا وتوجهوا وليس فيه دليل على الإسراع وإنما الغرض المضى إليها (المحتسب ٢/٣٨٩)
(٢) وتعملون شكركم أنكم تكذبون (س ٥٦ آية ٧٩) . قال أبو الفتح هو على حذف

مضاف أى تعملون بدل شكركم ومكان شكركم تكذبون ، ومثله قول العجاج :

رئيتنه حتى إذا تمعددا
كان جزأى بالمصا أن أجلدا
أى كان مكان جزأى الجلد بالمصا (المحتسب : ٢/٢٧٨) .

(٣) كل سفينة صالحة غصبا . لم ترد فيما احتج له من الشواذ (١).

(٤) كالصوف المنقوش . (سورة القارعة لاشى فيها) (٢) .

(٥) قاليوم نتجيك بيدك وردت .

(٦) تبث يدا أبى لهب وقد تب . لم يورد هذه القراءة (٣).

(٧) فلما خر تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولاً فى العذاب المهين .

قراءة ابن عباس والضحاك وأبى عبد الله وعلى بن حسين تبينت الانس ، قال أبو الفتح أى تبينت الانس أن الجن لو علموا بذلك مالبثوا فى العذاب يدل على صحة هذا التأويل مارواه معين عن قتادة قال فى مصحف عبد الله . تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا (٤) .

(٨) والذكر والأئتى (س ٣/٩٢) بغير ما . النبى (صلى الله عليه وسلم) وعلى بن أبى طالب

وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عباس (رضى الله عنهم) قال أبو الفتح فى هذه القراءة شاهد بما أخبرنا به أبو بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى من قراءة بعضهم وما خلق الذكر والأئتى . وذلك أنه جره لسكونه بدلا من ما فقراءة النبى صلى الله عليه وسلم شاهد بذلك (٥) .

(٩) فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما س ٧٧/١٢٥ . قراءة ابن عباس وابن

الزبير فقد كذب الكافرون قال أبو الفتح : وهذا مما ترك فيه لفظ الحضور إلى الغيبة ألا ترى قبله قل ما يعبا بكر ربى لولا دعاؤكم فقد كذب الكافرون (٦) .

(١٠) ويهون عن المنكر ويستغيثون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون (٧) .

(١١) وفساد عريض (٨) .

(١) انظر المحتسب : ٥٩/٢ (٢) ٤٣٩/٢ (٣) انظر ٤٤٥/٢

(٤) انظر ٢٣٥/٢ وما بعدها (٥) انظر ٤٣٣/٢ (٦) انظر ١٦٨/٢

(٧) س ١٠٤/٣ لم ترد (٨) س ٨ آية ٧٣ لم ترد

عند علماء اللغة والنحو، ولا يجوز أن تنسم بالشذوذ. هذا فيما يرى ابن جنى — وهو على حق فيما ذهب إليه — أما ابن مجاهد فقد قال بشذوذ ماخرج عن قراءات الأئمة السبعة في الأمصار، بل وقعت العداوة بينه وبين إمام من أئمة عصره هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ^(١)، الذي كان يقرأ في اعتبار ابن مجاهد بالشذوذ، وقد عذب في حضرة ابن مجاهد، عذبه الوزير أبو علي ابن مقلة^(٢)، واستكتبه محضراً بأن يرجع عن الشاذ من قراءته واستتيب عنه بعد اعترافه به^(٣). ومن هنا كان تعقب ابن جنى لأبي بكر بن مجاهد أمراً يحتمه الدفاع عن القراءات التي عدها ابن مجاهد شاذة. ويدعو إليه اتجاه كل من الرجلين بالنسبة لهذه القراءات. وجاء احتجاجه في المحتسب لبعض القراءات التي شذها ابن مجاهد دليلاً على انتصاره — إلى حد ما — لهذه النظرة المتحررة التي حمل لواءها ابن شنبوذ. وشيء آخر كان سبباً في تعقب ابن جنى لابن مجاهد. ذلك ما يبدو من أن أبا بكر كانت له تعليقات على القراءات الشاذة من حيث الميزان الصرفي والتوجيه الاعرابي أو التفسير اللغوي، أو غير ذلك مما يتصل بالصناعة الصرفية والنحوية واللغوية. ولما كانت قدم ابن مجاهد في ذلك غير راسخة رسوخها عند ابن جنى^(٤)، فقد وقف موافقاً كانت باعثة لابن جنى على التعقيب والتعليق. والذي يقرأ كتاب المحتسب يجد أن ابن جنى قد اعترف لابن مجاهد في ناحية تخصصه، فابن جنى يوثق ابن مجاهد، ويأخذ بقوله، ويعتد به، ويعتمد عليه فيما هو متصل بالرواية، ويعترف بتفوقه وهدايته في ذلك^(٥). أما فيما هو خاص بالتفسير اللغوي، أو البحث الصرفي، أو فقه العربية فكثيراً ما ينبه على خطأ ابن مجاهد فيه، أو بعده، عن الصواب، أو قوله بغير الأولى أو نحو ذلك مما استشهد له، وأدل عليه عما قريب:

فشاهد اعتداد ابن جنى بابن مجاهد في الرواية قوله في قراءة عيسى بن عمر:

(١) طبقات القراء: ٥٢/٢-٥٦ (٢) الفهرست: ٤٧

(٣) انظر طبقات القراء: ٥٤/١

(٤) انظر الفهرست لابن النديم: ص ٥٢. ففيها كتاب معاني القرآن وتفسيره ومشكله لأبي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير — أمانه على عمله أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسن الخزاز النحوي. ويبدو أن ابن مجاهد قام بما هو خاص بالقراءات على حين قام الخزاز بالنواحي النحوية والاعرابية.

(٥) انظر المقدمة: ٨

« على تقوى من الله ، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها (١) . »

وهكذا يتمتع ابن جنى عن التوقف في قراءة من القراءة؛ لأن ابن مجاهد رواها وذلك عندي غاية الاعتداد به في هذا المجال .

ويقابل اعتداده بابن مجاهد فيما هو خاص بالنقل والرواية ، مخالفته له فيما هو متصل بالصنعة والتأويل والدراية ، وذلك إذا ما تعرض ابن مجاهد لشيء من اللغة أو النحو أو الصرف أو الإعراب . . . عند ذاك يتعقبه ابن جنى في عنف حيناً ، وفي اعتذار من خطئه حيناً . وأسوق أمثلة تشير في اجمال لكل جانب من هذه الجوانب :

(١) يتعقب ابن مجاهد في اللغة : « في قراءة محمد بن زياد الإعرابي فضحكت فتحاً . »

قال أبو الفتح : « روى ابن مجاهد قال : قال أبو عبد الله ابن الاعرابي : الضحك هو الحيض وأنشد :

ضحك الأراب فوق الصفا مثل دم الجوف يوم القا
قال وأنشد :

المزج : العسل .

لجأت بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل
وبعد : فليس في اللغة ضحكت أى حاضت . قال احمد بن يحيى : « والضحك
الشهد وهو الثلج ، وهو الطلع قال محمد بن الحسن : « قلت لأبي حاتم في قوله :
« تضحك الضبع بقتلى هذيل ، قال : « ومن أين لهم أن الضبع نحيس وقال يابني :
« وإنما تكسر للقتلى إذا رأتهم . . . » ويقال في تضحك الضبع لقتلى هذيل أى
تستبشر لقتلهم لتأكلهم فيبر بعضها على بعض فجعله ضحكا . وترى الذئب لها يستهل
أى يعوى فيستدعى الذئب فرحاً بذلك (٢) . »

(٢) ويتعقبه في ميزان صرفي : روى ابن مجاهد عن أبي عمرو قراءة :
وآيدناه . قال ابن مجاهد على فاعلناه بمدودة الألف ، خفيفة الياء ، وقد روى عن

مجاهد في قوله ، إذ آيدتك آيدتك قال ابن مجاهد على فاعلتك ، . قال أبو الفتح : هذا الذى توهمه ابن مجاهد أن آيدتك فاعلتك لا وجه له ، وإنما آيدتك أفعلتك من الأيد وهو القوة ، ثم برهن على ما رآه وسلك سبيل المناطقة — وختم برهانه بقوله : « فقد ثبت أن قراءة مجاهد إذ آيدتك إنما هو أفعلتك لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد (١) . »

(٣) ويتعقبه في الإعراب :

أ — في قراءة يحيى وإبراهيم والسلي أخكم الجاهلية يبعون بالياء ورفع الميم قال ابن مجاهد وهو خطأ . وقال الأعرج : لا أعرف في العربية أخكم وقرأ أخكم نصباً . . . قال أبو الفتح : « قول ابن مجاهد إنه خطأ فيه سرف ، لكنه وجه غيره أقوى منه . وهو جائز في الشعر . . . ثم استشهد ودل (٢) . »

ب — في رواية الحلواني عن قالون عن شيبه أو آوى بفتح الياء . . . قال ابن مجاهد « ولا يجوز تحريك الياء هنا . »

قال أبو الفتح : « هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى سائق جائز ثم دل على جوازه (٣) . . . »

(٤) ويتعقبه في التعبير :

أ — يصححه له في قراءة « أينما تكونوا يدرككم الموت ، برفع الكافين قال ابن مجاهد وهذا مردود في العربية ، قال أبو الفتح هو لعمرى ضعيف في العربية وبابه الشعر والضرورة ؛ لأنه ليس بمردود في العربية ، لأنه قد جاء عنهم ، ولو قال : مردود في القرآن لكان أصح معنى . . . ثم دل على ذلك (٤) . »

ب — ويصوبه : قال ابن مجاهد : يتوفون منكم لا يقرأ بها قال أبو الفتح الذى أنكره مستقيم جائز على حذف المفعول أى والذين يتوفون أيامهم وأعمارهم أو آجالهم (٥) . . . وانظر قول ابن جنى : قول ابن مجاهد بالتوحيد في قراءة وإله أيبك — لاوجه له (٦) . »

(١) المحتسب : ٩٣/١

(٢) المحتسب : ٢٥٣/١ (٣) ٤٠٧-٤٠٦/١

(٤) ٢٣٠/١ (٥) ١٢٧-١٢٦/١ (٦) ١١٧/١

(٥) يتعقبه بما هو أصل من أصول العربية « الساكن ليس بحاجز حصين ،
قراءة الحسن (رحمه الله) أنهم بوزن أعطهم . وروى عن ابن عامر أنهم بهمز
وكسر الهاء ، قال ابن مجاهد وهذا لا يجوز . رد ذلك أبو الفتح فقال : طريق
قراءة ابن عامر ان هذه الهمزة ساكنة والساكن ليس بحاجز حصين عندهم فكأنه
لاهمزة هناك أصلاً ، وكان كسرة الباء على هذا مجاورة للباء (كذا) فلذلك كسرت
فكأنه على هذا قال أنهم . وروينا عن أبي زيد فيما أخذناه عن أبي علي وعن غير
أبي زيد منهم ومنه ، ومنكم ، وبكم ، أجرى كاف المضمر مجرى هائه .. فقد علت
بذلك أن قول ابن مجاهد هذا لا يجوز لا وجه له لما شرحناه من حالهم .

ثم اعتذر ابن جنى من خطأ ابن مجاهد بما يعد ملاكاً لتعليل موقفه منه فيما هو
متصل بالصناعة النحوية أو الصرفية أو اللغوية ، وذلك إذ يقول أبو الفتح :
« ورحم الله أبا بكر فإنه لم يأل فيما عليه نصحاً ، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره
الله تعالى لإياه ، وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده ، وإياه نسأل عصمة وتوفيقاً
وسداداً بفضله (١) .

وبهذا النص الأخير يلخص ابن جنى موقفه من ابن مجاهد ، ويعترف بما له
من فضل ويعتذر بما كان منه من مجانبة للصواب ، ويقرر في شكر يشبه الزهو —
نعمة الله عليه بفقته للربية ، وبصره بأسرارها .

وبعد : فماذا كان موقف أبي علي من ابن مجاهد ؟ في الحقيقة أن أبا علي لم تتح
له الفرصة يتعقب فيها ابن مجاهد — في احتجاجة لقراءات السبعة ؛ ذلك لأن مهمة
أبي علي كانت محصورة في الاحتجاج بالصناعة النحوية واللغوية والصرفية . الخ .
لما أورده ابن مجاهد من روايات تقليدية ، لم يتعرض فيها لهذه البحوث التي تعرض
لها في القراءات الشاذة ، والتي فتحت الباب أمام ابن جنى ليلجحه متعقباً أبا بكر على
النحو الذي تناولته بالبيان والتفصيل .

قواعد عامة

وقد كان ابن جني يتقربى اللغة ، ويدعو إليها ^(١) ، ويتعرف خصائصها ، ويتهدى في أحكامها على القراءات المختلفة ، واحتجاجه لها ، ويبان درجتها من حيث القوة أو الضعف والذبيوع والشذوذ — بالاستقراء ، وقد أعانه على ذلك ملاحظة دقيقة ، وبصر نافذ ، وفطانة واعية في عمق ، وقد سبق أن نظر في خصائص اللغة وأصولها في كتابه الموسوم بالخصائص ، وانتهى إلى قواعد عامة قررهما ، فاستغل هذه وغيرها في الاحتجاج للقراءات وتقويمها في كتابه المحتسب ، وبني على الأسس التي هداه إليها شيخه ، وقد جمعت مثلاً — لبعض هذه القواعد وقسمتها على النحو الآتي :

أ - أصول عامة مقررة :

- (١) القرآن يتخير ولا يتخير عليه ^(٢) . (٢) اختصار المختصر إجحاف به ^(٣) .
- (٣) العرب إذا نطقت بالأجمل خلطت فيه ^(٤) . (٤) الأصوات تابعة للمعاني فتنى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم قطع وقطع ، وكسر وكسر ، زادوا الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه ^(٥) .
- (٥) يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره ^(٦) . (٦) إذا نفي الأصل كان الفرع أشد انتفاء ^(٧) .

ب - لغويات :

- (١) الأجناس يقع قليلها موقع كثيرها ، وكثيرها موقع قليلها ^(٨) .
- (٢) وقال في الاحتجاج لقراءة في قلوبهم مرض بالتسكين : « لا يجوز أن يكون مرض مخففاً من مَرَضٍ لأن المفتوح لا يخفف ، وإنما ذلك في المكسور والمضموم كابل وغذ وطنب وعضد وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذ لا يقاس عليه ^(٩) .

(٣) وقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة ^(١٠) .

(٤) الفتح والسكون يتقاوران ^(١١) .

(٥) إذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه فأجراؤه مجرى نظيره أسوغ ^(١٢)

(١) المحتسب ٤٠٠-٤٠١ (٢) ٢٣/١ (٣) انظر الصناعة ٢٧١/١ و ٣١/١

(٤) ٧١/١ (٥) ٢٦١/٢ (٦) ١٠٨/١ (٧) ٢٥٢/٢ (٨) ٣٩٤/١

(٩) ٣٣/١ (١٠) ٢٤٣-٢٤٢/١ (١١) ٣٣/١ (١٢) ٣٢/١

- (٦) حركة الاتباع تجرى مجرى الصدر الذى لا اعتداد به ، ولا هو عندهم
بما يعقد على مثله (١) .
(٧) فى الاحتجاج لقراءة « واستوت على الجودى ، قال : « تخفيف يامى
الاضافة قليل إلا فى الشعر (٢) ، .
(٨) العرب قد تأتى بالمصدر من غير صيغة الفعل كقوله : « ونقرتها بيديك
كل مُنْقَرٍ (٣) .
(٩) ما سمع فى شيء فُعل إلا وسمع فيه فُعلٌ وعليه قول طرفه : « وِرَادٌ وشُقْرٌ ،
يريد شُقْرًا (٤) .

(١٠) الذَّلُّ بالكسر فى الدابة ضد الصعوبة ، والذَّلُّ بالضم للانسان ضد العز
وكانهم اختاروا الضمة للإنسان والكسرة للدابة للفصل بينهما ، لأن ما يلحق
الانسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة
لضعفها (٥)

ج - نحويات :

- (١) قال فى الاحتجاج لقراءة بما حفظ الله : « حذف المضاف فى الشعر
وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعة (٦) .
(٢) بين الشرط والابتداء مشابهاً (٧) .
(٣) الصلة أذهب فى باب التخصص من الصفة لابهام الموصول، ثم رتب درجات
الابهام على النحو الآتى : الصلة ثم الصفة ثم الحال ثم الخبر وقال : كذا ينبغى أن
يرتب هذا الباب من تنزيله ، ولا ينبغى أن يؤخذ باباً سرداً وطرحاً واحداً (٨) .
(٤) الحال المستأنفة تحكى كما تحكى الحال السالفة (٩) .
(٥) الخطاب بالتاء أذهب فى قوة الخطاب (١٠) .
(٦) المستقبل أسبق رتبة فى النفس من الماضى (١١) .
(٧) يجيء اللفظ على حكم لفظ آخر؛ لأنه فى معناه وإن عرى هذا من موجب
اللفظ فى ذلك نحو تصحيح عور وحول؛ لأنهما فى معنى ما لا بد من صحته وهو
أعور وأحول (١٢) .

(١) ٦١/١ (٢) ٤٠١-٤٠٢ ٧٢/١ (٣) ١٩٠/١ (٤) ٤٥/٢ (٥)
(٦) ٢٢٣/١ (٧) ٢٣٣/١ وما بعدها (٨) ٣٢٥/٢ (٩) ٣٨٨/١
(١٠) ٣٨٠-٣٨١ واظر ص ٤٢٧ من هذا الجزء (١١) ٢٥٢/٢
(١٢) ٤٣١-٤١٢/٢

د - إعرابيات :

(١) حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الاتباع إلا على لنية ضعيفة وهي قراءة بعض البادية الحمد لله (١).

(٢) العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى (٢)

(٣) لو انصرف عن اللفظ إلى المعنى لا يحسن العود من بعد إلى اللفظ (٣) .

(٤) وقال في تقدير المحذوف من قوله تعالى : « ولكن البر من اتقى ، .

ا - ولكن البر من اتقى . ب - ولكن ذا البر من اتقى .

والتقدير الأول أجود عندنا ، وذلك أن تقديره حذف المضاف من الخبر أعنى

بر من اتقى والخبر أولى بذلك من المبتدأ ، وذلك أن حذف المضاف ضرب من التوسع ،

والتوسع آخر الكلام أولى به من أوله - كما أن الحذف والبدل كلما تأخر كان

أمثل من حيث كانت الصدور أولى من الأعجاز (٤) .

(٥) يجوز وفوع المعمول بحيث يجوز وفوع العامل (٥) .

ه - عروضيات :

(١) الأمثال تجرى مجرى المنظوم في تحمل الضرورة ، قال أبو علي . « لأن

الغرض في الأمثال إنما هو التيسير كما أن الشعر كذلك ، فجرى المثل مجرى الضرورة

في تجوز الضرورة فيه (٦) .

(٢) ويروى عن البحترى قوله « القوافي حوافر الشعر ، وعن الشجرى قوله

« والفافية رأس البيت (٧) .

(٣) إذا جاز أن يصرح وهو في أثناء المعنى الواحد نحو قوله .

ألا ناد في آثارهن الغوانيا سقين سما ، ماهن وما ليا ؟

كان التصريح من الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز (٨) .

(٤) تشعب العرب مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج عناية

بالفافية ؛ إذ كانت للشعر نظاما ، ولبيت اختتاماً (٩) .

* * *

(١) ٤١٠-٤١٣ (٢) ٦٥/٢ (٣) ٢٣٣/١

(٤) ٢٧٣/٢ (٥) ٣٩٩/١ (٦) الحنوب ١٠٥/٢ (٧) ٢٦١/٢

(٨) ١٠٨/١ انظر النص كاملا في استقلال ابن جني للعروض (٩) ٢٦١/٢

ومن الحق أن أشير إلى أن بعض هذه الأصول من مبتكرات ابن جنى ،
واستنباطاته وبعضها الآخر بنى على كلام شيخه الفارسي ، وأقيم عليه ، فهو يروى
مثلا — عن أبي علي استحسانه لمذهب الكسائي في قوله .

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبتني رضاها

ويورد كلامه في أنه عدى رضى بعلي كما تعدى نقيضتها وهي سخطت به ثم يخلص
من ذلك إلى تأصيل أصل هو ، إذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه فاجراؤه
مجرى نظيره أسوغ ، ثم يبنى على ذلك الأصل قوله . وفيه غيره على سمت ما كنا
بصدده ، وذلك أنه إذا رضى عنه فقد أقبل عليه فكأنه قال . إذا أقبلت على بنو قشير ،
وهو غور من أنحاء العربية ظريف ولطيف ومصون وبطين (١) .

وبعد : فهذا ابن جنى في كتاب المحتسب ، وذلك مبلغ تأثره بأبي علي سلباً وإيجاباً ،
ويعد الكتاب في جملته — وعلى نحو ما — أثاراً من آثار أبي علي ، وسيراً في طريق
الاحتجاج الذي سار فيه الشيخ من قبل في كتابه الحجة ، بل إن ابن جنى كان مدفوعاً
— كما بينت في صدر هذا الفصل — إلى التأليف فيه بما خطر لأبي علي في نفسه ،
وهجسه خاطره ، وقد رأينا أوجه التخالف البعيدة بينه وبين شيخه ، وما تخالف فيه
هو والشيخ بمقدار ، كما عرضت لأوجه التشابه بينهما .

وإن كان لا بد — في خاتمة هذا الفصل — من كلمة بمجملتها تختصر ما بين الرجلين
من توافق وتخالف في الاحتجاج فاليك هذا الحديث : (٢) .

واضح أن ابن جنى يحتج للشواذ ، أما أبو علي فإنه يحتج للقراءات الأئمة السبعة
الذين اختارهم ابن مجاهد . وقد تكفل أبو بكر بن مجاهد في كتاب القراءات بإيراد
أوجه الاختلاف مسندة إلى أصحابها ، أما ابن جنى فإنه بحث هذه الأوجه وساقها
هو دليلاً على جهده .

وقد رأينا ابن جنى لا تنتال عليه الشواهد كما تنتال على أستاذه ولعل لطبعة
البحثين أثاراً في ذلك ، ثم إن لهجات القبائل ظهرت في كتاب المحتسب على صورة
أوسع من ظهورها في كتاب الحجة ، ويقابل هذا أن المتن اللغوي عند أبي علي ظهر
واضحاً في احتجاجه ، دعاه إليه — فيما دعاه — حبه للاستطراد .

(١) ٣٢/١

(٢) كل ظاهرة من هذه الظواهر — من توافق أو تخالف — عالت لها من قبل والقام ؛
هنا مقام جمع لما مضى من غير تمليل أو تدليل .

وقد رأينا كيف كان ابن جنى يستهدى الروح البلاغى فى التأويل ، ويتجه إلى المعانى النفسية فى الاجتجاج ، كما كان يستهدى الحس اللغوى وبهذا شاعت الروح الأدبية فى كتاب المحتسب ، وإنك لتلقى فيه دماثة الأسلوب ووضوح العبارة ، وتحامى الغموض والإملاى ، والتخفف من المنطق ، والبعد عن الاستطراد ، والإطالة والتشعب . وتجنأ الامعان فى التعليل ، والاسهاب فى الاستشهاد ، مما يجعل كل أولئك شواهد مميزة لابن جنى تخالف فيها مع أستاذه أبى على .

وقد رأينا قبل كيف كان ابن جنى مهاجم ابن مجاهد فى أغلب ما شذذ من القراءات ، على غير موقف الشيخ فى ذلك .

كما تعرضت لموقفه من رسم المصحف والاستشهاد به ، وشيء آخر يظهر عند ابن جنى ذلك هو الاستشهاد بشعر المولدين فى المعانى (١) ، وظهور مسائل الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين على صورة باهتة ، لا كما تظهر فى كتاب الحجة .

ومرد أغلب هذه الفروق أن ابن جنى لحظ تجانأ القراء عن الحجة بما فيه من إملاى واستطراد وتعمق ، وإمعان فى النظر . . . فأراد أن يتحامى ذلك كله ، وأن يتخفف فيما لا بد منه . . . فجاء كتابه على هذه الصورة التى تهربه إلى النفوس .
وغنى عن البيان — إذا ما أردت التحدث فى التوافق الذى كان بين الشيخين —
أن أقول :

إن ابن جنى استعان بكثير من أصول شيخه ومسائله ، ثم زاد هو عليها بالتعليق والصيغة والتحقيق : يحدث عنه ، ويعتمد عليه فى التذليل ، كما يعتمد عليه فى التفسير اللغوى ، ويسلك مسلكه فى تقديره سيويه ، والدفاع عنه فى إيمان ، ومهاجمته القراء فى عنف وامعان ، ويستغل العروض كأستاذه فى التذليل والاحتجاج على فرق بين الرجلين كما سبق به البيان .

وجزى الله الرجلين كل خير ، فقد احتجا — للسبعة أو الشواذ — دفاعا عن القرآن الكريم وحفاظا ، عليه ، واحتساباً للأجر الجزيل ، والثواب العظيم . . .

الفصل الثاني

(مكي بن أبي طالب ٣٣٥ - ٤٣٧ هـ)

(ومدى تأثيره بأبي علي في الاحتجاج)

ولد أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي بالقيروان سنة ٣٣٥ هـ (١) وارتحل في طلب العلم إلى مصر فعرض على عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون المصري (٢). سنة ٣٧٨ هـ (٣). وألف مكي - بعد وفاة أبي علي - كتاباً في القراءات السبع سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ألفه وهو بالمشرق ، وسماه كتاب التبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون (٤) واعتمد في أكثره على ما قرأ به على شيخه ابن غلبون (٥). وأضرب فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو (٦). ووعد في صدره أنه سيؤلف كتاباً يذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء... وأقاول النحويين وأهل اللغة (٧) ، وكان أن وفي أبو محمد بما وعد ، فألف في أخريات عمره كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها سنة أربع وعشرين وأربعمائة (٨). وفرغ منه سنة خمس وثلاثين (٩). قبل أن يتوفاه الله بعامين . واختصر مكي الحجة (١٠). في كتاب سماه منتخب الحجة في القراءات (١١).

وقد قصدت قصداً إلى اقتباس هذه الحقائق من حياة مكي وعين بتاريخ هذا الجانب من نشاطه العلمي والنص عليه ؛ لأنه يمت إلى موضوع البحث بسبب وثيق .

فأولاً - لأن مكيّاً بتأليفه التبصرة قام بعمل يناظر فيه عمل ابن مجاهد في كتابه المترجم بقراءات أهل الأمصار .

وثانياً - أن كتاب الكشف في جملته أثاره من علم أبي علي ، ففيه مكي قفو

-
- | | |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) طبقات القراء : ٣٠١ / ٢ | (٢) طبقات القراء : ٤٧١ / ١ |
| (٣) التبصرة لوحة (٢) | (٤) الكشف ٢ / ١ (٥) التبصرة لوحة ٣ |
| (٦) الكشف : ٢ / ١ | (٧) التبصرة : ٢ (٨) الكشف : ٢ |
| (٩) انظر الكشف : ٤٩٣ / ٢ | (١٠) كشف الظنون : ١ / ٢١٤ |
| (١١) معجم الأدباء : ١١٩ / ١٩ | |

الشيخ ، فهو يكشف فيه عن علل القراءات وحججها ، تلك القراءات التي أوردتها في التبصرة مضارعا بذلك الحجة لأبي على الذي شرح فيه سبعة ابن مجاهد . وقد قال في صدر كتابه الكشف : « هذا كتاب فهم وعلم ودراية ، وكتاب التبصرة كتاب نقل ورواية (١) . تماماً على الذي كان في سبعة ابن مجاهد وحجة أبي على .

وثالثاً — إن عمل مكى في التبصرة والكشف مظهر من مظاهر التنافس العلى بين المشاركة والمغاربة في ذلك الزمان ، فإقامة الدرس حول الكشف بخاصة تتيح للباحث التعرف على أثر الحجة لأبي على ومداه ، كما يستطيع بهذه الدراسة أن يتعرف على نزعة مكى في الاحتجاج : أمن مدرسة الأثر هو؟ أم من مدرسة القياس والنظر؟ فيثبت بذلك قولة مكى عن كتاب الكشف أو ينفبها أو يقرها بمقدار .

ورابعاً — إن اختصار مكى كتاب الحجة يشير إلى تأثيره بأبي على على نحو من الانحاء .

وقد ذكر مكى نهجة في كتاب الكشف فقال : « وما أنذا حين أبداً بذلك أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف ، إذ ذاك منصوص في الكتاب الذى هذا شرحه ، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب . ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومن قرأ به ، وعله وحجة كل فريق ، ثم أذكر اختياري في كل حرف ، وأبنة على علة اختياري لذلك ، كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين (٢) .

وأرى مكياً قد وفى بهذا المنهج ، عقد أبواباً لعلل الاستعاذه (٣) . وعلل البسمة (٤) ، ثم عقد باباً لسورة الحمد (٥) . وهاء الكناية (٦) . والمد وعله وأصوله (٧) . واختلاف القراء في الهمز (٨) . وتحدث عن الوقف وعله (٩) . والروم والإشمام (١٠) . وأصول الادغام والإظهار (١١) . كما عقد باباً في جملة من مخارج الحروف (١٢) . وعلل الفتح والامالة (١٣) . وأحكام الرامات وعللها (١٤) كل ذلك على طريق السؤال والجواب : كان يقول : قال أبو محمد فإن سأل سائل

(١) الكشف لوحة رقم ٢... (٢) لوحة رقم ٢ (٣) لوحة ٢ (٤) لوحة ٤
 (٥) ٨ (٦) ١٤ (٧) ١٦ (A) ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤
 (٩) ٤٠ — ٥٤ (١٠) ٥٦ (١١) ٦٢ (١٢) ٦٤
 (١٣) ١٠ — ١١ (١٤) ١٠٢

عن كذا . . . فالجواب كذا . . . وأراه فصل بين هذه الأبواب وهي في علل
الأصول — بالباب الذي عقده في سورة الحمد ^(١) فذكر القراءات المختلفة فيها ،
وكان من حق هذا الباب أن يبدأ به حين يتحدث عن فرش الحروف الذي رتب
الكلام فيه على سور القرآن ^(٢) .

وهذه الأصول التي تحدث فيها ، ذكراً عللها بعض ما يفترق فيه عن أبي علي
ونصه على أنه سيذكر اختياره في كل حرف . . . أمر يتخالف فيه مع أبي علي ،
فلم ينص الشيخ في الحجة على اختياره ، وأرى مكياً قد تأثر في ذلك بالطبري ، ولعله
هو المشار إليه في قول مكى : كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين . . . ،
وفيما عدا ذلك يتأثر مكى بأبي علي تأثراً ظاهراً ، ويلتصق هذا التأثير لقاء مبكراً
يلتصق حين يحتاج للقراءات المختلفة في سورة الحمد بصدر كتابه الكشف :

ألقى مكى — بعد أن احتج للقراءتين مالك ومالك يوم الدين — السؤال الآتي :
فإن قيل : فما اختيارك في ذلك ؟ فالجواب أن القراءتين صحيحتان حسنتان ،
غير أن القراءة بغير ألف أقوى في نفسى لما ذكرته من الحجج في ذلك ، ولما فيه
من العموم ، تقول : كل ملك مالك ، ولا تقل : كل مالك ملك ، وإنما هو ذو
ملك لا غير فلك أعم في المدح ، وأيضاً : فإن أكثر القراء على ، ملك ، ومالك
أيضاً حسن قوى في الرواية وقد روى أبو هريرة أن النبي (ﷺ) كان يقرأ مالك
يوم الدين بألف ، وكذلك روت أم سلمة : ولما روى الزهري عن أنس أن النبي
وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزيبر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب
ومعاذ بن جبل ، كانوا يقرأون مالك بألف . وكذلك روى أبو هريرة والحسن
وابن مسعود وعلقمة والأسود وابن جبير وأبو رجاء والثقفى وابن سيرين
وأبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن يعمر وغيرهم . وأيضاً فإن مالكا بالالف هو
اختيار أبي حاتم وأبي الطاهر وغيرهما . ومالك بغير ألف أقوى في نفسى
لما ذكرت لك ^(٣) .

وذلك النص بعيد إلى الذهن ما حكاه أبو علي في الحجة عن ابن السراج من غير كبير اختلاف :

(أ) فكي يرجح قراءة ملك كما رجحها ابن السراج من قبل فيما حكاه أبو علي عنه .

(ب) وقول مكي : « تقول كل ملك مالك ، ولا تقل كل مالك ملك ، قالها قبله ابن السراج .

(ج) وقول : « أكثر قراءة العامة على ملك ، يقابل حكاية أبي علي : « القراءة بملك أعرض وأوسع ، .

(د) وقول مكي : « مالك حسن قوى في الرواية ، مأخوذ من قول ابن السراج معلقاً على المختار لملك :

« هذا الذي قلت حسن ، ولو لا هذا المعنى وما يؤيده ، ما جازت القراءة به (١) . »

أما ما زاده مكي فهو تلك الروايات المستندة إلى النبي ، والتي قرأ بها أئمة القراء وأود ألا يفهم من تردد اسم ابن السراج في النص السابق أن مكياً بعد عن التأثر بأبي علي بنظرة إلى ما قال ابن السراج . فكي متأثر في الجملة بأبي علي كما بينت ذلك من قبل ، ثم أن الذي حكى ما قال أبو بكر . هو أبو علي ، فصنعه هذا هو الذي مكن مكياً من تأثر ما ورد في الحجة لابن السراج . على أن لمكي نصوصاً صريحة تهدى المقابلة بينها وبين نصوص أبي علي إلى أن مكياً متأثر بالشيخ واعتمد عليه . فإذا قال أبو علي ؟ وماذا قال مكي ؟ .

قال أبو علي : « حجة من صرف سلاسل وقوارير (٢) . » في الوصل والوقف أمران :

أحدهما : أن أبا الحسن قال : « قد سمعنا من العرب من يصرف هذا ، ويصرف جميع ما لا ينصرف ، وقال هذا لغة الشعراء ، لأنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه ، فحرت ألسنتهم على ذلك ، واحتملوا ذلك في الشعر ، لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زيادة التنوين ، فلما دخل التنوين دخل الصرف .

(١) انظر الحجة ، ٤١١ من مراد ملا . (٢) سورة الدهر آية ٤٥ ، ١٥ ..

والأمر الآخر: أن هذه الجموع أشبهت الآحاد، لأنهم قد قالوا صواجات يوصف
فيما حكاه أبو الحسن وأبو عثمان، فلما جمعه جمع الآحاد المنصرفه جعلوه في حكمها
فصرفوها. قال أبو الحسن: « وكثير من العرب يقولون مواليات يريد الموالي،
وأنشد الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسى الأبصار
فهذا كأنه جمع نواكس (١).

هذا ما قاله أبو علي « فانظروا قول مكى: قوله « سلا سلا، قرأه نافع وأبو بكر
وهشام والكسائى بالتونين، وقرأ الباقون بغير تنوين... وحجة من نونه حمله
على لغة لبعض العرب، حكى الكسائى أن بعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف،
قال أبو محمد: وأكثر ما ينصرف هذا وشبهه في الشعر، فأما في الكلام فهو قليل
ومن صرفه في الكلام فحجته أنه لما رأى هذه الجموع تشبه الآحاد، لأنها تجمع
الآحاد قالوا: هؤلاء صواجات يوسف، حكاه الأخفش والمازنى، وجاء ذلك
في لفظ النبي (ﷺ) وفي حديثه وحكى الأخفش: مواليات يريدون جمع الموالي
وأنشد الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسى الأبصار

يريد نواكس فجمع الجمع بالياء والتونين، وحذف التون للاضافة، فلما أن
جمعوا هذا الجمع كما يجمع الواحد أجروه بجرى الواحد في الصرف والتنوين،
وقوى ذلك ثبات الألف فيه في الخط، ولأن الصرف والتنوين هو الأصل
في جميع الأسماء (٢).

وهذا النص صريح في اعتماد مكى على أبي علي، ونقله عنه لا يحتاج إلى دليل
ويبدو أن مكياً أراد أن يكون له شيء من الجهد، فلم يشأ أن ينقل من غير أن
يتصرف فجاء تصرفه في ذكر الأخفش والمازنى بلقيبيهما، على حين أن أبا علي
ذكرهما بكتيبيهما ١١، وفي اعتاده في الاحتجاج على رسم المصحف، وفي الإشارة إلى
الكسائى، وفي هذه الشروح التي علق بها على « نواكسى، في بيت الفرزدق.

وكل ذلك تصرف ساذج، لا يزال مكى - على الرغم منه - مطوياً يمين

الشيخ أبي علي ومن الغريب أن أبا علي يلتزم إسناد الأقوال إلى أصحابها ، ويحىء
مكى فيغفل ذلك ، بل ينسب بعض كلام الأئمة إليه هو فقوله قال أبو محمد : وأكثر
ما ينصرف هذا وشبهه في الشعر ، كلام أبي الحسن لا كلام أبي محمد !!

بعد هذا التأثر الواضح الذى هدتنى إليه المقابلة — رأيت مكيأ يومئذ إيماء خفياً
يوحى أنه تأثر بأبي علي تأثراً سلبياً ، بجانب هذا التأثر الإيجابي ، فيتجنب ما كان
من الشيخ من الإطالة والإملال والنقص ، وذلك حيث يقول في غاتمة الكشف
قد أتينا على شرطنا ، واختصرنا الكلام فى العلل غاية ما قدرنا من غير أن نكون
قد أدخلنا بعلة ، أو تركنا حجة مشهورة ، وأوجزنا العلل خوفاً للتطويل ، واختصرنا
ذكر قراءة التابعين ومن وافقهم لمن ذكرنا من القراء ، لئلا يطول الكتاب فيعجز
عن نسخه ، ويحدث الملل فى قراءته (١) .

وموقف مكي هنا يشبه موقف ابن جنى فى المحتسب الذى اختصره متحامياً
لغماض الشيخ فى كتابه الحججة وإطالته (٢) .

هذا ورأيت مكيأ ينزع منزع الكوفيين فى : (١) الاحتجاج برسم الصحف
فى كثرة ظاهرة (٣) . وفى (ب) ترجيح القراءات التى تنفق مع مذهبهم ، رجح
قراءة حاش الله بحذف الألف لأنها فعل ، وأيضاً لأن خط المصحف كذلك (٤) .
والكوفيون يقولون بفعلية حاشى (٥) .

واستناد مكي على الاسناد فى الاحتجاج (٦) وقوله برسم المصحف يجعله مع
السلفيين أهل النقل والأثر ولكنه ينجح أحياناً إلى تحكيم القياس النحوى ، كتضعيفه
وقراءة ابن عامر ، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (٧) ، وذكر
أن العطف فى قراءة حمزة والأرحام ، قبيح قليل فى الاستعمال بعيد فى القياس (٨) .
ومن عجب أن يقف مكي هذا الموقف ، ولا يدفع عن حمزة ، مع أنه يصفه بأن إمامته
ظاهرة وثيقة مشهورة وسنده مستقيم (٩) . وليس من تفسير لذلك إلا أنه أراد أن

(١) الكشف : ٤٩٣/٢ (٢) انظر المحتسب : ٢٣٦/١ ، ٢٨٨ .

(٣) انظر مثلا من الكشف اللوحات : ١٠ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٣٨٥ ، ٤٧٢ .

(٤) الكشف لوحة : ٣٠٤ .

(٥) انظر الانصاف المسألة : ٣٧ والموفى على النحو الكوفى : ٧٤-٧٥ وشرح الأشئونى

وحاشية الصبان : ٣١٤/٢ .

(٦) انظر احتجاجه لقراءة مالك بالف . (٧) الكشف ٢٥٤/١ .

(٨) انظر الكشف : ٢٠٦/١ . (٩) البصرة : ١١ .

يجعل الكشف كتاب فهم ودراية لجرى بذلك - إلى حد ما - وراه مقاييس
النحاة كأبي علي ومن لف لفه من أهل الرأي والقياس .
وبعد : فيجمل بي أن الخص مدى تأثير مكي بأبي علي :

كان مكي بتأليفه الكشف متأثراً في الجملة بصنيع أبي علي في الحجة ، ثم رأينا
مكياً يسلك مسلك أبي علي في الاحتجاج ، ويستغل ما حكاه الشيخ عن ابن السراج
ويذكر تعليله ، وينقل نصوصه ، ورأيناه بعد ذلك يتحامى ما كان من الشيخ من
الاطالة والاعراض ، ويمجى وراه بقدر - في تحكيم القياس .
كانت نزعة مكي السلفية فابعدته عن صاحبي ، علي أن مكياً في بعده يليس ثوباً
يشف ، ينبئك أن الكف آثاره من علم المشرق الشيخ أبي علي .
ولئن بدا أثر أبي علي عند مكي على هذا النحو إنه ليبدو جلياً عند رجل آخر
من رجالات أهل المغرب ، ذلكم أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) موضع الحديث فيما يأتي
في توضيح وتفصيل .

الفصل الثالث

تأثر الداني^(١) (٣٧١ هـ - ٤٤٤ هـ) في الموضح بابي على

(٢٨٦ هـ - ٣٧٧ هـ)

توفي أبو علي الفارسي وعثمان بن سعيد الداني لم يتجاوز السادسة من عمره ، ولكن الله يشاء أن يرث الداني بعض ما وهب أبو علي ، فيتأثر به ، وينهج نهجه ، ثم تكون له طريقته في تناول الدراسات القرآنية ، ويمثل مدرسة يقدرها القراء حق قدرها من الإجلال والتبجيل .

ولست أريد أن أتحدث عن شيوخ الداني الذين تأثر بهم بصفة عامة ، وما منهم إلا له مقام معلوم في التأليف والتمكن في العربية وعلوم القرآن^(٢) ، وفيهم حاله الذي ربطته به رحم العلم والقراءة المتقن العارف محمد بن يوسف مقرئ الناس بقرطبة ، والذي كان معه نصيب وافر من علم العربية وعلم الفرائض والحساب^(٣) . لست أريد أن أتحدث عن هؤلاء الذين أورثوا الداني ذلك العلم الباقي أثره ما حفظ الله القرآن على مر الزمان ، فذلك أمر ليس في الحساب الآن ، وإنما حسابه في ترجمة مفصلة للداني يتعرف فيها على بيئته التي تقلب فيها ، وشيوخه الذين أخذ عنهم ، وأثر ذلك وغيره في علم الداني واتجاهه ، وإنما أريد أن أتعرض لهؤلاء الشيوخ بما كان لهم من أثر عند الداني في نقطة واحدة ، هي موضوعي الذي أتناوله بالبحث والبيان : هل هناك صلة بين هؤلاء الشيوخ واتجاه أبي عمرو إلى التأليف في مذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة ، والاحتجاج لهم ، وهو ما تناوله كتابه المترجم « بالموضح » ؟

الجواب عن ذلك السؤال ميسور إذا عرفنا مذهب شيوخ الداني الذين أخذ عنهم وتلقى منهم : فظاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الحسن الحلبي كان شيخاً للداني ، وروى عنه الداني القراءات عرضاً وسماعاً^(٤) ، وقد صنف

(١) ذكر خطأ تاريخ الوفاة في دائرة المعارف الاسلامية مادة (الداني) ٣١٨ هـ

(٢) طبقات القراء ١ : أظن ص ٢١٥ ، ٢٧١ ، ٢ : ١٩٣ و ١٩٨

(٣) طبقات مقرء ٢ / ٢٨٧ (٤) طبقات القراء ١ / ٣٢٩

ابن غلبون فيما يقول أبو شامة مجلدة قصرها على حكم الامالة (١) ، كذلك كان شيوخ الداني ، خلف بن ابراهيم بن خاقان ، وعليه اعتمد الداني في قراءة ورش ، وقال عنه : كان ضابطاً لقراءة ورش متقناً لها (٢) .

ومن شيوخ الداني أيضا محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابراهيم أبو الحسن البغدادي ، وقد روى فيما يقول ابن الجزرى حرف نافع (٣) ، وقد كان ورش أحد رواته ، وله مذهب في الامالة ينفرده ، بل إن من الشيوخ الذين روى عنهم الداني الحسن بن سليمان بن الخير أبا علي الانطاكي النافعي (٤) ، ولعل النسبة في النافعي ، إلى نافع أحد القراء السبعة والذي روى عنه ورش ، الانطاكي على كل حال عرض على أبي بكر الأذفوي ، وقد كان الأذفوي منفرداً بالامالة في دهره في قراءة نافع رواية ورش (٥) ، والذي غلط مكيًا في كتاب الامالة ، فكتب مكي (٦) كتابه المسمى : الاتصاف في الرد على الأذفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الامالة ، وجعله في ثلاثة أجزاء (٧) .

أولئك شيوخ الداني ، وكلهم ضابط لقراءة نافع ورواية ورش ، وبعضهم ألف في الامالة وتصدى لكبار القراء في عصره بالتغليط والتفنيد . فليس عجيباً إذن أن ينهج الداني نهج أساتذته في الاهتمام بالامالة على وجه عام ، وليس عجيباً أيضا أن تقرأ عن الداني أنه ألف فيما ألف كتباً تتصل من قريب بهذا الموضوع . فله ابحار البيان في قراءة ورش ، وكتاب التلخيص في قراءة ورش ، وكتاب التمييز لاختلاف قراءة نافع ، وكتاب الامالات ، وكتاب الرامات لورش ، وكتاب الامالة (٨) ، وكتاب التعريف في القراءات الشواذ ، وهي رسالة في مختلف القراءات التي اختلف فيها تلاميذ نافع : اسحق بن محمد ، واسماعيل بن جعفر ، وعيسى بن موسى ، وعثمان بن سعيد المعروف بورش (٩) .

هذا مبلغ العلم بما ألف الداني فيما يتصل نصاً بالامالة أو يتعلق بها تعلقاً قريباً ،

(١) ابراز الماني لأبي شامة ١٥٢ (٢) طبقات القراء ١ / ٢٧١
(٣) طبقات القراء ٢ / ١٩٣ (٤) المصدر السابق ١ / ٢١٥ (٥) طبقات القراء ٢ / ١٩٨
(٦) هو مكي بن أبي طالب حموش القيسيت ٤٣٧ (صاحب الكشف عن علل القراءات وحججها والتبصرة والابانة وغيرها . (٧) معجم الأدباء ١٩ / ١٧٠ (٨) طبقات القراء ١ / ٥٠٠
(٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة الداني

ولإذ كان قد أحصى ما ينيف على مائة تصنيف له في أرجوزة من نظمه (١) وأنه كما
كما يقول المقرئ له مائة وعشرون مصنفًا (٢) ، ولم تعرف إلا بعضًا منها ، فمن المحتمل
جدًا وقد عرفنا اهتمامه بقراءة ورش - سمي - أن يكون بعض هذا المجهول
من كتبه كان في الامالة من قريب أو بعيد ، وإن كنت لا أقطع في ذلك بوجه
من اليقين .

ولم يذكر ابن الجزرى فيما ذكر من كتب الداني ، الموضوع لمذاهب القراء
واختلافهم في الفتح والامالة (٣) ، ، وإنما الذى ذكر كتاب الامالات . فهل هذه
كتب ثلاثة للداني في الامالة : الموضوع ، - موضوع الحديث - والامالة ، والامالات ؟
أو أنها كتاب واحد أخذ هذه الأسماء ، لكن ينفي الاحتمال الآخر أن ابن الجزرى
ذكر الكتابين فقال : وله الامالات في مجلد ، ثم ذكر الكتاب الآخر بقوله :
والامالة في مجلد ، وليس بين النص على الكتاب الأول والكتاب الآخر
إلا سطر واحد فقط ، وذلك ينفي جانب السهو والنسيان بالسكرار عند ابن الجزرى ،
كما يقوى أن كلا منهما : الامالة والامالات كتاب مستقل عن الآخر ، أنا أرجح
أن أحدهما تعرض للامالة على صورته مختصرة خالية من العلل والاحتجاج ، وجاء
الآخر شارحاً للأول ذاكراً للعلل والأسباب والاحتجاج لمذاهب القراء ، أقول
بذلك ، لأن هذا جرى عليه بعض العلماء القراء الذين عاصروهم الداني : فهذا مكى
بؤلف التبصرة ، وقد أخلاها كما يقول - من كثرة العلل ، وجعله مجرداً من
الحجة (٤) ، ثم ألف كتاب الكشف عن وجوه ما ذكره في كتاب التبصرة من
القراءات والأصول (٥) .

ولعل الكتاب الذى تعرض للامالات في صورة مفصلة هو الموضوع الذى بين
أيدينا الآن ، ومن الغريب عدم ذكر ابن الجزرى له - كما بينت - مع أنه قد
اعتمد عليه في مواضع متعددة في كتابه ، والنشر في القراءات العشر (٦) . وقد قابلت

(١) المصدر السابق

(٢) نفع الطيب ١ / ٣٨٦

(٣) انظر طبقات القراء ١ / ٥٠٥ (٤) التبصرة مصور مدار الكتب ص ٣

(٥) المصدر السابق ص ٣٠١ والكتاب رقم ٢٠١٠٣ (٦) انظر مثلاً النشر ٢ / ٣٠ و ٣٥

بين نصين أوردهما ابن الجزرى فى النشر أحدهما ذكر أنه مأخوذ من الموضح ،
والآخر مأخوذ من كتاب الامالة للدانى ، فوجدت أن النص الاول (١) يتفق مع
ما هو موجود فى الموضح (٢) الذى بين أيدينا فى لفظه ومعناه وترتيبه والنص
الآخر (٣) المأخوذ من الامالة لا يتفق هو وما ورد فى الموضح (٤) إلا فى المعنى
فقط ومع غير ترتيب .

وبما يرجح ما اتجهت اليه من تأويل : أن للدانى كتابا اسما جامع البيان ،
عقد به فصلا للامالة ، سار فيه على نهج كتاب الموضح ، وأخلاه من الاحتجاج
وذكر العلل والأسباب ، وفى مواضع قليلة يذكر الاسناد (٥) — والاسناد ظاهرة
فاشية فى الموضح كما سيرد بعد حين — وأحيانا يذكر المروى من غير اسناد (٦)
كما فى امالة ما زكى ، فقد قال : وقد رويت امالته عن أبى (كذا) عن عاصم
والصحيح عن أبى بكر عن عاصم ، وآخر الكلام على مذاهبهم فى فواتح السور
إلى مواضعها (٧) ، تماما على الذى سار عليه فى كتاب الموضح على خلوه من الاحتجاج
والاسناد .

وقد رسم أبو عمرو الدانى منهجه فى كتاب الموضح (٨) فى مطلعته حيث يقول :
هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله تعالى مذاهب القراء السبعة (رحمهم الله) فى الفتح
والامالة فى الاسماء والأفعال وغيرهما مما جاء الاختلاف فيه عنهم من الطرق
المعروفة عند العلماء ، والروايات المشهورة عند أهل الأداء ، وأبين ذلك بمعانيه ،
وأشرحه بوجوهه ، وأدل على جليته ، وأنبه على خفيه ، أرسمه أبوأباً ، وأرتبه فصولا ،
وأحصر جميع الوارد فى كتاب الله تعالى من كل باب وفصل ، وآتى به مفرقا حرفا
حرفا ، وأصل ذلك بالاختلاف فيه ، مع تلخيص ما ينطوى عليه من المعانى والوجوه
والعلل والأسباب من قول الأكاير من القراء والمقرئين ، والرؤساء من أهل اللغة
والنحويين ، من غير استغراق ولا إطباب ، ولا اطالة ولا اكثار ، لكى يعم نفعه
الطالبين ، ويقرب فائدته على الملتهمين (٩) .

(١) ينظر النشر ٣٠/٢	(٢) ينظر الموضح ص ٣
(٣) انظر النشر ٨٩/٢	(٤) انظر الموضح ٣٢٩
(٥) ورقة ١٤٠ ب	(٦) انظر ورقة ١٣١
(٧) ورقة ١٤٤	(٨) للكتاب نسختان فى المكتبة الازهرية رقم ١٠٣ رقم ٥٤
٥٩٨٠	(٩) ص ٢ وما بعدها

هذا هو المنهج الذي رسم ، وسأعرض هذا المنهج عرضاً سريعاً ، ذاكراً
الخطوط العريضة ورموس المسائل ، حتى ألم بالكتاب إلماماً خاطفاً ، وأعرض
لما بينه وبين أبي علي من فروق بالتفصيل معلوماً لوقف كل من الشيخين في كل تخالف .
وأسارع فأذكر أن الداني وفي ما رسم ، فقد ذكر بعد الافتتاح القول في الفتح
والامالة ، وتحدث عن الأسباب الجالبة لها ، وبين ما يمال وما لا يمال بأصوله
وفروعه ، ثم ذكر ما أمالته القراء من الأفعال الثلاثية التي من ذوات الواو ، ثم
بوب الألفاظ الممالة أبواباً ، وجعلها أسماء وأفعالا وحروفاً ، وجعل لكل من هذه
الأبواب أقساماً . ولكل قسم وزنه الصرفي ، وأحصى فيه جميع ما ورد من القرآن
الكريم من هذا الوزن وعده عدداً . وبدأ بالأسماء فذكر جميع ما اختلفت القراء فيه
بالفتح والامالة منها بكل ما يحتاج إليه من العلل والمعاني ، وذكر تحت هذا ما جاء
الاختلاف فيه من الأسماء التي الراء في آخرها مجرورة وقبلها ألف زائدة أو مبدلة
وجعل ذلك عشرة أقسام :

القسم الأول : ما ورد في كتاب الله تعالى من الأسماء التي الراء في آخرها مجرورة
وقبلها ألف . وهذا القسم على وزن أفعال ، وجميع الوارد من ذلك ؛ ؛ موضعاً
في القرآن الكريم ، عينا ، وسمى السور الواردة فيها .
وبمثل هذا ينتقل إلى القسم الثاني ، والأقسام التي تليه : ما ورد في كتاب الله
تعالى على وزن فَعَالٍ ويحصىه ، وكذلك فِعَالٍ ، وفُعَالٍ ، وفَعَّالٍ ، وفِعَّالٍ ،
وفِعْلَالٍ ، ومفعالٍ ، وأفعالٍ تراه يذكر في كل قسم من هذه الأقسام ألفاظه
الواردة في كتاب الله وسورها واختلاف القراء في فتحها وفي أمالتها ، وعلة من فتح ،
وعلة من أمال ، موثقا هذه المذاهب المختلفة بالاسانيد المتصلة من شيوخه .

ثم يعقد باباً آخر يذكر فيه الأسماء التي تلي الكسرات ألقاها ، وقد قسم هذا
الباب اثني عشر قسماً ، وينتقل إلى باب الأسماء التي الألفات في أواخرها علامات
لتأنيثها وجعله خمسة أقسام . ثم باب الأسماء التي الألفات فيها منقلبات عن ياء أو واو
وقسمه أحد عشر قسماً . ثم عقد فصلاً مستقلاً ذكر فيه اختلاف القراء في «ياويلتي»
(في المائة وهود والفرقان) ويا حسرتي في الزمر ، ويا أسنى في يوسف (١١) .

وهنا ينتقل إلى ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة من الأفعال فيبدأ أولاً بذكر الأفعال الماضية، وقدم منها ما اعتلت عينه وصحت لامه، ثم ما اعتلت لامه وصحت عينه، وجعل جميع ذلك أحد عشر قسماً، ذكر كل قسم بوزنه ومثاله في باب مفرد مع ذكر اختلافه وشرح علله. ثم انتقل إلى ذكر ما ورد في كتاب الله تعالى من الأفعال المستقبلية التي في أوائلها الزوائد الأربع د الياء والتاء والنون والهمزة، وقسمه عشرة أقسام، وعقد باباً لما جاء من الأفعال المستقبلية على وزن: د يفاعلون، وفعال، وفاعلوا د بالياء والنون وضئهما وكسر العين وهي راه. وبعد أن استوفى الكلام عن هذه الأقسام قال: «فهذا جميع المختلف فيه بالفتح والامالة من الأفعال الماضية والمستقبلية»، قد ذكرناه بعلمه ووجوهه على طريق الاختصار، وليخف مأخذه، ويسهل حفظه، وأنا متبع ذلك ما بقي من أبواب الامالة، فيكون كتابنا جامعاً لهذا الباب، ومفرداً بهذا الفن، محيطاً بجلبه ومشهوره، محتويّاً على خفيه ونادره، فلا يحتاج لغيره من كتب القراء والمقرئين، وأهل اللغة والنحويين إن شاء الله تعالى (١).

وهكذا نراه يرسم المنهج في ذلك الجزء الباقي من الكتاب، وهو منهج يختلف في جوهره وفيما تناول من مسائل عن منهج أبي علي، تلك المسائل التي تناولها بعد أبواب الأفعال حيث انتقل إلى الحروف، فذكر ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة في حروف التهجى الواقعة في فواتح السور، وقد أفاض في ذلك افاضة كافية (٢). وفي أعقاب ذلك جمع مفردات بعض الرواة عن القراء وأهل الأداء، وجعل لكل راو باباً خاصاً، وذلك قوله: «وقد بقي من الامالة أصول مطردة وحروف متفرقة، انفرد بها بعض الرواة عن القراء وأهل الأداء بغيرها، وأنا أفرد لكل راو باباً أجمع فيه ما انفرد بروايته من ذلك عن الامام الذي روى عنه على حسب روايتي وقرايتي إن شاء الله (٣). وقد جعل هذا في الأبواب الآتية:

١ — ما روى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم من الامالة سوى ما تقدم في تضاعيف الأبواب السابقة (٤).

ب — ما روى نصير عن الكسائي (٥).

(٢) (من ص ٢٤٨ — ٢٦٥) (٣) ص ٢٦٥

(٥) ٢٦٩

(١) ص ٢٤٨

(٤) ص ٢٦٥

- ج — ما رواه قتيبة بن مهران عن الكسائي من الامالة فيما انفرد به عنه (١) .
د — مذاهب القراء في الوقف على المال (٢) .
هـ — مذاهبهم في الوقف على هاء التأنيث (٣) .
و — حكم الوقف على الرايات المتطرفة (٤) .

وقد استوعب في كل قسم من الأقسام التي أوردتها تحت الأبواب المختلفة الأسماء والأفعال والحروف — البيان عما التزمه من العناصر المختلفة : وزنا ، واحصاء ، وتوثيقا ، وتعليلًا ، وتعيينًا لقراءته ، ولم أره تخلى عن الاحصاء إلا في موضعين اثنين . ما جاء من لفظ الكافرين وكافرين بألف ولام وبغيرهما إذا كانا في موضع نصب أو خفض (٥) ، وإلا فيما جاء من لفظ الناس مجروراً (٦) وقد نبه هو على ذلك بقوله : وهو كثير الدور ، ومعرفته لا تشكل ، فلذلك تركنا احصاء جميع الوارد منه .

كما أراه فرق الكلام على ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة من الأفعال ، فحشر ما أمالته القراء من الأفعال الثلاثية التي من ذوات الواو في غير موضعه من الترتيب الذي التزمه .

وغير خاف أن استقلال أبي عمرو الداني بتأليف كتاب في الامالة ، وما اجتمع لديه من روايات مختلفة لمذاهب القراء ، وما اشتهر به من تعرف على الأسانيد ، ورفعها إلى القراء الأئمة الأولين — كل ذلك بعض ما جعله ينهج هذا المنهج الذي عرضت ، وما كان الفارسي متجها إلى شيء من ذلك في كتاب الحجة ، فطبيعة العمل الذي تولاه كل من الشيخين هي التي أبرزت الاختلاف بين النهجين .

وقد كنت أتمنى أن لو كان الداني يوب كتابه تبويبا ييسر التعرف على حكم الكلمات في سورة من سور القرآن الكريم من حيث الفتح والامالة ومن أمالها ومن القراء ، فما أشبه الموضح في تبويبه بتاريخ الطبري في ترتيبه ، فلو أننا أردنا التعرف على تاريخ خليفة من الخلفاء من تاريخ الطبري لاستلزم ذلك قراءة سنوات متعددة نظفز في كل سنة بنجر ، كذلك الشأن مع الموضح : لو أردنا التعرف

(١) ص ٢٧٨
(٢) (٣) ٣١٥
(٦) المصدر السابق

(٢) ٢٨٩
(٥) ورقة ٣٢

(٤) ٣٥٩

على الممال مثلا في كلمات السورة الشريفة ، والشمس وضحاها ، ومذاهب القراء
في فتحها وإمالتها ، والحجج التي أوردتها الداني في ذلك لتوزع الجهد في أبواب
متعددة من الكتاب . ويظهر أن ابن القاصح (٨٠١ هـ) برم بهذا المنهج فكتب
« قررة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين » ، ورتب الكلام في ذلك على حسب
السور وترتيبها في القرآن الكريم ، وجعله كما يقول : لاختوانه المشتغلين بعلم القراءات
ليستعينوا بمطالعتها على نقل الروايات (١) .

وشيء آخر يلحظ على منهج الداني : هو أن إدارة الكتاب على الأوزان جعله
يدخل كلمات في غير أوزانها مثال ذلك :

(هار) فقد وضعها تحت ما ورد في كتاب الله تعالى على وزن فعل ، واضطر
إلى أن ينبه عليها بعد الانتهاء من ذلك القسم (٢) .
وانتقل بعد التعريف بكتاب الموضح الآن إلى الحديث عن مظاهر تأثر الداني
بأبي علي :

* * *

مظاهر تأثر أبي عمرو الداني بأبي علي الفارسي

يبعث على القول بتأثر الداني بأبي علي الفارسي أمور: فالرحلات كانت متبادلة بين
المشاركة والمغاربة طالبين للعلم ، ومتجرين ، وحجاجاً إلى بيت الله الحرام ،
وملتسقين الشفاعة بزيارة قبر الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وقد عقد صاحب
نفع الطيب بابا عرف فيه ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق ،
عد منهم محمد بن خيرون (٣) ، وهو أستاذ الداني (٤) ، كما كان منهم الداني
نفسه (٥) .

هذا إلى ما كان من التنافس العلمي بين هؤلاء وهؤلاء ، على ما هو معروف
متعام بين العلماء والأدباء ، وشيء آخر يؤكد هذا التأثير: ذلك أستاذ الداني « طاهر بن
غلبون المصرى النحوى (٦) » ، الذى كتب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ)

(٢) ص ٤٦ وما بعدها
(٤) طبقات القراء ٢١٧/٢
(٦) طبقات القراء ٣٣٩/١

(١) مخطوط برقم ٧٧ دار الكتب
(٣) نفع الطيب ٣٥٣/١
(٥) قح الطيب ٢٨٦/١

بخطه ، فقد وجدت بظاهر نسخة (مراد ملا) ما نصه : « هذا الكتاب وهو الحجة لأبي على الفارسي في أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصرى النحوى ، وكان هذا الرجل خبيراً بالقراءات وبالعرية ، ويدرى ما يكتبه ^(١) » ، وقد قرأ ابن غلبون بالبصرة ^(٢) ، قريباً من مقام أبي على ، ولابن غلبون تعليقات على هوامش النسخة المذكورة في صورة عناوين جانبية تدل على أنه كان يدري ما يكتبه حقاً ^(٣) ، بل له كذلك تصويبات يصحح بها ما أود الفارسي عن ابن مجاهد ^(٤) .

وقد تعرض الفارسي لاختلاف القراء في الامالة جملة ، واحتج لهم في موضعين من الجزء الأول ^(٥) ، فلعل ذلك وجه نظر ابن غلبون إلى التأليف في الامالة ، فقد صنف فيما يقول أبو شامة مجلدة قصرها على حكم الامالة ^(٦) ، ثم تلا عمل ابن غلبون احتجاج الداني للامالة في كتابه الموضوع متأثراً بشيخه ودراساته التي اتصل فيها بأبي على الفارسي ، هذه أدلة عامة لتأثر الداني بأبي على ، وللتعرف على أوجه تأثره تأثراً خاصاً أسوق ما يأتي من مقارنات :

أولاً — قال أبو عمرو في الاحتجاج لامالة الكسائي «حتى» ^(٧) :

فأما قوله «حتى» في جميع القرآن فيأني قرأته في مذهبه بالامالة — يقصد رواية نصير على شيخه أبي الفتح — وكذلك رويته عنه ، ونص عليه ، و..... — بالامالة في كتابه الذي جمع فيه حروف الكسائي ، وله في امالته حجتان : احدهما أن الالف فيها لما وقعت رابعة وهو موضع يختص بالياء أمالها . ألا ترى أن كل ألف وقعت رابعة فصاعداً من أى جنس كانت فإن الامالة تجوز فيها ، وتكتب بالياء ، فلذلك أمالها على التشبيه بما قد أميلت ألفه الواقعة في هذا الموضوع من الاسماء والأفعال ، ومن أجل ذلك كتبت بالياء أيضاً .

والحجة الثانية . أنه شبهها بألف شتى ، من حيث كانت آخر الكلمة ، ولم تكن بدلا من ياء فلذلك أميلت ، وكتبت بالياء كما أميلت ألف شتى ، وكتبت بالياء على

(١) انظر ظاهر النسخة ص ١

(٢) أنظر مثلا هذه العناوين في ص ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٢ مراد ملا

(٣) أنظر الحجة نسخة مراد ملا ١١٨/١ (٥) ص ٢٦٢ و ٢٧٦ و ٢٨٤ - ٢٩٠

(٦) ابراز الماني ١٥٢ (٨) ص ٢٧٤ - ٢٧٨

التشبيه بألف هذا الاسم المقصور؛ ألا ترى أن من كلامهم أن يحملوا الشيء على حكم الشيء إذا أشبه في بعض معانيه ووجوهه؟

ولعلك تلاحظ معي كيف ظهر روح القياس عند الداني متأثراً بطريقة أبي علي في الاحتجاج: فأملت حتى على التشبيه بما قد أميلت ألفه الواقعة رابعة؟ وكتبت بالياء كما كتبت هذا الجنس أيضاً.

ثانياً - وشبهت حتى بألف شتى من حيث كانت آخر الكلمة ولم تكن بدلا من ياء... ثم اقرأ الاعتراض وردده فيما يأتي، وفيه دليل على تأثره بأبي علي من حيث فهمه أسلوب سيويوه في الكتاب كما رأينا من أبي علي قبل (١).

فإن قال قائل: إن سيويوه قد منع من إمالتها: أي حتى: وحكى الفتح فيها فقال: «وما يميلون^(٢) ألفه حتى، وإما، وإلا، فرقوا بينهما وبين ألفات الأسماء نحو حبل وعطشى. قيل هذا لا يلزم من ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن الكسائي قد ثبتت إمامته، واشتهرت عدالته، وقد حكي الامالة فيها كما رواه نصير عنه، وهو من الثقة والضبط بمنزلة لا يحملها أحد من علماء النقل للقراءة وغيرهم، وكذا سيويوه قد اشتهرت عدالته وانتشرت إمامته في علم صناعته. وإذا كان كذلك صح أن الذي رواه جميعاً فيها صحيح، وكذلك قرأهما الكسائي، وجمعهما في حرفه أعنى الفتح والامالة للدلالة على صحتهما.

والثاني: أن قول سيويوه هذا يحتمل التأويل، وجائز أن يكون أراد بقوله وما لا يميلون ألفه حتى أي في حال الكثرة، لأنه قد يستعمل مثل هذا في كتابه كثيراً، من ذلك قوله: «ولا يميلون فراشاً، يريد لا يميله الأكثر منهم، لأنه قد ذكر يعد ذلك امالته فقال: وقالوا: «هذا فراش...» يعني بمالاً من أجل كسر أوله.

وكذا قال في باب الهمزة: «وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فيكون فيهما جميعاً التحقيق» يعني في حال الكثرة، لأنه قد ذكر بعد ذلك عند ذكره مذهب ابن أبي اسحق في الجمع بين الهمزتين فقال: «وقد تكلم ببعض ذلك العرب».

(١) انظر الفصل المعنود لذلك. (٢) (كذا) والتصحيح وما لا يميلون بدليل السياق وما ورد في الكتاب انظر ج ٢

وإذا حتمل كلامه ما ذكرناه لم يجوز أن يعترض به على رواية الكسائي وسماعه ،
إذ قوله لا يخالف ذلك على ما بيناه .

تعليق : ومن هذا الأسلوب في التدليل والاحتجاج أشم ربح المنطق عند الداني ،
سالكاً في ذلك مسلك أبي علي ، إلى ما يدل عليه أنه يفهم أسلوب سيبويه في تعبيراته
التي أورد في الكتاب إلى جانب تقديره لسيبويه التقدير العظيم ، وذلك من المظاهر
البادية عند أبي علي .

والثالث : وفي هذا الوجه يقول بالاولى والأجدر كما يقول أبو علي :

أنه يجوز أن سيبويه لم تصل إليه الإمالة في « حتى » ولم يسمعها ، فلذلك لم
يذكرها إذ لا يجوز له أن يذكر عنهم إلا ما قد سمعه منهم أو وصل إليه من الثقات
عنهم ، ووصل ذلك إلى الكسائي وسمعه ممن تقوم عنده الحجة به من القراء والعرب
فلذلك قرأ به . وإذا كان ذلك كانت الحجة بقول الكسائي دون قول سيبويه ،
وذلك أن الكسائي مثبت للإمالة ، لأنه علمها وسمعها ، وسيبويه لم يعلمها ، ولم يسمعها ،
على أن سيبويه قد صار إلى نحو ما احتججنا به للكسائي في إمالة « حتى » ، وذلك
أنه قال : « وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة بما ذكرنا فيما مضى ، وذلك
قليل : سمعنا بعضهم يقول : « طلبنا ، وطلبنا زيد كأنه شبه هذه الألف بألف جبلي
حيث كانت آخر الكلام ولم يكن بدلاً من ياء » . قال أبو عمرو : « فإذا كانوا قد
أمالوا ألف طلبنا وطلبنا زيد لما ذكره من شبهها بألف جبلي من حيث وقعت
طرفاً كشتى لا غير ، وليس طلبنا ولا طلبنا على وزن جبلي ، ولا مماثلها في الحركة
والسكون — كانت أمالهم ألف « حتى » ، للتشبيه بألف شتى أولى وأحق ، لأن حتى
على وزن شتى ومماثلة لها في الحركة والسكون فدل على صحة ما قلناه . »
وبالله التوفيق (١) .

وأراه فوق القول بالاولى واللاحق — كما يقول أبو علي (٢) — — ينهج نهجه
في التدليل بالمنطق (٣) . الذي تسلك المقدمات فيه إلى نتائج تبني عليها الأحكام .

(١) الموضح ص ٢٧٨

(٢) يرتقي أبو علي في التعليل إلى القول بالاولى إذا أراد أن يحتاج للإمالة أو عدمها : فقد
يميل العرب كلمة لم تجتمع فيها من أسباب الإمالة ما اجتمع في الكلمة التي يعترض أبو علي
لتعليل أمالتها ، ثم يرفق من ذلك إلى أن الإمالة أولى في اللفظ القرآني الذي هو بصدد التعليل
لأهائه . . . وكذلك يفعل في التعليل لعدم الإمالة

(٣) انظر الحجة ١/٣٥١ ، ٣٦١ نسخة البلدية

ثالثاً — أورد أبو علي : اختلفوا في قوله (عز وجل) « في طغيانهم ، وفي آذانهم » : قال أبو عمر الدورى ونصير بن يوسف النحوى : « كان الكسائى يميل الألف في طغيانهم وآذانهم » ، وقال غيرهما : « كان يفتح » ، وقال أبو الحرث الليث بن خالد وغيره : كان الكسائى لا يميل هذا وأشباهه ، والباقون يفتحون . قال أبو علي : (الطغيان مصدر طغا كالكفران والعدوان والرضوان ، قال أبو علي : « وحكى أبو الحسن طغا يطغو ، وقالوا يطغا (كذا) في المضارع وفي التنزيل : « ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي »^(١) ، فألف طغا تكون منقلبة من الياء فن قال طغيت ، وعن الواو فيمن قال طغوت وقالوا تطغا (كذا) كما قالوا صفوت تصنى ، ومحوت تمحافتحت العين في المضارع للحلقى ، وحكى بعضهم : « طغيت تطغا ، فتطغا على هذا مثل تفرق لأمثل تصغى ويجوز على هذا أن تكسر حرف المضارعة منه فتقول تطغا ، وإن جعلته مضارع طغوت أو طغيت لم يحز ذلك فيه . فأما قوله « فأهلكوا بالطاغية فيحتمل ضربين :

أحدهما : أن يكون مصدراً كالعافية والعاقبة أى بطغيانهم .

والآخر : أن يكون صفة كأنه بالريح الطاغية .

وقوله : كذبت ثمود بطغواها فالواو مبدوله من الياء ، لأنه اسم مثل التقوى والدعوى والبغوى لأن اللغة التنزيل (كذا) — وأحسبها لغة التنزيل — الياء بدلالة الطغيان المذكور فيه في مواضع فأما لا تطغوا فلا دلالة فيها على الياء والواو . وإن جعلت طغوى من لغة من قال طغوت كان الواو فيها من نفس الكلمة كالدعوى والعدوى ، وحجة من أمال الطغيان هى أن الألف قد اكتنفها شيطان كل واحد منهما يجلب الإمالة وهما الياء التى قبلها ، والكسرة التى بعدها ، فإذا كان كل واحد منهما على انفراده يوجب الإمالة فى نحو السيال والضياح ومررت ببابه وبادره فإذا اجتمعا كانا أوجب للإمالة .

فان قلت : « إن أول الكلمة حرف مستعل مضموم ، وكل واحد من المستعل والضم يمنع الإمالة فهلا منعها هنا أيضاً ؟

فالجواب : أن المستعل لما جاءت الياء بعده ، وتراخى عن الألف بحرفين لم يمنع الإمالة . ألا ترى أن قوماً أمالوا نحو المناشط لتراخى المستعل عن الألف مع أن المستعل بعد الألف ، فإذا تراخى فى طغيان عنها بحرفين من أنه قبل الألف

كان أجدر بالامالة، ألا ترى أنهم قد أمالوا نحو ضعاف وقباب، ولم يميلوا نحو
مراض وقراض لما كان المستعلى متأخراً عن الألف؟ وقالوا: بقادر وبطارد لما
تقدم المستعلى الألف، ولم يميلوا فارق وفارض.

وأما في آذانهم فجازت فيها الامالة كما جازت في قوله مررت ببابه لمكان كسرة
الاعراب، وهي فيه حسنة جائزة، والامالة في طغيانهم أحسن^(١).

هذا ما قال أبو علي في امالة « في طغيانهم »، « وفي آذانهم »، فهل نظر إليه الداني
حين احتج في الموضع هذين الحرفين؟ وهل تأثر به فظهرت سمات احتجاج أبي علي
عنده؟ إليك نص أبي عمرو في ذلك، لترى مدى التوافق والتخالف بين الشيخين:
قال: باب ذكر القسم الثاني: وهو ما ورد في كتاب الله تعالى على وزن فعلان،

بضم الفاء ولام الفعل نون أيضاً: اعلم أن جميع الوارد من ذلك خمسة مواضع وهي
بلفظ واحد في البقرة، والأنعام، والأعراف، ويونس، والمؤمنين، في طغيانهم قرأ
هذه المواضع بالإمالة الكسائي أيضاً في غير رواية أبي الحرث وأبي موسى وأخلص
الباقون فتحها: فأما قوله طغياناً فكأهم أخلص فتحه لكونه منصوباً إلا مارواه
أحمد بن جبير عن الكسائي أنه أماله لأجل الياء، لم يرو ذلك عنه أحد غيره،
ولا عمل على ما رواه ولا أحد بما أذاه.

فعلة من أمالها: أن الطغيان مصدر طغى يغطي الذي هو من الياء بدليل ظهوره
في قولهم طغيت جاء فعلان كالغفران والكفران، ومعناه العتو والتكبر، ومنه
قوله تعالى: « إنا طغى الماء » أى علا.

وأما ما كانت الألف فيه زائدة فيها، وقد اكتنفته من قبلها ومن بعدها أمران
كل واحد منهما يجلب الإمالة ويحسنها وهما الياء التي قبلها والكسرة التي بعدها،
ألا ترى أنهم يقولون هذا شيبان وغيلان والسيال والضياح فيميلون الألف للياء
التي قبلها، ويقولون مررت ببابه وبادره فيميلون الألف للكسرة التي بعدها حكى
ذلك سيبويه عنهم. فإذا كان كل واحد من هذين يجلب الإمالة ويحسنها على
الانفراد كانا إذا اجتمعتا لا شك أولى. فلهذا أمال ذلك الكسائي، ولم يراع
الحرفين اللذين قبلهما وهما الطاء والغين وإن كان الأول منهما مضموماً لامرين:
أحدهما: بعدهما عن الألف لحيء الياء بينها وبينها.

(١) ورقة ٢٥٥ وما بعدها نسخة مراد ملا

والآخر : أنه منحدر عن المستعلى بالإمالة ، والانحدار بعد الإصعاد لا يثقل كما قدمناه بل يخف .

ألا ترى أن سيبويه حكى عن قوم العرب أنهم أمالوا المناشط ، لبعده الطاء عن الألف ، فإذا جازت الإمالة هنا مع كون المستعلى متأخرا وهو متصعد إليه بعد الانحدار بالإمالة ، والتصعد بعد الانحدار ثقيل كان جوازها في طغيانهم أخرى ، لأن المستعلى فيه متقدم ، وهو منحدر عنه بالإمالة ، والانحدار بعد التصعد خفيف (١) .

... وعلّة من أمال في آذاننا ... أنه نحا بالألف نحو الياء من أهل الكسرة التي بعدها ، ليتجانس الصوت بهما في السمع ، ويخف على النطق ، لكونه من وجه واحد (٢) .

أرأيت كيف قدم الداني الأصل اللغوي في الاحتجاج لمن أمال د بي طغيانهم ، كما قدم أبو علي د ثم أرأيت كيف قايس كما قايس أبو علي بين الطغيان والغفران والكفران مستعملا ألفاظه ؟ ثم أرأيت كيف سلك مسلكه في التعليل جملة ، ثم كيف قال بالاولى كما قال أبو علي ؟ ثم أرأيته كيف أورد الاعتراض ورد . وأجاب عنه في قوله : فلماذا أمال الكسائي ولم يراع الحرفين اللذين قبلهما ... كما فعل أبو علي ومستغلا الداني كلام الفارسي في قوله : فان قلت ... فالقول ... ؟

واقراراً للحق ، وانصافاً لسيبويه أقول أن أبا علي ينظر في احتجاجة إلى ما أورد سيبويه في باب الإمالة من كتابه ، ولكن أبا علي صادف بعض النقط هي بصناعة القراء أشبه وبمذاهبهم أشد وألصق ، فلم يتعرض من أجل ذلك — لها ولما يشبهها سيبويه في الكتاب ، مثل : درجات الإمالة ما بين متوسطة وشديدة . وتفصيل القراء ومذاهبهم في الممال من مثل :

(١) قراءة أبي عمرو رموس الآي بين الكسر والفتح من سورة طه ، والنجم ، وعيس ، والضحي ، والليل والشمس .

(٢) إمالة عاصم في رواية أبي بكر الراية والهمزة في رأى ، وفتح الهمزة وإماله الراية إذا سقطت الألف لساكن .

(١) حذفنا هنا الأساسيد والاحصاء الوارد في كتاب الله تعالى والأوزان .

(٢) ص ٥٦ وما بعدها من الموضح .

فاستقل أبو علي بالاحتجاج لهذا وأشباهه^(١) من مذاهب القراء غير ناظر إلى سيويوه إلا مقاييساً على ما أورد في مهارة عجيبة، وجاء الدني جري وراء أبو علي وسلك مسلكه في التعليل، ووجد الطريق معبدة أمامه. عيدها أبو علي باحتجاجه لما هو الصق بمذاهب القراء، ولما هو أشبه بصناعتهم، فكان من أجل ذلك متأثراً به إلى مدى بعيد . . .

فن مسائل الإمامة التي كانت بصناعة القراء أشبه — ولم يتعرض لها سيويوه في الكتاب^(٢) — وتعرض لها أبو علي وتبعه الداني: التعليل لدرجات الإمامة :

قال أبو علي: في إمامة بين بين . ه وأما قصده — أي نافع — في الإمامة بها نحو الياء وتوسطه في ذلك، فلأنه كره أن يبالغ في الانتحاء نحو الياء، فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهها حتى أبدلوا منها الألف، وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمامة^(٣) .

وقال أبو عمرو الداني: علة من قرأ التوراة بين اللفظين أنهم توسطوا في الإمامة كراهة أن يبالغوا في الانتحاء بها نحو الياء فيصيروا كالمائدتين إلى الياء التي كرهها حتى أبدلوا منها الألف، وقد وجدوا من ذلك مندوحة مع الدلالة على الأصل^(١). واستعانته أبي عمرو بأبي علي في هذا النص، وسلوكه مسلكه في التعليل — كل ذلك ظاهر لا يحتاج إلى إشارة أو تدليل. وأمضى بعد ذلك في تجلية مظاهر التأثر.

* * *

(رابعاً) في الاحتجاج لأبي عمرو ومذهبه في رموس الآي:

أورد أبو علي قول ابن مجاهد: د وأما أبو عمرو فكان يقرأ من ذلك ما كان من رموس الآي بين الكسر والفتح مثل آيات سورة طه، والنجم، وعبس، والضحي، والليل، والشمس وضحاها، ودحاها، وطحاها، فاذا لم تكن رأس آية فتح.

(١) وإن كان قد أورد الأصل الذي بنى عليه أبو علي احتجاجه .

(٢) الحجة ٣٥١/١ نسخة البلدية وانظر ٢٦٣/٢ أيضاً .

(٣) ص ١٥٦ وما بعدها من الموضع .

قال أبو علي : إنما أمال الألفات في رموس الآي ، لأن الفواصل بمنزلة القوافي ، في أنها مواضع وقوف ، كما أن أواخر البيوت كذلك ، وقد فصلوا بين الوصل والوقف فأمالوا إذا وقفوا ، ولم يميلوا إذا وصلوا ، ذلك قولهم في الوقف يريد أن يضربها ، ومنا ، ومنها ، وبنا ، ونحو ذلك ، فإذا وصلوا نصبوا فقالوا : يريد أن يضربها زيد ، وأن يضربا زيدا ، ومنا زيد ، وإنما حملهم على هذا الفصل بين الوقف والوصل أنهم أرادوا في الوقف تبين الألف ، فكما بينوها بأن قلبوا من الألف الياء في نحو هذه أفعى يا . كذلك بينوها بأن نحوها نحو الياء . فإذا وصل ترك الإمامة كما يترك ابدال الياء منها ، فيقول : هذه أفعما فاعلم . لأن الألف في الوصل أبين منها في الوقف ، فعلى هذا فصل أبو عمرو بين رموس الآي وغيرها فأما تسويته بين ضحاها وطحاها فليشا كل بينهما في اللفظ ، لأن الفواصل كالقوافي فاستحب الملاءمة بين بعض الفواصل وبعض كما استحبوا ذلك في القوافي (١) ...

ويقول في موضع آخر ، أواخر الآي موضع وقوف والوقف رأينا ... قد أوجب لإعلا في الموقوف عليه ، وتغيرا عما عليه في الوصل ألا ترى أنهم قد :

ا — أبدلوا من التاء الهاء في نحو رحمه ؟

ب — ومن الألف الياء أو الواو في نحو أفعى وأفعو ؟

ج — وزادوا فيه في نحو هذا فرج ، وهو يجعل ؟

د — ونقصوا منه في نحو د وبعض القوم يخلق ثم لا يفر ، ؟

فكما غير مواضع الوقف بهذا النحو من التغيير كذلك غيرت الألف بأن نحى بها نحو الياء ، وكان ذلك حسناً ، إذ أبدلوا من الألف الياء في الوقف في نحو قوله أفعى ، فكذلك قربوا الألف منها (٢) ... إه

فهل جاء لأبي عمرو الداني نحو هذا الكلام ؟ اقرأ قوله :

د اختلفوا في قوله : دحاها في : والنازعات . وتلاها وضحاها في : والشمس .

وسجا في : والضحى . فقرأها الكسائي بالإمالة الخالصة . ففعل الكسائي في إمالتها

أنها لما كانت رموس آيات ، وقد أميلت الألف فيما قبلها وما بعدها من الفواصل

ليستوى اللفظ بالإمالة في جميعه فيخف في النطق ويحسن في السمع . ويقوى مذهبه

(١) ورقة ٣٢ و ٤٣ من الموضح النسخة القديمة .

(٢) الحجة ٢٦٨/١ نسخة مراد ملا .

أن رموس الآيات كالقوافي من حيث كانت كلها فواصل فكما أن التسوية بين القوافي في اللفظ مراعى ومستحب كذلك ينبغي أن يكون في رموس الآيات فكذلك أمالها ليشاكل بينها في اللفظ وبين ما قبلها وما بعدها من رموس الآيات الممالة^(١).

وهكذا يسلك سبيل أبي علي في التدليل بمسائل القافية . . ثم انظر كيف ينقل تدليله السابق في أن الوقف موضع تغيير ؟ وإن كان قد اختلف مع الفارسي في التمثيل بعضه لا كله .

قال أبو عمرو :

قرأ — يريد أبا عمرو وورش — رموس الآيات بين اللفظين ، لأن رموس الآيات موضع وقوف . والتغيير في الوقوف أكثر ، ألا ترى أنهم قد أزموا الموقوف عليه تغييراً عما هو عليه في الوصل ؟ من ذلك :

ا — أنهم أبدلوا من التتوين الذي يصحب المصوب ألفاً في الوقف نحو قوله :
وكان ربك قديراً ..

ب — وأبدلوا من النون الساكنة التي تصحب الفعل ألفاً في الوقف أيضاً نحو
وليكونا ولنسفاً .

ج — وأبدلوا فيه من التاء هاء في نحو نعمه، ورحمه، ووجه، وشبهه (نص مثال أبي علي) .

د — وزادوا فيه الهاء في نحو كتابه .

وحكى سيبويه عنهم أنهم يقولون في الوقف هذه أفعى ، فيبدلون من ألف أفعال ياء فيه للبيان . . فكما غير الوقف بهذا النجو من التغيير كذلك غير أبو عمرو وورش من هذه الألف بأن نحوها نحو الياء قليلاً . . ثم ذكر الداني كلام أبي علي في أن الألف في الاصل أبين منها في الوقف^(٢) .

ونرى الداني في تعليقه لمذهب أبي عمرو في إمالة رموس الاي لم يصرح كما صرح أبو علي بأن الفواصل بمنزلة القوافي في أنها موضع وقوف ، كما أن أواخر البيوت كذلك^(٤) ولكن ربط أبو علي بين الفواصل والقوافي مكن الداني - على ما يبدو - من استغلاله في موضع آخر في التعليل لعدم إمالة حمزة ذوات الواو في :

(١) الحجة ٢٨٨/١ نسخة مراد ملا . (٢) الموضع ورقة ٢٧ النسخة القديمة .

(٣) الموضع ورقة ٤٨ من النسخة القديمة . (٤) ينظر نص أبي علي في ذلك .

سجا وطحاها وتلاها — إذ يقول الداني في ذلك : « ويؤيد حمزة أن رموس الآيات لما كانت كحرف الروى وهى التى يبني عليها القصيدة من حيث كانت كلها فواصل ، وكانوا قد خالفوا بين حركات حرف الروى ، فرفعوه وجروه فى القصيدة الواحدة ، كقول النابغة :

زعم البوارج أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود
لا مرحباً ببغد ولا أهلاً به إن كان ترحال الاحبة فى غدٍ

فرفع الدال فى البيت ، وجرها فى الثانى فى نظائر لذلك جاءت فى أشعار المتقدمين من الفصحاء . وقال الأخفش : « ما من شاعر فحل لإلا وقد أقوى ، يعنى أنه جمع الرفع والجر ، وبين غيرهما فى القصيدة الواحدة ، وكثر ذلك فى أشعارهم ، كذلك يجوز أيضاً أن يخالف بين لفظ الالفات فى رموس الآيات فى السورة الواحدة فىقال بعضها . فدل ذلك على صحة ما ذهب إليه حمزة فى ذلك .

وهذا كلام غريب من أبى عمرو الدانى — أن يجعل رموس الآيات كحرف الروى ويبنى على ذلك احتجاجه لحمزة فى مذهبه فى التخالف بين لفظ الالفات فى رموس الآيات فى السورة الواحدة ، وإن كان مقبولاً من أبى على النحوى فلا يقبل من المقرء الدانى ، فاتباع الأثر والنقل عن الأئمة هنا أظهر من القياس على حروف الروى ، وكان يجب أن يقتصر الدانى عليه ولا يزيد ، ولكنه فى ذلك يجرى وراء أبى على إلى أبعد الحدود .

* * *

(خامساً) وذلك عندى أقوى الأدلة على تأثر الدانى بأبى على وإليك البيان . قال أبو على : « فى إمالة عاصم فى رواية أبى بكر الراء والهمزة فى رأى ؛ وفتح الهمزة الراء إذا سقطت الالف لساكن لقيها ، . (وتلك المسائل التى كانت بصناعة القراء الصق) قال : « ولما فصله عاصم من إمالة فتحة الراء مع تفخيمه فتحة الهمزة وجه ظاهره ، وقياس صحيح وذلك أنهم قالوا : « رنحه الله ، فكسروا الراء لكسرة حرف الحلق الذى هو العين ، ثم أسكنوا الحاء فبقيت الكسرة على حالها فى الراء ولم يردوها إلى الفتحة التى كانت الأصل فى فعل ، فكذلك بقى فى رأى إمالة فتحة الهمزة . وبما يثبت ذلك قوله : « وإن شهد أجدى فضله وجداوله ،

وبما يقوى ذلك قولهم صقع ، ثم نسبوا إليه فقالوا : «صقع ، فقدروا كسرة الصاد» وإن كانت كسرة العين التي لها كسرة الصاد قد زالت^(١) ،

فإذا قال الداني ؟ اسمع ما يكاد يكون بحروف الفارسي :

قال : «وما يؤيد مذهب من أمال فتحة الراء دون فتحة الهمزة قولهم : نعم الرجل ، ورحمه الله ، فكسروا النون والراء لكسرة حرف الخلق الذي هو العين والحاء ثم سكنوا العين والحاء ، فقالوا : نعم الرجل ورحمه الله ، فبقوا النون والراء على كسرتيها ، ولم يردوها إلى الفتح التي كانت الأصل في فعل قال الشاعر :

« وإن شهد أجدى فضله ونوافله ،

فبقى كسرة الشين مع تسكينه الهاء التي من أجل كسرتها كان كسر الشين فكذلك من أمال فتحة الراء ونغم فتحة الهمزة وإن كان أمالها من أجلها فبقى لإمالتها مع ذهاب إمالة فتحة الهمزة كما فعل أولئك سواء ، ويؤيد ذلك أيضاً قولهم : «صقع ، ثم نسبه فقالوا : «صعقي ، فأقروا كسرة الصاد ، وإن كانت كسرة العين التي لها كسرة الصاد قد زالت^(٢) .

أرأيت كيف ينقل من أبي على نصح ، ولا يزيد إلا زيادة لا تعد — بما يشرح أو يمثل — كما في نعم — أو بما يورد من رواية أخرى في شاهد أبي على ؟ ولعلك قد اقتنعت معي بتأثير الداني بأبي على إلى مدى بعيد . وأود هنا أن أنبه إلى أن هذا التأثير بدأ واضحاً — بكتاب الحجة — بدليل أن أبا على قد أورد احتجاجاً آخر لإمالة الراء في رأى القمر في المسائل الحلييات^(٣) ، ولكن بألفاظ وأسلوب يختلف عن أسلوبه في الحجة ، مما قدم على أن الداني تأثر بالحجة ولم يتأثر بالمسائل الحلييات ، لما بينت في صدر هذا الفصل ، وملاك الأمر في ذلك جريه وراء أستاذه ابن غلبون على النحو الذي فصلت .

وشئ آخر أود أن أشير إليه وأعلل له : ذلك أن الداني كان أميناً في إيراد الأقوال ، وروايته عن الأئمة السابقين في دقه وصدق ، فلم ينسب ما نقل من أبي على إليه ، ويعترف له بالفضل عليه ؟ لقد نسب الداني إلى الخليل كما نسب إلى سيويه^(٤) وهما يفوقان أبا على شهرة وفوقاً وسبقاً ، كما نسب إلى أبي عبيد القاسم

(١) الحجة ورقة ٢٧٢ نسخة مراد ملا . (٢) الموضع ١٩٠

(٣) ورقة ٩ مخطوط ٥ نحو ش (٤) الموضع ٢١٠

ابن سلام ، بل كان هذا الطابع العام للداني فيما أورد من نقول : فكيف أغفل ذكر أبي علي وهذا اعتماده الظاهر عليه في الاحتجاج قد فصلته تفصيلاً ١٩ تجمع لدى من الأسباب ما تمكنت به من الاجابة عن هذا الاتجاه من الداني نحو الفارسي .

فأولاً : أبو علي يهاجم^(١) رسم المصحف مهاجمة بدت في كثير ما أورد ، ورسم المصحف العثماني أمير عند الداني عزيز عليه^(٢) ، ذلكم بعض ما نأى بالداني عن الفارسي .

ثانياً : أبو علي لا يقول بالآثر إلا إذا ضاقت عليه السبل ، واستغلق القياس عليه^(٣) ومن هنا قال أبو علي : ذكره ابن عامر الامالة في نحو هدى^(٤) . . . الخ كأن الامالة هوى من أهواء النفس تحب فتوتى ، وتكره قستبعد ١١ أو يقول معناه في الجرى وراء القياس والبعد عن الاحتجاج بالرواية والنقل . . . ويجوز أن يكون رأى القراءه ببعض ذلك ثم انتقل عنه إلى وجه آخر^(٥) ، كأن القراءة بالرأى والنظر لا بالرواية والآثر . أو يقول : وما ذهب إليه الكسائى من ترك الفصل بين الفعل الذى قبله واو أو فاء وبين ما ليس قبله من ذلك شىء هو الوجه في قياس العربية^(٦) ، ويصف القراءة الموافقة للقياس بأنها حسنة وجميلة^(٧) . وقد عرض الداني بطريقة أنى على حيث يقول : لم يمل الكسائى العذاب حيث وقع ، والمحال في الرعد ، ومشارب في يس ، فتح هذه الائمة على الأصل ، ولما صح عنده من الرواية فيها عن أئمة ، فلذلك أتبعها ، وترك القياس للدلالة على أن القراءة بالآثر المتبع ، لا بالقياس المخترع^(٨) ،

وثالثاً : أبو علي وتلميذه ابن جنى ، ومن قبلهما المازنى يهاجمون نافعاً لإمام أهل المدينة ، وأحد القراء السبعة : قال أبو عثمان المازنى : « فأمأ قراءة من قرأ من أهل المدينة معائش ، بالهمزة فهى خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع ابن أبي نعيم ، ولم يكن يدري ما العربية ، وله أحرف يقرأها لحنأ نحو آمن هذا^(٩) . »

(١) يراد بالمهاجمة هنا البعد عن الأخذ به سبباً من أسباب الاحتجاج . انظر « فصل ابن خالوية والفارسي » . (٢) سأتمرض لذلك بالتفصيل . (٣) الحجّة ٢٨٦/١ مراد ملا . (٤) الحجّة ٣٥٣/١ نسخة البلدية . (٥) نسخة البلدية ٣٦٠/١ (٦) الحجّة ٢٩٠/١ مراد ملا (٧) الحجّة ٣٨٢، ٣٦١/١ . (٨) الموضح ٢٨٤ (٩) النصف ٣٠٧

وقد يقال : « وما لأبي عمرو الداني ونافع المدني حتى يفضب من أجله ؟ » .
فالقول : « أن نافعاً لإمام ورش وأستاذه ، وقد عرفت بمكانة ورش عند
الداني والمغاربة أجمعين (١) » .

ورابعاً: أبو علي حنفي معتزلي شيعي وأهل الأندلس كما يقول المقدسي (٢)
لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وإن
عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه . فهل ترى الداني يشير إلى
الفارسي بعد ذلك ١١٤

هذه بعض الأسباب التي أراها وقفت بالداني من أبي علي حيث وقف ، فلا يذكر
اسمه في كتابه ، ولا يسند إليه ما نقل عنه ، وما كان لأبي عمرو الداني مندوحة
في ترك النقل عن أبي علي جملة ، ذلك لأنه قد اضطر إلى ذلك اضطراراً وبخاصة
في الاحتجاج لهذه المسائل التي كانت بمذاهب القراء أشبه ، وبصناعتهم ألصق ، فلم
يجد الداني ما يعتمد عليه عند سيوييه ، فولى وجهه كارها على ما يبدو نحو أبي علي ،
وكان ذلك عزيزاً عليه !

* * *

على أن جرى الداني وراء أبي علي كان من أثره أن :
(١) أبعد الداني إلى حد ما عن القول بالآثر الذي يعتز به وينتمي إليه .
(ب) وأنه نقل تعليل النحاة في بعض ما أمال القراء ، وبعض هذه التعليلات
لاتصلح علة عند تطبيقها على مذاهب أهل الأداء (٣) .
وبعد فهذه النصوص المقارنة كلام الشيخين يتبين مدى تأثير الداني بأبي علي ،
والخص ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن الداني ينزع منزع أبي علي في القياس .

ثانياً : وأنه يتشبه بأبي علي في فهمه وأسلوب سيوييه وتعبيراته .

ثالثاً : وفي القول بالاولى والأجدر . وسلوكه مسلك أبي علي في التعليل .

رابعاً : وفي استخدام العروض والقوافي في التذليل .

(١) انظر صدر الكلام في هذا الفصل (٢) أحسن التقاسيم ٢٣٦ (٣) تفصيل ذلك
في الفصل الثامن من معنى « القراءات والمهجيات العربية - الإمامة ص ١٦٦ وما بعدها .

خامساً : وأخيراً يورد نصوصاً تكاد تكون نصوص أبي علي في ألفاظها
واستشاداتها.

ومن المهم أن أنبه إلى أن الداني حين يتأثر بأبي علي ويجرى في سننه لا يخلع عنه ثوب التمسك بالآثر وهو ما سأعرض لشرحه فيما بعد ، ثم هو الطابع الذي امتاز به الداني ، والذي يفرد به شخصيته ، فهو يضيف ذلك إلى ما يتأثر به من أبي علي في التدليل والاحتجاج والتعليل .

وأود أن أنبه كذلك إلى أن هذه النواحي التي تأثر بها الداني لا تظهر عنده مجتمعة في كل نص من نصوصه ، بل يظهر بعض هذه التأثيرات حيناً في نص ، ثم يظهر بعضها مع أخرى أو تستقل تلك بالظهور في نص آخر ، وهي على أى حال دليل على ما أذهب إليه من الرأى في تأثر الداني بأبي علي .

ثم أمضى بعد ذلك في بيان ما كان بين الشيخين من تحالف ، وهل جرى الداني كتابه الموضح وراء الفارسي في الحججة لا يحميد عن سبيله ، أو كانت هناك دلائل على شخصيته في البحث ، جهلت له طابعاً يشير إليه ، ويدل عليه ؟ ذلك ما أينه فيما يأتي من فروق بين الرجلين ليتضح مدى تأثر الداني بأبي علي وإلى أى حد أثر الفارسي فيه :

فأولاً : توثيق القراءة بذكر السند المتصل بالأئمة القراء :

وهي ظاهرة تطالعك في كثرة غامرة من صفحات الموضح ، وقد جرى الداني في ذلك على طريقة المحدثين ، يرفع القراءة التي قرأ بها على شيوخه إلى صاحبها من الأئمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ، هذا المنهج الذي اصطنعه المحدثون لتوثيق النقل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) — اصطنعه الداني خاصة — في كتاب الموضح — لتوثيق قراءته ورفعها بالسند المتصل إلى رسول الله (صلوات الله عليه وسلامه) .

حقيقة ظهر هذا الاسناد عند السابقين للداني ، وكان منهم أبو علي الفارسي نفسه^(١) وقد كان هذا بعض ما يفترق به عن ابن خالويه ، وأشارت إليه موازنا

(١) انظر مثلا الحجة ١/٣٨٠ ، و٣٨٢ نسخة مرادملا

بينهما^(١)، ولكن الداني حين يلتقي بأبي علي في هذا المنهج من حيث مبدأ الاسناد من جهة يفارقه فيه من جهة أخرى، ذلك أن أبا علي الفارسي أخذ عن ابن مجاهد أخذاً مباشراً، وابن مجاهد قد أورد السند عن القراء السبعة في كتابه المترجم بالقراءات، والذي احتج له الفارسي في كتابه الحجية^(٢)، وذلك سند قريب، بل يكنى أبا علي لتصحيح السند وتوثيق القراءة أن يقتصر على ابن مجاهد ولا يتعداه، وكذلك فعل في كثير من الأحيان^(٣)، ففي ذلك توثيق لما يذهب إليه، وما يحتاج له على أنه حينما يسوق سنداً لا يتصل بأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، كأن يحدثه سهل أبو عمرو عن أبي عمرو عن عاصم... أو يخبره محمد بن الفرغ عن محمد بن اسحق عن أبيه عن نافع... أو يخبره القاضي عن قالون عن نافع^(٤)، أما أبو عمرو والداني فقد طالت سلسلته في الإسناد، وتعددت طرقه، كما تعددت رواياته، بحكم ما بين الرجلين من زمن تعدد فيه المشتغلون بالقراءات والإقراء والتأليف في الأمصار الإسلامية المختلفة التي أخذ فيها أبو عمرو الداني عن شيوخها، أو عرض عليهم. ومن هنا كان ذكر هذه الأسناد — في اللفظ الواحد المختلف عليه — برواياتها المختلفة، وطرقها المتعددة مظهراً من مظاهر ما يفترق فيه الداني عن الفارسي ونهوضاً بعبء ضخيم، واداءً لأمانته التوثيق، وحفاظاً على القرآن في دقة تأخذ بعجبك وإعجابك جميعاً، وتروع المطلع على كتابه الموضح وتبهره. وقد تفتشت هذه الظاهرة في هذا الكتاب تفشياً تفرق بينه كذلك وبين أبي علي ويطول حبل الكلام لو أردت الاستقصاء، وأرجع القارئ إلى الكتاب بعامة — لا إلى صفحات منه خاصة — لتطالعه مثل أخرى في غزاره فاشية :

ولو ذهبت أتلس العلة التي من أجلها سلك الداني هذا المسلك حتى عدّه ابن الجزري أفضل من تعاطى ذلك. وحققه، وقيد شوارده ومطلقه^(٥) — لا عتمدت من الأسباب اشتغال الرجل بالحديث، فقد كان له معرفة بالحديث^(٦)، وطرقه

(١) انظر الفصل الخامس بذلك
 (٢) الحجية ص ٢ ونسخة مراد
 (٣) انظر مثلاً ٢٨٤/١ - ٢٩٠ وقد تحريت أن تكون هذه الصفحات من التي تكلم فيها أبو علي في الأمالة
 (٤) المصدر السابق ٣٨٢/١
 (٥) النمر ١/١٩٣
 (٦) طبقات القراء ١/٤٠٥

وإعرابه، وأسماء رجاله (١) ، ونقلته (٢) ، وقد ظهر أثر ذلك في إسناده الحديث الشريف : « نزل القرآن بالتفخيم ، حيث قال : « وهو ما حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثنا بشر بن موسى قال : حدثنا محمد بن مقاتل قال : حدثنا عمارة بن عبد الملك قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز القرشي قاضي المدينة قال : حدثنا أبو الزناد عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « نزل القرآن بالتفخيم (٣) » ،

وهذا الإسناد الدقيق بعض ما يمتاز به الداني في الموضح ، وبعض ما يسمه بطابع يميزه عن غيره من الكتب التي أعلم أنها تعرضت للإمالة بخاصة . ويظهر أن الداني كان مولعا بهذه الدقة في التحديد حتى فيما يروى عن نفسه من تنقلات في مختلف الأقطار ، فقد حدث عن نفسه قائلا : بدأت ألتقي العلم سنة ٢٨٥ هـ في الرابعة عشر من عمري ، ورحلت إلى المشرق في يوم الأحد الثاني من المحرم سنة ٣٩٧ هـ وأنفقت في مدينة القيروان أربعة أشهر ، ودخلت مدينة القاهرة في شوال من السنة نفسها — ومكثت بها سنة (٤) — ورحلت من مصر عام (٥٣٩٨) إلى مكة والمدينة للقيام بفريضة الحج ، وقد أمضيت الجانب الأكبر من هاتين السنتين في الدرس والتحصيل ، ثم عدت إلى قرطبة في ذى القعدة من عام (٥٣٩٩) (٥) .

فرجل يروى هذه التنقلات في هذه الدقة البادية في تحديد اليوم بالاسم ، وذكر تاريخه من الشهر ، وموضع الشهر من السنة حتى كاد يصر في ذلك إلى مستوى المذكرات اليومية التي يصطنعها الناس في هذا الزمان ، بل أن هذه المذكرات لاتزيد عما فعل الداني شيئا — رجل هذا شأنه ليس غريبا منه إن ترى له هذه الدقة والسخة فيما يتناوله من موضوعات ، وما يتبعه من إسناد وبخاصة في أمر يتصل بالقرآن الكريم حيث يعدون السند الصحيح ركنا من أركان القراءة (٦) ، ولا يزال القراء يحرصون على هذا الإسناد ، ويأخذون طلابهم به ، ويسجلونه فيما يمنحون من إجازات للقراءة حتى الآن (٧) .

(١) فتح الطليب ٣٨٦/١ (٢) طبقات القراء ٥٠٤/١

(٣) الموضح ورقة ٣٢ النسخة القديمة (٤) فتح الطليب ٣٨٦/١

(٥) دائرة المعارف الإسلامية مادة الداني وطبقات القراء ٥٠٥/١ وانظر فتح الطليب ٣٨٦/١

(٦) النشر ٩/١ (٧) انظر سند الشيخ الضباع شيخ المقاريء المصرية حالافي صدر النشر

ويظهر أن الرجل قد وهب الله له حافظه واعية، وضبطا متقنا حتى عد من أهل الحفظ والتحقيق، وكان يقول: « ما رأيت شيئا إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته فنيسته^(١)، وكان يسأل عن المسألة بما يتعلق بالآثار وكلام السلف فيردها بجميع ما فيها مسنده من شيوخه إلى قائمها^(٢)، وقد كان علو السند من الأمور التي يتهاقت عليها المحدثون، وكان شيخ الداني محمد بن علي عالي السند^(٣)، فتحقق للداني بذلك ما تمناه يحيى بن معين (رحمه الله) وهو على فراش الموت: قيل له: « ما تشتهي؟ فقال بيت خال، وإسناد عال، وقال أحمد بن حنبل: « الإسناد العالي سنة عن سلف ».

وأمر آخر يتعلق بالسند وشغف أبي عمرو بذكر الروايات المتعددة به: ذلك أنه يورد روايات متضاربة عن القاريء الواحد ولست أدري، من حسنات الكتاب ذلك الاتجاه أم بما يواخذ الداني عليه؟ هو حسن من حيث أنه يكشف لنا كيف كان الإمام من الأئمة السبعة يراوح في قراءته بين الفتح مرة، والإمالة أخرى، وقد يمكنني من ذلك التعقيب على الدكتور إبراهيم أنيس حيث قال في كتابه اللهجات العربية^(٤) بعد أن انتهى إلى أن القراء المميئين كوفيون.

«... قد يبدو من الغريب أن نرى بين علماء الكوفة أمثال عاصم الذي توفي سنة ١٢٧هـ والذي أخذ عنه حفص تلك القراءة المشهورة الآن بالبلاد العربية^(٥)؟ والتي تكاد تخلو من الإمالة»

حقيقة أن المشهور عن عاصم من كتب القراءات أنه مقل في الإمالة^(٦)، ولكن التبع الدقيق لقراءة عاصم، وأسانيد راوييه عنه على حسب ما أورد الداني يهديننا إلى شيء لم يشتهر به عاصم ولكنه روى عنه يهديننا إلى أنه كان من المكثرين كثرة غامرة. فلم تقتصر إمالته فقط على « مجربها » في رواية حفص عنه، ولا على رمى الأنفال، وأعمى في موضعي سبحان في رواية أبي بكر كما جاء في التيسير للداني والشاطبية للشاطبي^(٧)، بل المروى غير ذلك، فقد روى الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم إمالات أخرى تتبعها في كتاب الموضع للداني وحصرتها^(٨)، فخرجت منها بنتيجة تخالف

(١) نفع الطيب ٣٨٦/١ (٢) طبقات القراء ١/٥٠٤ (٣) طبقات ٢/٧٢

(٤) ص ٤٢ (٥) هذا الاطلاق فيه نظر (٦) انظر ص ٢ من قرة العين

ورقة ١٢٠ من شرح الجعبري للحرز (٧) انظر الإمالة في التيسير والشاطبية
(٨) من الموضع انظر ص ٣٥، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٧

٧٠، ٧٢، ٣١٥، ٩٣، ١٤٣، ١٥٤، ١٢٦... الخ

المشهور عن عاصم في كتب القراء ، ولكن هذه النتيجة على كل حال تفسر لنا التساؤل ، وتزيل الغرابة التي بدت للدكتور ، أنيس وتصحح اطراد ماهو معروف من أن الكوفيين يميلون (١) .

فالروايات المتخالفة لها وجه الحسن لما ذكرت ، وهي من ناحية أخرى تتركنا في حيرة . من غير تعرف رأى واضح محدود : انظر التخالف الذي رواه الداني في باب ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الراء في آخرها مجرورة وقبلها ألف (٢) .

(١) حدثنا الفاسي عن شيوخه عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه أمال الباب كله .

(٢) وروى محمد بن خلف التيمي عن الأعشى الباب كله بين التفخيم والكسر

(٣) وكذلك روى ضرار عن يحيى عن أبي بكر .

(٤) وكذلك حدثنا ابن طالب عن شيوخه . . . عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

(٥) وحدثنا أبو الحسن شيخنا عن شيوخه . . . عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه لا يكسر شيئا .

(٦) وررى لنا أبو الحسن شيخنا عن أصحابه عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم الإمالة في الباب كله إلا ما كان فيه صاد .

ثم قال معينا قراءته : « والذي قرأت به في رواية الأعشى من طريق محمد ابن حبيب الشموني ومحمد بن غالب الصيرفي عنه عن أبي بكر بإخلاق الفتح .

* * *

ولو أن الداني استبعد الروايات الضعيفة أو نبه على رواية يرتضيها لكان قد فعل خيرا ، ومن أقدر منه على ذلك وهو كما يقول ابن الجزري له معرفة بالحديث وطرقه وأسماؤه رجاله ونقله . . . ولم يكن أحد يضاهيه في عصره ولا بعد عصره بمدد في حفظه وتحقيقه (٣) .

وإن كان في قوله : « والذي قرأت به . . . الخ ما يحدد بعض التحديد هذا الموقف المضطرب عن عاصم وتردده بين الفتح مرة ، والكسرة أخرى ، ويظهر

أن الداني قد تجنب هذا الاضطراب في كتاب التيسير ، فاستقر على رأى بعينه ، وبه أخذ القراء ، وأذاعه الشاطبي حين نظمه في حرز الأمانى ، ولا يزال عليه الناس حتى الآن .

على أنه أحيانا يعتمد على من اشتهروا بضعف الرواية ، من هؤلاء هرون الذى ذكره فى الموضح^(١) ، وهو هرون بن حاتم كما جاء فى طبقات القراء^(٢) ، وقال عنه ابن الجزرى فى ترجمته : « مقرأ مشهور ضعفه . . . وسئل عنه أبو حاتم فقال : « أسأل الله السلامة ! ! ، وكنت انتظر من الداني وهو العليم برجال الإسناد ، وألف فى طبقات القراء — أن ينبه على ذلك أو يترك الرواية عنه . وبما يتصل بذلك الفرق

ثانيا : تعيين قراءته التى قرأ بها على شيوخه :

١ — فى صراحة مفصلة كان يقول « أقرأنى ابن غلبون لورش ما كان ، على وزن فُعلى براء : بشرى : أو وقع رأس آية ، ولم يتصل بها ضمير المؤنث بين اللفظين ، وما عدا ذلك بإخلاص الفتح^(٣) ،
ب — بجملة : كأن يقول يقول : . . . وأنا أفرد لكل راو بابا أجمع فيه ما انفرد بروايته من ذلك الإمام الذى روى عنه على حسب روايتى وقراءتى^(٤) .
ج — أو فى إشارة دالة : كأن يقول : فأما قولهم : « طغيانا ، فنكلهم أخلص فتحه لكونه منصوبا إلا ما رواه أحمد بن جبير عن الكسائى أنه أماله لأجل الياء . لم يرو ذلك عنه أحد غيره ، ولا عمل على ما رواه^(٥) .

ثم رأيت يتبع قراءته بالتعليل لها والاحتجاج .

وقد رأينا أبا على الفارسى لا يفصح عن قراءته ، ولا يدل على الإمام الذى سلك سبيله . على أنى استنتجت ذلك استنتاجا^(٦) بالتقدير الذى أعانتى عليه النصوص ، وأسعفتى به الاشارات التى جمعتها من هنا وهناك فى نقص شديد ،
وعسر جهيد .

وكان مسلك الشيخين فى تعيين قراءته أو عدم تعيينها طبيعيا ، فأبو عمرو الداني يروى عن شيوخه الذين أقرءوه ، وأخذ عنهم ، وعرض عليهم بجانب الحديث عن

(٤) ٣٠٥

(٢) الموضح ١٣٠

(٢) ٣٤٥/٢

(١) ص ٣٠

(٦) اراجع الفصل الخاص بذلك

(٥) ص ٥٧

مذهب القراء والاحتجاج لهم . أما أبو علي فكانت مهمته الأولى في الاحتجاج للقراء الذين وردت قراءتهم في كتاب ابن مجاهد ، ولإذن لم تكن المهمة في أساسها بيان ما تلقى هو أو عرض كما كان ذلك شأن الداني في كتاب الموضح .

وقد وقف كل من الرجلين موقفاً يخالف موقف الآخر من القراءات التي تتخالف هي ومذهبه قارئاً أو نحوياً : فالداني معترف بها . لا يمنع من صحتها ، لصحة الرواية بها ، وثقة من نقلها^(١) . على حين رأينا من قبل موقف أبي علي من القراءات التي تتفق ومذهبه النحوي فيصفها بأنها قبيحة^(٢) أو أنها^(٣) ضعيفة على النحو الذي تعرضت له في تفصيل مقدر مذهب فيه في ذلك ، ومذهب من لف لفه من النحاة البصريين .

ومن التخالف بين الرجلين .

ثالثاً : اهتمام الداني بمذهب ورش والتعليل له :

ومما يتصل بالحديث عن تعيين الداني لمذهبه والاحتجاج له عنايته بمذهب ورش ، وذلك يبدو في ميله إلى آرائه ، وترجيح مذهب على مذهب غيره من الأئمة القراء ، فمن المعروف عند أهل الأداء أن أصل حمزة والكسائي الإمامة الكبرى ، وأصل ورش الصغرى وأن أبا عمرو متردد بين الأصلين^(٤) . ومن هنا نرى الداني في كتابه الموضح يحكي هذه الأوجه الثلاثة الفتح المتوسط ، والإمامة المتوسطة ، والإمامة المحضة ، ثم يناقش أي هذه الثلاثة أوجه من طريق التظير ، وأولى من جهة القياس ، فيروى آراء العلماء من قبله ، وأن منهم من يختار الفتح ، ويذكر سبب هذا الاختيار ، ومنهم من يختار الإمامة الخالصة ويعلل له ، ومنهم من يختار الإمامة الصغرى — الإمامة المتوسطة التي هي بين بين ، وذلك مذهب ورش أستاذه ، ثم يفصل هذه الأخيرة ، ويدلل عليها

ومن المهم أن أذكر أن أبا علي الفارسي قد ألم بهذه المسألة إماماً عابراً ، وذكر رأيه فيها ولكن دون حساسة ظاهرة كالتى كانت عند الداني . كل ما قاله أبو علي :
د أما قصده في الإمامة نحو الياء وتوسطه في ذلك فلأنه كره أن يبالغ في

(١) ص ٢٦٩ (٢) المجة ٤/١٠٩ (٣) المجة ٣/٢٢٩

(٤) ورقة ١٢٠ شرح حرز الأمانى للجمبرى مخطوط دار الكتب برقم ٦١٢ قراءات

الاتجاه نحو الياء فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف ،
ثم أعلن الفارسي عن رأيه فقال : « وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمالة (١) » .

والداني ماهر أشد المهارة في الاحتجاج لورش في الفرش من الحروف ، يقول :
« وأقرأني أبو الحسن لورش الذي في النجم — يقصد المنتهى في النجم في قوله
تعالى ، إلى ربك المنتهى ، (٢) بين اللفظين ، والذي في النازعات — إلى ربك منهاها —
بإخلاص الفتح ، ثم يحتج لورش من قراءته على أبي الحسن بين قوله : المنتهى في
الموضعين احتجاجاً يدل على تمكن منه في مذهب ورش ، واقناع في الاحتجاج
له ، واقناع به (٣) .

وهو يحس أنه متمكن من مذهب ورش تمكناً جعله يقول في كتابه الموضح :
« وسنفرده لمذهبه — أي مذهب ورش ، في الرامات باباً نبين ذلك فيه بياناً بليغاً
إن شاء الله (٤) .

وحقاً : لقد أوفى في وعده « ببلاغة البيان » ، وفاء يدل على شمول إحاطته بهذا
المذهب بما يحوى كثيراً من الدقائق والتفاصيل (٥) :

أ — فقد تحدث عن مذهب ورش عن نافع في إمالة الرامات ، وفي إخلاص
فتحهن وأفرد لذلك باباً (٦) وجعل تحته فصولاً .

ب — وانتقل منها إلى باب ذكر فيه حكم الوقف على الرامات المتطرفات (٧) ،
ثم عقد باباً للمذهب ورش عن نافع في ترقيق اللامات وتغليظهن وتحت ذلك فصول .
ولم تظهر عناية الداني بمذهب ورش في كتاب الموضح فقط ، بل له إلى جانب
ذلك تأليف أشرت إليها في صدر هذا الفصل .

ذلكم مبلغ اهتمام الداني بمذهب ورش ، فإذا حاولت التعليل لهذه النزعة وجدت
السبيل واضحة بتتبع الشيوخ القراء الذين نشروا مذهب ورش في بلاد المغرب —
موطن الداني — والشيوخ الذين أخذ عنهم ، ثم أولئك الذين تلقى عليهم الداني :

(١) الحجة ١/٣٥١ (٢) سورة النجم (٣) ينظر الاحتجاج في ورقة ٣٩
نسخة نديمة وس ١٢٨ نسخة جديدة (٤) ورقة ٣٤ نسخة قديمة أوس ٨٢ من
النسخة الجديدة (٥) الموضح ص ٣٣٨ (٦) ٣٣٨ (٧) ٣٥٩

ويحدثنا المقرئ في نفع الطيب أن ابن خيرون أبا عبد الله محمد بن محمد (وقيل محمد ابن عمر) الأندلسي (ت ٣٥٦ هـ) رحل إلى المشرق وأخذ القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي (١) ، ومصر موطن ورش (٢) ، والذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه (٣) ، وعاد ابن خيرون إلى القيروان وسمع بها وبقرطبة (٤) ، ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم في كلامه على مذاهب المسلمين في مختلف الاقطار الإسلامية : « أما في الأندلس فذهب مالك ، وقراءة نافع (٥) ، . والذي قدم بقراءة نافع على أهل أفريقية هو ابن خيرون السابق الذكر ، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص حتى قدم بها فاجتمع إليه الناس ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق ، وكان يأخذ أخذاً شديداً على مذهب المشيخة من أصحاب ورش (٦) ، وإذن فقد وضعت يدي بهذا النص على سبب ذبوع مذهب ورش في بلاد المغرب ، ويكون من تلاميذ ابن خيرون : عبد الحكم بن ابراهيم (٧) ، الذي روى رواية ورش عن أستاذه ، وكان كما يقول الداني إماماً في رواية ورش (٨)

وقد ألمت في صدر هذا الباب بشيوخ الداني ، وعرفنا منهم ومن تواليفهم اهتمامهم بمذهب ورش وتلذذهم عليه : وهكذا ترى شيوخ الداني يحتفلون بورش ، يؤلفون في قراءته (٩) ويساجل بعضهم بعضاً في مذهبه بالتغليط والرد (١٠) ، وإفراداً بالتأليف في كتبه الأخرى على ما بينت . وغنى عن الذكر أن أبا علي الفارسي لم تتح له هذه الظروف التي جذبت الداني إلى ورش بما جذبت ، والتي كان من نتائجها انفراد الداني عن أبي علي فيما انفرد ، وما كان لذلك من أثر في الظواهر والسمات .

رابعاً : الاحتجاج برسم الصحف :

وقد لحظت أن الأدلة التي يوردها الداني في الاحتجاج لوجه نظره تتضمن في الأعم الأغلب أدلة تتصل برسم المصحف ، فالأدلة التي ذكرها في أصالة الفتح وفرعية الإمامة منها أدلة ثلاث تتعلق بالرسم ، وهي الدليل الثالث والرابع والخامس (١١) ،

(١) نفع الطيب ٣٥٣/١	(٢) انظر حسن المحاضرة للسيوطي
(٣) طبقات ٥٠٢/١	(٤) نفع الطيب ٣٥٣/١ (٥) أحسن التقاسيم ٢٣٦
(٦) نفع الطيب ٣٥٣/١	(٧) طبقات القراء ٢١٧/٢ (٨) طبقات القراء ٣٦٠/١
(٩) النشر ١٩٨/٢	(١٠) معجم الأدباء ١٧٠/١٩ (١١) الموضع ٤

والأدلة التي ذكرها لإخلاق أبي عمرو وفتح ، يا بشرى « متصلة برسم المصحف ^(١) وكذلك ما استدل به على فتح حمزة ، الحوايا ^(٢) وهداي ^(٣) ، وحيلى وحييام ^(٤) ومثواى وغير ذلك مما يشيع في احتجاجة لمذاهب القراء فاتحين أو عميلين ، حتى برهنته على المسائل النحوية ، يقحم رسم المصحف دليلا على ما يذهب إليه ، فالأدلة التي أوردها للرد على النحويين في قولهم : أن أصل مهما « ماما » من بينها دليل يتعلق بالرسم وهو الدليل الأول ^(٥) ، والدليلان اللذان يرجح بهما أن المحذوف هو الألف المبذلة من التنوين في الأسماء المقصورة الموقوف عليها في حال النصب من مثل قوله تعالى : « منا ولا أذى » — الدليل الأول منهما خاص بالرسم ^(٦) . وأنا في غنى عن التمثيل لذلك الاتجاه ، لأنه شائع في الموضع ^(٧) . وقد رأينا أبا على الفارسي من قبل لا يكاد يقول برسم المصحف ، ولا يتخذ دليلا يحتج به للأئمة القراء ^(٨) . كان ذلك موقف أبي على من القراءات بعامة ، وكذلك كان موقفه من الألفاظ المائلة بخاصة ، فلم يحتج برسم المصحف بقراءة قارىء من الأئمة السبعة فاتحا أو ميلا .

ولو أردت التعليل لموقف الداني من الرسم لكان ذلك ميسورا ، فالرجل صفته الأولى أنه قارىء ، وهي صفة تصله بالمصحف وصلا قويا . إلى أنه ألفت كتابه المقنع في رسم مصاحف الأمصار وكتاب النقط ^(٩) . كما أشار في المقنع — إلى أن له كتابا كبيرا في الرسم ^(١٠) . إلى أن المتصفح لكتاب المقنع يجد ما يدل على أن الداني قلب النظر في مصاحف الأمصار ، واستخلص منها ما ورد في كتابه خاصا بالرسم ، تراه يقول مثلا : وكذلك حذفت الألف بعد الهمزة في قوله « قرءنا » في مكانين في يوسف ^(١١) . « إنا أنزلناه قرءنا عربيا ، وفي الزخرف ^(١٢) « إنا جعلناه قرءنا عربيا . ثم يقول : ورأيت أنا هذين الموضوعين في مصاحف أهل العراق وغيرها بالألف ^(١٣) .

(١) نسخة جديدة / ورقة ٣٦ من ٩٥ (٢) س ١١١ (٣) س ١٣٠

(٤) س ١٣٤ (٥) قد ذكرت هذه الأدلة قبل (٦) الموضع س ٣٠٥

(٧) انظر س ١١٥ و ١٢٦ و ١٢٩ والصفحات السابقة

(٨) انظر فصل بين ابن خالويه والفارسي

(٩) طبع الكتابان باستانبول ١٩٣٢ باعتناء اتوبرتزل أحد أعضاء جمعية المستشرقين الألمانية

(١٠) المقنم ٣١ (١١) س ١٢ آية ٢ (١٢) س ٤٣ آية ٣ (١٣) المقنم ٢٠

أو يقول: « رأيت المصاحف تختلف في أربعة منها: يريد حذف الألف من الأسماء الأجمية، — وهي: « هاروت، وماروت، وهامان، وقارون»، ففي بعضها بالألف وفي بعضها بغير ألف... ووجدت في مصاحف أهل العراق « هامن، بألف بعد الهاء، وفي كلها بغير ألف بعد الميم... وكذلك « إسرائيل، رسم بالالف أيضا في أكثر المصاحف، وقد وجدت ذلك في بعض المصاحف المدنية والعراقية العتق القديمة بغير ألف وإثباتها أكثر (١) ».

ثم قرأ عنه نصوصا تشير في صراحة إلى أنه كان « يتبع مصاحف أهل العراق... »، وينعم النظر في مصاحفهم الأصلية (٢)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تكاد تطالعك في صفحات متقاربة (٣).

وربما جاء الاهتمام برسم المصحف من شيوخه، فكثيراً ما يحدث أخبارهم بأنهم رأوا في مصاحف أهل العراق كذا، ومصاحف أهل المدينة والحجاز كذا (٤) كما يطلع على ما كتب الغازي بن قيس في الهجاء (٥).

على أن رسم المصحف يتصل بناحية يستمسك بها أهل الأثر والداني منهم. وإنك لتجد الداني مشدوداً إلى الأثرين متمثلاً ذلك في القول برسم المصحف — شداً قوياً (٦)، إن احتج بكلام النحويين — فسرعان ما يتجه إلى رسم المصحف أخذاً به معللاً، ومعتماً عليه دليلاً، احتج لإمالة الأفعال الجوف بأن سيويه قال: « وهي لغة لبعض أهل الحجاز، ثم قال الداني: « وقال عاصم الجعدي: « رأيت في مصحف عثمان بن عفان (رحمه الله) ما طاب لكم طيب.

وقال الكسائي: « رأيت في مصحف أبي بن كعب جاءتهم رسلهم، جاء بهم، وجاء أمر ربك: جيئتهم... الخ (٧) ».

وأبو علي من أهل القياس والنظر، فهو يبعد بذلك عن الداني ومنهجه في القول برسم المصحف، وهناك ما هو أهم من ذلك، فلأبي علي رأى يقول به ويحتج له في رسم سعى وشبهه (٨). فكيف وهذا رأى يقول برسم المصحف، وهذا الفعل

(١) ٢٣ (٢) ٢٤ (٣) انظر مثلا ٢٧، ٢٩، ٥٩، ٦٩، ٧٠، ٧١

(٤) انظر ص ٣٦، ٣٧، ٣٨ مثلا وهي كما ترى صفحات متوالية (٥) ٢٣، ٥٠، ٦٨

(٦) من دلائل أتباع الداني للأثر قوله بعد الاحتجاج — وبالله التوفيق. أو ما يشبه

هذه العبارة وقد تكرر ذلك في الوضح والفتنم في صورة ظاهرة انظر المقنع ٤٧، ٤٩، ٥٤

(٧) الوضح ١٦٦ (٨) انظر المسائل الحلبية ص ٢١

نفسه: فعل «سعى» مرسوم بالياء فيه وقد اتفقت على ذلك جميع المصاحف ١٤ (١) ،
ويعلل الداني ذلك الاتفاق بأنه على مراد الامالة (٢) كما يعلل رسم «تراء» بالالف ،
«والصلوة والزكوة والحياة» والربوا . . . بالواو على مراد التفتيح (٣) . وهكذا
يربط الداني بين الاماله والتفتيح والرسم ، ويعلل هذين عند القراء بذلك ، ويعلل
الرسم بهذين .

هذا ومناقشة الداني فيما اتجه إليه من ربط الامالة بالرسم ، وتقويم رأيه
في ذلك ، وما ذهب إليه أبو علي من عدم الاعتداد به في الاحتجاج للامالة والفتح
وغيرهما من مذاهب القراء - موضح هذا في الفصل المعقود لرسم المصحف
فليراجع هناك .

وأضئ بعد ذلك في بيان ما بقي من تخالف بين الداني والفارسي :

خامساً : موقف الداني من النحاة الكوفيين :

وقف النحاة البصريون من القراءات موقفاً عرضت له من قبل ، على حين اعتد
الكوفيون بالقراءات غير مشذذين ولا منكرين ، وقد رأينا من قبل موقفهم ممثلاً
في شيخهم القراء أمير النحويين ، وموقف البصريين ممثلاً في أبي عثمان المازني - من
قراءة نافع الذي تنتهي إليه قراءة الداني في الامالة عن ورش ، طعن المازني نافعاً
وجهله ، ولحنه (٤) ، فلا جرم أن يبادل القراء الكوفيين اعتداداً باعتداد ، وتوثيقاً
بتوثيق . وهذا ما يبدو جلياً في كتاب الموضح ، فهو يميل إلى النحاة الكوفيين ، ويجعل
مذاهبهم الفاشية عند القراء الذين روى عنهم ، وغنى عن الإشارة أن أقرر تخالف
أبي علي مع الداني في هذا الأمر ، فشيء من ذلك لا يحتاج إلى توضيح أو تعليل .
ولكنني أذكر موقف الداني ، لأنه اتجاه جدير - فيما أرى - بالذكر
والتسجيل .

وأرجو أن أنبه هنا إلى أن القراء لم يكونوا في تأييدهم للكوفيين متجافين سندهم
في التلقي أو بطريقتهم في الأخذ والرواية ، لذلك أرجو ألا يفسر تأييدهم للكوفيين
على أنهم كانوا مدفوعين بدافع من العصبية المذهبية ، فانا نعلم أن بين النحاة الكوفيين
الكسائي والقراء ، وهما كذلك علما من الاعلام الأئمة في القراءة والاقراء ، ومن

(١) الفتح ص ٦٧ وما بعدها (٢) المصدر السابق

(٣) النصف ٣٠٧

(٤) ص ٥٧

قبل هذين كان النحاة القراء ، وكان لهم جميعاً اختيار فيما يتصل بالأداء ، فقلت هذه الاختيارات إلى القراءات واعتدبها القراء ، مؤثرين ما نقلوه عن آراء البصريين .

ولإليك بعض الأمثلة التي بها أستشهد على موقف الداني من نحو الكوفيين :
علل الداني إمالة حمزة والكسائي « بلي » ، مستنداً إلى قول الكوفيين في تعليل إمالتها بقولهم : « إنما أميلت بلي ، لأن الألف التي في آخرها لا تأتيك بمنزلتها في جلي وسكري ، ولذلك كتابنا ياء ، والأصل بل زيدت عليها الألف دلالة على أن السكوت عليها ممكن ، وأنها لا يعطف ما بعدها على ما قبلها كما تعطف بل . ويمكن عندهم دخول علامة التأنيث عليها كما يمكن دخولها على نظائرها من الحروف نحو رب ، وثم قيل ربت ثمث . . . فأدخل عليها التأنيث دلالة على تأنيثها .

حدثنا بمعنى هذا محمد بن أحمد عن ابن الأنباري عن أصحابه الكوفيين (١) .
ثم نراه في حديثه عن وزن خطايا بعد أن بين الأساسيد المختلفة ، ويذكر الذي قرأ رواية عن شيوخه — يذكر اختلاف النحويين في كيفية أصل ذلك ، فيروى قول الخليل وسيبويه من أن وزنها فعائل (٢) ، ويروى قول يحيى بن زياد القراء والكسائي من أن وزنها فعالي (٣) ، ثم يرجح قول الكوفيين كما ذهب إليه القراء.

وكذلك « كلتا » ، يورد خلاف الكوفيين والبصريين ثم يقول : « وعلى قول الكوفيين عامة القراء وأهل الأداء (٤) ومن هنا نراه يرد عن القراء ، ولا ينسب إليه غلطاً ، وإنما كان الغلط ممن نقل عنه ، وذلك : « حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : قال القراء : حذفوا واو الجمع في قوله : « نسوا الله (٥) » . قال أبو عمرو الداني : « ولا نعلم أن ذلك كذلك في شيء من مصاحف أهل الأمصار ، والذي حكى عن القراء غلط من الناقل (٦) : وبمثل ذلك يقف من الكسائي ويوثقه ويجعله قرين سيبويه في النقل عن العرب والاعتداد بما نقل .
وبعد : فما هو ذا الداني في كتابه الموضح ، وما هو ذا مكانه البعيد في الدراسات

(١) الموضح ٢٢٥ (٢) ١١٣ (٣) ١١٤ (٤) الموضح ٣١٠ (٥) س ٩ آية ٦٧ ، وس ٩ آية ١٩ (٦) المفتح ٣٨

القرآنية ، وذلك أثره المديد في أجيال الخالفين ، ومدى ما ظهرت شخصيته أمام شيوخه والأئمة السالفين ، وتلك هي اتجاهاته موافقاً أبا على الفارسي حيث ينزع منزعه في القياس ، ويتشبه به في فهم أسلوب سيبويه وتعبيراته في الكتاب ، واصطناع البرهان المنطقي في استدلالاته ، وفي استخدام العروض والقوافي في تعليقاته ، وفي اقتفائه فقوه في الاستشهاد بنصوصه ، ثم ذلك هو الداني في تخالفه هو وأبو على ، موثقاً القراءة بذكر اسنادها متأثراً متأثراً بـ بورش راوية نافع الإمام الذي ينتهي إليه سند الاستاذ ابن غلبون ، ومدى اعتداده برسم المصحف محتجا ومستشهداً ، وأخيراً ذلك موقف الداني من توثيقه القراءات المتصلة بنحو الكوفيين .

ثم أما بعد : فقد دعوت في مكان آخر إلى لخص ، نحو القراءات عند البصريين ، ثم دعوت كذلك إلى اختبار نحو القراءات عند الكوفيين في الحديث عن أمير النحاة القراء في كتابه معاني القرآن ، والآن وأنا مع أبي عمرو الداني شيخ القراء ، وصاحب الأثر البعيد المدى عند المقرئين — الآن أدعو الباحثين إلى الاتجاه بجهودهم ودراساتهم لاستخلاص مسائل النحو الواردة في غضون القراءات ، وتوثيق هذه المسائل بما ورد عن الأئمة القراء ، واستخراج نحو جديد يقوم على سند صحيح في الرواية ، وضبط واع في النقل ، ودقة محيطة في الأداء ، واست أشك في أنهم سيظفرون بطائفة صالحة نبذها النحاة ، واعتد بها القراء ، وهؤلاء هم أولى بالاعتداد في هذا الجانب وقراءتهم أحق وأجدر بالاستشهاد . هذه دعوتي إلى الباحثين والدراسين ، فهل يستجيبون ١٩ .

تعقيب

بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس

* * *

الآن وقد فرغت من عرض مذاهب المحتجين للقراءات منذ سيويه حتى أبي عمرو الداني وبينت في الدراسات المقارنة مقدار ما تخالف المحتجون أو توافقوا مع أبي علي، ومدى ما تأثر بالسابقين، وما أثر في الخالفين من المحتجين — الآن تتميز أمامي مدرستان: مدرسة الأثر، ومدرسة القياس، ولكل نزعة تخالف نزعة الأخرى، فمدرسة الأثر تنزع إلى ما يأتي:

١ — التحديث عن الأشياخ، ونقل أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف والتابعين وعلما الأمة.

ب — الاحتجاج بما روى أو نقل عن هؤلاء الأشياخ.

ج — الاعتماد على رسم المصحف في الاحتجاج.

د — تغليب ما لم يرو من القراءات وإن كان جائزاً في العربية.

أما مدرسة القياس فكان من مقاييسها ما يلي:

١ — عدم الاعتماد — في الاحتجاج — على ما حدث به الأشياخ وما نقل الأئمة.

ب — عدم الاحتجاج برسم المصحف.

ج — تغليب القراءات المروية إذا لم تكن موافقة مع ما ترى من مقاييس العربية ويقابل ذلك.

د — تصحيح ما لم يرو من القراءات إن كان جائزاً في العربية.

ورأينا بين المحتجين من يقول بالأثر، ومنهم من يقول بالقياس، ومنهم من يقترب من هذين أو يبتعد عنهما بمقدار، ويقف أبو علي شامخاً يمثل مدرسة القياس البحت بما لها من طابع تحكيم مقاييس العربية في القراءات المروية^(١) وتصحيح قراءات غير مروية إذا كان لها وجه من القياس.

(١) انظر موقف أبي علي من القراءات التي تخالف مذهبه

فاذا نقل ابن مجاهد — مثلا — أن قراءة لا يحطمنكم^(١) ساكنه النون غلط ، قال أبو علي : قوله : وهو غلط يريد أنه غلط من طريق الرواية لا أنه لا يتجه في العربية ، ووجه النون الخفيفة والشديدة هاهنا حسنان^(٢) وإذا صحح ابن مجاهد عن نافع همز معائش^(٣) قال أبو علي : همز معائش غلط^(٤) .

وقد رأينا كيف تأثر المغاربة بأبي علي - يمثلين في أشهر قرائهم مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني - ينقلون نصوصه ، ويرون رأيه ، وينهجون نهجه فيما قال ، ثم كان منهم تحديث عن أئمتهم ، واحتجاج بالرواية عنهم ، واعتماد على رسم المصحف ، وبذلك مزجوا في الاحتجاج بين معايير المدرستين ، ولكنهم كانوا أقرب إلى مدرسة النقل والاثار .

وقد خلص الاحتجاج للقراءات من مظاهر القياس عند أبي الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي (توفي ٦٤٣هـ) الذي يمثل مدرسة النقل والاثار خالصة ، وإنكم لترونه يقول بعد أن بين أسباب الإمالة عند النحاة : « وأما القراء فما قرأ أحد منهم بالإمالة لما ذكر من الأسباب وإنما قرأ لما رواه ونقله » وقد جعل رسم المصحف مقويا للنقل حيث يقول : « أئمة القراءة لم تمل ما كان من ذوات الياء للرسم فقط بل إن إمالاته من حيث صحت الرواية بإمالاته عندهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم دلت على حسنها وجوازها وتوكدها وقوتها برسم تلك الحروف بالياء^(٥) .

وفي الجدول الآتي الأعلام من رجال المدرستين ، وتلخيص نزعاتهم^(٦) ، وتطور هذه النزعات على مر العصور حتى القرن العاشر ، ومكان أبي علي بين السالفين والخالفين .

(١) سورة النمل آية ١٨ (٢) الحجة ٦/٦

(٣) سورة الحجر آية ٦٠ (٤) الحجة ٤/١٣٩

(٥) جمال القراء لعل الدين السخاوي والكتاب مخطوط غير مرقوم الصفحات دار الكتب ٩ قراءات

(٦) اعتبرت في هذا التقسيم الصفة الغالبة على كل إذ أن بعضهم يمزج معايير المدرستين بمقدار -

رقم	الإمام	تأليفه	تأليفه	نوعه في الاحتجاج	مؤلفه الذي ظهرت فيه هذه النزعة
١	سيبويه	١٨٠ هـ	نحوى	قياسى	الكتاب
٢	الفراء	٢٠٦ هـ	د	أثرى غالباً	معانى القرآن
٣	الطبرى	٣١٠ هـ	قارىء	د	جامع البيان: تفسيره المشهور
٤	الزجاج	٣١١ هـ	نحوى	د	معانى القرآن
٥	ابن السراج	٣١٦ هـ	د	د	الاحتجاج للقراءات
٦	ابن مجاهد	٣٢٤ هـ	قارىء	أثرى صرف	القراءات
٧	ابن خالويه	٣٧٠ هـ	نحوى	أثرى غالباً	الحجة
٨	أبو على الفارسي	٣٧٧ هـ	د	قياسى صرف	الحجة
٩	ابن جنى	٣٩٢ هـ	د	أثرى	المحتسب
١٠	مكي بن أبي طالب	٤٣٧ هـ	قارىء	أثرى غالباً	الكشف
				يميل إلى نحو الكوفة	
١١	الدانى	٤٤٤ هـ	د	أثرى	الموضع
				(أندلسى يميل إلى مذهب أهل الكوفة)	
١٢	سبط الخياط	٥٤١ هـ	د	د	المبج
١٣	علم الدين السخاوى	٦٤٣ هـ	د	أثرى بحت	جمال القراء البحر المحيط
١٤	أبو حيان	٧٥٤ هـ	قارىء نحوى	أثرى	
				أندلسى يميل إلى الكوفة	
١٥	ابن الجزرى	٨٣٢ هـ	قارىء	أثرى	النشر

نتائج وملاحظات :

١ — المدرسة النحوية الكوفية تظهر عليها النزعة الاثرية في الاحتجاج للقراءات .

ب — وكذلك تظهر هذه النزعة في المدرسة الاندلسية .

ج — من رجال المدرسة البصرية من نزع منزع الاثر كالزجاج وابن السراج

وابن جنى .

د — يبلغ القول بالآثر ذروته عند ابن مجاهد من المتقدمين (٣٢٤ هـ) .

وعند علم الدين السخاوى من المتأخرين (٦٤٣ هـ) ، وبعدها يتتابع التمسك بالآثر وتصحيح القراءات المروية عند القراء والمفسرين والنحاة جميعاً .

هـ — يبلغ القول بالقياس ذروته عند أبي على الفارسي .

و — كان من أثر أبي على الفارسي عدم نزوع المحتجين بعده كابن جنى ومكي

والداني منزع الآثر البحت بل استغل كل منهم القياس بمقدار .

* * *

ولذا قد انتهت الى هذا الحد مبيناً أثر أبي على — مفصلاً وبجمل في الاحتجاج ،

أرجو أن أتبين ما كان للرجل من آثار في الميدان النحوي ، وذلكم موضوع

ما يأتي من حديث .

الباب الخامس

أبو علي والنحو

الفصل الأول

١ - نشأة البحث النحوي وتطوره

يبرز اسم أبي الأسود الدؤلي الكنتاني عند النظر في نشأة البحث النحوي ، وقد اختلف الناس من علماء هذا الزمان فيمن وضع النحو ، فالمرحوم صادق الرافعي في كتابه أدب العرب يرى « أن تاريخ وضع النحو لا سبيل إلى تحقيقه البتة (١) ، ويتابع الأستاذ ابراهيم مصطفي المرحوم أحمد أمين ، فيرى أن الذي وضع النحو هو عبد الله بن أبي اسحق ، ويستدل على ذلك بأدلة قوامها أن سيويوه في الكتاب لم يرو لأبي الأسود ، على حين قد روى لابن اسحق ، فهو أقدم عالم نسبت إليه مسألة نحوية (٢) ، ويتعقبه الأستاذ عبد الوهاب حموده ، ويرى أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي (٣) ، ويزيد على هؤلاء أستاذنا على النجدي فيرجح - في كتابه سيويوه امام النحاة - رأى الأستاذ حموده ، ويؤكد به بما يضيف إليه من أدلة جديدة (٤) ، ومهما يكن من اختلاف حول وضع النحو فهم متفقون جميعاً - القدامى والمعاصرون على أن أبا الأسود هو الذي أعرب القرآن ، وأقول : إن ذلك معناه عندي أنه هو الذي وضع النحو مستدلاً على ذلك بأن طبيعة أبي الأسود ، وطبيعة

(١) من محاضرة للأستاذ إبراهيم مصطفي في أصول النحو - مؤتمر المجمع الدورة السادسة عشرة : ص ٢

(٢) المصدر السابق : يورد الأستاذ إبراهيم مصطفي لإحصائية عن المرات التي نسب فيها سيويوه إلى شيوخه (ص ٤) وبموازاة هذه الإحصائية بالإحصائية التي أوردتها أستاذنا في كتابه سيويوه امام النحاة ص ٩٨. ندرك خلافاً في الإحصاء عند كل .

(٣) فصلا من مجلة كلية الآداب ١٣٢م ج: ١ (٤) انظر سيويوه امام النحاة ص ١٣٢-١٣٧

عمله الذى تولاه تؤديان بنا إلى التسليم بأنه هو الذى أسس العربية ، وفتح بابها ،
وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها (١) .

أما فيما يتعلق بطبيعة أبى الاسود ، فقد حكى عنه أنه كان بخيلاً (٢) ، والبخل
يدعو إلى التزام الدقة والتحرى والضبط ، ثم هو قاض محكم (٣) ، والقاضى بحكم عمله
يقيس الاشياء والنظائر ، ويبدو لى أنه لم يحكم من الناس ، ولم يرشح للقضاء إلا لانه
مأنوس منه دقة النظرة ، وصدق الحكومة .

ومن دليل تحريه ، والتزامه الدقة فيما يأتيه أن طلب من زياد أن يبعث إليه
ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الاسود عشرة ، ثم ما زال ينخلهم
حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس (٤) ، فانظر معى كيف يظل يتمحن هؤلاء
الرجال الثلاثين ، فيصطفى منهم عشرة بادية الرأى ، ثم يعين فى التصفية حتى يستقر
على رجل واحد يضع فيه ثقته ، ويتوسم منه لقائه ؟ وهكذا حقق ما كان يبغيه
فى الرجل الذى يعاونه إذ قال زياد : « فليغنى الامير كاتباً لقنا يفعل ما أقول (٥) » ، ا
وقد روى أبو الفرج عن شيوخه ما يدل على نخله ، ونزعة المنطقية معاً . قالوا :

« كان بين بنى الدئل وبين بنى ليث منازعة ، فقتلت بنو الدئل منهم رجلاً ، ثم
اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته ، فاجتمعوا إلى أبى الاسود يسألونه المعاونة
على أدائها ، وألح عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة ، فقال له : « يا أبا الاسود ! أنت
شيخ العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سودد ، ... ،
فلما أكثر أقبيل عليه أبو الاسود ثم قال له : « لقد أكثرت يابن أخى : فاسمع منى :
إن الرجل والله ما يعطى ماله إلا لاحدى ثلاث خلات : إما رجل أعطى ماله رجاء
مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله
وماعنده فى الآخرة ، أو رجل أحق خدع عن ماله ، والله ما أتم أحد هذه الطبقات ،
ولا جئتم فى شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك
إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الاسود لو وصل إلى بنى الدئل ، قوموا إذا شئتم ا ،
فقاموا يبادرون السباب (٦) .

(١) مقدمه طبقات الشعراء لابن سلام (٢) الأغاني ١١/١٠٤ ط السامى

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥

(٥) الفهرست ص ٦٠

(٤) نزهة الألباء ص ٦

(٦) الأغاني : ١١/١٠٣

فانظر معى إلى ذلك التقسيم، وما فيه لآبى الأسود من عقل رجيح، ثم تدبر
تعبيره آخر الامر: ولما أهدتك إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الأسود،
فهو بهذا يدل على أن كلامه كلام حكيم يقوم الفطن، ويشقف العقول، وفيما روى
لنا من شعر أبى الأسود يدل على نزعته التى إليها أشرت: اقرأ قوله .

إذا كنت مظلوما فلا تلف راضيا
عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطرح
مقاتلهم، واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذى جهل، وباعد بعالم
جلوب عليك الحق من كل مجلب
فارحذبوا فاقعس، وإن هم تقاعسوا
ليستمكنوا بما ورايك فاحذب
ولا تدعنى للجزور، واصبر على التى
بها كنت أفضى للبعيد على أبى
فانى امرؤ أخشى إلهى، وأتقى
معادى، وقد جربت مالم تجرب (١)

ففى هذا النص ما يدل على صائب النطق، وصدق الحكم، والتجربة التى تبعث
الحكمة، وهى معان سأعتمد عليها فى التدليل على ما أذهب إليه من رأى .

أما طبيعة عمله فهو لا شك يحس جلال العمل الذى ندب إليه، أنه عمل يتعلق
بكتاب الله، وهو أمر خطير يدعو إلى زيادة اليقظة، وعميق الملاحظة، وفضل
التأمل . . إنه سيعرب القرآن بنقطه، وسيقوم بذلك فى جميع القرآن فابتدأ
بالمصحف حتى أتى على آخره (٢) وإذن مر بكثير من المرفوعات، وبعدد
ضخم من المجرورات، وبمثل ذلك من المنصوبات والمجزومات، أفلا يهديه الحس
اللقوى، والمنطق الفطرى إلى جمع الأشباه والنظائر تحت حكم عام، ووضعها
فى قاعدة واحدة، قاعدة بدائية؟ وأبو الأسود الذى استطاع أن يعقد قياسا —
بالملاحظ الطارىء العابر بين قوله :

فان يك حبيهم رشدا أصبه
ولست بمخطئه إن كان غيا
وقوله تعالى: « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » (٣)، ألا يستطيع —
مع فضل التأمل، واستجماع دواعى التثبت، وتعدد الأشباه والنظائر، وخطر العمل
الذى ينهض به أن يلحظ عمل الحروف جارة، وناصبة، وجازمة . . فيما يتوارد عليه
من القرآن الكريم ١٤ وإنك لتقرأ الربع الأول من سورة البقرة . . الربع الأول
فقط . . فتجد من حروف الجر الذى يقتضى وضع نقطة تحت الحرف ما يأتى :

(٢) نزعة الألباء ٦

(١) الأغاني: ١١/١٠٤

(٣) سيويه امام النحاة ص ١٣٥

(الكاف)	(في)	(على)	(من)	(الباء)
كصيب	في قلوبهم	على قلوبهم	من قبلك	بالغيب
	في طغيانهم	على سمعهم	من الناس	بالآخرة
	في ظلمات	على أبصارهم	من السماء (مرتين)	باليوم
	في آذانهم	على كل	من الصواعق	بؤمنين
	في ريب	على عبدنا	من قبلكم	بنورهم
		على	من الثرات - من مثله	بالكافرين
			من دون - من تحتها	بسمعهم
			من ثمرة	بسورة

ألا يستطيع أبو الأسود - وقد رزق دقة النظر، ولحظ النظير - أن يستنبط قاعدة من تكرار هذه الأحرف وغيرها من حرف النصب والجرم بما يهدى إليه الاستقراء في كتاب الله الكريم كله ١٩ وليس بعيدا عندي أن يستعمل بعض الاصطلاحات كالجر، والنصب، والرفع؛ فقد لحظ ابن جنى أن غلاما من أهل المهيا ذكر النصب بهذا اللفظ وعجب ابن جنى منه (١).

على أن القائلين بأن عبد الله بن أبي اسحق - قد وضع النحو لم يلتفتوا إلى عبارة ابن سلام - وهو موثق عندهم (٢) - بأنه - أي ابن اسحق - أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل بعد قوله في أبي الأسود: «أنه وضع قياس العربية»، ومعنى هذا أن نحو أبي الأسود كان مجتمعاً فبعجه ابن أبي اسحق، وقياسه كان بدائياً فده، ومعنى هذا. فيما أفهم. أنه كان هناك عند أبي الأسود نحو وكان هناك قياس على أية حال:

وهم يختلفون فيما وضعه أبو الأسود النولي، فهو فيما يذكر ابن سلام: «باب الفاعل، والمفعول، والمضاف، وحرف الجر، والرفع، والنصب، والجرم» (٣) ولا يختلف الزبيدي في طبقاته عن ابن سلام في شيء من ذلك في قول، ويقصر على باب الفاعل والمفعول فيما حدث به علي بن محمد الهاشمي (٤) وهو فيما يذكر

(١) انظر الحصائص: ٨٠/١ وانظر عبارة الزبيدي في طبقاته ص ٤٤١

(٢) محاضرة الأستاذ ابراهيم مصطفي ص ١ مؤتمر الجمع د ١٦

(٣) مقدمة طبقات ابن سلام (٤) انظر طبقات الزبيدي ١٣ و ١٥

عبد الرحمن بن الأنباري : باب العطف ، والنعت ، والتعجب والاستفهام ، وإن ، وأخواتها ما عدا لكن^(١) .

وفيا يذكر السيوطي في الاقتراح : « باب إن ، وباب الإضافة ، وباب الإمالة ثم باب العطف ، والنعت ، ثم باب التعجب ، والاستفهام^(٢) .

وليس بين السيوطي وابن الأنباري كبير فرق ، وعلى فرض صحة البدء في وضع هذه الأبواب التي ذكرت ، فإن حروف النصب تتكرر في القرآن بكثرة غامرة ، وعلى صورة ظاهرة ، وبمراجعة القرآن تتضح كثرة تكرار أن وأخواتها ما عدا لكن .

أما التعجب والاستفهام فيبدو لي أن هذين البابين التفت إليهما أبو الأسود من قول ابنته : « ما أحسن السماء ، فقال لها : « نجومها ، فقالت : « إنني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنائها ، فقال لها : « إذن فقولي : ما أحسن السماء^(٣) ، فكان التعجب وكان الاستفهام .

أما الإمالة فيرجح عندي — إن صح أنها من أول ما وضع — أن ذلك كان نتيجة لأن الكاتب الذي اختاره أبو الأسود من عبد القيس ، وعبد القيس من أسد^(٤) ، وأسد من القبائل المميلة^(٥) ، ولاشك أن الكاتب مشترك مع أبي الأسود في تصحيح الضبط ، وتدقيق النقط ، فلعله وهو من أسد المميلة كان يراجع أبا الأسود في الكلمات المائلة وضبطها ، ولعل ذلك وجه أبا الأسود إلى وضع هذا الباب .

وعمل أبي الأسود في النحو بدائي يكفيه ما نذب إليه من مهمة ، وما قام به من شكل المصحف عن طريق الضبط ، ولا داعي للاستقراء الشامل للغة ومفرداتها ، والاستيعاب العام لنصوصها وتراكيبها وأساليبها حتى يمكن حصر المفردات في أي جرئية نحوية من الجزئيات التي تعرض لها . وأنا أخالف الدكتور حسن عون^(٦) في ذلك ، فطبيعة عمل أبي الأسود وما ركب الله فيه من صدق الحكم ، وسديد النظر ، تدعوه إلى استقراء كتاب الله واستقراء القرآن الكريم كاف للظفر بنتيجة عامة

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٨٤

(١) نزهة الألباء ص ٤

(٤) جهرة أنساب العرب ص ٢٨٠ و ٢٨٢

(٢) نزهة الألباء ص ٧

(٥) اظر ص ١٥٢ ابراز الماني ٥٤/٩ شرح المفصل لابن يعيش ٣٠/٢ النشر ٤/٤٣٨

شرح الأشموني ٣٥٠/٢ التصريح على التوضيح ١١٤ الاتقان للسيوطي .

(٦) اظر اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢٤١

صحيحة لا تكاد تتخلف في أى جزئية من جزئيات النحو ، بله هذه الجزئيات القليلة التي يروى أن أبا الأسود قد تعرض لها .

وأود ألا يفهم من وضع هذه الأبواب أن يكون على الصورة التي انتهت إلينا في الكتاب ، فما ذلك بخاطر على الذهن ، ولكنى أقصد من ذلك أن تكون هذه الأبواب كما يقول أستاذنا : « نظرات في اللغة قريبة ، وملاحظات على الأساليب يسيرة ، يهدي إليها الطبع ويقضى فيها الذوق »^(١) . . . ، فأبو الأسود لم يبلغ عمله في النحو — كما يقول أستاذنا أيضاً — البتة مبلغ الرأي المتميز ، أو الضابط المستوعب^(٢) .

وأرجو بعد ذلك أن تكون قد اطمأنتت معي — بعد الذي قدمت — إلى أن أبا الأسود كان الأصل في بناء النحو ، وعقد أصوله ، بحكم فطرته التي فطر الله عليها ، وبحكم طبيعة مهمته التي ندب إليها^(٣) .

هذا ، ويتعرض الباحثون المحدثون عند حديثهم عن شكل أبي الأسود للمصحف بطريق النقط — يتعرضون إلى الاجابة عن السؤال الآتي : هل كان أبو الأسود مبتكراً لهذه العلامات أو أخذها عن السريان ؟

أما الأستاذ عبدالمجيد حسن في كتابه « القواعد النحوية »^(٤) ، فيقرر أن علامات الشكل عند السريان كانت نقطاً فوق الحرف أو تحته أو في وسطه ، وأنهم هم الذين ابتدعوا هذه العلامات ابتداء ، وانتقلت منهم إلى سائر الساميين ، ولكن بعد ذلك يستفهم ولا يجيب ، ويعرض المشككة ولا يأتي لها بحل ، ويتوقف فلا يثبت أو ينفي ، وذلك حيث يقول : « فهل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الأسود الدؤلي في اللغة العربية ؟ ثم يمضى بعد ذلك في الحديث دون إجابة ، مقدراً هذه الخطوة في تاريخ الخط العربي وضبط الكتابة . . . »

على أن في حديثه عن ابتداء السريان لهذه العلامات ، وانتقال هذا الابتكار إلى سائر الساميين — ما يدل بطريق الاستنتاج على أنه يميل إلى أن أبا الأسود نظر إلى السريان عندما قام بضبط المصحف .

(١) سيويه امام النحاة ص ١٣٤ (٢) المصدر السابق ١٣٥

(٣) بعيد ما ذكره ابن فارس في الصحاحي من أن النحو كان قديماً وأنت عليه الأيام وقل في أيدي الناس ثم جدهه أبو الأسود (انظر الصحاحي ١٠)

(٤) ص ٧٨

وتوقف الأستاذ عبد الحميد حسن على هذا النحو يقابله رأى للدكتور حسن عون في كتابه «اللغة والنحو» يقرر فيه بصراحة أن الشكل بالنقط استمده أبو الأسود من النحاة السريانيين، ثم نفي الضير عن النحو العربي^(١)، وقدر مجهود أبي الأسود في صنيعة اللغة والنحو، وأن استماتته بالنحاة السريانيين لا غضاضة فيه، وبرهن على ما قرره بأن أبا الأسود قد سكن العراق المغزوب باللغة السريانية قبل الفتح العربي وبعده، والآهل بالعلماء السريان، وأن أبا الأسود — كذلك — تولى مناصب الولاية، وكان له في العراق الزعامة الدينية واللغوية، وأن السريان من قبل أبي الأسود — خافوا على كتابهم المقدس أن يمتد إليه اللحن، ففكروا في وضع ضوابط، ولم تكن هذه الضوابط سوى طريقة النقط التي استعملها أبو الأسود في ضبط شكل القرآن، وخلص من ذلك إلى بيان التشابه بين عمل أبي الأسود في ضبط المصحف، وعمل السريان من قبل في ضبط الكتاب المقدس، معتمداً على أن المقدمات متشابهة. والظروف متشابهة. والنتائج متشابهة. ثم أخذ يوضح كيفية اتصال أبي الأسود باللغة السريانية وبعلائها، فاستنتج أنه لا بد وأن يكون قد اتصل بالسريان وهم الفئة المثقفة الممارسة للنشاط الفكري في البيئة العراقية، إذ لا ينبغي مطلقاً لعالم ديني لغوي، وحاكم إداري كأبي الأسود أن يجهل وجود هذه الطبقة. وذكر أنه ادعى لأن يتعلم أبو الأسود اللغة السريانية، لكي يأخذ طريقة الشكل بالنقط عن السريان، ففي الترجمة غناه. على أنه عاد فقرر معرفة أبي الأسود للسريانية، وبدأ بالظن في ذلك أولاً، ثم ارتقى من الظن إلى الترجيح، وذلك حيث يقول: «على أننا نظن بل نرجح أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية...». وعلل ذلك بإقامته الطويلة في العراق، واهتمامه بالابحاث اللغوية والدينية، وأن الرسول وأصحابه حثوا على تعلم اللغات الاجنبية... واستشهد بأن علي بن أبي طالب كان ينطق في أحاديثه أحياناً بألفاظ أجنبية^(٢).

وكلام الدكتور عون لا ينبغي أن يترك من غير مناقشة، ذلك لأن مثل هذه المباحث لا يؤخذ فيها بالظنون، ولا يعتمد فيها على الفروض، ولا تلتق فيها

(١) أنا اتفق مع الدكتور عون في نفي الضير عن النحو العربي، وعن واضعه أبي الأسود، ولقد أردت بمناقشته الآتيه بمدحين تقرير الحقيقة ذاتها دون نظر إلى مازعمه من ضير في استماتة أبي الأسود بالسريان، بل أن أحداً لا ينكر الفائدة المحققة من تلافح العقول، وتراود الآراء.

(٢) كتاب اللغة والنحو ص ٢٤٨ وما بعدها.

الأحكام من غير أدلة قوية ، ولا يرقى فيها من الظن إلى الترجيح بهذه السهولة وذلك اليسر :

فالدكتور عون لا يقدم دليلاً يقينياً واحداً ، بل دليلاً قائم على أن لا بد من اتصال أبي الأسود بالسريان ، لأنهم الطبقة المستنيرة المثقفة وأنه لا داعي لتعلم أبي الأسود السريانية في الترجمة غناء ، ثم عاد ورجح أن أبا الأسود كان يعرف السريانية بإقامته الطويلة في العراق ، واهتمامه بالبحوث اللغوية والدينية ، وحث الرسول على تعلم اللغات الأجنبية . وهذه كلها أدلة ظنية ، فالإقامة الطويلة بالعراق لا تنتج حتماً معرفة السريانية ، وقد نسي الدكتور عون أن الدولة الأموية كانت دولة عربية خالصة ، وأن السريان لم يكن لهم من السلطان العلي في ظل هذه الدولة كما كان لهم في دولة بني العباس ، وإذ ثبت ذلك فقد انهدم ما بنى الدكتور عليه من أمر . هذا شيء وشيء آخر : هل من اللازم الذي لا بد منه أن يتصل الولاة والرؤساء الدينيون في كل عصر بالباحثين المعاصرين ؟ وهل اتصل الشيوخ من رجال الدين في عصرنا أو الحكام السياسيون بهؤلاء العلماء الأجانب المعاصرين باليهود الباحثين وهم القابضون على ناصية الاقتصاد والسياسة والاجتماع ومظاهر الثقيف ؟ إلى أن كتب التراجم لم تتحدث عن أبي الأسود عالماً بالسريانية ، أو متصلاً بها اتصالاً علياً ، فهذا الجاحظ العالم المتقصى المستطرد المستوعب يذكر عن أبي الأسود أنه معدود في طبقات الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها وكان معدوداً في التابعين ، والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والأشرف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء والصلح الأشرف ، والبخرا الأشرف (١) ، ولم يذكر الجاحظ أن أبا الأسود معدود من المتكلمين باللغات من أنه استقصى كل شيء معدود فيه الأسود حتى عده من الصلح ، والبخرا الأشرف !!

ثم ، هل اهتمام أبي الأسود بالبحوث اللغوية والدينية يستوجب اتصاله بالسريانية ؟

وصحيح أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حث على تعلم اللغات الأجنبية ،

(١) جاءت العبارة مروية عن الحافظ في بغيه الوعاة ص ٢٧٤ وهو محرفة عن الجاحظ . انظر

ولكن حثه كان على طريق التدب المستحب ، لا على طريق الإلزام الواجب ، ولو كان الأمر ملزما لا نكسب المسلمون عليها سعيًا وراء المدخر من الثواب ، والدليل على أن الأمر لم يكن على سبيل الإلزام استشهاد الدكتور عون نفسه برجل واحد حسب ، في كلمة واحدة حسب !! إلى أن استشهاد الدكتور يعلى بن أبي طالب وأنه كان ينطق أحيانًا بألفاظ أجنبية ، لا ينهض دليلاً على معرفة على باللغة اليونانية ، ذلك لأن الدكتور عون يعتمد على رواية الثعالبي في تيمته ، (١) ونص ما أورده الثعالبي : سألت على (عليه السلام) شريحاً مسألة فأجاب بالصواب فقال له : قالون ، أي أصبت بالرومية (٢) .

ومع التسليم جدلاً - بأن هذه الرواية صحيحة ، فهل معنى ذلك أن علياً يعرف اليونانية ؟ فاعجب من كلمة واحدة تروى عن على تتخذ دليلاً على معرفته عليه السلام بلغة اليونان ؟ وكثير منا الآن ومن عامة الناس لا من خاصتهم المثقفين ينطق باللغات الأوروبية كلمات الشكر والإهداء عند الأخذ والإعطاء ، وكلمات التحية عند الوداع أو اللقاء في الصباح وفي المساء . فهل معنى ذلك أن يعد أمثال هؤلاء في الذين تجرئ على أسلنتهم لغة الأوربيين ؟ على أن الفارق كبير بين عصرنا وعصر أبي الأسود من حيث الاهتمام بتعلم اللغات ، والمكانة الثقافية لهؤلاء الأعاجم علواً في هذا العصر ، وضعة في الصدر الأول من الإسلام . فالقول بأن أبا الأسود أخذ طريقة النقط من السريانية تهويل لا يقوم على دليل كهذه التهاويل التي أحيطت بها اللغة السريانية منذ بدء الخليفة إلى نهاية المطاف في القبور : فأدم علم الكتابة السريانية (٣) ، وسؤال القبر بالسريانية (٤)

وعمل أبي الأسود في شكل المصحف عن طريق النقط لا يحتاج إلى تفسيره بالاعتماد على السريان والاتصال بهم ، فعمله النقط ، والنقطة أول ما يتجه إليه الذهن في مثل ذلك العمل ؛ إذ هي أبسط ما يخط فليس هناك ما يدعو إلى أن يتجه أبو الأسود إلى السريان ينقل عنهم ، وينهج نهجهم ، ولم لا يكون عمل أبي الأسود واتفاه هو وما عمل السريان من توارد الخواطر ، ووقع الحافر على

(١) القسم الأول ص ٤٥٥

(٢) يعلق الدكتور عون على قول الثعالبي أن كلمة قالون رومية - بقوله : إن ذلك من

قبيل الخلط عند القدماء في تسمية ما هو يوناني بالرومي (اللغة والنحو ص ٢٥١)

(٤) متن الحريدة

(٣) الفهرست ١٨

الحافر على ما فيه من بدهاه وبدهائية ، وما عند أبي الأسود من حدة ذهنية ؟ فالأصل أن أبا الأسود قام بهذا العمل ابتداء ، وابتدعه — بين المسلمين — ابتداء ، ما لم يقم على غير ذلك دليل يعتمد عليه في التأويل والتعليل . . والله أعلم .
ومها يكن من أمر فان أبا الأسود قد وضع علم النحو ، واستخلفه ابن عباس على البصرة ^(١) ، وظل بها يلقى تعاليمه إلى أن لقي ربه سنة (٥٦٩) ^(٢) وقد أخذ عنه عنسة الفيل ونصر بن عاصم الليثي (٥٨٩) ويحيى بن يعمر (٥١٢٨) هم رأس المدرسة البصرية في النحو ، وتظاهر الروايات على أن أول كوفي وضع كتابا في النحو هو أبو جعفر الرواسي بعد نحو مائة عام من تأسيس المدرسة البصرية ، ولذلك عد الرواسي رأس المدرسة الكوفية ، ويتتابع تلاميذ كل من أبي الأسود الدؤلي — وأبي جعفر الرواسي ، على النحو الذي تذكره كتب الطبقات ^(٣) .

وكان لكل مدرسة طابع خاص في تناول الدراسات النحوية ، مما كان سبباً في اشتداد التنافس بين المدرستين ، ويرجع الخلاف بينهما إلى أن قواعد البصريين عامة يندرج تحتها معظم الشواهد العربية ، وقد أمكنهم ذلك باستقراء هذه الشواهد والأمثلة وأساليب العرب ، ثم أصدروا أحكامهم ^(٤) على الأعم الأغلب ، وأما ما عدا ذلك من المسائل فأما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم ، وإما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه بل يحكموا عليه بالشذوذ ، وهذه نزعة البصريين من قديم ^(٥) .
أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية ، وإن لم يرد غيرها في كلام العرب ويقيسون عليها ، فإذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادراً في كلام جعلوه باباً ^(٦) ، ولو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه ^(٧) :
اجتمع ثعلب والمبرد في مجلس محمد بن عبد الله بن ظاهر فسألهما عن قوله (عز وجل) :
« إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم : كم فيه لغة ؟ ، قال المبرد : « قلت ، برآء على مثال كراماه وبرآء على مثال كرام ، ، فقال ثعلب : « وبرآء أيها الأمير : ، فقال : « ما تقول يا محمد :
قلت : — . والقائل المبرد — « أيها الأمير : سله من أين ؟ ، قال : « من أين قلت ؟ ،

(٢) نزعة الألباء ص ٦
(٤) انظر الاقتراح ص ١٧
(٦) المص ٤٥/١

(١) طبقات الزبيدي ١٧
(٣) ضحى الإسلام ٢٨٤/٢
(٥) انظر طبقات الزبيدي ٤٤، ١٥
(٧) الاقتراح ص ٨٤

قال — والقائل ثعلب : حدثني سلة عن الفراء أنه سمع أعرابية تقول : « ألا في السورة أنتن : تريد ألا في السورة فطرحتم همزة ، فأخذ المبرد يأتي بالحجة تلو الحجة ، وبالذليل بعد الدليل ، وكان آخر ما قال : لا يترك كتاب الله ، واجماع العرب لقول أعرابية رعنا^(١) ، وفي هذه المحاجة دليل على منهج البصرين في اعتدادهم بالأعم الأغلب يجرى على السنة العرب ، ويتفشى لغتهم ، كما هي دليل على أخذ الكوفيين بالشواهد الفردية .

والكوفيين في قياسهم على الشاذ سند من أشياخ البصرين ومتقدمهم ، حدث علي بن محمد بن سليمان الهاشمي عن أبيه قال : قلت لعيسى بن عمر — يوما خيرني عن هذا الذي وضعت أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا ، قال : قلت : فن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به ، أراه مخطئا ؟ قال : لا^(٢) .

* * *

وقد كان نتيجة ذلك أن بدا نحو البصرين صارما حازما يقل فيه التجويز على حين يكثر التجويز ظاهرا عند الكوفيين ، فيه كثير من الترخص والاباحة ، فيجوز عندهم أن يجمع العلم الذي في آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلا جمع المذكر السالم^(٣) ، كما يجوز تقديم خبر ما زال وأخواتها عليهن^(٤) ، ويجوز تقديم معمول خبر ما الحجازية على نفسها^(٥) ويتعجب من السواد والبياض^(٦) ويجوز العطف على موضع أن قبل تمام الخبر^(٧) وهكذا وهكذا . . . ويمتنع ذلك كله عند البصرين . والكوفيون مع تجويزهم التقليل يستحبون الكثير ، ولذلك كان الفراء يقول : « لست أستحب ذلك لقلته^(٨) ، يشير إلى الجمع بين صيغة الأفعال والباء في قوله تعالى : « ويذهب بالابصار ، .

ويظهر أن الكوفيين أرادوا — وهم مؤدبو الخلفاء^(٩) وأولادهم أن ييسروا على هؤلاء في الدراسات النحوية بتصويب ما يجرى على ألسنتهم من التعبيرات التي تخضع لقاعدة طردها الكوفيون ، وقاسوا عليها ، فيسروا وأصحوا ، واطرد عنهم

(١) مجالس اللغويين والنحاة لوجه رقم ٤٥ نسخة مصوره عن شهيد على باستانبول

(٢) طبقات الزبيدي ٤١ (٣) الانصاف ٢٦/١ (٤) الانصاف ٩٩/١

(٥) الانصاف ١١١/١ (٦) المصدر السابق ص ٩٥ (٧) الانصاف ١١٩/١

(٨) معاني القرآن ١٩

(٩) كان الكسائي مؤدب الرشيد ، وكان الفراء مؤدبا للأمين والمأمون .

ما عده البصريون شاذاً لا يقاس عليه ، وكان طابعهم في عمومهم تجويز ما لم يجوزه مقابلوهم من البصريين (١) .

قال الاستاذ دى بور : « جعل نحاة البصرة للقياس شأناً كبيراً في الأحكام المتعلقة بالنحو ، على حين أن نحاة الكوفة ترخصوا في أمور كثيرة تشذ عن القياس ، ولهذا سمي نحاة البصرة « أهل المنطق » تمييزاً لهم عن نحاة الكوفة (٢) . وهاجم ابن درستويه — وهو من أصحاب أبي العباس المبرد — الكسائي إمام الكوفيين في النحو فقال : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه (٣) .

* * *

كان البصريون يتحرون أن تكون شواهدهم مسموعة من العرب الخالص ، وساعدهم على ذلك قرب البادية منهم ، وفيها المبرد مجتمع الفصحاء ، وفيها معلون من الأعراب كأبي مالك عمرو بن كركرة (٤) والوحشى أبي ثروان العكلى (٥) ، ومنها وافدون على البصريين كأبي البيداء الرياحي (٦) ، وأبي الجاموس ثور ابن يزيد (٧) الذي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي ، وشييل بن عرعة الضبجي (٨) وأبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى .

أما الكوفيون فما كانوا يتحرون شيئاً من ذلك ، أترأ لبعده الكوفة عن هؤلاء الأعراب المتبدين ، وقد جاء في كتاب التكملة لأبي علي الفارسي : قال القراء : كان النحويون يقولون امرأة فاذا أدخلوا الألف واللام قالوا المرأة وهو وجهة الكلام ، قال وقد سمعتها بالألف واللام الا امرأة . . وعلق على ذلك الفارسي بما يظهر مذهب البصريين في الاعتماد على الكثرة والفصحاء — قال — : ولعل هذا الذي سمعها منه لم يكن فصيحاً لأن قول الأكثر على خلافه (٩) . وقد أخذ الكسائي فيما — فيما أخذ — عن أعراب الحطمية النازلين بقطربل — فلما ناظر

(١) انظر الانصاف ١/١٢٨ ، ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، مثلاً ٢/٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠

٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٤٣٩ مثلاً

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٨ (٣) بنية الوعاء ص ٣٣٦

(٤) فهرست ابن النديم ص ٦٦ (٥) المصدر السابق ص ٦٩

(٦) المصدر السابق ص ٣٦ (٧) الفهرست ص ٦٧

(٨) المصدر السابق ص ٦٨ (٩) التكملة ١٢١

سيبويه استشهد — أي الكسائي — بلقمتهم ، فقال أبو محمد اليزيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقص ما به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائي وأصحابه يرقون في النحو إلى أسفل^(١)

وكان أبو زيد يقول : فيما يروى ياقوت : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن . فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله^(٢) . »

وكان البصريون يعتزون بأنهم أخذوا اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع على حين أخذها الكوفيون عن أهل السواد أصحاب الكواميخ ، وأكلة الشواريز^(٣) جمع شيراز وهو اللبن الرائب

وقد أورد ابن جنى باباً في كتابه الخصائص في أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل المدر^(٤) .

* * *

وقد شاعت المذاهب الفلسفية في البصرة ، وطفى منهج أصحاب الكلام في بيئاتها الدراسية ، على خلاف من الكوفة في ذلك ، ومن هنا كان في نحو البصريين تعليل وفلسفة ، وفي نحاتها قدرة على الجدل والقياس ، وقف أعرابي على مجلس الأخفش ، فسمع كلام أهله في النحو ، وما يدخل معه ، فغار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : « تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا^(٥) ، »

(١) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٢٦

(٢) معجم الادباء : ١٨٢/١٣ (٣) انظر أخبار النعوين البصريين ترجمة الرياشي

(٤) الاقتراح للسيوطي ص ٣٢

(٥) الامتاع ١٣٩/٢ ويظهر أن الاعرابي قد أصابه طائف من هذه الفلسفة فأخرج كلامه

مخرج الفلاسفة (شلبي)

وقد نشأ ابن المقفع بالبصرة^(١)، وكان صديقا حميما للخليل بن أحمد، وكان في الخليل بن أحمد النحوى البصرى ذكاه نادر يستطيع به أن يهضم الأبحاث المنطقية واللغوية التي ينقلها ابن المقفع من الفهلوية^(٢) وربما كان ذلك يمت بسبب إلى مارووا عنه من أنه كان الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه^(٣).

وقد ظلت المدرسة البصرية تجرى على هذا السنن من الأخذ بالمنطق، واستخدام القياس، والتعليقات الفلسفية حتى وصلت في ذلك إلى الحد الذي يبدو فيما دار بين المبرد البصرى، وثلعب النحوى في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر: . سأل المبرد ثعلبا عن همزة بين بين أساكنة هي أم متحركة؟ قال ثعلب: . لا ساكنة ولا متحركة، يريد أن حركتها روم. فقال المبرد: قوله: . لا ساكنة، قد أقر أنها متحركة، وقوله: . لا متحركة، قد أقر أنها ساكنة فهي ساكنة لا ساكنة، ومتحركة لا متحركة^(٤)، وفي ذلك صورة من الجدل الفلسفى والأسلوب العقلى الذى شاع عند النحاة البصريين. وكان ثعلب ذا نقل عن القراء والكسائى، فاذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء^(٥). وانتقلت حدود المناطق إلى النحويين، وهذا الزجاجى من مدرسة المبرد يحدد الاسم فيقول: الاسم فى كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا، أو واقعا فى حيز الفاعل والمفعول به، هذا الحد داخل فى مقاييس النحو وأوضاعه وليس يخرج عنه إسم البتة ولا يدخل فيه ما ليس باسم، وإنما قلنا فى كلام العرب لأننا له نقصد وعليه نتكلم، ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حدوه حدا، خارجا عن أوضاع النحو فقالوا الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم؛ وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين^(٦).

* * *

وقد تبين لى أن الكوفيين يمتدون بالقراءات، وبينون قواعدهم عليها، على

(١) ضحى الإسلام: ٢٠٤/١ (٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام س ٣٩

(٣) نزعة الألباء س ٣١

(٤) مجالس اللغويين والنحاة لوحة رقم ٥٥ نسخة مصورة عن شهيد على باستانبول

(٥) انباه الرواه: ١٤٤/١

(٦) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى س ٦ ب

حين أن البصريين وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية ، وأخضعوها لاصولهم وأقيستهم ، فوافق منها أصولهم — ولو بالتأويل — قبلوه ، وما لم يوافق رفضوه ، بل ربما حكموا على القراءة بالوهى ، وعلى القارىء بالوهم (١) .
وكان القراء يقول « والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر » (٢) ،
« والاجتماع من قراءة القراء أحب إلى » (٣) ، وربما اقتضى منهج هذا البحث العود إلى هذا الموضوع بالتفصيل ، فأرجئه لاعود إليه بعد حين .

* * *

وقد احتفظت المدرستان بوجودهما المنفصل حتى نهاية القرن الثالث أو وسط القرن الرابع وحينئذ أصبحتا مختلطتين في المدرسة الجديدة : في بغداد .
وقد توفرا بن قتيبة — وهو نحوى بصرى — بعد انسحابه من القضاء في الدينور على التدريس ببغداد إلى أن مات سنة ٢٧٦ هـ وكان يميل إلى خلط تعاليمه بنظريات منقولة من الكوفيين (٤) .

ويعد المبرد البصرى (٥٢٨٥) ، وثلعب الكوفى (٥٢٩١) آخر ممثلين للدرستين .
وقد سكن هذان العالمان المتنافسان ببغداد ، كما اشتركا في تأديب الشاعر الامير ابن المعتز ، وقد سمع الناس محاضرات كلا الاستاذين ، وكانت اندماج تعاليم المدرستين في الجيل التالى من النحويين الذين أسسوا مدرسة بغداد (٥) .

واحتفظت المدرسة البصرية بتعاليمها إلى أواسط القرن الرابع ؛ لأن ابن دريد الذى عاصر المبرد لمدة اثنين وستين عاما ظل حيا حتى ٣٢١ هـ ، وباستثناء هذا المعمر الذى كان البقية الباقية من مدرسة البصرة فان من خلف المبرد وثلعب يسمون بالبغداديين كأبي بكر بن السراج ومبرمان ، لا لانهم سكنوا وحاضروا في بغداد ، ولكنهم هناك لقنوا مذهبها جديدا مزيجا من تعاليم الدرستين القديمتين من تفاوت منهم في النزوع إلى إحداها دون الأخرى (٦) .

(١) انظر مسألة ٦٠ من الانصاف (٢) معاني القرآن ص ١٤ ط (دار الكتب)

(٣) معاني القرآن ورقة ١٩٤ (٤) الفهرست لابن النديم ص ١١٠

(٥) مقدمة ١١ ARABIC GRAMMER BY HOWELL. VOL. I. P.

(٦) المصدر السابق VOL. I. P. 16

وأرى أن هذا الذي يقول Howell وما يذهب إليه بعض الباحثين من أن هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون الأولون من أصحاب التراجم والطبقات . ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين .

فابن النديم لا يسمى من خلطوا بين المذهبين بغداديين^(١) .
والزبيدي في طبقاته يذكر في كتابه النجاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين (الأفريقيين) والاندلسيين ولا يزيد^(٢) .

وأما نصوص العلماء الأقدمين فإن أبا علي الفارسي حينما يسمي الكوفيين باسمهم هذا وحيناً يطلق عليهم البغداديين ، وقد ناقش البغداديين في إجازتهم جمع طلحة بالواو والنون ومعروف أنهم الكوفيون هم الذين يميزون ذلك، وقال : « ومن كلام أهل بغداد : الكسائي والقراء نحن جئناك به^(٣) » ،

وجاء في تهذيب التهذيب : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والقراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس^(٤) » ،

وقال ابن جنى وقد رأى رأى الكوفيين مطلقاً عليهم البغداديين ولا قرابة بيني وبين البصريين ولكها بيني وبين الحق والحمد لله (أنظر المحتسب سورة آل عمران) « وإن يمسك قرح^(٥) .

بل ربما توسع العلماء في زمن أبي علي فأطلقوا لفظ العراقيين على الكسائي والقراء والأحر^(٦) .

فالقول بأن ابن السراج ومبرمان يمثلان المدرسة البغدادية كما يذهب إليه Howell مردود ، وبشبهه على رده كذلك أن الزبيدي — وهو معاصرهما — يجعلهما من البصريين^(٧) وكذلك يفعل ابن النديم^(٨) .

وإذن فلم تكن هناك — فيما أرى — مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها ، غاية ما في الأمر أن رجالاً خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية ، فرأوا رأياً

(١) انظر المهرست ١١٥-١٢٩

(٢) انظر فهرست طبقات الزبيدي ٣٤٣-٣٥٧

(٣) انظر الحجة : ٩٢/١ نسخة مراد ملا (٤) انظر تهذيب التهذيب ٢١٢/١١

(٥) وانظر الخصائص : ٤٠٩/١

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري نسخة مصورة بمجمع اللغة العربية رقم ٦٢٦ لغة : ٣

(٧) انظر طبقات الزبيدي ١٢٢-١٢٥ (٨) انظر المهرست : ٨٩-٩٢

من هذه ورأيا من الأخرى وإن كانوا في مذهبهم الاصيل يميلون إلى هذه أو يميلون إلى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين حسب . فابن كيسان يحفظ المذهبين لأنه أخذ عن المبرد وعلب^(١)، وكان ميله إلى البصريين أكثر^(٢)، وكذلك كان ابن قتيبة^(٣) . وابن شقير شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين^(٤) وأبو علي نفسه أحد هؤلاء فعلى الرغم من نزعة التي تميل به إلى البصرية كان يرى رأى الكوفيين في بعض المسائل النحوية ، وقد أعطيت مذهبه فضل بيان في بعض فصول هذا البحث فليراجع هناك .

(ب) معالم نشاط النحويين منذ عهد أبي الأسود حتى أبي علي الفارسي ، منذ أن توفي الرسول (ﷺ) ، وانتهى الأخذ عنه بوفاته ، والنحويون الأولون — الذين كانوا قراء — نصبوا أنفسهم رقبا على لحون القراء ، وتتابع النحاة بعد أبي الأسود يستمعون إلى القراء ، ويرقبون القارئ ، وينبهون إلى الحن اللاحنين ، ويمكن لهم من هذه الرقابة أن مجالها ذو شأن عظيم : ذلك هو القرآن الكريم ، واللحن فيه أبعـد أثراً ، وأشد خطراً ، وأبشع نكراً ، نعم ! بدأت الرقابة منذ أبي الأسود . وقد علنا ما كان من الأمر عندما سمع قارئاً يقرأ : « إن الله برىء من المشركين ورسوله . بكسر اللام »^(٥) ، ودفع النحاة الأولين إلى هذه السيطرة — كذلك — أن لكل منهم عملاً قرآنياً مذكوراً به ، مشهوراً عنه ، إلى جانب جلوس كل منهم للقراء يؤخذ عنه ، ويعرض عليه : فأبو الأسود الدؤلي ينقط المصحف^(٦) ، ونصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ^(٧)) يسأله الحجاج أن يضع للحروف المتشابهة علامات ، وينهض نصر بهذه المهمة ، فيضع النقط أفراداً وأزواجاً ، ويخالف بين أما كتبها بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف^(٨) ويروي أبو عمرو أن نصراً هو الذي خمس المصاحف وعشرها^(٩) . ونصر هذا هو الذي حدث عنه خالد الخذاء ، قال : « سألت نصر بن عاصم كيف تقرأ : « قل

(١) حاشية الامير على المفتي ٥٦/١ وانظر نزعة الالباء ١٦٢

(٢) انظر طبقات الزبيدي ١٧١ (٣) انظر الفهرست ١١٥

(٤) الإيضاح للزجاجي : ٢٠ (١) (٥) نزعة الالباء ٦

(٦) طبقات الزبيدي ١٣ (٧) نزعة الالباء ٩

(٨) كتاب النقط ١٣٣

(٩) التصحيح والتعريف لأبي أحمد العسكري ١٠

هو الله أحد الله الصمد ، فلم ينون ، فأخبرته أن عروة ينون فقال : « بثما قال ، وهو للبئس أهل ، فأخبرت عبد الله بن أبي اسحق بقول نصر بن عاصم فما زال يقرأ بها حتى مات (١) . ولم يكن النحاة الأولون يردون القراءات المخالفة للعربية فحسب ، بل كان اشتغالهم بالقراءة والاقراء داعياً إلى رد كل قراءة لم ترد عن الرسول وإن كانت جائزة في العربية ، وكان لهم في هذا الباب نشاط مذكور ؛ كان الحجاج يلحن (٢) ، يأخذ يحيى بن يعمر النحوى على الحجاج لحنه ، ويحتفظ به فيما بينه وبين نفسه إذ تمنعه سطوه الحجاج أن يصرح بما أخلى ، لكن الحجاج يسأله ، فيرتفع به يحيى عن اللحن ، ويقول : « الأمير أفصح من ذلك ! ثم يعزم عليه الحجاج فيقول : « نعم ، ، وفي كتاب الله تعالى . . . قرأت : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم . . . أحب إليكم (٣) ، فرفعت أحب وهو منصوب (٤) ، وعبارة الزبيدي في طبقاته : « الوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان (٥) ، (فلئن صح أن هذا التوجيه بعبارة صدر عن يحيى ، ولم يكن للرواة تزيد فيه — إن ذلك دليل على وجود المصطلحات النحوية في ذلك الوقت المبكر إذ توفي يحيى سنة ٩٠ هـ (٦) وهو يحبه القائلين بأن النحو من وضع عبد الله بن أبي اسحق المتوفى (١١٧ هـ) ، وقد سبق يحيى عبد الله في الدراسات النحوية (٧) ، فقد عد الزبيدي ابن أبي اسحق في الطبقة الثالثة (٨) ، على حين عد يحيى في الطبقة الثانية (٩) .

وتلحين يحيى الحجاج من حيث الرواية ، لأنه لم يرو إلا النصب (١٠) والرفع مخالف لاجماع القراء النقلة . وإلا فهو جائز في علم العربية (١١) . على أن يضمر في كان ضمير الشأن ويلزم ما بعدها بالابتداء والخبر وتكون الجملة في موضع نصب على أنها خبر كان .

(١) طبقات الزبيدي ٢١

(٢) البيان والتبيين : ١٧٤/٢ (٣) سورة التوبة آية ٢٤

(٤) نزعة الألباء ١٠ وينظر تخرج الحجاج من اللحن (طبقات الزبيدي ٢٢) وتعليل هذا التخرج وتحليله (سيويه امام النحاة « على النجدي ناصف ») .

(٥) طبقات الزبيدي ٢٢ (٦) اظفر طبقات القراء : ٢٨١/٢

(٧) نزعة الألباء ١٣ (٨) طبقات الزبيدي ٢٥

(٩) طبقات الزبيدي ٢٢ (١٠) النهر اللاد من البحر : ٢٢/٥

(١١) البحر المحيط : ٢٢/٥

ويحيى بن يعمر يذكر بعمل قرآني ، روى البخاري في تاريخه عن شيوخه :
أن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر^(١) ، وقالوا : « وكان لابن سيرين مصحف
منقوط نقطه يحيى بن يعمر^(٢) كذلك روى أبو عمرو الداني^(٣) .

والمشتغلون بالإعراب يقولون لمحمد بن سليمان — والى البصرة
(ت ١٧٣ هـ^(٤)) — في قراءته : « إن الله وملائكته يصلون ، برفع الملائكة ،
فيقول : « خرجوا لها وجهاً ، ولم يكن يدع الرفع^(٥) » .

وموقف محمد بن سليمان هنا يخالف موقف الحجاج ، فابن سليمان متمسك بما يقرأ ،
لا يتحرج منه ، ويصر عليه ، ولا يبيد عنه ، ولا يسمع ما يقال فيه ، وربما كان
ذلك من ابن سليمان لأن قراءته لها صلة بما روى من الأثر ، وذات وجه يعلمه من
مذاهب القراء ، على أنه كان بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صداقة ظهرت في
زيارة أبي عمرو له سنة ١٥٤ هـ^(٦) ، وقد رويت قراءة الرفع في هذه الآية عن أبي
عمرو^(٧) ، وفيه أن الذي روى هذه القراءة عن أبي عمرو : ابن عباس وعبد الوارث ،
ولم أجد فيمن روى عن أبي عمرو من اسمه : ابن عباس ، ولعلها تحريف ،
وصحتها العباس^(٨) .

وكان إلى جانب هذه الرقابة ، جدل على التوجيه الإعرابي بين القراء النحاة
أنفسهم ، فقد كان عيسى بن عمر يقرأ : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، بنصب أطهر ،
وينكرها أبو عمرو عليه ، وكانا يقرآن : « يا جبال أوبى معه والطير ، ويختلفان
في التأويل^(٩) .

حتى إذا كان سيئويه رأينا قدراً صالحاً من الروايات المختلفة للقراءات ،

(١) طبقات القراء : ٣٨١/٢ (٢) طبقات الزبيدي : ٢٢

(٣) كتاب النقط : ١٣٢ (وربما كان يحيى بن يعمر يقوم بنقط المصاحف لمن أراد من
الناس ، كما فعل لابن سيرين ، وكما تدل عليه عبارة الزبيدي السابقة ، وأما نقط نصر بن عاصم
فربما كان خاصاً بجهة رسمية يمثلها الحجاج) .

(٤) شذرات الذهب : ٢٨٢/١ (٥) البيان والتبيين : ٢٣٩/١

(٦) طبقات الزبيدي : ٣١ (٧) انظر البحر المحيط : ٢٤٨/٧

(٨) انظر طبقات القراء : ٢٩٠/١ (٩) طبقات الزبيدي : ٣٦

وتوجيه سيبويه وشيوخه النحاة من قبله لها، وقد تحدثت عن ذلك بالتفصيل في مكان آخر لمناسبة أخرى (١).

ثم تجرى مناقشات حول القراءات بين الكسائي وحزمة (٢)، وتؤلف كتب في معاني القرآن يكون فيها للقراءات وتوجيهها نصيب كعاني القرآن للفراء، وللزجاج، وللنحاس. كما ألقت كتب للاحتجاج على النحو الذي بينت في فصل آخر، ويكون من بين هؤلاء المشتركين في النشاط النحوي من حيث الاحتجاج، والتحدث حول معاني القرآن — أبو علي الفارسي في كتابه: الحجة . . .

* * *

وظاهرة أخرى يتجلى فيها نشاط النحويين، تلك هي مؤلفاتهم التي تركوها، ولهذا المؤلفات قيمة في رصد التطور النحوي، والتعرف على المراحل التي سار فيها نشاط النحويين في التأليف، ثم هي لها دلالة أخرى فيما تعطيه هذه الكتب مؤلفيها من شهرة وذبوع، وإنما شهرة العالم كما يقول أبو الطيب اللغوي بمصنفاته والرواية عنه (٣).

ولا يسع الباحث أن ينكر ما كان لأبي الأسود الدؤلي من باكورة في هذا النشاط، وما يؤثر عن أبي الأسود يعد بذرة تعدها النحاة من بعده، ورعوها حق رعايتها حتى صار على يد إمام النحاة — شجريرة وارقة الظلال، ممتدة الفروع، غنية بالثمار.

هذا وأود أن أنبه إلى أن التعرف على نشاط النحويين التاليفي في دقة أو ما يقرب منها أمر عسير، فقد طواه الزمن الغابر فيما طوى، ويكفي أن نتبين المعالم الكبرى لهذا النشاط:

ولعل أول ما عرف من نشاط في هذا المجال — هذه الأوراق الأربعة التي وجدها ابن النديم في خزانة ابن أبي بكرة: إذ يقول ابن النديم «ورأيت ما يدل على أن النحوعن أبي الأسود ما هذه حكايته: «وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه في كلام في الفاعل، والمفعول من أبي الأسود (رحمه الله عليه) بخط يحيى

(١) انظر ص ١٥٨-١٦٤ من هذا البحث

(٢) نزهة الألباء: ٤٤ (٣) طبقات النحويين: ١٣٨

ابن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوى ، وتحت هذا خط
النضر بن شميل (١) .

ويعقب أبو الأسود ولداً اسمه (عطاء) كان عالماً بالنحو والعربية فيما يقول
القفطى ، وهو الذى اتفق بعد موت أبيه مع يحيى بن يعمر على بسط النحو ، وتعيين
أبوابه ، وبعج مقاييسه ، ولما استوفى هو ويحيى بن يعمر جزءاً وفيراً من أبواب
النحو نسب بعض الرواة اليهما أنهما أول من وضع هذا النوع (٢) .

وقد ورد فى كلام على بن محمد الهاشمى عن أبيه أنه سمى ما تركه أبو الأسود من
الأوراق الأربع — كتاباً ، حتى كانت عبارته كما رواها الزبيدى فى طبقاته : « وضع
— أى أبو الأسود — باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه ، فزاد فى ذلك الكتاب ،
رجل من بني ليث أبواباً ، ثم نظر فإذا كلام العرب ما لا يدخل فيه ،
فأقصر عنه (٣) . »

وإذن فقد تسلم تراث أبى الأسود ذلك الرجل الليثى ، فمن هو ؟ أيحيى بن يعمر
هو ؟ وهو أحد الآخذين عن أبى الأسود (٤) ، وقد كان عداده فى بني ليث (٥)
ابن كنانة (٦) ؟ ثم هو الذى كتب الأوراق التى وجدها ابن النديم (٧) ،
أم نصر بن عاصم الليثى ؟ لا شك فى أنه نصر بن عاصم الليثى لامرين :

أولهما : نسبته صراحة إلى بني ليث ، أما يحيى بن يعمر فهو عدوانى منسوب إلى
بني ليث بالولاء ، فقد كان كما يقول الزبيدى فى الطبقات نقلاً عن أبى حاتم السجستانى
حليفاً لبني ليث (٨) .

وآخرهما : أن ما أورده ياقوت فى معجمه عن نصر بن عاصم ، ونقله السيوطى
يرشح هذا الترجيح ، فقد أوردا فى الحديث عن نصر أن له كتاباً فى العربية (٩) .

ولم تذكر كتب التراجم — فيما استقصيت أن ليحيى كتاباً فى العربية .
وقد كان لكتاب نصر دلالة فى تاريخ النشاط النحوى ، ذلك لأنه يعد محاولة
طبيعية تلت محاولة أبى الأسود فى ورقاته الأربع ، ومحاولة عطاء بن أبى الأسود

(١) الفهرست ٦١ (٢) إنباه الرواه : ٣٨١/٢

(٣) طبقات الزبيدى : ١٥ (٤) الفهرست ٦٢

(٥) طبقات الزبيدى : ٢٢ (٦) الفهرست ٦٢

(٧) انظر الفهرست ٦١ (٨) طبقات الزبيدى : ٢٣

(٩) بنية الرواة : ٤٠٣ ، معجم الأدباء : ٢٢٤/١٩

ويحيى بن يعمر ، وسبقت محاولة عيسى بن عمر في كتابيه الإكمال ، والجامع ، فنصر بن عاصم يزيد أبوإباً على الفاعل والمفعول ، ولكنه ينظر فيجد استقراره ناقصاً فيقصر^(١) ، ثم يكون عيسى بن عمر فيضع كتابيه الإكمال والجامع^(٢) ويريح بهما من النظر والقياس^(٣) ، ويتلافى نقص نصر بن عاصم في كتابه بأن يضع قواعده على الأكثر ، ويسمى الأخرى لغات^(٤) ، وعيسى بن عمر أخذ عن عبد الله بن أبي اسحق الذى يعج النحو، ومد القياس فيما يقول ابن سلام^(٥).

وبعمل عيسى تم المراحل التى تقتضيها سنة النشوء والارتقاء والتدرج الذى تدعو إليه طبيعة الأشياء ، وتتلخص هذه المراحل فيما يأتى :

أولاً — أبو الأسود له ورقات^(٦) تمثل النشاط البدائى فى التأليف النحوى .
ثانياً — ونصر بن عاصم يضع فى العربية كتاباً^(٧) ، ولكنه لا يستقصى فى الاستقراء^(٨) .

ثالثاً — وعبد الله بن أبي اسحق يعبع النحو ، ويمد القياس^(٩) ، ومعنى هذا أن استقراءه أكثر شمولاً من استقراء الذين سبقوه .

رابعاً — وعيسى بن عمر يضع قواعده على الأكثر من كلام العرب ، يوحى اسم كتابه الإكمال بتدارك فائت ، وتمام ناقص كما يوحى اسم كتابه «الجامع» ، بضم أشتات ، واستيعاب شوارد^(١٠) ، فيكون بذلك أول من بلغ غايته فى كتاب النحو^(١١) ، ويقدر المؤرخون عمله ، ويبالغون فيما قام به من استقصاء فيقولون : أنه أراح من النظر والاستقراء^(١٢) .

وهذه المراحل كما ترى — أخذ بعضها بحجز بعض ، وكل حلقة امتداد للحلقة السابقة ومكاملة يقصها ، وزائدة عليها ، وجميعها موصول السبب بعمل أبي الأسود ، ولئن لم يأخذ عيسى بن عمر عن ابن الأسود لأنه أخذ عن أخذ عنه^(١٣) ، ثم إنه

(١) طبقات الزبيدى : ١٥ (٢) الفهرست ٦٣

(٣) طبقات الزبيدى : ٣٧ (٤) طبقات الزبيدى : ١٥

(٥) مقدمة طبقات ابن سلام ، طبقات الزبيدى ١٥

(٦) الفهرست ٦١ (٧) معجم الأدياء : ١٩/٢٢٤ والبغية ٤٥٣

(٨) انظر طبقات الزبيدى : ١٥ (٩) طبقات الزبيدى : ٢٥

(١٠) سيبويه امام النحاة : ١٣٣ (١١) طبقات : ١٥

(١٢) انظر طبقات الزبيدى : ٣٧ (١٣) انظر الفهرست ٦٢

كان ذا صلة روحية به ، ويفرم برواية الأحاديث عنه ^(١) ، كما كان مولعاً بترديد شعره كما يروى الأصمعي ^(٢) . فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن لأبي الأسود في ذلك النشاط — السبق والتقدم ^(٣) ، ثم وصل ما أصَّل أبو الأسود التالون له ، الآخذون عنه ، وكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومد من القياس ، وفتق من المعاني ، وأوضح من الدلائل ، وبين من العلل ^(٤) . ويؤخذ مما يذكر المؤرخون أن هذه الآثار التي تركها أبو الأسود في ورقاته ، ونصر ابن عاصم في كتابه قد فقدت ^(٥) ، وذلك ما يشير إليه أيضا قول الخليل يذكر عيسى وكتابه :

بطل النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال ، وهذا جامع وهما للناس شمس وقر ^(٦)
وهما بابان صارا حكمة وأراحا من قياس ونظر ^(٧)

والبيت الأول يدل على أن النحو كان له وجود متميز ، وقد بطل كله بما أحدث عيسى ، والمقصود ببطلان النحو — ذهابه ذهابا لا يستطيع معه الظفر به ، وأن ما سبقهما من مسائل نحوية ضاع فيما طواه التاريخ ، وهذا المعنى يدل عليه الاستعمال اللغوي للكلمة ^(٨) ، واعتبر ذلك بقول الليث بن المظفر : « كنت أسير إلى الخليل بن أحد ، فقال لي يوما : « لو أن إنسانا قصد ألف حروف ألف وباء وتاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، قال الليث : « فجعلت أستفهم ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياما ، ثم اعتل ، وحججت ، فما زلت مشفقا عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي . . الخ ^(٩) »

ومهما يكن من أمر فإن الخليل — على ما يبدو من البيتين — قد انتفع

- (١) انظر طبقات الزبيدي : ١٧ (٢) انظر طبقات الزبيدي : ١٩
(٣) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، مراتب التحويين
البصريين للسيرافي والفهرست والبصائر : ١٨١/١
(٤) طبقات الزبيدي ٢ (٥) الفهرست ٦١
(٦) الفهرست ٦٣ (٧) طبقات الزبيدي ٣٧
(٨) الفاموس مادة بطل (٩) الفهرست ٦٥

بكتابي عيسى بن عمر (ت ١٥٩ هـ) ^(١) الذي أخذ الخليل ^(٢) عنه ، وإن كان هذان الكتابان قد فقدوا كما يقول ابن الأديم مذ المدة الطويلة : ولم يقع إلى أحد عليهما ، ولا خبير أحد أنه رأهما ، ^(٣) .

وقد قصدت قصدا إلى الحديث عن تمييز النحو ، واستكمال أدواته عند عيسى ابن عمر الثقفى الضرير مولى خالد بن الوليد ^(٤) ، ثم بطلان ما قبل ذلك منه ، وتسلم الخليل تراث عيسى — لانتقل إلى الحديث عن الكتاب ، كتاب سيويه — تليذ الخليل — وأنه لا يعد وثبة في تاريخ النحو ؛ بل هو حلقة من تلك الحلقات التي بدأت على ما ذكرت — على يد أبي الأسود ، وإن كان النحو قد بلغ أشده واستوى في الكتاب . ثم يقف النحو بعده عن النمو ، ولكن يأخذ سبيله بعد النضج إلى الاحتراق ، فينحدر في دركات الضمور ، وما أشبه الكتاب في تاريخ النحوسن الأربعين في أعمار الناس ، فهي قمة الفتاء ، في ناحية منها صعود نحو الكمال ، وفي الأخرى هبوط نحو الاضمحلال ، وهي بين هاتين القمة الشاهقة على كل حال . ولو أردنا تقدير كتاب سيويه من حيث الأصالة أو اتباعه لغيره من السابقين ، لرأينا أنه مليء بالقول عن شيوخته : الخليل بن أحمد في كثرة ظاهرة بلغت مراتها اثنتين وعشرين وخمسةائة ، ثم يونس ، وجملة المروى عنه مائتان ، ثم أبو الخطاب الأخفش ، وأبو عمرو بن العلاء في جملة بين الأربعين والخمسين ، ومن بعد هؤلاء عيسى بن عمر في مرات تتجاوز العشرين ، وأبو زيد الأنصارى ، وهارون بن موسى ، وعبد الله بن أبي اسحق في قلة نادرة في كتابه الكبير ^(٥) . وهذه النقول الكثيرة تدفعني إلى فهم عبارة ثعلب فيها لا أتفق فيه مع الأستاذ على النجدى ناصف ^(٦) ، هذه العبارة ذكرها صاحب الفهرست إذ يقول : « قرأت بخط أبي العباس ثعلب ، : اجتمع على صنعة كتاب سيويه اثنان وأربعون إنسانا ، منهم سيويه ، والأصول والمسائل للخليل ، ^(٧) فليس المقصود من هذا العدد إلا الإشارة إلى هذه النقول المتعددة في كتاب سيويه ، وهذه النقول قد وثقها يونس بن حبيب فيما يذكره الزبيدي في الطبقات ^(٨) ، وإذا كان الخليل قد انفرد بالأصول والمسائل كما يقول

(١) خزاعة الأدب : ١١٤/١ (٢) أخبار التحوين لسيرافى : ٣١

(٣) الفهرست ٦٣ (٤) خزاعة الأدب ١١٤/١ ط ١٣٤٧ المطبعة السلفية

(٥) انظر كتاب سيويه امام النحاة — على النجدى ناصف ص ٨٧-٩٨

(٦) المصدر السابق : ١٢٨ (٧) الفهرست ٦٧

(٨) انظر ٤٩ والأبواب في نزعة الألباء : ٣٩

ثعلب، فما ذاك إلا لأن له نصيب الأسد من بين هؤلاء الذين نقل عنهم سيبويه من الشيوخ، وقد حدث نصر بن علي الجهضمي قال : « لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبي : « تعال نحى علم الخليل (١) ، « وإذا كان سيبويه من هؤلاء الذين اجتمعوا على صنعة الكتاب فما ذاك أيضا إلا لهذه التعليقات أو التعميمات التي يتبعها ما ينقل عن الشيوخ شارحا، ومقررا، ومعالنا بالرأى حاسما جريئا كما يقول الأستاذ على النجدي (٢) ، وإذا كانت هذه النقول قد بلغت في جملتها ٨٥٨ وكان الكتاب بجزأيه قد بلغ تسعمائة وعشرين صفحة في طبعته المصرية، فإن هؤلاء الشيوخ — ولا سيما الخليل ويونس — يكادون يطالعونك في كل صفحة من صفحات الكتاب، وإليك مثلا يظهر هذا التعاقب في موالاة :

من الجزء الأول

الصفحة	المنقول عنهم من الشيوخ
٣٠٢	وزعم للخليل أنهم نصبوا المضاف
٣٠٤	وقال الخليل كأنهم لما أضافوه ردوه . . . وقال الخليل وسألته عن يزيد نفسه . . . قول يونس والمعنى . . . وقد زعم يونس أن أبا عمر كان يقوله . . . يزيد زيد الطويل
٢٠٥	أبو عمرو — الخليل ثلاث مرات
٣٠٦	الخليل
٢٠٧	الخليل مرتين
٣٠٩	الخليل
٣١٠	الخليل ثلاث مرات
٣١١	يونس — الخليل مرتين
٣١٣	عيسى بن عمر
٣١٤	يونس مرتين ، الخليل
٢١٥	الخليل مرتين
٣١٧	الخليل أربع مرات ، ويونس مرة

(١) طبقات الزبيدي : ٧٨ (٢) انظر سيبويه امام النحاة : ١٨٢

- ٣١٨ الخليل ويونس مرة
٣٢٠ كل من الخليل وأبي عمرو مرة^(١)

الجزء الثاني

- ٩٩ الخليل مرتين — أبوزيد مرة، وكذلك يونس
١٠٣ الخليل ثلاث مرات، أو الخطاب مرة
١٠٤ الخليل أربع مرات، ويونس مرة
١٠٧ يونس ثلاث مرات، وكل من الخليل، وأبي عمرو مرة
١١٠ كل من أبي الخطاب، وأبي زيد مرة، وكل من الخليل، ويونس ثلاث مرات
١١٣ الخليل مرتين كل من أبي عمر، ويونس مرة
١١٨ كل من الخليل، ويونس مرتين
١٢٢ يونس ثلاث مرات وكل من الخليل، وأبي عمرو مرة
١٢٦ يونس ثلاث مرات والخليل مرتين، وأبوزيد مرة
١٢٨ الخليل مرتين كل من يونس، وأبي الخطاب، وعيسى مرة^(٢)

ومثل هذه الموالات الظاهرة تدفع إلى القول بأن سيبويه استعان بآخرين، على أن الأستاذ على النجدى أراد بتفسيره هذه العبارة أن يرفع الغمط الذى لحق سيبويه من ثعلب، ولعمري لقد بلغ فيما أورد من مناقشة موفقة ما أراد^(٣)

وأنا بتفسيرى ألتقى مع الأستاذ فيما قصد، وأقرر معه كذلك أن سيبويه — على الرغم من هذه الثقول — لم يشأ أن ينمى وجوده، أو تخفى شخصيته فى الكتاب، فيكون مثله فيه كمثل النحلة الكاسبة الدهوب، تجمع رحيق الأزهار والثمار من المزارع والبساتين غير واعية لما تصنع، ولا مفضلة فيه إلا بالجمع والادخار^(٤)

(١) ملخصة من جذاذات تفضل باطلاعى عليها الأستاذ على النجدى خاصة بمسودات بحثه فى سيبويه.

(٢) ملخصة من جذاذات تفضل باعارتها إياى الأستاذ على النجدى خاصة بمسودات بحثه فى سيبويه امام النحاة.

(٣) انظر سيبويه امام النحاة ص ١٢٨-١٣٠ (٤) المصدر نفسه ١٨٠

ومنذ أن ألف الكتاب ، يتخذة النحويون إماما ، ويعدونه قرآناً^(١) ، ويعجبون به على اختلاف مذاهبهم : فالمازني البصرى يستعظم أن يعمل أحد كتاباً كبيراً بعد كتاب سيبويه^(٢) ، والمبرد - وهو بصرى أيضاً - يسميه البحر تعظيماً^(٣) ، والفراء الكوفي يكون في ميراثه الكتاب وهي النسخة التي أهداها الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك^(٤) ، وقد كانت بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي^(٥) .

وقد وجد تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها فيما حكاه أحمد أبو جعفر النحاس^(٦) ، فلا غرو إذن أن دارت دراساتهم حوله ، وتركز نشاط النحويين فيه ، يشرحونه ويعلقون عليه ، ويمهدون له ، ويرتبون مسأله^(٧)

ويكون لأبي على الفارسي (٣٧٧ هـ) نشاط في هذا المجال ، ويقفى قفو السابقين له من العلماء ، كالمازني (٢٤٧ هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) والاحفش (٣١٦ هـ) ويدير أبو على الفارسي حديثه في مسأله - غالباً - حول عبارات الكتاب والاحتجاج به ، والانتصار له على النحو الذي سأعرضه إن شاء الله^(٨)

وإن يكن هناك تقدم سجله النحويون بعد سيبويه فهو في تحويل فتاوى سيبويه إلى قواعد وقوانين ، ثم تلا ذلك الحديث عن العوامل فكانت كتب الأصول في النحو . قالوا : « ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج »^(٩) ، والتوسع في فلسفة النحو ، أو التعليل لمسأله ، وذلك أثر من آثار اصطباغ الحياة العلمية بالصبغة الفلسفية وذبوع مناهج المتكلمين والمناطق بين النحاة والباحثين ، وقد أورد أستاذنا في كتابه « سيبويه أمام النحاة » ما يجلي به الفرق بين المنهجين : منهج سيبويه ومنهج النحاة من بعده في هذه التعليقات^(١٠)

ومن هنا ألفت - بعد سيبويه غالباً - كتب تحمل أسماء العلل ، والعامل ، والقياس ، والمقاييس النحوية . . . الخ على النحو الذي بسطت في موضع آخر من هذا

(١) مراتب النحويين الورقة ١٠٦ (٢) الفهرست ٧٧

(٣) بنية الوعاة : ٣٦٦ (٤) تاريخ بغداد : ١٢/١٩٦

(٥) وفيات الأعيان : ٣/١٣٣ (٦) طبقات الزيدى : ٧٣

(٧) انظر سيبويه امام النحاة ١٨٦-١٨٨ (٨) انظر الكلام عن هذه المسائل في موضعه

من هذا البحث (٩) نزهة الألباء : ١٦٩ (١٠) انظر من ١٦٣-١٦٦

البحث^(١) . ويجرى أبو على الفارسي في هذا المضمار إلى أبعد الآماد فيمزج نحوه بمسائل النطق وبحوثه وقضاياها ، ويقضى في هذه الفلسفات والتعليلات سبعين عاماً^(٢) كما يقول تلميذه ابن جنى ، وهكذا يتحولى النحو من القطرة إلى الفطنة^(٣) ، وفي مقابسات أبي حيان - وهو معاصر لأبي على الفارسي - بحوث تعرض فيها لما بين النحو والمنطق من المناسبة^(٤) ولم صار الظرف المخصوص بالزمان أكثر من الظرف المخصوص بالمكان^(٥) ، وفي الطبيعة وكيف هي عند أهل النحو واللغة^(٦) . وبعد أن أورد أبو حيان ثلاث مقابسات متصلات بالنحو والمنطق قال : « وبهذا يتبين لك أن البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو ، والبحث من النحو يرمى بك إلى جانب المنطق ، ولولا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقي نحوياً والنحوي منطقياً^(٧) »

ولا يعني في هذا البحث الإشارة إلى أن هذه الموجة الفلسفية قد انحسرت على يد ابن مضاء القرطبي في القرن السادس الهجري^(٨) ، لأن ذلك خارج عن نطاق العصر الذي عاش فيه أبو على الفارسي ، والمهم تسجيل النشاط النحوي ، ومعاله الكبرى ، وما تحمله هذه المعالم من دلائل حتى أبو على ، لأمضى في درسه على نحو من التفصيل الدقيق .

كذلك كان من نشاط النحويين تهذيب ألفاظ السابقين ، وإزالة ما فيهما من الغموض والتعقيد^(٩) واختصار كتب الأقدمين تيسيراً على المتعلمين فكان هناك مختصر الجرمي^(١٠) ومختصر ابن شقير^(١١) .

* * *

وبجانب نشاط النحويين في التأليف ، كان نشاطهم في التدريس ، في هذه الحلقات

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) انظر الفصل الخامس بذلك | (٢) الخصائص : ٢٨٥/١ |
| (٣) الامتاع : ١٣٩/٢ | (٤) المقابسات مقابلة : ١٣٠/١٦١ |
| (٥) المقابلة : ٢٣ | (٦) المقابلة : ١٧٤/٣٤ |
| (٧) المقابسات : ١٧٧ | (٨) انظر كتاب الرد على النحاة ٨-٩ |
| (٩) انظر الزجلجي في مقدمة كتابه ايضاح علل النحو | |
| (١٠) انظر طبقات الزبيدي : ٧٧ | (١١) انظر نزهة الألباء : ١٦٩ |

التي كانوا يعقدونها منذ سعد الراية^(١) إلى يونس بن حبيب^(٢) ومن تلاهما من النحاة حتى الفارسي في حلقاته التي كان يعقدها في البصرة، وشيراز، وبغداد، وحلب، وغيرها من البلاد التي تنقل فيها وأمل مسائله المشهورة المنسوبة إلى هذه البلاد.

° * °

وكان من مظاهر النشاط النحوي هذه المناظرات التي دارت بين النحاة في وقت مبكر، حتى أن يزيد بن الحكم الذي عاش زمن عبد الملك بن مروان يهجو النحويين فيقول:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياه، هاج بينهم جدال^(٣)

ويروى قتال بدل جدال^(٤). وكان في بغداد مجلس يعرف بمجلس النحويين^(٥) ومن هنا ألف المؤلفون كتاباً باسم المجلس. ويبدو أن التناظر كان فيصلاً بين المتناظرين، وسيلاً إلى تعرف وجه الحق فيما عليه يختلّفون. قال الزجاجي في مقدمة كتابة إيضاح علل النحو، ومن سمت نفسه إلى تتبع ما أودعناه إياه، وسميناه فيه وخصه والكشف عن حقايقه تحقيق عليه إن مر به ما ينكره أن يراجع فكره ويقين قريحته ويحرك خاطره، ايقف على ما لعله قد انستر عنه ولا يحكم من أول وهلة بخروج عن الحق، فإن هو فعل ذلك وتدبره، ولم يره يقاد في طريقة القياس مستمراً ورأى أنه لاحق إلا في غيره - كانت حلبة التناظر باجتماع ذوى المهتم والنظر والفحص والجدل معنا فيها فاصلة بيننا وبينه، حتى نصير معاً بحق النظر إلى الصواب فنعتقده جميعاً، لأن الرجوع إلى الحق خير من التماهى في الباطل، ولم يعر خلق من السهو والغلط، والكمال لله عز وجل، والنقص شامل للمخلوقين^(٦)

وقد دعا إلى هذه المناظرات أحياناً ما كان بين المتناظرين من اختلاف في المذاهب النحوية، كما وقع بين عيسى بن عمر^(٧) والكسائي^(٨) وبين سيديويه، والكسائي

(١) سيديويه امام النحاة ١٣٣ وبقية الوعاة ٢٥٣

(٢) الفهرست ٦٣ ونزهة الألباء ٣٢ (٢) خزائن الأدب : ١٠٨

(٣) درة الفواص : ١٠٦ (٥) انظر معجم الأدباء : ١٢٣/١٩

(٦) مقدمة إيضاح علل النحو للزجاجي

(٧) انظر وفيات الأعيان : ١٤٥/٣ في ترجمته عيسى بن عمر

(٨) طبقات الزيدى : ٣٨

في المناظرة المشهورة^(١) وبين المبرد، وثلث، وبين سيديويه، والفراء^(٢)، وبين الكسائي، واليزيدي^(٣) بحضرة المهدي ثم بحضرة الرشيد^(٤)، وبين الجرهمي، والفراء قالوا: وكان الجرهمي يلقب بالنجاح لكثرة مناظراته في النحو ورفع صوته فيه^(٥)، وقد أورد الزجاجي في كتابه الإيضاح عن علل النحو مسائل جرت - كما قال - بين النحويين عن سلف في مجالس اجتمعوا فيها ختمنا بها الكتاب .

كما دعا إلى هذه المناظرات أحيانا ما بين المتناظرين من اختلاف في التعصب للعرب والانتصار لهم، أو التعصب عليهم والطنن فيهم، كالمناظرات التي كانت بين عبد الله بن أبي اسحق، وأبي عمرو بن العلاء^(٦)، وأبين هذا الأخير وعيسى بن عمر^(٧) أو بين ابن أبي اسحق، وبكر بن حبيب^(٨). مع أن كل واحد من المتناظرين بصري، يصطنع مذهب البصرين فيما يقول، ولكن هاج ما بين الفريقين شعوره نحو العرب، فقد كان كل من عبد الله بن أبي اسحق، وعيسى بن عمرو شعوبيا يطن على العرب^(٩)، وكان أبو عمرو بن العلاء للعرب أشد الناس تسليما^(١٠)، وقد تجلى ذلك في موقف كل من عبد الله بن أبي اسحق وأبي عمرو بن العلاء من الفرزدق على ما سأتناوله بالشرح والايضاح .

* * *

ومنذ أواخر القرن الأول تقررت أصول نحوية نتيجة لاستقراء نصوص اللغة، فخفضت هذه النصوص وفي مقدمتها الأشعار - جاهلية وإسلامية - لرقابة النحاة، يظهر ون ما وقع فيها من مخالفة لهذه الأصول^(١١)، وكان في ذلك نشاط مأثور في النقد الأدبي واللغوي معاً^(١٢).

ومكن للنحاة في رقابتهم على الشعراء تخرج الناس خاصتهم وسوقتهم من اللحن الذي عدوه هجئة على الشريف، وجعلوا التحرز منه جمالا للوضع^(١٣)، حتى قال الخليل:

(١) المصدر السابق: ٧٢

(٢) المغني: ٧٤/١ (٣) معجم الأدباء: ١٧٨/١٣

(٤) أخبار أبي القاسم الزجاجي ورقة ٣٢ (٥) نزهة الألباء: ١٠٣

(٦) طبقات الزبيدي: ٢٥، نزهة الألباء: ١٢ (٧) طبقات الزبيدي: ٣٨

(٨) طبقات الزبيدي: ٤٢ وانظر الاشياء والنظائر للسيوطي: ٢٣/٣

(٩) طبقات الزبيدي: ٢٦ (١٠) نزهة الألباء: ١٢ وطبقات الزبيدي: ٢٨

(١١) طبقات الزبيدي: ٣٢ (١٢) تاريخ النقد للمرحوم طه إبراهيم: ٥٢، ٥١

(١٣) المقدم الفريد: ٤٧٨/٢

وترى اللحن بالحسيب أخى الهيئة مثل الصدى على المشرق
فاطلب النحو للحجاج وللشعر مقيماً والمسند المروى^(١)
كما مكن لهم كذلك أن الدولة لا تزال تنزع إلى مجارة العرب الخالص، واصطناع
أساليبهم فيما يقولون، وكانت يقظة من النحاة في تعقب الشعراء، وكان التبرم من
هؤلاء، ووقعت بين الفريقين العداوة والبغضاء^(٢).
ومثال تعقب النحاة للشعراء القدامى ما أخذه عيسى بن عمر الثقفي على النابتة
الذبياني من قوله:

فبت كأنى ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
والصواب يقال نافعاً بالنصب على الحال^(٣)

وتتبع النحاة شعر الفرزدق بخاصة، ووجدوا في هذا تتبع دعوة وسرورا،
ويمكنهم من ذلك شخصية الفرزدق الصلبة، وطريقته في نظم القريض، فقد كان
يلغز بالأبيات ويأمر بالقاءها على ابن أبي اسحق^(٤). فقد كان كما يقول ابن سلام
« يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو^(٥). وربما كان السبب في
إعجاب النحاة بشعر الفرزدق أنهم وجدوا فيه مجالا يمتحنون فيه قواعدهم التي
استقروا عليها، ويديرون فيه أصولهم التي اتنوها إليها^(٦)، خطأ عنبسة الفرزدق
ولحنه^(٧) فهجاه الفرزدق بقوله:

لقد كان في معدان والفيل شاغل لعنيسة الراوى على القصائد^(٨)
كما خطأ عبد الله بن أبي اسحق في قوله من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك:
مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا يلقي رواحلنا زواحف تزجي مخها رير
بقوله: أسأت، هو مخها رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع^(٩)

(١) طبقات النحويين للزبيدي: ٤٦

(٢) راجع سيديويه امام النحاة ٥١ في تحليل هذه العداوة.

(٣) طبقات الزبيدي: ٣٥ (٤) الخصائص: ٣٧٤/١

(٥) طبقات غول الشعراء: ٣٠٨ (٦) في تاريخ النقد للحاجري: ١١٨

(٧) أمالي السيد المرتضى: ٢/٢٦

(٨) نزعة الالباء ٨ وطبقات الزبيدي ٢٤ ورواية البيت في أمالي المرتضى ٢٧/٢ لقد

كان في معدان والفيل زاجر.

(٩) طبقات الزبيدي ٢٦

ولما سمع الفرزدق يئس :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مجلف
قال ابن أبي اسحق، على أى شيء ترفع أو مجلف، قال: على ما يسوءك وينوءك^(١)،
وهكذا تتخرج العلائق بين الفرزدق الشاعر، وابن أبي اسحق النحوى على ما تصوره
هذه الاجابة، وما يشير إليه قول الفرزدق يهجو ابن أبي اسحق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا^(٢)

فيقول ابن أبي اسحق: « وقد لحنت أيضاً في قولك: مولى مواليا، وكان ينبغي
أن تقول مولى موال^(٣)». ويقول الدكتور الحاجرى تعليقاً على ذلك، ولم يلتفت
ابن اسحق إلى شيء من هذا الهجاء، كأنما هو لا يعنيه، وإنما همه من هذا الشعر
هذا المأخذ النحوى الجديد يهاجمه به، وبشهره عليه، إذ كان ينبغي أن
يقول: مولى موال لا مولى مواليا^(٤).

وأنا أخالف الدكتور الحاجرى فيما قرره من أن ابن أبي اسحق لم يلتفت إلى
هذا الهجاء، بل لقد التفت إليه، ورد عليه، بأوجع من الهجاء، وصوب إليه سهام
التخطئة، ورماه باللحن الذى كانوا يتخرجون منه أشد الحرج، ويودون أن
لو جرت ألسنتهم بالعربية الخالية منه، وقد خضع الفرزدق نفسه للنحاة فأصلح
من شعره على الوجه الذى ارتضوه وإن يكن ذلك بعد إلحاح تارة مثل عدوله في
مدحه ليزيد إلى قوله: « على زواحف بزجيبها محاسير^(٥)، أو التماس لهذا الإصلاح
في غيظ تارة أخرى كما رأوا أن الفرزدق لما أخذ عليه بيت في شعره قال « أين هذا
الذى يجر خصييه في هذا المسجد؟» يبنى ابن أبي اسحق^(٦). ومهما يكن من أمر
فخضوع الفرزدق دليل على سلطان النحو والنحاة وتحكمهم في الشعر والشعراء من
هذه الفترة في تاريخ العربية^(٧).

وقد بقيت أثاره من سلطان النحاة على الشعراء في العصر العباسى، فالخليل يعد
الشعراء تبعاً إن رضى عنهم نفقت بضاعتهم وإلا حل بها وبهم البوار: أورد

(١) نزعة الالباء ١٣

(٢) الفهرست ٦٢ (٣) نزعة الالباء ١٢

(٤) في تاريخ النقد: ١٢٠

(٥) أخبار النحويين البصريين ٢٧ وطبقات الزبيدي ٢٦

(٦) طبقات الزبيدي: ٢٧

(٧) راجع تاريخ النقد الادبى لعه الحاجرى: ١١٨-١٢١

أبو الفرج في الأغانى قال : « دار بين الخليل بن أحمد ، ومحمد بن منذر الشاعر البصرى كلام ، فقال له الخليل . إنما أتم معشر الشعراء تبع لى ، وأنا سكان السفينة ، إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم ، وإلا كسدتكم ^(١) . » .

ويونس بن جيب (٥١٨٣) يؤخذ رأيه في الشعراء اعتداداً به وتسلماً فيقول : « لا أومىء إلى رجل بعينه ، ثم يقول عبارته المشهورة : « امرؤ القيس إذا ركب ، والنايفة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب ^(٢) » .

واتخذت رقابة النحاة في العصر العباسى مظهراً جديداً هو إصدار أحكامهم على الشعراء المعاصرين لهم ، أى يحتج بشعرهم فنسلم لهم عربيتهم وتدون في الكتب أشعارهم ، وتجري على السنة أهل العلم آثارهم ، أم لا يحتج فتسقط مكاتبتهم ويتعرض النحاة بذلك إلى قوارص هجو الشعراء ، ولادع تعرضهم . روى أبو الفرج عن شيوخه قال : « كان الأخص طعن على بشار في قوله :

فالآن أقصر عن سمية باطلي وأشار بالوجل على مشير
وفي قوله :

على الغزلى منى السلام فظالماً لهوت بها في ظل مخضرة الزهر
وفي قوله في صفة سفينة :

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
وقال : لم يسمع من الوجلى ، والغزل فعلى ، ولم أسمع بنون ونينان ، فبلغ ذلك بشاراً فقال : « ويلي على القصارين : متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين ؟! دعونى وليأه « فبلغ ذلك الأخصش ، فبكى وجزع ، فقيل له : ما يبكيك ؟ ، فقال : « ومالى لا أبكى وقد وقعت في لسان بشار الأعمى ، فذهب أصحابه إلى بشار واستهوبوا منه عرضه ، وسألوه ألا يهجوهم ، فقال : وهبته للؤم عرضه ! ، فكان الأخصش بعد ذلك يحتج بشعره ليبلغه فكف بشار عن ذكره بعد هذا .

وفي رواية أخرى أن سيبويه هو الذى عاب هذه الأحرف ^(٣) ، وقد تعرض سيبويه من أجل ذلك لهجاء بشار ، ووقع في لسانه ، فتوقاه سيبويه بعد ذلك ، وكان

(١) الأغانى : ١٦/١٧ ط ساسى

(٢) معاهد التنصيص : ٦٩/١ ، مواسم الادب : ٢١٣/١

(٣) رسالة الغفران : ٣٦٤

إذا سئل عن شيء أجاب عنه ، ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به استكفاً لشعره^(١) .

وأرى أن القصة سواء أ كانت للأخفش أم سيبويه تدل على مكانة النحاة فلهم — وإن عدموا ألسنة الشعراء ، وما يجرى عليها من الهجاء — سلطة يرفعون بها أهل القريض ، فيحتجون بما يقولون ، وينزلون بهم فلا يحتجون ، وقد ظلت هذه النزعة حتى أبا على الفارسي إذ ورد أنه كان يحتج بشعر لأبي تمام^(٢) .

ومن الإنصاف للنحاة أن أذكر أنهم ما كانوا يصدرن في أحكامهم على شعر الشعراء من حيث الاحتجاج به ، أو الأعضاء عنه — عن هوى في نفوسهم ، أو خوفاً من غضب الشعراء ، واتقاء لمرة ألسنتهم ، كما تقولوا على سيبويه أنه استشهد بشعر بشار من أجل ذلك . وأنه استشهد في باب الإدغام بقوله : « وما كل مؤت نصحه بليب^(٣) » ، وأنه نلافاه واستشهد بشعره ، ويرد هذا القول الأستاذ على النجدي في كتابه سيبويه^(٤) ، بجملة من الأدلة فالبيت غير منسوب ، ولن تبدأ نفس بشار إلا إذا ذكر اسمه في الاستشهاد أولاً ، ثم لن يقصد سيبويه اغفال اسم بشار ، إذ لا معنى لهذا ما دام قد قبل الاحتجاج بشعره ثانياً ، وقد راجع الأستاذ باثبات بشار في ديوانه فلم يعثر على هذا البيت فيها ثالثاً ، على أن أبا العلاء المعري ، وهو رجل صادق النظرة ، عادل الحكومة رد ذلك القول بقوله : « ويجوز أن يكون استشهاده به على نحو ما يذكره المتذاكرون في المجالس وجماع القوم » ، وأن هذا الشاهد في « باب الإدغام » من الكتاب لم يسم قائله ، وأنه منسوب إلى أبي الأسود الدؤلي في زعم ناس آخرين^(٥) فهو من أجل ذلك كما يقول الأستاذ النجدي : « ليس خالصاً لبشار^(٦) » ، وفي ذلك ما ينصف سيبويه ، وينفى تقول المتقولين عليه خاصة وعلى غيره من النحاة المتقدمين على وجه العموم

* * *

(١) الاغانى : ٥٢/٣ ط ساسى

(٢) انظر شذرات الذهب : ٨٩/٣ ، ومجلة المجمع : ١٠٠/٦ وسأناقش ذلك بعد

(٣) رسالة الغفران : ٣٦٥ (٤) انظر ١٤٨

(٥) رسالة الغفران : ٣٦٥ (٦) سيبويه امام النحاة : ١٤٨

وقد كان للتعصب المذهبي في العصر الاموي أثر في النشاط النحوي ، فابن ابي اسحق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب (١) ، وربما كان تتبع ابن ابي اسحق للفرزدق يرجع - فيما يرجع - إلى هذه النزعة ، وكان أبو عمرو بن العلاء أشد الناس تسليماً للعرب (٢) ، فوقف من شعرائهم موقفاً يقوم على تجويز ما ذهبوا إليه ، وتوجيه ما قالوه بما يتفق أيضاً وأساليب العربية ، ولما اعترض ابن ابي اسحق على الفرزدق في رفع مجلف من قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف
قال أبو عمرو للفرزدق : أصبت ، وهو جائز على المعنى أى أنه لم يبق سواه (٣) .
ومن أجل ذلك اكتوى ابن ابي اسحق من الفرزدق بنار الهجاء ، كما نضد الفرزدق لابن عمرو عقود الثناء ، ففيه يقول :
ما زلت أفتح أبوابا ، وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار (٤)

* * *

وإذا انتهيت إلى ذلك يجمل بي أن أخص المعالم الكبرى للنشاط النحوي ، منذ نشأ النحو حتى أبى على الفارسي ، وتلخص هذه المعالم فيما يأتي :

- (١) نشاط النحويين في توقي اللحن القرآني .
 - (٢) توجيههم الإعرابي للقراءات الصحيحة .
 - (٣) تأليفهم وتطور إنتاجهم منذ أبي الأسود حتى سيديويه .
 - (٤) حلقاتهم المعقودة للدرس منذ سعد الراية حتى عصور العربية الزاهية .
 - (٥) اختصار كتب الأقدمين وبخاصة كتاب سيديويه .
 - (٦) كتابتهم في أصول النحو .
 - (٧) مناظراتهم ومجالسهم .
 - (٨) نشاطهم في النقد الأدبي ، وتقويم مكاتهم في ذلك المجال .
- ويتسلم أبو على الفارسي هذا التراث الضخم بمظاهر النشاط المختلفة فيه ثم يكون له مشاركة تضي بهذا النشاط قدما كما يأتي البيان .

(١) طبقات الزبيدي : ٢٦ (٢) نزعة الالباء : ١٢
(٣) نزعة الالباء : ١٣ وانظر تاريخ النقد الادبي لطف إبراهيم : ٥١
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٨

الفصل الثاني

عرض لـكتب أبي علي في النحو

انتهيت في الحديث عن آثار أبي علي وإحصائها إلى ترتيب كتبه ، وجاء ذلك الترتيب على النحو الآتي :

المسائل المشككة والبغداديات فالإغفال فالعسكريات فالبصريات فالجلييات
فالإيضاح والتكملة فالشيرازيات فالشعر فأقسام الاخبار فالمنثورة .

ورأيت بروكلمان ينفرد بذكر « جواهر النحو » مؤلفاً من مؤلفات أبي علي وأشار إلى أنه في مكتبة مشهد ، فسعيت إلى الحصول على ذلك الكتاب وأعاني الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات — بجامعة الدول العربية — وتفضل مشكوراً فأرسل إلى مدير مكتبة مشهد كتاباً برقم ٨١ بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٥ . . . ولم يتلق معهد المخطوطات رداً بالنفي أو الإيجاب حتى اعداد هذه الرسالة للطبع . . .

وعلى الرغم من أني أعفيت نفسي من التصدير في سبيل التعرف على ذلك الكتاب ، — فلا زلت أحس رغبة تدعوني في الحاح إلى الظفر به ، والاطلاع عليه ، وتحقيق ما قال بروكلمان . وإن كنت أشك كثيراً في نسبة ذلك الكتاب إلى أبي علي ، ذلك لأن اجماع الوراقين والمترجمين منذ ابن النديم حتى بروكلمان — يعين على هذا الظن إلى أني وجدت كتب النحاة ما اطلعت عليه منها — لا ترد فيها إشارة إلى ذلك الكتاب بالنقل منه أو الاستعانة به ، والرجوع إليه . . . وسيظل الشك عندي حتى يبدو ما يحققه أو ينفيه . . .

وآخذ في عرض كتب أبي علي النحوية بترتيبها الذي إليه انتهيت . . .

المشكلة والبغداديات

في الأمانة العامة للجامعة العربية (معهد المخطوطات) نسخة من المسائل
المشكلة مصورة على فلم رقم ٨٦٠ وعنونت بما يأتي :
المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات (١) . . .

وعاد ناسخها أحمد بن تميم بن هشام اللبلي فقرر ذلك في آخر هذه النسخة حيث
قال ما نصه : « آخر المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات (٢) » .

ومعنى ذلك أن المسائل المشكلة هي البغداديات ، ولكن التحقيق والمقابلة بين
بين النصوص تهدي إلى غير ذلك : يهدى إلى أن المسائل المشكلة شيء والبغداديات
شيء آخر ، وأن كلا منهما مستقلة عن الأخرى ، وفيما يلي النصوص الكاشفة عن
هذه الحقيقة :

(١) قال أبو علي في الإغفال : « أما الأوربة للآثي من الوعول فقد شرحناه
في المسائل المشكلة (٣) ، وقد وردت المسألة في النسخة المذكورة (٤) .

(ب) وقال في الإغفال أيضاً : « وأما قولهم حيوة (كذا) وحيوان فالواو
عندنا منقلبة عن الياء ، وقد ذكرنا ذلك مشروحا في المسائل المشكلة (٥) ، وذكره
حقاً في المسائل المشكلة (٦) .

ومعنى هذه النصوص أن المسائل المشكلة سابقة على الإغفال

ورأيت أبا علي وهو بصدد تقرير قاعدة نحوية والاستشاد عليها يقول في هذه
النسخة المعنونة بما سبق : « هذا في أبيات كثيرة تركناها هنا مع استقصاء الحجج في
ذلك لذكرنا له مستقصى في مسائل اصلاح الأغفال (٧) .

ومعنى ذلك أن الأغفال سابق على البغداديات

فلو كانت البغداديات هي المشكلة فكيف تكون مسبقة بالأغفال وسابقة
عليها في آن واحد ؟ ! فالبغداديات قطعاً غير المشكلة ، وإذن يكون ترتيب الكتب
الثلاثة في الظهور على النحو الآتي : المشكلة أولاً ثم الأغفال ثم البغداديات .

(٢) انظر لوحة ٥٣

(٤) انظر لوحة رقم ٧

(٦) انظر لوحة ١٨

(١) انظر لوحة رقم ١

(٣) الاغفال ٥٧

(٥) الاغفال ٢٢٥

(٧) البغداديات لوحة رقم ٢٧

هذا ما يستنتج من النصوص السابقة وهو ما أطمئن اليه ، ولكن بجانب هذه النصوص نصوصاً أخرى تشير إلى أن النسخة المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ضمت المشكلة إلى البغداديات ، وذلك يعتذر اعتذاراً ما عن ذلك العنوان الموحد بينهما ، ومن هذه النصوص :

(١) ما جاء في الخصائص لابن جنى حيث أورد طرفاً من الضرورات وغيرها ووحشياً ومجيبها : ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر :

هل تعرف الدار ببيدا إنه دار لخود قد تعفت إنه

الآيات . . . ثم قال : وهذه الآيات قد شرحها أبو علي (رحمه الله) في البغداديات فلا وجه لاعادة ذلك هنا ، فإذا آثرت معرفة ما فيها فالتمس منها (١) .

وقد التمست ذلك من نسخة الأمانة العامة فوجده (٢)

(ب) ما أشار إليه البغدادى في خزائنه حيث أورد كلاماً مأخوذاً من كلام أبي علي في المسائل البغداديات (٣) .

وقد قابلت بين ما ورد في الخزائنه وما جاء في المسائل المشكلة فوجدت أن لا خلاف (٤) .

ولا يوفق بين هذه النصوص جميعاً إلا القول بأن المسائل المشكلة محتلطة بالبغداديات في نسخة الأمانة العامة للجامعة العربية ، وقد حاولت فصل كل منهما عن الأخرى فلم يستقم لى ذلك لعدم تتابع اللوحات فى كل ملك اتخذته أساساً للتفريق بين هذه وتلك ، ولأن طابع أبي علي يكاد يكون واحداً فيهما ، وهذا ما يدعونى إلى أن أتحدث عنهما معاً غير مفرق بينهما .

ويبدو أن عدم الفصل بين المشكلة والبغداديات قال به بعض المترجمين ، فالقضى (٥) ، وابن خلكان (٦) ، والسيوطى (٧) ، وابن العماد الحنبلى (٨) ، وحاجى خليفة (٩)

(١) الخصائص ٣٣٦/١ (٢) انظر لوحة ٣٦

(٣) انظر الخزانة ٢٢٥-٢٢٦

(٤) انظر اللوحتين رقم ٩٢٨ من المشكلة

(٥) انظر إنباه الرواة ٢٧٤/١

(٦) وفيات الأعيان ٣٦٣/١

(٧) انظر الشذرات ٨٩/٣

(٨) انظر بنية الوعاة ٢١٧

(٩) انظر كشف الظنون ٤٢٤/٢

وبروكلان^(١). كل أولئك اقتصروا على ذكر أحدهما واستغنوا بذلك عن ذكر الأخرى فجميعهم ما عدا بروكلان ذكر عند احصاء كتب أبي على البغداديات ولم يذكر المشكلة، أما بروكلان فقد ذكر المشكلة ولم يذكر البغداديات ولكن ياقوتاً تنبه إلى خطأ التوحيد بين المشكلة والبغداديات بدليل أنه عند ما أحصى كتب أبي على ذكر المسائل البغدادية ثم عاد فذكر المسائل المشكلة^(٢)، ففرق بذلك بينهما ويبدو أن السيد مخرج إنباه الرواة نقل عن ياقوت حاشية في احصاء كتب أبي على^(٣) مع أن القفطى كما سبق لم يفرق بينهما. وبعد فقد جعل أبو على البغداديات والمشكلة فيما يقرب من ثمانين مسألة (الطابع العام فيها أنها مشكلة). ذكر منها لسيبويه نحواً من ثلاثين مسألة - على غير ترتيب - ونص في صدر كل منها أنه معتمد فيها على الكتاب بقوله مثلاً - مسألة من الكتاب^(٤) أو ينقل قولاً لسيبويه ويستند إليه بقوله: ذكر سيبويه مثلاً^(٥). وفي هذه المسائل التي يوردها لسيبويه ينقل قول إمام النحاة، وييسطه، ويعلق عليه، ويورد آراء الأئمة القدامى ممن سبقوا سيبويه أو لحقوه، ثم يرتضى رأياً ويدلل عليه.

ثم هناك ما يقرب من ثلاثين مسألة أخرى ليست من الكتاب، بعضها سئل عنها^(٦) وبعضها ذكر فيه آيات قرآنية أعرب لفظاً مشكلاً فيها^(٧) أو بيتاً من الشعر أنشده ثم يتعرض لإعراجه^(٨) وبعضها تحدث فيها من كلمات صرفية وزنها^(٩)، واحتج لوزنها الذي رآه وذكر هنا وهناك أصولاً تمت إلى الصنعة الإعرابية^(١٠)، وآرائه النحوية^(١١).

ثم كانت هناك على قلة - مسائل تدور حول أقوال لآبي بكر بن السراج^(١٢)، وأبي إسحق الزجاج^(١٣) أو أبي العباس المبرد^(١٤) أو الفراء^(١٥)، وبعضها يدور حول أبيات أنشدها أبو زيد الأنصاري^(١٦) وشرحها أبو على، وعلق عليها وبين المشكل فيها.

- (١) انظر تاريخ الأدب العربي ١/١١٣، ١١٤ الطبعة القديمة واللاحق المجلد الأول ١٧٦/١٧٥ (٢) انظر معجم الادباء ٧/٢٤٠-٢٤١ (٣) إنباه الرواة ١/١٧٤
 (٤) انظر مثلاً لوحة رقم ١٠ (٥) انظر مثلاً لوحة ١٤، ١٧، ١٨
 (٦) لوحة ٦، ١٩ (٧) لوحة ١٦، ٤٩، ٥١
 (٨) لوحة ٣٨ (٩) ٣٥، ٥١ (١٠) لوحة ٤٧، ٤٩
 (١١) لوحة ٤٨ (١٢) لوحة ٥١ (١٣) لوحة ٥٠ (١٤) لوحة ٣٣
 (١٥) لوحة ١٦ (١٦) لوحة ٣٧، ٣٨

وتتلخص المسائل المشكلة أصولها وعددها في الجدول الآتي :

ملاحظات	العدد	مصدر المسألة
على غير ترتيب ، وقد ورد منها أولانحو سبع عشرة مسألة في موالاته ثم فرق الباقي في غضون المسائل الأخرى .	٣٣	سيبويه
	٦	أبو زيد
	٤	أبو بكر
على غير ترتيب	٣	أبو الحسن
	٢	الفراء
	٢	المبرد
	٢	أبو إسحق
	٣١	أبو علي

وفي خلال هذه المسائل ترد أقوال لسيبويه أو غيره من القراء والنحاة كأبي عمرو،^(١) والخليل،^(٢) وأبي عثمان المازني،^(٣) والكسائي^(٤)، فيعرض لهذه الأقوال، ويشقدها، ويعلق عليها، ويثبتها مرتضياً أو لا يرتضيا فينفيها .

وهناك عبارات تدل على أن أبا علي أملى هذه المسائل — أو على الأقل ما يشير فيه إلى ذلك، فقد جاء في المسألة^(٥) قوله ذكر سيبويه الأفعال الماضية والمستقبلية المختصة بالأمر دون المضارعة، وجواز الادغام فيما اجتمع في أوله مثلان أو متقاربان اجتلاب همزة الوصل لسكون الأوائل للادغام . . . الخ ثم قال : فأملت في ذلك وقد وردت هذه العبارة في مسألة أخرى^(٦) .

وكل من المشكلة والبغداديات لا تخضع في ترتيبها لنظام معين — إذا استثنيت ذلك الباب الذي عقده أبو علي « لبيان وجوه ما^(٧) » ، فقد تحدث عن استمالاتها ووجوه تصرفها، تحدث عنها اسماً، وتحدث عنها حرفاً، وذكر أقسامها، وأفاض الحديث في كل قسم، وألحق بها مسائل جعل عنوانها « مسائل من هذه الفصول » تحدث عن :

(١) كما فيما رواه أبو بكر عن ابن الجهم عن القراء .

(١) لوحة ١ (٢) لوحة ٤، ٥٠ (٣) لوحة ١٧ (٤) لوحة ١٩
(٥) لوحة ١٤ (٦) انظر لوحة ٣١ (٧) لوحة رقم ١٩

من طالبين لبعران لهم شردت كيما يحسون من بعراهم خبراً^(١)
(ب) و (ما) في قول سيبويه في الكتاب : هذا باب علم ما الكلم في العربية^(٢)
(ح) وعن إجرائهم ذا مع ما بمنزلة الذي^(٣)
(و) وقراءة من قرأ « وإن كل نفس لما جميع لدينا محضرون »^(٤) . « د وإن كل نفس لما عليها حافظ .

وهذه مسائل مرتبط بعضها ببعض ، يتصل كل منها بحديثه عن (ما) .
وقد أنشد لأبي زيد أبياتاً أوردتها في مسائل خمسة^(٥) متتابعة في الأربعة الأخيرة منها ، وتفصل الثانية منها عن الأولى بمسألتين .
في إحداها :

يتحدث عن وجه الإعراب في البيت :

أم كيف ينفع ما يعطى العلوقه رثمان أنف إذا ما ضن باللبن^(٦)
وفي الأخرى يتحدث عن إعراب « ملعونين » في قوله تعالى : « والمرجعون في المدينة لتغريبك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين^(٧) » ،
ثم تتعاقب بعد ذلك المسائل في اختلاط بعضها لسبويه ، وبعضها ما أثاره هو ،
وبعضها لأبي إسحق أو لأبي بكر .

وقد يتحدث عن المسألة تفاريق ، يتعرض لها بالشرح في موضع ، ثم يعود إليها بعد ذلك في موضع آخر : عقد مسألة عن قولهم واحد وهل هو اسم أو صفة^(٨)
ثم عاد إلى ذلك بعد مسائل^(٩)

وفيا عدا هذه المسائل التي يظهر فيها الترابط — لا تجد رابطاً يربط المسألة بسابقتها أو لاحقتها ، فمثلاً :

لارابط بين المسألة التي يقول فيها : « قال سيبويه زعموا أن أبا عمرو قرأ
يا صالح يتنا جمل الهمزة ياء^(١٠) » ولاحقتها : « اعلم أن بعض الكلم أقل من
بعض^(١١) » .

-
- (١) لوحة رقم ٣٠ (٢) لوحة رقم ٣١ (٣) لوحة رقم ٣٢ (٤) لوحة رقم ٣٣
(٥) اللوحات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ (٦) لوحة ٣٦
(٧) سورة الأحزاب آية ٦٠ ، ٦١
(٨) لوحة رقم ٤٤ (٩) لوحة رقم ٥٠ (١٠) لوحة رقم ٣
(١١) لوحة رقم ٤

أو بين : ذكر سيويوه وجوه أن الحقيفة^(٢) وسابقتها : قالت العرب ، أكرم
بزيد^(١) ولاحظتها ، اختلف أهل العربية في تأويل قول الله (عز وجل)
لا يلاف قريش^(٣)

وإذا كانت المسائل لا تختص في ترتيبها لنظام معين على النحو الذي قدمت ، فإن
هناك ملاكا عاما ينظمها ، ويجمع بينها ذلك ما سمى به هذه المسائل من أنها مسائل
مشكلة فالاشكال في كل مسألة ، حتى أنه ذكر ذلك صريحا بعد الفصل الذي عقده لما
حيث يقول :

وهذه مسألة مشكلة^(٤) .

والذي أخذ نفسه به أنه جوز ما جوز من الآراء ، وأحال ما أحال ، ودلل
في كل ذلك على ما قال :

وليست للبغداديات والمشكلة مقدمة أستطيع منها أن أتبين هذا الملاك العام ،
ولكنني وجدت خلال قراءتي لهذه المسائل ما يفهم منه الملاك الذي بنيت عليه . قال :
وقد خرج أبو العباس ومن قبله من النحويين لقول سيويوه : هذا باب علم
ما الحكم في العربية وجوها أرادوا بها دربة المتعلم في الاستخراج ، وتحميل الشيء
وجوهه التي يحتملها وليس من حكم كتابنا هذا أن يذكر فيه مثل ذلك إلا أن بعض
من يتعاطى العربية حكى لى بعض المتعلمين عنه في ذلك تجويز وجوه لاجواز لها ،
ومنع ما لا يمتنع من الجواز فأملت عليه ما هو مثبت هنا وهو الذي عليه وضع
الكتاب^(٥) .

وهذه العبارة تلتقي ضوءا على بعض ما ينظر إليه في البغداديات ، وإن كانت
لا تحصر كل ماله فيها من اتجاهات ، ففهوم العبارة : الإدلاء بالرأى فيما يجوزه
غيره ، ويراه متمنا ، أو يمنعه ويراه جائزا ، وذلك الاتجاه فيه توضيح للإشكال
الذي التزمه في إيراد المسائل على كل حال .

وأبو علي في هذه المسائل واضح الشخصية يورد المسألة عن سيويوه مثلا ،
ويقرها ويبسطها ، ويذكر رأى السابقين فيها ، ويقف هو مفندا أو مؤيدا ، مبرهنا
على الرأى الذي ارتضاه في حالى تفيده أو تعضيده يسوق الشواهد ، ويناقش مناقشة
قائمة على الحججة ، متكئة على أصول العربية :

(١) لوحة رقم ١٢ (٢) المصدر السابق (٣) لوحة رقم ١٣

(٤) لوحة رقم ٣٣ (٥) لوحة رقم ٣١

فند آراء للخليل^(١) والمبرد مصرحاً به^(٢) أو مشيراً إليه^(٣) — كما فند آراء للفراء^(٤) وأبي عثمان المازني وقد يكتفي في تفنيده باللمحة الدالة^(٥) وقد يصرح تصريحاً عنيفاً^(٦) . كما تعرض لأبي بكر مفنداً^(٧) ولأبي اسحق كذلك^(٨) .
وعاضد سيويه وأثنى عليه : يبسط قوله^(٩) ويفهم لإشارته^(١٠) ، وما يشير إلى أكبابه على^(١١) الكتاب ويعرف سننه فيه^(١٢) ويقابل ما أنشده^(١٣) ، والبغداديات في مجموعها قائمة على كتاب سيويه .
كما أثنى على الخليل^(١٤) والمبرد^(١٥) وأبي بكر^(١٦) وأبي اسحق^(١٧) وأبي الحسن^(١٨) .

ومن هنا نزاه شديد الاعتداد بسيويه ، ويتلوه من الشيوخ في التوثيق أبو الحسن ، فهو يوقره ، وإن رأى غير الذي يراه أبو الحسن لا يهجمه ، بل غاية ما يكون منه أن يقول مثلاً : ولا أدري ما صحة هذا^(١٩) ٤١
وهو أحياناً يصرح بأسماء الشيوخ — وتلك السمة الغالبة عنده كما رأينا —
وحينا يشير من غير تصريح كأن يقول مثلاً :

وقد كان الشيوخ من أهل اللغة^(٢٠) .. أو يقول : « وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد^(٢١) . أو يقول : قال أحد أهل النظر^(٢٢) وفي البغداديات ما يدل على اطلاع أبي علي على كتب الشيوخ الذين سبقوه^(٢٣) .
وله بعد ذلك أوليات وآراء ابتكرها ابتكاراً يذكرها في تواضع أحياناً^(٢٤)
أو ينشرها في شيء أشبه بالفخر حيناً كأن يقول : وقد رأينا نحن في ذلك^(٢٥) قولاً
لم أعلم أحداً تقدمنا فيه^(٢٦) ...

- (١) لوحة ٤ (٢) لوحة ٣٦ ، ٠٢
(٣) لوحة ١٥ وانظر المجمع ٨٨/٢ (٤) لوحات ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ١٦ ، ٢٣
(٥) لوحة ١٨ (٦) لوحة ٣ (٧) لوحة ٤٧ (٨) لوحة ١٨
(٩) لوحة ١٤ (١٠) لوحة ٣٣ (١١) لوحة ١٠ ، ٥٠ (١٢) لوحة ٤٣
(١٣) لوحة ١٥ (١٤) لوحة ٢٨ ، ٥٠ (١٥) لوحة ٢٣ (١٦) لوحة ٥١ ، ٣٠
(١٧) لوحة ٤٧ (١٨) لوحة ١٩ ، ٣٤
(١٩) لوحة ١٩ (٢٠) لوحة ٤ (٢١) لوحة ٤٦ (٢٢) لوحة ٥١
(٢٣) انظر اللوحات ٣٦ ، ١٩ ، ٤٦ ، ١٨ (٢٤) لوحة ١١ ، ٣٠
(٢٥) يشير إلى لما في قوله تعالى : « وان كل لما جيم لدينا محضرون »
(٢٦) لوحة رقم ٣٣

واصطلاحات أبي علي في البغداديات بصرية إلا إذا رد على خصومه الكوفيين فإنه عند ذلك يستعمل الاصطلاحات الكوفية كاستعماله لفظ مردود^(١) والقطع^(٢) وفي البغداديات نظرات بلاغية : كوقوع الأمر موقع الخبر^(٣) وما يؤول إليه عاقبة الأمر^(٤).

كما نرى في البغداديات أصولاً لغوية ونحوية وإعرابية :

- (أ) فالمظهرات إذا أقيمت مقام الفاعل لزم الكناية عنها وإضمارها^(٥)
 (ب) وما صلح أن يكون فاعلاً من الأسماء صلح أن يكون مبتدأ ، وقد يكون مبتدأ ما لا يكون فاعلاً نحوكم^(٦) ومذ^(٦)
 (ج) واختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ^(٧) .
 (د) والأسماء أوائل للأفعال^(٨) . وما في الصلة لا يتقدم على الموصول^(٩) .
 (و) ولا يجوز عطف الظاهر المجرور على المضمرة المجرور^(١٠) .
 (ز) وإذا وجد السبيل إلى ترك الكلام على وجهه ونظمه كان أولى من تأويل غير ذلك^(١١) .

(ح) وما كان مبنيًا مع غيره على الفتح لا يرتفع^(١٢) .

(ط) والمثلان المتقاربان إذا اجتمعا خفف بأحد ثلاثة أشياء : بالادغام ، أو الإبدال ، أو الحذف^(١٣) .

(ي) المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا فيها قبله^(١٤) .

وفي تضاعف البغداديات والمشكلة تدليل على ما يرى أبو علي في المسائل النحوية التي يتخالف فيها مع الكوفيين ، وهي من أجل ذلك تعد بذرة لكتاب الانصاف لابن الأنباري في مسائل الخلاف^(١٥)

هذا وقد استعان البغدادي في خزائنه بالبغداديات ، فاستشهد بقدر صالح من كلام أبي علي وكان ذلك في كثرة ظاهرة في الجزء الرابع ، يليه على الترتيب الجزمان الثالث والثاني ، وكان ما جاء في الجزء الأول من الاستعانة بالبغداديات قليلاً حيث ورد في مواضع ثلاث^(١٦)

(١) لوحة ١٨	(٢) لوحة ٣٦	(٣) لوحة ١١
(٤) لوحة ١٣	(٥) لوحة ٤٦	(٦) المصدر السابق (٧) المصدر السابق
(٨) لوحة ٤٧	(٩) لوحة ٤٨	(١٠) لوحة ٤٩
(١١) لوحة ٥٠	(١٢) ١٩	(١٣) ١٧ (١٤) المصدر السابق
(١٥) البغداديات ٤٧ والانصاف ١/٠	(١٦) انظر اقليد الخزانة ص ١٠١	

هذا والمصورة التي أملكها منقولة عن فيلم محفوظ بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالأمانة العامة للجامعة العربية ، ورقم هذا الفيلم ٨٦٠ وقد صوره المعهد من مكتبة شهيد علي بالآستانة ورقم المخطوط فيها ٢٥١٦ / ١ ، وتاريخ النسخ سنة ٦٧٧ بخط مغربي ، كتبه أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد الليلى ، وعدد أوراق البغداديات إحدى وخمسون ورقة بها خرم الورقة الثانية والأربعين .

وفي ظاهر النسخة في اللوحة الأولى التي اعتمدت عليها تلميحات هذا نصها :
« من نعم الله على عبده الضعيف أحمد بن محمد الغنيمي الخرجي الأنصارى بطريق الشراء الصحيح من الشيخ الفاضل أبو السعود الشهاوى لطف الله بنا وبه والمسلمين أجمعين . »

وتحت هذا التلميح : « تم من الله بفضله به على العبد الفقير بشر بن زين الدين العليمى الشامى لطف الله به ، وفي يمين هذا الكلام عبارة : « من كتب الفقير على عفى عنه ، وتحت هذه العبارة (خاتمة) وفي أعلى اللوحة الثانية اسم الكتاب والمؤلف وسنة الوفاة وتحتها اسم (أحمد بن عبد الله بن مكى) . وفي وسطها العبارة الآتية :
« وفيه أيضا المسائل البصريات في النحو ، وفيه أيضا المسائل المشككة في أول المقتضب ، وفيه أيضا المسائل العسكرية إملاء الشيخ أبي علي الحسين بن أحمد بن عبد الغفار ومسائل من النحو منشورة لأبي علي الفارسي أيضا .
وفي الزاوية اليمنى من أسفل هذا الكلام ختم منقوش فيه بما وقف الوزير الشهيد على باشا (رحمه الله تعالى) بشرط ألا يخرج من خزائنه .
وفي آخر هذه النسخة ما نصه :

آخر المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات تصنيف الشيخ أبو علي الحسن ابن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (عفا الله عنه) علقها لنفسه الفقير إلى رحمة الله ربه أحمد بن تميم هشام الليلى في مدة آخرها غرة جمادى الأولى من سنة خمس عشرة وستمائة بمحرسة بغداد في رباط الشيخ محمود النعال الزاهد (رحمه الله ورضى عنه) والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم (١) .

الأغفال أو المسائل المصلحة على الزواج

جاء في الفهرست لابن النديم عند ذكره كتب أبي علي ، كتاب المسائل المصلحة يرويها عن الزواج وتعرف بالأغفال ومعنى هذا أن كتاب المسائل المصلحة هو نفس كتاب الأغفال ، لكن ياقوتاً عندما ذكر كتب أبي علي قال ، كتاب الأغفال وهو مسائل أصلها على الزواج ، ثم عاد وذكر من كتبه وكتب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج . ومعنى كلام ياقوت أن الأغفال شيء غير المسائل المصلحة ، وأن أبا علي أصلح مسائل على الشيخين .

وما ورد في معجم الأدباء يتخالف مع نصوص لابي علي أوردها في كتبه ، هذه النصوص تشير إلى أن المصلح عليه الزواج لا ابن السراج ، وأنه أودع المسائل المصلحة الأغفال ، ومن هنا سمي ذلك الكتاب : الأغفال أو المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق :

وفيا يلي بعض هذه النصوص . قال أبو علي أحمد بن عبد الغفار الفارسي كتاب المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق ابراهيم السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها الأغفال الواقع فيها^(١)

ويقول في موضع آخر : ومن ظاهر الأغفال في هذا الفصل كذا وكذا^(٢) ، وفي موضع ثالث . فهذا الذي ذكرناه اصلاح إحدى جبهتي السهو^(٣) . ويقول في البغداديات وهو بصدد الاستشهاد على قاعدة نحوية ، هذا في أبيات كثيرة تركناها هنا مع الحجة في ذلك لذكرنا له مستقصى في مسائل اصلاح الأغفال^(٤) ، ففي هذه النصوص يرد اسم الكتاب كلاهما : المسائل المصلحة ، و الأغفال ، مما يدل على أن هذه المسائل مصلحة على الزواج أولاً بدليل عبارة المقدمة ، وأن الأغفال هو المسائل المصلحة ثانياً .

وبما يتصل بتحقيق اسم الكتاب التنبيه على خطأ ماورد في كتاب إنباء الرواة ، إذ جاء في تعداد كتب أبي علي : كتاب الأغفال فيما أغفله الزجاجي من المعاني . والزجاجي خطأ فلم يكتب الزجاجي في معاني القرآن أولاً ، ثم أن المشهور أن الأغفال^(٥) فيما أغفله الزجاج من المعاني على ما انتهت إليه من قريب^(٦) .

(١) الأغفال ٢ (٢) الأغفال ٣٣٥ رقم ٦٩٩ (٣) ص ١٧٣

(٤) البغداديات لوحة ٢٧ (٥) انباء الرواة ٢٧٤/١ (٦) راجع الفهرست ٩٥

وكتاب الأغفال (المسائل المصلحة) مؤلف قبل ارتحال أبي علي إلى حلب ذلك ما يدل عليه قوله في الحلييات: « زعم الجرمي أن أبا عمرو وعيسى و... قرءوا بالنصب ، أن هذين لساحران » وقد ذكرنا ذلك في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق^(١) . ويقول في نص آخر : « وأما قولهم أستاذ وسابور فقد ذكرناهما في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق^(٢) . بل الأغفال مؤلف قبل البغداديات^(٣) .

* * *

وقد لحظت أن أبا علي في الأغفال يدعو بالرحمة لأبي اسحق^(٤) ، ومعنى ذلك أن الأغفال مؤلف بعد موت أبي اسحق (٣١٦ هـ^(٥)) .

فهل هجم أبو علي شيخه الزجاج ابتغاء السمعة ، وابتغاء الظهور ؟ أما أبو حيان فيرجع ذلك إلى أن أبا علي كان محباً للرد على الزجاج ، وتخطئته ثم قال « لأنه كان مولعاً بذلك ، وللشأن الجاري بينهما سبب ذكره الناس^(٦) . ولم أقف على ذلك السبب الذي ذكره الناس — على الرغم من طول صحبتي لأبي علي وتقصى ما هو متصل به ، وإن كنت أميل إلى اعتبار أن الخصومة التي كانت بين المبرد (شيخ الزجاج) وسيبويه (الموقر عند أبي علي) هي التي دفعت أبا علي إلى مهاجمة المبرد ، وتليذته الوفي أبي اسحق^(٧) .

* * *

ومهما يكن من أمر فإن أبا علي بإصلاح مسائل الاغفال في هذا الوقت المبكر من حياته ، وبتعقبه الزجاج وهو من هو في مكاتبه بين العلماء والشيوخ في عصره — جعل له شهرة سبقته إلى حلب حيث بلاط سيف الدولة ، وإلى شيراز وفيها عضد الدولة الذي استدعاه لتأديب ابن أخيه خسرو .

(١) الحلييات ٦٢ (٢) انظر الحلييات ٣٠٣ رقم ٢٦٦ تيمور

(٣) انظر النص السابق المنقول من البغداديات

(٤) أنظر البغداديات لوحة رقم ٢٧ (٥) أنظر مثلاً ص ٤١٥ نسخة ٦٩٩ تفسير

(٦) البحر المحيط ١/٣٣١ — ٣٣٢

(٧) ربما كان من أسباب مهاجمة أبي علي للزجاج اختلافهما في تقدير المعتزلة فالفارسي منهم ، أما الزجاج فقد هاجمهم ورد عليهم قال : « وقد احتج قوم من أصحاب الوعيد بقوله : « ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً » فزعموا أن هذا يدل على أن من عمل السوء جزى به ، وقد أعلم أن جل وعز أنه يفر ما دون الشرك لمن يشاء . فعامل السوء ما لم يكن كافرأ مرجوله المغفور والرحمة والنبي (صلى الله عليه) شافع لأمته يدفع فيهم » .
(معاني القرآن للزجاج)

ويشير أبو علي في مقدمة الأغفال إلى النهج الذي اتبعه فيه ، فهو يقول :
 « ونحن نقل كلامه (أى كلام أبي اسحق) في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه ،
 وعلى جملة عن النسخة التي سمعناه منه فيها ثم تبعه بما عندنا .
 وكذلك فعل أبو علي ، فقد تعقب أبا القاسم في ثمان وعشرين سورة من سور
 القرآن الكريم ، أورد في كل سورة نص الزجاج ثم اتبع بما عنده .
 أصلح في سورة البقرة ستاً وثلاثين مسألة ، وفي آل عمران سبعمائة ، وفي الأعراف
 ستاً ، وفي كل من الأنعام والكهف خمساً ، وفي سورة (يس) أربعاً ، وأصلح ثلاثاً
 في كل من ست السور الآتية ، النساء ، والرعد ، والحج ، والمؤمنين والشعراء ، والنجم .
 وأصلح مسألتين في كل من خمس السور الآتية : المائدة ، الأنفال ، يونس ، طه ، النور
 وأصلح مسألة في كل من إحدى عشرة سورة هي : براءة ، هود ، يوسف ،
 إبراهيم ، النحل ، بنو إسرائيل ، كهيعص ، الأنبياء ، العنكبوت ، الزمر ، الجمعة .

وأغلب هذه المسائل استند فيها الزجاج إلى أقوال للخليل وسيبويه ، وفهما علي
 غير الوجه الذي فهمه أبو علي ، ومن هنا كان الطابع العام لهذه المسائل نحويًا وصرفيًا
 وأعرابيًا ، ولغويًا ، وكان منها القليل النادر يتعقب فيه أبو علي من جهة التفسير ،
 وإنك تلمضي في كتاب الأغفال حتى تلمثه تقريباً فلا تطالعك إلا المسائل الآتية :
 اسم الله وتصريفه ^(١) . (أيا) اسم مضمرة وليس بمظهر ^(٢) .
 حروف (ألم) موضوعة على الوقف عليهما دون الوصل بها والدليل على ذلك ما حكاه
 أبو اسحق بن أهل اللغة قالوا في قراءة الحسن صاد القرآن بعملك قمثل^٣ ليس بالجيد ^(٣) .
 الأصل في يقيم يؤقيم ^(٤) ، القول في أن لم جزم قوله يفعلوا من قول الله : فإن
 لم يفعلوا ولن تفعلوا ^(٥) ، أعراب إماما في قوله تعالى : فأما يأتينكم مني هدى ^(٦) .
 وهكذا حتى إذا كانت صفحة ٢٣١ رأيتها تعرض لتفسير القرآن الكريم « عند
 قوله تعالى ، « واتبعوا ما تتلو الشياطين ^(٧) ، ثم يعود بعد ذلك إلى مسائل في
 النحو ، والصرف ، واللغة .

ومن هنا كان من حق الأغفال أن يوضع في فهرس النحو لا فهرس التفسير
 ولكن مفرسي دار الكتب نظروا إلى أن أبا علي تعقب الزجاج في معاني القرآن

(١) الاغفال ٢	(٢) الاغفال ٣٧	(٣) الاغفال ٤٨
(٤) الاغفال ٥٥	(٥) الاغفال ٦٠	(٦) الاغفال ٦٧
		(٧) الاغفال ٢٣١

وهو كتاب تفسير ولم يفظنوا إلى أنه في تعقبه عنى عناية خاصة بمسائل النحو والصرف واللغة والإعراب .

* * *

وأبو علي يقف من شيخه أبي القاسم مواقف مختلفة : تراه حيناً يهدم ما يقول أبو القاسم ، وحيناً يرميه بالغلط والنسيان ^(١) ، ويصف قوله بالفساد ^(٢) ، وبأنه ليس بالجميل ^(٣) وبذهابه عن قول سيويه ^(٤) أو أن الآية تحتمل تأويلين كل واحد منهما ما ذكره وذهب إليه ^(٥)

وقليلاً ما يتفق أبو علي مع الزجاج فيما رآه ، وعند ذلك يبسط أبو علي الكلام ويذكر أوجهاً أخرى غير التي ذكر أبو إسحق ^(٦) أو يعلن استقامة ما قال الزجاج وعدم امتناعه ^(٧)

وكتاب الاغفال يدل على تفهم أبي علي للكتاب : كتاب سيويه ، وعكوفه عليه وتعمقه في دراسته .

قال أبو إسحق : « قال سيويه ، : سألت الخليل عن هذا الاسم (الله) فقال الاله ، فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة ، وقال مرة أخرى : الألف واللام لازمة ، انتهى كلامه .

فانظر كيف يتعقبه أبو علي قال : ما حكاه عن سيويه عن الخليل سهو ، ولم يحكه سيويه عن الخليل في هذا الاسم أنه الاله (كذا) ولا قال إنه سأله عنه لكن قال : « أسند إلى الخليل أن الألف واللام بدل من الهمزة في حد النداء في الباب المترجم بهذا باب ما ينصب على المدح والتعظيم أو الشتم ، لأنه لا يكون وصفاً للأول ولا عطفاً عليه ، وأول الفصل اعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة ، إلا أنهم قالوا : يا الله اغفر لي ، وهو فصل طويل في هذا الباب إذا قرأته وقفت على ما قلنا ^(٨) .

وقد رجعت إلى هذا الباب في الكتاب ، النسخة الأميرية ٣٩٦٩ هـ فوجدت ما نصه : « واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة إلا أنهم قالوا

(٢) الاغفال ٣١ رقم ٨٧٥ تفسير

(٤) الاغفال ٦٢٠ رقم ٦٩٩ نفسه

(٦) الاغفال ١٥١

(٨) الاغفال ٣ رقم ٦٩٤ تفسير

(١) الاغفال ٤٠١ رقم ٦٩٩

(٣) الاغفال ٤٨ رقم ٨٧٥ تفسير

(٥) ٢٣١ رقم ٦٩٩

(٧) الاغفال ٤١٥ رقم ٦٩٩ تفسير

يا الله اغفر لنا وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه وكثر في كلامهم
فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الكلمة^(١)
وهذا الكلام في جملته يرجح ما ذهب إليه أبو علي في رده على أبي اسحق
من أن سيويه لم يحك عن الخليل في هذا الاسم (الله) أنه إله، ولا قال إنه سأله
عنه...، وإن كانت عبارة «أسند إلى الخليل» لم ترد في النسخة المذكورة.

* * *

ومن هذا القبيل ما قال أبو علي :

الاعجميون جمع أعجمي، وليس جمع أعجم، وهذا قول سيويه، وقد نص عليه
وذهب أبو اسحق عنه، قال سيوية في الباب المترجم هذا باب من الجمع بالواو
والنون ويكسر الاسم سألت الخليل عن قولهم الأشعرون، فقال: إنما ألحقوا الواو
والنون وفي بعض النسخ وحذفوا ياء الأضافة — كما كسروا فقالوا الأشاعر
والأشاعت والمسامة، فكما كسروا مسمعا والأشعث حين أرادوا معنى بنى مسمع
وبنى الأشعث ألحقوا الواو والنون وكذلك الاعجميون^(٢). فقد ثبت من نص سيوية
أن الأعجمين جمع أعجمي، وأن ياء النسب محذوفتان حذفاً في الجمع، وأنه جمع
على هذا كما كسر على الأشاعت ونحوه...

وما يدل على صحة هذا أنه لا يتخلو من أن يكون جمع أعجم؛ لأن أعجم صفة
بالدلالة التي قدمنا، وما كان صفة من هذا القبيل لا يجمع بالواو والنون ألا ترى
أنه لا يقال في جمع أسود أسودون^(٣) ؟

وأورد أبو علي الزجاج: وروى عن الخليل في علة النصب بن قولان :

أحدهما أنها تنصب كما تنصب أن وليس ما بعدها بصفة لها، لأن لن يفعل
نفي سيفعل فيقدم ما بعدها عليها نحو قولك زيداً لن أضرب، وقد روى سيويه
عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال: الأصل في لن لا أن ولكن الحذف

(١) الكتاب ٣٠٩/١

(٢) ورد النص في الكتاب ١٠٣/٢ وليس فيه: «وحذفوا ياء الأضافة» الطبعة الاميرية

(٣) الاغفال ٦٢ — ٦٢١ رقم ٦٩٩ تفسير

وقع استخفافا وزعم سيويه أن ذلك ليس بجيد ، ولو كان كذلك لم يحز زيدا
لن أضرب — أورد أبو علي ذلك ثم أصلحه بقوله :

« هذا الموضوع فيه غلط في الحكاية ، وهو ما ذكره في لن من أنه روى
عن الخليل فيه قولان ولم يرو عنه إلا قول واحد وهو ما رواه عنه سيويه
قال سيويه في لن : أما الخليل فزعم أنها لا أن ، ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم
كما قال ويله ، وكما قالوا يومئذ وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف
واحد فانما هي هل ولا (١) فهذا ما روى عن الخليل في لن ولم يرو عنه فيها غيره ،
ولم يرو عنه أنها تنصب كما تنصب أن ، وما ذكره أيضا من قوله : روى سيويه عن
بعض أصحاب الخليل إنما حكى هو نفسه عن الخليل ، وقد كتبت لفظ سيويه عن الخليل
قبل ، والروايتان عن الخليل إنما هما في إذا ليسا في لن فتوهمهما أبو اسحق في لن (٢) .
في هذه النصوص أكثر من دلالة :

(١) فأبو علي أولا يتفهم الكتاب تفهم واع .

(ب) وهو ثانيا يقابل بعض النسخ ببعض ، ويعرف ما سطر في هذه وما
سطر في تلك .

(ج) وهو ثالثا يرى أبا اسحق بذهابه عن نص سيويه ، كما يرميه بالخلط
بين الروايات في الكتاب .

(د) ثم هو رابعا يأتي بأدلة منطقية يرجح بها ما ذهب إليه سيويه (٣)

(هـ) وأخيرا يدل أبو علي على دقته أمام نصوص سيويه ، ومطالبة القارىء
أن يتثبت من هذه الدقة وذلك قوله مثلا : « وهو فصل طويل في هذا الباب إذا
قرأته وقفت منه على ما قلنا (٤) » .

أورد وقد كتبت لفظ سيويه عن الخليل والروايتان عن الخليل إنما هما في إذا
ليس في لن (٥) .

وفي هذا كله ما يؤكد صحة قول أبي حبان في أبي علي : من أنه أشد تفردا
بالكتاب ، وأشد إكبابا عليه (٦) .

(١) النص في الكتاب النسختة الاميرية ٤٠٧/١

(٢) الاغفال ٢١٩ - ٢٢٠ رقم ٦٩٩ تفسير

(٣) انظر تدليله المنطقي على أن أعجمون جمع أعجمي

(٤) الاغفال ٣ رقم ٦٩٩

(٥) انظر الاغفال ٢٢٠ والكتاب ٤١٠/١ وما بعدها (٦) الامتاع والمؤانسة ١٣١/١

ومما يتصل بذلك رد أبي علي هجوم المبرد، ودفعه عن سيبويه ما اعترض به عليه :

ذكر أبو العباس في كتابه المترجم بالغلط هذه المسألة — يشير إلى تصريف لفظ الله — فقال : سيبويه : « إن تقديره فعال لأنه الاله والآلف واللام في الله بدل من الهمزة فلذلك لزمتا الاسم مثل أناس والناس ثم قال : لأنهم يقولون لى أبوك في معنى الله أبوك . فقال يقدمون اللام ويؤخرون العين ، قال أبو العباس وهذا نقض ذلك لأنه قال أولاً : أن الآلف زائدة لأنها ألف فعال ثم ذكر ثانياً أنها عين الفعل (١) .

قال أبو علي ، وهذا الذي ذكره أبو العباس من أن هذا القول نقض - مغالطة ليس كما ذكره ، وإنما كان يكون نقضاً لو قال في حرف واحد من كلمة واحدة وتقدير واحد أنه زيادة ، ثم قال فيها نفسها أنها أصل ، فهذا لو قاله في كلمة واحدة بهذه الصفة فكان لا محالة نقضاً . كما أن قائلاً لو قال : إن التاء في ترتب زائدة ، ثم قال إنها في ترتب أصل ، والكلمة لمعنى واحد من حروف بأعيانها هي في الكلمة الأولى لكان فاسداً منتقضاً ، لأنه جعل حرفاً واحداً من كلمة واحدة زائدة أصلاً ، وهاتان حالتان يتنافى اجتماعهما في حرف واحد من كلمة واحدة في تقدير واحد ، فلا يستقيم لذلك أن يحكم بها عليه . فأما إذا قدر الكلمة مشتقة من أصلين مختلفين لم يمتنع أن يحكم بحرف فيها أنه أصل ، ويحكم على ذلك الحرف أنه زائد ؛ لأن التقدير فيهما مختلف ، وإن كان اللفظ بهما متفقاً ، ألا ترى أنك تقول مصير ومصران ومصارين ومصارين من صار يصير لتكون الياء من الأولى زائدة ومن الثانية أصلاً فلا يمتنع اتفاقهما في اللفظ من أن يحكم على هذا بالزيادة وعلى هذا بأنه أصل .

وبعد أن ذكر أبو علي عدة أمثلة من هذا القبيل بما تنفق فيه الألفاظ وتختلف المعاني والتقدير مثل : ميل ، وموالة ، وأمنية ، وأروى ، وأربية ، — بعد أن ذكر ذلك قال :

فكذلك هذا الاسم الذي نقول لى عند سيبويه تقديره مقلوباً من لاه ، وواه على هذا الآلف فيه عين الفعل ، وهي غير الآلف التي في الله إذا قدرته محذوفاً من

الهمزة التي هي فاء الفعل ، فحكم بزيادة الألف من غير الموضع الذي حكم فيه بأنها زائدة ، فاذا كان كذلك سلم قوله من النقص ، ولم يكن فيه دخل ،

وتبدو من هذا النص حرارة الدفاع عن سيويه ، والاحتفال في الهجوم على المبرد وذلك ظاهر في هذه الأمثلة المتتابعة التي يكشف أبو علي فيها عن اتفاق الألفاظ واختلاف التقدير ، كما هو ظاهر في التدليل المنطقي الذي يقدم فيه نظائر وأقيسة تنتهي بنا إلى نتيجة هي سلامة قول سيويه من النقص وخلوه من الدخل .

وقد رأيت أبا علي في الإغفال يوثق محمد بن المستنير المسمى قطربا ، قال أبو علي : وأما ما حكاه قطرب من أنه يقال فيه أسوار فهذا الضرب من الأسماء قليل جداً إلا أن الثقة إذا حكى شيئاً لزم قبوله^(١)

والذي أريد أن أرته على ذلك ما أراه من أن كتاب الإغفال يصدر عن نزعة التقدير التي وقرت في صدر أبي علي لأستاذه سيويه ، ومن أجل ذلك هاجم من هاجم كالمرد والزعاج ، وسالم من سالم كأبي زيد وقطرب ، معتبراً في هجومه ومسالته ما يرى أنه الحق أولاً ، وما يبدو من موقف المهاجم أو المسلم نحو سيويه ثانياً^(٢) .

* * *

وعبارة أبي علي في الإغفال ذات طابع متميز بما فيها من منطق وجدل ، وبما يشيع في أقطارها من استطراد ، مما أتى عليها غلالة من الأغماض والابهام وإليك ما يكشف عن ذلك :

قال أبو إسحق (رحمه الله) في قوله عز وجل : **«لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ويروى أن المؤمنين قالوا لو أنزل إليهم آية لعلمهم كانوا يؤمنون فقال الله تعالى : «قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أي وما يدرىكم أي لستم تعلمون الغيب ولا ترون أنهم يؤمنون كما تقول للرجل إذا قال لك افعل بي كذا حتى أفعل كذا ما لا تعلم**

(١) الإغفال ٥٦٣ رقم ٨٧٥ تفسير

(٢) كان قطرب دموياً حريصاً على الأخذ عن سيويه ، حتى كان يباكره في الأسعار

وسيويه هو الذي سماه قطرب ليل ، والقطرب دوية تدب ولا تقتر اضطر الفهرست ٧٨

أن يفعله لا محالة ، ما يدريك ثم استأنف فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون هذه القراءة . وقد قرئت إنها إذا جاءت ، وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، وهي قراءة أهل المدينة كقولهم ائت السوق أنك تشتري لنا سوقاً أى لعلك

قال أبو علي : اعلم أن ما في قوله : وما يشعركم لا يكون نفيًا ، إنما يكون استفهاما والدليل على كونه استفهاما . أنه لا يخلو من أن يكون استفهاما أو نفيًا ، فلا يجوز أن يكون نفيًا لفساده في المعنى والإعراب ، أما فساد في الإعراب فلأنك إن جعلته نفيًا بقي الفعل بلا فاعل ، وبقاء الفعل بلا فاعل يجوز بلا خلاف في هذا النحو .

فإن قلت : ما تنكر أن يكون نعتاً وكذا والصواب نفيًا ، ويكون فاعل الفعل الذي هو يشعركم الكناية عن الاسم المقدم كأنه وما يشعركم الله .

قيل : هذا التقدير فاسد ألا ترى أن الله قد أعلم أنهم لا يؤمنون بقوله : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا . . . إلى قوله ما كانوا ليؤمنوا ، فإذا أخبرنا بهذا كذا قد أعلننا أنهم لا يؤمنون ، وإذا أعلننا هذا لم يجوز أن يتأول الآية على ما يعلم الله ، لأنه تعالى قد أعلننا بما تلوناه أنهم لا يؤمنون ، فن هنا أيضاً يفسد في المعنى أن يكون ما نافية ، وإذا فسد أنها نافية ثبت أنه للاستفهام (١) .

وفي هذا النص صورة من صور الجدل الذي يشيع في كتاب الاغفال ، يبدو ذلك في الاعتراض الذي أورده ثم رده ، وإنك لو اجد هنا وهناك عبارات من هذا القبيل : مثلاً .

فإن قال قائل قيل له أو
فإن قيل قيل أو
فإن قلت فالجواب (٢)

(١) الاغفال ٤١٧ رقم ٦٩٩ تفسير

(٢) انظر ص ١٨ وما بعدها و ص ٣٩ وما بعدها ، و ٨٥ وما بعدها ، ١٩٨ وما بعدها

من النسخة رقم ٦٩٩ تفسير

كما يبدو المنطق في ذلك السبر والتقسيم (القياس الاستثنائي الانفصالي) ، وفي النص السابق ما يلي ضوءاً على طريقة أبي علي في تفسير القرآن بالقرآن ، وتحكيم المعنى فيما يذهب إليه من أوجه الإعراب .

ويبدو الجدل كذلك في هذه الأصول الجدلية مثل : أصل الدعوى وما فيه المنازعة لا تجعل أصلاً ؛ وإنما يستشهد عليه بغيره^(١) .
ويشيع المنطق كذلك في هذه الصور العقلية التي يوردها .

ماذا يكون العامل في إذ إذا قال : أريد أن أكرمك فقال : إذن آتيك — علي اعتبار أن صدر هذا الحرف إنما هو إذ — أهو في كلام المتكلم من الفعل ؟ أم ما يتعلق بإذ ؟ أم شيء ثالث مضمّر غير مذكور ؟ فإن القسمة لا تجيز شيئاً رابعاً^(٢) .

كما يبدو في استعمال الألفاظ المنطقية : الدعوى — والدلالة ، والمدعى ... قال : د فإن قال أبو اسحق يدخلها — أى إذن — معنى الاستقبال إذا نصبت ويطل منها إذا لم تنصب فإن هذه الدعوى تحتاج إلى دلالة ، ولا يجد المدعى لها فصلاً بينه وبين من يقرب هذا ويعكسه عليه^(٣) ،

أما الاستطراد فهو ظاهرة شائعة في الأغفال يسلمه التذليل على قضية إلى تدليل آخر على قضية أخرى وهكذا^(٤) : وإن تعرض الزجاج — مثلاً — للحديث عن لفظ عمال — عقد أبو علي كلاماً في الامالة يتناول أحكامها المختلفة ، فقد قرر الزجاج أن الامالة في كافر جيدة ، فقال أبو علي : أن باب الامالة يقتضى كلاماً طويلاً إذا ذكر على حد التقصى له ، إلا أن ذلك لا يليق بهذا الموضوع ، وإذا كان كذلك ذكرنا جملة منها تسهل بها تفصيلاتها بعد أن نذكر ما حقيقتها ، ثم نصلح موضع السهو من الفصل^(٥) .

ومع هذه القيود التي رسمها للحديث من الامالة — أورد طائفة من أحكامها وأسبابها وضروبها في اثنتي عشرة ورقة !! مع أن مَهْمَه في كتاب الأغفال ينتهى عند اصلاح ماسها فيه أبو اسحق .

وهو إذ فر من الاستطراد إلى الاستطراد في نصه السابق — نراه يعترف به

(١) الاغفال ص ٤٣٥ (٢) ص ٣٩٥ - ٣٩٦ (٣) أظن ص ٢٧ - ٤٣

(٤) ص ٣٩٩ النسخة رقم ٦٩٩ (٥) الاغفال ٩٤ نسخة رقم ٦٩٩

صريحاً، وذلك حين يقول: ولهذا شيء قد عرض في المسألة ثم عدنا إليها^(١)،
أو يقول: لهذا شيء عرض في هذه المسألة مما يتعلق بها ثم نعود إليها^(٢).
وعبارة أبي على محررة من الوجهة النحوية، تكشف هذه الخبيصة بالرجوع
إلى النصوص السابقة. ومع ذلك فقد رأيت يدخل قد على المضارع المنفي بلا فقال:
قد لا يسوغ^(٣)... كما يلحق اللام في جواب لو، ولولا المنفي بما^(٤)

* * *

وفي الأغفال طائفة صالحة من الاحتجاج لما يراه أبو على في مختلف المسائل
النحوية والصرفية.

- (١) دلل على أن الإمالة في الألف من اسم الله تعالى جائزة^(٥)
- (ب) وأن المحذوف من اللامين في قولهم لا، أبوك... هو الزائد^(٦)
- (ج) وأن أيا اسم مضمرة وليس بمظهر^(٧)
- (د) وأن ما التي هي مع الفعل بمنزلة المصدر حرف ليست باسم^(٨)
- (هـ) وأن رفع الأسماء بالمضارعة خطأ^(٩)

* * *

وفي كتاب الأغفال كذلك كثير من الأصول النحوية واللغوية.

- (١) فالأصحى إذا عرب لا يوجب تعريبه أن يكون موافقاً لأبنية العرب^(١٠)
- (ب) ولا يجب أن يترك القليل إلى الكثير (كذا) والشائع إلى النادر^(١١)
- (ج) المضمرة لا يضاف؛ لأن الإضافة للتخصيص والمضمر أشد المعارف تخصيصاً^(١٢)
- (د) أكثر الأسماء المختصة بالأعلام منقولة من أسماء الأجناس نحو زيد وأسد^(١٣)
- (هـ) الحذف لم يجيء في شيء من الحروف إلا في بعض ما كان مضاعفاً نحو
رب، وأن، وكان... ولهذا ذهب أهل النظر في العربية إلى تغليب معنى الاسم على
مذ لمكان الحذف، وتغليب معنى الحرف على منذ لتأماها^(١٤)

-
- | | |
|--|------------------------------|
| (١) الأغفال ٤٨٥ رقم ٨٧٥ تفسير | (٢) الأغفال ١٤ رقم ٨٧٥ تفسير |
| (٣) الأغفال ١٠٠ رقم ٦٩٩ تفسير | |
| (٤) انظر النص الذي يرد فيه هجوم البرد على سيبويه | |
| (٥) الأغفال ٢٩ رقم ٦٩٩ | (٦) المصدر السابق ٢١ |
| (٧) المصدر السابق ٣٠ | (٨) المصدر السابق ٦٤ |
| (٩) ٤٤٢ (١٠) المصدر السابق ٥٨ | (١١) ٤٢ (١٢) ٣٢ |
| (١٣) ٤ (١٤) ١٣ | |

(و) أن الزائد جاء لمعنى فهو أولى بأن يترك فلا يحذف^(١)
 (ز) القلب ضرب من التصريف ترد فيه الأشياء إلى أصولها^(٢)
 (ح) الأصول لا تعقد بالشذوذ، وما يجيء نادراً من حرف أو حرفين^(٣)
 (ط) إذا جاء الشيء على بابيه فلا وجه لرده ، ولا امتناع من دفعه ، على أنه لو جاء مخالفاً لبابه للزم أن يتبعه ، ولم يجوز لنا أن ندفعه إذا كان الغرض فيما نعمله وندرجه من هذه القوانين إنما هو أن يوصل بها إلى النطق باللسان، ونسوي بين من لم يكن من أهل اللغة لنعله إياها، ونسكها بها بأهل الفصاحة والبيان، فإذا ورد السمع في نحو هذا بشيء وجب اتباعه، ولم يبق غرض مطلوب بعده^(٤).
 وقد استغل أبو علي هذه الأصول فيما ذهب إليه من مسائل الخلاف والاحتجاج لما يراه والرد على أبي القاسم الزجاج .

وبعد: فكتاب الأغفال صورة لهذا اللون من النشاط النحوي الذي بدأ جلياً في القرن الرابع الهجري من تتبع النحاة بعضهم بعضاً^(٥) ، وهو كذلك يكشف عن ضلعة أبي علي في النحو ، وتبحره فيه ، واعتماده في ذلك على كتاب سيويه ، وخصائص العربية وفقهه لها. وقد ذكره ابن قاضي شهبه ووصفه بأنه كتاب نفيس^(٦). ثم هو مرآة لنزعة أبي علي من التناول والشموخ على علماء عصره ، وتعرضه لهم ، واتجاهه إلى المصادر الأولى يتأثرها ويستقي علمه منها . وقد استعان البغدادي بالأغفال في مواضع ثلاثة من خزائمه^(٧) .

وللكتاب بدار الكتب والخزانة التيمورية نسخة قديمة بخط مغربي برقم ٥٢ تفسير ، وأما الأخيريان فواحدة برقم (٨٧٥) تفسير والأخرى برقم (٦٩٩) تفسير . وقد كتبتنا للعلامة أحمد تيمور ، فهما تدلان على ما كان للرجل (رحمه الله) من عناية باللغة وكتبها بعامة ، وبآثار أبي علي بخاصة .

(١) ٢١ (١) ١٨ (٢) ٤٨٥ (٣) نسخة رقم ٨٧٥
 (٤) ٤٦ (٥) رد ابن خالويه على أبي علي في الأغفال - بكتاب سماه (المأثور)
 ورد عليه أبو علي في كتابه (نقض المأثور) انظر خزانة الادب ٤٠١/٢ وانظر الفلاحة
 والمفلوكين / ١٠٢
 (٦) انظر طبقات النحاة والنحويين ٢٩٥ (٧) انظر ٣٠٢/١ ، ٣٢٤/٤ ، ٣٤١

العسكريات

والعسكريات منسوبة إلى عسكر مكرم ، وكانت مولد بعض مشهورى العلماء والادباء ، كما كانت عظيمة المسجد والأسواق^(١) ، ولعل أبا على الفارسي زارها فيما زار من مدن البلاد الإسلامية ، وكان من أثر هذه الزيارة مسائله العسكريات .

وقد اشتملت العسكريات على أبواب أربعة لا غير .

جعل الباب الاول منها . باب علم الكلم من العربية^(٢) .

وكان الثاني « ما اتتلف من هذه الألفاظ : الاسم ، والفعل ، والحرف^(٣) ،

وأتبعه الثالث « باب ما كان شاذاً من كلامهم^(٤) ،

ثم ختمت بياب « الإعراب والبناء^(٥) ،

وهذه الأبواب جامعة : تحدث في الباب الاول عن اتتلاف الكلام من الاسم ،

والفعل ، والحرف ، ثم ذكر تعاريف أصحابه للاسم ودلل عليها ، وانتقل إلى الفعل وأقسامه^(٦) ، ثم تحدث عن الحروف .

وفي الباب الثاني : ذكر اتتلاف الاسم مع الاسم ، والفعل مع الاسم ،

ودخول الحرف على كل منهما . وذكر أن الاسم والحرف لا يستقلان بالكلام ،

ثم شرح كيف استقل « يا زيد » مع أنه مؤلف منهما^(٧) ، وتحدث عن استعمال

هيات مفتوحة ومكسورة ، وانتقل منها إلى شستان ، واعراب ذى من قولهم :

« وسرعان ذى أهالة » وتحدث عن « أف » واللغات فيها . ثم انتقل إلى الجزاء والقسم ،

وتحدث عن عدم الاستقلال في الاسم والفعل في حالى الجزاء والقسم وكذلك الاسم

والاسم كذلك (في حالى الجزاء والقسم) .

واستطرد إلى بيان أن بعض الجمل يقوم مقام بعض ، ثم ذكر رأى أبى الحسن

في قوله تعالى : « يحلفون باقه لكم ليرضوكم » ، ورأى البغداديين ، ودلل على ما يرى

أبو الحسن^(٨) .

(١) انظر أراضى الخلافة المرفقة - تأليف ليستيرنج ط كبردج ١٩٠٥ : ٢٣٦ - ٢٣٧

(٢) لوحة ١٣١ (٣) لوحة ١٣٢ (٤) لوحة ١٣٤ (٥) لوحة ١٣٨

(٦) لوحة ١٣٢ (٧) لوحة ١٣٣ (٨) لوحة ١٣٤

وفي الباب الذي عقده لمعرفة ما كان شاذاً من كلامهم بيّن أنواع الشاذ — واعتمد في ذلك على ما ذكر أبو بكر (رحمه الله ^(١)) ثم أخذ يشرح كل من نوع مئلا ومستشهدا بالشعراء، والقراءات، ومورداً أقوال الأئمة السابقين — مع الاستطراد — مثل أبي العباس، وأبي عثمان، وأبي زيد، وأبي الحسن، وأبي إسحق، وأبي بكر.

وتناول في هذا الباب: باب ما كان شاذاً من كلامهم — وما يجيزه النحويون في اضطرار الشعر. فمثل للضرورة غير المستحسنة، والضرورة القبيحة غير السهلة، وجعل من الضرورات التي لا تتجاوز في الكلام ما يفعله الشاعر لاقامة الوزن من تحريف الاسم ووضع موضعه لفظاً على معناه، وإن لم يكن العلم للمتعارف، وجعل من ذلك ما أنشده أبو الحسن:

«بني رب الجواد فلا تقلوا فأنتم — فيعذركم — لقليل

قال أبو بكر، أراد ربيعة الفرس فلم يستقم الوزن له فعدل إلى رب الجواد.. وحديث أبي علي عن الضرورات حلقة من تلك السلسلة الممتدة منذ سيويه (في القرن الثاني ^(٢)) حتى السيوطي (في القرن العاشر ^(٣)) ثم الألويسي في كتابه الضرائر. ولست هنا في مجال الموازنة بين هذه الحلقات، ولكن الذي لاشك فيه أن أبا علي امتاز بمجديد انفرده به عن سيويه — أورده عند الحديث عن هذه الضرورات.

وفي باب الإعراب والبناء عرف كلا منهما، ثم تحدث عن حركات الإعراب الظاهرة والمنوية، وقسم الأسماء المتمكنة إلى منصرف، وغير منصرف، وذكر أسباب المنع من الصرف، ثم ذكر اعتراضات وردّها، واعتمد في ذلك على أصول قررّها وخلص من ذلك إلى (مناقشة البغداديين في إجازتهم جمع طلحة بالواو والتون) وبعد استطراد واعتراضات علل لعدم الجر في الفعل، وتحدث عن إعراب المضارع لمشابهة الاسم، ودلل على ذلك.

وأنبه هنا إلى أن هذا مجرد عرض المسائل الكبرى في العسكريات، أما ما ذكره أبو علي في غضون هذه المسائل من اعتراضات، واستطرادات، وأدلة، واحتجاج

(١) لوحة ١٣٤

(٣) انظر المهمم ١٠٤/٢ - ١٠٨

(٢) انظر الكتاب ٨/١

وإكثار من الشواهد والأمثلة وتخريجها في أسلوب معقد — فذلك كثير .
وأبو علي واضح الشخصية في العسكريات ، فهو لا يقتصر على نقله كلام الأئمة
السابقين حسب :

(١) بل يتبع ذلك بالاحتجاج والتدليل على ما إليه يذهبون : تراه يقول مثلاً
في تعريف الفعل : « ومن أصحابنا من يقول في وصفه أنه ما دل على حدث وزمان
ثم يقول : ويدل على قولهم هذا إنا نجد الأفعال تتعدى إلى جميع أقسام الأزمنة
بمعرفتها ونكرتها ومبذوها ومخصوصها كما نجدها تتعدى إلى جميع أقسام المصادر ، فلو لأن
فيه دلالة على جهة اللفظ ما كان ليتعدى إلى جميع ضروب الأمكنة فكما لم يتعد إلى
جميع ما تتعدى الأفعال المتعدية إليه فاستواؤه والمصدر في تعدى الفعل إليهما تعدياً
واحداً دلالة على ما ذكرنا من وقوع الدلالة عليه من اللفظ (١) .

(ب) كما تظهر شخصية الشيخ كذلك في الاعتراضات التي يوردها ثم يردّها في
أسلوب جدلي فلسفي كالاغراض الذي أورده على من وصف الفعل بأنه ما دل على
حدث وزمان وذلك قوله : « وقد قيل لمن وصف الفعل بهذا الوصف : رأيتم
قولكم خلق الله الزمان هل يدل هذا الزمان على زمان ؟ فإن قلتم : لا . فسد الوصف ،
وإن قلتم : يدل ، فقد ثبت زماناً قبل ، وذلك ممتنع لما يجيبون به عن ذلك أن اللفظ
فيه قد جرى عندهم مجرى الآن وما يتخاطبون به ويتعارفون وهذا النحو غير ضيق
في كلامهم . . ألا ترى قوله (عز وجل) « ذق إنك أنت العزيز الكريم ،
وكذلك قوله :

أبلغ كلياً ، وأبلغ عنك شاعرهما أنى الأعز ، وأنى زهرة اليمن
فأجاب جرير هذا بقوله :

ألم تكن في وسوم قد وسمت بها من حاز موعظة يازهرة اليمن
وكذلك قوله : « فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، إنما هو عند كثير من
أصحابنا أنهم جميع إذا رأيتم مثلهم قلتم فيه هذا الضرب من الكلام فكذلك قولهم :
خلق الله الزمان على هذا الحد الذي تجرى هذه الأمثلة في كلامهم وما
يتعارفونه الآن (٢) .

وهكذا تتجلى ثقافة أبي علي كما تتجلى شخصيته : يمزج المنطق، والفلسفة، ويدلل، ويستشهد بالقرآن والشعر ويطبق ذلك على سنة العرب في كلامهم ...

(ج) كما تراه بعد ذلك يعرض أقوال النحاة، ويوازن بين رأى ورأى، كما فعل بين وصف سيويوه للفعل ووصف غيره له، وبرهن على أن وصف سيويوه وصف شامل لا يدخل عليه اعتراض^(١)

(د) كما رأيت يزيد على سيويوه بما يعد شرحاً لما قال : جاء في الكتاب تعليق لعدم دخول الجر في الأفعال، وذكر سيويوه شبهة وردّها^(٢). وسيويوه هنا يمتضى في عرض كلامه هيناً لا يتعمق، وكأنه يريد أن ينظم هذه المسألة عند عرضها في سلك الحديث الجارى بين شخصين على طبيعة المتحدثين في هوادة ولين.

أما أبو علي فقد تعمق، وشعب، واستطرد، واحتج، وبرهن، واستغل مسائل المنطق في حديثه^(٣) وقد ألم أبو علي في العسكريات بكثير من مسائل الخلاف بين النحاة وبرهن عليها، برهن على

ا — أن الفعل مأخوذ من المصدر^(٤).

ب — وأن الفعل ما دل على حدث وزمان^(٥).

ج — وأن القياس أعمال الثاني من الفعلين^(٦).

د — وأن الأصل في المضارع أن يكون للحاضر^(٧).

ه — وأن المضارع معرب لمشابهة الاسم^(٨).

و — وأنه لاجر في الأفعال^(٩).

ز — وأن اللام أضعف من العينات كما أن العينات أضعف من الفاءات^(١٠).

وقد تعرض أبو علي للقراءات في العسكريات وجّهه قراءة من قرأ : ومن وراء إسحق يعقوب بالفتح، فذكر رأيين، وحكم على الأول أنه ليس بالسهل، وأن الآخر أيضاً كذلك، وإن كان الأول أخش !!

(١) نفس المصدر (٢) انظر الكتاب ٣٨٦ (٣) انظر لوحة ١٣٩
(٤) لوحة ١٣١ (٥) لوحة ١٣١ (٦) لوحة ١٣٣ (٧) لوحة ١٣٢
(٨) لوحة ١٤٠ (٩) لوحة ١٤٠ (١٠) لوحة ١٤١ (١١) لوحة ١٣٥ وانظر

وفي العسكرية قرر أبو علي أصولا عامة تتصل .

ا — ببناء الكلمة : كقوله : « ما لم يلزم من الحروف ، وكان قلعا في مكانه لا يعتدون به »^(١) ، وقوله : « اللامات أضعف من العينات »^(٢) .

ب — وبالصناعة النحوية : مثل : موضع الضمير من المواضع التي ترد فيها الأشياء إلى أصولها^(٣) ، ومثل : « الحركات التي تجب بعوامل لا تكون -ركبات^(٤) بناء ، والمفردة في الرتبة أسبق من المركبة^(٥) » .

ج — وبالأسلوب : لا يوجد في كلامهم قسم مهلق غير متشبهت بمقسم عليه^(٦) ، وبعض الجمل قد تقوم مقام بعض^(٧) .

ولئن كان أسلوب أبي علي في كتبه يبدو فيه الغموض لأنه في العسكرية أغمض ، ذلك لأنه حشاه بمسائل المنطق ، ومسائل الخلاف ، وأهمه كذلك خروجه من تدليل إلى تدليل ، ومن اعتراض إلى آخر ، تجد ذلك شائعا في هذه المسائل وانظر مثلا صدر حديثه عن ائتلاف الكلام من الفعل والفعل ، والاسم والفعل^(٨) .

* * *

وفي توثيق العسكرية قابلت بين نصوص وردت في كتب المتأخرين ، ونصوص وردت في العسكرية ؛ مثال ذلك ما جاء في الهمع^(٩) .

قال الفارسي في العسكرية : وما يدل على إعرابهما (جمع المؤنث السالم في حال النصب ، وما لا ينصرف في حال الجر) أن هذه الحركة وجبت بعامل ، والحركات التي تجب بعوامل لا تكون حركات بناء : والاص في العسكرية كما جاء في الهمع^(١٠) والنسخة التي أملكها خاتمة ما كتب اللبلي أحمد بن تميم بن هشام من هذه المسائل ، وهي تكبير فلم مصور لنسخة مخطوطة مودعة مكتبة شهيد علي برقم ٤/٢٥/١٦ ورقم الفلم في معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ٨٦٠ ، وقد شغلت هذه النسخة اللوحات من ١٣٠ - ١٤١ .

(١) لوحة ١٣٨	(٢) لوحة ١٤١	(٣) لوحة ١٣٢
(٤) لوحة ١٣٩	(٥) لوحة ١٣١	(٦) لوحة ١٣٤
(٧) لوحة ١٣٤	(٨) لوحة ١٣٣	(٩) اظر ١/١٩
(١٠) لوحة ١٣٩		

ورأيت في اللوحة الأولى في الزاوية اليسرى من أعلى عنوان الكتاب —
ما نصه : نقله أحمد تميم اللبلي من خط ابن بلبل^(١) ، وقابله به ، وكان فيه مواضع
أصلح أكثرها ، وبقي فيه أشياء تحتاج إلى تأمل
وتحت العنوان في الزاوية اليسرى أيضا . د أحمد بن تميم بن هشام يفوض أمره
إلى الله ، وتحت ذلك عبارة : أحمد بن عبد الله بن مكي ، وفي وسط اللوحة تقريبا
خاتم كتب عليه بالثلث الواضح : بما وقف الوزير الشهيد علي باشا (رحمه الله تعالى)
بشرط أن لا (كذا) يخرج من خزائنه ، .
وفي نهاية العسكريات : ما نصه : تمت المسائل العسكريات بحمد الله وعونه وكان
الفراغ منها في يوم السبت العاشر من شهر جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة
وستائة على يدي العبد الضعيف المقر بذنبه الراجي عفوره أحمد بن تميم بن هشام
اللبلي بمدينة السلام المحروسة على الأصل المنقول منه بخط ابن بلبل ، وكان فيه إسقاط
كلمات ، وتصحيف مواضع أصلحت في نسختي هذه بعضها وقت كتابتها ، وعلمت على
الباقى إلى الفراغ إلى معاودة النظر فيها إن شاء الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين
والصلاة على محمد وآله^(٢) .

وتجد أمثال هذه الكلمات الساقطة في نفس اللوحة على يمين الكلام السابق^(٣)
وكان ما استعان فيه البغدادي في خزائنه بالعسكريات عشر مرات . مرة
في الجزء الثالث^(٤) ومرتين في الأول^(٥) وثلاثا في الرابع^(٦) وأربعاً في الثاني^(٧) .

(١) ابن بلبل هو محمد بن عثمان بن بلبل تلميذ أبي علي ، وهو الذي روى كتابه وأذاعه
(انظر بنية الوعاة ٧٢)
(٢) لوحة ١٤١
(٣) اللوحة منقسمة إلى قسمين (٤) ص ٤٦ (٥) ٩ - ١٤
(٦) ٦٧ - ٧٣ - ٨٢ (٧) ٦٢ - ٢٥٧ - ٤٠١ - ٥٥٢ وانظر اقليد الخزانة ١٠١

البصريات

البصريات أشتات من المسائل أملاها أبو علي في جامع البصرة^(١) بعضها في "صرف، والآخر في اللغة، والثالث في النحو، وفيها يتكرر كثيرا الدعاء له بالتأيد كأن يقول: «قال أبو علي (أيده الله)^(٢)»، وقد يكون هذا الدعاء من زيادة تلاميذه كالتعليقات التي كانوا يزيدونها من مثل: «قال الشيخ وقت القراءة عليه^(٣)»، قلت له: ما الدليل على أن من في هذه الآي استفهام؟ (يشير إلى قوله تعالى: «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه»، «وسوف يعلمون من تكون له عاقبة الدار^(٤)». وبعض هذه المسائل ينص على أنها إجابات لأئلة سئل عنها، وحينئذ تصدر المسألة بقوله: «سألنا سائل^(٥)، أو سئلت عن: جاءني إخوانك كلم، واختصم أخوانك كلاهما^(٦)»

وهناك مسائل أخرى تأخذ الطابع الجدلي - اعتراض وردة - كقوله مثلا: «فان قال قائل قيل له^(٧)» .

والبصريات لا تماسك فيها؛ لأنها مسائل مقطعة من موضوعات مختلفة^(٨). وقد يبدو الارتباط بينها وأهيا^(٩) كما في هذه المسائل المتتابعة .

١ - قالوا في صعق صعق . . .

ب - مسألة لما كان حذف الياء من هذيل لتغيير واحد وهو النسبة وجب أن يحذف لتغييرين في حنفي ونحوها

ج - قد يقال في حانية أنه نسبة إلى الحانوت، فان شئت قلت إنه إضافة على المعنى لا على اللفظ مثل قولهم حواء لصاحب الحية

د - لا يحسن أن تقول في قاض قاضوى كما قلت في عم عموى

ه - قول الخليل: لو قلت تغلب لقلت في يشكر يشكرى وجلهم جلهمى . .

(١) لوحة ٤٥ (٢) انظر ورقات ٥٦، ٥٨، ٥٩ وغيرها من المسائل
(٣) انظر لوحة ٥٦ (٤) انظر لوحة ٦٩ (٥) انظر لوحات ٧٢، ٧٦، ٧٧
(٦) لوحة ٨٦ (٧) لوحة ٧٦ (٨) انظر مثلا لوحة ٥٥، ٥٦
(٩) انظر لوحة ٧٩

فهذه المسائل المتابعة مرتبطة بالإضافة : النسب ، ولكن أمثال ذلك قليل
وتكثر اللغويات في المسائل البصرية — حتى لتعد ظاهراً يميزها لها
وأكثر ما يكون أخذه فيها عن ثعلب ، و ثعلب راوية وحافظ ، ولعل خصومة
ثعلب للبرد هي التي جعلت أبا على ينقل عن ثعلب ، ويعتد به ، وهو بالبصرة
لتكون الخصومة أشد وأنكى .

وقد كانت هذه المسائل اللغوية مصدراً من المصادر التي اعتمد عليها ابن سيده
في كتابه المخصص (١) .

وتدل البصريات على علم أبي على بمذاهب الكوفيين ، وأنه درس لها ، معلق
عليها ، وخبير بها (٢) ، كما هو دارس مذاهب البصريين وخبير بها ، فهو يوازن بين
هؤلاء وهؤلاء ، ويعلق على مذاهبهم تعليق ناقد خبير ، فهذه — مثلاً — مسألة
يتفق فيها البصريون والكوفيون على السواء (٣) وهذه أخرى أحاطها أهل البصرة ،
وأجازها الكسائي ، والفراء (٤) ، وهذه ثالثة أجازها المبرد في المقتضب ، ولم يختلف
الكسائي ، والفراء في أن ذلك لا يجوز (٥) .

وهناك مسائل كثيرة يرى البصريون فيها رأياً ، ويرى الكوفيون غير ما يرى
البصريون ، ويدلل على صحة رأى هؤلاء ، وفساد ما ذهب إليه الآخرون .
فما يقوله الكوفيون من أن كلا تثنيه فاسد (٦) ، وحتى تنصب الأفعال بعدها
باضمار أن ، وأن معها في موضع جر بحتى (٧) .

وأبو على يهاجم الفراء في غير موضع من المسائل البصرية : يصف إنشاده
بالخطأ الفاحش (٨) ، وأن ما يستشهد به ليس بحجة (٩) ، ويقسو حتى يذكر
أن ما قاله الفراء هذيان (١٠) ١١

ولم أره يبلغ في مهاجمته هذا المبلغ في كتاب آخر من كتبه ، فلعله كان مدفوعاً
بالجو البصرى الذى عاش فيه حين أملى هذه البصريات .

- | | |
|---|---------------------|
| (١) انظر المخصص ١٢/١ ، ١٣ | (٢) انظر مثلاً ص ٦٤ |
| (٣) لوحة ٨٧ | (٤) لوحة ٦٥ |
| (٥) لوحة ٧٠ | (٦) لوحة ٨٦ |
| (٧) لوحة ٧٥ وانظر المسألة في الانصاف ٨٣/١ | (٨) لوحة ٥٧ |
| (٩) لوحة ٦٣ | (١٠) لوحة ٦٣ |

وهو كذلك يتعقب المبرد ، ويفند آراه ، بما يدل على أنه استوعب كتاب المقتضب استيعاب متفهم مدقق ، انظر إلى قوله : « قال أبو العباس في حد الضمير من المقتضب : ، النون في فعلن ونحوه أصلها السكون ، وحركت لالتقاء الساكنين . قال أبو علي (أيداه الله) : « وقد خالف في هذا قولاً لنفسه في المقتضب في أبواب الترخيم ^(١) ، كما أنه يغلط المبرد فيما حكاه عن سيبويه ^(٢) ، ويصف اعتراضه على سيبويه بأنه ليس بشيء ، وأن ما حكاه عن يونس إنما هو إلزام ليس هو قوله ^(٣) .

وموقف المبرد من سيبويه على هذا النحو جعل أبا علي يهاجمه — على الرغم من بصريته — فقد كان أبو علي شديد الاعتداد بسيبويه ، جيد التفهم لكلامه ^(٤) . يعتل له ^(٥) ، حتى أنه يقول : « والقول قول سيبويه ^(٦) .

ولأبي علي عناية بمختصر الجرمي ^(٧) ، ولقن هذه العناية كثيراً من تلاميذه ^(٨) ، ومن هنا رأيت أبا علي في البصريات يتعقب الجرمي ^(٩) ، ويستشهد به ^(١٠) ، ويروي ما قرأه عليه من كتابه ، ^(١١) ، وينقل آراه ، ويروي ما أنشد ^(١٢) ، ويفسد حيناً قوله ^(١٣) ويدفع ما اعترض به عليه ^(١٤) .

* * *

والقارئ للبصريات يلحظ كثرة الشواهد ^(١٥) ، ومعظمها من الشعر القديم : جاهليه وإسلاميه ، ويحرص أبو علي في روايتها على نسبتها إلى أصحابها ، وكذلك يستروح القارئ نفحة الأدب في الأخبار الأدبية ^(١٦) ، وفي التفسيرات التي تتعلق بأقوال الشعراء ^(١٧) . وهو حين يفسر الآيات يفسرها تفسيراً قائماً على الإعراب والصناعة النحوية ^(١٨) .

- (١) اظفر لوحة ٦٧ (٢) لوحة ٧٩ (٣) اظفر لوحة ٧٥ (٤) لوحة ٧٤
 (٥) لوحة ٥٩ (٦) لوحة ٦٠ (٧) اظفر ترجمة الألباء ١٠١
 (٨) اظفر في الفصل المعقود لتلاميذه — ترجمة الربيعي مثلاً (٩) لوحة ٨٣
 (١٠) لوحة ٨٤ (١١) لوحة ٨٣ (١٢) لوحة ٥٩ (١٣) لوحة ٥٧
 (١٤) اظفر دفاعه عن سيبويه في إعراب الآية : أيديكم إنكم إذا تمم وكنتم تراباً وعظاماً
 أنكم مخرجون (لوحة ٧٤ والآية في الكتاب ٤٦٧/١)
 (١٥) لوحة ٥٧ (١٦) لوحة ٦٢ (١٧) لوحة ٦٤
 (١٨) اظفر مثلاً لوحة ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ثم اظفر لوحة ٦٨ في شرح بيت للنمر بن توبل

وحرص أبو علي على نسبة الشواهد إلى أصحابها نزعة بصرية، فالبصريون لا يثقون إلا بالشعر المنسوب إلى قائله — وأحياناً يعرف أبو علي بالشاعر، وينص على أنه جاهل إسلامي .

ومن أنشد أبو علي لهم، الرياشي، والكميت^(١)، وأبو كبير، والعجاج، ولييد^(٢)، وطرفة^(٣)، والفرزدق، والأخطل^(٤)، وكثير^(٥)، وحسان بن ثابت^(٦)، وامرؤ القيس^(٧)، والأسود بن يعفر^(٨)، وابن مقبل^(٩)، والراعي^(١٠)، والنمر بن توبل^(١١)، والشنفرى^(١٢)، والأعشى^(١٣)، وعنترة^(١٤). وما ينشده برويه — في الغالب — عن ابن دريد^(١٥)، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش^(١٦)، وأبي زيد في النوادر^(١٧). وما ينشده ثعلب في نوادر اللحياني^(١٨)، أو نوادر ابن الأعرابي^(١٩)، وأبي عمرو^(٢٠)، وما يصحبه هو من الشواهد على ما يقول^(٢١). وربما كانت المسألة مجرد إنشاد شاهد من شواهد الكتاب، ونسبته إلى قائله ولا يزيد، وهي من هذه للتأحية توثيق لهذه الشواهد، وتوثيق لنسبتها إلى قائلها كما وصلتنا. قال: مسألة: أنشد أبو عمر بيت الكتاب: وجدنا الصالحين لهم جزاء^(٢٢). وقال: هو لعبد العزيز بن زرارة الكلابي^(٢٣). ويبدو من تعبير الفارسي أن هذا البيت لم يكن منسوباً إلى الكلابي، في نسخ الكتاب الأولى، وأن الذي نسبته أبو عمر الجرمي^(٢٤).

وترى في البصريات قصيدة يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي لأخيه من أبيه وأمه عبد ربه بن الحكم التي أولها:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تبدى أن صدرك لي دوى
وقد بلغت في البصريات تسعة وعشرين بيتاً على حين أن القائل أنشدها عن
شيوخه في سبعة عشر بيتاً^(٢٤).

وفي البصريات تدليل على ما يذهب إليه أبو علي من مسائل النحو .

(١) فالفعل مع الفاعل يجرى بجرى الشيء الواحد^(٢٥) .

(١) لوحة ٨٤ (٢) لوحة ٧٨ (٣) لوحة ٥٨ (٤) لوحة ٧ (٥) لوحة ٦٦

(٦) لوحة ٦٢ (٧) لوحة ٥٦ (٨) لوحة ٨٩ (٩) لوحة ٥٧ (١٠) لوحة ٧٨

(١١) لوحة ٦٨١ (٢) حة لو ٥٧ (١٣) لوحة ٥٧ (١٤) لوحة ٥٥

(١٥) انظر مثلاً لوحة ٥٧ (١٦) لوحة ٥٧ (١٧) لوحة ٧٤

(١٨) لوحة ٧٢ (١٩) لوحة ٦١ (٢٠) لوحة ٥٩ (٢١) لوحة ٦٨ (٢٢) لوحة ٥٩

(٢٣) الشاهد منسوب إلى عبد العزيز السكلافي في النسخة المطبوعة ببولاق ١٣١٦/١ ١٤٦/١

(٢٤) انظر أمالي القائل ٦٨/١ (٢٥) لوحة ٦٥

(ب) وفاسد ما يحكيه بعضهم من أن قوماً يجيزون ما أظننى لزبد قائماً^(١) .
 (ج) قوله تعالى: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي . من كسر إن ، لم يجز أن
 ينصب امرأة بأحللنا^(٢) . (د) ما بعد جرف الاستثناء لا يعمل فيما قبله^(٣) .
 (هـ) نعوت المعارف حكمها أن تكون أعم منها^(٤) .
 وأحياناً يهدى أبو على إلى الأساليب العربية الصحيحة التي تتفق مع الصناعة
 النحوية، ويدلل على صحة جوازها، أو يحذر استعمالها مع الاحتجاج بما يقول: فلا يجوز:
 (أ) مررت بزبد وجاءني عمرو الظريفان^(٥) . (ب) عسى زبد قد قام^(٦) .
 (ج) ما زيد قائماً بل قاعداً^(٧) .
 ويجوز: ضربت زبداً ضربة وعمراً قتلتهما^(٨) . وما أدرى أقام أو قعد تجرى
 بأو دون^(٩) أم .

وفي البصريات تظهر النزعة المنطقية والجدل، والتعليل الفلسفي^(١٠) وكل ذلك
 قد اشتهر به رجال المدرسة البصرية .

واستعانة البغدادى بالبصريات بلغت في الأجزاء الأربعة من الخزانة تسع عشرة
 مرة: خمس منها في كل من الجزمين الأول والثالث، وست في الجزء الرابع، وثلاث
 في الجزء الثاني^(١١) .

والمسائل البصريات ضمن مجموعة مسائله التي قام معهد إحياء المخطوطات العربية
 بتصويرها^(١٢)، وتشغل من اللوحة الثالثة والخمسين إلى اللوحة الثامنة والثمانين من
 هذه المجموعة ويلاحظ:

(أ) أن بهذه النسخة نقصاً^(١٣)، فالكلام لا يرتبط بمعنى مفهوم بين الصفحة
 اليمنى واليسرى .

(ب) وأن فيها تكراراً^(١٤) . (ج) كما أن فيها متروكا — بياضاً^(١٥)،
 (د) كما أن فيها مطموساً^(١٦) . (هـ) وأحياناً يورد السؤال ولا يجيبه^(١٧) .
 وانتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من مسائل الشيخ :

(١) لوحة ٨٢	(٢) لوحة ٨١	(٣) لوحة ٨٠	(٤) لوحة ٧٨
(٥) لوحة ٧٩	(٦) لوحة ٧٥	(٧) لوحة ٨٠	(٨) لوحة ٧٦
(٩) لوحة ٧٦	(١٠) انظر اللوحات ٥٧، ٦٠، ٦٥، ٦٧، ٧٣		
(١١) انظر ١٠١ لإقليد الخزانة	(١٢) ف رقم ٨٦٠	(١٣) انظر لوحة ٥٦، ٥٨	
(١٤) انظر لوحة ٥٧	(١٥) لوحة ٦١ و ٥٩	(١٦) انظر لوحة ٨٢	
(١٩) انظر المسألة الأولى لوحة ٨٥			

الحليات

قدم أبو علي حلب سنة ٣٤١ هـ وعاصر فيها أميرها الحمداني سيف الدولة ، وكان أبو علي أحد أولئك العلماء الذين داروا في فلك ذلك الأمير العربي ، وإن حفت إقامته في بلاط سيف الدولة بالمكاره بسبب هذا التنافس الذي يكون بين العلماء المتعاصرين من ذوى الطبقة الواحدة .

* * *

والجزء الباقي من الحليات يحوى ست عشرة مسألة أصلية ، صدرت كل منها بكلمة « مسألة » ، أما أن اعتبرت ما تضمنته هذه المسائل الأصلية من مسائل أخرى فرعية تتصل بالتفسير واللغة والنحو والصرف والهجاء — فإن مسائل الحليات تقرب من الستين .

* * *

والحليات كأخواتها — لا ترابط بين مسائلها في الأعم الأغلب ، هذه مسألة ذات طابع لغوي : قولهم للعبد رقبتك حر ، ورأسك حر ، وفرجك حر ، وقولهم يدك حر^(٢) ، بجانب أخرى صرفية وتلك : في الداء والدواء ولغة ذلك وتصرفه وجمعه^(٣) . وقد يبدو الترابط بين بعض مسائل الحليات كالباب الذى عقده ، لأبنية الأفعال^(٤) فقد تحدث عن الأبواب الآتية متتابعة .

(أ) باب أبنية الأفعال الثلاثية الصحيحة التى لا زيادة فيها^(٥) .

(ب) تسكين عين فَعِلٍ وفُعِلٍ وفُعِلٍ تخفيفاً ، وكون عينه إذا كانت حرف حلق كان فيه أربع لغات^(٦) .

(ج) باب أبنية الأفعال الثلاثية المعتلة التى لا زيادة فيها^(٧) .

(د) باب ما كانت الياء فى أوله نحو (يمين ويمن ، ويسرو ويسر ، وينع وينع)^(٨) .

(هـ) باب ما كانت الياء الواو فى ثانيه^(٩) .

(و) باب ما كانت الواو والياء فى ثالثه : غزا ورمى^(١٠) .

(ز) باب التضعيف^(١١) .

* * *

(١) ابن خلكان (وفيات الأعيان ١/٣٦١) (٢) الحليات ١٠ (٣) المصدر السابق ١٧

(٤) ٨٧ (٥) ٨٨ (٦) ٩١ (٧) ٩٢ (٨) ٩٤ (٩) ٩٥ (١٠) ٩٦ (١١) ٩٩

وبعض هذه المسائل معقود لسيف الدولة بخاصة ، يذكر ذلك صريحاً في المسألة التي صدرها بقوله : « قرأ (أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة) عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا^(١) . . . »

وفي غضون هذه تقرأ لأبي علي : « وقد ذلك على ذلك — يشير إلى أن أناساً ليس بجمع تكسير ، وليس بجمع إنسان — في رقعة نفذت من قبل .

ولإذن فقد كانت هناك كتب متبادلة في مسائل علمية بين سيف الدولة وأبي علي يجعل بعضها أبو علي في الحلبيات .

وبجانب هذه الإشارات الصريحة — أخرى أرجح أنها لسيف الدولة ، وإن لم يذكر أبو علي ذلك صدرت مسائل خمس بهذه العبارات :

(١) وقفت (أعزك الله) على ما ذكرته من فصل محمد بين قولهم للعبد : رقتك حر ، ورأسك حر ، وفرجك حر ، وبين قولهم يدك حر^(٢) . . .

(ب) سألت (أعزك الله) عن إعراب قوله تعالى : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً^(٣) .

(ج) ذكرت (أعزك الله) إشكال الباب المترجم بباب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور ، وسأكتب من ذلك مما رويته ورأيت ما يكون معيناً على معرفته بعون الله^(٤)

(د) سألت « أعزك الله ، فقلت^(٥)

(هـ) ذكرت (أعزك الله) الاسكرجة ، وهل لها اشتقاق ؟ وهل الهمة فيها أصل أم لا ؟ وكيف تصغيرها ؟^(٦)

ولم أجد ما يعين المخاطب في هذه المسائل على التحديد ، وإن كنت أرجح أنها لسيف الدولة بقرينة ذلك الخطاب الصريح إليه ، وأن الدعاء بالعزة تقليد يتوجه به إلى الرؤساء بمن هم من طبقة سيف الدولة من الأمراء ، أقول هذا وإن كان ذلك الترجيح لا يصل عندى إلى درجة اليقين .

وبجانب هذه الإشارات أخرى تدل على أن هذه المسائل لإجابات عن أسئلة وجهت إليه من عامة الناس أيضاً من ذلك : سألنا سائلاً قديماً^(٦) ، وسأل سائلاً^(٧)

(١) الحلبيات ١١٤، ١١٣ (٢) المسائل الحلبية ص ١٩٢ تيمور رقم ٢٦٦
(٣) المصدر السابق ١٠٢ (٤) نفس المصدر ١٣٠ (٥) نفس المصدر ٢٧٠
(٦) نفس المصدر ٢٨٣ (٧) ٢١٦ (٨) انظر ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨

والنتيجة العامة لذلك كله أن أبا علي مسئول مستفتى في المهمات النحوية ،
واللغوية ، والإعرابية التي تعرض للناس خاصتهم وعامتهم .

ثم إن الحلييات تلتقى ضوءاً على الصلة التي كانت بين سيف الدولة والعلباء
في عصره بعامة ، وبينه وبين أبي علي بخاصة ، وهو أمر لم يتنبه له الباحثون بمن
أفردوا سيف الدولة بمجهود علمي خاص .

وأبو علي في الحلييات يورد ما سأل أحمد بن موسى في القراءات (١) ، ويحكي
عن محمد بن السرى (٢) والتوزي (٣) ويعقوب (٤) وأبي زيد (٥) والحليل (٦)
وسيبويه (٧) ويونس (٨) وأبي عبد الرحمن صاحب الاخشش (٩) وأبي عثمان (١٠)
ويذكر ابن حبيب (١١) كما يذكر محمد بن يزيد ويشير الى أنه أطلع على كتابه لإعراب
القرآن ، ويرميه بالسبو (١٢) .

ويحتج بشواهد الشعر التي نسب الكثير منها : نسب إلى الأعمش (١٣) ،
وابن هرمة (١٤) ، وحميد بن ثور (١٥) ، والحجاج (١٦) ، وحسان بن ثابت (١٧) ، وأوس (١٨)
وطرفة ، (١٩) وعلي بن الغدير الغنوي ، (٢٠) وقيس بن الخطيم ، (٢١) وابن مقبل ، (٢٢)
والكميت (٢٣) وجرير ، (٢٤) والفرزدق ، (٢٥) وذى الرمة (٢٦) .

* * *

ونسبة هذه الشواهد إلى قائليها مظهر من مظاهر أمانته العلمية ، فإن شك رأيته
يقول - مثلاً - قال الحجاج أو رؤبة (٢٧) ، وقال أبو كبير أو غيره من
الهذليين (٢٨) . ومن ذلك قول النابغة الجعدي أو غيره من القدماء (٢٩) .

* * *

وأبو علي ينشد ما أنشد أحمد بن يحيى (٣٠) ، وأبو الحسن (٣١) ، والأصمعي (٣٢)
ويروي ما ذكره بعض العرب ، وأردت أن تدممه فدهته (٣٣)

* * *

- (١) الحلييات ٢٦٦ ، ٣٦٠ نحو تيمور (٢) ص ٢ (٣) ص ٥٢٣ (٤) ص ٣
(٥) ص ٩٢٣ (٦) ص ٢٦ (٧) ص ٦ (٨) ص ٥٣ ، ٣٨ (٩) ص ٣
(١٠) ص ١١ (١١) ص ٩٣ (١٢) ص ٤ (١٣) ص ٨٢ (١٤) ص ٨٢
(١٥) ص ٩٩ (١٦) ص ٩٢ (١٧) ص ٥ (١٨) ص ٧ (١٩) ص ٩
(٢٠) ص ١٤ (٢١) ص ١٧ (٢٢) ص ٣٧ ، ٤٠ (٢٣) ص ٥١ (٢٤) ص ٥١
(٢٥) ص ١٠٠ ، ٣٠ (٢٦) ص ٢٢٢ (٢٧) ص ٦ (٢٨) ص ١١ (٢٩) ص ١١٧
(٣٠) ص ٨٢ ، ٢٢ ، ٧ (٣١) ص ١٦ (٣٢) ص ١٢ (٣٣) ص ٩٦

ورأيت أبا علي يحتج بالحديث الشريف في مسائل^(١) النحو، كما رأيت يحتج به كذلك في مسائل^(٢) اللغة .

وهو حين يستشهد بالحديث غالباً ما يورده موثقاً بالاسناد المتصل ، وأعانه على ذلك أنه محدث ، وكأنه بذلك التوثيق يدعوننا إلى الاطمئنان لمكانة الحديث في الاحتجاج والاستشهاد .

ويتعرض أبو علي في الخليات إلى شرح الألفاظ فلا يخرج عن طريقته التي عرفت عنه في كتبه وبخاصة كتاب الحجّة : ويعتمد في تفسير اللفظ على محفظة من القرآن والحديث ، وما أنشده الأئمة ، وما يرويه هو ، وتتداعى عنده الألفاظ القرآنية ذوات المادة الواحدة ، ففي شرحه للسبيل - مثلاً - ذكر أن السبيل في اللغة الطريق الذي هو عمر ومدرج ، واستدل على ذلك بما أنشده سيويه^(٣) ، وقالوا للذين يسلكونه سبل ، وقياس واحد ، سابل ، واستشهد بما قال العجاج أو رؤبة ، وفسر ابن السبيل بمعنى صاحب ، وبين أن كلا من (أخ ، وأم ، وأب) يستعمل بهذا المعنى ، واستشهد على ذلك بما جاء في القرآن ، وبما أنشد أحمد بن يحيى ، وذو الرمة ، وسيويه ، وأوس ، ثم قال : ومثل السبيل في أنه المدرج والطريق قولهم : الصراط واستدل بقوله تعالى : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ، ثم قرأ : اتسع في السبيل حتى قيل في المعتقدات والآراء في الديانات وغيرها واستشهد بالآي :

« وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ، وقل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة . »

« وقال في قوله تعالى : يهديه الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، أى طرق الجنة ودلل على ذلك

وقوله تعالى : « سبيل السلام » ، إما أن يراد به سبيل دار السلام كما قال : « لهم دار السلام عند ربهم ، أو سبيل السلام أى طرق السلامة التي يسلم سالكها من أن يعذب أو يعاقب . ويجوز أن يكون السلام اسم الله تعالى كما جاء سبيل وصراط الله فإذا كان على

هذا الوجه بعد أن يكون المراد به الطريق الذي هو عمر ، لأن هذا التقييد قد صار فيه كالامارة للإيضاح ، ويكون المعنى حينئذ كقوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى ، ثم بين أنه كما يقال للغريب ابن السبيل ففسبوه إلى الطريق قالوا فيه : ابن أرض ،

لأن الطريق ضرب منها ، واستشهد بما أنشده أبو زيد وبما روى عن طرفة ، رأيت
بني غبراء لا ينكرونني^(١)
وهكذا أعانه على التفسير اللغوي حافظه قوية واعية لآي القرآن الكريم
وشواهد الشعر ، مع قوة الإستحضار ، واثنيال المعاني وتداعيا .

* * *

وترى في المثال السابق نزعة الاستطراد وإن كان يبدو خفيفاً ، وحيناً يتعلق بما
يعرض خلال حديثه عن المسألة بما هو متصل بها إتصالاً بعيداً .
عقد مسألة في رأى وما تصرف منه^(٢) ثم جره الاستطراد إلى الكلام في أن
أصل (لن) لا أن^(٣) ، وجره الحديث إلى الكلام في الإمامة^(٤) والكلام في
المجموع^(٥) ، وذكر رأيه في قوله: وتلك الغرائقة العلى^(٦) والكلام على قول الشاعر:
وتضحك منى شـمـيخة عـشـمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً^(٧)
وساق كلاماً في إسكان عين الفعل الماضى الثلاثى^(٨) ، وآخر في إلحاق الهاء بآخر
فعل الأمر المعتل بعد حذف لامه^(٩) ، وذكر الاختلاف في كتابة آخر المقصور
بالياء والالف^(١٠) .

* * *

وفي الخليات قدر صالح من الصرفيات ، والتوجيه الإعرابي ، وقد رأيت يحكم
نزعة الاعتزال عنده في ذلك التوجيه ليتفق مع عقيدة المعتزلة وما يقولون :
قال : فأما ما روى من قوله : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، فإن قال
قائل : ما تنكرون أن يكون ذلك من الرؤية التي هي إدراك الحاسة ، لأنه تعدى إلى
مفعول واحد ، وتلك الأخرى تعدى إلى مفعولين ، فالقول أن هذه أيضاً ليست
التي هي إدراك البصر ، وإنما جازألا يذكر المفعول الثانى الذى تقتضيه المعتدية
إلى المفعولين ، لأن الكلام قد طال بما هو بمعنى المفعول الثانى لو أظهر ، ألا ترى أن قوله :
كما ترون القمر ليلة البدر إنما هو تأكيد وتشديد للتيقن والتبعيد من اعتراض الشبه
على العلم به تعالى ، فإذا كان كذلك كان بمنزلة ذكر ما هو بمنزلة المفعول الثانى اذا جرى
ذكره في الصلات نحو علمت أنا زيد منطلق وأحسب الناس أن يتركوا ، فكما سدا جرى
في الصلتين مسد المفعول كذلك سد ما بعد المفعول الأول في الحديث مسد المفعول .
ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون المعنى ترون علم ربكم كرؤية ليلة البدر ،
فالمبتدأ الذى دخل عليه الذى هو بمنزلة علمت المعتدية الى مفعولين علم ربكم كرؤية

(١) انظر الخليات من ٦-١٠ (٢) ٢٣ (٣) ٢٦ (٤) ٢٨ (٥) ٣٣
(٦) ٥٧ (٧) ٦١ (٨) ٦٤ (٩) ٦٦-٦٥ (١٠) ٦٨-٧٢

ليلة البدر، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فيكون المعنى أنه قد شبه العلم بالقديم سبحانه في الآخرة بما يحس حساً بيناً لارتفاع الشبه العارضة في دار البلوى والمحنة هناك وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من الكثرة بحيث لا يحتاج إلى الإكثار في الاحتجاج له لتقرره عند المتدئين فكيف من جاوزهم (١). وهكذا تدفع أبا على عقيدته إلى هذا التوجيه الإعرابي، في هذا التأويل، ثم يبلغ في ذلك الاحتجاج مداه بأن يقول: وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من الكثرة... وأن ذلك من الأوليات المقررة عند المتدئين:

* * *

وبحانِب هذا التوجيه الإعرابي القائم على العقيدة — تعليل يعتمد على الحس النفسى، وطبيعة الإنسان، وما يختلج في صدره من عواطف:

قال: فأما النظر في نحو قوله تعالى: ولا ينظر إليهم، فقال أبو الحسن الأخفش أنه كقول الرجل إنما أنظر إليك إذا كان ينيله شيئاً فليس حقيقة النظر عندى في الرؤية، وإن كان يجوز أن يقع عليها في الاتساع لما كان قلب العين نحو المصربدلالة قول ذى الرمة:

قيامى هل يجرى بكأنى بمثله مراراً وأنفاسى إليك الزوافر

وأنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

فاقتضاؤه الجزاء على ذلك يدل على أنه ليس بإبصار، وأنه علاج بمنزلة البكاء والتنفس ونحو ذلك، واقتضى الجزاء عليه كما اقتضى عليها، ولو كانت رؤية لم يسغ ذلك فيها، لأن المحب لا يقتضى ممن يحبه على رؤيته له جزاء، بل الأمر بعكس ذلك. ألا ترى أن أبا العباس أنشد:

إذا كلمتنى وكلمت عيىنى بعينك فامنعى ما شئت منى

فان قلت: فقد اقتضى على زور طيفه الجزاء، وهذا ما يشتهه المحب، ويريد، فما تنكر أن يقتضى على الرؤية، وإن كان يحبها، فان هذا لا يستقيم ويكون بمنزلة الرؤية لأن ذلك مما يهيج من شوق المحب. ألا ترى قوله «يا عبد مالك من شوق لإيراق، فقول ذى الرمة:

«وإنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

مثل قوله:

على أننى فى كل سيرة أسيره وفى نظرى من نحو أراضك أصور

إنما هو لتلفت إلى الجهة التى هى فيها

وأخذ بعض المحدثين هذا فقال :

ماست ميلا ، ولا جاوزت مرحلة إلا وذكرك بلوى دانيا عنسقي
ويدل على ذلك قوله : أنشد عن المفضل :

وَحُمِلتَ مِنْهَا عَلَى نَأْيِهَا خَيْالًا يُوَافِي . وَنَيْلًا قَلِيلًا
وَنَظْرَةً ذِي شَيْخِنٍ وَامِقٍ إِذَا مَا الرِّكَائِبُ جَاوَزْنَ مَيْلًا
فَالنَّظْرَةُ هُنَا لَا تَكُونُ الرَّؤْيِيَةَ لِإِنَّمَا هُوَ التَّلَفُّتُ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ .

ورؤية ذي شيخن وامق إذا ما الركائب جاوزن ميلا ؟
لأن الركائب إذا جاوزن ميلا لم ير الذي جاوزن به ما هو على هذه المسافة^(١)
وهكذا يدل هذا النص على مشاركة أبي علي في هذه الدراسة الأدبية ، إلى جانب
دلالاته على استهدائه بالطبيعة الانسانية ، ومنهجه في شرح الآيات : يتفهم الجو
الذي أحاط بالشاعر ، ويستعين به على التفسير والتوجيه .

ومن مظاهر ثقافته الفقهية في الحلبيات ما ذكره من استدلال أبي يوسف
بقوله تعالى :

« إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، — عَلَى جَوَازِ
الاجتهاد من النبي (صلى الله عليه وسلم)

ويتعرض أبو علي في الحلبيات لرسم الحروف ، فهو يدل على أن الصواب
في كتابة رآه ورماه وما أشبه ذلك أن يكتب بالآلف دون الياء^(٢) ويقول : إن الخط
يجرى مجرى اللفظ لقيامه مقامه وكونه بمنزلة^(٣) ، وأراه بذلك يهاجم رسم المصحف
وما جرى عليه الكاتبون ، ذكر حججهم ، ثم فسدها ، ودل على ما يرى في جدل
ومنطق بذكر الاعتراضات وردها :

قال : ما كان من الواو على ثلاثة أحرف فلا اختلاف في كتابته بالآلف اسما
كان أو فعلا . . . وما كان من الياء فالكتاب وكثير من غيرهم يكتبونه بالياء
وإن كان في اللفظ ألفا كالنقلب عن الواو ، وقالوا إنما كتبناه بالياء لفصل بذلك بين
ما كان منقلبا من الواو . . . فقبل لهم . أرأيتم إن كتبتم ما كان من الياء بالياء ،
وإن لم يكن في اللفظ كذلك لتدلوا على أن الأصل فيها الياء ، هلا كتبتم ما كان بالواو
أيضا بالواو لتدلوا على أن الأصل الواو .

فان قالوا : و اتباعا الفصل في أحد النوعين يعلم به أن الآخر على خلافه

قيل لهم : فهلا أجريتم ذلك على عكس ما فعلتموه فرددتم ذوات الواو إلى الأصل دون ذوات الياء فكاتبتموها بالواو ، كما كاتبتم ذوات الياء بالياء فلم يعلم في ذلك فصل بين ، فإذا كان الأمر على هذا فالقياس أن يعتبر في ذلك اللفظ فيكتب على ما عليه اللفظ ، ولا يعتبر الأصل المنقلب^(١) عنه . . . ثم ضرب أمثلة متعددة في نقص واستيعاب . . . وانتهى إلى أن القياس في رمي ورأى أن يكتب بالالف دون الياء

ويحتج أبو على لما يذهب إليه في المسائل النحوية والصرفية واللغوية والإعرابية والمجائية .

وقد سبق أن عرضت لرأيه في رسم الياء من الأفعال الثلاثية بالالف وتدليله على ذلك .

ونجد تدليلا على المسائل النحوية في الاحتجاج — مثلا — لأصل (لن) لا أن^(٢) ، وكيف أعرب اثنا عشر من بين سائر الأعداد التي بين العشرة والعشرين^(٣) .

ومثال الاحتجاج للمسائل الصرفية ما أورد من الكلام في وزن أمين^(٤) .

وشاهد ما احتج فيه للمسائل اللغوية حديثه عن تأويل أسماء كتاب الله : (١) القرآن^(٥) (ب) الفرقان^(٦) (ج) الكتاب^(٧) .

كما احتج لما يراه من التوجيه الاعرابي : تعرض لإعراب قوله تعالى :

« إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ، ، ودلل على أنه لا يجوز أن يكون قوله : وأقرضوا الله معطوفا على الفعل المقدر في الموصول الأول على أن يكون التقديران الذين صدقوا وأقرضوا الله^(٨) ورأى أن يجعل اعتراضا بين الصلة والموصول . ورجح ذلك واستشهد عليه^(٩) .

وهناك ميزة تفرد بها الخليليات ، تلك هي التعرض للكلمات الأجمعية ، والبحث فيها من حيث ترجمتها ، ووزنها ، واشتقاقها وتصريفها .

(١) ٧٢-٦٨ (٢) ٢٦ (٣) ٢٤٧ (٤) ٨ وانظر من ص ٢٦٥-٢٨٣
(٥) ٢٢٧ (٦) ٢٣٩ (٧) ٢٤٢
(٨) ١٠٢ (٩) ١٠٤

أكان ذلك لأنه في بيثة عربية خالصة — بيثة سيف الدولة بحلب ، فألقى عليه ما ألقى بما يتصل بفارسيته ؟ إذ أن الذى أتاح لهذه الفارسيات أن تظهر في الحلبيات سؤال وجه إليه من سيف الدولة عن « الاسكرجة » وهل لها اشتقاق ؟ وهل الهمزة فيها أصل أم لا ؟ وكيف تصغيرها ؟

فأجاب أبو علي السؤال ، وجره الكلام على عادة الاستطراد عنده — إلى الحديث عن الكلمات الالجمية من أسماء الأشخاص ، والبلدان والأشياء ، وبين أنواع الأسماء الالجمية المعربة ، ما نقل منها معرفا ، وما نقل منها منكورا^(١) : وتعرض لوزن كل من أرجان^(٢) وإيوان^(٣) وذكر سبب تسمية الأبله بذلك ، وكذلك سبب تسمية القدس بأورى شليم^(٤) ، وتحدث عن تصغير باذنجان^(٥) وذكر الأترج والاسكفة^(٦) ، والإبريق ، والآجر ، والإبريسم^(٧) وأرمينية^(٨) وأسك^(٩) وأرند (اسم نهر)^(١٠) فجاء حديثه في ذلك جامعا مقنعا بما يعد مرجعا ، لأنه استقصى حتى ليعتذر من أنه ترك الحديث عن أستاذ ، وأسوار ، فنبه إلى أنه ذكرهما في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق^(١١) .

* * *

ولا بد للباحث في الحلبيات — أن يتعرض بالدراسة لرسالة طويلة كتبها أبو علي إلى سيف الدولة ، ذلك لأنها تلقى ضوءا على جوانب مختلفات من حياة أبي علي في حلب : كيف كانت علاقة أبي علي بابن خالويه ؟ وكيف كانت منزلة أبي علي عند سيف الدولة ؟ وكيف عاش أبو علي هذه الحقبة التي قضاه في حلب ؟ والرسالة لا تجيب هذه الأسئلة في صراحة ، ولكنها تومئ إلى الإجابة بإيماء ، لتستنتج منها استنتاجا .

أما الأمر الصريح في هذه الرسالة فهو الجدول العلوي ، الذى كان يجرى في بلاط سيف الدولة بين العلماء في ذلك الحين ، وما يتيح ذلك الجدل من تعليق على مدار في المجلس يرسل به سيف الدولة إلى هذا العالم أو ذاك ، ويرد العالم عنه عادية الهجوم ، وهكذا تبادل الرسائل في مختلف المسائل ، وكان من بينها رسالة بعث بها أبو علي

(١) ٢٨٣ (٢) ٢٩٤ (٣) ٢٩٦ (٤) ٢٩٨

(٥) ٣٠٦ (٦) ٢٩٠ (٧) ٢٩٤ (٨) ٢٩٣ (٩) ٢٩٠

(١٠) ٢٩٧ (١١) ٣٠٣

إلى سيف الدولة جواباً عن كتاب ورد عليه منه ، يرد فيه على ابن خالويه^(١) .
وفي الرسالة عناصر ثلاثة متميزة :
أولها : بيان مكانة أبي علي من علماء عصره .
ثانيها : دفاع أبي علي عن نفسه برد ما نسبته إليه ابن خالويه .
ثالثها : خلوصه بعد الدفاع — إلى الهجوم على ابن خالويه بتفنيد آرائه ،
وبيان وجه الخطأ فيها .

* * *

فما يشهد للعنصر الأول قول ابن خالويه : « لوبق ابو علي عمر نوح ما صلح
أن يقرأ على السيرافي ، . وعاق أبو علي فقال : أن ابن بهزاز السيرافي يقرأ عليه
الصبيان ومعلوم ، ، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا
خفاء به . كيف وهو (يريد ابن خالويه) قد خلط فيما حكاه عنى ، وأنى قلت :
« أن السيرافي قد قرأ على ، ولم أقل هذا إنما قلت : « تعلم منى ، أو « أخذ عنى ، هو
وغيره ، بمن ينظر اليوم فى شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : « تعلم منى ،
مثل « قرأ على ، ، لأنه قد يقرأ عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ
عليه ، وتعلم ابن بهزاز منى فى أيام محمد بن السرى وبعده — لا يخفى على من كان
يعرفنى ويعرفه كهلى بن عيسى الوراق ، ومحمد بن أحمد بن يونس ، ومن كان يطلب
هذا الشأن من بنى الأزرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا
برونه يغشاني فى صف شونيز^(٢) .

* * *

وهذا كلام يكشف على كل حال — عن علو مكانة السيرافي ، فأبو علي حين يدفع
قولة ابن خالويه : « لوبق عمر نوح ما صلح أن يقرأ على السيرافي ، — يعترف ضمناً بمكانة
السيرافي ، إذ أنه يهتم بتقرير صلاحيته للقراءة على السيرافي الذى يقرأ عليه الصبيان
ومعلوم ، ولا يهم أبا علي إلا أن يرتفع بنفسه فوق طبقة الصبيان المتعلمين . .
على أن أبا علي يرتقى بنفسه حتى ينص على أن السيرافي أخذ عنه أو تعلم منه ،
ويستشهد على ذلك بكثير ممن كانوا يعرفونه هو والسيرافي .

(١) معجم الأدباء ٢٥٧/٧ ولم يصرح فى الحلييات أن المرودود عليه ابن خالويه وان كان ذلك عنى عن التصريح .
(٢) الحلييات ٥ نحوش : ٣٣ ظهر

ويتعين من هذا النص كذلك دقة أبي علي في تفهم الألفاظ والتحديد الدقيق لدلالاتها: فتعلم متى أو خذ عنى غير قرأ على ، وكذلك قوله فيما بعد : وابن الخياط لاقامه، غير وابن الخياط لا يعرف شيئاً .
ويقابل هذه الدقة عند أبي علي - تخليط من ابن خالويه فيما يحكيه .

وأما الحديث عن العنصر الثاني: وهو دفاع أبي علي عن نفسه فقد صدره أبو علي بقوله

« وأما قوله يعني خالويه - قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله ، فاعتراف بما أن استغفر الله منه كان حسناً ، وكذلك حكم كل من خطأ مصيباً .
والمسائل التي تناولها هذا العنصر واضحة من النصوص الآتية :

(أ) فأما قوله : أنى قلت ، ما قال أحد أن القوم تقع على الجن ، فما أعلني قلت هذا ، ولكني قلت : « أن القوم يقع على الرجال دون النساء ، ثم أخذ بدلل على ما رآه (١) .
(ب) وما ذكره من أنى قلت : « أن أناساً ليس جمعاً كما قال الفراء ، فغلط في الحكاية لأنى لم أقل : « أن أناساً ليس بجمع على الإطلاق الذي ذكره صاحب الرقعة ، ولكني قلت : « أنه ليس بجمع تكسير ، وليس بجمع لإنسان (٢) . ثم دلل في استطراد طويل

(ح) وأما ما ذكره من أنه سألتني عن الناس على قول سيبويه ما وزنه ، وما الدليل على أن الاصل فيه الأناس ، وأنى قلت كما يعتد (٣) خذ وكل فغلط في الحكاية ، ولم يكن جوابي عن مسئلته عن الدليل على صحة المذهب ، ولكن دلت على ذلك بنحو ما قد نفذ جوابي أمس الى حضرة سيدنا . ثم ذكر الدليل (٤) .

(د) وما ذكره من أنى شبهت الفعل بالاسم ، والكلمة على حرفين بالثلاثي فكلام ساقط يدل على أن قائمه ليس يعرف من التصريف شيئاً ، ومن عبارة أصحابه شيئاً يغنى به (٤) .

وأبو علي في المسائل الثلاث الأولى يبرء نفسه دون أن يتهم ، يذكر الدليل في هوادة ولين ، وكان في المسألة الرابعة عنيفاً حتى أوشك أن يكون من الشتامين ، وهو في كلتا الحالين قد بلغ من صاحبه ما يريد .
واقراً مرة أخرى الدليل على هدوئه ولينه وبلوغه ما يريد :

(١) الحليات ٥ بحوش : ٣٣ ظهر (٢) : ٣٣ ظهر (٣) : ٣٦ وجه (٤) نفس المصدر

« وأما قوله : « قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله فاعترف بما ان استغفر الله منه كان حسناً ، وكذلك كل من خطأ مصيباً (٣) . »
ولعل قرب ابن خالويه من سيف الدولة جعل أبا علي يلتزم ذلك الرد الهادئ ، حتى إذا طُفح منه الكيل واشتد ، قابل تخليط ابن خالويه بما يجب أن يرد عليه .
هذا وسأسوق بعد نموذجاً لمسألة من المسائل السابقة في العنصر الثاني تكشف عن نزعة أبي علي في الرد على ابن خالويه .

* * *

وقد علق أبو علي في العنصر الثالث — وفيه يقف مهاجماً بعد أن ثبتت قدمه مدافعاً — علق أبو علي على أقوال ابن خالويه الآتية : —
(أ) اختلف أهل النحو في الناس على أربعة أوجه . وذكرها ثم علق أبو علي على ما قال ابن خالويه (٣) .
(ب) وقوله اختلفوا في الناس فقالوا : قد يكون لمعنى واحد قال الله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم (٤) » .
(ج) وأما قوله : « والإنسان واحد وقد يكون جمعاً قال الله تعالى : « والعصر إن الإنسان لني خسر (٥) » .

(د) ثم يحتم أبو علي الجواب بهذا التهم الذي يبدو في قوله :
« وليس في الرقعة التي وصلت إلى عبد سيدنا شيء حكمه أن يتكلم عليه ، وفي آخرها حرف لم يبعد فيه ، وهو قوله : « وليس يعرف أحد ما يقول فكيف ينقضه؟ وما يصدق هذا أن رقعة من ثلاث رقاع وردت حضرة سيدنا الأمير سيف الدولة (أطال الله بقاءه) فما ذكره فيها قول الشاعر :
قالت : « ألا ليتنا هذا الحمام لنا ، وتعاطى تفسير الرفع ، والنصب في الحمام ، فقرأت ، ومن رفع الحمام جعله خبر لیت ، وهذا أطال الله بقاء سيدنا من العويص الذي لا يفهمه أحد ، ولا يعرفه ولا ينقضه ولا يبرمه (٥) . . . »

* * *

وهكذا لا ينتهي أبو علي من الكتاب حتى يترك ابن خالويه وقد بدا في تحاذله ، واعترافه باغماض أنى على لأسلوبه ، ولكن أبا علي يعتز بذلك الإغماض ، ويرده

(١) ورقة ٣٣ (٢) الحلبيات • نحوش ٣٦ (٣) المصدر السابق : ٣٧

(٤) نفس المصدر ٣٨ (٥) الحلبيات : • نحوش ٣٨

إلى تمرسه بالعويص وتعمقه في العلم ، والغوص على البعيد من أعماقه ، وهو من أجل ذلك لا يلحقه نقص ولا إبرام .

* * *

هذا عرض عام لتلك الرسالة ، وأضرب مثلين بعد ذلك أحدهما للعنصر الثاني في هذه الرسالة والآخر للثالث منها ، إذ كنت ظربت مثلاً للعنصر الأول فيها .

* * *

مثال دفعه هجوم ابن خالويه :

فأما قوله : أنى قلت : ما قال أحد أن القوم يقع على الجن فما أعلمنى قلت هذا ، ولكنى قلت : إن القوم يقع على الرجال دون النساء بدلالة قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم . . . ثم قال ولا نساء من نساء ، وبدلالة قول زهير : أقوم آل حصن أم نساء ، وبدلالة أن القوم فعل من القيام ، والرجال هم القوامون على النساء والصبيان كما جاء ذلك في التنزيل ، وليس للنساء قيام على الرجال في هذا الوجه . فقال قائل في المجلس : ولو قيل إن قوماً يقع على النساء أيضاً بدلالة قوله : أنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقلت إن هذا لا يدل على أن قوم يقع على النساء ، لأن النساء وقع عليهن هذا الاسم لاختلاطهن بالرجال ، فأطلق عليهن ما يختص به الرجال من حيث يغلب المذكر على المؤنث في هذا الموضوع ، هذا ما ذكرته بما جرى في قوم لا أذكر غيره ، ولو قال قائل إن قوماً لا يقع على الجن لم يكن فيما أورد من القرآن دلالة على أن القوم يقع على الجن ^(١) ، لأنه يمكن أن يكون المعنى : أنهم قالوا لزعمائهم ومن ينوب ويقوم عن سائرهم ما تقولون أتم أيها الإنس لمن كان منكم هذا وإن لم يكونوا مستحقين لهذا الاسم في الحقيقة ، وهذا النحو في اللغة غير ضيق . من ذلك قوله تعالى : إن شجرة الزقوم طعام الآثيم كالمهل . . . ثم قال : وذق أنك أنت العزيز الكريم ، ومعلوم أن من كانت هذه صفته لم يكن كريماً عند الله في الحقيقة لقوله : ويخلد فيه مهانا ، وقوله : ومن بين الله فما له من مكرم ، فاستحقاقه أن يسمى بالمهان يناقئ أن يكون كريماً ، وإذا كان كذلك ثبت أن المعنى أنت العزيز الكريم عند نفسك ، وأنت الذى يسمى بالعزيز الكريم ولست كذلك . وكذلك قوله تعالى : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، فسمى

(١) يشبه إلى الآية : يا قومنا أجبوا داعي الله .

ما كان يناله المشركون من المسلمين لو نالوه خيراً على حسب ما كان عند المشركين .
وإن لم يكن في الحقيقة كذلك . وقد قال زهرة الين يعنى جريراً :
أبلغ كليياً ، وأبلغ عنك شاعرها أنى الأغر وأنى زهرة الين
فأجابه جرير :

ألم يكن فى وسوم قد وسمت بها من خاف موعظة يازهرة الين
ومن ذلك قول النابغة الجعدى أو غيره من القدماء :

إذا أصبح الديك يدعو بعض أسرته إلى الصباح وهم قوم معازيل
فكما أجرى الأسرة والقوم على الدجاج وإن لم يكن بما يسمى فى كلامهم بقوم
ولا أسرة ، كذلك يجوز أن يقع إسم قوم على الجن لدعائهم إلى الإيمان ، وإن كان
اسم قوم لا يقع عليهم كما لا يقع على الدجاج إلا فى هذه المواضع المتسع فيها
للتشبيه ، وإذا كان ما ذكرته فى التأويل فى قول الجن بعضهم لبعض ممكناً لما أوردته
من الدليل سقط ما أتى به صاحب الرقعة من الاستدلال بالآية (١)

* * *

وهكذا قدم أبو على الدليل النقلى أولاً فاستشهد بالقرآن الكريم والمروى
من الشعر القديم ، ثم مزح ذلك الدليل النقلى بالدليل الصرفى ، واستعان على تفسير
القرآن بالقرآن ، وأعاناه على ذلك حافظة قوية الاستحضار للآى التى تناسب المقام ،
ومذخور من اللغة والشعر ، وكان أميناً فى الرواية ، سالكا سبيل المناطقة فى التدليل
الذى تسلك مقدماته إلى نتائجه فى سلامة ويقين ، وفى هودة ولين .

مثال هجومه على ابن خالويه : وقوله — ابن خالويه — اختلف أهل النحو
فى الناس على أربعة أوجه فقال قوم نوس ، وقال آخرون نيس بالياء ، واحتجوا
بأن الكسائى قرأ قل أعوذ برب الناس بالامالة ، وقال آخرون النسى بتأخير الياء ،
فقدمت اللام إلى موضع العين ، فان تعديد هذا الوجه ، وجعله وجهاً غير الذى تقدمه
خطأ ، لأن هذا نفس الذى ذكره وليس غيره ، فلو جاز أن يعد المقلوب والمقلوب
عنه وجهين فيقال أن المقلوب غير المقلوب عنه لجاز أن يعد المحذوف والمحذوف منه
وجهين فيصير خمسة أوجه فهذا غلط فى العدد ودلالة على ضعف التمييز ، وفيما
قدمته من الدلالة على إن الهمزة فى أناس فاء الفعل ما يدل على أن الألف زائدة
وفى كونها زائدة ما يبطل كونها منقلبة ، وإذا لم تكن منقلبة سقط هذان القولان

الذنان ذكرهما في قسمته، وفسد ما ذهب إليه من انقلاب الألف في أناس عن الياء أو عن الواو، وإذا سقط ذلك لم يبق إلا قول واحد، وهو أن الكلمة فاؤها همزة وعينها نون ولاهما سين والألف فيها زائدة . . .

فأما من احتج منهم بأن العين ياء لقراءة من قرأ قل أعوذ برب الناس بامالة الألف، واحتججه بذلك دليل على ضعف بصره بالامالة^(١). ثم تابع الدليل على أنه قد يمال من الألفات ما هو منقلب من الواوات . . .

وأبو علي في هذا النص لا يدفع فرية افتراها ابن خالويه، وإنما يهجمه في قول قاله، ومذهب رآه، متخذا العنف الذي يبدو في تغليظه ووصفه بضعف التمييز، وضعف بصره بالامالة، أما المنطق في هذا المثال، والبرهان الذي يشبهه براهين المهندسين فواضح وغنى عن التبيين .

* * *

وأود أن أشير إلى أن أبا علي كان قويا برسوخ قدمه، وغزارة علمه، على حين كان خصمه قويا بجانب بسيف الدولة إذ كان مقربا عنده، ومع ذلك فلم يغن ابن خالويه الركن الشديد الذي آوى إليه .

* * *

وقد أشرت إلى الخضوع الملحوظ في تقديم هذه الرسالة من أبي علي إلى سيف الدولة وربما اعتذر لأبي علي أن تلك كانت عادة الناس في التكريب إلى السلطان في هذه الأزمان .

* * *

وبعد : فهذه هي الحلبيات، وتلك شخصية أبي علي الواضحة فيها : الواضحة بشواهدة وتعبه وأدله وتأويله واحتججه وأسلوبه ولولا ما أحاط به من كيد ونكاية لانصرف إلى إنتاج أضخم وأدسم في ظل سيف الدولة، ويشاء الله أن يدعوه عضد الدولة فيظفر العلم منه بالإيضاح، والتسكلة، والشيرازيات .

وللحلبيات بمصر نسختان مخطوطتان إحداهما برقم ٥ نحوش من آثار الأستاذ الشنقيطي (رحمه الله) والأخرى برقم ٢٦٦ نحو بالخزانة التيمورية نسخت من نسخة الشنقيطي، وأم هاتين النسختين نسخة بالمدينة المنورة، وعناية هذين الرجلين بالحلبيات أثر من آثار عنايتهما بتراث أبي علي (على الجميع رحمة الله)

الايضاح

يرد هذا الكتاب في كتب التراجم حيناً باسم الإيضاح في النحو^(١)، وحيناً باسم العضدى^(٢)، وأورده ابن خلكان باسم الإيضاح والتسكلمة في النحو^(٣). وفي الأمانة العامة للجامعة العربية: معهد إحياء المخطوطات: والإيضاح العضدى^(٤)، والتسمية «بالعضدى» كاشفة عن الإيضاح، لأنه ألف لعضد الدولة وقدم إليه^(٥)، ولم يورد ابن النديم في الفهرست هذا الكتاب، والذي أورده «كتاب شرح أبيات الإيضاح»^(٦)، ولست أدري لم أغفله ابن النديم مع أنه يذكر الكتب التي ألفت حتى سنة ٣٧٧هـ^(٧)، وكتاب الإيضاح مؤلف قطعاً قبل هذا التاريخ؛ لأنه مهدي إلى عضد الدولة الذي توفي سنة ٣٧٢هـ^(٨). ولعل السبب في أن ابن النديم لم يذكره أنه لم يطلع عليه^(٩)، فقد كان عضد الدولة محباً للاختصاص بقراءته دون كل أحد.

وقد ذكر أبو علي في صدر كتاب الإيضاح أنه «جمع في هذا الكتاب أبواباً من العربية متحريراً جمعها على ما أمر به الأمير الجليل عضد الدولة»، فإن وافق اجتهادى ما رسم فذاك بعض تقييده، وحسن تنيبه وهدايته، وإن قصر إدراك عبده، عما حده، رجوت أن يسعني صفحه، لعله بأن الخطأ بعد التحرى موضوع عن المخطى^(١٠).

ولم يبين أبو علي ما ورد به أمر عضد الدولة، وما رسم له في منهج هذا الكتاب، غير أن كتب التراجم والتاريخ تروى روايات متضاربة متدافعة عن موقف عضد الدولة من كتاب الإيضاح:

وأقدم هذا الكتب تحدثاً — فيما أعلم — كتاب ذيل تجارب الأمم لآني شجاع: فهو يروى ما حكى أبو طالب العبدى — من تلاميذ أبي علي^(١١) — أن عضد

(١) انظر مثلاً نزهة الألباء ٢٠٩، بغية الوعاة ٢١٦، الشذرات ٧٩/٣

(٢) إنباه الرواة ٣٨٧/٢ (٣) وفيات ٣٦٢/٣ (٤) ف ٨٤٤

(٥) انظر تقديم كتاب الإيضاح: نحو ١١٢٠ (٦) انظر ٩٥

(٧) انظر ص ١٢٩، ٥٨ (٨) انظر ابن الأثير ٧/٩ (٩) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣

(١٠) الإيضاح ١٠٠ نحو (١١) انظر إنباه الرواة ٣٨٦/٢

الدولة كان ضئيلاً بالإيضاح ، مجباً للاختصار بقراءته دون كل أحد ، ويسوق العبدى على تقدير عضد الدولة للإيضاح وضمنه به فيقول : وذلك أن رجلاً توصل إلى كتبه بخطه بحيلة فأمر عضد الدولة بقطع يده لنفاسه الكتاب في نفسه ، وحلاوته في قلبه . . . حتى سئل في أمره فعفا عنه^(١) ، . ويقول ابن قاضي شعبة الأسدي : « إن أبا علي لما وضع لعضد الدولة كتاب الايضاح حمله إليه واستحسنه^(٢) ، .

وأما الروايات الأخرى التي تدافع هذه الرواية فهي فيما يقوله صاحب نزهة الألباء : « أن أبا علي عندما صنف كتاب الايضاح لعضد الدولة وأتاه به قال له عضد الدولة : « هذا الذي صنفته يصلح للصبيان^(٣) ، . ويزيد ياقوت في المعجم : « أن عضد الدولة استقصره وقال له : « ما زدت علي ما أعرف شيئاً ، وإنما يصلح هذا للصبيان ، فضى أبو علي وصنف التكلة وجمعها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : « غضب الشيخ ، وجاء بما لانفهمه نحن ولا هو^(٤) ، ، وينقل ذلك النص السيوطي في بنيته^(٥) .

والذي أراه - في هذه الروايات المتضاربة - أن الرواة تزيدوا ، وأسندوا إلى عضد الدولة ما لم يكن منه ، ولم يتحدث به .

حقيقة كان عضد الدولة أحد العلماء بالعربية^(٦) وكان ذا بصير بالنحو ، يناقش أبا علي في مسائله^(٧) ، وينقل عنه ابن هشام الخضرأوى في الافصاح^(٨) ، ويرد ذكره في كتب التراجم ، وتذكر آراؤه بجانب آراء النحاة الأولين :

قال في الارتشاف وقال الأخصش ، وتبعه عضد الدولة ، واستحسن .
أبو القاسم بن القاسم في مسألة « ضربى زيدا قائماً ، تقديره ضربه قائماً^(٩) .

(١) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣ (٢) طبقات النحاة والنوفيين ٢٩٥ وما بعدها .
(٣) نزهة الألباء : ٢١٠ (٤) ٢٣٨/٧ (٥) انظر ٢١٦
(١) روضات الجنات : ٢٢٠ (٢) انظر نزهة الألباء : ٢١٠
(٣) بنية الوعاة : ٣٧٤
(٤) ارتشاف الضرب : ٥٠٧ مخطوطة دار الكتب ٨٢٨ نحو والنصف الثاني من طبقات النحاة لابن قاضي شعبة مخطوط بدار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ من ٣٧٧

ولكن عضد الدولة - على كل حال - كان يوقر أبا على توقير التليذ للشيخ ،
ويذكر أنه غلام أبي على في النحو ^(١) ، ويقول إذا افتخر بالعلم والمعلمين : « معلى
في النحو أبو على الفارسي ^(٢) » . هذه واحدة ، وثانية أن الربيعي - تليذ أبي على -
يحكي بما يوحى أن عضد الدولة كان ضيقنا بالإيضاح - متفقاً في ذلك مع خير
العبدى من قبل - وأنه لم يخرج للناس إلا باذن من ألف له ، قال الربيعي :
كان أول من سمع الإيضاح ورواه إلى الناس - بإذن من ألف له - أنا وأبو أحمد
الجلاب ، رسم لنا أخذه عن أبي على ، ثم خرج إلى الناس من بعد ^(٣) . فكيف
يتفق ألا يرتضيه أولاً ثم يرضن به ثانياً :

وثالثة: هذا الذي تزیده المترجمون ممثلاً فيما يرويہ ياقوت، ويتابعه فيه السيوطي
— من أن الشيخ غضب فأتى بما لم يفهمه عضد الدولة ، ولم يفهمه هو — هذا قول
بعيد عن طبيعة الصلة بين أبي على وعضد الدولة، بعيداً أن يغضب أبو على من ولي
نعمته ^(٤) الذي كان يعد أمره حكماً ، وطاعته غناً ، وإن كان هناك توجيه من عضد
الدولة — فما على الشيخ إلا أن يصدع بما يؤمر عن رضا وارتياح .

ثم بعيد — بعد ذلك — أن يعترف عضد الدولة بأنه لا يفهم ما يقول الشيخ ،
وأبعد منه أن يقول عن أبي على وهو مؤلف الكتاب . أنه لم يفهمه هو كذلك .
والأمر عندي بعد ذلك — أن ما يرويہ المترجمون يعبر عن نظرة الناس إلى
الكتابين في إجمال . فكتاب الإيضاح كتاب تعليمي وضع للبتدئين ، وكتاب التكملة
يخالفه في ذلك على النحو الذي سأعرضه له في هذا الفصل بالبيان إن شاء الله .

وليس بضائر أبا على ، ولا يغض من قدر الكتاب أنه وضع للمتعلين ، فمن قيل
وضع كل من الجرمي ^(٥) ، وابن درستويه ^(٦) ، وابن السراج ^(٧) ، مختصرات في النحو
للمتعلين ، لعل أبا على نظر إلى شيء من هذه الكتب الثلاثة ، فابن درستويه من
أبناء جلده فارسى فسوى ، وابن السراج أستاذ له ، وأما الجرمي فقد قدر أبو على
عمله إذ يقول « قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة ^(٨) » .

(١) المنتظم : ١٣٨/٧

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ط الخانجي سنة ١٣٢٦ هـ : ١٥٢

(٣) إنباه الرواة : ٢٧٥/٢ (٤) انظر مقدمة الحجة

(٥) طبقات اللغويين للزبيدي ٧٧ (٦) المصدر السابق ١٢٧

(٧) نفس المصدر ١٢٢ (٨) نزعة الألباء ١٠١

متى ألف الإيضاح :

أظهر صلة أبي على بعضد الدولة منذ أن استجلبه لبنى أخيه يؤدبهم^(١) . وكان أبو على حين استجلبه الديلمي — عند ابن حمدان ، وقد تركه عائداً إلى بغداد ، ثم شيراز^(٢) . وقد استظهرت في فصل سابق أن أبا على رجع إلى شيراز حيث يتصل بعضد الدولة منذ ٣٤٨ هـ .

وإذن فالإيضاح مؤلف قطعاً بعد هذا التاريخ، وفي هذه الفترة التي قضاها أبو على في شيراز ، والتي بلغت نحواً من عشرين عاماً^(٣) . ولا أملك من النصوص ما يعين على تقريب هذا المدى بين هذه السنين وإن كنت أميل إلى القول بأن الكتاب مؤلف في صدر هذه المدة ؛ إذ كان كتاباً تعليمياً للبتدئين ، فمن المحتمل أن يكون أبو على ألفه لأبناء أخى عضد الدولة يرجعون إليه ويقروون فيه ، ثم أن طبيعة الأشياء تقضى أن يستفيد عضد الدولة من علم الفارسي في صدر الصلة به لا بأخرة منها ، وليس في تقديم الكتاب ما يعين على الوصول إلى تاريخ تأليفه ، ففي نسخة من نسخه مخاطب أبو على عضد الدولة بالملك الجليل^(٤) ، وفي نسخة أخرى مخاطبه مع ذلك بالأمير الجليل^(٥) ، ولو اقتصر على الأخرى منهما لرجحت أن يكون الكتاب ألف قبل سنة ٣٥٦ هـ وهي السنة التي بدأ فيها الصراع بين بختيار وعضد الدولة ، وانتهى بتقريب الخليفة الطائع لعضد الدولة حتى عقد في سنة ٣٦٤ هـ على ابنته^(٦) ، ودخل عليها سنة ٣٧٠ هـ وخوطب في سنة ٣٦٨ بالملك^(٧) .

مشمتملات الإيضاح : لخص أبو على أبواب كتاب الإيضاح في صدر التكملة حيث ذكر التغيير الذي يلحق أواخر الكلم، وجعل قسماً منه ذلك التغيير بالحركات والسكون أو الحروف، ويحدث باختلاف العوامل ، وهذا الضرب هو الذي يسمى الإعراب ، ويكون في الأسماء المتمكنة ، والأفعال المضارعة للأسماء ثم قال :

(١) طبقات الزيدى ١٣٠ (٢) المصدر السابق (٣) ٣٤٨ - ٣٦٨
(٤) مخطوطة ١١٢٠ نحو (٥) مخطوطة ١٠٠٦ نحو (٦) النجوم الزاهرة: ١٣٥/٤
(٧) انظر تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

« وقد ذكرت ذلك بأصنافه في الجزء الأول من الكتاب الموسوم بكتاب الإيضاح^(١)، وأنت لإنا نظرت إلى أبواب كتاب الإيضاح رأيتها تصدر عن فكرة أثر العوامل، فبعد أن ذكر مقدمات تعد مدخلا للكتاب من حيث الكلام وتأليفه، وحد الإعراب، وحد البناء، وتكلم عن التثنية والجمع بعد أن ذكر هذه المقدمات أدار الكلام على المعربات وبدأ بالمرفوعات من الأسماء فذكر في ذلك: الابتداء وخبر المبتدأ، والفاعل، والفعل، والفعل المبني للنفول به، والأفعال التي لا تصرف، ونعم وبئس، والتعجب. ثم انتقل إلى المنصوبات من الأسماء فذكر العوامل الداخلة على الابتداء وخبره، وتحدث عن إن أخواتها، وظنفت وأخواتها، والأسماء التي أهملت عمل الفعل «أسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفات المشبهة بها، والمصادر التي أعملت عمل الفعل، والأسماء التي سميت بها الأفعال»، ثم تحدث عن المفعول معه، وله، والحال، والتمييز، والاستثناء بالألا، وغير سوى وحاشي، وانتقل إلى النداء والترخيم والتثني بلا، وبعد أن وفي الكلام على منصوبات الأسماء انتقل إلى الكلام عن المجرورات فتحدث عن حتى، ومذ، ومنذ، وللقسم، والأسماء المجرورة بإضافة أسماء منها إليها، والإضافة التي ليست محضه.

ثم انتقل إلى التوابع: الصفة والعطف، والبدل. وهكذا ينتهي من إعراب الأسماء «مرفوعة، ومنصوبة، ومجرورة، وتابعة». وعنده أن الرفع أقوى من النصب^(٢) وهذا أقوى من الجر ولذلك جعل الكلام في مسائل النحو على هذا الترتيب.

ثم تحدث عما لا ينصرف، فيذكر أبوابه المختلفة، ثم يأخذ في الحديث عن إعراب الأفعال مرفوعة، ومنصوبة، ومجزومة، ويعقد باباً للجازاة، ويختم الكتاب بالحديث عن النون الثقيلة والخفيفة.

هذا هو الملاك العام الذي صدر عنه الشيخ أبو علي في ترتيب الإيضاح، نظر

إلى أثر العوامل من حيث الرفع، والنصب، والجر في الاسماء أولاً، ثم من حيث الرفع، والنصب، والجزم في الأفعال ثانياً. وبين هذين يذكر التواضع^(١).

ومن أجل هذه الفكرة التي صدر عنها أبو علي تراه يتحدث عن حتى مرة في حروف الجر^(٢) ومرة عند قوله «وما ينتصب الفعل بعده، حتى» وذلك قولك، سرت حتى أدخلها^(٣). ونراه يتحدث عن أفعال التفضيل مرة في باب التعجب، ومرة في باب الإضافة التي ليست محضة^(٤)، وهكذا ينظر أبو علي في ترتيب الإيضاح إلى أثر العوامل نفسها، وهو بذلك يتخالف مع سيويوه الذي نظر في ترتيب كتابه إلى العوامل كما انتهى إليه أستاذنا في كتابه الموسوم بسيويوه أمام النحاة^(٥).

وقد وجدت أبا العباس المبرد في كتابه المقتضب لا يخضع في ترتيبه لفكرة بعينها فهو مثلاً — يورد باب التبيين والتمييز^(٦) مسبقاً بباب أما^(٧) وإما وقد ومنذ^(٨) ومتبوعاً بباب التثنية على استقصائها صحيحها ومعتلها^(٩)، وباب الإمالة^(١٠)، وباب كم ثم باب^(١١) الأفعال التي تسمى أفعال المقاربة^(١٢) وهاتم أولاء ترون ألا ترابط بين هذه الأبواب، وكان ذلك منزع المبرد على وجه العموم في ترتيب سائر الكتاب. ولو وازنت بين نهج الخالفين في ترتيب كتبهم، ونهج أبي علي الفارسي في ترتيب الإيضاح وجدت اتحاداً في الخطة؛ فهم في جملة الأمر ينظرون إلى أحوال الإعراب كما فعل أبو علي الفارسي من قبل.

ذلك أمر الخالفين والسالفين في ترتيب كتبهم متفقين مع أبي علي أو منخالفين. ولكن ما شأن المعاصرين لأبي علي؟

(١) يذكر أستاذنا عبد الحميد حسن في كتابه القواعد النحوية أن كتاب الزمخمرى «المفصل» يجيء بعد كتاب سيويوه من حيث الكتب الشاملة في النحو (انظر ص ٢٥٣) ثم يعود فيقرر أن كتاب الإيضاح والتكلمة جاءت فيهما البحوث النحوية والصرفية في ثناياها أو في بعض فصولها (انظر ص ٢٥٤) وهما نحن أولاء نرى كتاب الإيضاح لأبي علي — وهو قبل الزمخمرى يشتمل على هذه المسائل النحوية والصرفية اشتمالاً جامعاً.

(٢) الإيضاح ٨١ (٣) الإيضاح ١٠٢ (٤) الإيضاح ٨٥

(٥) راجع الصفحات ١٧٠-١٧٩

(٦) انظر كتاب المقتضب للمبرد المجلد الثالث من القسم الأول ٢٣ (٧) ص ١٨

(٨) ص ٢١ (٩) ص ٣٠ (١٠) ص ٣٤ (١١) ص ٤٧ (١٢) ص ٥٧

أما تلاميذ أبي علي فقد نهجوا نهجه ، وخذوا خذوه^(١) ، وأما الشيوخ فإنا نعرف من كتبهم « الجمل » للزجاجي فهل كان مثقفاً مع أبي علي ، أو متخالفاً في ترتيب كتابه فجاء مضطرباً تتداخل أبوابه بعضها في بعض .

فبعد هذه المقدمات التي يذكرها النحاة عادة في صدور كتبهم من أقسام الكلام والإعراب وعلاماته والتثنية والجمع نرى الزجاجي يتحدث عن بعض مرفوعات الأسماء ومنصوباتها فيذكر باب الفاعل والمفعول به ، ثم يعود فيذكر ما يتبع الاسم في إعرابه ، ثم يرجع إلى بعض منصوبات الأسماء فيتحدث عن أقسام الأفعال في التعدى ويعقب ذلك حديثه عن طرف من مرفوعات الأسماء في باب الابتداء والحروف التي ترفع الاسم وتنصب الخبر ، والحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، ويقدم بين هذه الأبواب — بعد باب الابتداء — باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، وبعد أن يتحدث عن حروف الخفض والقسم وحروفه يعود إلى شيء من مرفوعات الأسماء ومنصوباتها : ليتحدث عنها في : باب ما لم يسم فاعله ، واسم الفاعل والأمثلة التي تعمل عمل اسم الفاعل ، والصفة المشبهة بإسم الفاعل . وباب التعجب ، وما ، ونعم وبئس ، وحبذا ، ثم يتحدث عن إضافة المصدر ، والعدد ، ومد ومد ، كما ينكص راجعاً إلى بعض المنصوبات في الأسماء في باب النداء ، والاستغاثة ، والندبة . ثم يتحدث عن الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلية ، ثم يرجع إلى الحديث عن مرفوعات الأسماء ومنصوباتها فيعقد باباً لأفعال المقاربة ، وبعد أن ينتهي منها يتحدث عن جوازم الأفعال ، ويتركها عائداً إلى منصوبات الأسماء في الاستثناء والنفي بلا والتبزين ، ثم يتحدث عن التصغير وألف القطع وألف الوصل ، والمحاطبة ، والهجاء ، وأحكام الهمز في الخط ، والمقصور والمدود والمذكر والمؤنث والأفعال المهموزة ، وهي أبحاث بعضها صرفي وبعضها هجائي — ولما انتهى منها عاد مرة أخرى إلى أسماء الفاعلين والمفعولين .. والحروف التي يرتفع ما بعدها بالابتداء وتسمى حروف الرفع وهي «إنما — كأنما — ليتما . الخ» ويكون من الأبواب الباقية باب الوقف ، باب لو ولولا ، باب أقسام المفعولين وهي خمسة . . . ، باب ماذا ، مواضع أي ، . . . ، باب ما ذا ، مواضع أن المكسورة الخفيفة . . . ، باب الصلات . . . ثم يختم الكتاب بأبواب من التصريف

(١) كابن جنى في اللع مثلاً

مع العلم بأنه ألقى باب التصغير في طريقه بعد باب الإعراب ، بينه وبين ألف القطع وألف الوصل وقبل أبواب لو ولولا ، وأقسام المفعولين الخمسة . . . الخ
 هذا ترتيب مضطرب مشوه متعز كما ترى ، لا يخضع لملاك عام ، ولا يصدر عن نظرة خاصة ، وذلك فعل أبي علي في ترتيب كتاب الإيضاح على النحو الذي بيئت آنفاً ، فهل كان أبو علي أول من ابتكر هذا الترتيب وسنه للمعاصرين له من تلاميذه ، وللخالفين من النحاة بعده ؟ يرجح في نفسى ذلك . وابتكار أبي علي هذا الترتيب يعد تجديداً في التبويب له دلالاته على ما يمتاز أبو علي به من قدرة على التنظيم . وهذا الترتيب المبتكر يبدو لنا الآن شيئاً لا خطر فيه لإلفنا له في كتب النحاة . ولكنه من غير شك كان قدوة للمؤلفين من النحاة الذين خالفوه ، فساروا على نهجه ونظروا إليه مقتفين أثره ، وتوارثوه في كتبهم حتى هذا الزمان : فالزخشري ينظر في ترتيب كتابه المفصل إلى أبي علي في كتابه الإيضاح : جعل الزخشري كتابه مقسوماً — على أربعة أقسام :

الأول في الاسماء والثاني في الأفعال والثالث في الحروف والرابع في المشترك من أحوالها^(١) . وبعد أن عقد فصولاً في معنى الكلمة والكلام^(٢) وما يدخله لام التعريف من الأعلام^(٣) وأنواع الاسم المعرب^(٤) ، تحدث عن وجوه الإعراب للاسم فذكر المرفوعات من مبتدأ وخبر^(٥) . ثم تحدث عن المنصوبات^(٦) ، ثم عن المجرورات^(٧) ، ثم عن التوابع^(٨) ثم تحدث عن أصناف الاسم المبني^(٩) ، ثم عن شبه الفعل المعبر عنه بالاسماء المتصلة بالأفعال^(١٠) وبعد أن انتهى من ذلك تحدث عن قسم الأفعال فذكر أقسامها وأصنافها^(١١) .

ثم أورد القسم الثالث من الكتاب وهو قسم الحروف وبين أصنافها : من حروف العطف^(١٢) وحروف النفي^(١٣) وحروف التنبيه^(١٤) . الخ .
 ثم ختم كتابه بالقسم الرابع وهو المشترك وجعل منه الإمامة^(١٥) والوقف^(١٦)

- (١) انظر الفصل من ٥ الطبعة الأولى أمين الخانجي مطبعة التقدم ١٣٥٣ هـ
 (٢) ص ٦ (٣) ١١ (٤) ١٥ (٥) انظر ص ٢٣-٣٠
 (٦) انظر ص ٣٥-٨٢ (٧) ١١٠-٨٢ (٨) ١١٠ (٩) ١٢٤
 (١٠) ٢١٨ (١١) ٢٨٣-٢٤٣ (١٢) ٢٠٣ (١٣) ٣٠٥ (١٤) ٣٠٧
 (١٥) ٣٣٥ (١٦) ٣٣٨

والقسم (١) وتخفيف الهمزة (٢) وزيادة الحروف (٣) والإبدال (٤) والاعتلال (٥) والادغام (٦) ، وقد تكفل بهذا القسم الأخير - عند أبي علي - كتاب التكملة

• • •

وقد جعل أبو علي كتابه الإيضاح في أبواب قصار ، فلم يشق على القارئ المبتدئ ولم يعنف به ، وبصر المنتهى بالمهم في إجمال ، ومضى في عرضه للقواعد النحوية هادئاً مترثلاً واضحاً ، قوى العبارة ، دون التواء أو تعقيد ، يقرب بالتنظير ، ويشرح في توضيح ، ويستشهد مؤيداً القاعدة بآيات من القرآن ، وآيات من الشعر ، ويحرك النطق بتعابير ويلقى إليك في يسر بالتحليل ، ويلقى إليك بقواعد جامعة ، وأحكاماً شاملة ، وأساساً عامة تضم شتات التفصيلات ، ويندرج تحتها كثير من الحالات ، فلا يدع الباب إلا وأنت مقتنع به ، متفهم له ، واع لما يقول من غير عنت أو إرهاق ، ولعله بذلك كله قصد أن يجعل من الإيضاح اسماً يدل دلالة قوية على مسماه .

وفيا يلي بعض أمثلة للقواعد العامة التي يبدو أنها وضعت لتقرب على المتعلمين وهي غالباً ما تتصل بالصنعة الإعرابية والأسلوبية :

لا ينتصب في خبر عسى غير أن مع صلتها (٧) ، «المخصوص بالمدح أو الذم لا يكون إلا من جنس المذكور بعد نعم وبئس (٨) ، «إذا اجتمع في باب كان وأخواتها معرفة ونكرة فالذي يجعل اسم كان منهما المعرفة كما كان المبتدأ المعرفة والخبر النكرة (٩) ، «أفعال الحواس كلها متعدية (١٠) ، «لا يكون للشرط جزاء (١١) ، «الرفع في الرتبة قبل النصب والجر ، وذلك أن الرفع يستغنى عن النصب والجر (١٢) ، «الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان خبره ، «وما يتصل بالقواعد العامة تلك الأمثلة التي صدرها في كثير من كتابه : بقوله «لا يجوز ، «فما منها ما هو متصل بالصنعة الإعرابية ، ومنها ما هو متصل بالزعة النحوية ، فما يتصل بالصنعة الإعرابية : «لا يجوز ، كانت زيذا الحمى تأخذ ، إن رفعت الحمى

٥٧ (٣)

٣٤٩ (٢)

٣٤٤ (١)

٣٩٣ (٦)

٣٧٤ (٥)

٣٦٠ (٤)

٣١ - ٣٠ (٨)

٣٩ (٧)

١٢ (١٢) س ١٢

٢٢ (١١) س ٢٢

١٠ (١٠) تقدم هذا النص

٣٤ (٩)

بكانت لفصلك بين كان وسما بأجنبي منها وهو زيد الذى هو مفعول مفعولها ، فان جعلت التانيث فى كانت للقصة ورفعت الحمى بالابتداء وجعلت تأخذ خبر المبتدأ جازت المسألة لان زيدا حينئذ مفعول مقدم ولم يفصل به بين الفاعل وفعله (١) .

ولا يجوز على يزيد كان ذا مال ؛ لان على يرتفع بالابتداء ، ويزيد فى موضع نصب بالمصدر ، وكان فى موضع خبر المبتدأ ، فيجب من أجل ذلك أن يكون فى كان ضمير يعود إلى المبتدأ . وذلك الضمير هو على فى المعنى ، وذا مال خبر كان فاستحالت المسألة من حيث لم يكن قولك ذا مال هو على . ولو قلت على يزيد كان يوم الجمعة — كان مستقبها لأن يوم الجمعة يكون خبرا عن على لأنى أقول كان على يزيد يوم الجمعة ، فيكون ظرف الزمان خبرا عن الحدث الذى هو على ولا أقول كان على ذا مال (٢) .

ولا يجوز أن تقول : د إن الذاهبة جاريته صاحبها لآنك لانفيد بالخبر شيئا (٣) .

وما يتصل بالأحكام النحوية العامة قوله : لا يجوز د أعلم الله زيدا عمرا خالدا ، لان المفعول الثالث فى هذا الباب هو الثانى فى المعنى ، وعمرو لا يكون خالدا (٤) . كذلك لا يجوز د الذى إن تكرمنى أكرمك فله درهم ، لأن الشرط قد استوفى جزاءه فى الصلة فلا يكون له جزاءان . د ولا يجوز آيت الذى يأتينى فله درهم ، ولا لعل الذى فى الدار فكرم (٥) .

وغير أبى على فى كتاب الايضاح يمر بلفظى د المهم وغير المهم ، من الظروف من غير ايضاح ، ولكنه عندما يتعرض لذلك يتولاه بالشرح والبيان فيقول : معنى المهم ألا تكون له نهاية معروفة ، ولا حدود محصورة كالجملات الست ، فيجوز أن يتعدى الفعل الذى لا يتعدى إلى ما كان مبهما من الظروف وما كان من الأماكن فان الفعل الذى لا يتعدى — لا يتعدى إليه ، لا تقول قت بغداد ، ولا قعدت السوق ، ولا قت المسجد لان هذه الأماكن مخصوصة كزيد وعمرو ، وينفصل بعضها ببعض بصور وخلق ، فهى فى ذلك كالأناسى ولحومهم من الجثث المخصوصة ،

فكما لا يتعدى الفعل الذى لا يتعدى إلى الأناشى ، كذلك لا يتعدى إلى ما كان من الأماكن بمعناهم فى الاختصاص (١) .

وهذا التوضيح والتنظير والإسهاب فى الشرح والبيان — فى غنى عن التعليق . ومن المهم أن أذكر أن أبا على تعرض لذلك فى المسائل المشككة وشرحها على طريقته فى هذه المسائل من الإبهام والغموض واتخاذ سبيل المنطق فيما يأتى به من براهين (٢) .

ويبدو أن أبا على التزم الوضوح فى التعبير فى كتابه الايضاح ، ولما كان المنطق بطبيعته يدعو إلى الإغماض ، قلل أبو على فى الايضاح من المنطق لإثارة التيسير والتوضيح .

وفى كتاب الايضاح ظاهرة تدعو إلى التسجيل ، فأبو على يمضى فيه هينا لينا حتى باب الاستثناء فيحشد له ، وبحشر مسائل المنطق فيه ، ويسلك سبيل المناطقة فى عرض مسأله ، ومرد ذلك فيما أرى أنه قد وقعت مناقشة بين عضد الدولة وأبي على الفارسى فى ناصب الاسم الواقع بعد إلا فى قول القائل خرج القوم إلا زيدا (٣) ، ويجيب الشيخ أبو على ، ويعترض عضد الدولة ، ويتعذر على الشيخ المضى معه إلى الغاية ، ولا يجد بدا من الاعتذار إلى صاحبه فيقول : « هذا جواب ميدانى ، لأنهما كانا يسيران معا فى ميدان شيراز ، وإذا رجعت ذكرت لك العلة .

ومن هنا يعرض أبو على هذا الباب وفى ذهنه صورة هذا الحوار ، والظروف التى أحاطت به .

استمع إلى بعض ما يقول فيه :

« ليس يخلو الاستثناء من أن يكون فى كلام موجب أو غير موجب ، والاستثناء من الكلام الموجب نصب . مثال ذلك : « جاء القوم إلا زيدا » ، و « خرج أصحابك إلا عبد الله » ، و « انطلق الناس إلا إخوتك » ، فاتنصب الاسم إنما هو بما تقدم فى الجملة من الفعل ، أو معنى الفعل بتوسط إلا . كما أن الاسم الذى بعد الواو فى باب المفعول معه منتصب بتوسط الواو .

فإن كان الكلام المذكور فيه إلا غير موجب فانه لا يخلو من أن يكون

تأماً أو غير تام ، فثال غير التام : ما جاني إلا زيد ، . . . وهذا لا يكون فيه إلا الرفع ، لأن الفعل مفرغ لما بعد إلا ، فالعامل فيه ما قبل إلا . . .
وهكذا يمضى أبو على في هذا الباب من كتاب الإيضاح فيستعمل القياس ، والتعليل والتنظير ، والسبر والتقسيم^(١) ، وارجع إلى العبارة مرة أخرى والحظ قوله :
« ليس يخلو الاستثناء . . . ثم التعليل لا تنصب الاسم ، ثم تنظير ذلك بانتصاب الاسم بعد واو المعية ، ولو قرأت بقية الباب لوجدت شواهد أخرى أضربت عن ذكرها لإشاراً للاختصار .

وقد رأيت كذلك يلتزم المنطق للبرهنة على القضايا النحوية في آخر من كتاب الإيضاح وكأنه التزمه في هذا الجزء من الكتاب حيث يكون المتعلم قد استحصف واستعد لتقبل هذه البراهين المنطقية :

قال : قياس ما جاء من قوله لكيلا تأسوا أن تكون ناصبة بنفسها بدلالة أنها لا تخلو من أن تكون هي المناسبة بنفسها أو تكون بمنزلة اللام ينتصب الفعل بعدها بإضمار أن ، فلا يجوز أن تكون في هذه الآية بمنزلة اللام لدخول اللام عليها ، ولا يدخل حرف جر على مثله ، فإذا لم يحز ذلك ثبت انتصاب الفعل بعدها بنفسها^(٢) .

وفي آخر الكتاب كذلك برهن على أن الفعل بعد حتى ينتصب باضمار أن كما ينتصب بعد اللام في قولك ما كان زيد ليفعل بنضماو أن^(٣) . وبما يؤكد عندي تعليل التزامه المنطق آخر الكتاب بما رأيت — أنه تعرض لقضية : الفعل المضارع ينصب بعد حتى . . . في الصفحة العاشرة من الكتاب دون أن يعلل لها أو يسلك سبيل المناطقة فيها .

وأحياناً يسلك سبيل سبويه في إيراد الاعتراض ثم يتولى هو الجواب : قال : سمعت يتعدى إلى مفعولين ، ولا بد أن يكون الثاني منهما ما يسمع كقولك سمعت زيدا يقول ، ولو قلت سمعت زيدا يضرب أخاك لم يحز ، فإن اقصر على مفعول واحد وجب أن يكون بما يسمع فان قلت فقد جاء في التنزيل : وهل يسمعونكم إذ تدعون ، فاقصر على مفعول واحد وليس مما يسمع فالقول أن المعنى هل يسمعون دعاءكم كخذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما جاء في الأخرى إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم .

شواهد الإيضاح:

أولاً: من القرآن الكريم: «وأبو علي يستحضر في سرعة الآيات القرآنية التي تتصل بالمسائل النحوية التي يتحدث عنها، وقد ينفرد بشواهد من كتاب الله لم يحى بها سيبويه في الكتاب، مما يجعل ذلك ميزة له، ويكاد يلتزم الاستشهاد بهذه القرآنيات فإذا لم يجد شاهداً منها أشار إلى ذلك، ويغلب أن يقرن الأمثلة التي يأتي بها إلى نظائرها من القرآن الكريم، تجد ذلك واضحاً في صفحات متقاربة تنتظم أبواباً متلاحقة من الكتاب^(١) وتراه حين لم يظفر بشاهد قرآني لأعمال المصدر المقرون بالآلف واللام يقول: «ولم أعلم شيئاً من المصادر بالآلف واللام معملاً في التنزيل^(٢)»، «أورد ذلك بعد أن ذكر نحو ما جاء من ذلك في الشعر.

ضعيف النكاية أعداء يخال الفرار يراخي الأجل
وما يأتي من الشواهد القرآنية يذكره:

- (أ) مقايساً على مثال معروف . (ب) مناقشاً قضية يذكرها .
 - (ج) مطبقاً على قاعدة يقررها . (د) محاجاً الكوفيين في مذهب نحوي .
 - (هـ) موجهاً لمسلك إعرابي .
 - (و) ذاكراً أوجه القراءة في الآيات التي يستشهد بها .
- وأسوق مثالا لكل نوع من هذه الأنواع يختصر الإشارة إلى جميعها في تفصيل:

(أ) مقايساً على مثال معروف، قال: «وقد يحذف الرواجع من هذه الجمل إلى المبتدأ الأول، كقولهم: «المن منوان بدرهم»، والتقدير «منوان منه بدرهم»، لا بد من تقدير هذا في النفس ليعود الضمير الذي في منه إلى المبتدأ الذي هو المن^(٣). ومثل ذلك قوله عز وجل: «ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور، التقدير: «أن ذلك الصبر منه أي من الصابر، لأن ذلك ابتداء»، وقوله (عز وجل) «ولمن عزم الأمور، في موضع الخبر، ولم يرجع إلى المبتدأ الذي هو لمن صبر وغفر ذكر من اللفظ وهذا النحو كثير، وقد جاءت هذه الجملة بأسرها محذوفة إذا كانت خبراً، فإذا جاز حذف الجملة كلها كان حذف شيء منها أسهل؛ وذلك قوله (عز وجل):

(١) انظر مثلاً ص ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٢) المثال موجود في الكتاب

(٣) ص ٤٩

« واللائي يتسنن من الحيض من نسائكم إن اربتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ، والتقدير واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة التي هي خبر المبتدأ الثاني لدلالة ما تقدم عليه ، كما يحذف المفرد لذلك في نحو زيد منطلق وعمرو (١) .
(ب) أو مناقشاً قضية ذكرها : كقوله : « أما ما يتعدى إلى مفعول واحد فقد يكون علاجاً وغير علاج ، فما كان علاجاً فنحو ضربته ، وقتلته ، وأخذته ، وكسرتة . وأفعال الحواس الخمس كلها متعدية نحو رأيتهم وشممتهم وذقتهم إلا أن سمعتهم يتعدى إلى مفعولين ، ولا بد أن يكون الثاني منهما ما يسمع كقولك سمعت زيدا يقول ، ولو قلت : سمعت زيدا يقول يضرب أخاك لم يجز ، فإن اقتضرت على مفعول واحد وجب أن يكون ما يسمع . فإن قلت فقد جاء في التنزيل : « هل يسمعونكم إذ تدعون ، فاقصر على مفعول واحد وليس بما يسمع ، فالقول أن المعنى هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما جاء في الأخرى : « إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم (٣) . »

(ج) أو مطبقاً على قاعدة يقررهما .

(د) حجاج الكوفيين في مذهب نحوي : فهم يجوزون تقدم مفعول أسماء الأفعال عليها ، أما هو فلا يجوز ذلك ، لأنها ليست كالأفعال في القوة ، قال : « وقوله تعالى : كتاب الله عليكم ، ليس على معنى عليكم كتاب الله ، ولكن كتاب مصدر دل على الفعل الناصب له لما تقدم ، وذلك أن قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم . . . » فيه دلالة على أن ذلك مكتوب عليهم فانتصب كتاب الله بهذا الفعل الذي دل عليه ما تقدمه من الكلام ، وعلى ذلك قول الشاعر :

ما أن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طى المحمل (٤)

(١) الايضاح ١٧٠١٧ النسخة رقم ١١٢٠ نحو

(٢) قال الامام عبد القاهر الجرجاني : العلاج ما كان من أفعال الجوارح نحو الذهاب والقيام والقعود والضرب والقتل والكسر وما أشبه ذلك مما يكون له كلفة على الجوارح وغير العلاج ما لم يكن من فعل الجوارح وكان أما فعلاً من أفعال القلوب كالعلم والفهم أو خلقاً في الانسان كالسكرم والظروف . (المتنص : ورقة ١٧٥) (٣) الايضاح : ٥٣

(٤) الايضاح : ٥١ والبيت لأبي كبير الهذلي ، والشاهد فيه نصب طى المحمل بإضمار فعل دل عليه قوله : ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق ، لأن ذلك لانطواء كنفه ، =

وقد أورد أبو البركات الأنباري ذلك الدليل بما يكاد يكون بألفاظه (١) .
(م) أو موجهاً لمسلك إعرابي : قال « إذا كان اسم الفاعل لما مضى لم يعمل عمل
الفعل لو قلت : مررت رجل ضارب أبوه زيداً أمس لم يجز ، وقد أجاز بعضهم
ذلك واحتج بقوله تعالى : « وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد ، وقال لمن لم يجزه : إن
هذه الآية لا دلالة فيها على إجازة ذلك ، لأنها حكاية الحال (٢) .
(و) أو ذا كراً أوجه القراءة في الآيات التي يستشهد بها كتوجيه القراءتين :
« وما هو على الغيب بظنين أو بضنين في باب ظن (٣) .

* * *

ثانياً : أما شواهد الشعر في الأيضاح ، فبعضها مما أورد سيويه في الكتاب
كبيت الأعرابي .

إن من لام في بني حسا ن أمه ، وأعصه في الخطوب (٤)
والبيت المذكور في الكتاب (٥) .

فليت كفافاً كان خيرك كله وشرك عنا ما ارتوى الماء مرتوى (٦)
والبيت مما أنشده علي بن سليمان الأخفش .
وبعضها مما نقله عن الرواة نحو :

أعياش ! قد ذاق القيون مرارتي وأوقدت نارى فادن دونك فاصطلي (٧)
فقد نقله عن أبي زيد .

وقد يورد الشاهد الشعري لتفسير لغوى : كالذي أورد في تفسير : هي منى معقد
الإزار قال : فسر أبو عمر الجرمي الإزار هنا بالمرأة ، فكأنه يريد أن قربه منه قرب
المرأة ، وأنشد :

== وضم بطنه ، فكأنه قال : طوى طياً مثل طى المحمل ؛ وصف رجلاً بالضم فتشبهه في طي
كنتحه وإرهاق خلفه بجملالة السيف وهي علاقته وزعم أنه اضجع نائماً بتباطئه عن الأرض ولم
ينلها منه إلا منكبته وحرف ساقه . الكتاب : ١٨٠/١

(١) انظر الانصاف : المسألة ٢٧

(٢) الأيضاح ص ٤٤ (٣) ص ٤٣ (٤) الأيضاح ٣٩ (٥) ٤٣٩/١

(٦) المصدر السابق (٧) الأيضاح ٥٠

ألا أبلغ أبا حفص رسـولا فدى لك من أخ ثقة إزارى^(١)
 أو لإعلان صرفى : قال : د ليس فى الاسم اسم فى آخره حرف علة قبله ضمة ،
 وإذا أدى قياس إلى ذلك رفض فأبدلت من الضمة كسرة فصار الآخر ياء مكسوراً
 ما قبلها فإذا صار كذلك كان بمنزلة القاضى والداعى وذلك قولهم : -تمو وأحق ،
 وجرو وأجر ، وقلنسوة وقلنس ، وعرقوه وعرق قال الشاعر :

ليث هزبر مدل عند خيسته بالرقعتين له أجر وأعراس^(٢)
 وهو ينسب الشواهد إلى قائلها حيناً ، ويتركها غفلاً حيناً . نسب إلى النابغة^(٣) ،
 والأعشى^(٤) ، وامرىء القيس ، وعمر بن أبى ربيعة^(٥) ، والشاخ^(٦) ، والراعى ،
 وبعض هذه الشواهد يستقل هو بإنشأه^(٧) .

وقد رأيتـه يستدل بقول الرسول : د استدل بالحديث المروى : ، كل مولود
 يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه د على أن الجملة فى
 موضع نصب خبر كان^(٨) . ، ولا يرى بأساً أن يستدل بقول أبى تمام وهو
 من المحدثين .

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولاً^(٩)
 والبيت لابنى تمام ، يذكر ابن خلكان أن أبا على استشهد به (وهو ممن
 لا يستشهد بشعرهم) لأن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيراً^(١٠) .
 ونقل ذلك التعليل مقرأ له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الحضر حسين فى كتابه
 د القياس فى اللغة العربية^(١١) ، ، وتابعه الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه د من أسرار
 اللغة^(١٢) .

وأرى أن هناك سبباً غير ما يذكره صاحب الوفيات ومن لف لفه : ذلك
 أن البيت مسوق للتطبيق على قاعدة ، لا للاستدلال به ، أو استنتاج حكم منه .
 ويؤيد ما ذهبـت إليه من بيت أبى تمام قول الإمام عبد القاهر : د وأما البيت
 الذى أنشده فطريف الشأن ، لأجل أنه من قصيدة أبى تمام التى أولها : ،
 يوم الفراق لقد خلقت طويلاً لم تبق لى صبراً ، ولا معقولا

(١) الإيضاح ٥٩ (٢) الإيضاح ٩٢٨ (٣) ١٩ (٤) ٣٩ (٥) ٢٧
 (٦) ٢١ (٧) انظر الايضاح ٦٢ (٨) ٣٤ (٩) المصدر السابق
 (١٠) وفيات الأعيان ١/٣٦٢ (١١) ٣٥ (١٢) فصل القياس ٢١ ومابعدها

وقبله قوله :

لو جار سلطان القنوع وحكمت في الخلق ما كان القليل قليلاً
والشيخ أبو علي ليس بمن محتج بيت محدث في الإعراب .
جاء في العسكريات إن قلت : شتان ما بينهما فالقياس يمنع . وبعد أن علل
ذلك قال : وقد جاء في الشعر شتان ما بين الزيديين . إلا أن الأصمعي طعن في فصاحة
هذا الشاعر ، وذهب إلى أنه غير محتج بقوله : ورأيت أبا عمر قد أشد هذا البيت
على وجه القبول له والاستشهاد به ، وقد طعن الأصمعي على غير شاعر قد احتج بهم
غيره كذى الرمة والكميت فيكون هذا أيضاً مثلهم (١) .

ولذا فأبو علي — كما قال الجرجاني — لا يحتج بمحدث ، وما يستنتجه المحدثون
من احتجاجه ببيت أبي تام لا يتفق مع منزع أبي علي كما ترى . وإنما يحتج بأشعار
المولدين في المعاني فقط ؛ لأن ذلك شيء مشترك فأما حديث اللفظ فللمعرب ، وكان
شيخاً (٢) (رحمه الله) يحمله أن يكون جرى في المجلس هذا الخبر ، فقال هو أو بعض
الحاضرين ، ومثل ذا بيت فلان تقريباً . فالحق ذلك بمحاشية الكتاب ، ثم وقع في
العمود فأما أن يكون دونه فبعيد . فإن قيل : إن هذا النحو لما كان مشهوراً
مستغنياً عن الحجة ، وكان القصد فيه زيادة البيان بالتمثيل أورد هذا البيت فلم يمتنع .
وقد يقال : وإلى هذا ذهب فلان في قوله به ، ولا يقصد بذلك الاحتجاج وإنما يراد
لإيضاح قصده ، وتهريب المسلك (٣) . ومن عجب أن يقرر علماؤنا من أعضاء المجمع
أن البيت استشهد به لأن سيف الدولة كان يعجب به وينشده كثيراً (٤) . ولا علاقة
لسيف الدولة بكتاب الإيضاح أولاً ، ثم إن هذه الدعوى مردودة كما رأيت ثانياً .

مصطلحات الإيضاح وأمثله :

يظهر أن بعض المصطلحات النحوية حتى عصر أبي علي لم يسم بالاسماء التي
أطلقها النحاة عليه في العصور المتأخرة . فالمركب المزجي مثلاً لم يستعمله ، ويعبر عنه
الزجاج بقوله : « باب الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر لجملا اسماً واحداً (٥) » ،
ويدل عليه أبو علي بقوله : « الاسمان اللذان يجعلان اسماً واحداً (٦) » ، واسم

(١) العسكريات لوحة ١٣٣

(٢) شيخ عبد التاهر هو أبو الحسن بن عبد الوارث بن أخت أبي علي الفارسي

(٣) نزهة الألباء (٢٢٦) (٤) المتصد ورقة ٧٤ انظر مجلة المجمع ١٠٠/٦

(٥) سر النحو للزجاج ٦٦ (٦) الإيضاح ٩٩ وكذلك فعل في العسكريات لوحة ١٣٨

التفضيل يعبر عنه الزجاج بقوله : « هذا أفعل منك »^(١) ، ويعبر عنه الفارسي بمثل ذلك أو قريب منه حيث قال : « ما يجرى مجرى التعجب قولهم : هذا أفضل من هذا » ، ولا يستعمل قولهم أفعل من هذا فيما لم يستعمل منه ما أفعله وأفعل به^(٢) .

ومن الاصطلاحات التي تطالعنا في كتاب الإيضاح — غير ما ذكر — قوله : « الفعل الذي لا يتعدى ، بدل أن يقول : الفعل اللازم »^(٣) ، ورأيت الفارسي يعبر عن الضمير بلفظ « الذكر ، والراجع حيناً »^(٤) ، وحيناً يعبر عنه بلفظه^(٥) .

ومن تعبيراته : « وما يتعدى إلى مفعول واحد يكون علاجاً وغير علاج »^(٦) ، والحال منتقل، وغير منتقل، ويستعمل لفظاً أولى العلم بدل العاقل، والمبني إلى المفعول به بدل المبني للجهول .

وكان أبو علي مجدداً في هذه الأمثلة التي يسوقها : حقيقة أنه ذكر زيداً ، وعمراً وبكراً ، وغير ذلك من الأمثلة التقليدية التي ظهرت في كتب النحاة واشتهرت بها . ولكن الشيء الجديد — فيما أرى — اصطناعه أمثلة تتصل بالحياة العامة في عصره ، سواء أكانت هذه الحياة دينية أم سياسية أم اجتماعية أم طبيعية وهو في ذلك يكشف عن ناحية تعليمية تربوية ، إذ يشتق أمثلة من البيئة حوله ، وهو ما يتواصى به القائمون بمهنة التعليم ، ويرشد إليه المرءون في هذه الأيام .

تجد في كتاب الإيضاح : « جرى الفرس ، وغنم الجيش ، يطيب الخبر ، أمثلة ثلاثة متتابعة »^(٧) ، أرى أنه قصد إليها قصداً ، فلها دلالاتها في تفسير طرف من حياة عند الدولة وانشغاله بالحروب ، والأمثلة أشبه بسلسلة متصلة الحلقات آخذ بعضها بحجز بعض ، وكل واحدة تؤدي إلى الأخرى : فالفرس يجرى ، والجيش يغنم ، وحينئذ يطيب الخبر^(٨) .

(١) سر النحو ٩٥ (٢) الإيضاح ٣٢ - ٣٣ (٣) الإيضاح ٥٢

(٤) الإيضاح ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣ (٥) انظر مثلاً من الإيضاح ٢٠-٢٥

(٦) انظر الإيضاح ٨٠، ٥٣ (٧) الإيضاح ص ٢٥

(٨) لحظ الأقدمون تأثير البيئة في الأمثلة النحوية التي يأتي بها النحاة متأثرين بها ، قال أبو حاتم السجستاني في كتابه القراءات حيث ذكر القراء والعلماء ، كان في المدينة على الجبل (انظر مراتب القنويين لأبي الطيب القنوي ١٦٠) كان يلقب بالجبل ، وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً فذهب ، وأظن الأخفش سعيد بن مسعدة وضع كتابه في النحو من كتاب الجبل ولذلك قال « الزيت رطلان بدرهم » والزيت لا يذكر عندنا ، لأنه ليس بإدام أهل البصرة .

ومن الأمثلة التي تنظر إلى ناحية من النواحي العامة :

(١) الدينية: أبو يوسف أبو حنيفة^(١١) (ب) المذهبية: جالس الحسن وأبو سيرين^(١٢)
 كم ترى الحرورية رجلاً،^(١٣) الحسن أو الحسين أفضل أو ابن الحنفية^(١٤) (ج) الطبيعية
 والاجتماعية: جاء البرد والطيا لسة^(١٥) المال في الكيس واللص في الحبس^(١٦).

وبجانب هذه الأمثلة — أمثلة أخرى فرضية تميزها الصنعة النحوية: كقوله:
 « إذا استوفت الأفعال المتعدية مفعولها فتعدت إلى أسماهم تعدت بعد ذلك إلى
 المصادر، وأسما الزمان، والمكان، والمفعول له، والحال: تقول: « ضربت زيداً
 يوم الجمعة أمام خالد تقويماً له مجرداً من ثيابه ضرباً شديداً^(١٧) » ،
 أو لا تميزها الصنعة: قال: « لما كان خبر المبتدأ إذا كان مفرداً هو المبتدأ
 في المعنى أو منزلاً منزله لم يجوز على يزيد كان ذا مال^(١٨) .

مذهب أبي على النحوى وظهوره في الايضاح: وفي الايضاح ما يدل على نزعة
 أبي على البصرية، فهو لا يرى التعجب من السواد واليباض مباشرة^(١٩)، والكوفيون
 يرونه^(٢٠) ويجوز في باب كان أن تقدم الخبر على الاسم^(٢١)، والابتداء وصف
 في الاسم المبتدأ يرفع وصفة الاسم المبتدأ أن يكون معرى من العوامل الظاهرة^(٢٢)
 ومسند إلى شيء، والكوفيين يخالفونه في ذلك^(٢٣).

وهو أحياناً يسوق القضية الخلافية من غير احتجاج كما مر، وكما في القضايا
 الآتية: يجوز الفصل بين كم وبين يميزها في الكلام؛ نحوكم في الدار رجلاً، ولا يجوز
 ذلك في عشرين ونحوه إلا في الشعر^(٢٤)، وقد أضمرُوا رب بعد الواو في نحو قولهم:
 وقاتم الأعرق، غاوى المحترق^(٢٥).

وحيثما يسوق مسائل الخلاف محتجاً لها احتجاجاً هيناً يسيراً من غير أن يملأها
 بقضايا عقلية، أو أقيسة منطقية، ومن المسائل التي برهن عليها على هذا النحو: إذا كان
 اسم الفاعل لما مضى لم يعمل عمل الفعل^(٢٦). عليك ودونك، بله زيداً أسما وليس
 بجروف^(٢٧). لا يصح أن يقع الحال معرفة^(٢٨) لا يجوز أن يتقدم مفعول شيء

١٩ (١)	٩١ (٢)	٧١ (٣)	٩٣ (٤)	٦١ (٥)	٧٩ (٦)
(٧) الايضاح ٢٠	(٨) الايضاح ٣٢ - ٣٣	(٩) الايضاح ٩٥	(١٠) الانصاف ٩٥	(١١) الايضاح ٣٤ والانصاف مسألة ١٨	(١٢) الايضاح ١٢
(١٣) الانصاف مسألة ٣١/٥ والوفى في النحو الكوفي ٣٥	(١٤) الايضاح ٧١	(١٥) الايضاح والمسألة في الانصاف ٢٣١	(١٦) الايضاح ٤	(١٧) الايضاح ٥٠	(١٨) الايضاح ٦٣

من أسماء الأفعال — عليها^(١) ، وقد نقل أبو البركات الانباري حجاج أبي علي هنا أو يكاد^(٢) .

والشيوخ الذي ينقل عنهم أبو علي في كتاب الإيضاح :

سيبويه^(٣) ، وأبو بكر السراج^(٤) ، وأبو الحسن الأخصس على بن سليمان^(٥) ، وأبو زيد^(٦) ، والجرمي^(٧) ، وأبو إسحق الزجاج^(٨) ، وأبو عثمان المازني^(٩) ، وهو ينتصر لسبويه ، قال : سبويه لا يجوز التقديم في نحو : تفقأ زيد شحماً فلا تقول ، شحماً تفقأت ، وأجاز غيره التقديم وأنشد .

أتهجر ليلى للفراق حبيبها وما كان نفساً بالفراق تطيب

قال أبو إسحق : الرواية وما كان نفس بالفراق تطيب ، ومن هذا الباب قوله تعالى : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً ، وقررت به عيناً ، والمعنى طبن به أنفساً ، وقررت به أعيناً فوق الواحد مع الجميع^(١٠) .

ورأيته يهاجم أبا العباس المبرد ، قال : د ولا يجوز أن يكون حصرت دعاء ، في قوله تعالى : د أو جاءكم حصرت صدورهم^(١١) ، — قال عبد القاهر الجرجاني ، وأما قوله أنه لا يجوز أن يكون حصرت دعاء فذلك قول : محمد بن يزيد وليس بسديد^(١٢) .

وقال في باب ما لا ينصرف : د ومن زعم أن انقياس في دعد كان ألا يصرف دخل عليه في قولهم هذا صرفهم نوح ، ولوط ، وهما أعجميان ومعرفتان ، فلزامهم الصرف لهما لختفهما يقوى قول من صرف هنداً ودعداً في المعرفة .

قال الجرجاني : المقصود بقوله من زعم : أبو العباس ؛ لأنه قال فيما حكى عنه شيخنا (رحمه الله) أن الصرف في نحو هند ودعد لضرورة الشعر ، وليس ذلك بسديد لما ذكرنا من أن الخفة تقاوم أحد السببين ، وكفى لإلزاماً بما ذكره الشيخ أبو علي من أنهم صرفوا نوحاً ولوطاً مع وجود السببين العجمة والتصرف^(١٣) .

(٢) الإنصاف مسألة ٢٠

(١) الإيضاح ٥١

(٣) انظر مثلاً ٩٤،٨٠ (٤) ص ٨٢ (٥) ٩٩،٦١،٣٩ (٦) ٩٤،٥٠

(٧) ٥٩ (٨) ٦٤ (٩) ٤٥ (١٠) الإيضاح ٦٤ (١١) الإيضاح ٨٨

(١٢) المتصد ورقة ١٧٨ (١٣) المتصد ١٩٦ ظهر

ذبوع الإيضاح :

كتاب الإيضاح يعد نقطة تحول في التأليف النحوي ، وترتيب أبوابه على النقط الذي عرضته سابقاً ، ثم هو في عبارته ونزعة التعليمية لا يجاريه إلا كتاب الجمل للزجاجي ، وإن كان الإيضاح يمتاز عن الجمل بالتبويب المنظم الذي يخضع لفكرة خاصة خلا منها كتاب الجمل ، ولهذا بعد صيته ، وسارت شهرته في الآفاق ، ويمكن له من ذلك ويسر له السبيل إليه أنه ألف لعضد الدولة ، فلعل أبا علي بحكم ذلك بذل غاية الجهد في تجويده ، وإيضاح مسأله وتقریب بعیده ، فوّلع الناس به مدفوعين بهذين العاملين وكذلك كانوا : ضمنَّ عضد الدولة بكتاب الإيضاح تقدیراً له ^(١) : ثم سمعه الربيعي في حياة أبي علي ، ورواه بإذن من عضد الدولة ، وبتبعية كتب التراجم استطعت الاهتداء إلى الطريق التي سار فيها كتاب الإيضاح أخذاً حظه من الذبوع في العالم الاسلامي : فهذا زيد بن علي أبو القاسم ابن أخت أبي علي يروي الإيضاح عن خاله ، ويخرج عن فارس إلى العراق ، ثم يقصد الشام ، ويستوطن حلب لاقراء النحو بها ، ويملي شرح الإيضاح ^(٢) فيها ، ويقصده هناك الشريف أبو البركات عمر بن إبراهيم الزبيدي الكوفي النحوي ، ويقرأ عليه كتاب الإيضاح في شهر رجب سنة ٤٥٥ هـ ، ويروي الناس كتاب الإيضاح عن الشريف أبي القاسم (كذا ^(٣)) المدة الطويلة بالكوفة ^(٤) ، ويأخذ ، عنه الجمل الغير من الرواة والنحاة ^(٥) .

واشترك كذلك في إذاعة الإيضاح أبو الحسين الفارسي وكان كذلك ابن أخت أبي علي ، أقرأ النحو في البلاد التي طوفها : في الري ، وخراسان ، ونيسابور ، وغزنة ، ومكة ، وإسفراين ، وجرجان ، ومن قرأ عليه بمرجان عبد القاهر الجرجاني حتى لا يعرف له أستاذ سواه ^(٦) .

ولإذن فقد اختص أبو علي ، ولدى أخته بغنم قراءة الإيضاح وإقرائه في الأقطار الاسلامية ، ، وما أعظمه برأ بالرجم ، وما أعظم ما نالاه من الغنم :
قيمة الإيضاح وأثره :

قال أبو شجاع : كتاب الإيضاح في النحو - مع قلة حجمه - يوفي على الكتب الكبار التي من جنسه في قوة عبارة ، وجودة صنعة ^(٧) .

(١) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣ (٢) انظر مختصر ابن عساكر ٢٥/٦

(٣) وأظن أن كلمة (عن) ساقطة بين كلتي : الشريف وأبي القاسم .

(٤) إنباه الرواة ١٧/٢ (٥) إنباه الرواة ٣٢٥/٢

(٦) بنية الرواة ٣٨ (٧) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣

ولا يجد ابن الأثير في كتابه الكامل — صفة يعرف بها أبا علي الفارسي إلا أنه صاحب الإيضاح^(١)، وتبعه في ذلك أبو الفداء في تاريخه^(٢)، وابن قاضي شهبه في طبقاته^(٣)، ونقل ذلك أحمد تيمور في كتابه ضبط الأعلام^(٤). وقال ابن كثير: أبو علي صاحب المصنفات منها الإيضاح والتكملة^(٥)، ويظهر من ذلك كله مكانة كتاب الإيضاح بين مؤلفات أبي علي وعند الناس قال ابن خلدون بعد أن ذكر جهد الخليل بن أحمد وسيبويه في النشاط النحوي: «ثم وضع أبو علي الفارسي، وأبو القاسم الزجاج (كذا) كتباً مختصرة للمتعلين يجذون فيها حذو الامام في كتابه^(٦)». ولست أشك في أن ابن خلدون يريد كتب الإيضاح للفارسي، والجل الكبيرة لأبي القاسم الزجاجي، فهما الكتابان اللذان تبدو فيهما النزعة التعليمية على النحو الذي فسرتة من قبل. وقد كان كتاب الجمل للزجاجي كتاب المصريين وأهل المغرب، وأهل الحجاز، واليمن، والشام، إلى أن اشتغل الناس باللع لابن جني — وهو منقول من كلام أستاذه — والإيضاح لأبي علي الفارسي^(٧) ويبدو أن أبا شجاع في نصه السابق قدر الإيضاح لأمرين: منهجه في صناعته، وأسلوبه في عبارته، وهذا أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحوي ينشد بالاندلس في كتاب الإيضاح:

أضع الكرى لتحفظ	الإيضاح،	وصل العدو لفهمه بروج
هو بغية المتعلين،	ومن بغى	حمل الكتاب يلجه بالفتاح
لأبي علي في الكتاب	إمامة	شهد الرواة لها بفوز قداح
يقضى على أسراره	بنوافذ	من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخطب المتعلين	بلفظه	ويحل مشكله بومضة واح
مضت العصور،	وكل نحو ظلمة	وأتى فكان النحو ضوء صباح
أوصى ذوى الإعراب	أن يتذكروا	بحروفه في الصحف والألواح
وإذا هم سمعوا النصيحة	أنجحوا	إن النصيحة غبا لنجاح

وتشير هذه الآيات إلى أكثر من خصيصة في بيان قيمة كتاب الإيضاح^(٨): فهو تعليمي يعد وسيلة لتفهم كتاب سيبويه ومفتاح له، ولأبي علي — في رأى — أبي الحسن علي بن خلف — من الخصائص ما يتيح له تقديم هذه الوسيلة، فهو

(١) الكامل ١٩/٩ (٢) ١٣١ (٣) اظر ٢٩٥ (٤) اظر ١٢٠

(٥) البداية والنهاية ٧٥٢/١١ (٦) مقدمة ابن خلدون ٥٤٧

(٧) إنباه الرواة ١٦١/٢ (٨) إنباه الرواة ٢٢٨/٢

متفهم للكتاب، عارف بأسراره، إمام فيه يخاطب المتعلمين بلفظه، ويحل مشكلاته بوميض وحيه. وقد كان النحو مشكلات وظلمات، ثم بزغ ضوء الصباح بظهور كتاب الإيضاح. ومن هنا كان جديراً أن يوصى به المشتغلين بصناعة الإعراب، ليتذاكروه كما يتذاكرون القرآن في الصحف والالواح.

ولم أر للإيضاح نسخة مطبوعة^(١)، ولا لشرحه كذلك على الرغم من أنه كان مجال نشاط كبير لكثير من النحاة: شرحوه، كما شرحوا آياته، واختصروه، ونظموه، واعترضوا عليه، ورد بعض منهم اعتراض المعترضين.

وقد أورد صاحب كشف الظنون من شراح الإيضاح نحواً من خمسة وعشرين شارحاً عدا من شرح آياته، أو اختصره، أو اعترض عليه^(٢).

ومن الشراح أندلسيون ومغاربة، ومنهم مصريون وعراقيون: فمن عنى به من الأندلسيين والمغاربة: ابن يسعون يوسف بن يسعي (ت في حدود ٥٤٠ هـ)، وسمي كتابه «المصباح في شرح ما عتم من شواهد الإيضاح»،^(٣) وعلى بن أحمد بن خلف الغرناطي المعروف بابن الباذش (ت ٥٢٨ هـ)^(٤)، ومحمد بن حكيم بن محمد بن أحمد الجذامي السرقسطي (ت ٥٣٨ هـ)^(٥)، ومحمد بن أحمد أبو عبد الله الزهري المولود بمالقة (ت ٦١٧ هـ) يشرح الإيضاح في خمسة عشر مجلداً^(٦)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى الأنصاري المعروف بابن هشام الخضراوي (ت) بتونس (٦٤٦ هـ) ألف حول الإيضاح كتاباً ثلاثة: في تلخيصه، وشرح شواهد، والإفصاح بفوائده: والاقتراح في تلخيص الإيضاح، و«غرر الإصباح في شرح أبيات الإيضاح»، و«الإفصاح بفوائد الإيضاح»^(٧)، ولأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج (ت ٦٤٧ هـ) شرح للإيضاح كذلك.

وهكذا نرى عناية المغاربة بالإيضاح، وربما كان من أسباب هذه العناية أنهم عدوا الإيضاح مفتاح الكتاب، وقد كانوا بتدارسه جد معنيين^(٨).

ومن المصريين الذين عنوا بالإيضاح أبو محمد عبد الله بن برى المصرى

(١) ذكر بروكلمان أنه مطبوع بمجيدراكباد (انظر المجلد الأول ١١٣، ١١٤ والملاحق ١٧٦، ١٧٥).

(٢) كشف الظنون ١٧٧/١-١٧٨ (٣) انظر بنية الوعاة ٤٢٥ وإقليد الخزانة ٢٤

(٤) بنية الوعاة ٣٢٧ (٥) بنية الوعاة ٣٨

(٦) بنية الوعاة ١١ (٧) بنية الوعاة ١١٥

(٨) انظر سيبويه إمام النحاة لأستاذنا ١٨٧

(ت ٥٥٨٢) شرح شواهد، ومن العراقيين: الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي المقرئ الفقيه الحنبلئ البغدادي المعروف بابن البنا (٥٤٧١هـ)^(١) وأبو القاسم الدقاق^(٢) وأبو طالب العبدئ (٥٤٠٦هـ)^(٣) وعلي بن عيسى الربعي (٥٤٢٠هـ) وأبو القاسم المصباني (٥٤٤٠هـ) صنف حواشئ الايضاح^(٤) وهبة الله بن الشجرئ (٥٥٤٢هـ) وابن الدهان (٥٦٩هـ) شرحه في ثلاثة وأربعين مجلداً^(٥) وأبو الين الكندي (٥٦١٣هـ) وأبو البقاء العكبرئ (٥٦١٦هـ) والمظفرئ، وابن الحجاز، وأحمد بن الحسين (٥٦٣٧هـ)^(٦)، كما شرح شواهد الايضاح ابن السيراني (٣٨٥)^(٧).

وأنوه هنا بما كان للامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٥٤٧١هـ)^(٨) من عناية فائقة بهذا الكتاب فقد كتب أولاً شرحاً مبسوطاً في نحو الثلاثين مجلداً وسماه المعنى، ثم لخصه في مجلد، وسماه المقتصد، وله مختصر الايضاح المسمى بالإيجاز^(٩).

وفي الخزانة التيمورية النصف الأول من المقتصد مخطوط برقم ٣٨٤

وبعد: حتى متى ظل الناس يشتغلون بكتاب الايضاح؟

من أسماء النحاة الذين عنوا بكتاب الايضاح، ومن تاريخ وفياتهم، أستطيع أن أجيب هذا السؤال: بدأت العناية بالايضاح في القرن الرابع الهجرئ كما رأينا قبل، واطردت هذه العناية في القرن الخامس، فكان هناك نحو خمسة شروح^(١٠)، وكذلك كانت الحال في القرن السادس، حتى إذا كان القرن السابع رأيت النحاة يعنون بنحو أبي علي عناية فائقة: فأحمد بن تميم اللبئ المتوفئ مطلع هذا القرن (٥٦١٥هـ) يكتب مسائل أبي علي بخطه^(١١) ونرى القفطئ يقول: «وقد سألت عالين بهذا الشأن عن كتاب العبدئ، وكتاب الجرجاني في شرح الايضاح، فسكتنا ملياً، وقال أحدهما: «قد سمئ الجرجاني المقتصد وهو كما سماه، فان فوائده مختصرة»، وقال الآخر: «أحسن العبدئ في الكلام على العوامل، وقصر فيها الجرجاني، وأحسننا في التصريف، وكلام الجرجاني أبلغ وأوسط»^(١٢). وبدهئ أن المسئولين كانا معاصرين القفطئ،

(١) روضات الجنات: ٢١٢ (٢) المصدر السابق: ٢٢١

(٣) إنباه الرواة: ٣٨٧/٢ (٤) نزهة الألباء: ٢٣١

(٥) كشف الظنون: ١٧٧/١ (٦) بنية الوعاة: ١٣١ (٧) بنية الوعاة: ٣٨٥

(٨) إنباه الرواة: ١٨٩/٢ (٩) كشف الظنون: ٢١١/١

(١٠) انظر كشف الظنون: ١٧٧/١-١٧٨

(١١) انظر المسكريات لوحة: ١١٩

(١٢) إنباه الرواة: ٣٨٧/٢

ولما كان القفطى توفى سنة ٦٤٦ هـ^(١)، فعنى هذا أن الإيضاح وشروحه، ظل شغل الناس في هذا الزمان.

ثم تتابع بعد ذلك مظاهر العناية بالايضاح — في القرن السابع — على النظم الآتى :

رقم	اسم النحوى	سنة الوفاة	ملاحظات
١	أبو البقاء العكبرى	٦١٦ هـ	شرح الإيضاح كما يشرح المفصل للزمخشرى ^(٢)
٢	أبو عبد الله محمد بن أحمد الزهرى	٦١٧ هـ	شرح الإيضاح
٣	أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن	٦١٩ هـ	شرح الإيضاح
٤	يوسف بن معزوز القيسى	٦٢٥ هـ	شرح الإيضاح ورد على الزمخشرى في مفصله ^(٣)
٥	أبو العباس أحمد بن على بن معقل الحصى	٦٤٤ هـ	نظم الإيضاح والتكملة ^(٤)
٦	ابن هشام الخضراوى	٦٤٦ هـ	شرح الإيضاح
٧	ابن الحاجب	٦٤٦ هـ	شرح الإيضاح وشرح أيضاً المفصل للزمخشرى ^(٥)
٨	أحمد بن محمد الأشبلى المعروف بابن الحاج	٦٥٦ هـ	شرح الإيضاح
٩	أبو بكر بن يحيى الملقى	٦٥٧ هـ	شرح الإيضاح
١٠	ابن عصفور	٦٦٩ هـ	شرح الإيضاح ^(٦)
١١	ابن الضايغ على بن محمد الكنانى	٦٨٠ هـ	رد اعتراضات ابن الطراوة على الإيضاح
١٢	عبد الله بن أحمد بن أبى الربيع الأموى	٦٨٨ هـ	شرح الإيضاح
١٣	أبو الطيب محمد بن إبراهيم البستى	٦٩٥ هـ	قرأ شرح الإيضاح على أبى الربيع الأموى

(١) انظر شذرات الذهب : ٢٣٦/٥

(٢) انظر كشف الظنون : ٤٨٨/٢ (٣) بغية الوعاة : ٤٢٤

(٤) كشف الظنون : ١٧٨/١ (٥) كشف الظنون : ٤٨٨/٢

(٦) انظر خزنة الأدب : ٢٢٥، ٢١١/٤، ٤١، ٤٠/٣

ومن هذا الجدول أستطيع أو أستنتج :
أولاً : أن الناس ظلوا يشتغلون بكتاب الإيضاح حتى نهاية القرن السابع
الهجرى .

ثانياً : أنهم ضلوا إلى عنايتهم بكتاب الإيضاح — عنايتهم بمفصل الزمخشرى (١) .
ثالثاً : يبدو أن ظهور ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) واشتغال الناس بألفيته ونحوه
سرف الناس عن إيضاح الفارسي (٢) فبدأت العناية بكتب ابن مالك حيث انتهى
انصراف الناس عن الإيضاح ، فأخر من شرح الإيضاح ابن أبي الربيع الأمامى
(ت ٦٨٨ هـ) ، وقراء عليه أبو الطيب البستى (ت ٦٩٥ هـ) ثم لا نجد بعد هذا
التاريخ فى كتب التراجم من يعنى بالإيضاح على حين تتوالى العناية بكتب ابن مالك
حتى هذا الزمان

هذا وقد استعان البغدادى فى خزائنه بالإيضاح فى مواضع كثيرة تربو على استعانته
بأى كتاب آخر من كتب أبى على (٣) .

نسخ الإيضاح وأما كتبها : جاء فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة ذكر صاحب
الرياض أنه رأى نسخة من الإيضاح فى الخزانة الوقفية بقسطنطينية قرئت
على ابن الجوالقى (ت ٥٢٨ هـ) ونسخة أخرى كتابتها سنة ٦٢٠ هـ وفيها أيضاً
شرح الشيخ عبد القادر الجرجانى عليه ، وذكر صاحب الذريعة أن الإيضاح بمكتبة
ولى الدين أفندى ، ومكتبة عاطف كما يظهر من فهرسها (٤) .

وورد فى تذكرة النوادر أن للإيضاح :

(١) عدة نسخ فى خزائن الآستانة أقدمها كتابة نسخة مسجد بايزيد كتبت سنة

٥٥٠ هـ .

(٢) ونسخة أخرى فى خزانة أبا صوفية تحت رقم ٤٤٥١ .

(٣) ونسختين منه فى الخزانة المصرية (٥) .

(٤) ونسخة منه فى مكتبة إسكوريال تحت رقم ٤٢ كتبت سنة ٦٠٥ .

(١) كما عنوا بالجل للزمخشرى .

(٢) ولكنهم لم يصفهم عن المفصل للزمخشرى لصاحب كشف الظنون يذكر أن آخر

مصرح للمفصل كتبه التبانى جلال الدين رسولاً ٩٧٣ هـ

(٣) انظر لإقليد الخزانة ٢٤، ٢٣ لمبد العزيز الميى الرجكوتى ط لاهور سنة ١٩٢٧

(٤) الذريعة ٤٩٢/٢ (٥) انظر الفهرست الجديد لدار الكتب ٨١/٢

(٥) ونسخة أخرى في المكتبة المذكورة تحت رقم ١٩٤ .
(٦) نسخة أخرى في خزانة بانكي بور تحت رقم ١٥٢٢ كتبت سنة ٥٩٩ هـ^(١) .
وقد أورد بروكلمان الأماكن التي بها كتاب الإيضاح، وأنها: مكتبة عاطف
بالقسطنطينية رقم ٢٤٤٤ ، ومكتبة الفيضية رقم ١٩٠٩ ومكتبة شاه زاده رقم ٣٢٣
ومكتبة السليمانية رقم ٩٢٩ وبازيد ٢٩٠٣ وراغب ١٣٢٩ وسليم أغا ١٠٨٣^(٢) .
وقد ذكر العلامة أحمد تيمور في حديثه عن نوادر المخطوطات^(٣) . أن الإيضاح
منه نسخة بالأسكوريال، وفيها أيضاً شرح شواهد القيسى، وفي السلطانية بالقاهرة
شرحه لابن برى، وفي القاتح بالآستانة شرح الإيضاح للعكبرى، وفي السلطانية بالقاهرة
جزءان منه ناقصان، وفي بشير أغا بالآستانة شرحه لأبي طالب، وفي الكوبرلية
شرحه لعبد القاهر الجرجاني ولعله الصغير المسمى بالمقتصد، ثم قال: « وفي خزانة
النصف الأول منه . وهو المخطوط برقم ٣٨٤ نحو .
هذا وقد عنى معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية بالإيضاح
وشروحه فصورته على أفلام نسخاً من مكتبة أحمد الثالث، وكوبريلي، والاسكوريال
إلى جانب ما صورته دار الكتب^(٤) .

التكملة :

فإذا ما انتهيت إلى التكملة وجدت أبا علي يقول في تقديمها :
« الحمد لله رب العالمين الذي جعل حمله فاتحة كتابه ، وخاتمة دعوى أوليائه
في جنته ، فقال تعالى : « وآخر دعوانى أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد
خاتم النبيين ، وعلى أنبيائه ، والمرسلين ، وعباده الصالحين ، وإياه نسأل ، وإليه نرغب
في إرضاع الشكر ، وإلهام الحمد على ما منح الأنام ، وشمل الخاص والعام من النعمة
بالمملك العادل « عضد الدولة ، (أطال الله بقاءه ، وأسبغ عليه نعماءه) كما أفاض
في البلاد عدله ، وأوسع العباد فضله ، وبث فيهم عرفه وطوله^(٥) .

- (١) تذكرة النوادر ١٣٧ علم النحو مطبعة دائرة المعارف الثمانية ١٣٥٠ هـ
- (٢) انظر بروكلمان المجلد الأول ١١٣-١١٤ والملحق ١٧٦، ١٧٥
- (٣) الهلال سنة ٦١/٢٨
- (٤) تجد تعريفاً بهذه الأفلام في فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩ وما بعدها .
- (٥) ص ٦٤ نحو ١٠٠٦ .

وما نحن أولاء نلاحظ أن التقديم خلافاً اشتمل عليه تقديم الإيضاح من ورود امر عضد الدولة، ورسمه بما رسم^(١)، ونلاحظ كذلك تعبيرات صرفية لعلها تشير إلى موضوع الكتاب وأبوابه، والحظ مع استعمال المصدر من أوزع، وأهم، ثم الحظ مع هذا التماس الذي يشير إلى ما التزمه أبو علي في التكملة من مسائل المنطق: فهو يدعو أن يطيل الله بقاءه، ويسبغ عليه نعماءه مقاييساً ذلك بما أفاض في البلاد من عدله، وأسبغ على العباد من فضله، ثم أراه يلجح بقوله: ولإزاع الشكر إلى آية: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك».

ويجعل أبو علي موضوع التكملة الأبواب التي تشمل التغيير الذي يلحق أواخر الكلم من غير أن يختلف العامل، وهذا التغيير يكون بتحريك ساكن، أو إسكان متحرك، أو إبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف أو نقصان حرف^(٢)... ويقرر أن هذا التغيير ليس بأعراب لأنه غير حادث عن اختلاف العوامل. كما يجعل موضوعها كذلك في التغيير الذي يلحق أنفس الكلم وذواتها، وذلك نحو التثنية والجمع الذي على حدها، والنسب، وإضافة الاسم المعتل إلى ياء المتكلم، وتخفيف الهزمة، والمقصور والممدود، والعدد، والتأنيث، والتذكير، وجمع التكسير، والتصغير، والإمالة، والمصادر، وما اشتق منها من أسماء الفاعلين، وغيرها، والتصريف، والإدغام. ثم وعد أن سيذكر ذلك باباً باباً، وقد وفي بما وعد أيما وفاء.

وهكذا ينتظم الإيضاح أبواب النحو جملة، كما ينتظم التكملة أبواب الصرف جملة كذلك. ويخطيء العامل صاحب أعيان الشيعة في استنتاجه حيث قال: «من مؤلفات أبي علي التكملة في التصريف، هكذا في بغية الوعاة، ومقتضى ما ذكر في سبب تأليفه أنه تكملة للإيضاح فهو في النحو وصرح في الرياض بأنه في النحو^(٣)»

وفرق كبير بين عبارة الشيخ هنا في التكملة، وعبارته هناك في الإيضاح. ويمكن بالنظر إلى كتاب التكملة أن يبين لنا أسباب صعوبة عبارة هذا الكتاب.

(٢) ص ٦٤

(١) الإيضاح نحو ١٠٠٦ : ١

(٣) أعيان الشيعة ٣١/٢١

فأول الأسباب أن طبيعة موضوعات الصرف أصعب في تفههما من أبواب النحو، وثانيها أن أبا على التزم هنا الغموض لجه ذلك ضمناً على إنباله .
أقرأ مثلاً: د باب دخول التاء للفرق على اسمين غير وصفين في التأنيت الحقيقي الذي لآشاء مذكر (١) .

أو: باب ما جاء على أربعة أحرف ملحقاً أو على وزن الملحق من الثلاثة بالأربعة فكسر تكسير ما كان على أربعة أحرف (٢) .
وثالثاً: أنه تعيد بأسباب المنطق، وقد تجلى ذلك في أول ما ذكر من التكملة إذ يقول: د النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب
وقد ترددت الاصطلاحات المنطقية في كتابه التكملة د الاطراد، والاستمرار والقياس (٣)، وباب الأسماء المفردة الواقعة على الأجناس التي تخص آحادها منها بإلحاق الهاء بها (٤) .

ثم رابعاً: أنه يكثر من التفريع والتقسيم والاستطراد، أقرأ: باب الوقف على الاسم المعتل (٥) تره يقول فيه: الاسم المعتل لا يخلو من أن يكون منوناً أو غير منون، فالمنون .. كذا وكذا .. ثم ذكر حكم الوقف عليه، ومذاهب العرب فيه، والرأى الذي يرتضيه. وأما غير المنون. فكذا وكذا .. ثم ذكر حكم الوقف عليه، ومذاهب العرب فيه .

ثم ذكر ما يقال في النداء واحتج (٦) له وتحدث عن لهجة ناس من العرب يبذلون من الياء في سعدى الجيم فيقولون سعدج واستشهد لها .

ثم انتقل إلى الوقف على الفعل المعتل، وذكر حكم المرفوع، وعلل له من أن الباب معقود للوقف على الاسم لا الفعل. ثم انتقل إلى المجزوم، وتحدث عن الوقف في نحو فه وشه، ثم تحدث عن الوقف في الفواصل والقوافي (٧). ويكاد هذا التقسيم والتفريع يطالعك في صدور أبواب متقاربة . .

هذا عرض سريع لاستطراداته (٨) وتفرعاته، وتقسيمه، وذلك كان سبباً في أن نظر إليه النحاة بما نظروا وحكموا عليه بالتصعيب والغموض

١٢٠ (١) ١٥٣ (٢) ٨٣ (٣)

١٣٧ (٤) ٧٠ (٥) ٧١ (٦) ٧١ (٧) س ٧١

(٨) من أمتة استطراداته: باب من الأسماء مالا يعلم قصره ولا مده (٩٣) وهو باب لنوى لاصرفى ولعله اختصر فيه كتابة المفرد والمدود الذي ذكره ياقوت .

وشيء آخر هو: خامساً أنه يكثر من الجدل، ويعنى بالبرهنة على مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، في براهين منطقية عقلية، ذكر مثلاً وزن أشياء وبرهن على رأيه فيها، وذكر^(١) أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر كما أن أسماء الفاعلين والمفعولين مشتقة منها، وهذه برهنته على رأيه فاستمع إليها، قال:

« لو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لجرت على سنن في القياس، ولم تختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلفت المصادر اختلف سائر الأجناس دل ذلك على أن الأفعال مشتقة منها، وأنها غير مشتقة من الأفعال^(٢) وأيضاً، فلو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمن وعلى معنى ثالث، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحديث، وذات الفاعل، والمفعول به، وكذلك سائر المشتقات. فلما لم تكن المصادر كذلك علم أنها ليست مشتقة من الأفعال^(٣)»

فأما اعتلالها باعتلال الأفعال فلا يدل على أنها مشتقة منها، كما أن اعتلال بعض أمثلة الفعل لبعض لا يدل على أن بعض الأفعال مشتق من بعض^(٤).

وأنت إذ تقرأ هذا الكلام تحس كأنك أمام برهان على نظرية من نظريات الهندسة، ولا بد أن تقرأه على مهل وتمعن لتدرك ما فيها من مقدمات وأدلة وحجاج وقد رأينا خلو كتاب الإيضاح من هذه المحاجة المنطقية الدقيقة، اللهم إلا ما ورد في أخرة هذا الكتاب، وكأنه أراد بذلك أن يهد لقرس المتعلم بهذه البراهين، ليتقبلها مبثوثة في التكملة هنا وهناك ..

وسادساً، أنه يستغل مسائل العروض في التكملة، فيقول مثلاً في باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها، كل حرف من أول كلمة يبتدأ بها من اسم، أو فعل، أو حرف فهو متحرك، ولا يبدأ بحرف ساكن في اللغة العربية، والدليل على أنهم لا يبتدئون بالساكن أنهم لم يخففوا الهمزة إذ كانت في أول كلمة يبتدأ بها نحو: « أن رأيت رجلاً أعشى أضرَّ به .. » لأن في تخفيفها تضعيفاً للصوت، وتقريباً من الساكن فكما لم يبتدئوا بالساكن لم يبتدئوا بما قرب منه. وأمر آخر يدل على رفضهم الابتداء بالساكن، وهو أنهم لم يخرموا متفاعلاً كما خرموا فعولاً ونحوه، لأن متفاعلاً يسكن ثانياً

(١) ١٠٦

(٢) انظر الانصاف ١٤٦ فقد كادت ألفاظ الفارسي تظهر في تدليل الأنباري

(٣) انظر الانصاف ١٤٧ فقد أورد قريباً من هذا الكلام بحروفه (٤) ١٦٢

فلو خرم لأدى ذلك إلى لزوم الابتداء بالساكن ، وإذا رفضوا ما يؤدي إليه فإن يرفضوه نفسه أولى^(١) .

أرايت هذه التعليقات المنطقية ؟ ثم ما دخل العروض في المسألة ؟ وهل كان العربي الأول يعرف الحزم ومتفاعلهن وفعل حتى يستدل به الفارسي في هذه القضية التي تعرض للبرهان عليها ؟

وكل هذه التعليقات بما فيها من المنطق والفلسف والتعمل أيضاً — جعل الناس يستصعبون التكملة ، كما أبعدهم التكملة أن تكون للتململن المبتدئين ، وهي على هذه الصورة يشق على كثير من المنتهين .

وكما بدت نزعة الفارسي وبصيرته في هذه المسائل النحوية ، كذلك بدت في طريقة التدليل عليها على هذا النحو من الحجاج .

وبدت نزعة البصرية كذلك من أنه لا يأخذ بالشاذ ولا يقيس عليه :
أورد قول الفراء : « كان النحويون يقولون امرأة ، فإذا أدخلوا الألف واللام قالوا المرأة ، وهو وجه الكلام . قال : وقد سمعتها بالالف واللام المرأة . »
ثم عقب عليه بقوله : « ولعل الذي سمعها منه لم يكن فصيحاً ، لأن قول الأكثر على خلافه^(٢) . »

كذلك بدت هذه النزعة مع الخليل — ومن الغريب أن يكون ذلك — قال :
« زعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون : رذن ومرن^(٣) إذا أخبروا وأرادوا : رددن ومررن ، وهذا لا ينبغي أن يؤخذ به بشذوذه عن الاستعمال والقياس . »

وأما الشذوذ عن الاستعمال فقلة المستعملين له .
وأما الشذوذ عن القياس ؛ فلأنه إذا اجتمع أهل الحجاز على إظهار أردد، ونحوه مع تعاقب الحركات التي ذكرنا عليها فأن لا يدغم نحو رددن التي لا تصل إليه الحركة البتة لاتصاله بالضمير أولى^(٤) .

وما كان ينبغي أن يهجم الخليل بما هجم ، وينسب قوله إلى الزعم ، فالخليل يروى ما يسمع ، ولعلهما متفقان على شذوذ مثل هذا الإدغام .

(٢) التكملة ١٢١

(١) ٦٧

(٣) لم أجد شيئاً من ذلك في الكتاب ، وهو المصدر الذي أرتجح أن الفارسي رجع

إليه واستمد منه ما نسب إلى الخليل . (٤) التكملة ٦٦

وأورد - قبل أن أختتم هذا الفصل - أن أعقد دراسة مقارنة بين الزجاج في « سر النحو ، والفارسي في الإيضاح ، ومدى صلة كل منهما بسيويوه في الكتاب . فالزجاج في سر النحو لم يفترق كثيرا عن سيويوه في الكتاب ، فقد أورد سيويوه ما ينصرف وما لا ينصرف في اثنين وثلاثين بابا وكذلك فعل الزجاج في موالاته بين هذه الأبواب تشبه إلى حد كبير الموالات التي اصطنعها سيويوه .

تتوالى مثلا الأبواب الآتية في سر النحو :

ذكر الاسماء المهمة^(١) ، والظروف المهمة^(٢) ، والانصراف في أسماء الاحيان وغير الانصراف^(٣) والالقاء^(٤) وهي كذلك في هذه الموالات في الكتاب^(٥) .

أما أبو علي فقد تحدث حديثا موجزا عما لا ينصرف في الأبواب تشبها الأبواب التي لا تعرض على طلاب المدارس الآن ، فهل كان أبو علي أول من رتب هذا الترتيب ميسرا بذلك على المتعلمين في إيجاز واستيعاب معا؟

إنه يتحدث في باب ما لا ينصرف عن : ما كان على وزن الفعل ، والصفة التي لا تنصرف ، والتأنيث ، وما كان في آخره ألف ونون مضارعان لألني التأنيث والتعريف ، والعدد ، والجمع الذي لا ينصرف ، والاسماء الأعجمية ، والاسمين يجعلان اسما واحدا .

وهو بهذا التعيد والاختصار الذي لا يخجل يمتاز عن الزجاج الذي جرى على سنن سيويوه في الكتاب من حيث ترتيب الأبواب والاطالة ، ونقل الأمثلة الفرضية كأن يقول :

إذا سميت رجلا بالألف واللام من قولك الغلام^(٦) .

إذا سميت رجلا باما^(٧) ، وأما ، والا ، وأما ، والا^(٨) .

وقد عرضت قبل المميزات العامة لكتاب الايضاح ، وأود هنا في هذه الدراسة المقارنه أن أبين السمات المميزة للزجاج في كتابه سر النحو والتي ينفرد بها عن عداه فأول ما يلاحظ من هذه السمات أن الزجاج أثرى ، وتجلت هذه السمة في مظهرين .

ا - الاستناد على رسم المصحف في التعليل .

ب - التنبيه على أن القراءة سنة .

فمثال المظهر الأول وقوله ، ترى فيه لغتان بعض العرب لا ينونها ، وبعضهم ينونها . من لم ينون جعل ألفها للتأنيث ، ومن نونها جعل ألفها تلحق الثلاثة بالاربعة وجاز إذا نونت ألف النصب كأنه قال : تترجمني وترأى أرسلناهم متواترين ، وترا

(١) ٤٨ (٢) ٥٤ (٣) ٦٣ (٤) ٦٥ (٥) ٤٩، ٤٨، ٤٤، ٤٣/٢ على التوالي (٦) ورقة ٨٠ (٧) ٨٦ (٨) ٨٧

وترا وترا، والقولان الأولان قول النحويين وبهما نقول إلا أن هذا القول الثالث يوجه مذهب من القياس ويدفعه كونها في المصحف بالياء، لأن ألف النصب لا تكون ياء، وإنما تكتب ألف التانيك ياء لأنها إذا ثبتت أبدل من الألف ياء فليل حليان^(١). وهكذا يجعل رسم المصحف دافعاً لما أوجبه القياس.

ومثال المظهر الآخر: قوله: «يجوز في حيث الفتح تقول: حيث زيد قائم، فأما في القراءة فلا يقرأ» سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وإن كانت جائزة في العربية، لأن القراءة سنة متبعة فبخالفها بما يجوز في الاعراب بدعة^(٢). وهذا هو مذهب الذي أشرت إليه وعلته عند الكلام على طريقته في الاحتجاج من كتابه المعاني. وثاني السمات التي تبدو عند الزجاج: الاشتقاق، وقد بينت قبل ولع الزجاج به ومذهبه فيه^(٣) وهنا أشير إلى مثال يدل على هذه السمعة عنده.

قال: قال جميع البصريين في اسم موسى وعيسى أنهما أعجميان، وبهما معرفة تقول جاءني موسى، وموسى آخر، وجاءني عيسى، وعيسى آخر. فإن أردت موسى الحديد فهي مؤنثة، وهي تنصرف في النكرة تقول هذه موسى حادة، وتقديرها مفعل تصلح أن تكون من شينين يرجعان إلى شيء واحد، تصلح أن تكون من أسوت إذا أصلحت فكان أصلها مؤسس إلا أن الهمزة إذا سكنت وقبلها ضمة وخففت أبدلت واواً فألزمت هذه اللفظة تخفيف الهمزة وقد قيل لأنها من أوسيت أي حلقت، وذلك من هذا لأن معناه كله الإصلاح^(٤).

وهكذا ينتهز الزجاج الفجوة التي ينفذ منها إلى الحديث عن الاشتقاق الذي برع فيه، واشتهر به، وميزه عن سواه. وانظر قوله في آخر النص السابق «وذلك من هذا لأن معناه كله الإصلاح»، — تجده أعطاك نظرية في الاشتقاق إذ يجعل لمعاني المادة اللغوية أصلاً تعود إليه.

وثالث السمات التي تميز أبا القاسم الزجاج: دفاعه عن المبرد ورواية أقواله^(٥)، وذلك أثر من آثار الصحبة بين الرجلين. وقد تعرضت إلى ذلك عند الكلام على معاني القرآن للزجاج^(٦).

وهذه السمات الثلاث تبرز شخصية الزجاج في كتابه سر النحو، وهو في غيرها خافت الصوت لا يكاد شيء من شخصيته يبين، وبعد فسر النحو للزجاج مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٩ نحو وهو في ٩٩ ورقة برواية النحوي المصري أبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس عن الزجاج.

(١) سر النحو ورقة ٤ (٢) ٥٨ (٣) انظر ص ٩٦٥ وما بعدها من هذا البحث

(٤) سر النحو ١٢ (٥) ٥٧ (٦) انظر ٥ في موضعه من هذا البحث

الشيرازيات

جعل أبو على الشيرازيات في أربعين مسألة منها ما هو لغوى في المسائلين الثانية عشرة والثالثة والعشرين . ومنها ما هو نحوى وعدده ثلاث عشرة مسألة (٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨) ومثل هذا العدد من المسائل : صرفي (١ ، ٢ ، ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠) وبعضها مسائل إعرابية ، وقد بلغ عددها خمس مسائل (٥ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) ومنها سبع مسائل تناول فيها أبياتاً للشعراء من الجاهليين والإسلاميين والمولدين والمحدثين ، أربع من هذه السبع للحطيئة (المسألة رقم ٧) والأعشى (مسألة ٨) وعدى بن زيد (مسألة ٩) وأبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة والد أمية (المسألة ٢٠) ثم مسألة تعرض فيها لبيتين أنشدهما أبو زيد (مسألة ٢٧) وأما المسألان الأخيرتان من هذه المسائل السبع فقد جعلنا من نصيب المتنبي (المسألان ٣٤ ، ٣٥) .

والمسائل من كل صنف متتابعة في القليل النادر ، وهي في الأعم الأغلب على غير ذلك ، كانت الأولى والثانية صرفيتين ، كما كانت الثالثة والرابعة نحويتين ، تلتهما الخامسة وهي تتعلق بالإعراب ، والسادسة وهي صرفية ، ثم كانت السابعة والثامنة والتاسعة تناول فيها أبياتاً للشعراء ، ولم يعد إلى تناول هذه الأبيات وعقد المسائل خاصة بها إلا في المسألة العشرين ، فاصلاً بين المسائلين التاسعة ، والعشرين بمسائل محتلطة أشماج من النحو والصرف والإعراب على غير ترتيب .

وفي الشيرازيات إشارات تاريخية تعين على معرفة ميلادها ولو على وجه التقريب ، فإن التحديد الدقيق غير ميسور ، وخاصة إذا لم تكن هناك نصوص دالة كاشفة .

من هذه الإشارات التاريخية ما رأيته في صدر المسألة الأولى من قوله : « بدأت بقراءة هذه المسائل على الشيخ أبي على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوى (أيده الله) في شهر رمضان سنة ٣٦٣ هـ »^(١) .

ومنها أيضاً ما اختتمت به هذه المسألة حيث يقول : « هذه مسألة أملاها بشيراز في المسجد بالربض »^(٢) .

ومنها كذلك ما صدرت به المسألة الثانية : « قرأتها على الشيخ (أيده الله) في جمادى الأولى سنة ٣٦٤ في منزله ، وهذه المسألة هي التي كتبها أبو علي لعضد الدولة كما يصرح بذلك في قوله : « كتبها لمولانا الملك الجليل عضد الدولة (أطال الله بقاءه ، وأدام سلطانه ، وثبت ملكه) (١) » .

والظاهر أنه كتب المسألتين العشرين والسابعة والعشرين إلى عضد الدولة كذلك ، فقد صدر كلا منهما بكلام فيه الدعاء بالتأييد ، وذلك قوله في المسألة العشرين (٢) .
« فهمت ما ذكرته (أيديك الله) من تفسير البيت الذي ورد الأمر بتفسيره وهو قوله :

فاشرب هنئياً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلاً
وفي هذا النص أكثر من دليل أنه لعضد الدولة .

(أ) الدعاء في (أيديك الله) .

(ب) وورود الأمر بتفسير البيت .

(ج) واختيار هذا البيت الذي يتصل بحياة عضد الدولة وما يرغبه من عيش الملوك في الشرب الهنيء وارتفاق التاج .

كل هذه أدلة ترجح أن الأمر بتفسير البيت هو عضد الدولة .

ودعاء أبي علي بالتأييد كذلك في السابعة والعشرين يوحى بأنها مكتوبة إلى عضد الدولة وإن لم يصرح به .

وقد جاء في آخر المسألة الثانية والثلاثين ما نصه : « وقد جاء المحذوف في كلامهم للاستغناء بما ذكر عن المحذوف كما رأى مولانا الملك (أدام الله تأييده) في المسألة (٣) » .

وإذن فقد ولدت الشيرازيات بعد اتصال أبي علي بعضد الدولة وأرجح أن يكون ذلك حول سنة ٣٦٠ هـ .

إلى جانب هذه الإشارات التاريخية لإشارات أخرى :

فهو يذكر في صدر الثالثة أنه كتبها للأستاذ أبي نصر (رحمه الله) (٤) ، وكذلك فعل في المسألة الرابعة والعشرين (٥) . ويذكر في المسألة الثلاثين أن أبا نصر (رحمة الله عليه) سأل عنها (٦) .

(١) لوحة ١١ (٢) لوحة ٧١ (٣) لوحة ١٣٧

(٤) لوحة ١٤ (٥) لوحة ٨٥ (٦) لوحة ١٢٥

فمن أبو نصر هذا الذي كتب إليه الشيخ أبو علي واتصل به ؟ ظننت أول الأمر أنه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري فإنه كان أديبا عاصرا أبي علي ، وأخذ عنه (١) . ولكن هذا الظن اتنى بقول أبي علي : كتبناها للأستاذ أبي نصر (رحمه الله) (٢) ، وتوفي الجوهري سنة ٣٩٢ هـ فيما يذكر القفطى في أحد قوليهِ (٣) ، ويجعل ياقوت الوفاة سنة ٣٨٦ هـ (٤) ويفهم من الدعاء بالرحمة في نص الشيرازيات أن أبا نصر توفي في حياة أبي علي ، وإذن فليس إسماعيل بن حماد الجوهري هو المعنى بأبي نصر . وهناك من يكنى بأبي نصر ذكر خبره صاحب الصبح المنبى (٥) ، وقد عاصر أبا علي ، ولكنه غير أبي نصر الذي ورد ذكره في الشيرازيات ؛ ذلك لأن أبا نصر المذكور في الصبح المنبى اسمه عبد العزيز بن نباته السعدى ، وقد صرح الشيخ أبو علي باسم أبي نصر في موضع آخر فذكر أنه أبو نصر محمد بن هبة الله (٦) ، فإذا استقنيت ابن الجزرى في طبقات القراء وجدت أن محمد بن هبة الله هذا شيرازى (٧) ، والراجح أنه قد مات قبل أبي علي وإن لم يذكر ابن الجزرى سنة الوفاة ، وقد كان محمد بن هبة الله هذا محدثاً (٨) .

والشخصية الثالثة التي اشتركت في نصيب الشيرازيات : « أبو الحسن حمد » . قال الشيخ أبو علي في صدر المسألة الخامسة . كتبناها إلى الشيخ أبي الحسن حمد (٩) ، فمن ذلكم الشيخ ؟

ذكر ابن الجزرى كثيراً ممن اکتنوا بهذه الكنية : « أبي الحسن ، ولعله أبو الحسن القسوى » (١٠) ولعل فسويته قد ربطت بينه وبين أبي علي كارتبطت شيرازية أبي نصر بينه وبين الشيخ كذلك .

كل هذه الإشارات تدل على أن هذه المسائل أملى بعضها ، وكتب بعضها لإجابة عن سؤال سائل في حلقة الدرس ، بالمسجد أو المنزل ، وأن أولئك الذين كتب إليهم راداً على استفسارهم كانوا رموس القوم بشيراز (كعصند الدولة) وأبي نصر

-
- (١) انظر تزهة الألباء ٢٢٧ ، والأعلام : ١٠٥/١ ، وبضية الوعاة ١٩٥ ومجمع الأدباء ١٥١/٦ سلم الوصول ١٦٦
(٢) انظر لوحة ١٤ شيرازيات (٣) انظر انباء الرواة ١٩٦/١
(٤) انظر مجمع الأدباء ١٥١/٦ (٥) انظر هامش شرح المكبرى للتمني ١٩٧/١
(٦) انظر الشيرازيات ٨٥ (٧) طبقات القراء ٢٧٤/٢
(٨) انظر الاثمان ١٤٩/١ (٩) لوحة ٢٢ (١٠) طبقات القراء ٢٦٦/٢

محمد بن هبة الله . أو بفسا كأبي الحسن حمد . ثم جمعت هذه المسائل كما يفعل الناس في هذا الزمان من جمع مقالات نشرت هنا وهناك وضمت في كتاب .

ومن أجل ذلك يبدو في هذه المسائل التأتى والتبسط والتقصى والتأتى أيضاً ولم يكن جعله أولى هذه المسائل ، في تصريف قولهم أول ، بعيداً عن غاية مقصودة بل كان ذلك شيئاً بما يسميه البديعيون : « براعة استهلال » .

والدليل على تأتى أبي على أنه يعرض للأراء المختلفة مفنداً ومعضداً ، مستدلاً بالأصول اللغوية ، ويتعرض للخصوم ، ويمعن في الجدل ، ويشقق المقال ، ويستكثر من الشواهد^(١)، ويجمع الأشباه والنظائر ، ويدلل على أوجه الإعراب^(٢) ويستطرده لأدنى مناسبة ، ويعقد حديثه بمسائل المنطق^(٣) ، وهذا شأنه دائماً حين يريد الاستيفاء والاستيعاب في تأن وإبطاء . ومن هنا جاءت هذه المسائل طويلة ممتدة ، إذ كانت حافلة بهذه المظاهر السابقة جمعاء . وأود أن أعرض مسألة واحدة — أى مسألة — فتناول واحدة بالتحليل يختصر الخصائص المشتركة في كل المسائل .

وليك عرضاً للمسألة الثالثة والثلاثين^(٤) ، عقد أبو على هذه المسألة للحديث عن نسبتك درهماً مكتوباً عليه : « قل هو الله أحد » ، فذكر أولاً ما تحتمله القسمة من هذه النسبة : وهو « قلى ، والا هى ، ولا هى ، وأحدى ، وهوى ، وقولى » ، وقرر أن هذا يجوز كله لإلا قلى وهوى ...

ثم جوز قولى مستدلاً بما ينطق به العرب ومقايماً عليه^(٥) . ثم ذكر اعتراضاً وردده وذلك قوله : « فإن قيل ، لم لا تبقى الضمير في قل ولا تخلمه كما قلت كنتى ... »

ثم انتقل إلى الحديث عن جواز « لإلا هى ، و « لا هى » ، واستدل عليه بقرائة لابن مسعود ، وما ذكر سيبويه على اعتبار أن قل ليست من السورة على قراءة ابن مسعود .

ثم دلل على « إحدى » — إذا كانت قل ليست من السورة — واستند في تدليله على أصل إعرابي « هو » ، أن المستفاد من المبتدأ والخبر إنما هو الخبر ، وقايس ذلك بما يكون في الجملة الفعلية من أن المستفاد من الفاعل والفعل إنما هو الفعل ... وبما

(٢) انظر لوحة ١٣٣، ١٣٤

(١) لوحة ١٣٨

(٤) انظر اللوحة (٥) اللوحة ١٣٩

(٣) لوحة ١٢٨ وما بعدها

يكون في إضافتهم إلى تأبط شراً بقولهم « تأبطى ، وانتهى من هذا القياس إلى الإضافة إلى الخبر الذى هو أحد من قولهم « الله أحد ، فتقول إحدى ...
ثم دلال على جواز «أحدى» على اعتبار أن قل من السورة ، إذ يكون ذلك على قياس من قال شرى فينسب إلى شراً من تأبط شرا .

ثم دلال على امتناع «هوى» من الجواز معتمداً على أصل نحوى ، وذلك أن «هو» ضمير القصة والشأن لا يوصف ، ولا يعطف عليه ولا يؤكد ...

ودلال على امتناع «قل» بما تودى إليه الصناعة انصرفية وذلك إذ يقول : « وأما امتناع قلى فلأن اللام قد تحركت فينبغى أن ترجع الواو ، ولأنها حذفت لالتقاء الساكنين زال التقاؤهما ...

وبين وجه امتناع النسب إلى صمدى وغيره بما فى السورة بأننا نقيس على ما سمعنا من كلام العرب ، وهم قد اختاروا أن يضيفوا إلى صدور الجمل ، فكذلك نقيس فلا تنسب إلى غيره بما فى السورة .

ثم استطرده من ذلك إلى بيان امتناع «إخلاصى» لأنك بذلك قد نسبت إلى ما لقتبت به السورة ، واللقب يوضع على الملقب به . وأنت إنما تنسب إلى الشيء لا إلى ما يدل عليه ولم تضطر إلى ذلك .

ثم استطرده أبعد من ذلك فبين السبب فى تلقيب السورة بالإخلاص .
ثم وازن بين الأوجه الأربعة للجائزة ، فذكر أن المختار منها «قولى» ، إذا جعلته من السورة ولم تجعله على قراءة ابن مسعود . ودلال على وجه الاختيار فى ذلك ...

وبين أن الأوجه الأخرى غير ممتعة ولا رديئة .
هذا مثال يوضح كيف يتناول أبو على المسائل فى الشيرازيات ، وفيه كما ترون التوجيه ، والتدليل ، والتفنيد ، والتعليل ، والمنطق والتقسيم ، والاستطراد ، والقياس ، واستغلال للأصول اللغوية والصرفية والإعرابية .

وظهور ذلك كله فى الشيرازيات صدى لهذه الحياة الطويلة المستقرة التى عاشها الشيخ فى شيراز ، فقد استظهرت فى فصل سابق أنه مكث ما يقرب من عشرين عاماً بها ، فجاءت هذه المسائل مرآة لاستقراره ، ومظهراً لثقافته فى العربية ، وصدى لاطمئنانه فى الدرس والإملاء والكتابة والاجابة ، على وجه العموم .

وفي الشيرازيات .

(١) استهداء بالحس النفسى فى التعليل : أورد قول أبى دوار فى وصف ثور .

ويصبح أحيانا كما استمع المضل لصوت ناشد

ثم شرح المضل فقال : المضل الذى قد أضل بعيرا وغيره ، والناشد الطالب لضالته ، فهذا المضل شديد الاصغاء إلى صوت الناشد ليتأسى به فيتعزى ، وعلى هذا قالوا ، الشكلى تحب الشكلى ، ومن ذلك قول الخنساء .

فلولا كثرة الباكين حول على إخوانهم لقتلت نفسى

وما سيكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر :

وإن الآلى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وقد منح الله هذه النعمة أهل النار وسلهم إياها فقال تعالى : « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ، فاشتراكم فيما يعرضون عليه من العذاب لم يحدث لهم تعزيا ولا تسليا فيكون ذلك تخفيفا عنهم ، وترويحاً لهم ألا تراه قال : « لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، » (١) .

ولا أطيل باستقصاء دلائل هذا الاستهداء فيمكنى المثال الذى ذكرت وأحيل إلى نظائره فى الشيرازيات (٢) . وقد رأينا أن هذه الظاهرة كانت بذرة نمت وترعرعت عند ابن جنى ، وظهرت آثارها فى المحتسب (٣) .

(٢) واستغلال العروض فى الاستدلال : قال : « وينبغى لمن لم ير منهوك الرجز ولا مشطوره ولا منهوك المنسرح كقوله « صبراً بنى عبد الدار ، ، « وويل أم سعد سعداً ، — شعراً ألا يعمل فيه أنشد كما لا تقول أنشدت سجماً ، وهذا مذهب أبى الحسن الأخفش وما احتج به لذلك أن النبى (عليه السلام) لا يجرى على لسانه الشعر ، وقد قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ، قال وأنشد هذا البيت :

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعينه

قال : فان احتج محتج بأن النبى (عليه السلام) قال : « الله مولانا ولا مولى لكم ، فان هذا على الوقف ولو وصل لقال لا مولى لكم . قال : وإنما يحسب

(٢) انظر لوحات ٤٤ ، ٥٢ ، ١٠١

(١) لوحة ١٤-١٥

(٣) انظر الفصل الخامس بذلك

الشعر على الوصل لا على الوقف قال : « وكان الخليل يميز هذا ، ومن حجة الخليل عندى فى ذلك قول رؤبه : « وقلت شعراً من طرازى معلمه » .
يعنى فىما أحسب أرجوزته التى أولها « قلت لزير لم تصله مرىبه » ، ولم نعلم رؤبة قال القصيد وإنما جمع بينهما كما جمع بينهما غيره كآبى النجم (١) .
وكذلك فعل فى تقدير المحذوف من قولهم « الله لأفعلن » (٢) .

(٣) والاحتجاج بالحديث الشريف : قال : وإنما صار قولهم « عمرك الله ، يدل على السؤال ، وكذلك فعدك الله ، لأن الكلمة تستعمل عند السؤال فى أكثر أمرها فمن ذلك ما جاء فى الحديث أن رجلاً بايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرأى منه مسامحة فقال له عمرك الله من أنت ؟ فقال امرؤ من قريش ، فلما صارت تستعمل عند السؤال كثيراً صار إذا قالها كأنه قال : ما أسألك إلا كذا وعلى هذا قول الشاعر :

عمرك الله أما تعرفنى ؟ أنا حراث المنايا فى الفتن (٣)

وعند كلامه على أن رزأ تعدى إلى مفعولين استشهد بالشعر واستطرد قائلاً وفى الحديث : « المؤمن مرزأ » ، ثم قرأ أن تضعيف العين فى مرزأ إنما هو للتكثير يراد يرزأ مرة بعد مرة (٤) ، وانظر بعد ذلك استشهاده بالحديث : عليكم بالباء فانه أغض للبصر (٥) .

(٤) وتفسير القرآن بالقرآن : قال فى معرض تقرير القاعدة : إن ما قرب من مشاركة حال قد يوقع عليه لفظ الماضى « — وما يستقيم أن يكون على هذا التأويل قوله : « يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت » لما كان السوق يتبع الإشارة بلا كبير مهلة أوقع عليه لفظ الماضى فكذلك قوله فأحيينا وفى الأخرى بزجى سحاباً ثم يؤلف بينه لجاء على لفظ الاستقبال ، والازجاء السوق ، وفى الأخرى لنحيى به بلدة ميتاً لجاء على لفظ الاستقبال والحقيقة ، وجاء فأحيينا على ما ذكرت .
وأمضى فى بيان الخصائص مشيراً إلى المصادر دون ذكر النصوص اختصاراً .
(٥) والاحتجاج بالقراءات (٦) وما تقوله العرب (٧) .

(١) الشيرازيات لوحة ١٨-١٩ (٢) انظر لوحة ٢٦-٢٧ (٣) لوحة ٢٥

(٤) لوحة ٨٥ (٥) لوحة ٩٧ وما بعدها (٦) انظر لوحة ٥٥ (٧) لوحة ٣١

- (٦) والتعرض بالتدليل على مذهبه في مسائل الخلاف (١١).
- (٧) والدليل على أنه راوية حافظ لأشعار العرب (٢) وكثرة الاستشهاد وتدققه (٣)
- (٨) والاشارة إلى ثقافته الشرعية (٤).
- (٩) وعلمه بالأخبار الأدبية (٥).
- (١٠) والكشف عن طريقة تناول الآيات الشعرية بالدراسة.
- ١ — يشرح المعنى ويستعين بالمأثور من القرآن الكريم والمروى من الحديث والشعر .
- ب — ويوضح الألفاظ اللغوية ويستشهد لها .
- ح — ويعرب ما فيه إشكال أو غموض في البيت (٦) .
- (١١) والدليل على علمه بآراء البغداديين والأئمة السابقين : بصريين وكوفيين النحويين والمغويين (٧)، (١) ووقوفه من هؤلاء وهؤلاء موقف الفاحص لحججهم، المنصف لهم ، والمرجح لآراء بعضهم على البعض الآخر بما يدل على شخصيته الواضحة القوية واستخدام لاصطلاحات الكوفيين (٨) .
- (١٢) الحرص على نسبة الآيات إلى قائلها (٩) .
- (١٣) استخدام المنطق في الاستدلال والجدال : استعمل التقسيم (١٠) وقال : الدعوى إذا عريت من الدلالة ، ودفعها الأصول المقر بها المجمع عليها لم تصح ولم تثبت (١١) ، واستعمل الاستثناء الانفصالي (١٢) .
- (١٤) وارتباط التوجيه الإعرابي بالمعنى البلاغي . جاء في الشيرازيات : قوله : من شر الوسواس الخناس ، إذا جعل التقدير فيه من شر ذى الوسواس أو صاحب الوسواس لحذف المضاف في اللفظ وأقيم المضاف إليه مقامه احتمال وجهين :

(١) المصدر السابق (٢) لوحة ١٨

(٣) انظر اللوحات ٥٣، ٦٠، ٦١، ٦١٠، ١٣٨

(٤) لوحات ٢٥، ٢٦، ٤٤، ٨١ (٥) لوحة ١٢٠

(٦) انظر لوحة ٢٦، ٩٩ (٧) انظر اللوحتين ٥٧، ٨٠

(٨) أطلق الفارسي البغداديين على الكوفيين يدل على ذلك قوله :

وقال القراء عن الكسائي : لا أتيك أبد الأبيد وأبد الآباد ، وزاد غيره من البغداديين
أبد الأبدنين ، وأبد الأبدية وأبد الله — قال : وتأويل هذه الحروف أبد الدهر .

(٨) لوحة ١٣٩ (٩) انظر مثلا لوحة ٤٦ (١٠) لوحة ٥١

(١١) لوحة ٥٢ (١٢) لوحة ٧٦ ثم انظر اللوحتين ١٢٨، ١٣٩

أحدهما: أن يكون الفاعل بعد حذف المضاف على ما كان قبل الحذف، وعلى هذا قولهم صلى المسجد، يطوهم الطريق، وسل القرية، المعنى في ذلك بعد الحذف على ما كان قبل من أن الفاعل الأهل كأنه يطوهم أهل الطريق، وصلى أهل المسجد، وسل أهل القرية.

والآخر: أن يجعل الاسم بعد حذف المضاف إذا كان غير عين بمنزلة العين وذلك إذا أريد به المبالغة وكثرة المعاناة للشيء والمحاولة له يدل على ذلك أنهم قالوا شعر شاعر، وموت مائت، ووتدواتد، فكما جعلوا المعنى الذي هو غير عين في هذا النحو بمنزلة العين حيث جعلوه فاعلاً كذلك جعلوا العين بمنزلة غير العين لاجتماعهما في المبالغة وكثرة المعاناة قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها شاعراً مثل أطب وأشعرا
وأكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حين تيسرا
فقال وأكثر بيتاً شاعراً فجعل بيت الشعر شاعراً، وفي البيت دلالة أخرى على صحة هذا المعنى: وهو قوله: ضربت به بطون جبال الشعر، فلولا أنه عنده بمنزلة العين ما أضاف إليه ما يضاف إلى الأعيان (١).

(١٥) وفي الشيرازيات بعد ذلك طائفة صالحة من مسائل البلاغة: وقد استشهد الإمام عبد القاهر الجرجاني بالشيخ أبي علي، ونقل نصاً من الشيرازيات في دلائل الإيجاز (٢).

وتعليل هذه الاستعانة ميسور؛ فالإمام الجرجاني تلمذ على أبي الحسين ابن أخت أبي علي — ولا يعرف له أستاذ سواه (٣). وقد نشر أبو الحسين ما أخذه عن خاله أثناء طوافه بمرجان.

(١٦) ويبدو في الشيرازيات الاستطراد، وأرى أن سبب هذا الاستطراد في الشيرازيات بمخاصة ما أتبع للشيخ من التأنى في املائها أو جمعها، ثم ما كان عليه الشيخ من علم واسع غزير، وما طبع عليه من قوة الاستحضار، ووفرة الشواهد وظهور تداعي المعاني، فهو إن تحدث — مثلاً — في إعراب هنيئاً من قوله: اشرب هنيئاً . . . البيت.

(١) لوحة ٥٨-٥٩

(٢) انظر دلائل الإيجاز ص ٢٥٢ وانظر لوحة ٦٨، ١٠٥ من الشيرازيات

(٣) انظر ترجمة الألباء

استحضر قول كثير : هنيئاً مريئاً غير داه مخامر .
وقول الشاعر :

هنيئاً لأرباب البيوت بيوتهم ولعزب المسكين ما يتلس
وما أنشده أبو اسحاق :

هنيئاً للدينة إذ أهلت بأهل الملك أبدأ ثم عادا (١)
والأمثلة على استطراده كثيرة (٢) .

(١٧) وفي الشيرازيات كثير من الأصول العامة في النحو واللغة والمنطق اعتمد عليها أبو علي في الاحتجاج والدليل . وإليك طرفاً من هذه الأصول تشير إلى ماشاع في هذه المسائل منها .

(١) قد يجرون الشيء مجرى النظير (٣) .
(٢) الدعوى إذا عريت من الدلالة ، ودفعتها الأصول المقر بها ، المجمع عليها لم تصح ولم تثبت .

(٣) البديل إنما يكون بعض المبدل منه أو يكون هو هو (٥) .

(٤) يحمل على معنى النقي دون لفظه (٦) .

(٥) ليس في الأسماء المتمكنة اسم على حرف واحد (٧) .

(٦) الجمل لا يخبر عنها وإنما يخبر عن المفردات (٨) .

والنسخة التي اعتمدت عليها تكبير للقم رقم (٩٣٢) بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية ، وهي صورة للنسخة المخطوطة المودعة مكتبة راغب بالآستانة رقم ١٣٧٩ وتاريخها القرن العاشر بخط نسخ حسن مشكول عن نسخة كتبت سنة ٣٩١ ، وعدد أوراقها ١٥٧ ورقة ، وعدد أسطر الصفحة ثمانية عشر سطراً . وفي ظاهر هذه النسخة ما نصه : قرأ علي أبو غالب أحمد بن سابور هذا الكتاب وكتب الحسن بن أحمد الفارسي .

والشيرازيات مقسمة إلى ثلاثة عشر جزءاً ، وعلى ظاهر كل جزء التوثيق السابق من أبي علي لأبي غالب أحمد بن سابور .

(١) انظر لوحة ٧٦-٧٧

(٢) انظر مثلاً اللوحة ٧٤، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ٩٧ وهي كما ترى صفحات متقاربة

(٣) لوحة ٣٤ (٤) لوحة ٥٢ (٥) لوحة ٦٢

(٦) لوحة ٦٩ (٧) لوحة ٨٧ (٨) لوحة ١٤١

وكل جزء من هذه الأجزاء لا يستقل بما فيه عما قبله وما بعده بل هي مترابط
أحياناً. فأخر الجزء الثاني مثلاً (فعل) وفاعله في أول الجزء الثالث .
وآخر الجزء الثامن عبارة : ما أنشده أبو زيد . وفي أول الجزء التاسع : تعوجكم
على وأستقيم .
وقد تستقل الأجزاء أحياناً كاستقلال السابع عن الجزأين قبله وبعده : السادس
والثامن . واستقلال الحادى عشر كذلك .
هذا وتوجد نسخة من الشيرازيات عتيقة عادية عليها خط أبي علي في خزانة كتب
الأمير علي (رضى الله عنه) بنجف وأوراقها ٢٩٩^(١) .
ولم يستعن البغدادي بالشيرازيات كثيراً فجملة ما استعان بها مرتان : لإحداهما
في الجزء الأول من الخزانة : ٥١٥ والأخرى في الجزء الثالث منها : ١٥٦^(٢) .

(٢) انظر لإقليد الخزانة ١٠١

(١) انظر هامش لإقليد الخزانة ١٠١

من كتاب الشعر

ورد هذا الكتاب بأسماء مختلفة في كتب التراجم ، فالفهرست يذكره باسم « أبيات الإعراب » ، (١) وكذلك ذكره إرشاد الأريب (٢) وبغية الوعاة (٣) ، أما بروكلمان فقد ذكره باسم « كتاب الشعر » ، أو العضدى (٤) .

وجاء في الجزء الثالث من الحجة : « باسم شرح الأبيات المشككة الإعراب من الشعر » (٥) . ويبدو أن هذا هو الاسم الكامل للكتاب ، فذكره بعض المترجمين مختصراً مرة باسم أبيات الإعراب ، وأخرى باسم الشعر .

وقد أخرج Roldiger جزءاً من كتاب الشعر ، واشتمل هذا الجزء على « باب في تقسيم الكلم التي سميت بها الأفعال » ، والقدر الذي ورد فيه يلقي ضوءاً على منهج أبي علي في تناوله مسائل النحو كما جاء في هذا الكتاب .

ففي هذا الجزء الذي وصل إلينا قدّم أبو علي أولاً جملة أبيات يشتمل كل بيت منها على اسم فعل ، وكانت هذه الشواهد من شعر الأعشى ، وابن كلثوم ، والفرزدق ، وما أنشده أبو عبيدة ، وأحمد بن يحيى ، وعلي بن سليمان (الاخفش) وغيرهم : ثمانية شواهد نسب خمسة منها إلى قائلها ونص في بيت علي أن علي بن سليمان هو الذي أنشده ، وترك اثنين من غير نسب (٦) .

ثانياً : ثم تساءل عن هذه الكلمات : « أسماء الأفعال » : « أسماء هي أم أفعال ؟ وحكم بأنها أسماء ، ودلل على ذلك بأن الضمائر تنصل بها على حد اتصالها بغير الفعل ، وضرب مثلاً لذلك ب (ها) حيث اتصل الضمير بها في هاؤما وهاؤم ولم يكن هاها ، وهاها كقولك اضربها واضربوا ، ولكن كقولك أتما وأتم (٧) .

(١) الفهرست ٩٥ (٢) انظر معجم الأدباء : ٢٤٢/٧

(٣) انظر ٢١٧

(٤) انظر الجزء الاول ١١٣:١١٤ وملحق المجلد الاول ١٧٥:١٧٦ (وقد عدّه كتاباً

آخر غير الايضاح) مع أنهم يطلقون العضدى أحياناً على الإيضاح .

(٥) انظر الحجة ١٥/٣ نسخة البلدية (٦) انظر ص ٣ (٧) المصدر السابق

ثالثا : ثم أورد اعتراضا بأن الضمير قد يتصل بالفعل على حد ما اتصل بهاؤما وهائوما ، وذلك قولك قتما وقتم ، تسامل : وهلا لم يدل اتصاله على هذا الوجه عندك أنه اسم إذ قد يتصل بالفعل على ما أريناك (١) .

رابعا : وبعد أن رد ذلك الاعتراض أورد اعتراضاً آخر بالسؤال الآتي : هلا زعمت أنها أفعال ، لأنه كما اتصل به الضمير على حد ما ذكرته مما يتصل بغير الأفعال فقد اتصل به أيضاً على نحو ما يتصل بالفعل ، لأن أبا عمر قد حكى أن منهم من يقول : هاءاً وهاءوا فهذا مثل أضربا وأضربوا وهلا قلت : أنه يكون اسماً تارة وفعلاً أخرى ١٩

ثم أجاب عن ذلك الاعتراض (٢) ،

خامساً : وخلص من ذلك إلى أن اتصال الضمير بقولهم هاء في قول من قال هائيا لا يدل على أنه فعل محض إذ كان للشبه بغيره — في قولهم هات وهاتيا — كما أن اتصال الضمير بليس على حد اتصاله بكان لم يجعله مثله وإن كان قد جعل في الأعمال بمنزلة (٣) .

سادسا : ثم أسله ذلك إلى القضية الآتية والبرهان عليها : «كون ليس على أمثلة الماضي إنما هو شبه لفظي لا حقيقة تحته ،» .

سابعا : ثم استطرد من البرهان على القضية السابقة إلى قضية أخرى : «هذه الأمثلة : أسماء الأفعال ، إنما صيغت لتدل على ضروب الزمان ، ولولا ذلك لأغنت ألفاظ الأحداث عنها (٤) .»

ثامنا : وبعد أن برهن على القضية السابقة قرر القياس الآتي : تجريد كان وأخوتها للأزمنة ، وخلعهم دلالة الحديث عنها كتجريدهم من بعض الكلم الخطاب ، وخلعهم معنى الاسم عنه وذلك قولهم ذلك وأوثلك ، ودلل على هذه القضية (٥) . وأسله ذلك إلى :

تاسعا : «الكون الذي هو مصدر المثال المستقل بفاعله في الدلالة على الحدث

(٣) انظر ص ٥

(٢) انظر ص ٤

(١) انظر ص ٤

(٥) الصفحة السابقة

(٤) انظر ص ٦

كالكون الذى هو مصدر المثال الذى لا يستقل به (١) ، ثم عاد للتدليل على أن
« ليس » ليست فعلا على الحقيقة كأخواتها ولذلك لا توصل بها « ما » التى تكون
من الفعل فى تقدير المصدر كما وصلوها بأخواتها ألا ترى أنك لا تقول : « ما أحسن
ما ليس زيد قائما (٢) » ، وخلص من هذه القضايا والتدليل عليها إلى إثبات أن ليس
قيل فيه أنه فعل للشبه اللفظى .

عاشراً : وانتهى إلى النتيجة الآتية فى ذلك القياس : « كما كان هذا حكم ليس وأن
اتصل به الضمير على هذا النحو الذى اتصل كذلك حكم هاء فى قول من قال :
هاويا وهاؤوا (٣) .

ثم بدأ بذكر قضية جديدة ، ليأخذ فى التدليل عليها تلك أن قولهم :
« هاؤوا وهاؤم من نادر العربية وما لا نظير له » .
وهكذا يفتح أبوابا للنقاش والاعتراض والرد فى خلال البراهين على القضية
الواحدة .

وبعد أن ينتهى من الدليل الأول على أن أسماء الأفعال أسماء وليست
أفعالا يأخذ فى عرض دليل ثان ، وهو أن دراكٍ ونزالٍ وتراكٍ لو كانت
فعلا لوجب إذا نقلتها فسميت بها شيئا - أن تعربها ولا تدعها على بنائها -
كما هو الشأن فى الأفعال لا يختلف العرب ولا النحويون فى ذلك وإن كان عيسى
قد اختلف فى كيفية الإعراب (٤) .

ثم أخذ فى إيراد الاعتراضات وردها على نحو ما فعل فى الدليل الأول . من
هذه الاعتراضات التى أجاب عنها وردها :

(أ) فإن قلت : فهلا قلت أن نحو « دراك » فعل لإعراب بنى تميم من ذلك
فى التسمية ما لم يكن آخره راه ... ؟

(ب) فإن قلت : فهلا استدلت بتنوين ما نون من هذا على أنه اسم نحو
صه ومه لأن التنوين مما يختص الاسم كما أن دخول لام التعريف كذلك (٥) ...

(١) كان التامه والناقصة (٢) انظر ص ٧ (٣) انظر ص ٨

(٤) انظر ص ٩ (٥) انظر ص ١٠

وهكذا يمكن بيان الخطوط الرئيسية في منهج أبي علي كما جاء في هذا الجزء من كتاب الشعر :

(١) الاستكثار من الشواهد الشعرية وتقديمها بين يدي البحث ، ولعل ذلك كان السبب في تسمية الكتاب : « كتاب الشعر » .

(ب) السبر والتقسيم (القياس الاستثنائي الانفصالي) ، والبرهان المنطقي الذي هو أشبه ببراهين المهندسين . وأقدم ما يأتي توضيحا لذلك :

لا تخلو هذه الكلمات : أسماء الأفعال الواردة في الآيات : من أن تكون اسما أو فعلا ، ولو كان شيء من ذلك فعلا لاتصل الضمير بما اتصل به منها على حد ما يتصل بالأفعال .

فلما اتصل به على حد اتصاله بغير الفعل ثبت أنه إسم وليس بفعل (١) .

(ج) كثرة إيراد الاعتراضات وردها . وكثيراً ما يستعمل في التدليل « القياس مع الفارق » (٢) .

(د) الأسلوب الجدلي الذي يستلزم من القارئ اليقظة في تتبع القضايا والأدلة عليها ، وإلا انفكت جهة الكلام في ذهنه فلا يدري أين هو من الموضوع حيث يخرج من قضية إلى أخرى ومن اعتراض إلى آخر في استطراد وتفريع .

(هـ) استغلال العروض في التدليل ، فقد تعرض للتونين في القوافي في غاتمة الحديث عن التونين في صه .

والجزء الذي وصل إلينا من كتاب الشعر مرآة لثقافة أبي علي ، وضلوعته في مسائل النحو ، وبراعته في التدليل والجدال وتشقيق المقال .

هذا والجزء المذكور أخرجه (Roldiger) وطبع في (Holis) سنة ١٨٦٩ وفي قاعة الدراسات الشرقية بمكتبة جامعة القاهرة نسخة منه برقم ٦٧٥ لغة عربية . وقد أشار إلى هذه النسخة بروكلمان (٣) .

(١) الشعر ٣ (٢) انظر ص ٤

(٣) انظر المجلد الأول ١١٣-١١٤ والملحق ١٧٥-١٧٦

أقسام الأخبار

من المخطوطات المصورة بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية كتاب باسم « المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية ، وقد نبه واضع الفهرس إلى أن المجالس المذكورة تليها المسائل الآتية :

(١) مسائل من كلام تاج الدين زيد بن الحسن الكندى من ورقة (١٣٠ - ١٤٢) في المجموعة .

(٢) مسائل من كلام ابن جنى من ورقة (١٤٣ - ١٤٩) في المجموعة .
(٣) مسألة لأبي على الفارسى في الأخبار أولها : الأخبار تنقسم إلى ثمانية أقسام من ورقة (١٥٠ - ١٧١) في المجموعة (١) .

دعاني هذا إلى الاطلاع على أفلام هذه المجالس ، ثم تصوير ما هو خاص بابن جنى وشيخه أبي على ، فرأيت ما يجب أن ينص على تصحيحه :

فمسألة الأخبار التي نص واضع الفهرس على أنها تشمل ورقة (١٥٠ - ١٧١) ليست كذلك ، بل إن هذا الحيز في هذه المجموعة يشتمل على المسائل الآتية :

أولاً : مسألة الأخبار لأبي على وهي من ورقة (١٥١ - ١٥٣) فقط .
ثانياً : يلي المسألة السابقة أربع عشرة مسألة أخرى في موضوعات سأتناولها بالعرض والتعليق من (١٥٣ - ١٧٠) .

ثالثاً : ثم عقد فصل خاص نص على أنه من إملاء على بن عيسى الربيعي من (١٧٠ - ١٧٢) .

رابعاً : ثم ختمت هذه المسائل بمسألة من كلام أبي الفتح عثمان بن جنى ورقة (١٧٢) .

ومن هنا كان ما نص عليه واضع الفهرس من أن مسألة الأخبار لأبي على الفارسى تشغل من ملحق كتاب المجالس المذكورة للعلماء الورقات من (١٥٠ - ١٧١) يخالف حقيقة الواقع وإنما يتضمن هذا الحيز كل المسائل المذكورة سابقاً بعد هذا التصحيح أعرض لمسألة الأخبار بما يبدو لي من ملاحظ : فأول

ما يلحظ في هذه المسألة ذلك التقسيم المنطقي الجامع للصور العقلية الممكنة : فالأخبار تنقسم على ثمانية أقسام الصحيح السليم ، والتبجح النظم القريب من الفهم ، والخطأ ، والكذب المقرون بدليل الخلل فيه ، والكذب العاري من الدليل على موضع عيبه ، والمختل ، والملغى المقلوب (١) .

والكذب ينقسم خمسة أقسام : أحدهن تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية ، . . . وقسم آخر يكون كذب فيه أي قال قولاً يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد إلا الحق . . . وقسم آخر يكون كذب فيه بمعنى أخطأ . . . وقسم آخر يكون الكذب فيه بمعنى البطول : كذب الرجل بمعنى بطل عليه عمله وما رجي (كذا) ، ومعنى آخر للكذب وهو الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور (٢) .

ونجد خلال ذلك التقسيم : الاصطلاحات المنطقية كالحذ والقياس والدليل ، والفساد والصحة

وهناك سمة أخرى تلك الاستقصاء والاستطراد في الحديث .

وأخرى : التدليل على ما يقول بالقرآن الكريم (٣) (وبالحدِيث الشريف (٤) والشعر (٥) وكلام سيويه ، وما نظقت به العرب من مأثور كلامهم (٦) . وكل هذه السمات نتيجتها أن ظهرت شخصية أبي علي واضحة في الاحتجاج والتعليق .

* * *

ومسألة أقسام الأخبار في مجموعها تأخذ طابع البحث اللغوي ، ولا يأتي التعرض فيها إلى الصناعة النحوية إلا قليلاً يجيء عند تخريج بعض الأساليب : كقوله في شرح الإغراء من أقسام الكذب :

كقول العرب كذب عليك العسل ، يريدون كل العسل ، تلخيصه خطأ تارك العسل ورافضه ، فتاب المضاف إليه عن المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذب عليكم الحج ، وكذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم

(١) انظر لوحة ١٥١ (٢) انظر لوحة ١٥٢، ١٥٣ (٣) لوحة ١٥٢

(٤) لوحة ١٥٢ (٥) لوحة ١٥٢ (٦) لوحة ١٥٣

معناه ألزمو الحج والعمرة والجهاد . والمغرا (كذا) به مرفوع بكذب لا يجوز نصبه ، لأن كذب فعل لا بد له من فاعل ، وخبر لا يخلو (كذا) من محدث عنه فالفاعل والفاعل كلاهما تأويلهما الأمر والإغراء (١) .

وكذلك فعل في تخريج مثال الخبر المقلوب : تهيئني الفلاة ، وبلغتني الدار (٢) . فإذا تركت المسألة الأولى — مسألة أقسام الأخبار — إلى المسألة التي تليها وجدت نمطاً جديداً من العرض والأسلوب تختفي معهما ما عرف في أبي علي من طريقة عرضه للمسائل ، وبما يجعلني أميل إلى التوقف في نسبة هذه المسائل إليه ويدعوني إلى ذلك ما يأتي :

(١) رواية أقوال النحاة في المسألة الواحدة من غير تعليق : يروى أقوال النحويين في الاعتلال للخفض : لم لم يدخل على الأفعال فقالوا فيه ستة أقوال (٣) ، وقال النحويون في الاعتلال لحنقة الاسم ونقل الفعل خمسة أقوال (٤) ، وفي إعراب « فرأيك في ذلك موفق ، عشرة أوجه ، وإعراب هذا باب علم ما الكلم فيه خمسون جواباً . وبعد أن ذكر الوجه الخمسون قيل :

« وقد تبلغ هذه الوجوه ستين ، وتزيد على السبعين إذا استقصى التفرع فيها ، والذي بين من الأصول فيه غنى عن ذكر ما أسسك عن إيضاحه ، وإثبات الاختصار أولى إذا عرفت البغية ، وحصلت الفائدة ١١ كأنه لم يعد الأوجه الخمسين إطالة واستقصاء ، فأثر الاختصار وأولاه ، ا

ومن النادر أن تجد ما عرف عن أبي علي من ترجيح رأى على رأى ، والاعتراضات وردها غير شائعة في هذه المسائل ونادراً ما تكون (٥) .

(٢) عدم الحرص على نسبة أقوال النحويين إليهم ، وأبو علي كما عرفته - حريص على أن ينسب إلى كل نحوي قوله . ومن هنا تظالملك أمثال هذه العبارات : « للنحويين في المرفوع جوابان (٦) . وقال بعض النحويين (٧) . . . ، وقال النحويون أو كلهم أو أكثرهم (٨) . . وما هكذا عرف عن أبي علي :

(٣) موقف المسألة من الشيوخ الذين رأيت أبا علي يهاجمهم في كتبه التي اتصلت بها قراءة ودراسة ففي المسألة التي عقدت لتعليل ثبوت الهاء في عدد المذكر

(١) لوحة ١٥٣ (٢) انظر المصدر السابق

(٣) لوحة ١٥٣-١٥٥ (٤) لوحة ١٥٧-١٥٥ (٥) انظر لوحة ١٥٥-١٥٩

(٦) لوحة ١٦٠ (٧) ١٦٢-١٦٤ (٨) ١٦٣

من الثلاثة إلى العشرة ، وحذفها من عدد المؤنث تعليلات ثلاثة : أحدهن : للفراء ،
والثانية لأبي حاتم السجستاني والثالثة لمحمد بن يزيد (١) .

ترد أقوال هؤلاء الأئمة معترفاً بها جميعاً من غير تعليق على قول الفراء والمبرد
بخاصة وهما الشيخان اللذان اعتدت من أبي علي أن يتعقبا في أغلب ما رأيت —
صحيح أنه أورد قولاً للمبرد واحتجاجاً عليه ، ثم لم يدفع هذا الاحتجاج (٢) ،
وهذا معناه اقتناع من جامع هذه الآراء برأى من هاجم المبرد واحتج عليه فيما قال .

(٤) ورود أقوال البصريين والكوفيين ، ثم الانحياز الظاهر إلى رأى الكوفيين
وهو أمر لم أعهده في أبي علي ، وإليك نص يكشف عن ذلك : قال البصريون :
« الاسم لا يرفعه إلا ما قبله ، لأن الرفع عامل ، والمرفوع معمول فيه ، ورتبة
العامل التقدم على ما يعمل فيه إذا قال القائل : « قام زيد ، فاجلته مقامها مقام النجار
ومقام قام : الفأس ، وزيد بمنزلة الخشبة التي تعمل وتؤثر فيها الفأس . فالضمة في
زيد عملها وأثرها قام كما يؤثر الفأس في الخشبة الأثر الذي يشاهد ويرى .

قالوا : فن رفع الاسم بما بعده أحال ، لأن الأثر لا يسبق المؤثر كما لا يسبق
كسر الخشبة الفأس الذي عمله أحدثها .

وقال بعض الكوفيين : إذا قال القائل قام زيد فقام زيد مقام النجار ومقام
اللسان مقام الفأس والضمة التي في زيد عملها اللسان لعله والعلة قام ، والدليل على
صحة هذا أن اللسان يخالط زبداً كما يخالط الفأس الخشبة ، وتبين عملها للضمة في الذال
بمخروج الضمة من طرف اللسان معتمداً على الشفتين ، وما يظهر لقام مخالطة لزيد
يكون بها التأثير كما خالطت الفأس الخشبة وأثرت فيها وقالوا قولنا قام يرفع
زيداً اختصار .

وتقريب على المتعلم ، والذي توجبه الحقيقة أن المتكلم يرفع زبداً بلسانه
لمعنى وعلة ، فعلة الرفع قام والعلة لا ينكر تقدمها وتأخرها إذا كان العامل
لا يزاله التقدم (٣) .

وإذا صرفنا النظر عن هذه العلل الفلسفية .

نرى أن قوله : « وتقريب على المتعلم ، والذي توجبه الحقيقة . . . لا يكشف

عن شخصية أبي علي ، وغاية ما تكشف عنه هذه القهولة أن مقررهما ينحاز إلى هذا لرأى الذى يراه الكوفيون تمسكا بالحق ، وتقريباً على المتعلمين .

(٥) خفوت الدفاع عن سيويه لجامع هذه المسائل يورد أقوال خصوم سيويه ليراد المسلم بها لا يناقش ولا يعقب ولا يفند وقد رأيت أبا علي غير ذلك .

اقرأ مثلاً : طعن البصريون والكوفيون على سيويه فى قوله : « وإنما ذكرت لك ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل (وليس شىء منها إلا وهو يزول عنه ^(١)) ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء (لا يزول عنه) لغير شىء أحدث ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها ضرب من اللفظ فى الحرف ، وذلك الحرف يسمى حرف الأعراب ^(٢) » .

فقالوا : . موضع العيب من هذا أنه قال : لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين ما يبين عليه الحرف الذى يدخله ضرب من هذه الأربعة هو دال زيد وضمة حيث فتمثيلة على التقريب لا فرق بين دال زيد وضمة حيث وهذا خطأ فى الترتيب ، لأن دال زيد لا تشبه ضمة حيث ولا يحتاج إلى إيقاع فرق بينهما إذ كانت لا تلتبس بها .

ورد هذا على سيويه الكوفيون ، والأخفش ، والمازنى ، ومحمد بن يزيد ، واحتجوا على سيويه بأنه فى أول كتابه وهو موضع التعليم والإبانة والكشف والإيضاح ، فإذا أضر فيه ما يشكل على العلماء وأهل الحدق حتى يتنازعوه ، فيبطله بعضهم ويصوبه بعضهم كان ترتيبه فى هذا ترتيباً فاسداً إذ جعل أغض المشكلات حيث ينبغى الكشف ^(٣) . ١٠ هـ

وهكذا بلغ الحد بجامع هذه المسائل أن يصف ترتيب سيويه بالفساد ، ويقف أمام الاحتجاج على سيويه موقف المسلم فلا يدفع الاعتراض .
وأبو علي شديد التعصب لسيويه ، يدفع عنه الخصوم ، ويرد عنه الهجوم ، ويفهم الكتاب فلا يعتاص عليه منه شىء ، فلا تحط يمينه أن فى الكتاب مشكلاً حيث يجب الوضوح ، بله أن يصف ترتيب سيويه بالفساد !!

(١) ما بين قوسين ساقط والنكلة من الكتاب ٣/١

(٢) انظر النص فى الكتاب ٣/١ ، وما بين القوسين لم يرد فى المسائل المذكورة

(٣) لوحة ١٦٦

صحيح أنه ورد قول لسيبويه ثم احتجاج عليه ، ثم دفع هذا الاحتجاج : قال سيبويه : « لم يدخل الجزم على الأسماء لتمكنها ولحاق التنوين بها ، فلم يدخلوا الجازم على الأسماء فيجمعوا عليه ^(١) (كذا) ذهاب التنوين والحركة ، .

فسروا هذا الكلام بأن الجازم يسقط الحركة والتنوين إذا سقطت الحركة سقط معها فلا يجمع على الاسم سقوط هذين الشيتين منه .

فاحتج على سيبويه بأن العرب لما قالت لم يقم فلان أسقطوا بلم ضمة الميم ثم أسقطوا الواو من أجل سقوط الضمة حيث اجتمع ساكنان فهلا صلح هذا في الاسم كما أمكن مثله في الفعل ؟

فاحتج أصحابه بأن هذا جاز في الفعل لثقل الفعل ولم يمكن في الاسم لخفة الاسم ^(٢) .

ولكن يبدو من تضاعف الانتصار لسيبويه أن محرره ليس أبا علي ، والحظ قوله « فسروا هذا الكلام ، ثم قوله « احتج أصحابه ، وعهدى بأبي علي ينسب إليه تفسير كلام سيبويه ، وبعد نفسه أول أصحابه فلا يقول : « احتج أصحابه ، كما جاء في النص السابق ، وإنما ينسب أبو علي إليه هو ما يحتج به لسيبويه يفعل ذلك في صراحة وتخصيص دون إبهام أو لإجمال .

(٦) ما يفهم من العبارة التي ختمت بها هذه المسائل إذ نص فيها على أنها منقولة من خط ابن فخر ، وذكر أنه اختارها من جملة تعاليق شيخه ابن شيطا المقرئ . وكونها مختارات من جملة تعاليق معناه أنها لا تنسب لشخص بعينه فضلا عن أن تنسب لأبي علي . هذا وقد يبدو أسلوب أبي علي وطريقته في التناول خلال ما ورد من هذه المسائل من ذلك :

(١) السبر والتقسيم : المضاف إليه لا يخلوا (كذا) من أن يكون مملوكا للمضاف أو مالكا كقولهم سيد العرب وصاحب المال وعبد السيد ^(٣) .

(ب) المقايسة : جاء في هذه المسائل : « ولو فتح المضموم وضم المفتوح لساغ ذلك في القياس ، وجاز ، ولم يكن لحناً إلا لخلاف العرب فيما رسمت ورتبت ، كما

سموا الفقيه فقيهاً لفظنته . والنحوى نحويًا لقصدته نحو لغة العرب ، واختلف اللغتان لاختلاف الشخصين المقيبين ، ولو قيل للفقيه نحويًا لقصدته نحو حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) واتباعه ما فرض وسن ، ودعى النحوى فقيهاً لما يفتن له من غامض النحو ، ومستصعب عله لم يفسد ذلك بالقياس ، لكن التعارف والاستعمال يحظرانه ويبتلانه فضم الفاعل وفتح المفعول للفرق بين معنى الاسمين لا غير^(١) .

(ج) وفي النص السابق رأى يحرص عليه أبو علي ، وتردد في كتبه المختلفة وهو تقديم السماع على القياس^(٢) .

هذه نصوص تلتقى ضوءاً على شركة أبي علي في هذه المسائل ، وإن كنت قد استظهرت أنها — جمعاء — لا تنسب إليه ، وليس بعيد أن يكون لأبي علي ما في هذه المسائل من نصوص تتحدث عن أسلوبه ، استعان بها جامع هذه المسائل من غير أن ينسبها إلى أبي علي كما لم ينسب إلى غيره من النحاة في أغلب ما قال .

ولم يكن جامع هذه المسائل بعيد العهد عن أبي علي ، فهي مسائل منقولة من خط أبي الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوى وذكر أنه اختارها من جملة تعاليق شيخه أبي الفتح عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا المقرئ (رحمهما الله^(٣)) .

وأبو الكرم ترجم له السيوطى في البغية وذكر أنه عاش بين (٤٣١ — ٥٠٠ هـ^(٤)) وأما ابن شيطا فقد ولد في أخريات حياة أبي علي (ولد سنة ٥٣٧ هـ) وترجم له ابن الجزرى في غاية النهاية^(٥) .

وأخلص من ذلك إلى تلخيص الحقائق الآتية ، بعضها متصل بالشكل ، والآخر متصل بالموضوع :

(١) إن الورقات من (١٥١ — ١٧٣) من مخطوطة المجالس المذكورة للعلما لا تشمل على مسألة الاخبار وأقسامها وحدها؛ وإنما تشمل بجانب ذلك

(١) لوحة ١٦٦ (٢) انظر ص ٢٢٥ من هذا البحث (٣) لوحة ١٧٠

(٤) انظر البغية ص ٣٨٤ (٥) انظر ١/٤٧٣

— على مسائل آخر، ختمت بمسألتين : أحدهما من إملاء الربيعي ، والآخرى منسوبة لابن جنى .

(ب) مسألة الاخبار صحيحة النسبة إلى أبي علي لما يبدو في أسلوبها من خصائص عرف بها الشيخ في كتبه الأخرى .

(ج) بقية المسائل مجموعة من كلام النحاة وشخصية أبي علي فيها غير واضحة .

(د) بعض ماورد في هذه المسائل من الآراء يرجح أنه لأبي علي وإن لم ينسب إليه يدل على ذلك ما في هذه الآراء من خصائص أسلوب الشيخ التي عرفت عنه .

هذا والمجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية والتي ورد في أعقابها مسألة الاخبار لأبي علي — مخطوطة بخط نسخ جميل ، مضبوطة بالشكل ، وإن كانت تحتوى على بعض أخطاء هجائية (أشرت إلى بعضها عند الاستشهاد بالنصوص) وهي مصورة بمعهد المخطوطات من مكتبة داماد إبراهيم ٧٧٥ / ١^(١) .

المسائل المنثورة

هي مسائل نحوية وصرفية جمعها فيما يبدو بعض تلاميذ أبي علي بعد أن لقي ربه ، يؤيد ذلك أنه يتردد في مواضع مختلفات منها عبارة : قال أبو علي (رحمه الله ^(١)) أو قال شيخنا أبو علي (رضى الله عنه ^(٢)) والدعاء بالرحمة أو الرضوان يؤخذ منه أن هذه المسائل جمعت بعد أن انتقل الشيخ إلى جوار ربه ، جمعها أحد تلاميذه من كلامه ، وذكر فيها آراء الشيخ في مسائل نحوية وصرفية مختلفة .

ولا ترتبط طائفة من المسائل المنثورة بعضها ببعض ^(٣) ، وطائفة أخرى مسائل تتبع بابا معيناً كسائل وردت في شرح الحال ^(٤) والإستثناء ^(٥) وأى ^(٦) وأعراب الفعل ^(٧) وأم ^(٨) والنداء ^(٩) والممنوع من الصرف ^(١٠) والتصغير ^(١١) .

ويلحظ أيضاً في ترتيب المسائل المنثورة أن الأجزاء الأولى منها تتصل بمسائل نحوية وأنها ختمت بمسائل في التصريف .
ولعل هذا التماسك الإجمالي جاء نتيجة لمراجعة أبي علي بعض هذه المسائل ، وصنع من جمعها من تلاميذه في بعضها الآخر .

وربما خطر بالبال أن ترتيب هذه المسائل على هذه الصورة يتناقى مع تسميتها بالمنثورة ، وليس هناك في حقيقة الرأي شئ . من ذلك ، بل إن تسميتها بالمنثورة يؤكد ذلك الترابط ولا ينفيه ، ذلك أنها لا تنسب إلى بلد بعينه إذ يبدو من اسمها أنها أقيمت هنا وهناك ، ثم جمعت وروعى عند جمعها هذا الترابط الملحوظ .

أما البغداديات ، والبصريات ، والشيرازيات . فلا يبدو بين مسائلهن ما يبدو في المسائل المنثورة من التواصل ، لسبب قريب ، هو أن هذه المسائل أقيمت في هذه المدن : سوانح أفكار تخطر ، وإجابات عن أسئلة توجه ، وحلول لمشكلات تعرض ، وتوضيحات لمهمات تخفى إلى غير ذلك مما لا يكون معه في الأعم الأغلب وشيخة ماسة ، أو تواصل قريب ^(١٢) .

ومن اليسيران أن تتعرف في المسائل المنثورة - على رأى أبي علي ، ومدى توافقه مع من سبقوه من النحاة أو تخالفه ، إذ يرد في كثير من المسائل المنثورة آراء النحاة الأقدمين ثم رأى أبي علي ، واحتجاجه لما يقول ، ومن هنا كان من السهل أيضاً أن تتعرف على شخصية أبي علي في وضوح .

(١) المنثورة لوحة ١٤٣ - ١٤٦ مثلا	(٢) المصدر السابق ولوحة ١٤٧
(٣) كالمسائل التي أوردتها في لوحة ١٥٢	(٤) لوحة ١٤٥ (٥) لوحة ١٤٨
(٦) لوحة ١٥٣	(٧) لوحة ١٥٦ (٨) لوحة ١٦٠ (٩) لوحة ١٦٢
(١٠) لوحة ١٦٤	(١١) لوحة ١٦٨ (١٢) انظر لوحة ١٦٦ وما بعدها ١٦٨

« يطالعك تأييد ما أقول في كثرة ظاهرة - مثلا (١) - »

والمسائل المنشورة قليلة الاستطراد، موجزة في الإلمام واشتغال، وكثيراً ما تكون في اللوحة الواحدة ما يقرب من عشرين مسألة، ولكنها مع اختصارها جامعة في غير أمالال . وربما كان السبب في هذه الظاهرة أنها مجموعة وليست عملاً فلم يظهر فيها الاستطراد . وشي ملحظة - كذلك - في المنشورة هو أنها عنيت بإعراب الآيات القرآنية، والشواهد

الشعرية، والعبارات المألوفة التي تتصل بموضوع واحد مما يعذبذرة لمغنى ابن هشام : فهو إن تكلم في أن ، وأن أورد أرد ما يأتي وتحدث عن أوجه الإعراب فيه :

(أ) تقول يوشك أن يذهب . (ب) وقال الخليل أريد أن أفعل .

(ج) وأمرت أن أكون . (د) أيفضب أن أذنا قتيبة جزتا .

(هـ) وتقول : كتبت إليه أن أفعل . (و) وآخر ما أقول أن لا إله إلا الله .

(ز) وقوله سبحانه ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا (٢) .

وأن تكلم في أن وإن أورد :

(أ) أول ما أقول أني أحمد الله . (ب) ليت أن زيداً منطلق .

(ج) قد قاله الناس حتى أنه يقوله وانطلقوا حتى أنه يقول ذلك .

(د) مررت به فإذا أنه يقول ذلك (هـ) ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لنا .

(و) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق .

(ز) وقول كثير : ما أعطيتي ولا سألتها هـ إلا وأني لحاجزي كرمي .

(ح) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا با الله (٣) .

وفي كل عبارة من هذه العبارات يورد إعراب أن والأوجه الجائزة فيها مع

التدليل ، وكذلك فعل عند تحدته عن إعراب الفعل (٤) . وتطالعك التعبيرات الآتية

مثلا في المسائل المنشورة :

(أ) مسألة : قال البغداديون : أنها (يقصد أي) استفهام في قوله : دثم لنزعن من كل

شيعة تشايعوا فقالوا أيهم أشد جعلوها استفهاماً قال الشيخ : وهذا لا يجوز لأن (٥)

(ب) مسألة : إذا سميت رجلاً الذي قلت : لذئى كما ترى فتحذف الألف

واللام ، لأنها دخلت للصلة قال : وهذا يقوى مذهب شيخنا أبي علي لأنه (٤)

(١) لوحة ١٤٩ وما حوالها و١٦١ وما حوالها (٢) لوحة ١٦٣

(١) لوحة ١٦٤ (٢) لوحة ١٥٧ (٣) لوحة ١٥٣ (٤) لوحة ١٦٥

وقد رأيت أن هذه التعبيرات تشير إلى أن هذه الآراء لقنها أحد تلاميذ الشيخ وأتى بها مجموعة من المسائل المثورة . على أن الأفضى من هذه المسائل غفل من تلك الإشارات ، فهل كانت هذه المسائل للشيخ ابتداءً ؟ وإذا كان بعضها من جمع أحد تلاميذه فمن ذلكم التليذ ؟ وهناك إشارات تدل على أنها لمن يكنى بأبي الطيب وتلك - مثلا - .

مسألة : قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأقفيه ولكن بالمغيب نبئين

فيقول قائل : د ما ، ما معناها ؟ و د ذا ، ما معناها ؟ .

قال أبو الطيب : قال شيخنا أبو علي معناها ... الخ (١) . د وأخرى : أنشد أبو الطيب قال : أنشدنا أبو علي لبعض العرب (٢) .

فمن أبو الطيب ؟ استفتيت كتب التراجم فلم أعلم من يكنى بهذه الكنية - بمن اتصلوا بأبي علي إلا أبا الطيب اللغوى عبد الواحد بن علي ، وأبا الطيب المنبئ . وأبا الطيب محمد بن طويس القصرى .

وكلا الرجلين الأولين توفي في حياة أبي علي ، فأبو الطيب اللغوى توفي سنة ٣٥١ هـ والمتنفي سنة ٣٥٤ ، وقد استظهرت أن هذه المسائل كتبت بعد وفاة أبي علي وذلك ينق أن يكون أبو الطيب الذى يرد اسمه فيها أحد هذين الرجلين . ومن هنا أرجح أن يكون محمد بن طويس القصرى ويكنى أبا الطيب هو الذى يتردد اسمه في المسائل المثورة وقد كان تليذاً لأبي علي . وكان الشيخ يتعشقه وأملى عليه التصريات (٣) .

وقد استعان الشيخ عبد القادر البغدادي في خزائمه بالمسائل المثورة (٤) مرة في الجزء الأول (٥) ، ومثلاً في الرابع (٦) ، وثلاثاً في الثالث (٧) ، والباقي - وهو عشر - في الجزء الثانى (٨) .

(١) لوحة ١٦٢ (٢) لوحة ١٦٤، ١٦٧

(٣) انظر ٠ مجمع الأدباء ٢٠٦/١٨ وبنية الوعاء ٥٠

(٤) انظر إقليد الخزانة ١٠٢ (٥) ٩/١ (٦) ٤٥٥/٤

(٧) ٢٠٦٨- /-١٢٧٣

(٨) ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ١١٥ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٨

أبو علي والتصريف

في مجلس ضم أبا جعفر البصير الموصلی وأبا بكر بن شقير وأبا علي الفارسی قال أبو جعفر لأبي علي: في أي شيء تنظر يا فتى؟ قال: في التصريف لجعل يلقي عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر فهرب أبو علي منه إلى النوم وقال: أريد النوم، فقال هربت يا فتى! فقال: نعم اهربت^(١) اويدو أن ذلك كان في أوائل عهد أبي علي ولا يرضى أبو علي عن موقفه هذا، ويدفعه ذلك إلى الجد في التصريف، ويبلغ فيه مبلغاً جعله يوماً يقبل على أصحاب أبي بكر الحياط: أكبرهم سناً وأكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه، فيسأله كيف تبنى من سفرجل مثل عنكبوت فيجيبه مسرعاً: سفرووت، وتأخذ أبا علي نشوة الطرب وهزة الغلبة فيقوم في المسجد ويصفق بين الجماعة ويقول: سفرووت اسفرووت ا ويخجل أبو بكر بما جرى، ويستحي من أبي علي، ويدعو على أصحابه ألا يبارك الله فيهم، ولا يحسن جزاءهم^(٢) وهذه الواقعة تمثل مرحلة أخرى من مراحل اشتغال أبي علي بالتصريف، ولعلها تكشف عن نضج نظره فيه، وتمكنه منه.

وتعليل براعة أبي علي في التصريف ميسور، فما من شك في أن تفرد أبي علي بكتاب سيبويه، وشدة إكبابه عليه^(٣)، وعلبه العربية، واتصاله بأبي الحسن الأخفش وله مذاهب في التصريف^(٤)، وروايته تصريف المازني، وقرآنه^(٥)، وقرآته تصريف الفراء^(٦) كل أولئك كان من العوامل التي جعلت أبا علي يبرع في التصريف إلى ما ركب الله فيه من عقل حاضر، وحدة خاطر.

هذا وتجدر الصرفيات كثيراً في البغداديات^(٧) والمنثورة^(٨) وترى أبا علي في وزنه الكلمات وزناً صرفياً وبياناً أصلها يائياً كان أو واوياً يسلك السبل الآتية أو بعضاً منها: (١) فهو يناظر الكلمة الموزونة بكلمة أخرى كما في وزنه دم^(٩)، أصله فوه كثوب وأثواب.

(ب) أو يرجع إلى اشتقاقها كما في وزنه الأريية حيث قال: تكون أفعوله من

(١) معجم الأدباء: ٢٠٣/١٨ وروضات الجنات: ٢٢١

(٢) انظر الخصائص: ٥٩٤/٤ وما بعدها مخطوط بالخزانة الثمورية ٢٧٤

(٣) الامتاع: ١٣١/١ (٤) انظر الحجة ١٩٠/١ ن مراد ملا (٥) النصف: ٦

(٦) انظر خزانة الأدب: ٢٥٩/٢ (٧) انظر لوحة ٣٥ - ٥١

(٨) انظر النحس: ١٦٦ - ١٦٨ من أبي علي (٩) انظر النحس: ١٣٤/١

ربا يربو لارتفاعها على سائر أعضاء الإنسان أو لزيادتها عليه في الخلقه وإن شئت كان فعلية من الأرب الذي هو بمعنى التوقر^(١).

(ج) أو يحتكم إلى الأصول العربية العامة كما في وزنه ثندوة حيث قال : « أنها فعلة رباعية ، ولا تكون فعله ، لأن النون لا تزداد ثانية إلا بثبت ، ولا تكون فعلة لعدم هذا البناء . وأما ثندوة بالفتح وترك الهزمة ففعلوه كترقوة وذلك لكثرة هذا البناء ، وأن النون تزداد ثانية إلا بثبت ، ولا يجوز همزها مع الفتح ، لأنها تكون حينئذ فعله أو فعلة وكلاهما بناء عدم ولا تكون ثندوة فعلة لذلك أيضاً ، وإن الواو لا تكون أصلا في الأربعة^(٢) .

وقد ألم ابن جنى بهذا الأصل الأخير في كتابه مختصر التصريف^(٣) .

(د) أو يعتد — مع أصول العربية — بما يقوله النظار من أهلها ولا سيما سيويوه وأبي الحسن : قال في وزن إيل : فَعَل . فإن قال قائل : « وما أنكرت أن يكون إفعلا ؟ » قيل : « لأنهم يقولون : إيل ، فلو كان إيل إفعلا لكان إيل أفعلا وليس في الكلام أفعلا . » فإن قلت : « فما أنكرت أن يكون إيل أفعلا ويكون من باب افعل قيل له : « إن النظار من أهل العربية وغيرهم لا يجعلون ما فيه الإشكال أصلا ، أو لا ترى أن أبا الحسن لما أثبت أن في الكلام فعلا لم يحتج بجندب لأن جندبا قد يكون فعلا وإنما احتج بجندب إذ ليس فيه ما يوم الزيادة^(٤) . »
ومثل ذلك وزنه لكلمة امع في قولهم رجل امع وأنه فَعَل واستشهد بما قال سيويوه في إمر^(٥) .

(هـ) أو يعتبر اللام بالفاء في التصريف ، وهذا ما لحظه ابن سيدة وتلحم عبارته التي أورها في المخصص بعد أن أورد كلام أبي علي في الإثنية^(٦) .

وأنه يجوز أن يكون من الياء والواو يقال : « جاء يثفوه ويثفيه أي يتبعه وأن يكون من الواو أولى لقولهم جاء يثفه في هذا المعنى ، لأن الياء لا تحذف في مثل هذا ، ولا يلتفت إلى نيس لقلته وشذوذه » قال ابن سيدة ، وهذا أقوى ما كان أبو علي يروم به حقيقة التصريف أعنى أن يعتبر بإلغاء اللام^(٧) .

(و) ويقابل عدم اعتداد أبي علي بالقلة في النص السابق - اعتداده بالكثرة قال : « همزة سواء منقلبة عن ياء لقولهم في هذا المعنى سى ، ولأن باب طويت أكثر

(١) انظر المخصص : ٤٨/٢ وانظر وزنه لكتبي : محجن المخصص : ٧٤/٦ وعليه :
المخصص ١٦٢/٢ ، ١٣٣٥ (٢) المخصص ٢٢/٢ وانظر مثلا ٧٢/٢
(٣) انظر ص ١١ (٤) المخصص : ٣٢/٨ (٥) المخصص : ٥١/٣
(٦) انظر الاغفال : ١٥-١٧ رقم ٨٧٥ تفسير (٧) المخصص : ١٤٢/٤ وانظر ٣٤٢/١٦

من باب القوة والحوة^(١). والحمل على الأكثر وصى به أبو الحسن ، قال في مختصر التصريف الملوكي ، الثبة الجماعة من الناس وغيرهم والطبة طرف السيف جميعاً من الواو حملاً على الأكثر بذلك وصى أبو الحسن^(٢).

(ز) وأحياناً يقاب الأمر على جميع وجوهه مستعملاً طريقة السبر والتقسيم كحديثه في أن الفاء من آوى همزة^(٣).

(ح) أويستشهد بما روى ، فقد قال: إن الدم محذوف اللام ، ولامه ياء ، بدليل قوله: فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين^(٤) وقد نقل هذا ابن جنى في كتابه مختصر التصريف^(٥).

(ط) وبدهى أن إسناد الفعل إلى المخاطب والمتكلم يدل على أصله اليائي أو الواوي وهو أمر يعرفه المبتدئون .

هذه هي الطرق المختلفة التي يسلكها أبو علي في وزن الكلمات ، ومعرفته أصلها اليائي أو الواوي ، ولست أزعم أني حصرت كل ما كان يسلكه أبو علي في ذلك ، ولكنني ضربت الأمثلة ، ونوعت المسالك ، ورجعت بعضها على الأصول التي نظر إليها أبو علي بمقدار ما أعانني عليه النصوص المختلفة التي وردت إلى الشيخ في كتبه المختلفة أو كتب من نقل عنه واعتمد عليه .

ورأيت ابن جنى يسلك سبيل شيخه في التصريف ، فيتحدث عن بعض الدلائل في وزن الكلمات^(٦) .

كما أورد في كتابه مختصر التصريف الملوكي فصلاً في عقود وقوانين ينتفع بها في التصريف^(٧) .

هذا وما يتصل بهذا الموضوع هذه المسائل الصرفية التي قصد بها التدريب ورياضة النفس ، وامتحان فهم الطالب ، كقولهم : كيف تبني من كذا مثل كذا ، وقد برع أبو علي في هذا الباب ، وصار له مذهب خاص فيه^(٨) وكان ذلك من الموضوعات التي هاجمها - بحق - ابن مضاء^(٩) .

(١) الخصاص : ١٥١/١٥ (٢) مختصر التصريف ٣٦ وانظر قول ابن جنى : وليكن الحكم على الأكثر لا على الأقل وانظر ص ١١
(٣) الخصاص : ٧٣/٨ وانظر ٢١/٦ - ٣٢١/١٢
(٤) الخصاص : ٩٢/٦ وانظر ٤/٣ (٥) انظر ٣٦: ٣٧
(٦) انظر مثلاً ما يعلم به حال التاء والتون من اصالة أو زيادة في سر صناعة الاعراب ١٨٦ تحقيق الاستاذ مصطفى السقا وزملائه (٧) انظر ص ٤١ وما بعدها
(٨) انظر شرح الجاربردى على الشافية : ٣٦٠/١
(٩) انظر الرد على النجاة : ١٦١ الطبعة الأولى ١٩٤٧ م

الباب السادس

دراسات مقارنة بين أبي علي

وأعلام النخاة من معاصريه

كان لا تقسم الدولة العباسية إلى دويلات أثره في تعدد مواطن العلم والتنافس من الأمراء على اجتذاب العلماء كما سبق البيان ، وودت كل دويلة لو استأثرت بقيادة الفكر وأعلام الأدب ، وكان أن تسابق هؤلاء وهؤلاء إلى حضرة أصحاب السلطان هنا وهناك ، وحرص كل بحكم الطبيعة ودواعي العيش أن يكون صاحب الخطوة حيثما حل ، مما أدى إلى التنافس فالتباغض والتحاسد ، وقد تبار هذا التنافس حول شخصية ملأت الدنيا وشغلت الناس ، تلك هي المتنبّي : ، فكان هناك ما يشبه مذهبين أو مدرستين على حد تعبيرنا الحديث : مدرسة تتعصب للمتنبّي ، ولها رجالها وأنصارها ، وأخرى تتعصب عليه ، ولها رجالها وأنصارها كذلك وكان لهذا التعصب مظاهر وآثار سأتناولها بالبيان الذي يلقي الضوء على العلاقة بين الفارسي والبارزين من أهل العلم والأدب في عصره ، وهو ما يمت إلى هذا البحث بحبل متين .

فن أولئك الذين كانوا يتعصبون للمتنبّي ؟ ومن الزارون عليه ؟ وأين من هؤلاء وهؤلاء أبو علي الفارسي ومن لف لفه ؟
تحدثنا كتب التراجم والتاريخ أن من المتعصبين للمتنبّي : أبا علي الفارسي ، وابن جني وعلي بن عيسى الربيعي .

ويقابل هؤلاء ابن خالويه ، وأبو فراس ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو حيان التوحيدي ، وعلي بن عيسى الرماني ، والصاحب بن عباد وغيرهم ، واجتمع هؤلاء وهؤلاء ببلاد الملوك حينئذ ، فدبت الفتنة ، وتحرك الشر ، وكانوا شيعاً وأحزاباً يدوق بعضها بأس بعض ، ورويت أحاديث تصور ما كان بين الطائفتين من مظاهر

التنافس وآثار الضغينة ، كالذي كان بين المتنبي وابن خالويه في مجلس سيف الدولة (١) ، وما كان بين المتنبي وأبي فراس (٢)

* * *

وكان أبو سعيد السيرافي يحط من شعر المتنبي ، ويفضل عليه غيره من الشعراء ، أورد ياقوت في معجمه قال : « فضل أبو سعيد السيرافي قصيدة لشاعر فيها قصيدة لأبي الطيب المتنبي ، فقال أبو الحسين محمد المغربي راوية المتنبي ، وصاحب كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي ، : ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد ؛ إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة ، وبمثل هذا جرت سنة العرب في القديم ، كانت تضرب للناطقة خيمة من آدم بسوق عكاظ ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق ، فتعرض أشعارها عليه فيحكم لمن أجاد . . . ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس (٣) .

وتتمثل في هذا النص الحقائق الآتية :

(١) أبو سعيد السيرافي يتمصب على المتنبي ويذري بشعره .

(٢) أبو الحسين المغربي راوية المتنبي يناصره ، ويدافع عنه ، ثم :

أ - يهاجم أبا سعيد السيرافي .

ب - ويفضل عليه أبا علي الفسوي نصير المتنبي وعارف فضله .

وهكذا تتبلر الأهواء حول المتنبي أو تنصرف عنه متعصبة له ، أو متزيرة به .

وهذا ابن الدهان شارح كتاب اللمع لابن جني يرى رأى الفارسي ويرجحه (٤)

ويتعقب السيرافي ويفسد رأيه (٥) .

ولأبي حيان التوحيدى - تليذ السيرافي - « الرد على ابن جني في شعر المتنبي ،

ذكره ياقوت في معجمه ، وابن عساكر في عيون التواريخ (٦) .

* * *

(١) انظر الصبح المنبي ٤٤، ٤٥، والتبيان للمكبري ٧٠/٢

(٢) انظر الصبح المنبي ٤٥

(٣) معجم الأدبا - لياقوت ٨/١٨٨-١٨٩ ط دار المأمون

(٤) انظر ١/١٥٠، ١٨٧، ٢٧، ٢٦ (٥) انظر شرح اللمع لابن الدهان ١٠/١

(٦) انظر النسخة المخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٩٧

وكل طائفة — سواء أكانت متعصبة للمتنبى أم زارية عليه — تحتفل بمن تكره المدرسة الأخرى، ولا يصفو رجالها لرجال هذه الطائفة : فالفارسي يعجب بالمتنبى (١) ويهاجم ابن خالويه الزاري عليه (٢)، ويؤلف الفارسي نقض الهاذوري على ابن خالويه (٣)، وفي تغليظه (٤)، وتعقيبات ابن خالويه على الفارسي معروفة (٥)، ومجالس الجدل وما جرى بينهما من كلام تعرض لها ابن الأنباري (٦)، ودون طرفاً منها أبو علي في رسائله إلى سيف الدولة (٧)، وابن خالويه يحتفل بأبي فراس خصم المتنبى (٨)، فيتولى شرح ديوانه، وأبو حيان يضع من الفارسي فيذكره بالتخالع، كما يضع من المتنبى فيرد على ابن جنى في شعر المتنبى ويرفع كلا من السيراني (٩) والرماني (١٠)، والسيراني ينتصر لابن خالويه على الفارسي (١١)، والبديهي الشاعر يذم الرماني (١٢)، وينتصر أبو حيان للرماني فيتهم البديهي بأنه مفسول الشعر على حين كان البديهي مقدماً عند صاحب بن عباد (١٣). والصاحب على صلة من الود مع أبي علي الفارسي (١٤)، والفارسي يعد نحوه هو النحو، ولا شيء منه عند الرماني (١٥)، وكل من ابن جنى والربيعي يحتفل بالمتنبى فيشرح ديوانه، وهكذا تطرد هذه الظاهرة التفاضلية نحو المتنبى، أو تفرقا عنه، إلا الصاحب بن عباد الذي ساءت العلاقة بينه وبين كل من المتنبى وخصمه أبي حيان — معاً — فهو يكره المتنبى ويؤلف ضده ويكشف عن مساويه (١٦)، على حين أن أبا حيان يثلب الصاحب فيؤلف فيه وفي أبي الفضل بن العميد، مثال الوزيرين (١٧)، كما رد على ابن جنى في شعر المتنبى. ولكن الظروف هي التي سلخت الصاحب من المدرسة المتعصبة للمتنبى، أو قل: إن كبرياء المتنبى وشموخه بأنفه

- (١) نزعة الألباء ٢٠١ (٢) الصبح الثاني ٤٥ (٣) خزنة الأدب ١١/١
 (٤) الفلاكة والفلوكون ١٠٢ (٥) الزهر ٢٢٧/٢ (٦) نزعة الألباء ٢٥٨
 (٧) المسائل الخليليات ٣٣ ظهر (٨) الصبح الثاني ٤٥ وما بعدها
 (٩) معجم الادباء ١٥٣/٨ (١٠) الامتاع والمؤانسة ١٢٨
 (١١) إنباء الرواة ترجمة الفارسي (ونس عبارة ان مكتوم في تلخيص أخبار النحويين
 واللغويين في ترجمة ابن خالويه : كان ينتصر له أبو علي الفارسي، وقد زيدت كلمة (أبو) بين
 الكلمتين له والضمير فيه يعود على السيراني والفارسي ؛ وقد رجعت إلى إنباء الرواة وهو
 ما لحصه ابن مكتوم فوجدت العبارة صريحة في أن السيراني كان ينتصر لابن خالويه على الفارسي.
 (١٢) البصائر والنخائر ١٤١ (١٣) بتيمة الدهر ٣٨/٣ (١٤) معجم الادباء ٢٤٩/٧
 (١٥) نزعة الالاء ٢١١ (١٦) معجم الادباء ٢٦٠/٦
 (١٧) أبو حيان التوحيدى ١٩٠ وما بعدها

على صاحب هي التي خلقت من هذا الأخير عدواً للثني، يذكر له سيئاته، ويطوى عنه حسناته، (١).

ولو جرى الأمر كما كان يهوى ابن عباد لانعدت بينهما المودة كما تأكدت بين المثني وابن العميد الذي مدحه الشاعر باللسان العربي، والرأى الفلسفي واصطناعه ما يصطنع الفارسيون في الاعياد.

ثم انتقل إلى تحقيق رأى أبي حيان في كل من السيراني و الفارسي، ثم رأى الفارسي في نحو كل من الرماني (٢) والزجاجي:

(١) « مناقشة رأى أبي حيان في كل من السيراني وأبي على الفارسي » .

رأينا كيف كان أبو حيان التوحيدى متعصباً لأبي سعيد، وربما كان من أسباب هذا التعصب أن أبا سعيد أستاذ لأبي حيان، وقد حفظ أبو حيان لهذه الأستاذية قدرها، فهو لا يذكر أبا سعيد إلا في إجلال وإفاضة في الثناء، كأن يقول مثلاً: « حدثني أبو سعيد السيراني: « وهمك من رجل، وناهيك من عالم، وشرعك من صدوق (٣) ... »

أو يقول عنه: « وهو اليوم — عالم العالم، وشيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض (٤)، أو هو « شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل (٥)، ويروى عن أبي سليمان أنه قال عن جواب أسمعه إياه أبو حيان من كلام أبي سعيد: « هذا حسن مقبول، ويدل على أن ما سمعته من هذا الشيخ غيظ من فيض، وشرارة من حريق، (٦) ، فأنت ترى أن أبا حيان يعلو بشيخه أبي سعيد حتى يفضل على جميع العلماء في عصره، وأنه في فضله منقطع النظير. وبدهى أن أبا على الفارسي المعاصر في زمرة هؤلاء العلماء الذين يفضلهم السيراني.

وإلى جانب هذه الأستاذية سبب آخر يدفع أبا حيان إلى تفضيل أبي سعيد؛ ذلك أن أبا سعيد: « أروى في الحديث » (٧)، والمحدثون كانوا يعدون أكبر العلماء شأنًا، بل كانوا يعدون من أعظم رجال الإسلام، (٨)، ومن هنا كان الاهتمام بسماع الحديث كبيراً حتى حكوا أن الحميدى المحدث المشهور كان أبوه

(١) انظر الصبح المنى ١٨٠ (٢) ديوان المثني

(٣) المقاييس ٥٢ (٤) المقاييس ٧٥ (٥) معجم الادباء ١٥٢/٨

(٦) المقاييس ١٧٦ (٧) الامتاع ٣٢/١ (٨) الحضارة الاسلامية ٣١٦/١

يحملة — صغيراً — على كتفه إلى مجلس الحديث (١)

وكان السيرافي أشبه بالمحافظين، يروى ما يسمع، ويحفظ ما يروى على كثرة ما يروى وما يحفظ في ثقة وأمانة (٢)، وقد كان أبو حيان يناصر أصحاب الأثر والرواية، ويفضلم على المتكلمين أصحاب الرأي والقياس (٣)، وكان يرى رأى شيخه أبي سليمان المنطقي الذي قال: «إن الدين موضوع على القبول والتسليم، والمبالغة في التعظيم، وليس فيه لم، ولا، وكيف، إلا بقدر ما يؤكد أصله، ويشد أزره، وينفي عارض السوء عنه، لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك ويقدم في القرع بالتهمة (٤)» ذلك كله بعض ما قرب أبا سعيد إلى أبي حيان وأبعد الفارسي عنه، وقد لف لف أبي حيان الشيخ أبو منصور موهوب بن الخضر الجواليقي، فقلما كان ينبل عنده بمارس للصناعة النحوية، ولو طال فيها باعه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه ضروها.. ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي (رحمهما الله)، ويقول: «أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحقفاً بالرواية وأثرى منه فيها» (٥).

والحق أن أبا علي لم يكن خلو الوفاض من الرواية، بل كان له فيها سابقة، وربما ترك هذا تيبياً واستحياء، وقد كان يبلغ من ورع البعض أن يتهب رواية الحديث (٦). وقد بينت في فصل سابق كيف كان أبو علي محدثاً. وقد روى عن الزجاج كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم (٧).

وقد ذكر أبو علي مع أولئك الذين سمعوا، ورووا، وأخذ عنهم: فالخطيب البغدادي يذكر أن أبا علي سمع على علي بن الحسين بن معدان (صاحب اسحق بن راهويه) (٨).

وقد روى عن أبي علي التنوخي والجوهري (٩) وربما كان مظهر تورعه

(١) المصدر السابق ٣٠٣/١ (٢) ظهر الإسلام ٢٤٣/١

(٣) أبو حيان التوحيدى ١٤٧ (٤) الإمتاع ١٨٧/٣

(٥) معجم الأدباء ٢٥٤/٧

(٦) الحضارة الإسلامية ٣٠١/١

(٧) انظر المخطوطة رقم ٦٧ ش نحو ضمن مجموعة الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة. وفي الأمانة العامة للجامعة العربية (مهد إحياء المخطوطات) كتاب الخيل للأصمى رواية أبي علي الفارسي عن اليزيدى عن عبدالرحمن ابن أخي الاصمى عن الاصمى في ورقة ٤٧ف ٧٨٦

(٨) تاريخ بغداد ٢٧٥/٧ (٩) لسان الميزان ١٩٥/٢

أن المترجمين له يصفونه بالصدق في نفسه^(١)، وقد كان أبو علي يقول: «قد سمعت الكثير في أول الأمر، وكنت أستحي أن أقول: «اثبتوا اسمي»،^(٢) وجاء في كتابه الحجة ما يدل على تحديثه قال: «حدثنا الكندي قال: «حدثنا المؤمل قال: «حدثنا إسماعيل بن عليه عن أبي رجاء قال سمعت عكرمة يقول: «ولا تمن تستكثر» قال: «لا تعط شيئاً لتعطى أكثر منه»^(٣)، وقال أبو علي الفارسي فيما روى ابن جنى عنه: «أخطيء في خمسين مسألة فيما به الرواية — ويجعلها صاحب الروضات مائة»^(٤)، ولا أخطيء في واحدة من القياس»^(٥) — ليس معناه أنه ضعيف في الرواية أو اللغة، بل على العكس من ذلك هو دليل — كما أفهم — على تصلعه فيها، ذلك أنه لا يستطيع أن يقيس قياساً صحيحاً إلا إذا كان واسع الدراية بما فيه الرواية، قال الشيخ أبو محمد بن الحشاش «وكثيراً ما تحصى السقطات على الخذاق من أهل الصناعة النحوية، لتقصيرهم في هذا الباب — باب الرواية — فنه يذهبون من جهته يؤتون»^(٦)، ولعل أبا علي أراد بعبارة أن يبرهن على براعته في القياس، وتمرسه به، وقد كان في عصر يقدر فيه من يعرف خفي القياس، وصحيح البرهان، وسر الكلام، ويعدونه من خاصة الخاصة^(٧).

ثم انتقل إلى مناقشة جانب آخر من أسباب تفضيل أبي سعيد، وذلك علم أبي سعيد ويتجلى في:

(١) «شرح الكتاب»^(٨) والحق أن تفسير أبي سعيد السيراني للكتاب على هذه الصورة الجامعة من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته — يعد مفخرة^(٩)، ولقد قال أبو حيان إن أصحابه حدثوه بأن أبا علي اشترى شرح أبي سعيد في الأهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين^(١٠)، قال: وهذا حديث مشهور، وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به — إلا من زعم أنه أراد النقض عليه، وإظهار الخطأ فيه^(١١)، وليس بعيداً أن يحرص أبو علي على شرح أبي سعيد،

(١) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ وفيات سنة ٣٧٧ هـ وانظر معجم الأدباء ٢٥٣/٧

(٢) معجم الأدباء ٢٥٥/٧ (٣) الحجة ٣٠/٣ نسخة البلدية

(٤) انظر روضات الجنات ٢١٩ (٥) نزعة الألباء ٢١٠

(٦) معجم الأدباء ٢٥٥/٧ (٧) الامتاع ١١٧/١

(٨) الامتاع ١٣١/١ (٩) انظر مثلاً ج ٢ ص ١٢٨؛ ١٣٠؛ ١٣١؛ ١٣٢؛ ١٣٣؛ ١٣٤؛ ١٣٥؛ ١٣٦؛ ١٣٧؛ ١٣٨؛ ١٣٩؛ ١٤٠؛ ١٤١؛ ١٤٢؛ ١٤٣؛ ١٤٤؛ ١٤٥؛ ١٤٦؛ ١٤٧؛ ١٤٨؛ ١٤٩؛ ١٥٠؛ ١٥١؛ ١٥٢؛ ١٥٣؛ ١٥٤؛ ١٥٥؛ ١٥٦؛ ١٥٧؛ ١٥٨؛ ١٥٩؛ ١٦٠؛ ١٦١؛ ١٦٢؛ ١٦٣؛ ١٦٤؛ ١٦٥؛ ١٦٦؛ ١٦٧؛ ١٦٨؛ ١٦٩؛ ١٧٠؛ ١٧١؛ ١٧٢؛ ١٧٣؛ ١٧٤؛ ١٧٥؛ ١٧٦؛ ١٧٧؛ ١٧٨؛ ١٧٩؛ ١٨٠؛ ١٨١؛ ١٨٢؛ ١٨٣؛ ١٨٤؛ ١٨٥؛ ١٨٦؛ ١٨٧؛ ١٨٨؛ ١٨٩؛ ١٩٠؛ ١٩١؛ ١٩٢؛ ١٩٣؛ ١٩٤؛ ١٩٥؛ ١٩٦؛ ١٩٧؛ ١٩٨؛ ١٩٩؛ ٢٠٠؛ ٢٠١؛ ٢٠٢؛ ٢٠٣؛ ٢٠٤؛ ٢٠٥؛ ٢٠٦؛ ٢٠٧؛ ٢٠٨؛ ٢٠٩؛ ٢١٠؛ ٢١١؛ ٢١٢؛ ٢١٣؛ ٢١٤؛ ٢١٥؛ ٢١٦؛ ٢١٧؛ ٢١٨؛ ٢١٩؛ ٢٢٠؛ ٢٢١؛ ٢٢٢؛ ٢٢٣؛ ٢٢٤؛ ٢٢٥؛ ٢٢٦؛ ٢٢٧؛ ٢٢٨؛ ٢٢٩؛ ٢٣٠؛ ٢٣١؛ ٢٣٢؛ ٢٣٣؛ ٢٣٤؛ ٢٣٥؛ ٢٣٦؛ ٢٣٧؛ ٢٣٨؛ ٢٣٩؛ ٢٤٠؛ ٢٤١؛ ٢٤٢؛ ٢٤٣؛ ٢٤٤؛ ٢٤٥؛ ٢٤٦؛ ٢٤٧؛ ٢٤٨؛ ٢٤٩؛ ٢٥٠؛ ٢٥١؛ ٢٥٢؛ ٢٥٣؛ ٢٥٤؛ ٢٥٥؛ ٢٥٦؛ ٢٥٧؛ ٢٥٨؛ ٢٥٩؛ ٢٦٠؛ ٢٦١؛ ٢٦٢؛ ٢٦٣؛ ٢٦٤؛ ٢٦٥؛ ٢٦٦؛ ٢٦٧؛ ٢٦٨؛ ٢٦٩؛ ٢٧٠؛ ٢٧١؛ ٢٧٢؛ ٢٧٣؛ ٢٧٤؛ ٢٧٥؛ ٢٧٦؛ ٢٧٧؛ ٢٧٨؛ ٢٧٩؛ ٢٨٠؛ ٢٨١؛ ٢٨٢؛ ٢٨٣؛ ٢٨٤؛ ٢٨٥؛ ٢٨٦؛ ٢٨٧؛ ٢٨٨؛ ٢٨٩؛ ٢٩٠؛ ٢٩١؛ ٢٩٢؛ ٢٩٣؛ ٢٩٤؛ ٢٩٥؛ ٢٩٦؛ ٢٩٧؛ ٢٩٨؛ ٢٩٩؛ ٣٠٠؛ ٣٠١؛ ٣٠٢؛ ٣٠٣؛ ٣٠٤؛ ٣٠٥؛ ٣٠٦؛ ٣٠٧؛ ٣٠٨؛ ٣٠٩؛ ٣١٠؛ ٣١١؛ ٣١٢؛ ٣١٣؛ ٣١٤؛ ٣١٥؛ ٣١٦؛ ٣١٧؛ ٣١٨؛ ٣١٩؛ ٣٢٠؛ ٣٢١؛ ٣٢٢؛ ٣٢٣؛ ٣٢٤؛ ٣٢٥؛ ٣٢٦؛ ٣٢٧؛ ٣٢٨؛ ٣٢٩؛ ٣٣٠؛ ٣٣١؛ ٣٣٢؛ ٣٣٣؛ ٣٣٤؛ ٣٣٥؛ ٣٣٦؛ ٣٣٧؛ ٣٣٨؛ ٣٣٩؛ ٣٤٠؛ ٣٤١؛ ٣٤٢؛ ٣٤٣؛ ٣٤٤؛ ٣٤٥؛ ٣٤٦؛ ٣٤٧؛ ٣٤٨؛ ٣٤٩؛ ٣٥٠؛ ٣٥١؛ ٣٥٢؛ ٣٥٣؛ ٣٥٤؛ ٣٥٥؛ ٣٥٦؛ ٣٥٧؛ ٣٥٨؛ ٣٥٩؛ ٣٦٠؛ ٣٦١؛ ٣٦٢؛ ٣٦٣؛ ٣٦٤؛ ٣٦٥؛ ٣٦٦؛ ٣٦٧؛ ٣٦٨؛ ٣٦٩؛ ٣٧٠؛ ٣٧١؛ ٣٧٢؛ ٣٧٣؛ ٣٧٤؛ ٣٧٥؛ ٣٧٦؛ ٣٧٧؛ ٣٧٨؛ ٣٧٩؛ ٣٨٠؛ ٣٨١؛ ٣٨٢؛ ٣٨٣؛ ٣٨٤؛ ٣٨٥؛ ٣٨٦؛ ٣٨٧؛ ٣٨٨؛ ٣٨٩؛ ٣٩٠؛ ٣٩١؛ ٣٩٢؛ ٣٩٣؛ ٣٩٤؛ ٣٩٥؛ ٣٩٦؛ ٣٩٧؛ ٣٩٨؛ ٣٩٩؛ ٤٠٠؛ ٤٠١؛ ٤٠٢؛ ٤٠٣؛ ٤٠٤؛ ٤٠٥؛ ٤٠٦؛ ٤٠٧؛ ٤٠٨؛ ٤٠٩؛ ٤١٠؛ ٤١١؛ ٤١٢؛ ٤١٣؛ ٤١٤؛ ٤١٥؛ ٤١٦؛ ٤١٧؛ ٤١٨؛ ٤١٩؛ ٤٢٠؛ ٤٢١؛ ٤٢٢؛ ٤٢٣؛ ٤٢٤؛ ٤٢٥؛ ٤٢٦؛ ٤٢٧؛ ٤٢٨؛ ٤٢٩؛ ٤٣٠؛ ٤٣١؛ ٤٣٢؛ ٤٣٣؛ ٤٣٤؛ ٤٣٥؛ ٤٣٦؛ ٤٣٧؛ ٤٣٨؛ ٤٣٩؛ ٤٤٠؛ ٤٤١؛ ٤٤٢؛ ٤٤٣؛ ٤٤٤؛ ٤٤٥؛ ٤٤٦؛ ٤٤٧؛ ٤٤٨؛ ٤٤٩؛ ٤٥٠؛ ٤٥١؛ ٤٥٢؛ ٤٥٣؛ ٤٥٤؛ ٤٥٥؛ ٤٥٦؛ ٤٥٧؛ ٤٥٨؛ ٤٥٩؛ ٤٦٠؛ ٤٦١؛ ٤٦٢؛ ٤٦٣؛ ٤٦٤؛ ٤٦٥؛ ٤٦٦؛ ٤٦٧؛ ٤٦٨؛ ٤٦٩؛ ٤٧٠؛ ٤٧١؛ ٤٧٢؛ ٤٧٣؛ ٤٧٤؛ ٤٧٥؛ ٤٧٦؛ ٤٧٧؛ ٤٧٨؛ ٤٧٩؛ ٤٨٠؛ ٤٨١؛ ٤٨٢؛ ٤٨٣؛ ٤٨٤؛ ٤٨٥؛ ٤٨٦؛ ٤٨٧؛ ٤٨٨؛ ٤٨٩؛ ٤٩٠؛ ٤٩١؛ ٤٩٢؛ ٤٩٣؛ ٤٩٤؛ ٤٩٥؛ ٤٩٦؛ ٤٩٧؛ ٤٩٨؛ ٤٩٩؛ ٥٠٠؛ ٥٠١؛ ٥٠٢؛ ٥٠٣؛ ٥٠٤؛ ٥٠٥؛ ٥٠٦؛ ٥٠٧؛ ٥٠٨؛ ٥٠٩؛ ٥١٠؛ ٥١١؛ ٥١٢؛ ٥١٣؛ ٥١٤؛ ٥١٥؛ ٥١٦؛ ٥١٧؛ ٥١٨؛ ٥١٩؛ ٥٢٠؛ ٥٢١؛ ٥٢٢؛ ٥٢٣؛ ٥٢٤؛ ٥٢٥؛ ٥٢٦؛ ٥٢٧؛ ٥٢٨؛ ٥٢٩؛ ٥٣٠؛ ٥٣١؛ ٥٣٢؛ ٥٣٣؛ ٥٣٤؛ ٥٣٥؛ ٥٣٦؛ ٥٣٧؛ ٥٣٨؛ ٥٣٩؛ ٥٤٠؛ ٥٤١؛ ٥٤٢؛ ٥٤٣؛ ٥٤٤؛ ٥٤٥؛ ٥٤٦؛ ٥٤٧؛ ٥٤٨؛ ٥٤٩؛ ٥٥٠؛ ٥٥١؛ ٥٥٢؛ ٥٥٣؛ ٥٥٤؛ ٥٥٥؛ ٥٥٦؛ ٥٥٧؛ ٥٥٨؛ ٥٥٩؛ ٥٦٠؛ ٥٦١؛ ٥٦٢؛ ٥٦٣؛ ٥٦٤؛ ٥٦٥؛ ٥٦٦؛ ٥٦٧؛ ٥٦٨؛ ٥٦٩؛ ٥٧٠؛ ٥٧١؛ ٥٧٢؛ ٥٧٣؛ ٥٧٤؛ ٥٧٥؛ ٥٧٦؛ ٥٧٧؛ ٥٧٨؛ ٥٧٩؛ ٥٨٠؛ ٥٨١؛ ٥٨٢؛ ٥٨٣؛ ٥٨٤؛ ٥٨٥؛ ٥٨٦؛ ٥٨٧؛ ٥٨٨؛ ٥٨٩؛ ٥٩٠؛ ٥٩١؛ ٥٩٢؛ ٥٩٣؛ ٥٩٤؛ ٥٩٥؛ ٥٩٦؛ ٥٩٧؛ ٥٩٨؛ ٥٩٩؛ ٦٠٠؛ ٦٠١؛ ٦٠٢؛ ٦٠٣؛ ٦٠٤؛ ٦٠٥؛ ٦٠٦؛ ٦٠٧؛ ٦٠٨؛ ٦٠٩؛ ٦١٠؛ ٦١١؛ ٦١٢؛ ٦١٣؛ ٦١٤؛ ٦١٥؛ ٦١٦؛ ٦١٧؛ ٦١٨؛ ٦١٩؛ ٦٢٠؛ ٦٢١؛ ٦٢٢؛ ٦٢٣؛ ٦٢٤؛ ٦٢٥؛ ٦٢٦؛ ٦٢٧؛ ٦٢٨؛ ٦٢٩؛ ٦٣٠؛ ٦٣١؛ ٦٣٢؛ ٦٣٣؛ ٦٣٤؛ ٦٣٥؛ ٦٣٦؛ ٦٣٧؛ ٦٣٨؛ ٦٣٩؛ ٦٤٠؛ ٦٤١؛ ٦٤٢؛ ٦٤٣؛ ٦٤٤؛ ٦٤٥؛ ٦٤٦؛ ٦٤٧؛ ٦٤٨؛ ٦٤٩؛ ٦٥٠؛ ٦٥١؛ ٦٥٢؛ ٦٥٣؛ ٦٥٤؛ ٦٥٥؛ ٦٥٦؛ ٦٥٧؛ ٦٥٨؛ ٦٥٩؛ ٦٦٠؛ ٦٦١؛ ٦٦٢؛ ٦٦٣؛ ٦٦٤؛ ٦٦٥؛ ٦٦٦؛ ٦٦٧؛ ٦٦٨؛ ٦٦٩؛ ٦٧٠؛ ٦٧١؛ ٦٧٢؛ ٦٧٣؛ ٦٧٤؛ ٦٧٥؛ ٦٧٦؛ ٦٧٧؛ ٦٧٨؛ ٦٧٩؛ ٦٨٠؛ ٦٨١؛ ٦٨٢؛ ٦٨٣؛ ٦٨٤؛ ٦٨٥؛ ٦٨٦؛ ٦٨٧؛ ٦٨٨؛ ٦٨٩؛ ٦٩٠؛ ٦٩١؛ ٦٩٢؛ ٦٩٣؛ ٦٩٤؛ ٦٩٥؛ ٦٩٦؛ ٦٩٧؛ ٦٩٨؛ ٦٩٩؛ ٧٠٠؛ ٧٠١؛ ٧٠٢؛ ٧٠٣؛ ٧٠٤؛ ٧٠٥؛ ٧٠٦؛ ٧٠٧؛ ٧٠٨؛ ٧٠٩؛ ٧١٠؛ ٧١١؛ ٧١٢؛ ٧١٣؛ ٧١٤؛ ٧١٥؛ ٧١٦؛ ٧١٧؛ ٧١٨؛ ٧١٩؛ ٧٢٠؛ ٧٢١؛ ٧٢٢؛ ٧٢٣؛ ٧٢٤؛ ٧٢٥؛ ٧٢٦؛ ٧٢٧؛ ٧٢٨؛ ٧٢٩؛ ٧٣٠؛ ٧٣١؛ ٧٣٢؛ ٧٣٣؛ ٧٣٤؛ ٧٣٥؛ ٧٣٦؛ ٧٣٧؛ ٧٣٨؛ ٧٣٩؛ ٧٤٠؛ ٧٤١؛ ٧٤٢؛ ٧٤٣؛ ٧٤٤؛ ٧٤٥؛ ٧٤٦؛ ٧٤٧؛ ٧٤٨؛ ٧٤٩؛ ٧٥٠؛ ٧٥١؛ ٧٥٢؛ ٧٥٣؛ ٧٥٤؛ ٧٥٥؛ ٧٥٦؛ ٧٥٧؛ ٧٥٨؛ ٧٥٩؛ ٧٦٠؛ ٧٦١؛ ٧٦٢؛ ٧٦٣؛ ٧٦٤؛ ٧٦٥؛ ٧٦٦؛ ٧٦٧؛ ٧٦٨؛ ٧٦٩؛ ٧٧٠؛ ٧٧١؛ ٧٧٢؛ ٧٧٣؛ ٧٧٤؛ ٧٧٥؛ ٧٧٦؛ ٧٧٧؛ ٧٧٨؛ ٧٧٩؛ ٧٨٠؛ ٧٨١؛ ٧٨٢؛ ٧٨٣؛ ٧٨٤؛ ٧٨٥؛ ٧٨٦؛ ٧٨٧؛ ٧٨٨؛ ٧٨٩؛ ٧٩٠؛ ٧٩١؛ ٧٩٢؛ ٧٩٣؛ ٧٩٤؛ ٧٩٥؛ ٧٩٦؛ ٧٩٧؛ ٧٩٨؛ ٧٩٩؛ ٨٠٠؛ ٨٠١؛ ٨٠٢؛ ٨٠٣؛ ٨٠٤؛ ٨٠٥؛ ٨٠٦؛ ٨٠٧؛ ٨٠٨؛ ٨٠٩؛ ٨١٠؛ ٨١١؛ ٨١٢؛ ٨١٣؛ ٨١٤؛ ٨١٥؛ ٨١٦؛ ٨١٧؛ ٨١٨؛ ٨١٩؛ ٨٢٠؛ ٨٢١؛ ٨٢٢؛ ٨٢٣؛ ٨٢٤؛ ٨٢٥؛ ٨٢٦؛ ٨٢٧؛ ٨٢٨؛ ٨٢٩؛ ٨٣٠؛ ٨٣١؛ ٨٣٢؛ ٨٣٣؛ ٨٣٤؛ ٨٣٥؛ ٨٣٦؛ ٨٣٧؛ ٨٣٨؛ ٨٣٩؛ ٨٤٠؛ ٨٤١؛ ٨٤٢؛ ٨٤٣؛ ٨٤٤؛ ٨٤٥؛ ٨٤٦؛ ٨٤٧؛ ٨٤٨؛ ٨٤٩؛ ٨٥٠؛ ٨٥١؛ ٨٥٢؛ ٨٥٣؛ ٨٥٤؛ ٨٥٥؛ ٨٥٦؛ ٨٥٧؛ ٨٥٨؛ ٨٥٩؛ ٨٦٠؛ ٨٦١؛ ٨٦٢؛ ٨٦٣؛ ٨٦٤؛ ٨٦٥؛ ٨٦٦؛ ٨٦٧؛ ٨٦٨؛ ٨٦٩؛ ٨٧٠؛ ٨٧١؛ ٨٧٢؛ ٨٧٣؛ ٨٧٤؛ ٨٧٥؛ ٨٧٦؛ ٨٧٧؛ ٨٧٨؛ ٨٧٩؛ ٨٨٠؛ ٨٨١؛ ٨٨٢؛ ٨٨٣؛ ٨٨٤؛ ٨٨٥؛ ٨٨٦؛ ٨٨٧؛ ٨٨٨؛ ٨٨٩؛ ٨٩٠؛ ٨٩١؛ ٨٩٢؛ ٨٩٣؛ ٨٩٤؛ ٨٩٥؛ ٨٩٦؛ ٨٩٧؛ ٨٩٨؛ ٨٩٩؛ ٩٠٠؛ ٩٠١؛ ٩٠٢؛ ٩٠٣؛ ٩٠٤؛ ٩٠٥؛ ٩٠٦؛ ٩٠٧؛ ٩٠٨؛ ٩٠٩؛ ٩١٠؛ ٩١١؛ ٩١٢؛ ٩١٣؛ ٩١٤؛ ٩١٥؛ ٩١٦؛ ٩١٧؛ ٩١٨؛ ٩١٩؛ ٩٢٠؛ ٩٢١؛ ٩٢٢؛ ٩٢٣؛ ٩٢٤؛ ٩٢٥؛ ٩٢٦؛ ٩٢٧؛ ٩٢٨؛ ٩٢٩؛ ٩٣٠؛ ٩٣١؛ ٩٣٢؛ ٩٣٣؛ ٩٣٤؛ ٩٣٥؛ ٩٣٦؛ ٩٣٧؛ ٩٣٨؛ ٩٣٩؛ ٩٤٠؛ ٩٤١؛ ٩٤٢؛ ٩٤٣؛ ٩٤٤؛ ٩٤٥؛ ٩٤٦؛ ٩٤٧؛ ٩٤٨؛ ٩٤٩؛ ٩٥٠؛ ٩٥١؛ ٩٥٢؛ ٩٥٣؛ ٩٥٤؛ ٩٥٥؛ ٩٥٦؛ ٩٥٧؛ ٩٥٨؛ ٩٥٩؛ ٩٦٠؛ ٩٦١؛ ٩٦٢؛ ٩٦٣؛ ٩٦٤؛ ٩٦٥؛ ٩٦٦؛ ٩٦٧؛ ٩٦٨؛ ٩٦٩؛ ٩٧٠؛ ٩٧١؛ ٩٧٢؛ ٩٧٣؛ ٩٧٤؛ ٩٧٥؛ ٩٧٦؛ ٩٧٧؛ ٩٧٨؛ ٩٧٩؛ ٩٨٠؛ ٩٨١؛ ٩٨٢؛ ٩٨٣؛ ٩٨٤؛ ٩٨٥؛ ٩٨٦؛ ٩٨٧؛ ٩٨٨؛ ٩٨٩؛ ٩٩٠؛ ٩٩١؛ ٩٩٢؛ ٩٩٣؛ ٩٩٤؛ ٩٩٥؛ ٩٩٦؛ ٩٩٧؛ ٩٩٨؛ ٩٩٩؛ ١٠٠٠؛ ١٠٠١؛ ١٠٠٢؛ ١٠٠٣؛ ١٠٠٤؛ ١٠٠٥؛ ١٠٠٦؛ ١٠٠٧؛ ١٠٠٨؛ ١٠٠٩؛ ١٠١٠؛ ١٠١١؛ ١٠١٢؛ ١٠١٣؛ ١٠١٤؛ ١٠١٥؛ ١٠١٦؛ ١٠١٧؛ ١٠١٨؛ ١٠١٩؛ ١٠٢٠؛ ١٠٢١؛ ١٠٢٢؛ ١٠٢٣؛ ١٠٢٤؛ ١٠٢٥؛ ١٠٢٦؛ ١٠٢٧؛ ١٠٢٨؛ ١٠٢٩؛ ١٠٣٠؛ ١٠٣١؛ ١٠٣٢؛ ١٠٣٣؛ ١٠٣٤؛ ١٠٣٥؛ ١٠٣٦؛ ١٠٣٧؛ ١٠٣٨؛ ١٠٣٩؛ ١٠٤٠؛ ١٠٤١؛ ١٠٤٢؛ ١٠٤٣؛ ١٠٤٤؛ ١٠٤٥؛ ١٠٤٦؛ ١٠٤٧؛ ١٠٤٨؛ ١٠٤٩؛ ١٠٥٠؛ ١٠٥١؛ ١٠٥٢؛ ١٠٥٣؛ ١٠٥٤؛ ١٠٥٥؛ ١٠٥٦؛ ١٠٥٧؛ ١٠٥٨؛ ١٠٥٩؛ ١٠٦٠؛ ١٠٦١؛ ١٠٦٢؛ ١٠٦٣؛ ١٠٦٤؛ ١٠٦٥؛ ١٠٦٦؛ ١٠٦٧؛ ١٠٦٨؛ ١٠٦٩؛ ١٠٧٠؛ ١٠٧١؛ ١٠٧٢؛ ١٠٧٣؛ ١٠٧٤؛ ١٠٧٥؛ ١٠٧٦؛ ١٠٧٧؛ ١٠٧٨؛ ١٠٧٩؛ ١٠٨٠؛ ١٠٨١؛ ١٠٨٢؛ ١٠٨٣؛ ١٠٨٤؛ ١٠٨٥؛ ١٠٨٦؛ ١٠٨٧؛ ١٠٨٨؛ ١٠٨٩؛ ١٠٩٠؛ ١٠٩١؛ ١٠٩٢؛ ١٠٩٣؛ ١٠٩٤؛ ١٠٩٥؛ ١٠٩٦؛ ١٠٩٧؛ ١٠٩٨؛ ١٠٩٩؛ ١١٠٠؛ ١١٠١؛ ١١٠٢؛ ١١٠٣؛ ١١٠٤؛ ١١٠٥؛ ١١٠٦؛ ١١٠٧؛ ١١٠٨؛ ١١٠٩؛ ١١١٠؛ ١١١١؛ ١١١٢؛ ١١١٣؛ ١١١٤؛ ١١١٥؛ ١١١٦؛ ١١١٧؛ ١١١٨؛ ١١١٩؛ ١١٢٠؛ ١١٢١؛ ١١٢٢؛ ١١٢٣؛ ١١٢٤؛ ١١٢٥؛ ١١٢٦؛ ١١٢٧؛ ١١٢٨؛ ١١٢٩؛ ١١٣٠؛ ١١٣١؛ ١١٣٢؛ ١١٣٣؛ ١١٣٤؛ ١١٣٥؛ ١١٣٦؛ ١١٣٧؛ ١١٣٨؛ ١١٣٩؛ ١١٤٠؛ ١١٤١؛ ١١٤٢؛ ١١٤٣؛ ١١٤٤؛ ١١٤٥؛ ١١٤٦؛ ١١٤٧؛ ١١٤٨؛ ١١٤٩؛ ١١٥٠؛ ١١٥١؛ ١١٥٢؛ ١١٥٣؛ ١١٥٤؛ ١١٥٥؛ ١١٥٦؛ ١١٥٧؛ ١١٥٨؛ ١١٥٩؛ ١١٦٠؛ ١١٦١؛ ١١٦٢؛ ١١٦٣؛ ١١٦٤؛ ١١٦٥؛ ١١٦٦؛ ١١٦٧؛ ١١٦٨؛ ١١٦٩؛ ١١٧٠؛ ١١٧١؛ ١١٧٢؛ ١١٧٣؛ ١١٧٤؛ ١١٧٥؛ ١١٧٦؛ ١١٧٧؛ ١١٧٨؛ ١١٧٩؛ ١١٨٠؛ ١١٨١؛ ١١٨٢؛ ١١٨٣؛ ١١٨٤؛ ١١٨٥؛ ١١٨٦؛ ١١٨٧؛ ١١٨٨؛ ١١٨٩؛ ١١٩٠؛ ١١٩١؛ ١١٩٢؛ ١١٩٣؛ ١١٩٤؛ ١١٩٥؛ ١١٩٦؛ ١١٩٧؛ ١١٩٨؛ ١١٩٩؛ ١٢٠٠؛ ١٢٠١؛ ١٢٠٢؛ ١٢٠٣؛ ١٢٠٤؛ ١٢٠٥؛ ١٢٠٦؛ ١٢٠٧؛ ١٢٠٨؛ ١٢٠٩؛ ١٢١٠؛ ١٢١١؛ ١٢١٢؛ ١٢١٣؛ ١٢١٤؛ ١٢١٥؛ ١٢١٦؛ ١٢١٧؛ ١٢١٨؛ ١٢١٩؛ ١٢٢٠؛ ١٢٢١؛ ١٢٢٢؛ ١٢٢٣؛ ١٢٢٤؛ ١٢٢٥؛ ١٢٢٦؛ ١٢٢٧؛ ١٢٢٨؛ ١٢٢٩؛ ١٢٣٠؛ ١٢٣١؛ ١٢٣٢؛ ١٢٣٣؛ ١٢٣٤؛ ١٢٣٥؛ ١٢٣٦؛ ١٢٣٧؛ ١٢٣٨؛ ١٢٣٩؛ ١٢٤٠؛ ١٢٤١؛ ١٢٤٢؛ ١٢٤٣؛ ١٢٤٤؛ ١٢٤٥؛ ١٢٤٦؛ ١٢٤٧؛ ١٢٤٨؛ ١٢٤٩؛ ١٢٥٠؛ ١٢٥١؛ ١٢٥٢؛ ١٢٥٣؛ ١٢٥٤؛ ١٢٥٥؛ ١٢٥٦؛ ١٢٥٧؛ ١٢٥٨؛ ١٢٥٩؛ ١٢٦٠؛ ١٢٦١؛ ١٢٦٢؛ ١٢٦٣؛ ١٢٦٤؛ ١٢٦٥؛ ١٢٦٦؛ ١٢٦٧؛ ١٢٦٨؛ ١٢٦٩؛ ١٢٧٠؛ ١٢٧١؛ ١٢٧٢؛ ١٢٧٣؛ ١٢٧٤؛ ١٢٧٥؛ ١٢٧٦؛ ١٢٧٧؛ ١٢٧٨؛ ١٢٧٩؛ ١٢٨٠؛ ١٢٨١؛ ١٢٨٢؛ ١٢٨٣؛ ١٢٨٤؛ ١٢٨٥؛ ١٢٨٦؛ ١٢٨٧؛ ١٢٨٨؛ ١٢٨٩؛ ١٢٩٠؛ ١٢٩١؛ ١٢٩٢؛ ١٢٩٣؛ ١٢٩٤؛ ١٢٩٥؛ ١٢٩٦؛ ١٢٩٧؛ ١٢٩٨؛ ١٢٩٩؛ ١٣٠٠؛ ١٣٠١؛ ١٣٠٢؛ ١٣٠٣؛ ١٣٠٤؛ ١٣٠٥؛ ١٣٠٦؛ ١٣٠٧؛ ١٣٠٨؛ ١٣٠٩؛ ١٣١٠؛ ١٣١١؛ ١٣١٢؛ ١٣١٣؛ ١٣١٤؛ ١٣١٥؛ ١٣١٦؛ ١٣١٧؛ ١٣١٨؛ ١٣١٩؛ ١٣٢٠؛ ١٣٢١؛ ١٣٢٢؛ ١٣٢٣؛ ١٣٢٤؛ ١٣٢٥؛ ١٣٢٦؛ ١٣٢٧؛ ١٣٢٨؛ ١٣٢٩؛ ١٣٣٠؛ ١٣٣١؛ ١٣٣٢؛ ١٣٣٣؛ ١٣٣٤؛ ١٣٣٥؛ ١٣٣٦؛ ١٣٣٧؛ ١٣٣٨؛ ١٣٣٩؛ ١٣٤٠؛ ١٣٤١؛ ١٣٤٢؛ ١٣٤٣؛ ١٣٤٤؛ ١٣٤٥؛ ١٣٤٦؛ ١٣٤٧؛ ١٣٤٨؛ ١٣٤٩؛ ١٣٥٠؛ ١٣٥١؛ ١٣٥٢؛ ١٣٥٣؛ ١٣٥٤؛ ١٣٥٥؛ ١٣٥٦؛ ١٣٥٧؛ ١٣٥٨؛ ١٣٥٩؛ ١٣٦٠؛ ١٣٦١؛ ١٣٦٢؛ ١٣٦٣؛ ١٣٦٤؛ ١٣٦٥؛ ١٣٦٦؛ ١٣٦٧؛ ١٣٦٨؛ ١٣٦٩؛ ١٣٧٠؛ ١٣٧١؛ ١٣٧٢؛ ١٣٧٣؛ ١٣٧٤؛ ١٣٧٥؛ ١٣٧٦؛ ١٣٧٧؛ ١٣٧٨؛ ١٣٧٩؛ ١٣٨٠؛ ١٣٨١؛ ١٣٨٢؛ ١٣٨٣؛ ١٣٨٤؛ ١٣٨٥؛ ١٣٨٦؛ ١٣٨٧؛ ١٣٨٨؛ ١٣٨٩؛ ١٣٩٠؛ ١٣٩١؛ ١٣٩٢؛ ١٣٩٣؛ ١٣٩٤؛ ١٣٩٥؛ ١٣٩٦؛ ١٣٩٧؛ ١٣٩٨؛ ١٣٩٩؛ ١٤٠٠؛ ١٤٠١؛ ١٤٠٢؛ ١٤٠٣؛ ١٤٠٤؛ ١٤٠٥؛ ١٤٠٦؛ ١٤٠٧؛ ١٤٠٨؛ ١٤٠٩؛ ١٤١٠؛ ١٤١١؛ ١٤١٢؛ ١٤١٣؛ ١٤١٤؛ ١٤١٥؛ ١٤١٦؛ ١٤١٧؛ ١٤١٨؛ ١٤١٩؛ ١٤٢٠؛ ١٤٢١؛ ١٤٢٢؛ ١٤٢٣؛ ١٤٢٤؛ ١٤٢٥؛ ١٤٢٦؛ ١٤٢٧؛ ١٤٢٨؛ ١٤٢٩؛ ١٤٣٠؛ ١٤٣١؛ ١٤٣٢؛ ١٤٣٣؛

فيشتره ، فما ذلك بضائر أبا علي ، بل هو آية على حبه للعلم ، ودليل على اتصاله بالنشاط الفكري في البحوث النحوية ولا سيما الكتاب ، ، ولو عرفنا مقدار حب أبي علي لسيويوه ، وإجلاله له — لم تستبعد حرصه على شراء تفسير أبي سعيد للكتاب ، ولست بذاهب إلى ما ذهب إليه أصحاب أبي علي من إباثهم الإقرار بواقعة الشراء ، أو أنه اشتراه لينقض على أبي سعيد ويظهر الخطأ في شرحه فلم يتعرض أبو علي لشيء من ذلك فيما أعلم — ولو كان لكبر أصحاب أبي علي به وهملوا .

ولئن كان أبو سعيد قد شغل بشرح الكتاب — إن أبا علي شغل بالاحتجاج لكتاب الله وجاء كتاب الحججة دليلاً على تفرد الفارسي بكتاب سيويوه ، وشدة إكبابه عليه ، كما يقول أبو حيان ، وكانت الحججة شرحاً للكتاب ، واحتجاجاً به ، واعتياداً عليه ، واستفادة بما فيه ، وقياساً على أقوال سيويوه ، كما بينت ذلك من قبل (٣) . ولست أدري لم أغفل أبو حيان كتاب الحججة ، مع أن هذا الحديث الذي يرويه عن المفاضلة بين الرجلين كان فيما بين سنتي (٣٧٣ — ٣٧٥) هـ وهي مدة وزارة ابن سعدان لضمصام الدولة البويهى بن عضد الدولة ، (٣) وقد ألف أبو علي الفارسي كتاب الحججة لعضد الدولة كما ذكر ذلك في المقدمة (٤) ، ومعنى ذلك أن كتاب الحججة موافق قطعاً قبل سنة ٣٧٣ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة (٥) ، وليس هناك من تفسير لإغفال أبي حيان ذكر كتاب الحججة إلا أنه أراد أن يطوى مفخرة عظمى من مفاخر أبي علي وهو يتحدث موازناً بين الإمامين (الفارسي والسيрани) ، ويتحيز في وضوح لابي سعيد وإلا فكيف يقول : « ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيما ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب على النظم المعروف ، (٦) ، فيذكر مسأله ، ويغفل الحججة ؟

ولست أدري ! أ كان للفارسي كتاب بشرح الكتاب ؟ لم تعرض كتب التراجم — فيما أعلم — لشيء من ذلك ، كما تعرض له فهارس الوراقين أمثال الفهرست

(١) الإمتاع / ١ / ١٣٢

(٢) وعلى سبيل المثال انظر الحججة / ١ / ٥١ - ٥٣ ، ١٣٦ - ١٩١ نسخة البلدية

(٣) الإمتاع والمؤانسة ح ، ف - المقدمة وذيل تجارب الأمم ٨٥

(٤) انظر ص ١ من كتاب الحججة (٥) انظر شذرات الذهب ٧٩/٣

(٦) الإمتاع / ١ / ١٣١

لابن النديم، أو كشف الظنون، ولكنني وجدت في حاشية الأمير على المعنى مانصه: رد الشارح بأن أبا علي الفارسي نص في شرح كتاب سيوييه على أن الواو تأتي للإباحة قال: ذكر رجل أنكر على ولده مجالسة أهل الريب والزيف فقال له: د دع مجالسة هؤلاء، وجالس الفقهاء والقراء وأهل الحديث أو قال: د جالس الفقهاء أو القراء أو أهل الحديث فذلك كله بمعنى (١) وأبو علي بعد ذلك بصير بالكتاب، دقيق الفهم له، حل مشكلاته، وجلى غوامضه بالإيضاح.

(ب) كما يعتمد أبو حيان في تفضيل السيرافي على أنه عالم في كل فن: (٢) فكان يقرأ عليه القرآن، والفقه، والشروط، والفرائض، والنحو، واللغة، والعروض، والقوافي، والحساب والهندسة والحديث، والأخبار، وهو في كل هكذا إما في الغاية، وإما في الوسط، (٣)، وعلى الرغم من اتفاق أبي سعيد والفارسي في الشيوخ، فكلاهما قرأ القرآن على ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر بن السراج (٤)، وأبي بكر مبرمان (٥) وأن أبا سعيد كان متقدما في عدة فنون كان الناس يشتغلون عليه بها (٦)، ويظهر كذلك أن أبا علي لم يبلغ مبلغ أبي سعيد في ذلك، ولو كان لظهر أثره فيما خلف من تراث علمي، فثولفاته تدل على تأثره بالمنطق، كما تدل على أن له قدما راسخة في النحو والعروض كما بينت ذلك عند الكلام على ثقافته، ثم هو قد قرىء عليه القرآن، كما قرىء على أبي سعيد، وورد اسمه في طبقات القراء، وقد روى القراء عنه عرضاً عبد الملك بن النهران (٧) — إلا أن الإنصاف يدعوني إلى تقرير أنه تخلف عن أبي سعيد في الشعر، فقد كان أبو علي يغبط الشعراء على قول الشعر ولا يواتيه الطبع (٨)، على حين أن لأبي سعيد هبة فيه (٩). كما يبدو أن أبا علي تخلف كذلك عن أبي سعيد في الفقه والقرائن، ومشاركه أبي علي في هذا ضئيلة نادرة (١٠) ويظهر أن اشتغال أبي سعيد بالقضاء

(١) حاشية الأمير على المعنى ٦٧/١

(٢) انظر إنباه الرواة ٢٢٨/٢ أبيات أبي الحسن الاندلسي

(٣) الإمتاع ١٣٣/١ (٤) وفيات الأعيان ٣٦٠/١ (٥) نزعة الألباء ٢٠٦

(٦) وفيات الأعيان ٣٦٠/١ (٧) طبقات القراء ٢٠٧/١

(٨) شذرات الذهب ٨٩/٣ (٩) وفيات الأعيان ٣٦١/١

(١٠) انظر الكلمة الخاصة بذلك في الفصل الخاص: بأبي علي والشعر

مكنه من الاقتناء (١) ، وجمله مقدما على أبي علي . ومن قول الزبيدي في الطبقات : كان أبو سعيد ينتحل العلم بالمجسط وإقليدس ، والمنطق (٢) : وأستنتج أنه لم يكن في الدرجة العالية في هذه العلوم ، نعم ، وكما قال أبو حيان : « وهو في كل هذا — يشير إلى فروع العلم المختلفة التي عددها — إما في الغاية وإما في الوسط (٣) . وإذا كان أبو حيان متعصباً لأبي سعيد ، فلا شك في أن عبارته هذه تزيد ، ولعله كان في بعض فروع العلم دون الوسط . فكلمة « ينتحل » في عبارة الزبيدي توحى — بما كان عليه أبو سعيد من قرب الغور ، وقلة التعمق ، في هذه العلوم ، وربما انتحل ذلك استكمالاً لآلة المنافسة والمجدل بينه وبين رئيس المنطقين في عصره أبي بشر متى بن يونس (٤) . ولكن ذلك على كل حال ليس بغاضٍ من قدر الرجل أبي سعيد ، أو منتقص حقه من التقدير والتوثيق .

أما أن الفارسي لم يتجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافاً مما لغيره فصحيح ، ويظهر ذلك من استعانة أبي علي بأبي زيد في كثرة (٥) ، واستشهاده بما ورد في نوادره وتوثيقه له في تحمس واعتزاز (٦) . ويبدو أن أبا علي تخلف كذلك في هذا المضمار ، فهو وإن كانت له شخصية لغوية — لم يرتفع إلى الدرجة التي يعد بها بين اللغويين ، وهذا الزبيدي يذكر السيراني بين اللغويين ، على حين لا يعد الفارسي منهم (٧) .

ويبدو أن شغل الفارسي كان بالكتاب يدرسه قال العبدى : وعهدى بنفسى حاضرأ مجلس هذا الشيخ — يعني أبا علي — وهناك من يقرأ كتاب سيويه دون غيره من المتوسطات ثلاثون رجلاً وأكثر ، ما فيهم إلا من يطلق عليه اسم العامل ثم ما يحسنونه من اللغة والشعر غير مذكور ، ومجلس الشيخ أبي سعيد الحسن ابن عبد الله السيراني وعدد أهل المجلس ومن معنا السبق للقراءة يزيدون على المائة (٨) . ، ويفهم من هذا النص أيضاً أن السيراني أعلى مكانة من أبي علي إذ كان مجلسه أكثر إزدحاماً والطلبة عليه أشد إقبالا (٩) .

(١) شذرات الذهب ٦٥/٣

(٢) طبقات الزبيدي ١٣٠

(٣) الإمتاع ١٣٣/١

(٤) الفهرست ٣٦٨

(٥) انظر مثلا الحجة ١/٥٤، ٥٧، ٢٠٣ نسخة البلدية

(٦) انظر مثلا الحجة ١/٢٧١، ٣٠٥/١ نسخة البلدية

(٧) طبقات اللغويين والنحاة ٢٠٢ (٨) إنباه الرواة ٢/٣٨٧-٣٨٨

(٩) وانظر الحلبيات ٥ نحوش ٣٣ ظهر

وقد كان هناك مجال ظهر فيه فضل أبي سعيد ، ذلك ما كان بينه وبين متى بن يونس من المناظرة المشهورة ، وسبب شهرتها أنها كانت بين عليين : أحدهما نحوى ، والآخر رئيس المنطقة في عصره : هو أبو بشر متى بن يونس (١) ، ثم كانت في مجلس وزير يهتم بمجالسة العلماء والمشاركة في فنونهم هو ابن الفرات (٢) ، ثم كانت كذلك على ملا من الناس الأعلام ، وفيهم الخالدي وابن الأخشاد... وقدامة بن جعفر ، والزهرى وعلى بن عيسى الجراح ، وابن يحيى العلوى ، وزاد من أهميتها وذويوع فضل صاحب الفلج فيها أن حضرها رسول ابن طفيع من مصر ، والمرزباني صاحب آل سامان (٣) .

وموضوع المناظرة التي وقعت بين السيرافي ومتى ما كان يقوله متى : « لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، والخير من الشر ، والحجة من الشبهة ، والشك من اليقين — إلا بما حوينا من المنطق ، وملكناه من القيام به ، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلنا عليه من جهة اسمه على حقايقه (٤) . »

وقد رغب ابن الفرات إلى مجالسته في مناظرة متى ، فتزامروا ، وتغامزوا ، واعتذر السيرافي من تغامزهم وتزامرهم ، فقال الوزير : « أنت لها يا أبا سعيد ! فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار لنفسك راجع إلى الجماعة بفضلك . »

وهكذا هاج ابن الفرات أبا سعيد ، وأغراه بمحاجة أبي بشر ، وبأن منذ اللحظة الأولى تحيز ابن الفرات للسيرافي ، وتعصبه له على متى بن يونس ، وواجه السيرافي متى قائلاً : « حدثني عن المنطق ما تعنى به . » وعرف متى المنطق تعريفاً مضمونه أنه « ما يعرف به صحيح الكلام من سقيمه ، وفساد المعنى من صالحه ، وخطأه أبو سعيد زاعماً أن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف ، والإعراب المعروف عند المتكلمين بالعربية ، (٥) . »

وقد اشتغل أبو سعيد ضعف « متى » في العربية ، فأصله ناراً حامية ،

(١) الفهرست ٣٦٨ (٢) الإمتاع ١/١٠٨ (٣) المصدر السابق

(٤) الإمتاع ١/٨ ، وياقوت ٨/١٩٠ والمقائبات ٦٨

(٥) الإمتاع ١/١١١

فأبو سعيد يجول به في ميادين النحوجولات يضيق بها صدره . ويتعصب متى ليونان، وأنهم أصحاب عناية بالحكمة ، وينكر أبو سعيد ما لهم من فضل ، ويقرر أن العلم مبثوث في العالم ، والصناعات مفضوضة على جميع من على جدد الأرض ، ويسأله عن حرف واحد دائر في كلام العرب — هو الواو — ، ومعانيه متميزة عند أهل العقل^(١) ويدعوه أن يستخرج معانيه من ناحية منطق ارسطاطاليس الذي يدل به ، ويباهى بتفخيمه : فبيت متى ، ويقرر أنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحوى حاجة شديدة إلى المنطق^(٢) ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ^(٣) ، ويندفع السيراني مبرهننا على أن النحوى كالمناطق ينظر في المعنى كما ينظر في اللفظ^(٤) وضرب أبو سعيد مثلاً بالكندى وتعلقه بالمنطق ، وما جره عليه ذلك التعلق من شرور تشمت العدو ، وتغم الصديق .

وهكذا يجتمع على « متى » ضعفه في النحو ، وتعصب ابن الفرات عليه ، ذلك التعصب البادى في كثير من عباراته ، ورباطة جأش أبي سعيد ، وتصرف لسانه ، وفيض بنائه ، وانثيال خواطره ، وتلجلج مناظره ، وتسجيل المجلس ذلك في ألواح ومحابر ، فيتقوض الجمع وقد حاك السيراني طرازاً لا يلبسه الزمان ، ولا يتطرق إليه الحدثان .

وحق على أبي على الفارسي وقد حدث بما كان أن يكتم الحسد لنظيره — أبي سعيد — على ما فاز به من هذا الخبر المشهور ، والثناء المذكور . ذلكم موقف من المواقف التي رفعت ذكر أبي سعيد السيراني ، وإن كانت الفرصة لم تتح لأبي على الفارسي أن يحضر هذا المجلس ، ولعله لو حضر لكان له فيه مجال ، ولقال — وهو الجدل — وصال في ذلك الميدان ، ولكنها الأقدار تواتى بعضاً وتعرض عن بعض ، والله في خلقه شتون !

هذا وقد فضل أبو سعيد على أبي على : ما اشتهر عنه من خلق كريم ، فأبو سعيد زاهد متأله ، متحرج^(٥) ، يأكل من كسب نفسه ، جميل الطريقة حسن الأخلاق^(٦) ، يصوم الدهر ، ويصلى في جماعة^(٧) ، وربما كان لتولييه منصب القضاء ببغداد ،

(١) الإمتاع ١/١١٢

(٢) الإمتاع ١/١١٤

(٣) المقابسات ٧٤

(٤) الإمتاع ١/١١٨

(٥) نزعة الألباء ٢٠٦ ووفيات الأعيان ٣٦٠

(٦) الإمتاع ٢/١٧٧

(٧) الإمتاع ١/١٣٢

والإفتاء في جامع الرصافة خمسين سنة^(١)، أثر في ذلك كله، أما فيما يتعلق بأبي علي الفارسي فلم يتناقل المترجمون ما ذكره أبو حيان من أنه كان يشرب ويتخالم، ويفارق هدى أهل العلم، وطريقة الربانيين، وعادة المتسكين، ولا تعيننا النصوص الصريحة على تأييد ذلك، اللهم إلا ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء مما يدل على عدم الوفاء،^(٢) وقد ناقشت هذه الرواية في الفصل المعقود لأخلاقه.

وبعد: فإنا مع ابن حيان في تفضيل أبي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي لما له من خلق كريم، ولما اقتص به من شرح الكتاب، ولأنه ارتفع في هذه الدنيا بعلمه، فلم يعرف أنه اتصل بملك يعلى ذكره، وينشر في الآفاق خبره كأبي علي الفارسي وقد جعل ابن جنى الاتصال بالملوك مشغلة عن العلم والتفكير فيه^(٣)، فالسيرافي أشبه بالرجل العصامي الذي يبني مجده معتمداً على جده.

ولكني لا أهبط بأبي علي إلى الدرك الذي أنزله به أبو حيان، فأبو حيان ينظر إليه بعين متعصبة عليه، معصوبة عن فضله، وإذا كان لأبي سعيد شرح الكتاب — وكانت له إلى جانبه مشاركة جيدة في الفقه والفرائض والإفتاء والقضاء ونظم القريض، وعده معاصره الزبيدي بين اللغويين، كما ظفر بالفلج على متى بن يونس رئيس المنطقيين، إذا كان لأبي سعيد ذلك فإن أبا علي له الحجة، وهو كتاب جامع لفروع شتى من العربية. والثقافة الإسلامية، ومن أجله طلب أبو العلاء المعري — في رسالة الغفران — من أولئك الذين امترسوا بأبي علي يوم القيامة — ألا يعتبره، فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف (بكتاب الحجة)^(٤)، وناهيك بها إشارة ترفع الشيخ درجات، وتحط عنه ما لحق به من أوزار وهنات، وقد كتب الله على نفسه دإن الحسنات يذهبن السيئات.

(٣) الخصائص ٢٨٦/١

(٢) معجم الأدباء ٢٥٥/٧

(١) ياقوت ١٥٠/٨

(٤) رسالة الغفران ١٥٤

(ب) أبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرمانى

كان أبو علي الفارسي يضع نفسه — بحق — بين المجتهدين ، ويرتفع بها عن المعاصرين له من شيوخه العلماء ومن هم في طبقتهم ، واشتركوا معه في الأخذ من أساتذته ، ومن هنا يتعقب الزجاج في الأغفال وابن السراج في الاحتجاج كما يتبع أبا علي الجبائي في التفسير كما يتعرض للرمانى والزجاجى ، وقد أفردت حديثاً عن الإغفال ، ووازنت بينه وبين ابن السراج في الاحتجاج ، وهنا أحقق قوله في نحو الرمانى ثم الزجاجى .

تنص كتب التراجم على أن أبا علي الفارسي قال : لو كان النحو ما يقوله الرمانى لم يكن معنا منه شيء . ولو كان النحو ما يقوله لم يكن معه منه شيء^(٢) ، والباحثون يفسرون قول الفارسي على أنه تصوير لمنهج الرمانى في تناوله المسائل النحوية ، وأنه كان يمزج نحوه بالمنطق ، وتناقل الباحثون ذلك التفسير يتخذونه دليلاً على شيوع الفلسفة والنحو ، وذبوع قضايا المنطق فيه ، ويستشهدون بهذه العبارة مؤيدين رأى الفارسي في نحو الرمانى ، وما اتم به منهجه من النزعة المنطقية والفلسفية^(٤) ، وقد انتقل ذلك التفسير إلى الباحثين الغربيين فهذا Hart في كتابه الأدب العربى Litterature Arabe يحدثنا أن الرمانى كان مفرماً بالمسائل النحوية العويصة حتى قال فيه أبو علي الفارسي إن كان النحو^(٥) . . . الخ

والعبارة وما تدل عليه في حاجة إلى تحقيق وتعليق يقومان على ما ترك الرمانى من أثر في علم النحو ، لا على ما ترويه كتب التراجم ، ويتوارثه الباحثون ، فكثيراً ما تنقسم هذه الكتب بنزعات مذهبية ، أو تتلون بألوان حزبية ، تغطى الحقيقة فتخفيها ، وتزبل معالمها أمام الدارسين .

وقد وردت العبارة في نزعة الألباء بعد قول الأنبارى وهو يترجم للرمانى . وكان يمزج كلامه بالمنطق ثم أعقب ذلك بقوله : حتى قال أبو علي الفارسي . . . إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن . . . ومن هنا دلت العبارة معقبة قول ابن الأنبارى وكان يمزج كلامه بالمنطق ذلك على أن الرمانى كان يفلسف نحوه ومنطقه ، حقيقة

(١) معجم الأدياء ٢٤١/٧ (٢) نزعة الألباء (٣) المقابسات هامش ص ٧٧

(٤) مالك بن أنس ترجمة محررة ١٤٠ (٥) محاضرات في البلاغة والنقد ص ١٣

وجدت الرمانى يمزج كلامه بالمنطق فى كتابه نكت القرآن حيث ورد فيه بعض التعبيرات المنطقية مثل: القياس الفاسد، (١) وإبطال الفاسد، (٢) ودلالة القياس، (٣) وقيام الحجة. (٤) ولكن موضوع النكت غير نحوى وسببى هنا تحقيق قولة أب على فى نحو الرمانى بخاصة .

وقد أورد السيوطى قراءة أبى على فى نحو الرمانى ، ثم قال : « النحو ما يقوله الفارسى ، ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيه شىء من ذلك ، . وأرى السيوطى بهذا يعترف بأن الفارسى لا يمزج بنحوه بالمنطق على عكس الرمانى ، ثم يبين لنا رأيه فى النحو الذى مازجته مسائل المنطق ، ثم أراه على حق فى أن الخليل وسيبويه كان نحوهما نحواً خالياً من المنطق، ولكنه جهل أو تجاهل تطور الزمن، وشيوع الفلسفة ومسائل المنطق فى عصر الرمانى والفارسى .

ويبدو — كذلك — أن الذى ألصق هذا التفسير بتلك العبارة — أن على بن عيسى الرمانى اتصل دراسة بأبى حيان (٥) الذى وصفه ياقوت بأنه : « فيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة (٦) ، والذى ألف رسالة لمضد الدولة فى فنون مختلفة من الحكمة (٧) ، ودرس فيما درس — كتاب النفس على أبى سليمان المنطقى (٨) ، وأبو سليمان المنطقى هو الذى كان يقول : « النحو منطق العربية ، كما أن المنطق نحو يونان (٩) .

وشىء آخر ربما دعا الباحثين إلى توارث التهم الذى فهموه فى هذه العبارة ، ذلك بأن على بن عيسى الرمانى ألف كتاب « الحروف » ، على مثال كتاب الحروف لأرسطاليس ، قال ابن التديم : وترتيب هذا الكتاب — كتاب أرسطاليس — على ترتيب حروف اليونانيين ، وأوله الألف الصغرى ، ونقلها إسحق ، والموجود منه إلى حرف « مو » ، ونقل هذا الحرف أبو زكريا ، يحيى بن عدى ، وقد يوجد حرف « نو » باليونانية بتفسير الإسكندر ، وهذه الحروف نقلها اسطاليس للكندى ،

(١) س ٢١١ (٢) نكت القرآن للرمانى . مخطوطة رقم ٢٩٨ تفسير خزانه تيمور/ ١٨

(٣) المصدر السابق ٢٠ (٤) نفس المصدر ٤٥ (٥) نكت القرآن — ٥٠

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أبى حيان (٧) معجم الأدباء ١٥٠/٥

(٨) تاريخ الحكماء ٢٦٣ (٩) المقابسات ٢٤٦

(١٠) راجع الإمتاع والمؤانسة ٦٧/١ والبصائر والفتاوى ١١٨/٣ والمقابسات ١٦٩

وله خبر في ذلك^(١) الخ ، فلعل تأليف الرماني كتاب الحروف على نحو ما ألف أرسطاليس اليوناني صاحب المنطق - كان ذلك سبباً في القول بأن الرماني ينطق كلامه .

وقد أورد السندوبي في المقابسات^(٢) عبارة أبي علي الفارسي في نحو الرماني ، ثم قال : « والمسألة هي أن الرماني كان يبرهن على القضايا المنطقية بالعلل النحوية ، ويعلل قواعد النحو بالقضايا المنطقية ، ثم قال : « وسيرد عليك في المقابسات آراء شافية في هذا الشأن » .

وكل ما أورد في المقابسات بما يصح أن يكون علاقة بين النحو والمنطق المقابسات الآتية - وجميعها ليس للرماني فيها رأى أو ذكر - وهذه المقابسات هي :

المقابلة الثانية والعشرون فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ، وموضوعها سؤال من أبي حيان إذ قال لأبي سليمان : « إني لأجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبية ، ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما ؟ وهل يتعاونان بالمناسبة ؟ وهل يتفاوتان بالقرب منه^(٣) ؟

والمقابلة الثالثة والعشرون^(٤) ، وفيها يقول أبو حيان لأبي سليمان : « كتاب الأمامس في مجلس أبي علي القومسي جري كلام في الظرف ، فقال له الأندلسي : « أيها الشيخ ! لم صار الظرف المخصوص بالزمان أكثر من الظرف المخصوص بالمكان ؟ » ، والمقابلة الرابعة والعشرون^(٥) وهذه المقابلة سؤال من أبي سليمان لأبي حيان عن الطبيعة وكيف هي عند أهل النحو واللغة ؟ أي معنى فاعلة هي أم بمعنى مفعولة ؟ وهي كما ترى مقابسات ثلاث متتابعات ، ويقول عنها أبو حيان : « تابعت (حاطك الله) من (كذا ولعلها بين) هذه المقابسات الثلاث لأنها متواخية في بابها أعني أنها في حديث النحو واللغة والمنطق والنظر . والمتصفح لها لا يجد فيها لعل ابن عيسى الرماني ذكراً ، فهي محاورات وأسئلة وجوابات بين أبي سليمان المنطقي وأبي حيان التوحيدي ، وأبي سعيد السيرافي . فأى شيء دعا السندوبي إلى قوله في صدر هذا الكلام : « وسيرد عليك في المقابسات آراء شافية في هذا الشأن ؟ » ، وقد وجدنا أن ليس فيها رأى للرماني ؟ إن كان يريد تعليل قواعد النحو بالمنطق

(١) الفهرست ٣٥٢ (٢) هامش ٥٧

(٣) مقابسات ٢٦٩ (٤) مقابسات ١٧٢ (٥) مقابسات ١٢٤

مطلقاً فذلك صحيح وإن لم يصدر عن الرماني ، لكنه أورد عبارته بعد شرح كلمة الفارسي في نحو علي بن عيسى الرماني ، وهي تفهم أنه أراد الرماني بالذات ، فقله . أراد المناظرة التي بين يونس والسيرافي (١) ، وليس فيها للرماني رأى أو اشتراك ، وإن كان هو الذي رواها عن أبي سعيد (٢) .

فهل كان الرماني يستعمل المتطوع في عبارته النحوية (٣) ، وهل كان يمتضى في هذه النزعة حتى لا يفهم الحاضرون من طلابه شيئاً من كلامه (٤)؟ وهل بلغ الغاية في ذلك حتى سبق الفارسي وأبا سعيد السيرافي على تفاوت بين الأخيرين في هذه النزعة : توسطاً عند أبي علي تجعل الطلاب يفهمون بعض كلامه دون بعض ، وقلة أو عدماً عند أبي سعيد تجعل الطلاب يفهمون منه جميع الكلام؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نتصل اتصالاً وثيقاً بآثار كل من هؤلاء الأئمة في النحو ، ونقرأها قراءة فاحصة ، ثم نوازن بينها ، لنصدر في أحكامنا عن تصور ، ونهتدي في فهمنا بالدليل ، والذي يعيننا من هذه الآثار ما كان منها متصلاً بهذا البحث ، والذي يكشف عن مفهوم عبارة الفارسي في الرماني وأقرر هنا أن الفارسي لم يقل النص الذي ذكره الأنباري ، ليدل به على مذهب الرماني في فلسفة النحو ، فلم يكن الفارسي ليحفل بشيء من ذلك ، فحديثه عنه من هذه الزاوية — لا يعنيه في قليل ولا كثير ، ولا سيما إذا علمنا أن الفارسي نفسه من أصحاب المنطق في النحو إلى حد كبير .

فماذا أراد الفارسي إذن بهذه العبارة؟ أقول : « إنه أخرج هذه العبارة مخرج الآية الكريمة : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (٥) » وهو جل وعز يعلم أن رسوله المهتدى ، وأن مخالفه الضال (٦) .
وقول حسان :

أتهجوه ولست له بكفء فشركا لخيركا الفداء (٧)

وقول الشاعر :

فأبي ما وأيك كان شراً فسبق إلى المقادة في هوان (٨)

(١) مقابسات ٦٨ (٢) الامتاع والمؤانسة ١٢٨/١ (٣) انباء الرواة ٢/٣٨٨

(٤) نزعة الألباء ٢١١

(٥) سورة سبأ آية ٢٤ وانظر في تفسير هذه الآية تفسير أبي السعود ٤/٣٥١

(٦) تأويل مشكل القرآن ٢٠٨ (٧) ديوان حسان بن ثابت ص

(٨) النهر الماد من البحر لأبي حيان على هامش البحر المحيط ٧/٢٧٤ والبحر المحيط ٩٧/٣٧

ونحوه قول الرجل لصاحبه « علم الله الصادق منى ومنك » (١) . ونحو قول العرب : « أخزى الله الكاذب منى ومنك » ، يقول ذلك من يتيقن أن صاحبه هو الكاذب (٢) . فكذوبته من وجه هو أحسن من التصريح (٣) . وأرتب على ذلك أن الفارسي لا يعترف بالرماني نحوياً ، وأنه يريد أن يقول — مورياً وملحاً — وفي التليح ما يفنى عن التصريح — أن نحوه هو النحو ، وليس عند الرماني من النحو شيء .

وأبو على الفارسي في هذا يلتقي مع البديهي حيث يقول :
« ما رأيت على سنى وتجوالى وحسن إنصاف لمن وضع يده في الأدب أحداً أعزى من الفضائل كلها ، ولا أشد ادعاءها كلها من صاحب الحدود » (٤) ، فإني مع وزني له ، ونظري إليه ، واستكثاري منه في عنفوان شببتي لم أقطع على أمره حتى راجعت العلماء في أمره ، فقال المتكلمون : « ليس فنه في الكلام فناً » ، وقال النحويون : « ليس شأنه في النحو شأننا » ، وقال المنطقيون : « ليس ما يزعم أنه منطوق منطقاً عندنا » ، وقد خفي مع ذلك أمره على عامة من يرى (٥) . وهذه العبارة — في هذا المقام — تدل على أن الرماني لم يبلغ في النحو شأن المشتغلين بصناعته . وهذا ما أفهمه من عبارة الفارسي .

فا الذي دعا الفارسي إلى ذلك الموقف الذي وقفه من الرماني ؟ وأن يرى ذلك الرأي الذي رآه فيه ؟

كان لا بد أن أرجع إلى بعض ما لكل منهما في النحو ، فاقصت بآثار لها اتصالاً هادئاً إلى الفهم الذي قررت في عبارة الفارسي ، وأعانتني على هذا الفهم أني تعرفت النزعات المختلفة ، والأهواء التي كانت تسيطر على العلماء في ذلك العصر ، وتوجه قلوبهم جبالاً لفرق منهم ، وبفضلاً للآخرين ، فألقت ذلك كله ضوءاً على العلاقات التي كانت تربط بين الفارسي وسواه من الأئمة في عصره ، ومن هؤلاء « علي بن عيسى الرماني » .

فن حيث الآثار التي تركها كل ، فللرماني مخطوطات ، بمهد إحياء المخطوطات العربية مصور من مكتبة البديري بالقدس (٦) في (فيلم) رقمه ٢٢ (اثنان وعشرون)

(١) تفسير الزمخمرى ٢٥٩/٣ (٢) تفسير البحر المحيط ٢٧٩/٧

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢٠٨ (٤) يقصد الرماني

(٥) البصائر والذخائر (٦) رقم المخطوطة فيها ضمن مجموعة الرسالة الثانية من ١٣٥

وعدد أوراقه خمس وعشرون ، تحدث فيه عن الحروف . قرأت هذا الكتاب ، فوجدت الرماني يخالف المنطق ، ويتجنبه شكلاً ، وموضوعاً .
فلو كان الرماني يلتزم المنطق في نحوه لرتب كتاب الحروف ترتيباً يبدو فيه المنطق — من ناحية الشكل — حقيقة بدأ بالحروف الأحادية ، ثم ثنى بالثنائية ، ثم تحدث عن الثلاثية فالرباعية ، ولكنه أوردها في سلك لا يخضع لنظرة ذات اتجاه منظم :

فقد تحدث عن الحروف بالترتيب الآتي :

الحروف الأحادية : الهمزة ، الباء ، التاء ، السين ، الفاء ، الكاف ، اللام ، الواو .
الحروف الثنائية : وقد أوردها على النسق الآتي : أل — أم — أن — إن — أو — أى — لا — ما — وا — ها — بل — عن — في — من — قد — كي — لم — لو — هل — مذ .
ثم تحدث عن : منذ — نعم — بلى — ثم — جبر — خلا — رب — على — سوف — إن — أن — ليت — ألا — إلى — إذا — أيا (وهذه هي الثلاثية)
ثم ساق الكلام عن : حاشا — حتى — كأن — كلا — لولا — لوما — لعل — إلا — أما — إما — هلا — لما — لكن (وتلك هي الرباعية) .
وبمراجعة الترتيب الذي التزمه ألاحظ أنه :

(أ) التزم الترتيب على حسب الأحرف الهجائية في الحروف الأحادية .
(ب) لم يلتزم هذا الترتيب في الحروف الثنائية ، فهو يورد بل ، بعد ديا ، وقد ، بعده من ، ودمذ ، بعد دهل . وقد تجد شيئاً من هذا في الأحرف الثلاثية والرباعية .
قد يقال : وربما رتب الرماني هذه الحروف ترتيباً يخضع لنظام آخر غير ترتيب الحروف الهجائية ، كأن يرتبها على حسب العامل منها أو الهامل — على حد تعبيره — أو التي تعمل النصب معاً ، والتي تعمل الجر كذلك ، ولكنك تطبق شيئاً من ذلك أو غيره فلا تمضى في الطريق حتى يلتوى عليك أو يعلق ^(١) .

فإذا انتقلت من نقد الشكل إلى نقد الموضوع فانك تقرأ كتاب الحروف فلا تشم ريح المنطق ولا تكاد تجد ظلاً للفلسفة فيه اللهم إلا أضواء خافتات كأن

(١) التصنيف باب من أبواب المنطق انظر الموجز في المنطق ص ٢٥ وما بعدها

يقول: « وليست أما من حروف العطف كما يذهب إليه بعض النحويين ، يدلك على ذلك أنك إذا قلت : « رأيت إماماً زيداً وإماماً عمراً لم يخجل قولك : إماماً زيداً وإماماً عمراً أن تكون إما الأولى عاطفة أو الثانية ، فلا يجوز أن تكون الأولى حرف عطف ، لأن حرف العطف لا يبدأ به ، ولا يجوز أن تكون الثانية ، لأن الواو حرف عطف ولا يجمع بين حرفي عطف في شيء من الكلام ، وإذا ثبت ذلك بطل أن تكون عاطفة ، ولكن النحويين لما رأوا إعراب ما بعدها كأعراب ما قبلها ذكروها مع حروف العطف تقريباً واتساعاً ، (١) .

فهذا نوع من التذليل المنطقي ، ولكنه نادر في كتاب الحروف ندره لا تأخذ الحكم ، ولا تنتج القاعدة ، على حين أن المنطق بقضاياه وأشكاله ، وعلله وأقيسته يطالعك في كتب أبي علي في كثرة غامرة .

* * *

ومفهوم عبارة أبي علي الذي انتهت إليه أنه ينتقص الروماني ، وقد مضيت في قراءة كتاب الحروف للرماني ، وأخذت أستخرج منه ما قد يخالف فيه أبا علي ، وما قد يكون سبباً في رميه بما رمى فوجدت :

أولاً — أن الرماني يقصر في التعليل ، فالرماني إذا علل قصر ، وليس ذلك شأن أبي علي ، فأبو علي يجبك التعليل ، ويحكمه حتى لا تجرد — في الأعم الأغلب — معترضاً تعترض به عليه ، أو إيراداً تورده إليه (٢) .

ومن أمثلة تقصير الرماني في التعليل ما ذكره من أن « الهمزة كانت من الهوامل ، لأنها تدخل على الاسم والفعل ، وما كان بهذه الصفة لم يعمل شيئاً ، وإنما يعمل الحرف إذا اختص بأحد القبيلين دون الآخر (٣) ، وهذا التعليل يرد عليه دخول السين على الفعل فقط واختصاصها به ، وكان مقتضى تعليل الرماني أن تكون من العوامل ، ولكنها من الهوامل . وكذلك (أل) تختص بالدخول على الأسماء ، وهي مع ذلك من الهوامل ، وكان هذا الاختصاص يجعلها على حسب تعليل الرماني من العوامل ولكنها لم تكن . ثم يرد عليه كذلك — اللام — وهي تدخل على الفعل والاسم ، ومع ذلك فهي من العوامل (٤) .

(١) لوحة رقم ٢٤

(٢) سترد شواهد من تعليقات الفارسي توضح هذه القضية

(٣) اللوحة الثالثة من المصور (٤) لوحة رقم ٧

وانظر تعليله في حروف الجر: بينا يقول: «الباء الجارة كسرت لتكون على حركة مموها، وحركة مموها الكسر»^(١) — يقول في تعليل فتح الكاف الجارة: «وفتحت الكاف على ما يجب في الحروف التي تكون آحادية، وذلك أن الفتح أخف الحركات فاختر لها ذلك»^(٢)، مع أنه علل من قبل لفتح الكاف فقال: «لإنها قد تكون اسماً، وهم قد فرقوا بين حركة مالا يكون إلا حرفاً نحو الباء واللام، وحركة ما قد تكون اسماً نحو الكاف»^(٣). وإذ كان يقول: «إن الباء الجارة كسرت لتكون على حركة مموها، وحركة مموها الكسر، فما بال اللام المجازمة تسكر مع أن حركة مموها الجزم؟ وما بال اللام الناصبة: لام التعليل تسكر وحركة مموها النصب؟

وهكذا يبدو الاضطراب في التعليل عند الرماني، كما تخفى "نظرة الشاملة المستقرئة التي تجمع الحالات المتشابهة — أو أغلبها — تحت حكم واحد، وتمنع ما عداها من الدخول فيه ثم اقرأ ما ذكره في تأويل الهمزة من قوله تعالى: «أتجعل فيها من يفسد فيها؟» فقد جعلها الرماني استرشاداً، وذلك أنهم استرشدوا ليعلموا وجه المصلحة في ذلك ..

وجعل الرماني الهمزة للاسترشاد فيه نظر، ذلك أنها إذا كانت للاسترشاد فهي قد استعملت في معناها الحقيقي، فالاسترشاد يتضمن جهلاً من المسترشد كما هو في حقيقة الاستفهام، ولكن الرماني جعل الاسترشاد شيئاً آخر غير حقيقة الاستفهام، بدليل أنه جعل الاستفهام الحقيقي وجهاً من الأوجه التي ترد لها الهمزة، وذلك في صدر كلامه عنها مستعملة في الاستفهام^(٤). فضعف الرماني فيما يورد من حجج وتعليل باد لامواربة فيه، وقد ظلت الفكرة عن ضعفه النحوي حتى عصر متأخر، فقد ناقشه ابن هشام في واو الثانية، ثم قرر أن هذه الواو أثبتتها — كذلك^(٥) — جماعة من النحويين الضعفاء كابن خالويه^(٦).

* * *

وثانياً — هناك ما يفسر العلاقة بين الرماني وأبي علي — ذلك أن الرماني يستشهد في كتابه «الحروف»، بتلاميذ أبي علي بجانب استشهاده بالائمة

(١) لوحة رقم ٣ (٢) لوحة رقم ٦ (٣) لوحة رقم ٣
(٤) كتاب الحروف لوحة ٢ (٥) هذا الاعتراض ليس من عبارة ابن هشام
(٦) المنقح لابن هشام ٣٤/٢

السابقين^(١). ولكنه لا يستشهد بأبي على الفارسي مطلقاً ، واستشهد الرمانى بالشيوخ أمر مسلم به ، وليس له دلالة على ما بينهما — الرمانى والفارسي — من علاقة ، أما أن يستشهد بعلي بن عيسى الربيعي^(٢) وابن جنى^(٣) وهما تلميذان للفارسي ، ولا يستشهد بأبي على ، مع أن الرمانى قرأ عليه^(٤) ومع أن للفارسي آراء معروفة فيما تعرض له الرومانى من الحروف ، فهذا ما أستنتج منه أن العلاقة بينهما كانت لا تقوم على الود والصفاء .

الفارسي هو الذى روى البيت :

إذا زرتنا فامحج بطرفك غيرنا كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

لكي يحسبوا^(٥) ... ، ومع ذلك فقد طوى الرمانى ذكره ، ولم ينشر خبره . وذلك حيث يقول : والرواية عند البصريين : لكي يحسبوا ... وأستبعد ألا يعرف الرمانى راوى هذا البيت على التحديد ، فهو معاصر للفارسي ، بل إن الرمانى أخذ عن الفارسي ، قارىء عليه^(٦) .

ومن هذا القليل زيادة لا فى البيت :

أبي جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتي لا تمنع الجود قائله
فالرمانى يقول : قالوا : معناه أبي جوده البخل^(٧) .

ولكن من الذى قال وكفى عنه الرمانى وذكره بضمير الغيبة ؟ هو أبو على رواية عن أبي الحسن ، فقد أورد أبو على فى كتاب الحجّة^(٨) هذا البيت ثم قال : قال أبو الحسن : فسرتة العرب أبي جوده البخل ، وجعلوا لا زائدة حشوا وصلوا بها الكلام . وقد نقل ابن هشام فى كتابه المعنى هذا الرأى على خلاف يسير فى التعبير^(٩) . وقد نص ابن هشام فى كتابه المعنى على آراء لأبي على الفارسي عند كلامه على الحروف ، ومع أن كلا من الرمانى وابن هشام قد تناولا موضوعاً واحداً فإن

(١) استشهد بالخليل لوحة ١٤ والأخفش لوحة ١٨، ١١ ويونس ١١ وقطرب ٨

(٢) لوحة ٨ وانظر لوحة ٩ من كتاب الحروف

(٣) لوحة ١٢ من الكتاب المذكور (٤) معجم الأدباء ٢٣٩/٧

(٥) انظر المعنى لابن هشام فى الكلام على الكاف (٦) معجم الأدباء ٧٣٩/٧

(٧) الحروف لوحة ١٤ (٨) نسخة البلدية باسكندرية ١٥٩/١

(٩) انظر المعنى ١٩٦/١

الرماني لا ينص على شيء من آراء الفارسي المعاصر له ، على حين ينص عليا ابن هشام الذي جاء بعدهما بنحو من أربعة قرون .

وفيما يلي عرض لطرف من آراء أبي علي في بعض الحروف ، وسأشير عابراً إلى بقية آراء الفارسي في مختلف الحروف الأخرى :

جاء في المعنى لابن هشام^(١) : « وقال أبو علي الفارسي في الأكثر ، وقد تسمنض - أى إذن - للجواب ، بدليل أن يقال لك أحبك ، فتقول : إذن أظنك صادقاً ، إذ لا مجازاة هنا ضرورة ، وقد تحدث الرماني عن إذن^(٢) ، ولم يورد رأى الفارسي . وأورد صاحب المعنى رأى الفارسي في (ماذا) من قول الشاعر :

دعى ماذا علقت سأنتقيه ولكن بالمغيب نبئيني

وأنها نكرة بمعنى شيء^(٣) ، ولم يورد الرماني شيئاً من ذلك^(٤) ، ثم انظر بقية المسائل من هذا النوع في المعنى^(٥) .

وقد كنت قدرت من أسباب الاختلاف بين نحو الإمامين أن الرماني يمزج كلامه في النحو بما يتصل بعلم المعاني ، كما ذكر من أن الهمزة تكون للإنكار والتوبيخ والاسترشاد^(٦) وتقريره الخبرية في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير ، وإن خرج مخرج الاستفهام^(٧) ، وقوله : « وقد تقع اللام بمعنى العاقبة^(٨) ، وقد يقع الأمر موقع الخبر كقوله تعالى : « فليمدد له الرحمن مداً^(٩) - قدرت تعرض الرماني للمعاني من أسباب الاختلاف بينه وبين الفارسي أول الأمر ، ولكنني عدلت عن جعل ذلك سبباً ، لأنني وجدت بعض ذلك في كلام الفارسي^(١٠) .

(١) ج ١٩/١ (٢) الحروف ٢١ (٣) المعنى ٥/٢

(٤) انظر الكلام في (ما) في كتاب الحروف لوحة ١٤ ، ١٥

(٥) ١٩٧/١ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠١٧ ، ٢٢٢٢ ، مثلا - ١٧/٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، مثلا

(٦) لوحة رقم ٢

(٧) لوحة رقم ٥ (٨) لوحة رقم ٦ (٩) لوحة رقم ٧

(١٠) انظر الفارسي والبلاغة في الفصل الخامس بذلك من هذا البحث .

وأنتقل الآن إلى نوع من الدراسة المقارنة فأعرض نموذجين لكل من أبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني ، في حرفين تكلمنا فيهما ، لترى مدى ما يشيع في كلام كل من المنطق ، ومقدار ما يمزجه به .

وقد اخترت الحرفين (ما) و (لا) ، ولم أقصد في هذا الاختيار أن أؤيد رأيا بعينه ، أو أن أسلوب كل من الإمامين في هذين الحرفين غير أسلوبهما في بقية الحروف الأخرى ، بل إن منجهما في هذين كنهجهما فيما استقيت منه هذه الأمثلة — وما كنت بذلك العرض إلا مثلا مستشهدا ، لا حاصرا متقصيا .

(ط) تكلم الرماني عنه في كتاب الحروف لوحة ١٤ ، ١٥ .
وتكلم الفارسي عنه في البغداديات ورقة ١٩ والشيرازيات ١٨ وما بعدها .
(لا) تكلم الرماني عنه في كتاب الحروف لوحة رقم ١٣ .
وتكلم الفارسي عنه في كتاب الحجّة ص ١٥٥ وما بعدها نسخة البلدية وص ١١٠ نسخة مراد ملا .

وسأترك كلا من الرجلين يتحدث ثم أشير إلى المواطن التي تؤكد الرأي الذي رأيت .

قال أبو علي^(١) : قولهم (ما) كلمة استعملت على ضربين اسم وحرف ، واستعمالهم إياها اسما على وجهين ، أحدهما أن يكون اسما موصولا ، والآخر أن يكون اسما غير موصول ، فإذا كانت موصولة وصلت بما يوصل به الأسماء الموصولة وهو الابتداء والخبر والفعل والفاعل والظرف والشرط والجزاء .

ولا بد من أن يعود من هذه الصلات ذكر إليها ، وبعد أن مثل لكل صلة من هذه الصلات بمثال — قال : وما جاء من ذلك في التنزيل قوله « ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم .. الخ ، فأفرد الراجع في قوله : « ما لا يملك » وجمع في قوله : « ولا يستطيعون^(٢) » ، فدل الجمع على أن المراد بما الكثرة وغير الأفراد ، كما أن (من) كذلك في قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا » ، فأفرد الراجع ثم جمع في قوله : « فلهم أجرهم عند ربهم ... الآية » ، وقال : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ... إلى قوله شفعاؤنا عند الله » ، فدل قوله : « هؤلاء

(١) انظر الشيرازيات ص ١٢٨ وما بعدها

(٢) وانظر البغداديات ١٩ نص تصيره ... الشيرازيات انظر ص ١١٨

شفعاؤنا ، على المراد بما الكثرة في قوله : « ما لا يضرهم ، كادل جمع الضمير في قوله : (ولا يستطيعون) على ذلك . ومثل هذا في من قوله : « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ، الآية (١) ، فالمراد بمن الكثرة (٢) ، وهذا النحو في التنزيل وغيره من كلامهم كثير . وقد جرى قولنا الذي إذا كانت موصولة بجرى من وما في أن اللفظ مفرد والمراد به الكثرة ، وذلك قوله : « والذي جاء بالصدق .. الخ ، وقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد .. الخ (٣) ، فدل جمع الضمير في قوله بنورهم على أن المراد بالذي الكثرة فهذا مجيء ما موصولة (٤) .

فأنت تراه في هذا النص يقايس بين « من ، وما ، في أسلوب عقلي ، تبدو فيه النظرة الفاحصة المنطقية ، فن ، وما يجرى مجراها الذي . والحظ التقابل بعد ذلك في الأمثلة ثم الحظ التوافق في الاستنتاج في صورة أشبه بالبراهين الهندسية التي يجريها المشتغلون بها في هذا الزمان :

- (ا) « يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم شيئاً ولا يستطيعون ، .
(ب) « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم ، .

* * *

- (ج) « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، .
« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ،
(ا) « أفرد الراجع في « ما لا يملك ، وجمعه في « ولا يستطيعون ،
(ب) « وأفرد الراجع في « عمل صالحاً ، وجمعه في « فلهم أجرهم ، .
: . ما ، ومن لفظهما مفرد ومعناه الكثرة .

(ج) « ومن حيث إن الضمير العائد على الذي مفرد في وصدق به وجمع في قوله وأولئك هم المتقون كما أنه مفرد في استوقد ناراً وجمع في قولهم بنورهم .
إذن : الذي لفظه مفرد ويراد به الكثرة .

والنتيجة : إن الذي إذا كانت موصولة تجرى بجرى من وما في أن اللفظ مفرد والمراد به الكثرة .

(١) سورة محمد آية ١٦ (٢) الشرايات ١٢٩ في الاصل فالرادين الكثرة وهو ريف
(٣) سورة البقرة آية ١٧ (٤) الشرايات ١٢٩

وتجد في تعبير الفارسي ما يدل على أنه استقرأ الجزئيات ، ثم عرف الخصائص المشتركة فيها ثم حكم ، وهذا شأن المنطق فيما يصدر من أحكام :
يقول : « وقد تأملت هذه الأسماء المهمة أعنى الذى ومن وما فوجدت جميع ذلك يقع على الكثرة والجماعة ، وإن كان لفظها واحداً فنفرد تارة للضمير العائد من الصلة إليه — للفظ ، وتجمع تارة (١) .

ويمثل قوله : تأملت مرحلة الاستقراء ، وقوله فوجدت مرحلة الخصائص المشتركة ، وقوله فنفرد تارة وتجمع تارة مرحلة الحكم ، وهو إذ يقول وهذا النحو في التنزيل وغيره من كلامهم كثير يدل على أنه استقصى أمثلة كثيرة .

ثم قوله بعد ذلك (٢) ، فإذا كانت غير موصولة كانت على ضربين : أحدهما : أن تكون موصوفة ، والآخر أن تكون غير موصوفة ، وصفتها تكون على ضربين مفرد وجملة ، فالمفرد كقولهم ، مررت بما صالح ، وتقديره بشيء صالح كما أن مررت بمن صالح مثل رجل صالح ، ووصفه بالجملة وهى الكلام التام كقوله : « ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال ،

فما بمنزلة شيء ، وليست الكافة كالتى فى قوله « ربما يود الذين كفروا (٣) ، ، لأن الذكر قد عاد على ما ، والذكر إنما يعود إلى الأسماء دون الحروف ، والتقدير فى تكره وتكرهه ، فحذفت الهاء من الصلة كما حذفت من الصلة فى قوله : « أهذا الذى بعث الله رسولا (٤) ، أى بعثه ، ويدل على ذلك الضمير الذى فى له من قوله : « له فرجة ، ومثل ذلك فى قول الفرزدق :

إِنِّي وَأَهْلِكَ إِذْ حَلَّتْ بِأَرْحُلِنَا كُنْ بُوَادِيهِ بَعْدَ الْحُلِّ مَمْطُور

فالظرف الذى هو قوله بواديه فى موضع جر ، لأنه صفة من المنجرة بالكاف ، كأنه قال : « كأنسان بواديه ، ووصفه بالمفرد بعد ما وصفه بما يجرى مجرى الجملة كما جاء ذلك فى قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك (٥) ، فوصف الكتاب بقوله مبارك بعد ما وصف بأنزلناه ، وقد أجازوا فى قوله : « هذا ما لدى عتيد (٦) ،

(١) البغداديات ورقة ١٩ (٢) الشيرازيات ١٢٨ (٣) سورة الحجر آية ٢

(٤) سورة الفرقان آية ٤١ (٥) سورة الاضام آية ١٠٥

(٦) -ورة ق آية ٢٣ نص التفسير فى النسخة التى حصلت عليها

فيكون لدى صفة: ألا ترى أنه لو كانت صلة لكان الاسم بها معرفة ، ولو كان معرفة لاتصّب عتيد على الحال كما اتصّب شيخاً في قوله : « وهذا بعلي شيخاً ^(١) » ، وقد تقول على الصلة أيضاً ، وجعل ارتفاع عتيد بعد الموصول المعرفة كارتفاع شيخ بعد المعرفة في قراءة من قرأ : « وهذا بعلي شيخ ^(٢) » .

وما لا يكون ما فيه إلا موصولة ولا تكون كافة كالتى في قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء ^(٣) » ، « وإنما أنت منذر من يخشاها ^(٤) » ، قوله : « يحسبون أننا نندم به من مال ... إلخ ^(٥) » ، فقوله : « إنما تكون ما فيه موصولة لا موصوفة لرجوع المذكر إليه في قوله به ، والذكر إنما يعود إلى الأسماء ، فهذا بمنزلة له في قول الشاعر : « له فرجة ، اه .

ألا تجد في هذا الكلام المنطق واضحاً بأقيسته ، وبراهينه وقضاياه ؟ فقول الفارسي : « ما في قول الشاعر : ربما تكره النفوس ... بمنزلة شيء وليست كافة ، قضية ، وقوله بعد ذلك « لأن الذكر إنما يعود إلى الأسماء دون الحروف ، برهان هذه القضية .

ثم اقرأ العبارة السابقة والحظ ما يأتي :

أولاً - المقايسة أ - في قوله « حذفت الهاء من الصفة كما حذفت من الصلة ، والتدليل على ذلك .

(ب) وفي قوله وصفه بالمفرد بعد ما وصفه بما يجرى مجرى الجملة كما جاء ذلك في قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك ،

ثانياً - (١) القضية في قوله : وقد أجازوا في قوله : « هذا ما لدى عتيد ، أن يكون لدى صفة . والتدليل عليها بقوله : ألا ترى أنه لو كانت صلة لكان كذا وكذا ...

(ب) ثم القضية في قوله : وما لا يكون ما فيه إلا موصولة ولا تكون كافة ... إلخ وبرهان هذه القضية : حيث يقول في قوله تعالى : « يحسبون أننا نندم به من مال .. فقوله « أننا ، تكون ما فيه موصولة لا موصوفة لرجوع الذكر إليه

(١) سورة هود آية ٧٢ (٢) سورة هود آية ٧٢ (٣) سورة فاطر آية ٢٨

(٤) سورة النازعات ٤٥ (٥) سورة المؤمنون آية ٥٦

في قوله به ، والذكر إنما يعود إلى الأسماء فهذا بمنزلة له في قول الشاعر : « له فرجة ، ثم الحظ القياس في تعبيره الأخير السابق إذ يقول : فهذا بمنزلة له ... الخ
ثم انظر اتحاد الحكم لاتحاد العلة والتنظير فيما أورد من قوله : « وإنما جاءت هذه الأسماء من - ما - الذى ، على هذا الذى ذكرته من دلالتها مرة على الواحد ومرة على الكثرة لإيهامها أقول (وهذه هي العلة) - ، وأن شيئاً منها لا يختص لمسمى بعينه (وذلك شرح الإيهام) - ، فهو في ذلك شبيه باسم النوع (وهنا التنظير) - الذى يقع للواحد من النوع ويقع للجماعة نحو الرجل والإنسان والدرهم إذا أردت به الواحد أو النوع أجمع (وهذه هي العلة المشابهة - في اسم النوع - بمن وما) - كقوله : « إن الإنسان خلق هلوعاً ... ثم قال إلا المصلين . وقوله : إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا ... فالإنسان لا يخص واحداً بعينه كما أن من ، وما ، والذى لا تخص واحدة منها شيئاً بعينه ، لكنها تكون للكثرة وللواحد (ثم يصدر حكمه بعد ذلك بقوله) :

فجاز هذا في هذه الأسماء المهمة التي لا تختص بالدلالة واحداً بعينه كما جاز

في الإنسان ونحوه من أسماء الأنواع (١) .
وهو حكم واحد مبني على العلة المتحدة .

* * *

ثم اقرأ قوله في الشيرازيات (٢) :

فأما قوله تعالى : « تسارع لهم في الخيرات (٣) » ففي موضع رفع ، لأنه خبر أن في قوله : « يحسبون أنما ، وإذا كان خبره فلا بد من ذكر غاية إليه ، ألا ترى أن خبر أن تكبر المبتدأ يكون هو هو في المعنى نحو حسبت أن زيداً منطلق ، فنطلق هو زيد في المعنى ، أو يكون له فيه ذكر إذا لم يكن هو هو ، وقد تبين أن قوله : « تسارع لهم في الخيرات » ليس « ما ندمهم به » في المعنى ، فلا بد إذن من راجع في هذا الخبر مذكور أو محذوف ، وليس بمذكور ، فثبت أنه محذوف ، وذلك المحذوف تقديره : تسارع لهم به أوله في الخيرات ، فحذف الراجع من الخبر لطول الخبر ، ولتقدم ذكره فحسن ذلك الحذف ، وهذا الحذف من خبر المبتدأ في هذا النحو كثير . ومثله في الكلام : « السمن منوان بدرهم ، . ا ه

ويمكن وضع تعبيره السابق على النحو الآتي .
نسارع لم في الخبرات في موضع رفع لأنه خبر أن ومن حيث إنه خبر أن
فلا بد من ذكر غاية إليه ، ذلك لأن خبر أن تكبر المبتدأ إما أن :

(أ) يكون هو هو — وإما أن :

(ب) يكون فيه ذكر إذا لم يكن هو هو

ونسارع لم في الخبرات ليس ما نمدم في المعنى .

∴ لا بد من راجع في هذا الخبر مذكور أو محذوف وليس بمذكور .

∴ هو محذوف وهو المطلوب إثباته .

* * *

ثم اذكر تتابع التقسيم ، وما في ذلك من صحة منطقية حيث يقول : « وقد جاءت
(ما) مفردة غير موصوفة ، وذلك على ضربين أحدهما أن يكون في الخبر ، والآخر
أن يكون في غير الخبر ، فأما مجيئها في الخبر غير موصوفة فعلى ضروب من ذلك
قولهم في التعجب « ما أحسن زيدا » ، ومثل ما في التعجب في أنه لا صلة له ولا صفة
قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعماً هي (١) » ، وقالوا : « دققته دقاً ناعماً ، أى « نعم
دقاً ، وقالوا : « إني مما أن أصنع ، فإني هذا الموضع أيضاً غير موصوفة والتقدير
إني من امرئ . أن أصنع ، فيجوز أن يكون أن أصنع بدلا من ما كأنه قال إني من
امرئ . أن أصنع ، وهذا كلام يقوله المجد في عمله المنكش فيه ، لجعل نفسه كالحدث
لشدة جده فيه كما قال :

وصدت فأعدانا بهجر صدودها وهن من الإخلاف قبلك والمطل

فإنما جعلهن من الإخلاف لكثرة ذلك منهن ، ودوام تعاطيهن له .

ومن قال : « إني مما أصنع أمكن أن يكون ما على ضربها من الصلة والصفة إلا

أنه حذف العائد إليها والتقدير أصنعه ، وقال الشاعر :

وإنا لما نضرب الكبش ضربة على رأسه تلقى اللسان من الفم

فهذا على نضرب الكبش له حذف ، ويكون المعنى : « إنا تتعاطى هذا الفعل

كثيراً لأن التكثير أشبه بهذا من التقليل من حيث كان أذهب في المدح وأخفم لشأنهم ،

فانظر كيف استخدم القياس على محفوظه من الشواهد لتأكيد المعنى الذى أراد ، ثم
الحظ توجيهه المعنى توجيهاً مبنياً على تحقيق الغرض الذى أراده الشاعر على
صورة كاملة .

* * *

ثم قال : فأما قوله : « قتل الإنسان ما أ كفره ، فيحتمل ما ضربين .
يجوز أن يكون تعجباً كقولهم : « ما أحسن زيداً ، ويدل على ذلك قوله : « إن
الإنسان لكفور ، وقوله « إن الإنسان لكفور مبين » .

وقد يكون اللفظ على الاستفهام والمعنى التقريع أى ما الذى صيره إلى الكفر
والأسماء والأشياء (كذا) التى يشاهدها توجب خلاف الكفر ، يدل على ذلك
تعداد النعم عليكم سياق الآية .

قال أبو على : فأما قوله : « وما رزقناهم ينفقون ، فيجوز أن تكون ما موصولة
وبجوز أن تكون مع الفعل بمنزلة المصدر ، فيكون التقدير ، ومن رزقهم ينفقون ،
ومعنى ينفقون من رزقهم لا يتعدون ما لهم إلى مال غيرهم على وجه الاغتصاب .

وإن جعلتها موصولة قدرت فى الصلة حذف الهاء ، وما رزقناهموه أى من
الذى رزقناهموه ، ويدل على ذلك قوله : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، فالتقدير
فيه رزقناه (١) ، ، وفى كلامه هذا تدليل بالقياس والتنظير .

ثم انظر إلى القياس الاستثنائى الانفصالى فى البرهنة على أن (ما) فى قوله تعالى :
« وما رزقناهم ينفقون ، حرف ، قال :

فالدليل على أنها حرف أنها لا تخلو من أن تكون حرفاً أو اسماً ، فإن كان اسماً وجب
أن يعود إليه من صلة ذكر كما يعود من سائر الصلوات إذا كانت موصولاتها أسماء ذكر
لها ، ولا يخلو الذكر العائد فى الصلة أن يكون أحد ما فى الصلة من الأسماء الملقوظ
بها أو يكون مقدرأ حذفها منها ، فلا يجوز أن يكون شئ من الأسماء الظاهرة فى الصلة
عائداً إليه وامتناعه من الجوازين ، ولا يجوز أن يرجع إليه ما محذوفة من الصلة
على أن يكون التقدير وما رزقناهموه . . . لأنك إن قدرت هذا التقدير عدت
رزقت إلى مفعولين ، وإنما يتعدى إلى مفعول واحد ولو عدت إلى ثان لنقلت

الفعل بالهمز . . فن حيث لم يجز أن يعدى رزقت إلى مفعولين لم يجز تقدير هذا الضمير ولم يعد إلى ما شيء ، وإذا لم يعد إليه شيء لم يكن إسماً ، وإذا ثبت أنه ليس باسم ثبت أنه حرف (١) . فأى منطق بعد هذا ؟

أليس أبو علي هو الذى يبرهن على مسائل النحو بالقضايا المنطقية ؟ فكيف ينسب ذلك إلى الرماني ؟

وأبو علي وإن كان قد تناقض في رأيه وبرهانه الأخير — هو وتدليله السابق على أن (ما) موصولة في قوله تعالى : وعمارزقناهم ينفقون (٢) ... فان هذا التناقض دليل عندى على نزوع الرجل نحو الاحتجاج والتعليل على أى حال ، لأنه يستطيع به أن يبرهن على الشيء وضده .

* * *

ثم انظر كيف يتفهم أبو علي المعنى ، ويعرب بمقايسة الكلام بغيره ، ويتخذ القياس دليلاً على ما يقول : قال :

« فأما قوله : ، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم (٣) ، فالمعنى : ، لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم ويدل على ذلك قوله : « وما أرسلنا إليهم قبلك من نذر ، ، فهذا يدل على أن آباءهم الآذنين لم ينذروا ، وإن كان قد أنذر من آباؤهم من أدرك زمان الأنبياء ولم يكن في الفترة ، ويدل على ذلك أيضاً قوله : « لتنذر قوماً ما أتاهم من نذر من قبلك ، ، ولا يجوز أن تكون زائدة لتنذر قوماً أنذر آباؤهم ، لأن هذا التأويل لا يلائم الآى التى تلوننا .

فأما قوله - وهنا يورد أبو علي اعتراضاً ويرده - « ثم أرسلنا رسلنا تترى ، (٤) فلا يقوى قول من قال : إنها غير نافية ، لأنه في حين غير الحين الذى كان يبعث فيه نبياً ، ألا ترى أن بعد هذه الآية قوله : « ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا ، (٥) .

ثم اقرأ كلام الرماني في (ما) الزائدة حيث يقول : (٦) تكون زائدة وذلك

(١) البغداديات رقم ٢٢

(٢) انظر الشرازيات ١٢٩

(٣) سورة المؤمنون آية ٤٤

(٤) سورة المؤمنون آية ٤٥

(٥) الحروف لوحة رقم ١٥

(٦) سورة يس آية ٦

(٧) سورة المؤمنون آية ٤٥

على ضربين : أحدهما - أن تكون كافة ، وذلك نحو قولك : إنما زيد قائم ، ولعله أخوك خارج ، قال الشاعر :

تحلل وعالج ذات نفسك وانظرن أبا جعل لعلنا أنت حالم ؟
ومن العرب من يزيد ما ، ولا يعتد بها فيقول : إنما زيداً قائم ، وهو في لبتما أكثر ، وبيت النابغة ينشد على وجهين :

قالت ألا لبتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فن أنشد بالنصب لم يعتد بما ، ومن أنشد بالرفع جعل ما كافة ، ويجوز أن تعمل ما بمعنى الذى ، ويكون هذا خبر مبتدأ محذوف ، وتكون الجملة من صلة ما ، ويكون التقدير قالت « ألا لبت الذى هو هذا الحمام لنا ، وتكون ما فى موضع نصب بليت ، ولنا خبر لبت .

والثانى : أن تكون لغواً وذلك نحو قوله تعالى : فبما رحمة من الله لنت لهم أى فبرحمة ، ومثله فبما نقضهم ميثاقهم أى فبنقضهم . وأما قوله تعالى : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ففيه قولان :

أحدهما : أن ما لغو والتقدير إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة ...
والثانى : أن ما نكرة وبعوضة بدل منها يسد مسد الوصف .
ويجوز الرفع فى بعوضة من وجهين :

أحدهما : أن تكون خبر مبتدأ محذوف على طريق الجواب كأن قائلاً قال :
« ما هذا المثل ؟ ، فقيل بعوضة ، أى هى بعوضة .

والثانى أن تكون ما بمعنى الذى ، وبعوضة خبر مبتدأ محذوف ، والجملة من صلة ما والتقدير : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً الذى هو بعوضة .

وهكذا يمضى الرماني فى يسر وسهولة مريحة للذهن ، والحق أنى عندما أقرأ الرماني بعد قراءتى أبا على — أشعر براحة من عناء ما غمرنى فيه الفارسي من مسائل المنطق ، وأدلة فيها تعمق وإيغال . فلا أزر للتعميد أو التعقيد ، أو تصنيع المنطق عند الرماني ، على حين تقرأ كلام أبى على فى (ما) إذا كانت زائدة فتراه يقول : (١)
استعملت ما حرفاً زائداً مع الاسم والحرف والفعل ، وكل موضع ... ثم يمشى شارحاً ذلك فى تطويل واستقصاء واستطراد معاً ، وأقتطف هنا كلامه فى الضرب

الرابع من زيادة (ما) ، وفيه يتجلى أسلوبه المنطقي في المناقشة — بما هو غنى عن الإشارة إليه أو التعليق عليه .

قال أبو علي : (١) الضرب الرابع من زيادة ما : وهو أن تزداد غير ملازمة للكلمة ، هذا كثير في التنزيل ، والشعر ، وسائر الكلام : فمن ذلك قوله تعالى : فبما نقضهم ، وبما خطيئاتهم ، ونحو ذلك من الموضع التي كذا تزداد فيه ولا تلزم قال الشاعر :

وكانه لطق السراه كأنه ما حاجبيه معين بسواد

وزيادة هذا أكثر من أن يحصى . ربما أنكروا منكرين وقوع هذه الحروف زوائد وليس يخلو إنكارهم لذلك من أنهم لم يجدوه في اللغة فلم يدخلوا فيها مالم يجدوه منها ، أو يكونوا أنكروه لرأى رأوه : فإن كانوا أنكروه لأنهم لم يجدوه في اللغة فيجب إذا وجدوا من ذلك ما لا مصرف له في التنزيل والشعر وسائر الكلام إلا إلى الزيادة أن يتركوا إنكاره لما رأوه إليه لأن ذلك الرأي فاسد لدفعه الموجود ، ونفيه الموجب ، وفي التنزيل : « لئلا يعلم أهل الكتاب وبما خطيئاتهم ، وبما رحمة من الله ، وفي الشعر من ذلك ما لا يحصى كثرة ، ولا مصرف له إلا إلى الزيادة .

فإن قال قائل فيما كان منه في التنزيل إنه للتأكيد فهو قول ، ويجوز عندي أن تكون فيه زائدة لغير التأكيد ، ألا ترى العرب يزيدون في النثر حيث لا حاجة إلى إقامة الوزن ، كما يزيدونها في النظم وحيث يقام الوزن في نحو آثرأ ما (كذا) ولا سيما وشبهه على لسانهم نزل ، وبلغتهم جاء ، وأيضاً : فكما جاز أن يزيدوا الحروف لغير المعاني في مجوز ، وكتاب ، وقبعثرى ، وجندب ونحو هذا كذلك تجوز زيادة هذه الحروف في التنزيل إذ كان التنزيل على ألسنتهم وما عليه تعارفهم ألا ترى فيه مثل قوله : لعله يتذكر أو يخشى ، ومثل قائلهم الله ، ويويل يومئذ للكذابين ، وأسمع به وأبصر ، وكل هذا على ما في عرفهم ، ويجرى خطابهم ، وإذا كان كذلك لم تتمتع زيادتها أولاً كما تزداد وسطاً وطرفاً ، ... ثم أخذ يضرب الأمثلة على كل ذلك في أخذ ورد واعتراض وتدليل ومناقشة وتعليل . . . الخ

هذه مقابلة بينهما أوردتها من كلام كل في (ما) الزائدة ، لتلقى ضوءاً على منهج التفكير ، وطريقة التناول عند كل من الإمامين ، وذلك المنهج لا يحتاج إلى التنبيه

على وضوحه وخلوه من الفلسفات عند الرماني، وتمتعه وامتلائمه بألفاظ المنطقة، وسلوكه مسلّمهم في التعليل والتدليل عند الفارسي .

وأختار بما قاله أبو علي في كلامه عن زيادة (لا) ^(١)، وأدعه يتحدث، ثم أعلق على كلامه ببيان ما أراه متصلاً بمسائل المنطق، ثم أورد كلام الرماني في زيادة لا، ليتجلى فرق ما بين الرجلين، وأيهما شاع في نحوه المنطق، ليصح فهمنا بعد ذلك لعبارة الفارسي، ورأيه في نحو الرماني، قال أبو علي في زيادة لا :

« وقد دخلت لا زائدة في مواضع كثيرة في التنزيل وغيره، فمن ذلك قوله :
« ثلاثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله، ^(٢)، وقد أجاز سيويه قياساً على هذا إما ألا يكون يعلم فهو يعلم على زيادة لا، وقد جاء زيادتها في الإيجاب كما جاء في النفي قال الشاعر :

أفنعك لا برق كأن وميضه غار تسنمه ضرام مثقب
وأنشأ أبو عبيدة ويلجئني في اللهب إلا أحبه .

وقال : « ما منعك ألا تسجد، وفي الأخرى : « ما منعك أن تسجد، ومن ذلك قول جرير :

ما بال جهلك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين
لا فيه زئدة، والتقدير : وقد علاك مشيب حين حين، وإنما كانت زائدة
لأنك إذا قلت : علاك مشيب حيناً، فقد أثبت حيناً علاه فيه المشيب، فلو جعلت
« لا، غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدها في قولهم : « جئت بلا مال،
وأبت بلا غنيمة، فنفيت ما أثبت من حيث كان النفي بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس،
فلما لم يستقم حمله على النفي للدافع العارض في ذلك حكمت بزيادتها، فصار التقدير

حين حين، وهذه الإضافة من باب حلقة فضة، وخاتم حديد، لأن الحين يقع
على الزمان القليل كالساعة ونحوها يدل على ذلك قوله : « تطلقه حيناً وحيناً. تراجع،
ويقع على الزمان الطويل كقوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر، ^(٣)
وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، فصار حين حين
كقول الآخر :

ولولا يوم يوم ما أردنا جزاءك والقروض لها جزاء

(١) الحجة ١١٠/١ وما بعدها نسخة مراد ملا (٢) سورة الحديد آية ٢٩

(٣) سورة الانسان آية ١

وليس هذا كقوله : « د حنت قلوصى حين لاحقين عن ، ، لأنه في قوله لا حين
عن ناف حيناً مخصوصاً لا ينتفى بنفسه لجميع الاخيان كما كان ينتفى بالنفى العام جميعها ،
فلم يلزم أن تكون لا زائدة في هذا البيت كما لزم زيادتها في حين عن ، فهذا الحرف
يدخل في النكرة على وجهين :

أحدهما : أن يكون زائداً كما مر في بيت جرير .

والآخر : أن تكون غير زائدة ، فإذا لم تكن زائدة كان على ضربين :

أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر وذلك قولهم
غضب من لا شيء ، وجئت بلا مال ، فلا مع الاسم المنكور في موضع جر بمنزلة
خسة عشر ، ولا ينبغي أن يكون من هذا الباب قوله : « د حنت قلوصى حين لاحقين
عن ، لأن حين ها هنا منصوب نصباً صحيحاً لاضافته ، ولا يجوز بناء المضاف
مع لا ، كما جاز بناء المفرد معها ، وإنما حين في هذا البيت مضافة إلى جملة كما أنها
في قوله : حين لا يكفون عن وجوههم النار كذلك ، إلا أن الخبر محذوف ، وخبر
لا يحذف كثيراً ، ونظير هذا في حذف الخبر من الجملة المضاف إليها ظرف الزمان
قولهم : كان هذا إذ ذاك ، .

والآخر : ألا تعمل إلا في اللفظ ، ويراد بها معنى النفي فيه فتكون صورتها
صورة الزيادة ومعنى النفي مع هذا صحيح ، وذلك كقول النابتة : « أمسى ببلدة لاعم
ولا خال ، .

وقال الشماخ :

إذا ما أدلجت وصفت يداها لها إدلاج ليلة لا مجموع

وقال رؤبة : لقد عرفت حين لا اعتراف

وبيت الكتاب :

تركنتى حين لا مال أعيش به وحين جن زمان الناس أو كلبا

* * *

وهكذا ترون أن أبا على يذكر التضايابيرهن عليها ، ويناظر ، ويعلل ويدلل ،
ويذكر الصور العقلية من نحو الزمان التصير والطويل وما هو أقصر ، ثم يفرع ،
ويذكر الفارق الذى لا يعتمد به في القياس ، فزج نحوه بالمنطق مزجاً ، فإذا قرأتم
بعد ذلك كلام الرماني في زيادة (لا) وجدتم ضحالة عنده تعابل عمقاً عند الفارسي :

قال الرماني (١) : وتكون — أى لا — زائدة على وجوه منها :
أن تتراد مع الواو لإزالة الاحتمال ، وذلك نحو قولك ما قام زيد ولا عمرو
وذلك أنك إذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل : أنهما لم يقوما معاً ، ولكن قاما
منفردين ، فإذا زدت لا زال هذا الاحتمال ، وصار إعلماً بأنهما لم يقوما أبته .
وتتراد بين العامل والمعمول كقولك : « غضبت من لاشيء ، وجئت بلا زاد » .
وقد زيدت توکیداً فى نحو قوله تعالى : « لثلا يعلم أهل الكتاب ، والمعنى
لأن يعلم ، فأما قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ، ففيه ثلاثة أقوال :
أحدهما : أن لا زائدة كأنه قال . « أقسم بيوم القيامة ، وهذا القول فيه نظر ،
لأن « لا ، لا تتراد أولاً (٢) .

والثانى أنها بمعنى إلا ، وفيه نظر أيضاً ، لأنه لا يعرف له نظير .
والثالث : وهو الوجه : أن لا رد لكلامهم ، وذلك أن القرآن كالشئ الواحد ،
والسورة الواحدة ، فيأتى الجواب عما فى سورة أخرى ، فكان « لا ، رد لها تكرر
من إنكار البعث ثم قال : « لا أقسم بيوم القيامة ، فأعلم الله تعالى أنه يقسم بيوم
القيامة ولا يقسم بالنفس اللوامة ، ويدل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى : « إن الله
لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . وهذا جواب ما ضربه الله من المثل
من العنكبوت والذباب وهما فى موضع غير هذا والجواب عهما ههنا كما ترى .
وقد روى قتيل عن ابن كثير لا أقسم (كذا) (٣) على أن اللام لام القسم وهذه
القرأة فيها نظر من وجهين :

أحدهما : حذف الألف التى بعد لا وهى فى الإمام ثابتة .
والثانى : حذف النون التى تصحب لام القسم لأنه لا يجوز ، والله لا أقوم
وقد أجازاه بعض النحويين إذا كان القسم من الحال .

وبعد ، فبعد هذه الجولة الواسعة التى تعرفنا فيها على الأهواء التى كانت تسيطر
على العلماء فى ذلك العصر ، والتى عرضنا خلالها نصوصاً من كلام الإمامين : الفارسي
والرماني — لعلك قد استرحت إلى أن الفارسي حين قال كلمته : إن كان النحو
ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ... ، أراد أن يرمى الرماني فى نحوه ، وأرجو

(١) الحروف لوحة رقم ١٤

(٢) فى الأصل : لأن لا تتراد أولاً — ولعل حذف لامه من الناسخ

(٣) صحتها لأقسم

بعد ذلك أن يصحح تفسير ما تداوله الناس ، وتوارثه الباحثون من أن الفارسي أراد بهذه العبارة أن الرمان كان يمزج نحوه بالمنطق ، وظهور المنطق في نحو الرمان على هذه الصورة الباهتة التي عرفت ، والامثلة النادرة التي عرضت ، لا يجيز لنا فهم العبارة هذا الفهم الذي توارثه الناس . ومع التسليم — جدلاً — أن الرمان حشا نحوه بالمنطق ، ودلل على القواعد النحوية بالقضايا المنطقية فإن ذلك لا يدفع الفارسي إلى أن يقول قولته ؛ لأنه مشترك معه فيما يرميه به . بل إن الفارسي هو الذي كان يهيج نهج المناطقة في عرض المسائل النحوية ، مدلاً ، وشارحاً ، ومعللاً ، ومناقشاً ، ومعتزلاً ، وراداً على هذه الاعتراضات ، وأنه كان يصطنع أساليب أهل المنطق ، وينقل إلى نحوه ألفاظهم ، فتراه يستعمل النوع ، والجنس ، والشيوخ ، والقياس ، والحمل ، والدلالة ، والاختصاص (١).

* * *

إن الفارسي لكثرة ما مزج نحوه بالمنطق جاءت عبارته عسيرة الفهم ، معقدة الأسلوب ، ضاربة في الغرابة ، تكعدالذهن ، وتصعدع الرأس ، على حين كانت عبارة الرمان في كتابه الحروف يسيرة سمحة يمضي بهارخاء حيث أصاب ، وإذ كان العصر عصر فلسفة وامتزاج للثقافات المختلفة : عربية وفارسية وهندية ويونانية ، فإن أسلوب أبي علي كان هو الأسلوب الذي أرضى خاصة الناس ، وانفق هو وما يهون ، وارتفعوا بأبي علي من أجل ذلك — وغيره — إلى درجة أعلى من المبرد ، وحتى قال أبو طالب العبدى : « ما كان بين سيبويه وأبي علي أفضل منه ، » (٢).

* * *

ورأينا في ذلك الفصل كيف أن الفارسي مستوعب متقص ، يذكر الشواهد من التنزيل والشعر وسائر الكلام في تلاحق وانصباب ، وقد اتخذ من هذه الشواهد مادة استقرأها ، وتعرف الخصائص المشتركة بينها ثم أصدر الحكم المقعد لما انتهى إليه من النظر في هذه النصوص .

وإنك تقر ما كتب الفارسي في الحروف سواء أكان في الشيرازيات أم البغداديات أم الحجية — فتجد عمقا ودقة ونظراً واستقصاء ، وقد خلا من كل ذلك كلام الرمان على الرغم من أنه قصد قصداً إلى الحروف حتى سمي (كتابه) بهذا

(١) انظر الفصل الخامس بذلك — أبو علي الفارسي والمنطق — وانظر البغداديات ورقة ٢٥

(٢) نزهة الألباء ٢٠٩

الاسم . والفارسي يتحدث في « البغداديات » عن وجوه ما ، في خمس عشرة لوحة حديثا جامعا (١) ، على حين يتحدث الرماني عنها حديث القاصر فيما يزيد قليلا عن لوحة واحدة (٢) ، على ما في البغداديات من تضام الكلمات ، وكثرة الأسطر في الصفحة الواحدة وصغر الحروف ، وعلى العكس من ذلك كتاب الحروف .

* * *

وقد عد الفارسي من المجتهدين والمرعين النحويين ، له شخصية تدل عليها طريقته في تناول ما يورد من الشواهد ، على حين تجد الرماني يقف موقف النحاة المتأخرين من إيراد القواعد ، وسرد الأقوال والأوجه دون أن تظهر شخصيته في البحث ، أو يكون له — في الغالب — أثر من اجتهاد .

* * *

وكان ذلك الطابع العام للفارسي في الآثار التي تركها ، والفارسي من أجل ذلك لا يقنعه هذا المنهج اليسير القاصر الذي لا أثر للاستقراء فيه ، فكانت التلمة التي نفذ منها الفارسي إلى تنقص الرماني على النحو الذي شرحت في أول هذا الفصل ، وأضرم التنافس على الخطوة عند الملوك — بينهما نار العداوة والبغضاء .

* * *

إلى جانب ذلك يبدو أن الفارسي قد تفهم كلام سيوييه ، وبرع في استخراج القواعد من الكتاب ، ووازن بينه وبين الخليل ، وناقش آراءها وآراء غيرها من النحاة قبله ، ودلل على صحة ما ذهب إليه وجوده ، وعلى فساد ما لا يتفق هو وما يراه (٣) .

* * *

ووقوف أبي على الفارسي هذا الموقف ، الذي ربط بينه وبين القدامى وخاصة أمام النحاة وشيخه الخليل — بنسب متين — إلى جانب النزعات المدرسية في ذلك العصر — كل ذلك جعله يستصغر ما يأتي به الرماني ، وقد قصرت قدرته أن يشق لأبي على الغبار ، أو يجرى معه في مضمار .

(١) البغداديات لوحة رقم ١٩-٣٤

(٢) الحروف لوحة رقم ١٥، ١٤

(٣) انظر الضرب الثالث من (ما) البغداديات ورقة ٢٧

الفصل الثالث

أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) وأبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ^(١))

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفى (٥٧٧ هـ^(٢)) في كتابه نزهة الألباء عند ترجمته لأبي القاسم الزجاجي : « وكان من طبقة أبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، إلا أن أبا علي كان يقول : « لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه »^(٣) .

ويكاد أبو البركات ينفرد بهذه القولة عن أبي علي من بين المترجمين الذين اطلعت على كتبهم من سبقوا أبا البركات^(٤) : والزيدى وهو معاصر للزجاجى والفارسي إذ توفى (٣٧٩ هـ) يذكر في ترجمته لأبي القاسم الزجاجي أنه في الطبقة العاشرة من النحاة البصريين ، ومن أصحاب الزجاج . ثم يورد اسمه وتعليل لقبه ، ويذكر مكان الوفاة وسنتها ولا يزيد^(٥) .

وابن النديم^(٦) وهو معاصر كذلك للرجلين يغفل ترجمة الزجاجي جملة^(٧) ، وكذلك يغفل البغدادي المتوفى (٤٦٣ هـ) في تاريخه ، فلم يترجم للزجاجي^(٨) ، على الرغم من أنه نزل ببغداد ولزم شيخه الزجاج^(٩) ، ونسب إليه^(١٠) ، وعرف به^(١١) .

ماذا أريد من وراء هذا الكلام ؟ أريد أن أقول : « إن الباحث لا يستطيع أن يسلم في يسر بما قاله ابن الأنباري ، معتمداً على روايته وحدها ، بل لابد من ضئمة أخرى تثبت هذه القولة — قولة الفارسي — أو تنفيها ، ذلك لأن ابن الأنباري ينفرد بروايته ما روى عن الفارسي كما بينت ، ثم هو متهم فيما يرويه رافعاً

(١) اضطرت في هذا الفصل إلى الإكثار من النصوص المقتبسة من كتاب الإيضاح للزجاجي لأمرين : الأمر الأول — أن كتاب « الإيضاح في علل النحو » مصور على فيلم في الأمانة العامة للجامعة العربية عن نسخة بالآستانة فالرجوع إلى ذلك الفيلم بالإحالة عليه من الصعوبة بمكان . الأمر الآخر أن هذا الكتاب غير مرقوم فن السير الإحالة إلى صفحاته : ليرجع إليها في يسر .

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ (٣) نزهة الألباء ٢٠٥

(٤) فأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللنوي ت ٣٥١ هـ لا يترصص لشيء من ذلك

(٥) طبقات الزيدى ١٢٩ ت (٦) ٣٨٥ هـ (٧) الفهرست ٩٠-٩٥

(٨) انظر من اسمه عبد الرحمن في تاريخ بغداد من ١٩٩-٣٠٤

(٩) بنية الوفاة ٢٩٧ (١٠) طبقات الزيدى ١٢٩

(١١) وفيات الأعيان ٢/٣١٧

من قدر أبي على الفارسي لعله قريبة ، هي أن أبا على شيخ من شيوخ ابن الأنباري ، ومن أولئك الذين تربهم سلسلة سنده في علم العربية . فقد أخذ ابن الأنباري عن ابن الشجري ، وهذا قد أخذه عن طباطبا عن الربيعي عن الفارسي (١) ، وسأكشف في القابل من هذا البحث عن التأثر البعيد الذي ظهر عند ابن الشجري مقتنياً آثار أستاذه الفارسي (٢) .

ومن هنا أراني مضطراً للرجوع إلى كتب الزجاجي في النحو ؛ لانهدي بها في تحقيق ما روى الأنباري عن الفارسي ، نعم لا بد من ذلك لأمور :
أحدها — ما ذكرته من أن الأنباري لا يسلم له ما يرويه في يسر ، لما ذكرت من تعليل .

وثانيها — أن منهج هذا البحث يفرض على أن أتعرف العلاقة التي كانت بين أبي على ومعاصريه ، وهذه لا بد — لإيقاظ الكلام عنها — من الاتصال بآثار هؤلاء بعامة ، والزجاجي الذي رمى في نحوه ، والذي عقدت له هذا الفصل — بخاصة .

والثالث — أن الناس يختلفون في تقدير الزجاجي ، فمنهم من يحط من قدره في النحو حتى وصف بما تسمى إليه عبارة الفارسي ، ومنهم من يثنى على نحوه بمثلاً في كتابة الجمل ثناء مستطاباً (٣) .

والرابع — أنه من المحتمل صدور هذه القولة عن أبي على الفارسي مدفوعاً بالمنافسة التي تكون غالباً بين العلماء المتعاصرين ، هذا إلى ما ركب في النفوس من حب التنقص ، والنظر المضاد . وقد ألم بهذا المعنى الزجاجي نفسه في تصدير كتاب الإيضاح في علل النحو حيث يقول :

« وينبغي أن يعلم أن أصدق الناس له ، وأبرهم به لن ينظر في تصنيفه إلا نظر مضاد له ومكاشح (٤) ، ولعل أبا على الفارسي كان على حق فيما ذهب إليه ، لاختلاف المنهجين في تناول النحو بين الرجلين ، ومحل كل في هذه الصناعة ، وقد أحس الزجاجي ذلك حيث يقول :

(٢) انظر الفصل الخامس بذلك س ٦٣٠
(٤) مقدمة كتاب الإيضاح

(١) نزعة الألباء ٢٧٠
(٣) راجع شذرات الذهب ٣٥٧/٢

« ثم لم يتفق له — يقصد من تكلف الإحاطة بما صنف — أن يكون كل من نظر من تصنيفه موافقاً له طبعاً ورأياً واختياراً ومجلاً من ذلك ، بل لعل أكثر من نظر منه مخالف له في ضرب من الضروب أو في أكثرها فيميله عنه ما نأفره منه إلى ما ألفه وعرفه (١) . »

وإذن فلا بد من حكومة صادقة تنظر إلى آثار كل من الرجلين نظر العادل المتصف ، الذي لا يحيف ، ولا يجر منه أمر ما على ألا يعدل ، وذلك ما أنا بسبيله إن شاء الله :

أما نحو الفارسي ومنهجه فقد ألممت به في قطوف سابقة ، ونهبت إلى سماته العامة في بعض ما تقدم من فصول ، على أني سألم ببعض هذه الخصائص بالقدر الذي تدعو إليه الموازنة بين الرجلين

وأما نحو الزجاجي الذي رماه الفارسي بما رمى فلا بد من الرجوع إليه والاتصال به واختباره ، حتى أستطيع تقديره موازناً بينه وبين نحو الفارسي .

فإذا ألف الزجاجي ؟ وماذا ترك من كتب في النحو بخاصة ؟ وماذا بقى لنا منها مما يصحح له تقويمه ، ويكنى في تقديره ؟

عد ابن الأنباري من كتب الزجاجي : الجمل ، والإيضاح ، وشرح خطبة أدب الكتاب (٢) (كذا) لابن قتيبة (٣) .

وذكر السيوطي في البغية زيادة على ما ذكره ابن الأنباري : اللامات ، والمخترع في القوافي ، والأمالى (٤) .

وللزجاجي كذلك كتاب موسوم بالزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس (٥) ذكر في أوله أنه جمع فيه جميع الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ... في كتابه الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صلاتهم ودعائهم وتسييحهم وعبادة ربهم (٦)

ووحد الزجاجي فيه كثيراً من السهو والغلط فرأى مع اختصاره لإصلاح ما فيه من الغلط فكشفه . وشرحه ، ثم حذف شواهد ، وختمه بباب في نوادر اللغة وشواذها .

(١) مقدمة كتاب الإيضاح لوجه ١٠٨ (٢) في بنية الوعاة الإيضاح الكافي ٢٩٧

(٣) نزهة الألباء ٢٠٤ وفي بنية الوعاة شرح خطبة أدب الكتاب وهو الصحيح ٢٩٧

(٤) بنية الوعاة ٢٩٧ (٥) مخطوط برقم ٥٧٧ دار الكتب

(٦) منه نسخة مصورة بدار الكتب رقم ٥٨٨ عن نسخة خطية بمكتبة كوبريللي

هذا وكتاب الجل بدار الكتب مخطوط برقم ٧٦ ش نحو، وكتاب اللامات بمعهد المخطوطات بدار الأمانة العامة للجامعة العربية في (فيلم) برقم ٧٩٢. وللزجاجي أيضاً في هذه الدار كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر (فيلم) رقم ٣٥٦. وله كذلك كتاب «أخبار أبي القاسم الزجاجي، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، وهو غير الكتاب الذي ذكره السيوطي باسم الامالي»^(١)

فأماى اذن طائفة سالحة من آثار الزجاجي أستطيع بها أن أثبت قول الفارسي أو أفنيه، وأتبين إلى أى حد كان صادقاً فيه :

أما كتاب اللامات ^(٢) فقد بين منهجه في مقدمته حيث يقول : ^(٣) « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ، ومواقعها من كلام العرب ، وكتاب الله (عز وجل) ، ومعانيها ، وتصرفها ، والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف وباقه التوفيق .

ثم عدد هذه اللامات وأحصاها وما ذكر منها :

اللام الأصلية ، لام التعريف ، لام الملك ، لام الاستحقاق ، لام كي ، لام الجحود ، لام إن ، لام الابتداء ، لام التعجب ، لام تدخل على المقسم به ، لام تكون جواب القسم ، لام المستغاث به ، لام المستغاث من أجله ، لام الأمر ، لام المضمر ، لام تدخل في التثنية بين المضاف والمضاف إليه ، لام تدخل في النداء لام تلزم أن المكسورة إذا خففت من الثقلية ، لام المعاقبة ويسميا الكوفيون لام الصيرورة ، لام لو ، لام لولا ، لام التكنين لام تزداد في لعل ، ثم عقد باباً لكل واحدة من هذه اللامات على الترتيب الذي أورده في ذكرها جملة . وإذا كان لا بد من التعرف على قدرته ومنهجه في تناول المسائل النحوية في هذا الكتاب فأليك ما ذكره في باب اللام الأصلية مثلاً . قال :

« تكون في الأسماء والأفعال والحروف ، وتكون فاه ، وعيناً ، ولأما : فكونها فاه قولك لعب وهو ولجام وما أشبه ذلك كما قال الله (عز وجل) : « لإنما الحياة الدنيا لعب وهو » ^(٤) وكذلك ما أشبهه . وكونها عيناً قولك « سلام » كما قال (تعالى) « السلام المؤمن المهيمن » ^(٥) وكذلك « السلم » كما قال (تعالى) :

(١) بنية الرواة ١٩٧ (٢) ف ٧٩٢ بالأمانة العامة للجامعة العربية

(٣) وانظر ص ٣٦٦ من فهرس المخطوطات المصورة

(٤) سورة الحديد آية ٢٠ (٥) سورة الحجر آية ٢٣

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (١)، وكونها لام الفعل (كذا) : (٢) قولك خطل...
وابل ، ووصل وحبل وكذلك ما أشبهه فهذا كونها في الأسماء .
وكونها في الأفعال في هذه المواقع كقولك لعب الرجل ، وسلس الشيء ، ووصل
وعجل . فقد بان لك وقوعها في المواقع الثلاثة في الأسماء والأفعال . وهي أكثر
من أن تحصى ، وأبين من أن تحفى .

فأما كونها في الحروف لاتقدر بأمثلة الأفاعيل ، وانكها جاءت أولاً ، ووسطاً
وآخرأ ، ولايحكم عليها فيها بالزيادة لإبداليل . فكونها أولاً قولهم لم ، لن ، ولكن
وكونها آخرأ (٣) قولهم هل وبلى وهي التي تقع للاضراب كقولك ما خرج زيد
بل عمرو . قال الله (عز وجل) : « بل الإنسان على نفسه بصيرة . فأما قولهم
ألم وألما فانما هي لم ، ولما ، ولكن الألف تزداد في أولها تقريراً ، وتوبيخاً ،
واستفهاماً ثم أخذ يضرب الأمثلة الموضحة لذلك . وانتقل إلى « ليس ، وتحدث
عن الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، فالفراء وجميع الكوفيين يقولون :
« هي حرف ، والبصريون يقولون : « هو فعل ، . وذكر أدلة كل فريق .

ويمضى الزجاجى على هذا النحو في سائر الأبواب . فهل تراه بلغ مبلغ أبى على
في تناوله مسائل النحو ؟ وماذا بينه وبين الفارسى من اختلاف في منهج البحث ؟
أرى أن شخصية الزجاجى في هذا الكتاب من وراء حجاب ، لا تكاد تظهر
أو تبين : يورد من التقسيمات والأمثلة ما يعرفه المبتدئون من المتعلمين ، وإلا فآين
ما يدل على شخصيته في بيان موارد اللام ، وفي مواقعها في أقسام الكلام . وفي تمثيله
محتجاً باللهو واللعب والسلم والسلام ؟ ثم أين الشواهد العربية التي تنال عند الفارسى
كأنما قد نظمها في عقدها فتوالت في تلاحق وانسجام .

والزجاجى يحس أنه قد أوضح خفياً ، وقدم الغامض جنياً وذلك قوله :
« فقد بان لك وقوعها في المواقع الثلاثة ، وليس هناك غامض ولا خفى
حتى يكشف عنه أو يجليه ، فواقع اللام كما يقول في مكان آخر — أبين
من أن تحفى :

(١) سورة الأقال آية ٦١ (٢) والصحيح وكونها لاما

(٣) لمل « كونها وسطاً » . سقط من الكاتب

ثم هو حين قدم اختلاف البصريين والكوفيين في ليس وغيرها مما قدم الاختلاف فيه — لم يكن إلا مورداً أفعال كل من الفريقين دون أن يكون له رأى يعالنه، أو مذهب يدعو إليه. وهكذا لا ترى له — كما ترى لأبي علي — ظلاً لشخصيته، أو اجتهاداً في الرأى والتدليل يضيفه إلى ما به يحتجون.

قد يقال في الاعتذار من الزجاجي أنه جعل كتاب اللامات مختصراً كما ذكر ذلك في تقديمه، والاختصار داعية إلى المرور العابر بما يورد من مسائل، دون احتفال أو تدقيق. وإذن، لا يعد كتاب اللامات ممثلاً لغاية الجهد من الزجاجي، أو منتهى ما وصل إليه من ثقافة نحوية. وإن كان يشير على أية حال — في مجموعه — إلى اتجاه الزجاجي في تناول ما يعرض له من موضوعات. فإشارة للنصف في الموازنة اختبر كتابيه الآخرين: الإيضاح في علل النحو، والجلج :
أما الإيضاح فالزجاجي يلج في أنه احتفل به احتفالاً كبيراً، وبذل فيه غاية الجهد، وذلك حيث يقول في مقدمته :

« إنا لم نأل جهداً في تهذيبه وترتيبه، ونظمه، واختباره، حسب الطاقة، مع ارتجالنا إياه وتكلفنا جمعه من مواقفه، غير عاملين على مثال سبقه، ولا محتدين على نظم تقدمه . »

وحيث يقول : « لم نقصد إلى وضع هذا الكتاب في هذا المعنى إلا بعد عناية شديدة بجميع ما نودعه إياه . »

أو يقول : « ولعل منكرأ ينكر تسميتنا هذا الكتاب بكتاب الإيضاح لأسرار النحو، ولا يعجلن بذلك حتى يتصفحه، ويتأمل ما أودعته إياه، فيعلم حينئذ أني لم أدخر للناظر فيه نصحاً، وإن أكثر ما أودعته إياه لا يكاد يراه مفرقا ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب، ليحكم حينئذ بما يراه، وكفى بحكم خصمه عليه منصفاً عادلاً،

ومن هنا ضن بهذا الكتاب إلا على الأثير لديه، والمقرب إليه ومن أحب النظر فيه وذلك حيث يقول : « وقصدنا بجميع ما ضمناه هذا الكتاب إخواننا، ومن يجب إشاره بما استودعناه من هذا العلم غير عادلين عن سواهم، ولا باخلين به عليهم من جميع من مال إليه أو أحب النظر فيه . »

وهكذا يبدو الزجاجي في مقدمة هذا الكتاب معترفاً به، ملحا إلحاحاً ظاهراً

في الإشارة إلى أن هذا الكتاب مرآة اغاية جهده في النحو وعلله وأسراره ، ودليلاً على بعد مداه فيه

وقد جعل الزجاجي كتابه هذا في قسمين : القسم الأول : في ذكر العلل خاصة والثاني — كما يقول في المسائل المجردة جعلها منشورة من سائر الحدود :

وقبل أن أعرض لهذا الكتاب بالتقويم أود أن أقول كلمة في الملاك العام الذي كان يقوم عليه البحث عند علماء القرن الرابع في علوم الثقافة العربية بعامه ، والنحو — بخاصة ، لأجعل هذا الملاك بعض ما تدور عليه الموازنة بين نحو الرجلين :

يبدو أن الباحثين في هذا العصر سحرتهم الفلسفة ببحوثها وفروعها ، واستولت على نفوسهم من أقطارها ، جرياً وراء هذا التيار الجارف الذي دفعه اتصال المسلمين بثقافة الفرس ، وحكمة الهند ، وكتب يونان . حتى قال ابن قتيبة :
« ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والنقمة والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم (١) . »

وكان النحو منطق العربية ، كما أن المنطق نحو يونان (٢) . ومن هنا كانت على الزجاجي أن يتبغى مقارنة الكمال الذي أشار إليه معاصره أبو حيان في قوله :
« البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو ، والبحث عن النحو يرمى بك إلى جانب المنطق ، ولو لا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطق نحوياً ، والنحو منطقياً (٣) . »

ودافع آخر خاص أضيفه إلى هذا الدافع العام : ذلك لأن الزجاجي ألف فيما ألف : « شرح خطبة أدب الكاتب لابن قتيبة (٤) » ، وفي هذه الخطبة يقول ابن قتيبة :

« أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق (٥) . » وهو بهذه العبارة يخلع صفة اللطف على المناطقة ، ويجعل النظر في المنطق للطف رافعاً له أعلى الدرجات . »

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٦٧/١

(٤) بنية الوعاء ٢٩٧

(١) أدب الكاتب ص ٤

(٣) المقابسات ١٧٧

(٥) أدب الكاتب ٣

إلى هذه الدوافع — معرفة الرجل بلغات أخرى غير العربية وقد دل على ذلك بقوله : « للعرب حسن بيان ، وفضل نظم وحكمة ، ولما حباها الله (عز وجل) بذلك تخصيصاً منه وتكرمة ، فإذا كان كذلك كان مرجع ذلك كله إلى أصل واحد (١) . وهذا غير مشكل . وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية ، فوجدناه كذلك لا ينفك كلامهم كله من اسم وفعل وحرف ، ولا يكاد يوجد معنى رابع ، ولا أكثر منه ، وإن كان ليس له ترتيب العربي ونظمه وحسن تأليفه (٢) . فعندى أن هذه الدوافع العامة والخاصة هي التي خاقت النزعة المنطقية في كتاب الإيضاح في علل النحو ، لجعل صاحبه الزجاجي في عنوانه : لفظ العلل ، وألحق به مسائل في الحدود ، وحشاه بالجدل والمناظرة ، على النحو الذي سأعرض له . ودعا الناس إلى اختباره في إلحاح ، وأثر به الخاصة من الأخوان ، وتاه به كما رأيت من تهاً عظيماً .

وإذ ثبت أثر المنطق في الارتفاع بمكانة النحوى ورسوخ قدمه في النحو ، فقد أن أن أبين مدى ظهور المنطق في نحو الزجاجي ، وفي كتاب الإيضاح الذي تبذرت فيه هذه النزعة ، لأعرف : « أصادقاً كان أبو علي حين قال قوله فيه ، أم كان بجانب الحق فيما يدعيه ، .

ولا يظن ظان أني أقول بهذا المقياس المنطقي الذي رسمه أبو حيان ، وارتضاء للنحاة في عصره ، فلست أرى أن يتقبل كاهل النحو بمسائل المنطق ، وعلله وأقيسته ، وقضاياه على هذا النحو . بل أعد هذا بمض ما أرمق النحو من فترة جعلته كالحأ بعد نضرة ، محترقا بعد نضج ، ولكني أعيش ببحى هذا في القرن الرابع الهجري ، فكان لزاماً أن أقيس بمقاييس أهله ، وأوازن بين المتعاصرين فيه بالموازن التي ارتضوها ، تاركا القول في نقد هذه المقاييس وتقديرها إلى مكانه المقسوم .

وأعود بعد هذا إلى الكشف عن كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي وطريقة صاحبه في تناول المسائل المنطقية ، موازناً بينه في ذلك وبين أبي علي : يبدو المنطق من عنوان الكتاب ، فاسمه « الإيضاح عن علل النحو ، ثم تقرأ المقدمة — أو على حد تعبير القدامى الخطبة — فتطالعك العبارة الآتية من قول الزجاجي :

وكل يؤلف على قدر طباعه ، واختيار نفسه ومحلّه من ذلك العلم الذى يعاينه ،
وبروز نفسه للتصنيف فيه علواً واقتداراً عليه ، أو نقصاً عنه وتبدأ فيه ،
أو توسطاً بين هاتين المنزلتين .

لعلك لحظت هذه القسمة العقلية فى منازل المؤلفين من العلو والاقتدار ،
ثم النقص والتبذل ، ثم ما بين هاتين المنزلتين من التوسط .

أو يقول : ومن لم تدعه نفسه إلى الأنفة من مطاولة نظيره عليه فى العلم والرتب
واعتلائه إياه ، وغلبته له ، فإن الهيمنة غالبية عليه ،

وهذا معنى يذكره الفلاسفة كثيراً فى درجات الإنسان والأحوال التى تعرفه
ثم تراه يدعو غيره إلى تتبع ما أودعه هذا الكتاب ، فإن هو فعل ذلك وتدبره
ولم يره ينقاد فى طريقة القياس مستمراً ، ورأى أنه لاحق إلا فى غيره — كانت
حلبة التناظر باجتماع ذوى الهمم والنظر والفحص والجدل معنا فيها فاصلة بيننا
وبينه ، حتى نصير معاً بحق النظر إلى الصواب ، فنعتقده جميعاً .

وهكذا يلقاك المنطق ، وتطالعك الفلسفة فى أول الكتاب ، فإذا ما وصلت إلى
الصلب منه رأيت حجاجاً ، وتعليلاً ، وقياساً وتديلاً ، وإذاعة لاصطلاحات المناطقة :
كالحكم والتسليم بالصحة ، والبرهان ، والنظر ، والدليل القاطع ، والحجة ، ووضوح
الدلائل ، وإقامة البراهين ، والدلائل العقلية ، والحقيقة ، ولزوم الحجة ، والمعارضة ،
وبطلان الدعوى ، وتصحيحها ، وبديهية العقل ، والمشكل الملبس ، والغامض الخفى ،
والساكن المتحرك ، ولا ساكن ولا متحرك ، والمحال ، والاستدلال ، والمعقول
الظاهر ، والأجسام والأعراض ، وصحة المذهب ، والتقليد ، والبحث ، والنقض ،
والشكوك التى لا تدفع الحقائق .

تجد ذلك كله فى أول ما بدأ به من العلل ، وذلك حيث يقول :
« فأول ما نذكر ذلك لإجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف ،
وحقق القول بذلك وسطر فى كتابه سيبويه ، الناس بعده غير منكرين عليه ذلك :
نبدأ بما يسأل عنه أصحاب سيبويه ، وما يحتاج به له . يقال لأصحابه وسائر من اعتقد
هذا المذهب : من أين لكم أن كلام العرب كله اسم وفعل وحرف ؟ وكيف حكمتهم
بذلك ، وسلمتم بصحته من غير دليل ولا برهان ؟ وإنما ذكره سيبويه فى أول كتابه

حين قال : « الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى » . فقال قائلون : « إنما قصد الكلام العربي دون غيره » . وقال آخرون : « بل أراد الكلام العربي كله والعجمي ، وفي ذلك احتجاج ونظر لم تقصد له في هذا الكتاب . . . ولسنا نخطبكم إلا على أنه قصد الكلام العربي دون سائر اللغات ، لأن الجواب عن ذلك أسهل عليكم وأقرب ، ثم مثل سيويوه كل صنف من ذلك ولم يقرئه بدليل قاطع ، ولا حجة ، فدل على أن الكلام ثلاثة أقسام كما ذكروا ، وأنه لارابع لهذه الأقسام ولا خامس ولا أكثر من ذلك فإن كنتم قلتم عنه تقليداً من غير برهان ولا حجة فأنتم في عمياء وشبهة ، فادعكم إلى قبول ذلك منه وقد علمتم أن النحو علم قياسي ومسبار لاكثر العلوم لا يقبل إلا إبراهيم وحجج ما خلا ما لزم قبوله من علوم الشريعة بعد وضوح الدلائل وإقامة البراهين ، والدلائل العقلية والحقيقية على لزوم الحجة . وأنتم جعلتم أول قبولكم من صاحبكم ما ادعاه بغير برهان ولا بيان . وما يؤمنكم من أن يعارضه معارض يقول لكم : « كلام العرب أكثر من هذه الأقسام فبأى شيء تصلون إلى بطلان دعواه ، وتصحيح دعوى صاحبكم ؟ »

الجواب : أن يقال له أن من الأشياء أشياء تعرف ببدية العقل بغير برهان ولا دليل ، بها يستدل على المشكل الملبس ، والنامض الحق . كما أننا نعلم ببدية بغير دليل أن وجود جسم في حال واحدة ساكنا متحركاً ، ولا ساكناً ولا متحركاً محال إلا في حال خلق الله (عز وجل) كما علم ذلك استدلالاً ، وكما أننا نعلم أن وجود جسم واحد في مكانين في حال واحدة ووقت واحد محال ، كما أن وجوده لا في مكان محال . ومن الأشياء ما يعرف بالدلائل الواضحة القريبة المتفق عليها التي لا تكاد تشكل على أحد ، حتى يقوم مقام ما يعرف ببدية بغير استدلال . ونحن نعلم أن الله (عز وجل) إنما جعل الكلام ليعبر به العباد عما همس في نفوسهم ، وخطب به بعضهم بعضاً بما في ضمائرهم مما لا يوقف عليه باشارة ، ولا إيماء ، ولا رمز بحاجب ، ولا حيلة من الخيل . وإذا كان هذا معقولاً ظاهراً غير مدفوع تين أن المخاطب والمخاطب والخبر عنه والخبر أجسام وأغراض تنوب في العبارة عنها أسماءهم أو ما يعتوره معنى يدخله تحت هذا القسم من أمر أو نهى أو تداء . . . أو ما أشبه ذلك مما تختص به الاسماء ، لأن الأمر والنهى إنما يقعان على الاسم

النائب عن المسمى ، فالخبر إذن هو غير الخبر ، والمخبر عنه ، وهما داخلان تحت قسم الاسم . والخبر هو الفعل وما اشتق منه أو تضمن معناه ، وهو الحديث ^(١) الذي ذكرناه ، ولا بد من روابط بين الاثنين وهو الحروف ، ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل ، فيكون للكلام قسم رابع ، وهذا معنى قول سيديوه الكلام اسم وفعل وحرف . وبعد أن انتهى من هذا التذليل العقلي ، أورد دليلاً نقلياً في قوله : « وقد روى لنا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) » ^(٢) أعنى قوله : الكلام اسم وفعل وحرف . ثم عاد إلى التذليل العقلي حيث يقول : « ثم يقال له : « قد دللنا على صحة مذهب صاحبنا ، وأريناك أن اعتقادنا ليس تقليداً بل يبحث ونظر ، والمدعى أن للكلام قسماً رابعاً أو أكثر منه نحن أو شك ، فإن كان متيقناً فليوجدنا (كذا) — ولعلها فليوجد لنا — في جميع كلام العرب قسماً خارجاً عن أحد هذه الأقسام ، ليكون ذلك ناقضاً لقول سيديوه ، ولن يجد إليه سبيلاً ، وليس يجب علينا ترك ما قد تيقناه ، وعرفنا حقيقته ، وضح في العقول لشك من شك بغير دليل ولا برهان ، لأن الشكوك لا تدفع الحقائق وبالله التوفيق .

وقد تعرض الزجاجي للفلاسفة والمناطق واصطلاحاتهم تعرضاً صريحاً ، وذلك حيث عرض للقول في اختلاف النحويين في تحديد الاسم والفعل والحرف : بدأ بأن قال : « الحد الدال على حقيقة الشيء ، فكيف يجوز اختلاف هذا ؟ وهل يجوز أن يجد الإنسان لمن سأل عن حده إلا بأن يقال له : « الحى الناطق المائت » ، لأن هذا هو حده على الحقيقة ، وينعكس عليه بمعناه : كقولنا : « المائت الناطق هو الإنسان ، ولا يجوز أن يجد الإنسان بغير هذا الحد ، فإن حده بغيره إنسان كان مخطئاً إلا أن يعدل عن حده إلى بعض صفاته ورسومه الدالة عليه كقولنا : « الإنسان حيوان ذو رجلين منتصب القامة ضحاك وما أشبه ذلك » .

الجواب : أن يقال : « إن الحد لا يجوز أن يختلف اختلاف تضاد وتنافر ، لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود ، وخطأ من يحده ، ولكن ربما اختلفت ألفاظه على حسب اختلاف ما يوجد منه ، ولا يدعو ذلك إلى تضاد المحدود كما يوجد الحد تارة من الأجناس والفصول ، وتارة من المواد والصور ، لأن المادة تشاكل الجنس ، والصور تشاكل الفصل . ألا ترى أن الفلاسفة الذين هم معدن هذا العلم أعنى معرفة

(٢) الزجاجي شيعي كما ظهر لي من كتبه وبخاصة أخباره

(١) أظنها الحدث

الحدود والنصول والخواص وما أشبه ذلك قد اختلفوا في تحديد الفلسفة نفسها
اختلافاً: فقال بعضهم: « الفلسفة: إظهار الحكمة » . وقال بعضهم: « الفلسفة: معرفة طبيعية لجميع الأشياء الموجودة » ، وقال آخرون الفلسفة: معرفة الأشياء الموجودة الإلهية يعنون المدركة عقلاً— ومعرفة الأشياء الإنسية « - يعنون المدركة بالحواس . وقال بعضهم: « الفلسفة: معاناه الموت « أى تعاطى الموت يعنى إمامة الشهوات . وقال آخرون: « الفلسفة: الافتداء بالبارى حسب طاقة المخلوق ، . وقال ارسطاطاليس: « الفلسفة صناعة الصناعات ، وعلامة العلوم » .

أولاً تراهم كيف قد اختلفوا هذا الاختلاف ، وليس فيه تناقض ؟ لأن كل واحد منهم قصد إلى طريق ما أخذها منه . وإنما ذكرنا هذه الالفاظ في تحديد الفلسفة ها هنا وليس من أوضاع النحويين ، لأن هذه المسألة الى نجيب عنها من يتعاطى المنطق ، وينظر فيه فلم نجد بدا من مخاطبتهم من حيث يعقلون ، وتفسيرهم من حيث يفهمون فكذلك يقول النحويون لهم أيضاً في تحديد الاسم والفعل والحرف كان لكل فريق منهم غرض في تحديده وقصده . فمنهم من أراد التقريب على المبتدئ . فحدها من جهة يقرب عليه . ومنهم من أراد حصر أكثرها فأتى به ، ومنهم من طلب الغاية القصوى والحد على الحقيقة فحدها على الحقيقة لما ذكرنا . وليس فى شيء مما أتوا به ما يخرج عما ذكرناه . وذلك بين فى كلامهم لمن تدبره . وهو نظير ما تقدم ذكره من تحديد الفلسفة .

ثم عقد حديثاً عن الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه ، وتعرض للخلاف بين البصريين والكوفيين فى ذلك .

ثم يعقد حديثاً يتكلم فيه عن العلل النحوية وأقسامها ، ويضرب الأمثلة لكل منها ، وهذا كله يتصل بفلسفة النحو اتصالاً كبيراً .
ثم عقد الأبواب الآتية :

القول فى الإعراب والبناء : أيهما أسبق ، والإعراب ولم دخل فى الكلام ، والقول فى الإعراب أحركة هو أم حرف ؟ ولم وقع فى آخر الاسم دون أوله أو وسطه ؟ ثم أورد الجدل القائم بين البصريين والكوفيين فى المستحق للإعراب من هذه الأقسام الثلاثة :

ثم تحدث عن الأبواب : باب القول فى الاسم والفعل والحرف أيها أسبق فى المرتبة والتقدم

باب القول في الأفعال أيها أسبق في التقدم ؟
باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً
باب الفرق بين النحو واللغة والإعراب
باب القول في معنى الرفع والنصب والجر
باب في ذكر الفائدة من تعلم النحو
باب في ذكر علة دخول التنوين في الكلام ووجوهه
باب في ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم
باب في علة امتناع الاسماء من الجزم ثم أورد أسئلة على أصحاب سيويه
ورد عليها

باب في علة امتناع الفعل من الخفض وهنا أورد كذلك أسئلة على أصحاب
سيويه وأجاب عنها
باب في امتناع الأفعال من الإضافة إليها وخفضها (أورد أسئلة على أصحاب
سيويه وأجاب عنها) .

باب القول في التثنية والجمع
باب القول في الألف والياء والواو في التثنية والجمع أي إعراب أم حروف
(وهي مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين) ذكر احتجاج كل فريق ما له وما
عليه وختم الكتاب بمذهب سيويه وما احتج به وما له وما عليه ، لأنه عندنا هو
الصواب دون غيره إن شاء الله .

وختم الكتاب بمسائل عن المبرد وسيويه
مثل : قال أبو العباس : الفرق بين ضربت زيدا وزيد ضربته أن تخبر
في الأولى عن نفسك ، وتخبر في الثانية عن زيد .

وقال أبو العباس : لا أجزى زيد ضربت وأجزى أن زيدا ضربته لأنه لا يجد بدأ
من الاضمار إذا نصب زيدا بان .

وقال أبو العباس : إذا قلت : كنت أخاك فعناه أشبهت أخاك . وإن قلت :
لست أخاك فعناه بايئت أخاك .

ثم ذكر مسائل أخذت من أقوال سيويه ، وعلق على كل مسألة ... وبهذه
المسائل المشورة ختم الكتاب .

هذا هو الزجاجي في كتاب الإيضاح ، وذلك مبلغ تبه به ، وهذا أثر ثقافته

المنطقية فيه . فهل تراه بعد ذلك بلغ مبلغ الفارسي في التعليل والتدليل والقياس ؟ وهل إذا سمع كلام أبي علي في النحو استجيا أن يتكلم فيه ؟

الحق أن الزجاجي يختلف منهجه عن منهج الفارسي في تناول مسائل المنطق : الفارسي يمزجها مزجا بالنحو ، فهو إذ يقايس أو يعلل أو يبرهن ، أو يذكر القضايا يجعل ذلك وغيره من مسائل المنطق — في ثنايا نحوه وتضاعيفه ، يورده ويتحدث عنه ، حتى يصير المنطق مع نحوه وحدة لا تتجزأ ، وكيانا متضامنا لا ينفصل (١) . أما الزجاجي فسيبيله غير سبيل الفارسي في ذلك : المنطق يرد بمسائله في جنب مسائل النحو ، ولكنه لا يخالطه ، ولا يمتزج به ، حتى إنك لتستطيع فصل المسائل المنطقية التي وردت في كتاب علل النحو عن المسائل النحوية ، وتقول : هذا منطق الزجاجي ، وهذا نحوه ومن هنا كان منطقُه منقولاً عن غيره .

حقيقة ظهرت الفلسفة والمنطق بمتزجين في خطبته التي صدر بها الكتاب ، وقد عرضت إلى شيء من ذلك ، ودلت عليه ، ولكنه حين تناول المسائل النحوية لم يستطع أن يزج ما يعلم من المنطق بما يقول في النحو .

وأرجع بك مرة أخرى إلى الحديث الذي أداره حول حد الاسم مثلا : تراه أقحم الكلام عن الحدود ، وأنها لا يجوز أن تختلف اختلاف تضاد وتنافر ، وأورد تعاريف الفلاسفة للفلسفة ، وقد أحس هو أنه نقل هذا نقلا من الفلاسفة ، واعتذر من ذلك حيث يقول : « وإنما ذكرنا هذه الألفاظ في تحديد الفلسفة (٢) الخ ... وكذلك شأنه حين يتفلسف في بقية كتبه التي رأيت ، فقد قرأت له في كتابه المسمى « بأخبار الزجاجي قوله : « وليس بين العلماء فيما ذكرناه في النبي خلاف (٣) وكفى المخالف هذا بخروجه مما تشهد الجماعة بصحته دليلا على خطئه ، وانقطاعه ... ثم قال : وقد رتب العلماء للانقطاع مؤلفات وبينوا لها وجوها ، وأخذ يعددها الوجه يذكروا ضرب الانقطاع ويشرح كل ضرب ... فالضرب الأول كذا ، والضرب الثاني ألا تضطرد العلة في المعلول... والضرب الثالث هو أن يؤول الأمر بمن يناظره إلى أن يعتقد المحال ... والضرب الأخير من الانقطاع أن يرد على الخصم ما لا يعرف وجهه فيقر بالحق (٤) .

(١) انظر في هذا الفصل بين الرمانى والفارسي

(٢) راجع النص في مكانه من هذا الفصل

(٣) يريد نفي الزمان والمكان الوجود في الأسماء لأن النبي يتصل بذاتها

(٤) أخبار الزجاجي ورقة ٥١

هذا ما يتعلق بمسائل المنطق ، وهو حديث يتصل في أكثره بكتابه الإيضاح في علل النحو ، وقد أشرت إلى ما بينه وبين أبي علي من اختلاف في ذلك . وهناك سمات عامة في كتاب الإيضاح وفي غيره من كتبه . وكانت هذه السمات بعض ما خالفت بينه وبين أبي علي ، والتي من أجلها كذلك - فيما أحسب - أنظقت أبا علي فيه بما قال :

ذلك اختفاء شخصية الزجاجي فيما يتناوله من بحوث . ولا يتخذ عنك قوله في صدر كتابه الإيضاح عن علل النحو : « أنه لم يعمل على مثال سبقه ، ولم يحتد على نظم تقدمه ، فربما كان ذلك في الشكل لا في المادة ؛ لأنه عاد فقرر بجانب المسائل المثورة التي ضمها إلى العلل وذلك قوله : منها ما استخرجناه من كتب العلماء ، وبسطناه ، وهذبنا ألفاظه وقربناه ، ومنها ما تلقناه من علمائنا (رضى الله عنهم) تلقينا ومشافهة بما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة - فوجه الجدة في هذه المسائل ما يقوله هنا من أنها لا توجد في كتبهم ، ومع أنه لقنها مشافهة - ومنها مسائل جرت بين النحويين ممن سلف في مجالس اجتمعوا فيها ختمنا بهذا الكتاب

وقد رأيت حين يورد مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين راوية لا غير ، وناقلا عن الشيوخ السابقين : تراه مثلا يعقد حديثا في الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه ، فلا ترى ظلا لشخصيته . . . وكذلك يورد الخلاف بين البصريين والكوفيين في جوار وغواش دون أن يكون له رأى فيها ^(١) . وقد أورد القدر الذي تظهر فيه شخصيته حين سرد احتجاج البصريين والكوفيين في المستحق للإعراب من هذه الأقسام الثلاثة : الأسماء والأفعال والحروف . بين ذلك القدر بقوله :

اعلم أن العلل التي أودعها هذا الكتاب والاحتجاجات هي على ثلاثة أضرب : منها ما كان مسطراً في كتب البصريين والكوفيين بألفاظ مستغلقة صعبة فعبرت عنها بألفاظ قريبة من فهم الناظرين في هذا الكتاب فسهلت مراتبها والوقوف عليها . وضرب منها مما استنبطته على أصول القوم ، واخترعته حسب ما رأيت من الكلام ينساق فيه والقياس يطرد عليه .

وضرب منها أخذته من علمائنا الذين لقيتهم وقرأت عليهم شفاها عما لم يسطر في كتاب ، ولا يكاد يوجد .

فلو كانت القسمة بالسوية بين هذه الاضرب لكان له نصيب الثلث . . . ولكني وجدت طغيان ما نقله من علمائه ، وقرأه عليهم على الضربين الآخرين .
ثم يلي ذلك — أو ينضم معه — جهده في تهذيب ألفاظ السابقين ، وذلك قوله :

« وإنما نذكر هذه الاجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين ، وعلى حسب ما في كتبهم — إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم والمعنى واحد ، لأننا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة . بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم ، وكثير من ألفاظهم قد هذبها من يحكى عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط ، وابن الأنباري ، فنحن إنما نحكى علل الكوفيين على ألفاظ هؤلاء ومن جرى مجراهم مع أنه لازيادة في المعنى عليهم ، ولا يخس حظ يجب لهم ^(١) .

فأين هذا من أبي علي الذي يطالعك بأصالة في بحثه ، واستقلال في شخصيته ، وتعقب لشيوخه ، وتعرض لمعاصريه ١٩ وأين الزجاجي من أبي علي الذي ينشئ الأدلة لإنشاء ، وينشد الشواهد لإنشاداً ، ويفحص ويحص ، ويقيس في مهارة على كلام الشيوخ السابقين . كل هذا يجعل أبا علي أمامك واضحاً سامقاً شامخاً ، ويضعه من معاصريه موضع الزعامة ، وينظمه في سلك من قدرت له الإمامة ، وينطقه — في رأيه هو — بملء فيه : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه ، » :

هذه هي المظاهر الكبرى — في كتاب الإيضاح عن علل النحو — للزجاجي ، والتي يتخالف فيها هو وأبو علي الفارسي ، وهناك غيرها له أوعايه في ذلك الكتاب وغيره وستوضع في الميزان عند التعرض لكتابة الجمل وهو موضوع الحديث القادم إن شاء الله .

مع الزجاجي في كتابه الجمل

الناس يثنون الثناء المستطاب على جمل الزجاجي وهنا لابد من تعرف الاسباب التي جعلت الناس يقفون هذا الموقف المتغير مع أبي علي ، وقد تحدثت عن طرف من الاسباب العامة التي دفعت أبا علي على أن يقول قولته من أن الزجاجي لم يكن في النحو بذلك ، ولا بد كذلك من أن أستفتي كتاب الجمل كما استفتيت من قبل : الإيضاح في علل النحو ، واللامات والأخبار للزجاجي ، لأصدر في حكومتى عن تصور ، وأرى مصداق قوله أبي علي في معاصره الزجاجي .

أسلوب الزجاجي في الجمل سهل سمح ، لا تعقيد فيه ولا التواء ، ولا أثر للعلل النحوية أو التدليل المنطقي فيه . ومن شواهد هذه النزعة رغبة الزجاجي في تهذيب ألفاظ السابقين وعرضها في ثوب لا يشق على المبتدئين ، ثم رأيناه كذلك يعلل اتجاه بعض الأئمة في تحديد الاسم بأنه أراد تقريب ذلك على الناشئين . هذه النزعة في سماحة التعبير تتصل في رأيي — بناحية أدبية عند الزجاجي ، فقد رأيت في أخباره يروى عن شيوخه أشعار عباس بن الأحنف (١) ، وأبي نواس (٢) ، وعبد الله بن المعتز (٣) ، ويحدث الأخبار الأدبية (٤) ، ثم هو متصل بالبرد الأديب يروى عن شيخه الزجاج (٥) عنه ، كل ذلك مما ألبس كتاب الجمل ثوباً سمحاً يسيراً فاشتهر عند الناس ورضى عنه المتأدبون .

وآية شهرة كتاب الجمل أن الأنباري قال وهو يقدمه بالحديث عنه : « أنه المشهور في أيدي الناس » (٦) ، وكذلك فعل السيوطي حيث قال : « عبد الرحمن بن إسحق أبو القاسم الزجاجي صاحب الجمل » (٧) ولم يذكر ما يعرفه به سواه .

وربما كان من أسباب شهرة كتاب الجمل تلك الطريقة التي اتبعها صاحبه في تأليفه ، وهذا الجور التعبدي الذي أحاطه به ؛ فقد ألفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً (٨) ، ودعا الله بالمغفرة ، وأن ينفع بكتابه وقراءته (٩) . والناس يتلصسون

(١) ورقة ٣٦ (٢) ورقة ٦٤ (٣) ورقة ٣٩

(٤) انظر ورقات ٣٩، ٤٤، ٤٧، ٥٢، ٥٦ وما بعدها

(٥) انظر ورقة ٣٦ (٦) نزعة الألباء ٢٠٤ (٧) بنية الوعاة ٢٩٧

(٨) بنية الوعاة ٢٩٧ (٩) شذرات الذهب ٣٠٧/٢

البركة ، ويرجون الخير مما هو متصل بحسن الطريقة التي تصاحب عملا من الأعمال ، ويتوارث الأخلاف عن الأسلاف هذه العقيدة فيه ، ويندفع الشيوخ المؤدبون ومن ورائهم طلابهم المتلقون عنهم — اندفاعا يشبه أن يكونوا فيه مسحرين . فلعل ذلك بعض السر في إقبال الناس على كتاب الجمل ، واهتمامهم به ، وقد استجاب الله دعوة أبي اسحق ، وبارك له فيما قصد من نية ، وقدم من عمل ، فيحدث ابن خلكان أن كتابه من الكتب المباركة التي لم يشتغل به أحد إلا انتفع به (١) ، ويقرر ابن العماد في الشذرات أن المتفهمين به خلق لا يحصون (٢) ، ويبدو أن المغاربة أغرتهم تلك الزعة التي سلكها الزجاجي في تأليف كتابه فذاع بينهم ، وألقوا له ولشواهد الشروح الكثيرة حتى بلغت هذه الشروح فيما يقال : مائة وعشرين شرحا (٣) . بعضها لأعلام النحاة (٤) .

وقريب من هذا ما قاله الشاطبي في قصيدته لإبراز المعاني : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا ينفعه الله (عز وجل) لأنني نظمتها لله (تعالى) مخلصاً (٥) . .
وشيء آخر أراه أرضى الناس عن كتاب الجمل ، ذلك لأنه كتاب جامع للقواعد النحوية والصرفية في إيجاز يجدى على المبتدئين والمتمهين جميعاً : يعطيك القاعدة العامة في جمل بعيدة عن تأويلات المتأولين ، وفي أسلوب سهل لا ترى فيه عوجاً ولا أمثا من تعقيدات المعقدين ، وتفريعات النحاة والتجوزات المشهورة عنهم في المسألة الواحدة حتى لتخفى الضوابط ، وتتشعب المسالك .

ويظهر أنه قصد قصداً إلى التيسير على شدة العربية ، فسمى كتابه « الجمل » . وفي تلك التسمية إيجاء بالاختصار والتركيز معا . جاء في العسكريات لأبي علي بعد أن أورد أحكاماً مختصرة في الحروف : وهذه جمل وسفتج ذلك زيادات في كتاب آخر إن شاء الله (٦) . والزجاجي كذلك حين يتصفح كتابه ، فتراه يصدر الأبواب بهذه القواعد المركزة المختصرة المجملة وبقوله « واعلم » وهي عبارة تلقاك في أغلب الأبواب بل تكاد تتكرر في كل باب ، ويتبعها جمل ضابطة للقواعد في استيعاب

(١) وفيات الأعيان ٣١٧/٢ (٢) شذرات الذهب ٣٥٧/٢

(٣) شذرات الذهب ٣٥٧/٢

(٤) كالأعلم الشنتمري (ت ٣٥١هـ) وابن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ) وابن الحشاب (ت ٥٦٧هـ)

وإبن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن هشام (ت ٧٦١هـ) انظر فهرس المخطوطات الصورة ٣٩٦

(٥) فتح الطيب ٣٣٤/١ (٦) العسكريات لوحة رقم ١٣٢

يدعو غالباً إلى تفههما ، ويطلب منك القياس عليهما . وأسوق بعض الأمثلة لهذه الضوابط دليلاً على ما أقول :

(أ) « واعلم أن الأسماء كلها تؤكد إلا النكرات ، فإنها لا تؤكد — لو قلت : « قام رجل نفسه ، أو قبضت درهما كله وما أشبهه لم يجوز (١) » . فإذا أردت أن تتعرف الآراء المختلفة في هذه المسألة فاقراً كتاب اللمع (٢) .

(ب) « واعلم أن لام الاستغاثة بدل من الزيادة التي تلحق آخر المنادى نحو قولك يا زيداه ، يا بكره ، فلا تجمع بينهما : لا يقال يا لزيداه ، فتجمع بين اللام والزيادة (٣) .

وأحياناً يعطيك القاعدة في كليات كأن يقول :

« كل منادى في كلام العرب منصوب إلا المفرد العلم ، فإنك تبنيه على الضم وهو في موضع نصب (٤) .

وتقريباً لهذه القواعد نراه يسوق الأمثلة المتعددة في كثرة جعلت ابن خلكان يعيب ذلك عليه قوله . « وهو — أي الجمل — كتاب نافع لو لا طوله بكثرة الأمثلة (٥) .

وأخالف ابن خلكان في ذلك ، فقد وضع الجمل للتعلمين المبتدئين كما بينت ، وهؤلاء تفهم القاعدة الضابطة الجملة ، والأمثلة الموضحة المتعددة ، فهذه أشبه بالتماذج التطبيقية التي يقوم بها المعلمون المتخصصون في فن التدريس من أهل هذا الزمان .

وأنت ترى معنى أن مثل القاعدة التي يقول فيها الزجاجي : « اجعل أول كلامك لمن تسأل عنه وآخره لمن تخاطبه » ، في حاجة إلى أمثلة موضحة ، ولو تركها من غير تمثيل للحالات المختلفة لكان الإبهام الذي لا يرتضيه ، ومن هنا أخذ الزجاجي يسوق الأمثلة لسؤال رجل عن رجل ، ورجل عن رجلين ، ورجل عن رجال . ثم سؤال رجلين عن رجلين . ورجل عن امرأة ، وامرأتين عن نساء ، وسؤال امرأة عن رجل ، وعن رجلين ، وعن رجال .

(٢) باب التوكيد ١٢٤/٢

(٥) وفيات الأعيان ٣١٧/٢

(٤) باب المنادى

(١) باب التوكيد

(٣) باب الاستغاثة

وسؤال رجال عن امرأة ورجلين عن امرأة . ونساء عن رجال وعن نساء .
على أنى رأيته يكتبني بذكر مثال موضع يدير عليه الباب ، ويستغنى بذكره عن
التكرار ويسلك سبيل المؤدبين في الشرح والتشيل ، كما قال : « واعلم أنه لا يجوز
تقديم شيء من صلة المصدر عليه مضافا كان أو غير مضاف ، وذلك قولك : «عجبت من
أكل زيد طعامك يوم الجمعة عند أخيك متكئا أكلا شديدا » لا يجوز تقديم شيء
من هذا على المصدر ، لأنه في صلة . فلو قلت : «عجبت طعامك من أكل زيد ،
أو «عجبت أكلا شديدا من أكل زيد طعامك ، وكذلك ما أشبهه لم يحز . ولكن
إن جعلت متكئا حالا منك جاز تقديمه ، فنقول . «عجبت متكئا من أكل زيد
طعامك يوم الجمعة عند أخيك أكلا شديدا . وإن أردت أن الأكل وقع في يوم
الجمعة عند أخيك لم يحز تقديم يوم الجمعة عليه . وأردت أن الإعجاب منك وقع في يوم
الجمعة جاز تقديمه . فهذه المسألة توضح لك هذا الباب وتبينه إن شاء الله فقس عليه .

* * *

والزجاجي بعد ذلك أراد أن يوثق كتابه وقواعده ، فساق الشواهد العربية
الخالصة من كلام (الله تعالى) وشعراء العرب الذين يحتج بأشعارهم من الجاهليين
والإسلاميين . وكنت أود أن أقيم موازنة بين شواهد وشواهد الكتاب ، وأبين
هل استقل بشواهد غير التي أوردها سيبويه ؟ ولكنني وجدت أن شيئا من ذلك
يبعدني عن القصد الذي عقدت من أجله هذا الفصل ، إذ كانت هذه الموازنة لاتصل
به من قريب .

ومما يتصل بمنهجه الذي أراد أن يبسر به على المتعلمين أنه عقد أبوابا خاصة
بالرسم (١) ، وأخرى خاصة باللغة كباب ما يؤنث من جسم الإنسان مثلا .

وليست هذه الأبواب وثيقة الصلة بالنحو ، إلا أنها متصلة بالمقصد الذي من
أجله وضع الكتاب كما استنتجت — وهو أن يسد حاجة المبتدئين . كاتبين أو متحدثين
وقد أدرك ذلك السيوطي فقال في كتابه اللمع : « وعلم الخط — ويقال له الهجاء —
ليس من علم النحو ، وإنما ذكره النحويون في كتبهم لضرورة ما يحتاج إليه المبتدئ
في لفظه وفي كتيبه (٢) »

أما الأبواب الصرفية التي جعلها آخر كتابه فقد جرى فيها على سنة النحويين

منذ سيويه ومن أتى بعده، ذلك لأن التصريف كما يقول ابن جني: «وسيطرة بين النحو واللغة يتجاوزانه، والاشتقاق أقدم في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، ويدل ذلك على أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب (١)».

وبعد: فيبدو أن لزجاجي في الجمل نظر إلى أني عمر صالح بن اسحق الجرمي (٢) (ت ٢٢٥ هـ) في «المختصر في النحو»، فقد قالوا عن الجرمي: «أنه ألف كتابه بمكة، وكان كلما صنف باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به ويبارك فيه (٣)»، وقد عرفنا الجوهري الذي أحاط به الزجاجي كتابه الجمل، تماماً على الذي فعل الجرمي من قبله! فهل كان الزجاجي ينظم عمله في سلك الجرمي ١٩، وهل كان يبني من وراء كتابه الجمل شهرة ونفعاً تصلان إلى درجة المختصر ٢٩، أما المختصر فقد ظفر من أبي علي الفارسي نفسه بتقدير منصف حين قال فيه: «قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة» (٤).

وأما الجمل فقد ظفر كذلك بتقدير الناس على النحو الذي بينت، ولكن نحو الزجاجي وفيه «الجمل»، لا يرضى عنه الفارسي، فيقول فيه ما قال.

ولمّا جانب الأسباب التي ذكرتها سابقاً، والتي خالفت بين الرجلين، في كتاب الإيضاح عن علل النحو — أذكر هنا أسباباً أخرى تنظم منهج الزجاجي بعامة، ثم أتبعها باجمال الأسباب جملة، ثم أختم هذا الفصل بتقويم لنحو الزجاجي أرجو أن أكون منصفاً فيه.

تعرض أبي علي للزجاجي بما تعرض به ضرب من تعرضه لمن هم في طبقتهم من أعلام النحاة، وأبو علي لم يتعرض لمن هم في طبقتهم حسب، بل تجاوزهم إلى الشيوخ ثم كان تعرض أبي علي للزجاجي أثراً من آثار ملازمته للزجاج، فقد ذكرت من الأسباب التي من أجلها تعقب أبو علي الزجاج أنه لازم المبرد، وكان وفيماً له أيما وفاة (٥)، ويرد الزجاج على ثعلب خصيم المبرد — فيكون له «الرد على ثعلب في الفصح» (٦). ومعروف أن المبرد نقض على سيويه، وأبو علي ينظر إلى سيويه

(٢) نزهة الألباء ١٠٢

(٤) نزهة الألباء ١٠١

(٦) نزهة الألباء ١٦٦

(١) المنصف ص ٤

(٣) نزهة الألباء ١٠١

(٥) الفهرست ٩٣

نظرة الإمام الذي لا يدافع ، ويعتز به وبآرائه اعترافاً ، ومن هنا توارث تلاميذ المبرد اللاندون به بخط أبي علي ، كما توارث تلاميذ أبي علي دفع ما نقض المبرد على سيويوه ، فهذا تلميذ أبي علي الأول : ابن جنى ، يصف المبرد بالمغالطة والوهم في تعقبه سيويوه ، ويرد ما يعقب أبو العباس المبرد على قوله — أى سيويوه : أن أصل اسطاع — أطاق ... فيقول ابن جنى : « وقد ذهب عن أبي العباس ما في قول سيويوه هذا من الصحة ، فأما غالط وهي من عادته معه ، ولما وهم في رأيه هذا ... ثم أخذ يدلل على صحة قول سيويوه (١) .

وإذن فقد ورث الزجاجي بخط أبي علي ، اصلته بالزجاج الوفي للمبرد المتعقب لسيويوه .

هذا سبب أراه من الأسباب الداعية لأن يضع أبو علي من قدر الزجاجي ... والزجاجي في كتبه يوقر المبرد (٢) ، ويحدث أخباره ، وينتصر له ، فبعد أن أورد ما ذكره الأئمة النحاة في الحدود المختلفة للاسم ، وفسدها واحداً واحداً : فسد تحديد الاخفش : سعيد بن مسعدة كما فسد تحديد كل من أبي بكر بن السراج ، وأبي الحسن بن كيسان . ثم ذكر حد أبي العباس المبرد ، ووقف طويلاً عنده ، وفسر غرضه من ذلك التحديد ، وبين أن ابن السراج أخذ من المبرد تحديده ، وذكر ما يعترض به على المبرد ، ورد على المعارضين ، ثم انتصر أخيراً له . وقد بدا لي كذلك أن الزجاجي لم يلحقه من أبي علي لأنه معاصر من طبقته ، ولأنه تلميذ موال للزجاج ، ولأنه ينتصر للمبرد ... حسب ، بل لأنه إلى ذلك قد هاجم سيويوه ، ورأى رأى المخطئين له ، ولم يدفع عنه ، ووصف قوله بأنه خارج عن إجماع النحاة البصريين والكوفيين جميعاً :

قال الزجاجي في الوجه الحادى عشر من وجوه الصفة المشبهة : « أجازه سيويوه وحده وهو قولك : مررت برجل حسن وجهه بإضافة حسن إلى الوجه ، وإضافة الوجه إلى المضمير العائد على الرجل ، وخالفه جميع الناس في ذلك من البصريين والكوفيين وقالوا : « هو خطأ لأنه أضاف الشيء إلى نفسه ، وهو كما قالوا فافهم (٣) .

وإذا كان مجرد ملازمة الزجاجي للزجاج قد أورثته حنق أبي علي - لما ذكرت - فكيف الأمر والزجاجي يهاجم سيويوه هذه المهاجمة السافرة ، وبنبه عليها في عنف

(١) سر الصناعة ٢١١

(٢) انظر أخبار الزجاجي ورقة ٥١ (٣) الجمل للزجاجي الصفة المشبهة

بآخر العبارة حيث قال : « وهو كما قالوا فافهم » .

ولن يعنى الزجاجى من تعرض أبى على له بعد ذلك — أنه لا يلتزم الهجوم على سيويه ، فالزجاجى فى الحقيقة أميل — إلى تقدير سيويه حق قدره من الإعظام — ينظر إليه فى إنصاف من غير أن يتحامل . ويتجلى ذلك إذ يقول : ونختم الكتاب : « كتاب الإيضاح عن علل النحو ، بمذهب سيويه »^(١) وما احتج به وماله ، وما عليه لأنه عدنا هو الصواب دون غيره إن شاء الله .

وقد رأينا موقف الزجاجى فى الإيضاح وتبصيره أصحاب سيويه وتوجيههم إلى الاعتقاد بما جاء فى كتابه عن طريق التدليل المنطقى لا عن طريق التلقين . وإذا كان أبو على الفارسى من أصحاب سيويه ، فإنه يستكثر ، أنفة ، وحمية ، وعصبية — أن يبصره أمثال الزجاجى بعبارات سيويه ويدله على صحتها ، والفارسى هو من هو فى سبب أغوار الكتاب ، والفروض البعيد فى أعماقه .

* * *

وإذ كان الزجاجى قد التزم المنطق على النحو الذى فصلت فى كتابه ، « الإيضاح فى علل النحو » ، وبينت منهجه الذى لا يرضى أبى على ، فإن الزجاجى قد ترك المنطق جملة فى كتابه الجمل ، فقد أخلى هذا الكتاب من المنطق ، ومسائله ، وأقيسته ، وقضاياه ، وبراهينه ، وتعليله ، وتدليله خلوا يكاد يكون تاما . ونحو الفارسى ملئ بهذه المسائل كما تبين .

وإذن فأبو على يستقل نحو الزجاجى إذا اتصل به عن أية حال كان هذا النحو متصلا بالمنطق أو بعيداً عنه .

وأود أن أقرر أن أبى على الفارسى يقترب من الزجاجى منهجاً وبعداً عن المنطق فى كتابه الإيضاح ، فهو قريب الشبه من كتاب الزجاجى فى خلوه من التعليقات الفلسفية ، والتدليلات المنطقية

وطريقة أبى على إذا ما احتفل بالموضوع : أن يغمره تدليلاً ، وتقريراً ، وتعليلاً ، ومنطقاً ، وتفصيلاً ، والنحو الذى يرضيه هو ما كان على هذا النحو . وإذا قد خلا نحو الزجاجى من المنطق على النهج الذى يلتزمه الفارسى — فهو لاشك — يرى أن الزجاجى فى نحوه لا يسير فى تياره ، ولا يجرى فى مضماره .

* * *

(١) فى الأمت والياء والواو والثنوية والجمع لإعراب مى أم حروف

وبعد : فالإنصاف يلزمى ألا أجرى وراء الفارسي؛ فأرى رأيه في نحو الزجاجي فنحن لا نزن النحو بموازين الفارسي حسب ، ولا ندور في فلسفه : محباً لبعض معاصريه والمتقدمين عليه ، أو كارها لبعض هؤلاء وهؤلاء . نعم ! ينبغي ألا نضع من نحو الزجاجي لأنه لم يلتزم المنطق ، أو التزمه على نحو يتخالف فيه هو وأبو علي بل عندي أن البعد عن المنطق : تعليلاته الجدلية منها بخاصة ، مما يرفع النحو درجات ولا يضع من الزجاجي أنه هاجم حيناً سيبويه ، ووفى للبرد . أنا اعترف بأن منزلة الزجاجي دون منزلة الفارسي في النحو والثقافة العربية على وجه عام ، فالفارسي له زعامة وإمامة لم يصل إليهما الزجاجي وأنا له ذلك ؟! ، والفارسي كذلك له طريقته المستوعبة المتقصية في تناول مسائل النحو في شخصية طاغية ظاهرة ، ولكني مع ذلك لا أهبط بنحو الزجاجي إلى الدركة التي هبط به أبو علي إليها حتى رماه بالخزي والاستحياء لو تكلم في النحو على نحو من الأنحاء .

نحو الزجاجي في الإيضاح يمثل طوراً هاماً من نشاط النحويين حول عبارات كتاب سيبويه ، من حيث تفسيرها ، وإدارة الجدل حولها ، وإثارة المناشآت كذلك . كما أن نحوه في هذا الكتاب وكتاب اللامات ، والأخبار — يمثل طرفاً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، واحتجاج كل فريق مع توثيق ذلك بالأسانيد . مما يعد بذرة للأنباري في الإنصاف ، والعكبري في التبيين . وعلى الدارسين الذين يريدون تأريخ هذا الخلاف ألا ينسوا هذه الحلقة الهامة التي صنعها الزجاجي في سلسلة هذا التطور في الاحتجاج .

كما يمثل هذا الكتاب صلة المسائل النحوية بالمسائل المنطقية من تحليل وتحديد وبرهان ، بل صلة المناطقة أنفسهم بالنحاة ، وتعرض الأولين للآخرين بالنقض والطنن والنخطة (انظر ما قاله في تحديد الاسم) في كتابه الايضاح .

ثم هو يمثل طرفاً من أصول النحو ألقى بها في غضون كتبه هنا وهناك . أيقن لنا أن ننسك قيمة نحوه التاريخية بعد ذلك ؟

ولست أدري مبعث هذا الاحساس الرضى الذي أجده في نفسي عند ما أقرأ كتاب الجمل ، وهو إحساس أجده في الكتب التي ألفها أصحابها وهم لله مخلصون . هل استجاب الله دعاء الرجل حقاً عند البيت الحرام فنفع بكتابه الناس ؟ أو لأن أسلوبه فيه سهل سمح خال من التعقيد والتفريع فيعطيك اللباب في كل باب ؟ أو لأنه في جمعه مسائل النحو مجد على المبتدئين والمنتهمين أجمعين ، قد يكون هذا أو بعضه ، ولكن الزجاجي على كل حال له مكانة عندي وعند الناس ولا سيما المغاربة؛ مما يجعلني أخالف رأى الفارسي فيه ، فأنتى قوله ولا أرتضيه .

الباب السابع

مدى تأثير الخالفين بنجوابي على

الفصل الأول

أثر أبي علي في أصول النحو

تأثر ابن جنى في كتابه الخصائص بأبي علي

بينت فيما سبق مقدار ما تأثر ابن جنى بشيخه في الاحتجاج للقراءات ، واتخذت كتاب المحتسب مادة لبيان هذا التأثير ومداه .

والآن أتعرف آثار أبي علي عند ابن جنى في أصول النحو ، وقد أودعها أبو الفتح كتابه الخصائص . ويتناول أثر أبي علي ، وتأثر ابن جنى به في ذلك الكتاب تم الصورة التي أبتغى رسم خطوطها في هذا البحث إذا كان من موضوعه ، أثر أبي علي في القراءات والنحو ، .

* * *

ابن جنى في كتاب الخصائص يحتفل بأبي علي : يثنى عليه ، ويدل على مواطن البراعة عنده ، « فما كان أقوى قياسه ، وأشهد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ، فكأنه كان مخلوقاً له ... » (١)

وتراه يقرأ تفسيره (٢) ويصوبه (٣) ، ويعجب بما يعقد من معان (٤) ، ويجريه على أحكام الصناعة (٥) ، ويثنى ثناء على نزعة الشيخ في القياس حتى أنه قال : « إن

(٢) المصدر السابق ٣٤٧/١

(١) الخصائص ٢٨٤/١

(٥) نفس المصدر ٤٥٩/١

(٤) ٣٦٠/١

(٣) نفس المصدر ٣١٨/١

مسألة واحدة في القياس أنبل وأنبه من كتاب لفة عند عيون الناس^(١) . ومرة واحدة رأيته يصف فيها الشيخ بالتعسف^(٢) .

* * *

وقد كان هناك تفاعل بين ابن جنى والشيخ ، يقوى هذا التفاعل عند أحدهما حين يضعف عند الآخر وقد يكون منهما في طبقة واحدة .

ا — فابن جنى يتلقى عن الشيخ وذلك في الغالب الأعم .

ب — وأحياناً يتبادل معه البحث ويخوضان معاً فيه .

ج — وقليلاً ما كان الشيخ يتلقى من ابن جنى ، فيتأثر بتليذه تأثراً إيجابياً حتى يسجل الشيخ قول التليذ .

وسأضرب المثل لكل حال من أحوال التفاعل فيما يأتي من حديث :

ففي (ا) نرى ابن جنى يقول مثلاً : سألت أبا علي (رحمه الله^(٣)) ، أو أنشدنا أبو علي^(٤) أو حدثني^(٥) ، أو كذا عهد إلى أبو علي (رحمه الله^(٦)) أو يقول : وهو رأى أبي علي (رحمه الله) وعنه أخذته لفظاً ومراجعة وبحثاً^(٧) .

* * *

وفي كتاب الخصائص ما يدل دلالة واضحة على تأثر ابن جنى بأبي علي في أصول اللغة والنحو ، وجاء ذلك التأثير مظهراً لتلقى ابن جنى عن شيخه ، فابن جنى ينقل رأى أبي علي في أصول اللغة : أتلهام هي أم لإصلاح ؟ ويناقش هذا الرأي^(٨) ثم يعود إليه في باب أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط^(٩) .

وهناك أصول كررها أبو علي في مختلف كتبه ، فبني ابن جنى عليها ، وأفاض الحديث عنها ، وشقق المقال فيها من ذلك مثلاً .

أولاً : جاء في الإغفال لأبي علي ما نصه : « ولزوم الظاهر أحب إلينا »^(١٠)

(٢) ٣٢٢/١

(١) الخصائص ٤٨٢/١

(٥) ٧/١

(٤) ٥٦٣، ٤٣٤/١

(٣) ٥٠١، ٤١٧، ٣٩٤، ٣٩٠/١

(٩) انظر ٤٢٩/١

(٨) انظر الخصائص ٣٩/١

(٧) ١٢٦/١ (٦) ٤٢٠/١

(١٠) انظر الاغفال : ٥٢ تيمور تفسیر : ٣٩٨

فما كان من ابن جني إلا أن عقد باباً « في الحمل على الظاهر ، وإن أمكن أن يكون المراد غيره^(١) ، وأورد في هذا الباب ما نصه .

« وذكر محمد بن الحسن (أروى) في باب (ع ر و) فقلت لأبي علي من أين له أن اللام واو ؟ وما يؤمنه أن تكون ياء فتكون من باب التقوى ، والرعى ، فنجح إلى ما نحن عليه من الأخذ بالظاهر ، وهو القول ، فأعرف بما ذكرته قوة اعتقاد العرب في الحمل على الظاهر ما لم يمنع منه مانع^(٢) . »

وثانياً : في الشيرازيات رأيت أبا علي ينص على أن العرب قد يجرون الشيء مجرى النظر^(٣) فيأتي ابن جني ويعقد باباً لذلك الأصل اللقوي ، أسماء « عدم النظر ، وقرر فيه أنه إذا دل الدليل فإنه لا يجب إيجاد النظر . . . فأما إن لم يقم دليل فإذ ذلك محتاج إلى إيجاد النظر^(٤) .

ويتحدث أبو علي عن الاعتراض في كل من الشيرازيات^(٥) ، والحلييات^(٦) وذلك قوله : « وليس في الاعتراضات التي يفصل بها بين الأشياء المتصلة اعتراض بجملتين إنما الذي يفصل به في نحو ذا جملة واحدة يكون فيها تسديد للتصلين اللذين يقع الفصل بينهما كالصفة لهما ، واستشهد بالقرآن الكريم ؛ والشعر العربي ، ومنشور الكلام . وأورد البيت في الشيرازيات :

وقد أدركتني - والحوادث جمعة أسنة قوم لاضعاف ولا عزل^(٧)
كما أورد الآيات الآتية في الحلييات :

الأهل أناها - والحوادث جمعة أسنة قوم لاضعاف ولا عزل

* * *

وبدلت - والدهر ذو تبدل هيفاً دبوراً بالصبا والشمال

* * *

كان - وقد أتى حول جريرم أثافيا حمامات مشول^(٨)

(١) المحائص ٢٦١/١ (٢) ٢٦٤/ (٣) انظر لوحة ٣٤ من الشيرازيات

(٤) المحائص ٢٠٣-٢٠٤/١ (٥) لوحة ٥١٠ (٦) ١٠٠

(٧) الشيرازيات ٥١ (٨) الحلييات ١٠٥

فلا يفوت ابن جنى أن يعقد في كتاب الخصائص باباً في الاعتراض ، يقرر فيه أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومنتور الكلام وينشد البيت الذى أنشده أبو على في الشيرازيات : ألا هل أتاها ... ويذكره ذلك بيت امرىء القيس الذى ترد فيه جملته (والحوادث جمة) وهو :

ألا هل أتاها - والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا

وبيت آخر هو :

ألا هل أتاها - والحوادث كالحصا .

ثم يورد الأبيات التى أوردها أبو على في الحلبيات ، ويعلق على ما أنشده أبو على .

د كان وقد أنى حول جديد^(١) ،

ويرى ما يخالف فيه رأى الشيخ بأن ليس هناك اعتراض في البيت .

* * *

وثالثاً : ويعقد أبو على حديثاً في العسكريات يورد فيه تقسيم أبي بكر للكلام من حيث الاطراد والشذوذ ثم يستقل بعد ذلك بما يظهر شخصيته ، فيشعب ، ويمثل ، ويستطرد ، ويفرع^(٢) ، ويأتى ابن جنى فيتحدث كذلك عن أضرب الكلام في الاطراد والشذوذ فيركز ويحصر ويجمع ويعزز في غضون حديثه — نظرية تقديم السماع على القياس ، وهى التى ردها أبو على في مواطن مختلفة من كتبه^(٣) .

* * *

ورابعاً : ويقول أبو على في الحجة : د فأما ما انفرد به ورش في روايته عن نافع من أن الهاء مكسورة والميم موقوفة إلا أن تلقى الميم ألف أصلية مثل سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم — فالقياس فيها إذا لقيت الألف الأصلية ، وإذا لقيت غيرها سواء وكأنه أحب الأخذ بالفتين مثل لا يأتكم ولا يلتكم^(٤) .

(١) رواية الخصائص (جديد) ورواية الحلبيات جريم انظر الخصائص ٣٣٩/١ - ٣٤٠

(٢) انظر العسكريات لوحة ١٣٤ وما بعدها (٣) انظر مثلاً الحلبيات ه نموش ٥٢

(٤) الحجة ٧٠/١

كما ضرب أبو علي مثلاً للأخذ باللغتين بما روى عن نافع من قراءته مرة عليهم
وأخرى عليهم^(١)

ويقول ابن جنى فى الخصائص : باب اختلاف اللغات وكلها حجة : اعلم أن سعة
القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك إعمال
(ما) يقبلها القياس ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين
ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين
بصاحبها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير
إحدهما فتقويها على أخها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسا
بها فأما رد إحدهما بالآخرى فلا^(٢)

وهذا الكلام فى مضمونه وخرواه يلتقى مع الكلام الذى قاله الشيخ وما رآه .
ولى جانب هذه المقابلات التى بينت فيها تأثر ابن جنى بأبى على هذا التأثر الظاهر
فى الأصول اللغوية والنحوية ، رأيت فى خلال الأبواب المختلفة من كتاب الخصائص
اعتماده كذلك على الشيخ فى تقريرها ومن هذه الأبواب .

- ١ — نقص المراتب إذا عرض هناك عارض^(٣)
- ٢ — تلاقى اللغة ، وإنه ليصدر هذا الباب بقوله : د هذا موضع لم أسمع فيه
لأحد شيئاً إلا لأبى على (رحمه الله)^(٤)
- ٣ — الاصلان يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير^(٥)
- ٤ — تلاقى المعانى لاختلاف الأصول والمعانى^(٦)
- ٥ — الاشتقاق الأكبر ، ويعترف فى صدر هذا الباب أن أباً على كان يستعين
به ، ويخلد إليه^(٧)
- ٦ — مشابهة معانى الإعراب معانى الشعر ، ويذكر فى مطلع الكلام أن
أبا على نيه من هذا الموضوع على أغراض حسنة^(٨) .

(١) الحجة ١٠٩/١ بلدية	(٢) الخصائص ٤١٠/١
(٣) الخصائص ٣٠١/١-٣٠٢	(٤) نفس المصدر ٣٢٦/١
(٥) الخصائص ٤٦٧/١-٤٦٨	(٦) الخصائص ٥٠٧/١-٥٠٨
(٧) الخصائص ٥٢٥/١	(٨) انظر الخصائص ٥٦٠/١-٥٦٩

فهذه أمثلة توضح الحال الأولى من حالات التفاعل بين الرجلين ، وهي تلقى ابن جنى من الشيخ . وانتقل بعد ذلك إلى تجلية الحال الثانية التي فيها .

(ب) يتبادل معه البحث ، ويخوضان معاً فيه : وذلك حيث يقول ابن جنى :

« دخلت يوماً على أبي علي (رحمه الله) خالياً في آخر النهار فحين رأيته قال لي : « أين أنت ؟ أنا أطلبك ! قلت : « وما ذلك ؟ » قال : « ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت ، فحسنا معاً فيه فلم نحل بطائل منه ، فقال : « هو من لغة اليمن ، ومخالف للغة ابني نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلهم (١) » .

وأخرى حيث يقول : وسألت أبا علي (رحمه الله) عن قوله :

أبيت أسرى ، وتبتيّ تدلّكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

فحسنا فيه ، واستقر الأمر فيه أنه حذف النون من تبتيّين كما حذف الحركة للضرورة في قوله :

« فاليوم أشرب غير مستحب ،

كذا وجهته معه ، فقال لي : « فكيف تصنع بقوله : تدلّكي ، قلت : نجعله

بدلاً من « تبتيّ ، أو حالاً ، فنحذف النون كما حذفها من الأولى في الموضعين ، فاطمأن الأمر على هذا (٢) .

وقد يكون شيء من ذلك من قبيل الدرية يلقي بها الشيخ على تليذه ، لكن نص ابن جنى على أنه هو وشيخه تشاركا في هذا الأمر يميل بي عن ذلك التقدير إلى القول بأن ذلك من قبيل تبادل الحديث ، والخوض معاً ، وإلقاء كل منهما بطرف فيه ابتغاء الوصول معاً إلى الجواب .

ومن دلائل الحال الثالثة وهي قليلة حيث يتلقى الشيخ من ابن جنى ويتقبل ما يراه ، ما يطمئن إليه ويرضاه (٣) حتى ليسجله في تعاليقه — ما جاء في الخصائص :

قلت مرة لأبي علي (رحمه الله) : قد حضرني شيء في علة الاتباع في (نقيذ) وإن عرى . وأن تكون عينه حلقية ، وهو قرب القاف من الحاء والذين فكما جاء عنهم التجير والرغيف ، كذلك جاء عنهم « النقيذ » ، فجاز أن يشبه القاف لقرابها من الحلق بها ، كما شبه من أخفى النون عند الحاء والذين أيهما بحروف الفم فالنقيذ في الاتباع كالمخل والمنغل فيمن أخفى النون ، فرضيه وقبيله ، ثم رأيت وقد أثبتته فيما بعد بخطه في تذكرته (٤) .

(٢) الخصائص ١/٣٩٤

(٤) نفس المصدر ١/٣٧١

(١) الخصائص ١/٣٩٢

(٣) المصدر السابق ١/١٢٩

وإن كانت عبارة : « فرضيه وتقبله ، توحى بأن التليذ يعرض لا ليلتقى الشيخ عنه ، بل ليقر ما يعرض عليه أو ينفيه — لكن قول ابن جنى بعد ذلك « ثم رأيتيه وقد أثبتته ... » يدل على حال التلقى من الشيخ — وتلك الحال قليلة نادرة على وجه العموم . ولا يقدر ذلك في مكانة أبي علي ، بل أرى أن ذلك بما يعلى قدره ، إذ كان دليلاً على رغبته في العلم وحرص منه ، وإقبال عليه .

* * *

وابن جنى كأستاذ محتج بالحديث الشريف في المعنى اللغوي ، وتقرير الأصول وشرح مذاهب العرب في كلامها : استشهد في باب القول على اللغة وما هي : بقول الرسول « من قال في الجمعة صه فقد لغا ، وفسر لغا بتكلم^(١) .

وفي تقرير ما ذهب إليه من أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها ، وحلناه عليها قال : « ومن ذلك ما يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن قوماً من العرب أتوه فقال لهم من أنتم ؟ فقالوا : « نحن بنو غيان ، فقال : « بل أنتم بنو رشدان » . فهل هذا إلا كقول أهل الصناعة أن الألف والنون زائدتان ، وإن كان (عليه السلام) لم يتفوه بذلك ، غير أن اشتقاقه إياه من الغي بمنزلة قولنا نحن : وإن الألف والنون فيه زائدتان ، وهذا واضح^(٢) .

* * *

وما يتفق فيه ابن جنى ويتأثر شيخه فيه : اصطناعه أساليب أبي علي عند البرهان والتدليل : فهو يورد الاعتراض ويرده^(٣) ، ويفترض الأسئلة ويجيبها^(٤) ، ويبدأ بما أممته عند أبي علي — بالتدليل المؤسس ، ثم يتبعه الدليل المؤكد المقوى^(٥) ، ويقول بالأولى والأجدر^(٦) ، ويسلك سبيل المناطقة — كما يسلك أستاذه سبيلهم — في اتخاذ أساليبهم فيظهر عنده القياس الاستثنائي^(٧) ويذكر العموم والخصوص الوجهي^(٨) ؛ ويقسم التقسيم المنطقي^(٩) ؛ وينظر ويقايس^(١٠) ؛ ويغرم غراماً شديداً بذلك حتى أنه يقول : إن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند

(١) الخصائص ٣٢/١ وانظر ص ٩٠، ١٣ (٢) الخصائص ٢٦٠/١

(٣) قس المصدر ٢٤/١ (٤) الخصائص ٢٠٩، ١٠٩/١

(٥) انظر الخصائص ٢٥/١ (٦) انظر ٢٧٩، ١٢٧، ١١٧/١

(٧) انظر ٣٣٦/١ (٨) انظر ١٥/١ (٩) انظر ٣٢٩/١

(١٠) انظر ١١٣، ١١٢/١

عيون الناس^(١) ، ويهدم القياس بما بين المقيس والمقيس عليه من فارق^(٢) ، وأوضح البراهين عنده ما كان ملحقاً بالبراهين الهندسية^(٣) : يذكر المقدمات التي تنتهي به إلى نتيجة يصدرها بقوله : فقد ثبت كذا وكذا^(٤) . وما أشبه ذلك بالاستنتاج الذي يعقب خطوات البرهان على النظريات الهندسية .

* * *

كذلك بما يقفوفيه ابن جنى قفوف شيخه استغلال مسائل العروض والقوافي في التذليل والاحتجاج ، ولا أطيل القول بالتذليل بل حسي أن أشير إلى بعض الصفحات التي ورد فيها هذا الاتجاه^(٥)

* * *

وابن جنى معتد — كشيخه — بأبي الحسن الأخفش ، وإنك لترى مظهر هذا الاعتداد في قوله حيث يدفع عنه : على أن أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيباً إذا أنت قرنته بكتابتنا هذا علمت بذاك أنا أنبنا عنه فيه ، وكفيناها كلفة التعب به ، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوطة إلينا المفيضة ماء البر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواما نزلت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم إلى الطعن عليه ، والقدهج في احتجاجاته وعلله^(٦) ، وأبو الحسن هنا سعيد بن مسعدة الأخفش لأنه هو الذي صنف المقاييس^(٧) .

ثم إن ابن جنى يقوى مذهب الأخفش : علق على قول ضيفم الأسدي :

إذا هو لم يخفى في ابن عمي وإن لم ألقه الرجل الظلوم^(٨)

بقوله : هذا البيت تقوية لمذهب أبي الحسن في إجازته رفع زيد بعد إذا الزمانية بالابتداء في نحو قوله تعالى : « إذا السماء انشقت » ، « وإذا الشمس كورت » ، وإنما الغرض لإعلامنا أن في البيت دلالة على صحة مذهب أبي الحسن هذا^(٩) .

* * *

-
- | | | |
|-------------------|----------------------------------|----------|
| (١) ٤٨٢/١ | (٢) انظر الخصائص ١٥٥/١ | (٣) ٦١/١ |
| (٤) انظر ٣٠/١ | (٥) انظر ١/٧٣، ٨٥، ٢٤٢، ٣٣٨، ٤٦٤ | |
| (٦) الخصائص ٣/١ | (٧) انظر الفهرست ٧٨ | |
| (٨) الخصائص ١٠٩/١ | (٩) الخصائص ١١٠/١ | |

ويعرف — مع الشيخ — أسلوب الأخصر في تناول المسائل ، عقد ابن جنى باباً في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العامل متضادين جاء فيه ، « وقد كان أبو الحسن ركاباً لهذا الشيخ أخذاً به ، غير محتشم منه ، وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه ، وكنت إذا ألزمت عند أبي علي (رحمه الله) أن أقول لأبي الحسن شيئاً لا بد للنظر من إلزامه إياه يقول لي : مذهب أبي الحسن كثيرة (١) .

كما يقف موقف شيخه من المبرد يدفع عنه ما اعترض به علي سيويه (٢) .

* * *

وزى في ابن جنى الأمانة العلية ، وكانت لها مظاهرها في الخصائص (٣) ، وقد لحظ ذلك ابن جنى من أستاذه ، ونص عليها ، ودعا الباحثين إليها (٤) .

* * *

وثمة سمة تظهر في تأثر ابن جنى بأستاذه أبي علي ، تلك إشارة الانصباب في إيراد الشواهد ، لا يكتفي بالشاهد أو الشاهدين ، وتلك النزعة الظاهرة عند الإمام سيويه (٥) فسلك كل من الرجلين سبيل الإمام فيها (٦) .

* * *

وغير خاف ما يظهر عند ابن جنى من الاستطراد في بحوثه ، ولكنه يفرق عن الشيخ فيه ، فاستطراد ابن جنى يضم موضوعات مترابطة ، لا كما يظهر عند الشيخ من الاستطراد لأدنى ملابسة تنسيك الموضوع الأصيل الذي يتحدث فيه ، وتطنى عليه .

* * *

وأمر يتخالف فيه ابن جنى مع أستاذه أبي علي ، ذلك الإكثار من استشاده بشعر المولدين في المعاني وبخاصة في المتنبي ، فإن جنى يقدر المتنبي ويبالغ في قدره .
(١) فهو شاعره (٧) يحدّثه (٨) ولا يعرفه إلا صادقاً (٩) .

(١) الخصائص ٢١٣/١ (٢) انظر (١٨٩،٧٧ ، ١٩٠، ٤٠١) من الخصائص ١

(٣) انظر ٢٧٦/١ (٤) انظر الخصائص ٦٠٨/٢ وما بعدها

(٥) انظر سيويه امام النحاة لأستاذنا ١٤٢ وما حوالها

(٦) انظر في هذه الظاهرة من كتاب الخصائص ٢١/١، ٢٤٨، وما بعدها

(٧) الخصائص ٢٢/١ (٨) المصدر السابق ٤٢٦ (٩) الخصائص ٢٤٨/١

(ب) ثم هو يثني على سرعته ، وخلص ذهنه — يسرع العمل ولا يعتاقه ببطء ولا يستوقف فكره ، ولا يتعنت خاطره^(١) .

(ج) ويحتج بشعره في المعاني ، ويدفع ما يتوهم من الخطأ في ذلك إذ يقول : — بعد أن استشهد بشعره — . ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وإن كان مولداً في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه ، فإن المعاني يتناهاها المولدون كما يتناهاها المتقدمون ... وإياك والخبيلية بحثاً ، فإنها خلق ذميم ، ومطعم على علاقته وخيم^(٢) .

(د) ويعرف مذهبه في استعمال بعض الألفاظ كاستعمال المتنبي ذا ، وتا ، وذى في شعره كثيراً ويسأله في ذلك^(٣) .

وقد يتفق أبو علي مع ابن جني في تقدير المتنبي إلى حد ما ، فقد عقد أبو علي مسائل في الشيرازيات تناول فيها بعض أبيات للتنبي بالدراسة^(٤) ، وفي ذلك بعض الاحتفال بالمتنبي ، ولكن أبا علي لا يبلغ مبلغ ابن جني في تقدير المتنبي والاحتفاظ بشعره على أية حال .

وموقف ابن جني من القراءات أسلم من موقف شيخه ، ذلك أن أبا علي — مع اعترافه بأن القراءة سنة متبعة^(٥) — يحكم القياس ، فما وافق من القراءات القياس اعتدبه ، وما لم يوافق قرر أن الحمل عليها ، والرد إليها ينبغي ألا يجوز ما وجد عنه مندوحة^(٦) وينقل ابن جني رأى الشيخ في أن القراءة سنة مع اختلاف في التثليل ، واتفاق في الفحوى .

يقول الشيخ : « لو قيل اللاتي في موضع اللاتي ، واللاتي في موضع اللاتي في غير التنزيل لاستقام ، ولا يكون ذلك في التلاوة ، لأن القراءة سنة^(٧) » .
ويقول ابن جني : وما يحتمله القياس ، ولم يرد به السماع كثير منه القراءات التي تؤثر رواية ولا تتجاوز ، لأنه لم يسمع فيها ذلك كقوله عز اسمه « بسم الله الرحمن الرحيم ، فالسنة المأخوذ بها في ذلك اتباع الصفتين إعراب اسم الله سبحانه ، والقياس يبيح أشياء فيها وإن لم يكن سبيل إلى استعمال شيء منها ... »^(٨) .

(١) الخصائص ٣٣٢/١ (٢) الخصائص ٢٣/١ (٣) انظر الخصائص ٥٣١/١

(٤) انظر الحديث عن الشيرازيات في هذا البحث

(٥) انظر الشيرازيات ٩٤ (٦) الحجية نسخة البلدية ٢٢٤/١

(٧) الشيرازيات ٩٤ (٨) الخصائص ٤٠٣/١ وما بعدها

وابن جنى بعد ذلك أرحب صدرأ يحتج لحزة في قراءته : « واتقوا الله الذى تساملون به والأرحام ، على حين ضعفها أبو على (١) ويقرر ابن جنى أن ليست هذه القراءة عنده من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس (٢) .

ويحتج ابن جنى لقراءة لعائشة وابن عباس ، وعيسى ، وابن يعمر ، وزيد ابن على (٣) تلقونه بالسنتكم (٤) ، وليس فيهم واحد من السبعة أو الثلاثة الذين فوق السبعة .

وحسب ابن جنى أنه عقد كتاباً فى القراءات الشواذ ، فوثقها واحتج لها (٥) .
وغريب بعد ذلك كله أن يقرر ابن جنى أن قراءة عاصم وقيل من راق بيان النون من من معيب فى الإعراب معيب فى الأسماع (٦) !!

* * *

ورأيت ابن جنى يستكثر من التعليل النفسى ، والرجوع إلى الحس فى التدليل وكان من أبى على شىء من هذا فى بعض كتبه (٧) لكن ابن جنى توسع فيه حتى صار ذلك من سماته التى يتسم بها ، ويتميز عن شيخه فيها ، وإليك ما يختصر الدلالة على هذا الاتجاه . قال :

« الحذاق المتقنون من النحاة يحيلون — فى علمهم — على الحس ، ويحتجون بثقل الحال أو خفتها على النفس (٨) . »

« لا توقف فى ثقل الياء الساكنة بعد الضمة ؛ لأن حالها فى ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة ، وهذا كما تراه أمر يدعو الحس إليه ، ويحلو طلب الاستخفاف عليه ، وإذا كانت الحال المأخوذ بها ، المصير بالقياس إليها حسية طبيعية فناهيك بها ، ولا معدل بك عنها (٩) . »

* * *

وتظهر الصناعة الصرفية فى اختيار ابن جنى للألفاظ كما كان الشأن عند الشيخ ، انظر مثلاً قوله :

(١) انظر الحجة ٢٢٩/٣ البلدية (٢) انظر الخصائص ٢٩٤/١

(٣) البحر المحيط ٤٣٨/٦ (٤) الخصائص ٨/١

(٥) انظر الفصل الخاص بذلك من هذا البحث (٦) الخصائص ٩٧/١

(٧) انظر مثلاً التيرازيات ٥٢،٤٤ والحليات ٤٥،٤٤

(٨) الخصائص ٤٦/١ (٩) نفس المصدر ٤٨

« لا تعدم هناك مذهباً أسلكه ، ومأماً تتورده »^(١) .
وقوله : « جعلوه كالمهبة على فرط عنايتهم »^(٢) .
كما تظهر الصناعة اللغوية وذلك في قوله — مثلاً — وأنها — أى اللغة — لم
تقتم اقتمائاً ، ولا هيلت هيلاً^(٣) .

• • •

وبعد : فذلك مدى ما تأثر ابن جنى بأبي على ، ومدى ما افترق بمقدار عنه —
في الخصائص الذى يمثل أصول النحو واللغة :
تأثر ابن جنى واضح بأستاذه في الأصول النحوية واللغوية ، واحتجاجه بالحديث
الشريف ، وفي طريقة التدليل بالتزامه مسائل المنطق وقضاياها ، وبالتعصب لسبويه
وبالرد على من هاجمه وعاداه ، والدفاع عن أبي الحسن الأرخس ، والاعتداد به ،
وبالانصباب في سرد الشواهد ، واستغلال العروض والقوافي في التعليل ، وظهور
نزعة الاستطراد عنده بطابع خاص وبمقدار .
وابن جنى بعد ذلك يكثر في بعض ما أقل منه الشيخ : يكثر من الاستشهاد
بشعر المولدين في المعاني ، ومن تقدير المتنبى ، كما يكثر من التعليل النفسى ، والاحتكام
إلى طبيعة الحس في الاحتجاج .
وأنتك لتجد بعض هذه السمات من التوافق أو التخالف فيما عرضته من دراسة
مقارنة بين الرجلين في الاحتجاج — في الحجّة والمحتسب ، ولكنى هنا بصدد بيان
مدى تأثر ابن جنى بشيخه في أصول اللغة والنحو ، وإننا لنرى ذلك التأثير متميزاً
بطابعه الذى يستقل به كتاب الخصائص ، ويمجى في أصوله على سنن من هدى
الشيخ . حيناً يقفى منه الآمار ، وحيناً يفترق عنه بمقدار على النحو الذى سلف
به البيان .

الفصل الثاني

أثر أبي علي في فروع النحو

تأثر ابن الشجري في أماليه بأبي علي الفارسي

وابن الشجري من رجالات القرنين الخامس والسادس، فقد ولد في رمضان سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة، وتوفي في رمضان سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة^(١) واسمه هبة الله بن علي، وكنيته أبو السعادات^(٢)، وقد اشتهر بأماليه في النحو واللغة والأدب، وتأثره واضح بأبي علي في هذه الأمالي التي أملاها في سنة أربع وعشرين وخمسمائة هجرية^(٣)، وفيها يحتفل بأبي علي، فيعده من النحاة المحققين^(٤) والائمة المتقدمين^(٥). وقد قضى أبو السعادات مدة طويلة يقرئ النحو حتى بلغت فيما يقول ياقوت سبعين سنة^(٦)، ومعنى هذا أنه جلس للإقراء وسنه ثنتان وعشرون^(٧) وتتصل سلسلة شيوخه بأبي علي الفارسي في علم العربية - فهي كما يقول صاحب الزهة: أخذها عن ابن طباطبا، وأخذها ابن طباطبا عن علي بن عيسى الربيعي وأخذها الربيعي عن أبي علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج^(٨)... ومن تلاميذه ابن الأنباري صاحب نزهة الألباء، ويحدثنا عن مكانته في عصره وما انتهت إليه رياسة النحو في زمنه حتى صار: أنحى من رأينا من علماء العربية، وآخر من شاهدنا من حذاقهم وأكابرهم^(٩) تلك سلسلة شيوخه، وذلكم ابن الأنباري أحد تلاميذه والذي يهمني في هذا البحث أن أعرف مكانة أبي علي عنده، ومدى تأثره به، وتقديره له: ويظهر قدر ابن الشجري لأبي علي وافتقاره أثره في هذه الأحكام التي يصدرها على المسائل النحوية متفقة مع تلك الأحكام التي أصدرها أبو علي من قبل ويقيس عليها، فنراه يحكم على الكسرة في غلامى ونحوه بأنها حركة بناء، ويقول: «إن كل حركة لم تحدث من عامل حركة بناء، كما حكم أبو علي في الباب الثاني من

(١) بنية الوفاة ٤٠٨ (٢) انظر نزهة الألباء ٢٦٨

(٣) انظر ص ٤٧ ج ١ من أمالي ابن الشجري (٤) ١٤٣/١

(٥) ٢٨٣/١٩ (٦) ١٢٩/٢، ٣٦٦، ٣٥٢/٢

(٧) انظر تاريخ المولد والوفاة (٨) نزهة الألباء ٢٧٠ (٩) المصدر السابق

الجزء الثاني من كتاب الإيضاح بأن حركة التقاء الساكنين حركة بناء ، وذلك في قوله :
« وحركات البناء التي تتعاقب على أواخر هذه البنية نحو حركة التقاء الساكنين
في أردد القوم ، (١) .

ثم نراه ينقل أقوال أبي علي مستشهداً بها معتداً حيث يقول : قال أبو علي :
« أرواح مودع ، كقولهم ، ليل نائم ، ، ولو أنشد مودع جاز ، وكان التقدير مودع
فيه ، كما حذف من قوله : « كبير أنلس في بجاد مزمل ، أي مزمل فيه ، (٢) .

ثم نرى ابن الشجري يعتذر لأبي علي الفارسي من اغفاله وجوها لإعرابية لا يعجز
مثله في عمله عن ذكرها ، وذلك ما ذكره في صدر المجلس التاسع والعشرين حول
بيت الأخطل :

إن العرارة والنبوح لدارم والمستخف أخوهم الأتقلا
قال أبو علي في بعض أماليه : « أنشدناه لإبراهيم بن السري الزجاج ، وذكر
أن الرواية في المستخف بالنصب وبالرفع ، فأما « الأتقلا ، فخارج من الصلة ،
ومنتصب بمضمر دل عليه المستخف . ثم عقب ابن الشجري على هذا بقوله :
وهذا جميع ما ذكره في البيت في الجزء الذي وقع إلى ، ولعله قد استوفى القول فيه
في موضع آخر (٣) .

وهذا اعتذار لأبي علي — إلى جانب معرفته بطريقة شيخه في التقصي والاستيفاء ،
فعبارة الأخيرة دالة على الأمرين جميعاً .

* * *

وبدل كتاب الأمال لابن الشجري على أنه اطلع على كتب الفارسي اطلاع واع
متفهم ، فهو يطلع على كتاب الإيضاح (٤) وعلى شروحه المختلفة (٥) .
كما يطلع على تكملة الإيضاح (٦) ، وعلى كتاب العوامل (٧) ، وكتاب التذكرة (٨)
ويطلع على الشيرازيات (٩) كما يتصل بكتابه الحجية (١٠) ، وينقل منها كثيراً في أماليه (١١) ،
ثم هو يجيل الطرف في كتبه بعامه (١٢) .

(١) أمالي ابن الشجري ٤/١ وانظر ٢١٦/٢

(٢) ٩٠/١ وانظر في ذلك ١١٣/١ ١٢٤٤ ١٤٦٦ ١٥٠٠ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٦ ١٥٨ : ١٠٨

١٦٢ : ١٦٠ وما بعدها ٢٢٢/٢ وما بعدها ، ص ٢٣٥

(٣) ١٨٩/١ وما بعدها (٤) انظر مثلاً ٤/١ ٣١٧ : ٣٢٥ ٣٤٣ : ٣٤٣ ٣٣٦ : ٣٤٩

(٥) ٣١٧/١ (٦) ٤٠/٢ (٧) ١٥٠/١ (٨) ١٥٢/١

(٩) ٣٢٧/٢ (١٠) ٣٢٠٦ : ٣٢٠٤ (١١) انظر مثلاً ١/٢٦٤ (١٢) ١٨٠/١

ويبدو تأثره بأبي علي — كذلك — في طريقة تناوله لشرح الألفاظ اللغوية، والاستدلال على معانيها بالقرآن الكريم، والشعر العربي القديم :
قال في شرح ألفاظ البيت :

جزى الله عني والجزاء بكفه عمارة عبس نضرة وسلاما
النضرة : الحسن، ونضر الله وجهك حسنه، ومنه « وجوه يومئذ ناضرة،
« ولقاهم نضرة وسرورا، والسلام : التحية . والسلام : السلامة . والسلام : الله
جلت عظمته، ومن السلامة قول الشاعر :

تحيي بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي من سلام ؟
ومن السلامة أيضاً قول الله جل ثناؤه : « لهم دار السلام عند ربهم، وسمى الله
الجنة دار السلام لسلامة أهلها من الآفات، والفقر، والمرض، والموت، والأحزان، (١).
وكان من مظاهر تأثر ابن الشجري بأبي علي في المتن اللغوي (٢) — أيضاً —
أنه يستعين بأقواله : جاء في شرح البيت :

متى ما تلقى خلويـن ترجف رواقف إلبتيك وتستطارا
وأما الآلية، فقال أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (رحمه الله) قد جاء
من المؤنث بالياء حرفان لم يلحق في تثنيتهما التاء، وذلك قولهم : خصيان واليان
« فاذا أفردوا قالوا : « خصية وإلية، وأنشد أبو زيد :

ترجح الياء ارتجاج الوطب (٣)

وقيلة : كأنما عطية بن كعب طعينة واقفة في ركب
وأنشد سيديويه :

كان خصيه من التدلـل ظرف عجوز فيه ثنا حنظل (٤)
ثم هو يسلك مسلك الفارسي في التعليل بالمنطق، والتدليل بالقياس ويبدو
ذلك إذ يقول في شرح الآلي من قول الرضي :

قد كان جدك عصمة العرب الآلي فاليوم أنت لهم من الإعدام
الآلي : ييتمل وجهين : أحدهما أن يكون اسما ناقصا بمعنى الذنب، أراد الآلي

(١) ١٧/١ وقد عقد فصلا للمتن اللغوي عند الفارسي فليراجع

(٢) انظر ١٨٤؛ ٧٦/١ مثلا

(٣) نوادر أبي زيد ص ١٣٠ الرطب : سقاء اللبن ... والثدى العظيم

(٤) أمالي ابن الشجري ٢٠/١ ؛ والبيت ورد في الكتاب ١٧٧/٢؛ ٢٠٢ انظر سيديويه

سلفوا لحذف الصلة للعلم بها كما حذفها عبيد بن الأبرص في قوله :

نحن الال فاجمع جو عك ثم وجهم إلينا

أراد : نحن الال عرفتهم .

والوجه الثاني أن يكون أراد الأولى لحذف الواو التي هي عين (الفعلي) كما حذفها

الأسود بن يعفر في قوله :

وأبتعت أخراهم طريق ألام كما قيل نجم قد خوى متتابع

قيل إنه أراد هجوت آخرهم كما هجوت أولهم أي ألحقت آخرهم بأولهم في الهجاء ،
ويدلك على أنه أراد بألام أولام أمران .

أحدهما : معادلتها لأخراهم ، ومثله قول أمية بن أبي الصلت :

وقد علنا لو إن العلم ينفعنا أن سوف يلحق أخراننا بأولانا

ومثله في كتاب الله عز وجل : قال أولام لأخراهم .

والثاني : أنها لا تخلو من أن يكون المراد بها ما ذكرته أو تكون إلى المهمة

التي في قول الأعشى :

هؤلاء ثم هؤلاء كلا أعطيت نعالا محذوة بنعال

أو يكون بمعنى الذين كقول عبيد :

• ونحن ألى ضربنا رأس حُجر •

فلا يجوز أن تكون المهمة ، ولا الموصولة ، لأن تينك لا تضافان ، فثبت

ما ذكرته أن المراد بها أولام^(١) .

ولعلك تلمح معي :

(أ) قياسه النحوى في قوله : حذفوا الصلة للعلم بها كما .

(ب) قياسه الصرفي في قوله : حذفوا الواو .

(ج) قياسه الاستثنائي الانفصالي في قوله : لا تخلو من أن يكون .

(د) واتخاذها في ذلك براهين المهندسين .

وانظر طرفاً من قياسه الإعرابي^(٢) : أحسن الحذف في المضاف ما دل عليه معنى

أو قرينة أو نظير أو قياس ثم أخذ يمثل الشكل بما يؤيد ما نحن فيه .

* * *

(١) أمالي ابن السجري ٣٠/١ وانظر ٢٩٠/١

(٢) ١٨٢/١ وما بعدها و١٨٦، ثم انظر ٥١/١

وكما يظهر تأثره بأبي علي في التوجيه الإعرابي لقراءات القراء وذلك توجيهه قراءة نافع : ، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، بنصب يوم ، وقراءة بقية السبعة برفعه (١)

* * *

وهو يسلك مسلك أبي علي في التزامه الأمانة العلمية ، ويبدو ذلك في قوله : وقد مر في كلام لأبي علي ذهب عنى مكانه يتضمن تجويز رفع مرتوى بارتوى (٢) ، وأنا منذ زمان أجيل فكرى وطرفى في تعرض المكان (٣) الذى سنح لى فيه كلامه ، فلا أقف عليه (٤)

ومن أمثلة هذه الأمانة ما ذكره بعد نقله عن أبي علي روايته أوجه الإعراب في المستخف من بيت الاخطل .

إن العرارة والنبوح لدارم والمستخف أخوم الاثقالا
إذ يقول ابن الشجرى : هذا جميع ما ذكره في البيت في الجزء الذى وقع إلى
ولعله قد استوفى القول فيه في موضع آخر (٥)

وهو لإقرار ضمنى بأن هذا الموضوع الآخر لم يطلع عليه حتى ساعة إملائه المجلس التاسع والعشرين من أماليه ، وفي ذلك من الأمانة العلمية ما فيه (٦) .

* * *

كما يتأثر أبا علي في تفسير القرآن بالقرآن وذلك (٧) ما ورد في المجلس السادس والسبعين عن الكلام في قول الله عز وجل : ألم نشرح لك صدرك ووضعنا ، يتوجه في قوله لك سؤال : فيقال : لو قيل ، ألم نشرح لك صدرك كان الكلام مكتمياً ، ومثله : ورفعنا لك ذكرك ، فلائى معنى ذكرك .
والجواب عن هذا السؤال : أن اللام في لك لام العلة التى تدخل على المفعول

(١) ٤٤/١ (٢) في قول الشاعر .

فليت كفافا كات خيرك كله وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

(٣) بين الموضوع عند الكلام على هذا البيت في مكان آخر فذكر أنه مر به في التذكرة ٢٩٨/١

(٤) ١٨٥/١ (٥) ١٨٩/١

(٦) خصصت فصلاً تحدثت فيه عن أمثلة أبي علي ومظاهرها فليرجع إليه

(٧) وفي هذا النص التذليل بالقياس أيضاً

من أجله في نحو قولك فعلت ذلك لإكرامك ، فإن حذفها قلت « فعلت لإكرامك » كما قال :

متى تفخر ببيتك في معد تقل تصديقك العلماء جبر
الأصل لتصديقك ، فلما حذف اللام نصب ، فإن حذف المصدر رددت اللام
فقلت « فعلت ذلك لك » ، ومثله « جئت لمحبة زيد » و « محبة زيد » ، ومنه قول عمر
ابن أبي ربيعة :

وقير بدا ابن خمس وعشر ين له قالت الفتاتان : « قوما ،
أراد لأجله قالت الفتاتان قوما

وإذا عرفت هذا المعنى : ألم نشرح لهداك صدرك كما قال تعالى : فمن يرد الله أن
يهديه يشرح صدره للإسلام ، فلما حذف المصدر وجب لإثبات اللام^(١)
وإذا كان ابن السجري قد تأثر بأبي علي هذا التأثر على النحو الذي بينت ، فإننا
نراه ينص أنه يفهم من كلام الشيخ ما لا يفهمه النحاة ويخص منهم أبا طالب العبدى^(٢)
لذا يقول :

« وغير أبي علي ومن اعتمد على قوله رويوا نصب الماء^(٣) ، ولم يرووا فيه الرفع
فلزموا ظاهر اللفظ والمعنى فذهبوا إلى أن فاعل ارتوى مرتوى وأبو طالب
العبدى^(٤) منهم ، وذلك أنه ذكر لفظ أبي علي في تعريف البيت ثم قال : « وأنا
مطالب بفاعل ارتوى ثم مثل قوله : « ما ارتوى الماء مرتوى » بقوله : « ما شرب
الماء شارب » ، أى ، أبدأ ، فدل كلامه على أنه لم يعرف المعنى الذى ذهب إليه أبو علي
من نصب مرتوى على أنه خبر كان^(٥) أو رفعه على أنه خبر ايث^(٦) .

وزاه فى صدر كلامه عن ذلك البيت : « فليت كفافاً . . . » يذكر أن بعض
أهل الأدب قال : « إن هذا البيت مشكل ، وقد زاده تفسير أبي علي له إشكالا ،
ثم يتولى هو تفسير البيت بما يحل الإشكال ، ويوضح الغموض^(٧) » ثم نراه يعترف

(١) المجلس السادس والسبعون ٣٢٣/٢

(٢) مع أن أبا طالب شرح كلام أبي علي في الإيضاح بكلام أبي علي ، انظر إنباه الرواة

(٣) فى البيت : فليت كفافاً كان خبرك كله * وشرك على ما ارتوى الماء مرتوى

(٤) هو أحد تلاميذ أبي علي . انظر نزهة الألباء ٢٢٢

(٥) تفصيل الكلام فى شرح ذلك من الأمالى الشجرية ١٨٣/١

(٦) تفصيل الكلام فى شرح ذلك ١٨٤/١ (٧) ١٨٢/١

بأن لأبي على كلاماً في تكملة الإيضاح يحتاج إلى كلام يبرزه ، وتفسير يوضحه (١) ،
ويأخذ في التفسير والبيان .

وفي موضع آخر ينص على أن أبا على قد ألف في كلامه ، وما وجد لاحد من
مفسري كتابه الذي وسمه بالإيضاح تفسير هذا الكلام ، ولكنهم حادوا عنه إلى
تفسير قول آخر (٢)

ومن هنا نراه يعقد المجلس لشرح بيت وإعرابه بما ذكره الفارسي (٣) أو يدير
الكلام على توجيه إعرابي وجهه أبو على في قراءة (٤) ، أو عبارة (٥)

° ° °

وإذا ذهبنا لتلخيص أسباب تأثر ابن الشجري بأبي على الفارسي — بدا لنا أنه
بغدادى (٥) يميل إلى نحلة البصرة (٦) ، حيث يقول : « ولنحاة الكوفيين في أكثر
كلامهم تهاويل فارغة من الحقيقة (٧) » ، وأنه أخذ عن ابن طباطبا عن علي بن عيسى
الربيعي عن أبي على الفارسي (٨) ، ولذا نراه ينقل أقوال الربيعي (٩) ، ويشرح اللع
لابن جنى (١٠) ويشترك مع ابن جنى — تلميذ أبي على — في تعصبه للتبني فتراه يرد
على المتحاملين عليه (١١) ، ويفرد في خاتمة كتابه مجلساً قصره على أبيات من شعر
أبي الطيب المتبني تكلم عليها ، وذكر ما قاله الشراح فيها ، وزاد من عنده
ما سنح (١٢) له ، ويورد المسائل لشرح أبياته (١٣) ، كما يعقد المجلس لهذا
الغرض (١٤) .

وبهذا نستطيع أن نعد ابن الشجري من هذه المدرسة التي تقف بجانب المتبني ،
والتي تقابلها المدرسة الأخرى المتعصبة عليه ، المزرية به ، والتي يمثلها أبو حيان ومن
لف لفه من علماء عصره (١٥)

(١) ٤٠/٢ وما بعدها ، وانظر ص ٥٤ من هذا الجزء

(٢) ٣١٧/١ (٣) ٢٠١/٢ (٤) ٢٥٧ و ٢١٩/٢

(٥) ٣٠٠/١ في تفسير قول أبي على « أخطب ما يكون الأمير قائماً »

(٦) الأمالي ٢/١ ، وترجمة ابن خلكان (٧) ١٢٩/٢ و ١٤٧

(٨) أمالي ابن الشجري ٣٩/١ (٩) نزعة الألباء ٢٧٠

(١٠) انظر مثلاً الأمالي الشجري ٧٠/١ (١١) وفيات الأعيان ٩٦/٥

(١٢) أمالي ابن الشجري ٢٠٦/٢ (١٣) وفيات الأعيان ٩٦/٥

(١٤) انظر مثلاً ٣١٣، ٣٠٣/٢

(١٥) انظر مثلاً المجلس السادس ٣٥/١ والمجلس الثاني عشر ٧٧/١

وقد قدرت — أول الأمر — أن يكون من أسباب تأثر ابن الشجرى بأبي على الفارسي علوية ابن الشجرى ، بل كان تقيب الطالبيين بالكرخ (١) ، والفارسي كما تعلم علوى شيعي (٢) . ولكنني عدلت عن الاعتداد بذلك سبباً من أسباب التأثر به ؛ لأن الأدلة لم تخرج بي من مرتبة الظن إلى دائرة اليقين ، لأن مظاهر التأثر في هذه الناحية غير بادية .

* * *

وقد عرضت قبل إلى موقف أبي على الفارسي من آراء أبي العباس المبرد ، وكيف أن أبا على وقف يدفع عن سيويوه ما نقض المبرد عليه ، ورأينا كيف كان يغلطه فيما يذهب إليه مخالفاً رأى سيويوه ، وقد تحسست هذا الاتجاه من ابن الشجرى فلم أر أنه يجرى في سنن أبي على إلا إذا كانت مخالفة المبرد صارخة ، فيها بعد عن إجماع النحاة ، عند ذلك يقف ابن الشجرى من المبرد موقفاً يشبه موقف الشيخ أبي على ، كالذي رآه المبرد من تعلق الجار في : « أما في زيد فاني رغبت ، — برغبت ، على حين أن سيويوه وجميع النحويين يعلقونه بأمانفسها ، وهنا يقف ابن الشجرى مفسداً رأى المبرد وذلك حيث يقول معلقاً على ما رأى :

« وهو قول مبين للصححة ، خارق للإجماع وهو في مذهب أبي العباس جائز ، وفساده واضح ، (٣) .

وقد يبدو أن ابن الشجرى اتخذ هذا الموقف من المبرد في هذه المسألة وأمثالها غير متأثر بأبي على ، بل متحرراً من مخالفة الإجماع الذي هو حجة عند نحاة وأهل الشرع أجمعين .

ولتماماً لهذا الموضوع ، وبياناً لوجه الحق ، ونصفة لابن الشجرى أذكر أنه لم يجر دائماً وراء الفارسي ، يقفوقوه ، ويخذو حذوه ، بل كان إلى جانب حكمه لأبي على وتأثره به على النحو الذي بينت — يحكم على بعض آرائه — وذلك في القليل النادر — بالبعد .

(١) الأملاني لابن الشجرى وابن خلكان ٩٦/٥ (٢) انظر الفصل الخامس بذلك

(٣) أمالي ابن الشجرى ٢٩١/١ ، وانظر هذا الجزء ٢٥٣

أورد ابن الشجرى أقوال النحاة في علة بناء الآن .

(١) لأنه ضارع المبهم المشار إليه وذلك رأى سيويه ، والخنس ، والجرمى والمازنى، والزجاج .

(ب) لأنه ضمن معنى لام التعريف وذلك رأى الفارسى .

(ج) لأنه منقول من قولهم : أن لك أن تفعل ، ثم أدخل عليه الألف واللام وترك على فتحه محكياً ، كما جاء « أنها كم عن قيل وقال ، على الحكاية وذلك رأى الفراء .

وقد عقب ابن الشجرى على ذلك بقوله : « وأجود الأقوال القول الأول ، وأبعدها قول أبي على ، ويليه في البعد قول الفراء (١) .

وقد قال أبو على الفارسى : « لا يجوز في المنون إلا الرفع من قول الشاعر ، : من رأيت المنون عرين أم من . . . ولم يجوز فيها النصب بوجه ، وقد عقب ابن الشجرى على ذلك بقوله « ويتجه عندى نصب المنون (٢) .

وانظر تعليقه على إعراب أبي على « هنيئاً . . . ، إذ يقول : « وقول أبي الفتح في هذا أشبه من قول أبي على ، وعلل لذلك (٣) .

وقد كان لبعض النحويين تعقيب على ابن الشجرى ، في تعليقه على بعض آراء الفارسى ، فقد ذكر تأويل أبي على للعطف في قوله تعالى : « ففكرهتموه ، من قوله : « يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، ثم عقب على هذا رأى بقوله « والذي قدره أبو على « ها هنا بعيد وعلل لذلك (٤) ، وقد رماه ابن هشام في المغنى بأنه لم يتأمل كلام الفارسى (٥) ، وذلك لعمري شديد على ابن الشجرى الذى يعد نفسه مفسراً لمبهمات أبي على ، وموضحاً لإشكالاته .

ومهما يكن من أمر فإن في تعقيب ابن الشجرى على آراء الفارسى بعد الذى بينت من تأثره به — دليلاً على شخصيته ، وأنه في أحكامه ، موافقة أو مخالفة — يصدر عن وحي من نزاهته .

(٢) المصدر نفسه ٩٣/١

(٤) أمالى ابن الشجرى ٣٣٠/٢

(١) الأمالى الشجرية ٢٦١/٢

(٣) ١٦٥/١

(٥) المغنى لابن هشام ١٤١/١

وبعد ، فها نحن أولاء رأينا مدى تأثير ابن الشجرى باشيخ أبي على الفارسى وتقديره له ، وجلوث ذلك فيما يراه من رأى الشيخ ، وفي نقوله عنه واعتذاره له من إغفاله وجوها إعرابية لا يعجز مثله في عمله عن ذكرها ، وفي تناوله المتن اللغوى بالتفسير كما يتناول أبو على ، وسلوكه مسلك الشيخ في التعليل والتدليل ، وفي توجيه الإعرابى لقراءات القراء وتفسير القرآن بالقرآن ، وفي أمانته العلمية ومُحبره وأود أن أذكر أن بعض هذه التأثيرات قد تكون عامة شائعة لا تخص أبا على وحده ، ولا تشد الشجرى إليه خاصة ، فقد تكون هذه عند من سبقوا أبا على ، ولكن ظهور هذه المؤثرات عند أبي على في صورة واضحة ، وتأثر ابن الشجرى بها جملة ، واتصاله بأبي على وتلذذته لمن أخذوا عنه على النحو الذى بينت ، كل ذلك مما يقوى جانب القول بأنها — فى مجموعها — أثر من آثار الفارسى ، ومظهر من مظاهر تأثير ابن الشجرى به ، على أننا رأينا المدى الذى يجرى فيه ابن الشجرى ، متهدياً بشيخه أحياناً حتى تندمج فيه ذاتيته ، ومجانباً له حيناً فتظهر عند ذلك شخصيته .

الفصل الثالث

أثر أبي علي في الاحتجاج لمسائل الخلاف ومداه

تأثر أبي البركات الأنباري في الإنصاف بأبي علي

أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري من رجالات القرن السادس الهجري، ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٧ هـ (١).

ويدعو إلى فحص آثار أبي علي في أبي البركات أمور:

أولها: أن الأنباري يتصل نسبه العلي اتصالاً ماساً بأبي علي، أخذ علم العربية عن ابن الشجري (٢)، وصحبه وانتفع بصحبته (٣)، وقد بينت من قبل مدى ما كان لأبي علي من الآثار الظاهرة عند ابن الشجري (٤) فطبيعي أن يظهر أثر من ذلك عند الأنباري.

وثانياً أن الأنباري أحد أساتذة المدرسة النظامية ببغداد، تصدر لإقراء النحو بها (٥) وقد رأيت لأساتذة هذه المدرسة منذ عهدنا الأول حتى الأنباري عناية خاصة بكتاب الإيضاح قراءة، ورواية، وشرحا، وكان لهم كذلك نسب على يصلهم بأبي علي:

(أ) كان من أساتذة هذه المدرسة التبريزي يحيى بن علي الذي عني باللع لابن جني فشرحه (٦)، وروى عنه الجواليقي كتاب الإيضاح (٧).

(ب) والاسترابادي: الذي قرأ النحو على الجرجاني (٨) تلميذ ابن الأخت، ومصنف المغنى في شرح الإيضاح (٩).

(ج) والجواليقي: أستاذ الأنباري، والذي روى كتاب الإيضاح عن التبريزي (١٠).

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ (٢) تزهة الألباء ٢٧٠

(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ (٤) انظر الفصل الخامس بذلك في هذا البحث

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ (٦) بنية الوعاة ٤١٤

(٧) انظر فهرس المخطوطات ٣٧٩ (٨) بنية الوعاة ٣٥١

(٩) المصدر السابق ٣١١ (١٠) فهرس المخطوطات ٣٧٩

والذى استعان بأبي على فى شرح أدب الكاتب^(١)، كما استعان به فى المغرب من الكلام الأجمعى على حروف المعجم^(٢)

(د) والأبىارى نفسه يجرى فى سبىن هؤلاء؛ فصف فى ما صنف
حواشى الإيضاح^(٣)

ونالها : أن كلام الرجلين : أبى على والأبىارى تعرض لهذه المسائل النحوية بالاحتجاج : أبى على فى كتبه المختلفة هنا وهناك ، والأبىارى فى كتابه الإنصاف ، فكان من الطبعى أن يكون هناك تأثر ما بأبى على فى الاحتجاج لمسائل الخلاف .
ورابعها : أنى جليت أثر أبى على فى النحو وأصوله متخذاً ابن جنى، وابن السجىرى مثلاً، وهنا اختار الأبىارى مثلاً لآثار أبى على فى الاحتجاج على مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين .

* * *

وقد ورد اسم أبى على فى الإنصاف خمس مرات^(٤) ، وليس معنى ذلك أن استعانة الأبىارى بأبى على مقصورة على هذه المواطن التى استشهد بأبى على فأورد اسمه صريحاً فيها ؛ فإن المقابلة بين احتجاج أبى على للمسائل الخلافية فى كتبه المختلفة وبين ما أورده الأبىارى فى الإنصاف تكشف عن تأثره بأبى على إلى مدى أبعد من هذه المرات الخمس بكثير . كما تبين هذه المقابلة ما بين الرجلين من توافق أو اختلاف .

فلمست أذى أن الأبىارى قفى قفو أبى على يتأثره ولا يختلف عنه ؛ بل هناك مظاهر ثلاثة تهدى إليها المقابلة بين أبى على ، والأبىارى فى الاحتجاج .

(١) حيناً يسيران فى طريقين متوازيين لا يلتقيان .

(١) انظر ص ١٤ و ١٨٤ و ١٨٤ مكتبة المقدسى ١٣٥٠ مطبعة المعاهد

(٢) انظر مثلاً ٤٤، ١٨٤، ٢٧، ٣٠ ط دار الكتب سنة ١٣٦١

(٣) انظر بنية الوعاة ٣٠١

(٤) الإنصاف ١٧٠، ٢٩٠، ٢٩٦، ٢٠١، ٤٣١

(ب) وحينئذ يدلل الانبارى بأدلة فخواها ما يقول الفارسي وإن لم تكن بنصها وألفاظها .

(ح) وحينئذ يسلك الانبارى سبيل أبي علي ، فيذكر نصوصه ، ويورد شواهدة وإن لم ينسب شيئاً من ذلك إلى أبي علي ، ولكن المقابلة توضح أن الانبارى ينظر إليه ، ويعتمد فيما أورد عليه .

ودونك أمثلة تكشف عن هذه الاتجاهات الثلاثة .

(١) برهن الشيخ علي أن الواو في أخيك ونحوه حرف الإعراب وليس هو بعلامة الإعراب ، ولادلالته (١) ، وقد كرر الكلام على ذلك في البصريات (٢) .

وقد أورد الانبارى في الإنصاف أدلة غير أدلة أبي علي ؛ وليس فيما أورد ما يدل على أنه استعان بأبي علي في قليل ولا كثير (٣) .

وبرهن أبو علي على ما ذهب إليه البصريون من أن الواو تضرع بعدها رب لا على أنها بدل من رب ؛ فأورد شواهد (٤) غير التي وردت في كتاب الإنصاف (٥) .

(ب) وقد يورد أبو البركات كلاماً فخواها ما ذكر أبو علي . فسأله د هل يقع الماضي حالاً ؟ ، تعرض لها أبو علي في الشيرازيات (٦) والبنداديات (٧) قال في قوله تعالى : د أو جاءوك حصرت صدورهم ؛ أن يقاتلوك د أى قوماً حصرت صدورهم ؛ فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، وما أورد الانبارى في الوجهين الأول والثاني هو فحوى هذا الكلام (٨)

وقد تقول هذه الآية أيضاً على أن معناها قد حصرت صدورهم فقدر قد كما تأولوا قوله وكنتم أمواتاً فأحياكم على تقدير وكنتم أمواتاً .

وذهب محمد بن يزيد في تأويل قوله ؛ أو جاءوك حصرت صدورهم إلى أنه على

(١) البنداديات لوحة ٤٧

(٢) البصريات لوحة ٨٦، ٨٧ (٣) انظر الانصاف المسألة الثانية

(٤) انظر البصريات لوحة ٨٥ (٥) انظر الانصاف ١/٢٣١

(٦) لوحة ٤٢ (٧) لوحة ٤٩

(٨) انظر الإنصاف ١٦٢

الدعاء كقوله : لعنوا ، وقد جاء في التنزيل أسماء على الدعاء كقوله : وقاتلم الله أنى يؤفكون ، وقوله . فويل يومئذ للكاذبين^(١)

وقد أورد الانبارى ذلك الكلام فى الوجه الرابع^(٢) .

ومن هذا القبيل ما ذكر أبو على فى الميم من اللهم^(٣) ، وما ذكره أبو البركات فى الإنصاف^(٤) .

وربما استقى كل من الرجلين تدليله من أصل واحد لجاء الكلام متفقاً فى لغواه .

(ح) وهذه هى الحال التى تعيننا فى هذا البحث ؛ حيث يسلك الانبارى سبيل أبى على فىذكر نصوصه عينها ، ويورد شواهد التى أصابها ؛ وإليك مثلاً كاشفة عن هذه الحال

أورد أبو البركات احتجاج البصريين على أن الاختيار لإعمال الثانى من العاملين فى التنازع ، واستشهد بالنقل والقياس ، وكان مما استشهد به من النقل قوله تعالى : «آتونى أفرغ عليه قطراً» ، حيث أعمل الفعل الثانى ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه .

وكان مما أورده أيضاً قول الآخر :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة مطول معنى غريمها

فأعمل الثانى فى هذا البيت فى مكانين^(٥)

وأبو البركات فى هذا الكلام يعتمد على أبى على دون سواه ؛ وإن لم يصرح باسمه ، ذلك لأن أبا على أورد فى البصريات مانصه :

قال أبو على (أيده الله) :

ما أصبت مما أعمل فيه الثانى قوله ؛ قال آتونى أفرغ عليه قطراً ؛ وقول كثير :

قضى كل ذى دين . . . الخ

(١) الشيرازيات ٤٢

(٢) انظر الشيرازيات ٤٨

(٣) انظر الإنصاف ١٦٢

(٤) الإنصاف ١/٦٣

(٥) انظر الإنصاف ١/٢١١

أعمل الثاني وهو فوئى، ولا يخلو غريمها من أن ترفعه بمطول أو بمعنى، فإن رفعته بمعنى وقد جرى الأول على غير من هو له لأنه جرى على المؤنث وهو للغريم فينبغي له أن يظهر الضمير الذى هو هو المضمرة على شريطة التفسير، فلما لم يظهر علمنا أنه لم يرفع بمعنى لأنه لو رفع الغريم بمعنى لأظهر الضمير فى مطول إذ جرى على غير من هو له وحذف الفاعل لا يجوز عندنا فإذا كان كذلك رفع الغريم بالمطول دون المعنى فأعمل الأول، وإذا أعمل الأول وارتفع الغريم به صار التقدير؛ وعزة مطول غريمها معنى فلم يحتج إلى الإظهار فى الثاني، لأنه جرى على الغريم، وهو هو فإذا جرى عليه، وكان إياه فى المعنى ارتفع الضمير فيه به، ولم يحتج إلى إظهار لجرية على من هو له.

وقياس قول من لم يظهر الضمير فى اسم الفاعل وإن جرى على غير من هو له أن يجوز رفع غريمها بمعنى ويضم فى الأول على شريطة التفسير.

وما أورده الانبارى يكاد يكون بلفظه أبى على^(١) وإن اختلفا فى المذهب، أبو على يرى أن غريمها مرفوع بالأول، والانبارى يرى أنه مرفوع؛ الثانى.

ثم يفهم من قول أبى على «ما أصبت مما أعمل فيه الثانى...»، أن هذه الشواهد من مبتكرات أبى على، نقلها أبو البركات وتخذها مما يحتج به البصريون على إعمال الثانى من الفعلين المتنازعين دون أن يسند الشاهد إلى من أصابه.

* * *

وتقرأ فى الإنصاف النص الآتى. نقله أبو البركات للاحتجاج على أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر.

ومنهم — أى ومن البصريين — من تمسك بأن قال. الدليل على أن المصدر ليس مشتقاً من الفعل أنه لو كان مشتقاً منه لكان يجب أن يجرى على سنن فى القياس ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين فلما اختلف المصدر اختلف الأجناس كالرجل، والثوب، والتراب، والماء، والزيت، وسائر الأجناس دل على أنه غير مشتق من الفعل.

ومنهم من تمسك بأن قال: «لو كان المصدر مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما في الفعل من الحدث والزمان، وعلى معنى ثالث، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به، فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقاً من الفعل^(١) .

وكلام الانباري يكاد يكون بالفاظ أبي علي في التكملة:
قال أبو علي:

في باب المصادر والأفعال المشتقة منها وأسماء الفاعلين والمفعولين الجارية عليها، وأسماء الأزمنة والامكنة المأخوذة من ألفاظها.

اعلم أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر كما أن أسماء الفاعلين والمفعولين مشتقة منها، ولو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لجرت على سنن في القياس، ولم تختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلفت المصادر اختلفت سائر أسماء الأجناس دل ذلك على أن الأفعال مشتقة منها وأنها غير مشتقة من

الأفعال

وأيضاً فلو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمان، وعلى معنى ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به وكذلك سائر المشتقات، فلما لم تكن المصادر كذلك علم أنها ليست مشتقة من الأفعال^(٢) وقد شرح ذلك في العسكريات^(٣) والبصريات^(٤).

وهكذا نرى أبا البركات ينقل نص أبي علي في التكملة، بألفاظه ولا يزيد إلا ما كان من تمثيله لأسماء الأجناس كالرجل والتوب...

ولدى أمثلة كثيرة من هذا الضرب الذي ينقل فيه أبو البركات كلام أبي علي نقلاً يكاد يكون بألفاظه، واكتفى — إشاراً للاختصار — أن أشير إلى هذه المسائل ومصادرهما ليرجع إليها من شاء.

(١) الانصاف ١/١٤٦-١٤٧ (٢) التكملة ١٦٢ (٣) انظر لوحة ٩٣٢

(٤) انظر لوحة ٨٨

(١) جمع الاسم الذى آخره تاء التأنيت بالواو والنون فى العسكرية (١) .
ونقل أبو البركات احتجاج أبى على (٢) .

(ب) عامل النصب فى المستثنى بإلا تحدث عنه أبو على واحتج له فى الحجة (٣)
وأورد كلامه أبو البركات (٤) .

(ح) جاء فى التكملة برهان أبى على على أنه لا يجوز أن يتقدم مفعول شئ من
أسماء الأفعال عليها ، لأنها ليست كالأفعال فى الفن ، وتأول قول الله تعالى « كتاب الله
عليكم » واستشهد بقول الشاعر .

ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طى المحمل (٥)
فكان كلام أبى البركات قريباً مما قاله أبو على فى التكملة ، حيث أورد الآية
الكريمة ، وبيت الشاعر السابق ، وتأويل أبى على للآية والبيت (٦) .
كل هذا من غير أن ينسب إلى أبى على ما قال .

* * *

وبعد فيجمل بي أن أخص ما بين الرجلين من تخالف بعد أن بينت مدى تأثير
أبى البركات بأبى على الفارسي — فى الاحتجاج .

فأولاً : يلقاك أبو على فى المسائل التى يوردها محتجاً لها فى صورة صاحب مذهب
يدلل عليه . أما الابارى فجمع الآراء المختلفة يدل على ذلك قوله بعد أن ذكر آراء
رجال الكوفيين والبصريين :

فهذا منتهى القول فى تفصيل المذاهب واللغات ، فلنبداً بذكر الحجج
والاستدلالات (٧) . ونشأ من ذلك :

ثانياً : أن أباً على واضح الشخصية ، إذ أن ما يقوله إنما هو من مبتكراته
واستنتاجاته ؛ وبقد يظهر شخصية أبى على فى مسائل الخلاف والاحتجاج لها اختفت

(١) لوحة ١٣٨ (٢) الإنصاف ٢٦٦/١-٢٦١

(٣) الحجة ١٠٤/١-١٠٦ (٤) الإنصاف ١٦٧/١

(٥) التكملة ٥١ والبيت من شواهد الكتاب انظر الكتاب ١٨٦/١

(٦) الإنصاف ١٤٠/١-١٤١ (٧) الإنصاف ١١/١

شخصية الانبارى فيما يعرض من حديث ولا تكاد شخصيته تظهر كأن يفسد رأياً أو يفند استدلالاً^(١)

ثالثاً: أبو على يسند كل قول إلى صاحبه ، وذلك مظهر من مظاهر أمانته العلمية وقد تجاوز الانبارى ذلك كثيراً ، وقد رأينا كيف ينقل نصوص أبي على وشواهدة التي أصاب من غير أن يشير إليه .

رابعاً: يتفق الرجلان في نزعهما البصرية ، ثم يختلفان في تقدير رجال هذه المدرسة: فالانبارى يذكر آراء المبرد — مثلاً — معترفاً بها ، ولكن أبا على كثيراً ما يتعقبه ويفسد ما يقول .

خامساً: أسلوب أبي على أسلوب فيه الغموض والاستطراد أما أبو البركات فيعرض المسألة في أسلوب على تغشاه غلالة من حسن السبك ، وقوة الأسر .

سادساً: تحس روح الحوار ، وتجاذب الآراء في الإنصاف ، على حين يفتق هذا الروح في احتجاج أبي على لمسائل الخلاف .

سابعاً: يختلف منهج أبي على عن منهج أبي البركات : أبو البركات يسلك الخطوات الآتية :

(١) يصدر المسألة بذكر مذهب الكوفيين إجمالاً .

(ب) يتبع ذلك مذهب البصريين إجمالاً كذلك ، وقد يفصل الرأى بذكر آراء لرجال كل فريق ، وهنا يعين المتبع من رجال كل فريق آراء الفريق الآخر .

(ح) يذكر احتجاج الكوفيين

(د) يذكر احتجاج البصريين .

(هـ) يذكر الجواب عن احتجاج الكوفيين مدفوعاً في ذلك بنزعه البصرية ،

ومن هنا وافق مذهب البصريين ، ولم أره رجح مذهب الكوفيين إلا في سبع مسائل^(٢) .

أما أبو على فيذكر المسألة ، ويبين رأى من سبقه من الاعلام كالخليل

(١) انظر مثلاً ١٣/١

(٢) مسألة ١٠ و ١٨ و ٢٦ و ٧٠ و ٩٧ و ١٠١ و ١٠٦

وسيويوه وغيرهما ثم يحتج وقد يتعرض لآراء الكوفيين بالتفنيد في أثناء الاحتجاج .

ثامناً : تشيع مسائل الخلاف في كتب أبي علي تراها في الحجّة ، والشيرازيات . والحلبيات والإغفال أما أبو البركات فقد جمعها في كتاب الإنصاف .

تاسعاً : أورد أبو علي كثيراً من المسائل غير التي وردت في كتاب الإنصاف ، وذكر آراء غيره من النحاة فيها ، ودلل على ما يراه ، وأكثر ما ترى ذلك في كتاب الإغفال^(١) والحجّة

وهكذا نرى امتداد أثر أبي علي وبسطته في النحو وأصوله ، ومسائل الخلاف وفي الفصل التالي سأجلى أثره في الأعراب ومداه .

(١) انظر من ص ٢ ص ٢٣٠ مثلاً فإن كثيراً من المسائل يلقاك .

الفضائل الزايع

أثر أبي علي في الإعراب

تأثر أبي البقاء العكبري بخاصة في إعراب القرآن - بأبي علي

في الفصول السابقة بينت أثر أبي علي في النحو وأصوله ، وفي الاحتجاج لمسائل الخلاف ، وكيف تأثر به تأثراً واضحاً كل من ابن جنى ، وابن الشجري ، وأبي البركات الانباري ، وفي هذا الفصل سأبين مدى تأثر من تناول إعراب القرآن . العكبري بخاصة ، والمفسرين بعامة - بأبي علي ، وبذلك تكتمل حلقات السلسلة التي قصدت توضيحها في هذا البحث .

* * *

والعكبري هو محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، توفي سنة ٦١٦ هـ^(١) أخذ عن السلمي الذي أخذ عن الجواليقي^(٢) ، والجواليقي روى الإيضاح عن التبريزي^(٣) ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، ثم كان للعكبري شرح الإيضاح وتكلمته^(٤) وشرح اللع لابن جنى^(٥) .

ذلك مبلغ العلم بالنسب العلمي الذي ربط بين العكبري وأبي علي . ولكني إن قابلت بين إعراب أبي علي لبعض آي القرآن ، وإعراب العكبري وجدت أن الصلة قوية بين الرجلين ، وأن أثر أبي علي واضح فيما تناول العكبري معرباً لآي القرآن . وإليك البيان :

أولاً : جاء في البغداديات د من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ما متعلق الجار والمجرور^(٦)

قال أبو علي د في متعلق الجار والمجرور ما نصه . يجوز عندي أن يكون متعلقاً بنصير كأنه . وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا بدلالة قوله تعالى فن نصرنا من بأس الله ، .

(١) بنية الوعاة ٢٨١ (٢) بنية الوعاة ٣٤١ (٣) فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩
(٤) مخطوطه رقم ٢٠٧ نحو (فهرست دار الكتب) ١٢٤
(٥) بنية الوعاة ٢٨١ (٦) لوحة ٤٩

ويستنتج من عبارة أبي على بجوز عندي . . . أن هذا الإعراب مسند إليه وهو الذي قال به أولاً . ثم في ذلك الإعراب استشهد بالقرآن واستعانة به على التوجيه الإعرابي : وتلك سمة من سمات أبي على

فإذا قال العكبرى ؟ أورد أوجهاً ثلاثة لمتعلق الجار والمجرور (١) . وجاء في الوجه الثاني ما نصه . « أن من الذين متعلق بنصير . فهو في موضع نصب به كما قال » فن ينصرنا من بأس الله ، أى يميننا (٢) .

وأرى نقل العكبرى رأى أبي على ظاهراً لا يحتاج إلى بيان ، وإن أردتم الاستيثاق من نسبة هذا الرأى إلى أبي على دون سواه فاقروا ما جاء في كتابه الحجّة . وأما قوله (عز وجل) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيراً من الذين هادويحرفون الكلم عن مواضعه ، فسألني أحد شيوخنا عنه وأجبتُه بأن التقدير ، وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا « فقوله من الذين هادوا متعلق بالنصرة كما قال : فن ينصرنا من بأس الله إن جانا أى يميننا (٣) . . . ثم أورد توجيهاً آخر . . .

فستؤال أحد الشيوخ أبا على ، وإجابته بما أجاب صريح في أن هذا التوجيه الإعرابي لأبي على ، فإذا نقله أحد المعربين كان معنى ذلك أن مصدره أبو على لا غير . ثم انظر قول أبي على بعد ذلك — وأكثر الناس فيما علمت — يذهبون إلى أن المعنى من الذين يحرفون الكلم لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله « ومن آياته يريكم البرق ، أى آية يريكم فيها البرق أو يريكم فيها البرق (٤) — فهو يدل بما صدر به هذه العبارة على أن الرأى الأول له ، وأن ذلك الرأى الأخير هو ما يذهب إليه غيره من أكثر الناس .

ثانياً . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك (٥) »

قال أبو على ما نصه : اعلم أن قوله (عز وجل) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك أن لا الأولى نافية لشيء متوهم أو متقدم الذكر من إيمانهم ، فنفي ذلك فقيل فلا ثم قيل : وربك لا يؤمنون . فلا الثانية متعلقة بالقسم متلقية له ، وهى تدل

(١) يلاحظ أن أبا على أورد أوجهاً أخرى ، ولكن استشهدت بالوجه الذى ثبت تأثر العكبرى به .

(٢) إعراب القرآن للعكبرى ١٠٣/١ (٣) الحجّة نسخة مراد ملا ٣٢٦/١

(٥) النساء : آية ٦٥

(٤) المصدر السابق

على المحذوف المتقدم الذكر أو المتوهم ، وحسن الحذف لدلالة هذا المذكور المنفي بالقسم عليه ، وإن جعلت تأكيداً لم يمتنع كأنه : « فورك لا يؤمنون ، كقوله : فورك السماء والأرض إنه لحق » (١) .

ويبدو من هذا النص أيضاً ما بدا من سابقه من أن أبا علي يستشهد بالقرآن في التوجيه الإعرابي ذلك قوله : « وإن جعلت تأكيداً لم يمتنع كأنه ... » .
فاذا قال العكبري في إعراب « فلا وربك » ؟
قال فيه وجهان : أحدهما : أن الأولى زائدة ، والتقدير فورك لا يؤمنون (وهو إيجاز لما قال أبو علي) .

وقيل الثانية زائدة والقسم معترض بين النفي والمنفي .
والوجه الآخر : أن « لا ، نفي لشيء محذوف تقديره فلا يفعلون ثم قال « وربك لا يؤمنون » (٢) وهاتم أولاء ترون أن العكبري أجهل ، على حين أن أبا علي فصل ، وغوى قول العكبري يتفق مع أبي علي مع زيادة أوردها العكبري بأن (لا) الثانية زائدة .

ثالثاً : العامل في حيث من قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .
قال أبو علي : فاما قوله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » فالقول في العامل في حيث أنه لا يخلو من أن يكون أعلم هذه المذكورة أو غيرها وإن عمل فيه فلا يخلو من أن يكون ظرفاً أو غير ظرف : فلا يجوز أن يكون العامل فيه أعلم على حسب ما عمل أحوج في ساعته في قوله :

« فإنا وجدنا العرض أحوج ساعة ... » لأن المعنى يصير أعلم في هذا الموضع أو هذا الوقت ، ولا يوصف الله (عز وجل) بأنه أعلم في مواضع أو أوقات كما تقول زيد أعلم في مكان كذا منه في مكان كذا أو زمان كذا ، فإذا كان كذلك لم يجوز أن يكون العامل أعلم هذه ، فإذا لم يجوز أن يكون إياه كان فعلا يدل عليه أعلم . وإذا لم يجوز أن يكون حيث ظرفاً لما ذكرنا كان اسماً ، وكان انتصاب المفعول به على الاتساع كما يكون ذلك في كم ونحوها . ويقوى ذلك دخول الجار عليها ،

(١) البغداديات ٤٩

(٢) آية ١٢٤ من سورة الأنعام

(٣) إعراب القرآن ١٠٤/١

وقد حكى بعض البصريين فيها الإعراب (١)

وقال العكبري : حيث هنا مفعول به ، والعمل محذوف ، والتقدير يعلم مواضع رسالاته ، وليس ظرفاً ، لأنه يصير لتقدير يعلم في هذا المكان كذا وكذا وليس المعنى عليه . وقد روى بفتح التاء ، وهو بناء عند الأكثرين ، وقيل د هي فتحة لإعراب ، (٢)

والمقابلة بين هذين النصين تهدي إلى أن العكبري لخص كلام أبي علي تلخيصاً جامعاً غير متغل ، بعد به عن الأسلوب المنطقي الذي يبدو عند أبي علي . وقد جاء في المعنى لابن هشام ما يقطع بأن هذا التوجيه الإعرابي إنما هو لأبي علي حسب :

قال ابن هشام : « وقد نفع حيث مفعولاً به وفاقاً للفارسي ، وحمل عليه (والله أعلم حيث يجعل رسالاته)^(٣) فهذا صريح في نسبة هذا التوجيه إلى أبي علي ، وقد أسند أبو حيان توجيه الفارسي إلى الحوفي (٤) وهو خطأ لأن أبا علي أسبق من الحوفي ، إذ توفي الأخير سنة ٤٣٠ هـ (٥) .

* * *

وقد تتحكم عقيدة الفارسي — وهو معتزلي — في التوجيه الإعرابي ، فيتناقله بعده العربون من ذلك إعرابه قول الله تعالى :

« ورهبانية ابتدعوها ، من قوله : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، (٦) جعل أبو علي ورهبانية مقتطعة من العطف على ما قبلها من رأفة ورحمة فانتصب عنده ورهبانية على إضمار فعل يفسرهما بعده فهو من باب الاشتغال أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها (٧) .

والعكبري في إعراب هذه الآية ينص على أن (رهبانية) منصوب بفعل دل عليه ابتدعوها لا بالعطف على الرحمة ، لأن ما جعل الله تعالى لا يبتدعونه (٨)

(١) الحجة نسخة مراد ملا ١٢/١ (٢) إعراب القرآن للعكبري ١٤٦/١
(٣) معنى اللبيب ١١٤/١ (٤) انظر المحيط ٢١٦/٤
(٥) انظر بنية الوعاة ص ٣٢٥ (٦) سورة الحديد آية ٢٧
(٧) البحر المحيط ٢٢٨/٨ والمعتزلة يقولون ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للمبد فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداء الانسان فهي مخلوقة له .
(٨) إعراب القرآن ١٣٥/٢

ومن هنا تبع الزمخشري - وهو معتزلي - أبا علي في كثير من الترجيح الإعرابي لا سيما المتعلق منه بآراء المعتزلة (١).

وجاء في الحلييات : (٢) سألت (أعزك الله) عن إعراب قوله تعالى :
« إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » (٣) ثم تناول
العطف في قوله « وأقرضوا » ودلل على أنه يجوز أن يكون قوله « وأقرضوا الله
معطوفاً على الفعل المقدر في الموصول الأول على أن يكون التقدير إن الذين صدقوا
وأقرضوا الله (٤)

ورأى أبو علي أن يجعل العطف اعتراضاً بين الصلة والمرصول فإن شئت حملته
على أن الخبر غير مذكور ، وإن شئت جعلت المعطوف والمعطوف عليه بمنزلة
الفاعلين ، وجعلت العطف عليهم .

ثم قال : وحمله على الاعتراض أرجح الوجوه ، لأن الاعتراض قد شاع
في كلامهم واتسع وكثر ولم يجر ذلك عندهم بجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي ،
لأن فيه تسديداً وتبييناً فأشبهه من أجل ذلك الصفة والتأكيد (٥) .

وقد اختار التقدير الأول الزمخشري ونقله في الكشاف ، قال : « فإن قلت :
علام عطف قوله (وأقرضوا) قلت على معنى الفعل في المصدقين لأن اللام بمعنى
الذين واسم الفاعل بمعنى أصدقوا كأنه قيل إن الذين أصدقوا أقرضوا (٦) .

وقد نص على اتباع الزمخشري لأبي علي - أبو حيان (٧) .
وتكفي هذه المقابلات بين النصوص دليلاً على أثر الفارسي في كتب الأعراب ،
وأحيل القاري إلى المقابلات الآتية ، فسيجد فيها آثار أبي علي بينة :

(أ) « أبي جوده لا البخل . . . » إعراب لا في الحجة (٨) والمغني (٩) .
(ب) « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » القول في أنها الإغفال (١٠)
والمغني (١١) .

-
- (١) انظر مثلاً تفسير الكشاف ٦٩،٦٧/٤ والبحر المحيط ٢٢٨،٢٢٣/٨
(٢) الحلييات ٢٦٦ تيمور ١٠٢ (٣) سورة الحديد آية ١٨
(٤) الحلييات ٢٦٦ تيمور ١٠٢
(٥) الحلييات ٢٦٦ تيمور ١٠٤ (٦) انظر الكشاف ٦٧/٤
(٧) انظر البحر المحيط ٢٢٣/٨ (٨) الحجة ١١٤/١ مراد ملا
(٩) المغني انظر ١٩٦/١ (١٠) ٤١٧ وما بعدها (١١) ١٩٧/١

(ج) إعراب غير في قوله تعالى غير ناظرين إناؤه في كتابي الحجّة (١) وإعراب القرآن للعكبرى (٢) .

(د) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، انظر كلام أبي علي في توجيه العطف في أو يرسل : (٣) وكلام العكبرى في ذلك (٤) .

ولأن أبا علي يحتفل في كتاب الحجّة بإعراب المشكل من آي كتاب الله ، عد بذلك منبعاً لأولئك الذين ألفوا كتب إعراب القرآن ، ولأولئك المفسرين الذين منحوا فضل اهتمام باعراب القرآن ، أمثال أبي حيان في كتابه البحر المحيط ، وسأضرب مثلاً لإعراب أبي علي لآية من آي القرآن ثم أدلل كيف توزعها العربون من بعده والمفسرون .

قال أبو علي : د وما جاء غير فيه صفة قوله (عز وجل) : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر . فن رفع غير كان وصفاً للقاعدين ، والقاعدون غير مقصود قصدهم كما كان قوله (عز وجل) الذين أنعمت عليهم كذلك ، والتقدير لا يستوى القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون .

ومن نصبه كان استثناء من القاعدين ، وإن شئت كان من المؤمنين ، لأن غير واقع بعد الاسم الموصولين ، ولو وقع متقدماً على المؤمنين لم يكن استثناءه إلا من القاعدين ؛ لأن العامل في المستثنى ما في الصلة فلا يجوز أن يتقدم على الموصول .

ومن جر غيراً كان وصفاً للمؤمنين ، والتقدير . لا يستوى القاعدون من المؤمنين الأصحاء (٥)

وقال العكبرى : د غير أولى الضرر ، بالرفع على أنه صفة للقاعدين لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم ، وقيل هو بدل من القاعدين .

(٢) ١٠١/٢

(١) ١٠٨/١ مراد ملا

(٤) إعراب القرآن ١١٨/٢

(٣) الحجّة ١٥٧/١

(٥) الحجّة ١٠٨/١ نسخة مراد ملا

ويقراً بالنصب على الاستثناء من القاعدين أو من المؤمنين — أوحالا .

وبالجر على الصفة للمؤمنين^(١)

وقال الزمخشري « غير أولى الضرر ، بالرفع صفة للقاعدون ، والنصب . استثناء

منهم أو حال ، والجر صفة للمؤمنين^(٢)

وقال أبو حيان . فأما قراءة الرفع فوجهها الأكثرون على الصفة ، وهو يقول

سيبويه كذا ذكره أبو علي^(٣)

وانظر تفسير أبي السعود^(٤) .

وقال ابن هشام . وقال تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى

الضرر ، ووجه قراءة الرفع بأنه صفة للقاعدون ؛ لأنهم جنس^(٥) .

وقد يكون ذلك التوجيه الإعرابي من هؤلاء غير مقطوع بأنهم نظروا فيه إلى

الشيخ أبي علي ، لاحتمال أن يدرك ذلك التوجيه من له صفة بالصناعة النحوية ،

وفقه المعنى الذى يتوقف عليه الإعراب ، ولكن ورود عبارة « لم يقصد به قصد

قوم بأعيانهم » عند العكبرى ، وهى نفسها التى ذكرها أبو علي : « والقاعدون غير

مقصود قصدهم » ، والنص من أبي حيان على أبي علي ، وقول ابن هشام — مفسراً

قول الفارسي والقاعدون غير مقصود قصدهم — « لأنهم جنس ، كل ذلك يرجح

أن يكون ذلك التوجيه معتمداً فيه على أبي علي .

* * *

هذا ولا أريد إدماج شخصية المعربين فى شخصية الفارسي ، فهذا غير مقصود ،

وأنى ذلك مع تشعب الآراء النحوية ، واختلاف مذاهب النحاة — قبل أبي علي

وبعده ، ولكنى قدمت الدلائل التى أستند إليها على تأثر المعربين بالشيخ ، وأتبعتم

هذه الدلائل بما يبين هذا الأثر على وجه التحقيق حيناً ، وعلى وجه الترجيح حيناً

آخر ، والله أعلم .

(١) إعراب القرآن ١٠٨/١ (٢) الكشاف ٢٩١/١

(٣) البحر المحيط ٣٣٠/٣ (٤) ٥٧٠/١

(٥) المعنى ١٣٤/١

خاتمة

تلخيص البحث ، والحديد فيه — مقترحات

وإذ قد انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضاه المنهج ، وارتضاه البحث ، وحيث أوفيت على الغاية منه ، ورسمت له الصورة التي رجوت — يجمل بي أن ألم بالمعالم الكبرى للبحث في هذه الخاتمة التي تتعقد بها الثمرات ، وتبدي الخطوط الرئيسية لما بذلت من جهود ، وما حققت من إضافات .

* * *

موضوع البحث : « أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو »^(١) ،

ورجوت فيه أن أرسم صورة واضحة المعالم لأبي علي ، فأجلى شخصيته ، وأتعرف مكانه من السابقين ، والعلماء من طبقته المعاصرين ، وأثره عند الخالفين : في القراءات والنحو جميعاً .

وسلكت في الموضوع منهجاً تاريخياً اقتضى أن يقع البحث في سبعة أبواب يسبقها تمهيد ، وتلوها خاتمة . . .

ففي التمهيد تحدثت عن نشأة القراءات وتطورها ، ورسمت صورة مختصرة للتفاعل بين الفقه وعلم الكلام . وأثر كل في القراءات والنحو .

وكان من نتائج ذلك التمهيد توضيح الجهود التي بذلها المسلمون في الحفاظ على القرآن الكريم ، وقيام مدرسة النحو بجانب مدرسة القراءات ، واتخاذ النحويين كتاب سيبويه مادة للفتيا في أمور الدين ، وتناول المتكلمين مسائل الفقه بقواعد النحويين ، ووقوع التقارض بين هؤلاء وهؤلاء في المذاهب ، والاصطلاحات والأصول ، والفروع ، وأسماء المؤلفات . وبهذا التمهيد تدلفت إلى موضوع البحث . ليكون التحدث عن أبي علي — وهو النحوي المحتج للقراءات موصولاً بما تسلم من جهود .

(١) نص الكلمة التي ألفت في تلخيص الرسالة أمام الجمهور قبل المناقشة العلنية يوم ٨ من جمادى الآخرة ١٣٧٦ الموافق ٩ من يناير ١٩٥٧ م .

ففي الباب الأول : تحدثت في فصول ثلاثة عن عصر أبي علي ، وعن حياته ؛ ثم أحصيت آثاره . ففي الحديث عن عصره رأيت أبا علي قد عاصر الدولة العباسية وهي تجود بأنفاسها ، وتتساقط كسفاً هنا وهناك ، فأرخت للحال السياسية والاجتماعية والعقلية حينذاك ، وجعلت البيئة العامة التي نشأ في ظلها أبو علي ، وما تردد في جوانبها من أصداء ، وما كان للعلم فيها — بخاصة — من فناء ونماء .

ثم انتقلت إلى الحديث عن أبي علي في عيشه ونفسه ؛ حديثاً مفصلاً ؛ استفتيت فيه النصوص ، وما توحى به الآثار ومختلف الاخبار ، فحققت نسبة ؛ ورددت ما قال المرحوم أحد أمين من أن أم أبي علي فارسية ؛ فهي عربية ربيعة من ربيعة الفرس ، ثم تحدثت عن كنيته واشتقاقها ؛ ورددت ما قال الميمنى في إشارة التعمين وتابعه البستاني في دائرة المعارف من أن أبا علي نسوي من نسا ؛ وانتهيت إلى أن أبا علي لم يعقب ؛ وتحدثت عن تقلباته والدوافع المختلفة إليها ، ونشرت ما ألف الزبيدي من تقلبات الفارسي ، ورددت ما رتب ابن الجزري ، واستشهدت بالنصوص على يسر أبي علي ، ونظافته ، وأخلاقه ؛ وناقشت ما رمى به من عدم الوفاء ، وكراهية الحروب ، والمجون .

ثم وقفت عند أمانته العلية فنحت هذه الصفة فضلاً من البيان ؛ وصنفتها في تخرجه ، وتحريره ، وتوقفه فيما يرويه ، ونسبته المنقول شواهد وأقوالاً . وتعيينه الكتاب والمكان ؛ وذكره الظن والحسبان ؛ وإلقائه العهدة على من روى . وتحاميه الادعاء في إثبات ما علم ؛ ونفى ما لم يعلم ، استنباته شيوخه سعيًا منه إلى الحق . وإعلانه أنه لا يدري . وإشارته إلى الرأي في غير إصرار . وضربت على كل أولئك الأمثال من كتبه المختلفة ؛ وعملت لسلوكه هذه المسلك بما تأسى من أساتذته . وبما كان له من رسوخ في العلم رفعه إلى عرض آرائه بجانب آراء غيره من الأئمة السابقين في اعتزاز ويقين

ثم دلت على اعتزاله ؛ وأثبت تشيعه . وتعرفت على الصفات العقلية لأبي علي من مرثية للشيخ الرضى . واعتبرتها بما تشير إليه كتب الرجل من خصائص عقلية وما لذلك من دلالات .

واستخلصت من كتب أبي علي مصادره التي اعتمد عليها . واستنتجت منها سعة اطلاعه ، وحرصه على العلم . ودلت على أنه كان يعرف الفارسية .

وكان لا بد أن أعترف على الإمام الذي تأثره أبو علي في قرأته القرآن الكريم ،
والاسباب التي دفعته إلى تأثر ذلك الإمام دون سواه ، فانهتيت إلى أنه كان يقرأ
بما يقرأ أبو عمرو البصرى ، وأوردت دلائل هذا التأثر بما ترك أبو علي من شواهد
ونصوص في كتبه ، وبخاصة كتاباه الحجة والاعتقاد .

وتناولت مذهب أبي علي الفقهى ، فدللت على أنه كان يتعبد على مذهب أبي حنيفة ،
وخلصت من ذلك إلى الحديث عن مذهبه النحوى ، فأشرت إلى اضطراب المعاصرين
في ذلك ، وحققت مذهب أولاً بما تشير إليه النصوص ، و**ثانياً** بما تدل عليه المقابلة
بين السمات العامة للمذهب البصرى والكوفى ، وما ورد في كتب أبي علي و**ثالثاً**
بما انتهت إليه الموازنة بين رأى كل من الفريقين في المسائل النحوية المختلفة ، ورأى
أبي علي في هذه المسائل ، وفصلت كل واحدة من هذه الثلاث تفصيلاً ، وانتهيت
إلى أن أبا علي في زمنه كان إماماً ينزع إلى البصرية الأولى في استقلال بآرائه النحوية ،
وشيخاً لمدرسة قائمة بذاتها لها تلاميذ وأنصار .

وبينت أن أبا علي نظر إلى الشعر على أنه مادة للصناعة النحوية ، لا على أنه وسيلة
من وسائل التدوق الأدبى ، وتحدثت عن خصائص نثره ، وكشفت عن غلبة الزعة
المنطقية فيه .

ومضيت بالبحث إلى شيوخ أبي علي فتحدثت عن أولئك الذين أخذ منهم ، وتلقى
عنهم ، وعن أولئك الذين لم يعاصروهم ولكنه نظر إليهم ، واعتمد عليهم .

وعينت ببيان مدى ما تأثر صاحبي بشيوخه المعاصرين شيخاً شيخاً ، فأبرزت
الجوانب التي ظهرت عند أبي علي مقتضياً فيها آثار كل منهم ، وأيدت ذلك بالشواهد
والنصوص ، وهنا أتيت فرصة نهيت فيها إلى ما أخطأ العامل في أعيان الشيعة
خاصاً بمن اكتنى بأبي بكر من هؤلاء الشيوخ .

ولحظت أن معظم هؤلاء الشيوخ قد اختارهم الله إلى جواره في الربع الأول
من القرن الرابع ، ورتبت على ذلك أن أبا علي قد خلا له جو الزعامة العلمية نصف
قرن من الزمان ، تصدرفيه للإمامة التي نزع إليها في حياة شيخه أبي بكر بن الحياط ،
وتأكدت له في تعرضه لشيخه : الزجاج ، وابن السراج .

ثم بينت عند الحديث على شيوخته السابقين — كيف ارتفع بأسناده إلى المصادر الأولى: أبي زيد، وسيبويه، والأخفش. وعلقت اتجاهه إلى كل من هؤلاء الأعلام. ووضحت مظاهر التأثير التي تبنت عند الشيخ بما اقتفى لهم من آثار.

أما تلاميذ أبي علي. فقد تتبعتهم في كتب التراجم. ورتبت الحديث عنهم على حسب وفياتهم، وبينت أنهم تقسموا علم الشيخ. فكان منهم القارىء والمحدث والنحوى. والعروضى والغوى. ومنهم من استوعب علم الشيخ وتأثره في أطرافه المختلفة كإبن جنى. وقصدت قصداً إلى تفصيل الحديث عن تلاميذ أبي علي على سبيل التقصى. وأنهم شرقوا وغربوا يذشرون علم شيخهم في العراق والشام وإيران وغزة ومكة. وصقلية. والاندلس. ثم في فارس وأفغانستان وخراسان وأصبهان وجرجان.... قصدت إلى ذلك كله ابتغاء توضيح آثار أبي علي. وذلك يتصل بموضوع البحث الاتصال الوثيق.

وحققت تاريخ الوفاة. وأنه كما يقول الخطيب البغدادي سنة ٣٧٧ هـ. لا كما يقول ابن النديم قبل سنة ٣٧٠ هـ.

وفي الفصل الأخير من الباب الأول: أحصيت آثار أبي علي، ورتبتها: المشكلة أولاً فالإغفال، فالبغداديات، فالعسكريات، فالبصريات، فالخلييات، فالإيضاح والتكلمة، فالشيرازيات، ثم الشعر، وأقسام الإخبار، فالحجة والمنثورة ونهبت إلى أن النصوص فيها الغالبة. وعلقت على ما فهم بعض الباحثين المعاصرين من هذه الآثار. وذكرت وجه الحق فيما فهموه. وبينت الأسس التي أقمت عليها ترتيب ما حفظ الزمن للشيخ من آثار.

ثم كان الباب الثاني: وفيه تحدثت عن الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي. ولخصت المعالم الكبرى لتطور الاحتجاج في خطوات ثلاث: تخريجات فردية أولاً. وجمع للقراءات الصحيحة والشاذة والبحث عن أسنادها ثانياً واختيار ابن مجاهد القراءات السبع وما دار حول عمله هذا من نشاط في الاحتجاج ثالثاً.

ومنحت فضل بيان منهج سيبويه أمام النحاة في الاحتجاج للقراءات، ثم منهج الطبرى أمام المنسرين، ثم نزعة ابن مجاهد إمام المقرئين. وبهذا مهدت الطريق لمعالجة الحلقة الكبرى في تاريخ الاحتجاج: كتاب الحجة لأبي علي الأثر الظاهر في الدراسات القرآنية والعربية.

وفي صدر الحديث عن الحجة ذكرت ما رأيت من أسباب دفعت أبا علي إلى الاحتجاج لسبع القراءات : وجعلتها في جمع ابن مجاهد لها أولاً : وفي احتجاج سيويه لبعض القراءات في الكتاب ثانياً ثم رأيت أن معظم المشتغلين بالاحتجاج بصريون ، وسميهم واحداً واحداً بقدر ما وسعني الجهد ، فهداني ذلك إلى اعتبار البيئة البصرية سبباً دافعاً إلى الاحتجاج بما سرى فيها من شيوع التفلسف والجدال .

وعرفت ميلاد الحجة ، وعرضت لمنهج أبي علي فيه ، وما يتفشاها من الاستطراد ، ثم تناولت بالبيان طريقة أبي علي في شرح غريب القرآن أولاً ، وتفسير النص القرآني ثانياً . مبيناً في العنصر الأول مكانة أبي علي بين من سبقوه : أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني ، وقصدت قصداً إلى اختيار هؤلاء ؛ لأنهم يلقون ضوءاً على تطور القاموس القرآني منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع ، وذكرت طابع كل ، وأنه يمثل في الغالب الأعم طابع الرواية بما يعتمد على المأثور من الأحاديث والأشعار . ووازته بطابع أبي علي . ورأيت أن الشيخ يمثل في شرحه الغريب ما سميته مدرسة التحليل الدقيق العميق في شمول واستيعاب .

ثم تحدثت عن انطوق المختلفة التي يسلكها أبو علي في تفسير النص القرآني ، وعللت لكل مسلك ، وضربت الأمثال .

ورأيت — وقد شارك أبو علي في التحديث — أن يظهر أثر ذلك في كتابه الحجة ، فوجدت أن أبرز هذه الآثار احتجاجه بالحديث الشريف في اللغة والنحو والصرف ، وهنا ناقشت يوهان فك فيما ذهب إليه في كتابه العربية حيث أسند إلى ابن خروف الأندلسي المتوفى أوائل القرن السابع — أنه أول من اعتمد على الأحاديث محتجاً بها في اللغة ، ورأيت أن ابن خروف قد تأثر فيما رأى بأبي علي ؛ إذ كان نسبة العلي موصولاً بالشيخ عن طريق أستاذه الحدب ، وكانت النتيجة التي انتهت إليها أن أبا علي سبق المدرسة الأندلسية في الاحتجاج بالحديث ، والاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف جميعاً .

ثم صنفت شواهد الحجة من القرآن الكريم والشعر ، فذكرت أنه يستشهد بهذين محتجاً بهما في القراءات ، والمعنى ، والإعراب ، واللغة ، والتدليل على القضايا المنطقية ، وأن الاستشهاد بالشعر ينفرد بعد ذلك حيث يأتي به أبو علي مناظراً شواهد سيويه ، أو معزراً لها ، أو مستشهداً على صحة كلام لإمام النحاة في الكتاب .

ورأيت أن أبا علي حريص على توثيق الشواهد العربية بنسبتها إلى الرواة الذين أنشدوها ، وأن أكثر من أنشد لهم رجلان :

أما أحدهما : فأبو زيد . وأما الآخر : فأحمد بن يحيى ، وعلقت لهذا الاتجاه . وأشرت إلى ما في الحجة من مسائل بلاغية ، ونهيت إلى أثر أبي علي في الدرس البلاغي ، ورأيت أن أبا علي مشهور بين الناس بالقياس ، فرددت هذه الشهرة إلى أسبابها ، وتحدثت عن مظاهرها المختلفة ، في تنوع أبي علي القياس — أولاً ، وتعمقه فيه ثانياً ، وتحكيمة في القراءات واعتبارها بما ورد في اللغة وما سمع منها ثالثاً .

وناقشت المرحوم أحمد أمين في بحث ألقاه على أعضاء المجمع جعل فيه أبا علي من الأحرار المجددين الذين لا يتمسكون بالسماع ، وسقت النصوص الدالة على مخالفتي لما رآه ، وبينت كيف كان أبو علي يحترم السماع ، حتى بلغ من حرصه عليه أن هتف به في مواضع مختلفة من كتبه في الخليليات ، والبغداديات والحجة والعسكريات ، وأن أبا علي كان أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين . وهنا أتاحت فرصة أشرت فيها إلى ما نجم في أيامنا هذه من الدعوة إلى ترك الإعراب .

وقد اعتمد أصحاب هذه الدعوة على نصوص أبي علي فهموها على غير وجهها ، ورجوت مع هؤلاء ، كما رجوت من قبل مع الأستاذ أحمد أمين — أن يكون صاحبي قد سبق إلى روح التجديد ، وأن يجد المجددون في نصوصه الدليل ، ولكن كلام الرجل لا يعين على ما إليه يذهبون .

وخصصت وأنا أتكلم في القياس — علل أبي علي بفضل من البيان ، وأن بعضها كان مصطنعاً ، وأوضحت الأسباب التي من أجلها برع في التعليل ،

وأنا الآن لم نعد نرضى عن هذه الفلسفات ، وبينت أن الرجل قد فطن إلى ما يقول المحدثون من علماء اللغات والأصوات في ظاهرة التشاكل ، وتعرض أواخر الكلمات للتغيير .

ثم أشرت إلى مسائل العروض التي تناولها أبو علي في الحجة ، وكيف أنه وضع لبنة في صرح العروض الذي ابتدأه الخليل ، وانتهى إلى أبي علي ، وتسلسله تلاميذه من بعده حتى نقل تعليقه الدمهورى . في كتابه الإرشاد .

وقومت موقف أبي علي من القراءات التي تخالف مذهبه النحوى ، ثم بينت أن أبا علي وهو لا يكاد يحتج برسم المصحف — كان في ذلك مدافعاً عن كتاب الله ، وراداً أكيد المجادلين حيث يورد الحجج التي بها يقتنعون .

وجمعت في نهاية الحديث عن الحجة ما يحتج به أبو علي ، ورأيت في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربى القديم ، ولهجات العرب المختلفة ، وأنه يعتد بالكثرة ، ويقدم السماع على القياس ، ويحتج بما ورد في اللغة لما نقل القراء ، كما يحتج بتعبير سيويه في الكتاب .

ثم أشرت إلى ثناء الناس على الحجة ، وعرفت بنسخها ، وأما كتبها ، وحسن الرأى فيها حتى هذا الزمان .

* * *

ثم خلصت إلى الباب الثالث وفيه عقدت دراسات مقارنة بين أبي علي والمحتجين للقراءات : القراء والزجاج ، وابن السراج وابن خالويه . عرضت في هذه الدراسات كتب هؤلاء الأئمة في معانى القرآن والاحتجاج ، فرأيت أن كتاب المعانى للقراء يكشف عن مذاهب القراء الكوفيين في الاحتجاج ، وأنه يسلك مسلك السلفيين ، ورأيت الزجاج مغرماً في الاحتجاج بالاشتقاق ، وتفسير اللفظ القرآنى بالقرآن ، وأنه يعتد بأقوال اللغويين ، ويسلك كذلك مسلك السلفيين ، ويغلب على أمره مذهب البصريين .

وكان ابن السراج متهدياً بالحس النفسى في الاحتجاج ، ومخالفاً أصول البصريين ،

ورددت ما قال المرحوم أحمد أمين من أن ابن فارس سبق في التحدث عن الاشتقاق الصغير ، وبينت فضل ابن السراج في سبقه بالتحدث عن ذلك الاشتقاق .

* * *

ثم رأيت ابن خالويه تغلب عليه نزعة السلف في الاحتجاج، وبينت مظاهر ذلك . وبعد أن بينت مكان أبي علي من المحتجين السابقين والمعاصرين على هذا النحو انتقلت إلى الباب الرابع . وفيه تحدثت عن تأثير الخالفين بأبي علي في الاحتجاج للقراءات :

وقصدت عند الحديث في ذلك أن أترجم لأولئك الذين تأثروا بالشيخ ترجمة تكشف عن طرق تأثيرهم به ، والأسباب الخاصة التي دفعتهم إلى الاشتغال بالاحتجاج . والآثر البعيد الذي كان لهم في ميدان الدراسات القرآنية والإقراء . والطرائق التي سلكها كل في احتجاجة . ومدى ارتباطها بما سلك الشيخ . وعرضت الكتب التي اخترتها لهؤلاء المتأثرين عرضاً يعرفها ويصل القارئ بها ؛ لأرى من وراء ذلك كله الهدف الأصيل . وهو تصوير الآثر الكبير الذي خلفه أبو علي في الاحتجاج للقراءات . وبينت تأثير الخالفين بأبي علي في الاحتجاج عند ثلاثة :

أولاً — تلميذه ابن جنى في المحتسب وثانياً — مكي بن أبي طالب حموش القيسي القيرواني في الكشف وثالثاً — أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني في كتابه الموضح .

وكان أوضح ما ظهر في المحتسب من آثار أبي علي الإيجابية . استغلال ابن جنى للعروض . واستخدامه المنطق . وإلمامه بمسائل بلاغية . وتقديره سيويه . وهجومه على المبرد .

أما الآثار السلبية فكانت في تحامى ابن جنى ما وقع فيه الشيخ من الاستطراد والإملال والخوض في الدقيق من المعاني والغويات .

ورأيت أن الأصول لأبي علي . ولكن ابن جنى يصوغها صوغاً فيه تذوق ووضوح . ورأيت ابن جنى في المحتسب يستفتي النحاة ، ويعتمد على مذاهبيهم . وانتهيت إلى أن ابن جنى في هذا الكتاب كان أقرب إلى السلفية حيث التمس التعليل للشواذ ، ثم رأيت يلتقي مع شيخه في الدفاع عن كتاب الله ، وإن اختلفت الوسائل

تحكمها من أبي على للقياس ، ونزوعاً من ابن جني إليه . تعززه الرواية والإسناد .
وحسن الظن بالقراء .

ثم أوضحت امتداد أثر أبي على إلى المغاربة ، وكيف كان مكي في الكشف متأثراً بأبي على في الجملة ، ثم يعتمد عليه اعتماداً صريحاً تثبته المقابلة بين نصوص الكشف والحجة ، كما يتأثر بالشيخ تأثيراً سلبياً يبدو في اختصار الكشف حتى لا يحدث الملل بقراءته ، وبينت أن مكيّاً على سلفيته واعتداده برسم المصحف كان يحكم القياس في بعض ما قال متأثراً بأبي على .

ووجدت طاهر بن غلبون المصرى النحوى أستاذ الداني يكتب حجة أبي على بخطه فحفرني ذلك إلى تقصى كتب الداني لأتعرّف على أثر أبي على فيها . فوجدت في كتابه الموضوع جديداً يستحق التسجيل .

رأيت الداني — وهو سلفي — يتأثر بأبي على فيسلك مسلكه في التعليل بمسائل المنطق وبحوثه . ويدل على أنه يفهم أسلوب سيويه في الكتاب ويقدره . وينظر إلى أوليات الشيخ نظراً خالصاً في التعليل لإمالة بين اللفظين . والاحتجاج لأبي عمرو ومذهبه في رموس الآي ثم رأيته ينقل نصوص أبي على نقلاً لا تغيير يذكر فيه . ومن غير أن ينسب ما نقل إلى الشيخ ، وقابلت بين هذه النصوص ، وذكرت الأسباب التي من أجلها أغفل الداني ذكر أبي على فيما نقل عنه من آثار .

ثم تتبعت المحتجين للقراءات منذ سيويه في القرن الثاني ، حتى ابن الجزرى في القرن التاسع فتبينت طابعين لمدرستين متميزتين : سميت إحداها مدرسة الأثر ، وسميت الأخرى مدرسة القياس ، وعينت رجال هذه كما عينت رجال تلك ، ورأيت أبا على شامخاً بين السالفين والخالفين حيث يبلغ القمة في تحكيم القياس دفاعاً عن كتاب الله . ويمتد أثره في المحتجين من بعده ، فيحكمون القياس في بعض ما يقولون وإن كانوا سلفيين .

وكان تطوير أبي على للقياس على هذه الصورة — فيما بدالى — أهم ما سجله البحث من جديد .

ثم كان الباب الخامس وفيه تحدث عن أبي على النحوى ، فألمت لإمامة يقتضيا المقام بنشأة النحو وتطوره ، وأقتت الدليل على أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو ، وقدمت البرهان مفصلاً معتمداً على طبيعة أبي الأسود التى طبع الله عليها ، وجلال مهمته التى نذب إليها .

وناقشت القول بأن أبا الأسود أخذ طريقة علامات نقط المصحف عن السريان ، وانتهيت إلى أن أبا الأسود قام بذلك العمل ابتداء ما لم يقم على غيره الدليل . وأشرت عابراً إلى نشوء المدرستين البصرية والكوفية ، وألمت بالطابع العام لكل منهما ، ورأيت الباحثين يقولون بقيام مدرسة بغدادية ، ومارأيت ذلك ، واستشهدت بكتب الطبقات ، والتراجم ، ونصوص العلماء . ثم ألمت بالنشاط النحوى منذ أبي الأسود حتى أبي على الفارسي؛ لتلتئم أمامى حلقات البحث مترابطة ، فتحدثت عن جهد النحاة فى التأليف ، والجدل ، والمناظرة ، وحلقات المدرس وتعقبهم الشعراء .

ثم كانت الحلقة الاصلية فى بحث أبي على النحوى ، فنظرت كتبه فى ذلك ، وربتها متحدثاً عن ميلادها ، وعرضت الخطوط الرئيسية بها ، وتبينت مدى ظهور شخصية أبي على وزعته النحوية فيها ، والشيوخ الذين اعتمد عليهم ، وروى عنهم وأنشد لهم ، والأصول التى قررها ، والمصادر التى استقى منها ، ونهجه الذى التزمه فيها ، واعتراضاته التى أوردها ، وأوليائه التى ابتكرها ، والمسائل البلاغية التى تناولها ، ومسائل الخلاف التى احتج لها ، ومادة الاحتجاج التى استند إليها ، ثم مدى استعانة البغدادى فى خزائنه بمسائله المختلفة ، وعرفت بأماكنها هنا وهناك .

وانفرد كل كتاب بعد ذلك بمخصية أو خصائص ، مما يجب أن يشار إليه : ذكرت حقيقة الرأى فى المسائل المشككة ، والبغداديات ، ورأيت أن الإغفال مسائل أصلحها أبو على على الزجاج لا على ابن السراج كما قال ياقوت وأولا على الزجاجى كما أورد القفطى ، وقد غلب الطابع النحوى على الإغفال ، ومن هنا كان من حقه أن يكون بدار الكتب فى فهرس النحو لا فهرس التفسير .

ورأيت فى البصريات لكثارتها على من اللغويات والشواهد الموثقة ، وتعقبه المبرد ، واعتماده على ثعلب ، ومهاجته الفراء ، حتى وصف لإنشاده بالخطأ الفاحش ، وقسا حتى ذكر أن ما قال الفراء هذيان ١١

ورأيت الحلييات تلتقى ضوءاً على النشاط العلمى بين سيف الدولة والعلماء

في عصره ، وهو أمر لم ينتبه إليه الباحثون من أفرادوا سيف الدولة بمجهود على خاص ، كما أنها تنفرد بالحديث عن الكلمات الأجمعية ، بترجها أبو علي ، ويزنها ، ويتحدث عن اشتقاقها وتصريفها ، كما أنها تتعرض إلى رسم الحروف ، ورأيت أن الدعوة التي نادى بها الدكتور طه خاصة بالرسم الإملائي ليست جديدة : فهي مستندة في أساسها إلى رأي لآبي علي في الحلييات ؛ حيث قال بوجود كتابة سمي ، ورمي ، ويسمي ، وأشباهاها بالآلاف لا بالياء . وقد أقام الشيخ علي ما يراه البرهان والدليل .

وفي تناولي كتاب الإيضاح ذكرت الرأي في هذه الروايات المتدافعة حول موقف عضد الدولة من ذلك الكتاب ، ورأيت أبا علي يصدر في ترتيب الإيضاح عن فكرة أثر العوامل في أصول الإعراب ، وتخالف في ذلك مع سيويه الذي صدر في ترتيب الكتاب - كما انتهى إليه أستاذي النجدي - عن العوامل نفسها ، كما تخالف مع المبرد الذي رأيت في المقتضب لا يصدر عن فكرة بعينها ، ومع الزجاجي المعاصر الذي اضطر في ترتيبه الجمل . وتبعت كتب الخالفين في النحو ، فتبينت أنهم قفوا أبا علي في الترتيب .

ورأيت أن الإيضاح اسم يدل على مسماه بما التزم فيه أبو علي من جعله في أبواب قصار ، واضحة العبارة ، وتقريبه بالتنظير ، وتحذيره النطق بتعابير ، وإلقائه قواعد جامعة تضم شتات التفصيلات . وعلت لِمَسْحِ المنطق البادئ في باب الاصثناء ، وأخريات الإيضاح خاصة ، ثم تحدثت عن شواهد الإيضاح وأمثله ، ورأيت أن أبا علي استشهد ببيت لآبي تمام للتطبيق على قاعدة ، لا لاستنتاج حكم منه ، وأيدت ذلك بنص لعبد القاهر في المقتصد ، ولآبي علي في العسكريات ، ورجوت أن يصلح الناس ما فهموه من استشهاد أبي علي بذلك البيت منذ ابن خلكان حتى الباحثين من علماء هذا الزمان .

ونبهت إلى أن أبا علي كان مجدداً في كتابه الإيضاح ، فاصطنع أمثلة تتصل بالحياة العامة في عصره : دينية ، وسياسية ، واجتماعية ، وطبيعية على النحو الذي يتواصى به الربون في الأيام .

وعنيت ببيان قيمة الإيضاح وأثره ، ووضحت ذبوعه في الأقطار الإسلامية ، ونصت على أولئك الذين اشتركوا في إذاعته من تلاميذ الشيخ ، والشراح الذين

تناولوه بالتفسير من الأنداسيين ، والمغاربة ، والمصريين ، والعراقيين ، وحتى متى ظل الناس يشتغلون به ، وانتهيت إلى أنهم انصرفوا عن دراسة الإيضاح حيث بدأت عنايتهم بكتب ابن مالك ، وقدمت على ذلك الدليل .

وكان الحديث عن ترتيب الإيضاح ، وتبويبه ، وتأثيره ، واشتغال الناس به — يمثل أثراً بارزاً لأبي علي في النشاط النحوي ، كما يمثل إحدى النتائج الكبرى التي انتهى إليها البحث في أثر أبي علي النحوي ومداه .

ثم خلصت من الإيضاح إلى التسكلة ، فبينت أنها تنتظم الصرف جملة كما ينتظم الإيضاح أبواب النحو جملة كذلك ، ورأيت أن أبا علي ألزم الغموض والإبهام في التسكلة وعلقت لذلك ، وعقدت موازنة بين أبي علي في التسكلة والزجاج في كتابه سر النحو المشتمل على « باب ما ينصرف وما لا ينصرف » وانتهيت من هذه الموازنة إلى بيان السمات التي تبنت لي من حديث الرجلين في هذا الباب ، وصلة كل منهما بسبويه في الكتاب .

وفي عرضي للشيرازيات علقت سر التائق والتقصى فيها ، ومظاهر ذلك من ارتباط التوجيه الإعرابي بالمعنى البلاغي ، والتهدى بالحس النفسى في التعليل . ورأيت كتاب الشعر مرآة لثقافة أبي علي النحوية ، ودليلاً على براعته في الحوار والجدل ، وتشقيق المقال .

ووصلت إلى حقائق فيما هو خاص بمسألة الأخبار ، وأسمائها ، وماتبعا من المسائل منسوبة إلى أبي علي في فهرس المخطوطات المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ، فأثبتت دراستي لهذه المسائل أنها لا تشتمل على مسألة الأخبار حسب ؛ بل تشتمل بجانب ذلك على مسائل أخرختمت بمسألتين : إحداهما من إملاء الربيعي ، والأخرى منسوبة إلى ابن جنى ، وأن مسألة الأخبار صحيحة النسبة إلى أبي علي ، أما بقية المسائل فمجموعة من كلام النحاة ؛ فشخصية أبي علي فيها غير واضحة ، وقد تكون له شركة فيها على نحو يسير .

وفي تناوله للمسائل المنثورة استظهرت أنها جمعت بعد ان لقي الشيخ ربه ، ولحظت أن التماسك يبدو في ترتيب مسائلها ، ورددت شهة قد تعرض من أن التماسك يتنافى مع تسميتها بالمنثورة ، ووجدت من السما — المميزة لهذه المسائل عنايتها بإعراب آيات القرآن الكريم ، والشواهد الشعرية ، والعبارات المألوفة التي تتصل بموضوع واحد بما يعد بذراً لمغنى ابن هشام .

ثم تحدثت عن اشتغال أبي علي بالتصريف ، والموازن التي يضعها لوزن الكلمات ،
وأشرت إلى تأثر ابن جنى بأبي علي في سر الصناعة ، ومختصر التصريف

* * *

ثم تهيأت بعد هذه الدراسات للتعرف على مكانة أبي علي بين أعلام النحاة
من معاصريه . فعمدت في الباب السادس موازنات بينه وبين النحاة من طبقته :
السيرافي ، والرمانى ، والزجاجى .

فأولاً : مع السيرافي بينت أنه مذكور بين العلماء بشرحه الكتاب . ومشاركته
الواسعة في كل فن . وقلجه في الخصومة والمناظرة على متى بن يونس . ولكن لأبي علي
فضلاً باقياً بكتابه الحجّة . ذى الأثر البعيد في الدراسات العربية والإسلامية جميعاً .
وثانياً : مع الرمانى حققت قولة أبي علي الفارسي : « لو كان النحو ما يقوله
الرمانى لم يكن معناه منه شيء . ولو كان النحو ما تقوله لم يكن معه منه شيء . ونفيت
تفسير هذه القولة بأن الرمانى كان يمزج نحوه بالمنطق . وذهبت في فهمها إلى غير
ما ذهب الناس من القدامى والمحدثين . وبينت أن أبا علي بهذه العبارة لا يعترف
بالرمانى نحويّاً . وأنه يريد أن يقول له مورّياً : « إن نحوه هو النحو . وليس
عند الرمانى منه شيء . » . واعتبرت هذه العبارة بسنة القرآن الكريم في التعبير .
وعرضت للتدليل على ما ذهبت إليه كتاب الحروف الرمانى من مصورات معهد
المخطوطات بالجامعة العربية . ودلت على أنه جانب المنطق في شكله ، وموضوعه :
في ترتيبه وتقسيمه وتعليله . ووازنت بين الرجلين في حرفين « ما . ولا » ، وأوضحت
منهج كل في الحديث عنهما . تمسكا بالمنطق عند الفارسي . وبعداً عنه عند الرمانى .
ورجوت أن يصحح الباحثون النظر إلى هذه العبارة بما يتفق مع الحقيقة والتاريخ .
وثالثاً — مع الزجاجى — رأيت أبا علي يستصغر شأنه حتى قال فيما يرويه
الأنبارى أبو البركات : « لو سمع أبو القاسم الزجاجى كلامنا في النحو لاستحيا
أن يتكلم فيه » . ولم أشأ أن أسلم بهذه العبارة حتى أتصل اتصالاً وثيقاً بنحو الزجاجى
فأتبين وجه الصواب :

قرأت كتب الزجاجى : اللامات ، والإيضاح في علل النحو ، والجل ، فرأيت
شخصية الزجاجى في اللامات لا تكاد ، تظهر أو تبين . فلا ترى لها ظلاً أو اجتهاداً
في الرأى والتدليل . ورأيت أن الفارسي لم يرض عن نحو الزجاجى لخلوه من المنطق

في كتابه الجمل . وورد المنطق جنباً إلى جنب في كتابي اللامات والإيضاح على حين أن نحو الفارسي ومنطقه مزيجان لا يكادان ينفصلان .

ثم أنصفت الزجاجي من الفارسي . وعرفت بمكانة الجمل في تاريخ النشاط النحوي . وبينت أن نحو الزجاجي فيه قريب من الاتجاه الحديث في خلوه من المنطق وقضاياه . ومن أجل ذلكم خالفت الفارسي بعد أن تبدل الرأي غير الرأي والميزان

* * *

وبعد أن بينت مكان أبي علي من أعلام النحاة المعاصرين على هذا النحو انتقلت إلى الحديث في الباب السابع عن مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي في الأصول والفروع . ومسائل الخلاف . والإعراب ممثلاً على الترتيب بابن جني في خصائصه . وابن الشجري في أماليه ، وابن الأنباري في الإنصاف . وأنى البقاء العكبري في إعراب القرآن .

ففي الخصائص رأيت ابن جني شديد الاعتداد بأبي علي ، يتلقى منه ، ويتبادلان البحث ، ويخوضان معاً فيه ويصطنع أساليب الشيخ في التذليل والبرهان . وينصب مثله في إيراد الشواهد ، ويؤثر الاستطراد . وعرضت أصولاً لا ذكرها أبو علي في كتبه المختلفة وبينت كيف بنى ابن جني عليها . ورأيت ابن جني يذهب مذهب شيخه في الاحتجاج بالحديث أولاً في المعنى اللغوي . وثانياً في تقرير الأصول وثالثاً في شرح مذاهب العرب في كلامها .

وفي أمالي ابن الشجري بينت مظاهر التأثير بأبي علي في نقوله عنه ، واعتذاره له ، ونقوله بما يراه ، وسلوكه مسلكه في التعليل والتفسير . ورأيت المدى الذي يجرى فيه ابن الشجري مهدياً بالشيخ أحياناً حتى تندمج فيه ذاتيته . ومجانباً له حيناً فتظهر عند ذلك شخصيته .

كما دلتني المقابلات بين نصوص أبي علي ونصوص الإنصاف إلى أن ابن الأنباري يدلل بفحوى كلام الفارسي حيناً ، وأحياناً ينقل نصوصه قلاً . ويورد شواهده لإيراداً ، وضربت الأمثلة لهذه الاتجاهات .

كذلكم كان الشأن في بيان تأثير أبي البقاء العكبري بخاصة والمفسرين بعامة بأبي علي في الإعراب .

وهكذا عرفت بأبي علي ومكانه من السالفين ، والعلماء من طبقة المعاصرين .
وامتداد أثره في الخالفين في القراءات والنحو جميعاً .
واقترحت أولاً : أن يكفل أحد الدارسين أبا علي لغوياً كما كفلته في هذا البحث
قارئاً نحوياً .

وثانياً : لخص ماسميته «نحو القراءات» عند سيبويه، الفراء، وابن جنى ، والداني
وبذلك نظفر بنحو موثق بالأسانيد الصحيحة . والنقل الضابط . والآداء الدقيق .
وثالثاً : استخلص كتاب القراءات لابن مجاهد من غضون كتاب الحجة فهو
من تراثنا القديم يعدُّ كما في أصالته وتفردته . وتوثيقه لقراءات السبعة
من أهل الأمصار .

ورابعاً : لإخراج كتاب الحجة بتحقيقه ونشره ؛ فهو معلبة يفتح آفاقاً جديدة
في الدراسات العربية والإسلامية . وستجد نصوص أبي علي — عند ذلك — طريقها
إلى كتب الباحثين . فيبدون منها . ويحتجون بها . ويرون فيها الدليل . تماماً على الذي
حققته كتب ابن جنى من فوائد بعد أن اتجه إليها الخاصة من علمائنا بالتحقيق
والإخراج (١) .

وخامساً : لإحياء أثر أبي علي بإخراج كتاب المحتسب الذي ينفرد بالاحتجاج
للشواذ . وإخراجها من نطاق القلة والندرة إلى الكثرة والشيوخ في الشعر
وفصيح الكلام .

وبعد : فذلکم أبو علي وتلكم آثاره البعيدة في الدراسات القرآنية والنحوية .
ولذا كنا الآن في سنة ١٣٧٦ هـ فنحن إذن نحتفل بعيد أبي علي الألفي . فهل أنصفته
الأقدار لجملة موضوعاً للدراسة العالية . وهياً الله له من يجلي أثره بعد أن مرَّ
على وفاته ألف من السنين ؟

ثم هل كرمته الأقدار مرة أخرى فأشركت في توثيق جهدى الذى بذلت —

(١) فظنت إدارة الثقافة إلى ما في هذا الاقتراح من فائدة فأسندت إلى صاحب الرسالة
تحقيق كتاب الحجة بالاشتراك مع الأستاذين الجليلين : الأستاذ على النجدى ناصف ، والدكتور
عبد الحلیم النجار .

أشركت خاصة من علمائنا يمثلون ثقافتنا في جامعات ثلاث : الأزهر ، والقاهرة
والإسكندرية (١) .

ما أرى إلا ذلك ؛ كفاء ما نافع الرجل عن كتاب الله ، ولقاء مامت إليه
باحتجاجة لقراءات القرآن الخالد على الزمان .

ثم أما بعد ! فما أبرأ إليكم من العثرة والزلة . وما أستغنى منكم — إن وقفتم
على شيء عن التوجيه والدلالة . ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط ؛
فإن ابن آدم إلى الضعف والعجز والعجلة ، وفوق كل ذي علم عليم .

مقابلة التاريخ الهجرى بالميلادى

من ميلاد أبى على (٢٨٨ هـ) حتى ٤٥٠ هجرية

ما يقابله من الميلادى	الصام الهجرى	ما يقابله من الميلادى	الصام الهجرى	ما يقابله من الميلادى	الصام الهجرى
٩٧٠	٣٦٠	٩٣٥	٣٢٤	٩٠٠	٢٨٨
٩٧١	٣٦١	٩٣٦	٣٢٥	٩٠١	٢٨٩
٩٧٢	٣٦٢	٩٣٧	٣٢٦	٩٠٢	٢٩٠
٩٧٣	٣٦٣	٩٣٨	٣٢٧	٩٠٣	٢٩١
٩٧٤	٣٦٤	٩٣٩	٣٢٨	٩٠٤	٢٩٢
٩٧٥	٣٦٥	٩٤٠	٣٢٩	٩٠٥	٢٩٣
٩٧٦	٣٦٦	٩٤١	٣٣٠	٩٠٦	٢٩٤
٩٧٧	٣٦٧	٩٤٢	٣٣١	٩٠٧	٢٩٥
٩٧٨	٣٦٨	٩٤٣	٣٣٢	٩٠٨	٢٩٦
٩٧٩	٣٦٩	٩٤٤	٣٣٣	٩٠٩	٢٩٧
٩٨٠	٣٧٠	٩٤٥	٣٣٤	٩١٠	٢٩٨
٩٨١	٣٧١	٩٤٦	٣٣٥	٩١١	٢٩٩
٩٨٢	٣٧٢	٩٤٧	٣٣٦	٩١٢	٣٠٠
٩٨٣	٣٧٣	٩٤٨	٣٣٧	٩١٣	٣٠١
٩٨٤	٣٧٤	٩٤٩	٣٣٨	٩١٤	٣٠٢
٩٨٥	٣٧٥	٩٥٠	٣٣٩	٩١٥	٣٠٣
٩٨٦	٣٧٦	٩٥١	٣٤٠	٩١٦	٣٠٤
٩٨٧	٣٧٧	٩٥٢	٣٤١	٩١٧	٣٠٥
٩٨٨	٣٧٨	٩٥٣	٣٤٢	٩١٨	٣٠٦
٩٨٩	٣٧٩	٩٥٤	٣٤٣	٩١٩	٣٠٧
٩٩٠	٣٨٠	٩٥٥	٣٤٤	٩٢٠	٣٠٨
٩٩١	٣٨١	٩٥٦	٣٤٥	٩٢١	٣٠٩
٩٩٢	٣٨٢	٩٥٧	٣٤٦	٩٢٢	٣١٠
٩٩٣	٣٨٣	٩٥٨	٣٤٧	٩٢٣	٣١١
٩٩٤	٣٨٤	٩٥٩	٣٤٨	٩٢٤	٣١٢
٩٩٥	٣٨٥	٩٦٠	٣٤٩	٩٢٥	٣١٣
٩٩٦	٣٨٦	٩٦١	٣٥٠	٩٢٦	٣١٤
٩٩٧	٣٨٧	٩٦٢	٣٥١	٩٢٧	٣١٥
٩٩٨	٣٨٨	٩٦٣	٣٥٢	٩٢٨	٣١٦
٩٩٨	٣٨٩	٩٦٤	٣٥٣	٩٢٩	٣١٧
٩٩٩	٣٩٠	٩٦٥	٣٥٤	٩٣٠	٣١٨
١٠٠٠	٣٩١	٩٦٥	٣٥٥	٩٣١	٣١٩
١٠٠١	٣٩٢	٩٦٦	٣٥٦	٩٣٢	٣٢٠
١٠٠٢	٣٩٣	٩٦٧	٣٥٧	٩٣٣	٣٢١
١٠٠٣	٣٩٤	٩٦٨	٣٥٨	٩٣٣	٣٢٢
١٠٠٤	٣٩٥	٩٦٩	٣٥٩	٩٣٤	٣٢٣

ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى	ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى	ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى
١٠٤٢	٤٣٤	١٠٢٤	٤١٥	١٠٠٥	٣٩٦
١٠٤٣	٤٣٥	١٠٢٥	٤١٦	١٠٠٦	٣٩٧
١٠٤٤	٤٣٦	١٠٢٦	٤١٧	١٠٠٧	٣٩٨
١٠٤٥	٤٣٧	١٠٢٧	٤١٨	١٠٠٨	٣٩٩
١٠٤٦	٤٣٨	١٠٢٨	٤١٩	١٠٠٩	٤٠٠
١٠٤٧	٤٣٩	١٠٢٩	٤٢٠	١٠١٠	٤٠١
١٠٤٨	٤٤٠	١٠٣٠	٤٢١	١٠١١	٤٠٢
١٠٤٩	٤٤١	١٠٣١	٤٢٢	١٠١٢	٤٠٣
١٠٥٠	٤٤٢	١٠٣٢	٤٢٣	١٠١٣	٤٠٤
١٠٥١	٤٤٣	١٠٣٣	٤٢٤	١٠١٤	٤٠٥
١٠٥٢	٤٤٤	١٠٣٤	٤٢٥	١٠١٥	٤٠٦
١٠٥٣	٤٤٥	١٠٣٥	٤٢٦	١٠١٦	٤٠٧
١٠٥٤	٤٤٦	١٠٣٦	٤٢٧	١٠١٧	٤٠٨
١٠٥٥	٤٤٧	١٠٣٦	٤٢٨	١٠١٨	٤٠٩
١٠٥٦	٤٤٨	١٠٣٧	٤٢٩	١٠١٩	٤١٠
١٠٥٧	٤٤٩	١٠٣٨	٤٣٠	١٠٢٠	٤١١
١٠٥٨	٤٥٠	١٠٣٩	٤٣١	١٠٢١	٤١٢
		١٠٤٠	٤٣٢	١٠٢٢	٤١٣
		١٠٤١	٤٣٣	١٠٢٣	٤١٤

مصادر الرسالة ومراجعها

أولاً - المخطوطات :

- (١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب مصورة بدار الكتب رقم ١٩٦٦٤ ب .
- (٢) الإبانة والتفهم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم للزجاج مخطوطة رقم ٦٧ نجوش .
- (٣) أخبار الزجاجي مخطوطة رقم ٢٢٩٦٧ جامعة القاهرة .
- (٤) الأخصش بحث مخطوط : طه الزيني مكتبة كلية اللغة العربية رقم ٣٨٣ .
- (٥) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٢٨ نحو .
- (٦) إشارة التبعين لأبي المحاسن الميمى مخطوطة بدار الكتب رقم ١٦١٢ تاريخ .
- (٧) إعراب القرآن للنحاس مخطوطة دار الكتب رقم ٣٨٥ تفسير .
- (٨) الإغفال رقم ٦٩٩ تفسير ٨٧٥ ، ٥٢ تفسير دار الكتب المصرية ثلاث نسخ إحداها بالتمورية .
- (٩) الإيضاح مخطوطة بدار الكتب ١٠٠٦ نحو ، ١١٢٠ نحو .
- (١٠) إيضاح علل النحو للزجاجي مخطوطة مصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ف ٢٧ لغة عن شهيد على بالآستانة رقم ٢٥١١ .
- (١١) تاريخ الإسلام للذهبي نسخة مصورة بدار الكتب ٤٢ تاريخ .
- (١٢) التبصرة لمكي بن أبي طالب مصورة بدار الكتب رقم ٢٠١٠٣ ومخطوطة رقم ٢٣٩٣٦ ب .
- ١ - صورة شمسية برقم (٢٠١٠٣) بدار الكتب المصرية .
- ب - مخطوطة برقم (٢٣٩٣٦ ب) بدار الكتب المصرية .
- (١٣) تحفة الإخوان لابن الجزرى مخطوطة رقم ٣٠٦ تفسير بالخزانة التيمورية .
- (١٤) تحفة الوزراء للشيخ أبي منصور الثعالبي مخطوطة ٥ ش بدار الكتب
- (١٥) التكملة لأبي علي الفارسي نحو ١٠٠٦ مخطوطة دار الكتب .

- (١٦) تلخيص أخبار النحويين واللغويين لابن مكتوم ٢٠٦٩ تاريخ .
(١٧) تهذيب اللغة للأزهري مصور بالمجمع اللغوي رقم ٦٢٦ لغة .
(١٨) جامع البيان للداني مخطوطة بدار الكتب .
(١٩) جذافات تفضل باطلاعى عليها الاستاذ على النجدي خاصة بأصول بحثه في سيويه .
- (٢٠) جمال القراء لعلم الدين السخاوي مخطوطة دار الكتب رقم ٩ قراءات م .
(٢١) الحجة لابن خالويه مخطوطة دار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .
(٢٢) الحجة لأبي على الفارسي نسخة بلدية الإسكندرية ٣٥٧٠ ح .
ونسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية مخطوطة مرادملا بالآستانة رقم ٦ .
(٢٣) الحروف لعلي بن عيسى الرماني مصور على فلم نقلا عن مخطوطة عن المكتبة الخليلية بالقدس في معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
- (٢٤) الخليليات لأبي على الفارسي ٥ ش نحو بدار الكتب ، ٢٦٦ تيمور
(٢٥) الخصائص لابن جني مخطوط نحو ٥ ش .
(٢٦) رياض العلماء نسخة مخطوطة للشيخ أغا برك الطهراني .
(٢٧) الزاهر للزجاجي مخطوطة رقم ٥٧٧ دار الكتب .
- (٢٨) سر النحو (ما يتصرف وما لا يتصرف) للزجاج مخطوطة رقم ١٤٩ نحو .
(٢٩) شرح أبي سعيد السيرافي لكتاب سيويه ٥٢٨٤ نحو تيمور .
(٣٠) شرح الجعبري لحرز الأمان مخطوطة دار الكتب رقم ٦١٢ قراءات .
(٣١) شرح اللع لابن الدهان مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة قليج على بالآستانة رقم ٩٤٩ .
- (٣٢) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية لنجم الدين الطوفي مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٢٨ مجاميع
- (٣٣) طبقات المفسرين : محمد بن علي الداودي المالكي مخطوطة بدار الكتب ١٦٨ تاريخ .
- (٣٤) طبقات النحاة لابن قاضي شبيهة مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ .
(٣٥) عقد الجمان للعيني القسم الثالث مصورة بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ مصور .

- (٣٦) عيون التورايخ لابن شاكر مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .
(٣٧) فوائد العز بن عبد السلام مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ م تفسير
(٣٨) القراءات لابن مجاهد في غضون نسخ الحججة (انظر الحججة لأبي علي) .
(٣٩) القراءات واللهجات العربية — الإمالة عبد الفتاح شلبي .
(٤٠) قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح مخطوطة رقم ٧٧ دار الكتب قراءات .
- (٤١) كتاب الشعر لأبي علي الفارسي قاعة الدراسات الشرقية بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٦٧٥ لغة عربية طبع في Holis سنة ١٨٦٩ .
(٤٢) الكشف عن علل القراءات لمكي بن أبي طالب حوش مخطوطة رقم ١٩٩٨٢ ب .
(٤٣) لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني مخطوطة رقم ٤٩ سنة ١٦١ — ٤٠٦ بدار الكتب .
(٤٤) اللامات للزجاجي مخطوطة مصور فلم رقم ٧٩٢ بالأمانة العامة للجامعة العربية .
- (٤٥) البع لابن جني مخطوطة دار الكتب رقم ١٧١٩ نحو تيمور .
(٤٦) ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩ نحو .
(٤٧) المبيج لسبط الخياط البغدادي مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٦٣٥ قراءات .
- (٤٨) مجالس اللغويين والنحاة نسخة مصورة عن شيد علي باستانبول .
(٤٩) المجالس المذكورة للعلماء نسخة مكتبة داماد ابراهيم ١/٧٧٥ .
(٥٠) المحتسب لابن جني في شواذ القراءات مخطوط بدار الكتب ٧٨ قراءات .
(٥١) المحكم في اللغة لابن سيدة : قسم دار الكتب ٥ ٤٥٦٦ .
(٥٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي مخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٢٥ تاريخ تيمور .
(٥٣) مسألة في الأخبار والمعاني مصورة بدار الأمانة العامة للجامعة العربية .
عن مخطوطة داماد ابراهيم رقم ١/٧٧٥ .

- (٥٤) المسائل البصرية لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوطة شهيد على باشا بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٢
- (٥٥) المسائل البغداديات لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على بالآستانة رقم ١/٢٥١٦
- (٥٦) المسائل الشيرازيات لأبي على مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة راغب باشا بالآستانة رقم ١٣٧٩ .
- (٥٧) المسائل العسكرية لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٤
- (٥٨) المسائل المشككة انظر المسائل البغداديات .
- (٥٩) المسائل المنثورة لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على باشا بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٥ .
- (٦٠) مسالك الأبصار بدار الكتب النسخة المصورة .
- (٦١) المصحف رقم ٢٦٤ قراءات الخزانة التيمورية .
- (٦٢) معاني القرآن للزجاج مخطوطة رقم ١١١ م تفسير بدار الكتب المصرية
- (٦٣) المفتاح لأبي القاسم عبد الوهاب بن محمد مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩٦٦٩ ب .
- (٦٤) الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة وبين اللفظين لأبي عمرو الداني مخطوطة بمكتبة الأزهر ١٠٣ ، ٥٩٨٠٢ ، قراءات .
- (٦٥) نثر النظم وحل العقد للثعالبي (٥ نحو ش)
- (٦٦) السكت في إيجاز القرآن مخطوطة الخزانة التيمورية ٢٩٨ تفسير .
- (٦٧) المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني مخطوطة بالخزانة التيمورية رقم ٣٨٤ نحو .

ثانياً — المطبوعات :

- (٦٨) إبراز المعاني لأبي شامة مطبعة مصطفى البابي الحلبي شعبان ١٣٤٩ هـ .
- (٦٩) أبو حيان التوحيدى سيرته — آثاره عبد الرازق محي الدين مطبعة السعادة ١٩٤٩ .

(٧٠) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنى الدمياطى مطبعة
عبد الحميد أحمد حنق بمصر ١٣٥٩ هـ .

(٧١) الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى المطبعة الكستلية ١٢٧٩ هـ .

(٧٢) أثر القرآن فى تطور النقد العربى : محمد زغلول سلام دار المعارف
سنة ١٩٥٥ م .

(٧٣) الاجتهاد فى النحو العربى : أمين الخولى .

(٧٤) أحسن التقاسيم للقدسى ط ليدن الطبعة الثانية ١٩٠٩ .

(٧٥) أحكام القوافى فى الإنشاد — بحث ألقاه الدكتور عبد الوهاب عزام
على مؤتمر الجمع فى دورته الثانية والعشرين بتاريخ ١٢/١/١٩٥٦ .

(٧٦) إحياء النحو لابراهيم مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .

(٧٧) أخبار سيويه المصرى ابن زولاق تحقيق محمد ابراهيم سعد وحسين
الديب مطبعة النصر ١٣٥٢ هـ .

(٧٨) أخبار العلماء بأخبار الحكماء القفطى مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .

(٧٩) أخبار النحويين البصريين للسيرا فى تحقيق كرنكو المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٦ .

(٨٠) أدب الكاتب لابن قتيبة المطبعة العامرة الشرقية .

(٨١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن على
الشوكانى .

(٨٢) الأسس المبتكرة — عبد العزيز الأزهرى مطبعة العلوم ١٣٦٩ هـ .

(٨٣) الإرشاد الشافى على متن السكاكى للدمهورى مطبعة عيسى الحلبي
بدون تاريخ .

(٨٤) الإشارات والتنبيهات لابن سينا تحقيق سليمان دنيا مطبعة عيسى
الحلبي ١٣٦٧ هـ .

(٨٥) الأشباه والنظائر للسيوطى فى النحو الطبعة الثانية مطبعة دائرة المعارف
العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .

(٨٦) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربى الطبعة
الثانية ١٩٥٠ .

- (٨٧) الأضداد للأبنازي المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ
- (٨٨) أطلس التاريخ الإسلامى تصنيف هارى . و . هازارد ترجمه وحققه
لإبراهيم زكى خورشيد مطبعة مصر سنة ١٩٥٥
- (٨٩) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام الرازى تحقيق على سامى النشار
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ هـ
- (٩٠) الإعلام للزركلى
- (٩١) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء راغب الطباخ الحلبي فى سبعة أجزاء المطبعة
العلبية ١٣٤٢/١٣٤٥ هـ حلب .
- (٩٢) الإعلان بتكملة مورد الظمان لابن عاشر مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ
- (٩٣) أعيان الشيعة محسن الامين الجزء الحادى والعشرون .
- (٩٤) الاغانى لأبى الفرج الاصفهاني ط الساسى ٢١ جزء مع الفهارس مصر
١٣٢٢/١٣٢٣ هـ
- (٩٥) الاقتراح للسيوطى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
سنة ١٣٤٩ م
- (٩٦) إقليد الخزانة لعبد العزيز الميمنى الراجكوتى ط لاهور ١٩٢٧ م
- (٩٧) أمالى ابن الشجرى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
سنة ١٣٤٩ م
- (٩٨) الأمالى لأبى على القالى ط دار الكتب الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ
- (٩٩) أمالى المرتضى المسماة غرر الفوائد ودور القلائد تحقيق محمد أبو الفضل
لإبراهيم فى جزئين مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م
- (١٠٠) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان تحقيق أحمد أمين وأحمد الزينى الطبعة الثانية
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م
- (١٠١) إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن
العكبرى مطبعة التقدم ١٣٤٧ م
- (١٠٢) الإنباه على قبائل الرواه ابن عبد البر النحوى مطبعة السعادة ١٣٥٠
- (١٠٣) انباه الرواه للقفطى على انباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل لإبراهيم
ط دار الكتب ١٩٥٠

- (١٠٤) الإنساب للسماعاني مأخوذ بالزنكوغراف ١٩١٢ م
(١٠٥) الإنصاف في مسائل الخلاف للانباري تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد
مطبعة الاستقامة ١٣٦٤ هـ
- (١٠٦) الأوراق للصولي القاهرة ١٩٣٤ م
(١٠٧) بدائع الفوائد لابن القيم المطبعة المنيرية بدون تاريخ
(١٠٨) البداية والنهاية لابن كثير في التاريخ مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ
(١٠٩) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدى الجزء الأول تحقيق أحمد أمين
والسيد أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م
- (١١٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ
(١١١) البيان والتبيين للجاحظ حققه وشرحه حسن السندوبى المطبعة الرحمانية
بمصر ١٣٥١ هـ
- (١١٢) بيان زغل العلم والطلب لشمس الدين الذهبي مطبعة التوفيق بدمشق
١٣٤٧ هـ
- (١١٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري طبع بولاق ١٢٨٢ هـ
(١١٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان مطبعة الهلال ١٩١١
(١١٥) تاريخ الأدب العربي بروكلمان الطبعة الثانية ليدن ١٩٤٧
(١١٦) تاريخ الإسلام السياسى الجزء الثالث حسن إبراهيم الطبعة الثانية مطبعة
الشبكشى بالأزهر سنة ١٩٤٩ م
- (١١٧) تاريخ الأمم الإسلامية للأستاذ الخضرى مطبعة الاستقامة ١٣٥٣ هـ
(١١٨) تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد ١٦٢٥ م
(١١٩) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى مطبعة السعادة ١٣٤٣ هـ
(١٢٠) تاريخ التشريع الإسلامى للأستاذ محمد الخضرى
(١٢١) تاريخ الحكماء البيهقي مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٦ م
(١٢٢) تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبرى فى ١٣ جزءاً المطبعة
الحسينية ١٣٢٦ هـ
- (١٢٣) تاريخ الشعوب الإسلامية تأليف كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومخير

- البعليكي دار العلم للباين بيروت ١٩٤٨
(١٢٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور ترجمة أبي ريدة الطبعة الثانية مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٢٦٨ هـ
- (١٢٥) تاريخ القرآن للزنجاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ
(١٢٦) تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا
أبو الحسن الباهي تحقيق ليني برونفسال دار الكتاب المصري ١٩٤٨
(١٢٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب للمرحوم طه إبراهيم مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٣٢٧ هـ
- (١٢٨) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى
الحلبي ١٩٥٤
- (١٢٩) تجارب الأمم لمسكويه مطبعة شركة النمدن الصناعية ١٢٣٢ هـ
(١٣٠) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي المفسر الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ
(١٣١) تذكرة النوادر من المخطوطات مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحدراباد
الدكن ١٣٥٠ هـ
- (١٣٢) التسهيل في علوم التنزيل ابن جزى الكلي ط مصطفى محمد ١٣٥٥ هـ
(١٣٣) التصحيف والتحريف لأبي أحمد الحسن العسكري مطبعة الظاهر ١٣٢٦ هـ
(١٣٤) التصريف للملوكي لابن جني تحقيق هو برغ طبع بون ١٨٨٥ م ومع
شروح للنسائي الحوى مصر ١٣٣١ هـ
- (١٣٥) التطور النحوي لبرجستراسر مطبعة السماح ١٩٢٩ م
(١٣٦) التفسير الكبير بالبحر المحيط لأبي حيان في ثمانية أجزاء الطبعة الأولى
١٣٢٨ هـ — ١٣٢٩ هـ مطبعة السعادة
- (١٣٧) التفسير المسمى غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوي — على
هامش الطبري طبع المطبعة الاميرية ١٩٠٠
- (١٣٨) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم دار العصور للطبع والنشر
سنة ١٣٤٧ هـ
- (١٣٩) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن للطبري
(١٤٠) تفسير الفخر الرازي المسمى مفاتيح الغيب
(١٤١) تفسير القرطبي ط دار الكتب الطبعة الثانية ١٩٣٥ — ١٩٥٠

- (١٤٢) تقديم الخصائص لابن جني محمد النجار طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٢
- (١٤٣) تقديم العثمانية للجاحظ للاستاذ عبد السلام هرون ط ١٣٧٤ هـ
- (١٤٤) تقييد العلم للخطيب البغدادي تحقيق يوسف العشي دمشق ١٩٤٩
- (١٤٥) تقويم البلدان للتؤيد عماد الدين إسماعيل تحقيق رينرد وديسلان
دار الطباعة السلطانية بباريس سنة ١٨٤٠
- (١٤٦) تلخيص الفوائد لابن القاصح بشرح عقيلة أتراب القصاصد للشاطبي
ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ
- (١٤٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أبو الحسين محمد بن أحمد الملقب
مطبعة السعادة ١٣٦٨ هـ: ١٩٤٩ م
- (١٤٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر بن بدران صور منه سبعة أجزاء الشام
١٣٢٩ / ١٣٥١ هـ
- (١٤٩) التيسير لأبي عمرو الداني في القراءات السبع استانبول ١٩٣٠
- (١٥٠) جامع بيان العلم لابن عبد البر إدارة الطباعة المنيرية — مصر
بدون تاريخ
- (١٥١) جامع علوم الشريعة المعروف بالأعمال الخيرية لمحمد منير الدمشقي
الطبعة المنيرية ١٣٤١ هـ
- (١٥٢) جمع الجوامع للسيوطي طبعة السعادة ١٣٢٧ هـ
- (١٥٣) جهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسي تحقيق ليفي بروفنسال دار
المعارف ١٩٤٨
- (١٥٤) حاشية الشيخ الأمير على المغني المطبعة الأزهرية ١٩٢٨
- (١٥٥) حاشية الصبان مطبعة صبيح ١٣٤٤ هـ
- (١٥٦) حقائق التأويل في مشابه التنزيل للشريف الرضي الجزء الخامس
مطبعة القرى بالنجف ١٣٥٥ هـ
- (١٥٧) حرز الأمان ووجه التهانى (متن الشاطبية) ١٣٥١ هـ
- (١٥٨) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي مطبعة الوطن
١٢٩٩ هـ
- (١٥٩) الحضارة الإسلامية ترجمة أبي ريدة الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٤٧

(١٦٠) حضارة العرب تأليف غستاف لوبون ط عيسى الحلبي ١٩٤٨
ترجمة عادل زعيتر

(١٦١) خزانة الأدب للبغدادى مطبعة دار العصور

(١٦٢) الخصائص لابن جنى ط الهلال ١٣٣١ هـ : ١٩١٣ م

(١٦٣) الخطط المقرزية

(١٦٤) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية

(١٦٥) دائرة المعارف للبستاني صدر منها أحد عشر جزءاً بيروت ١٨٧٦

(١٦٦) الدر اللقيط من البحر المحييط على هامش البحر المحييط مطبعة السعادة

١٣٢٩/١٣٢٨

(١٦٧) دفاع عن البلاغة للزيات . طبعة الرسالة الطبعة الأولى

(١٦٨) دلائل الاجاز — عبد القاهر الجرجاني بتحقيق السيد رشيد رضا

الطبعة الثانية بمطبعة المنار ١٢٣١ هـ

(١٦٩) ديوان حسان بن ثابت . طبعة السعادة ١٣٣١ هـ

(١٧٠) ديوان الشريف الرضى — المطبعة الادبية بيروت ١٣٠٧

(١٧١) ديوان ميار الديلمي ط دار الكتب المصرية الطبعة الأولى

(١٧٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة أغا بزرك الطهراني في ثمانية أجزاء

مطبعة الغرى ١٣٥٥ / ١٣٦٦ هـ

(١٧٣) ذيل تجارب الأمام لأبي شجاع تحقيق آوررز مطبعة شركة التمدن

الصناعية ١٣٣٤ هـ

(١٧٤) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي تحقيق حامد الفقى ط أنصار

السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ هـ

(١٧٥) رد الأستاذ عبد الوهاب حموده على الأستاذ إبراهيم مصطفى فصلة

من مجلة كلية الآداب م ١٣ ج ١

(١٧٦) الرد على النحاة لابن مضاء ط ١٩٤٧ م تحقيق شوقي ضيف

(١٧٧) الرسالة الجديدة العدد ١١

(١٧٨) رسالة الغفران لأبي العلاء تحقيق بنت الشاطيء دار المعارف ١٩٥٠

(١٧٩) رسائل صاحب بن عباد تحقيق عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١٨٢) الروائع العدد الخاص بالمتنبي بقلم فؤاد أفرام البستاني المطبعة الكاثوليكية بيروت .

(١٨٣) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخوانساري طهران ١٣٤٧

(١٨٤) سر الزخرفة الإسلامية : بشر فارس ط المعهد العلمي الفرنسي

القاهرة ١٩٥٢

(١٨٥) سر صناعة الإعراب ابن جني تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وزملائه

الجزء الأول مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٤

(١٨٦) سراج القاريء المبتدى وتذكرة المقرئ المنتهى لابن القاصح مطبعة

مصطفى الحلبي ١٣٥٨ هـ

(١٨٧) سلم الوصول إلى علم الاصول لابن الحاجب

(١٨٨) سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف ط لجنة البيان العربي

مارس ١٩٥٣

(١٨٩) الشافية لابن الحاجب الاستانة ١٨٥٠ م

(١٩٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي مصر ١٣٥٠ هـ

(١٩١) شرح الأشموني في أربعة أجزاء ط صبيح ١٣٤٤ هـ

(١٩٢) د الجاربردي على متن الشافية ط الآستانة ١٣١٠ هـ

(١٩٣) د أدب الكاتب للجواليقي ط المعاهد ١٣٥٠ هـ

(١٩٤) د الشواهد للإمام الشافعي انظر الكتاب لسيبويه

(١٩٥) د المعلقات السبع للزوزني مطبعة السعادة ١٣٤٤ هـ

(١٩٦) د المفصل لابن يعيش طبع المطبعة المنيرية دون تاريخ

(١٩٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة عيسى الحلبي

(١٩٨) الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ط

المؤيد ١٣٣٨ هـ

(١٩٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي في ١٤ جزءا المطبعة الأميرية

١٣٣١ / ١٣٣٨ هـ

(٢٠٠) الصبح المنبي في حيثية المتنبي للبديعي على هامش شرح العكبري لديوان

المتنبي المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ

(٢٠١) صحيفة الأخبار عدد ١٥ / ٢١ / ١٩٥٥

- (٢٠٢) صحيفة الاهرام ١٠ / ٢ / ١٩٥١
- (٢٠٣) صفة الصفاة ابن الجزرى فى اربعة اجزاء مطبعة دائرة المعارف العثمانية
حيدر اباد الدكن ١٣٥٥ هـ
- (٢٠٤) الصفة فى تاريخ ائمة الاندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهاهم وادباهم
لابن بشكوال
نشرة السيد عزت العطار الحسينى مطبعة السعادة ١٩٥٥
- (٢٠٥) ضبط الاعلام احمد تيمور مطبعة دار لحياء الكتب للعربية
الطبعة الاولى .
- (٢٠٦) ضحى الاسلام احمد امين الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ١٣٥٦ هـ
- (٢٠٧) طبقات الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر دار المعارف ١٩٥٢
- (٢٠٨) الطبقات لابن سعد طبع ليدن ١٣٤٧ هـ
- (٢٠٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة السعادة ١٩٥٤ م
- (٢١٠) ظهر الاسلام احمد امين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة
الثانية ١٣٦٥ هـ
- (٢١١) العربية يوهان فك ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار مطبعة دار الكتاب
العربي ١٩٥٤ م
- (٢١٢) عقيلة اتراب القوائد للشاطبي مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٦٨ هـ
- (٢١٣) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي الطبعة الثانية مطبعة
الاعتماد ١٣٦٣ هـ
- (٢١٤) عيون الاخبار لابن قتيبة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
- (٢١٥) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى بتحقيق برجستراسر مطبعة
السعادة ١٣٥١ - ١٠٣٢ م
- (٢١٦) غريب القرآن للسجستاني ط صبيح
- (٢١٧) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم أو غيث الادب الذى انسجم
بشرح لامية العجم المطبعة الوطنية بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ رقم ٢٠٩ أدب للصفدى
- (٢١٨) الفخرى لابن طباطبا مطبعة المعارف الطبعة الثانية ١٩٣٨ م

- (٢١٩) فضائل القرآن لابن كثير القرشي مطبعة المنار الطبعة الاولى ١٧٤٨
- (٢٢٠) فقه اللغة على عبد الواحد وافي الطبعة الثالثة مطبعة لجنة البيان العربي ١٣٦٠ هـ
- (٢٢١) الفلاكة والمفلوكون للدلي مطبعة الشعب ١٣١٢ هـ
- (٢٢٢) فهرست ابن خير الأشبلي طبعة كوديرا بمجريط
- (٢٢٣) فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تصنيف فؤاد سيد الجزء الأول مطبعة دار الرياض ١٩٥٤
- (٢٢٤) الفهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية ١٣٤٨
- (٢٢٥) فهرست الخزانة التيمورية الأجزاء الثلاثة الأولى وتتضمن علوم القرآن والحديث والعقائد والأصول مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ / ١٩٥٠
- (٢٢٦) فهرس دار الكتب المصرية الجديد الجزء الثاني في علوم اللغة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ
- (٢٢٧) فهرست الطوسي المطبعة الحيدرية ١٣٥٦ هـ
- (٢٢٨) في تاريخ النقد الأدبي للحاجري مطبعة رويال بالاسكندرية ١٣٧٢ هـ
- (٢٢٩) فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي
- (٢٣٠) في اللهجات العربية — إبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربي الطبعة الثانية سنة ١٩٥٢
- (٢٣١) القاموس المحيط للفيروزابادي المطبعة المصرية الطبعة الثالثة ١٣٥٢ هـ
- (٢٣٢) القرطين أو كتابا مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبه لابن مطرف الكنانى مطبعة الخانجي ١٣٥٥ هـ
- (٢٣٣) القصد والامم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم — ابن عبد البر الترمي مطبعة السعادة ١٣٥٠ هـ
- (٢٣٤) القواعد النحوية : مادتها وطريقتها للأستاذ عبد الحميد حسن مطبعة العلوم ١٩٤٦
- (٢٣٥) القياس في اللغة العربية للأستاذ محمد الخضر حسين ط ١٣٥٣ هـ المطبعة السلفية

- (٢٣٦) الكامل لابن الأثير المطبعة البهية ١٣٣٠ هـ
(٢٣٧) الكامل للبرد مطبعة التقدم العلمية ١٣٢٣ هـ
(٢٣٨) الكتاب لسيبويه المطبعة الأميرية ١٣١٧ هـ
(٢٣٩) كتاب مسائية ، انظر نواذر اللغة لأبي زيد ،
(٢٤٠) الكشاف للزمخشري مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ
(٢٤١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة الآستانة ١٩٤٧
(٢٤٢) الكنى والاسماء للشيخ أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ت ٣١٠
مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٢٢ هـ

- (٢٤٣) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير مطبعة السعادة ١٣٥٧
(٢٤٤) لسان العرب — ابن منظور في ٢٠ جزءا المطبعة الأميرية
١٢٩٩ — ١٣٠٨ هـ

- (٢٤٥) لسان الميزان للحافظ ابن حجر مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الدكن ١٣٢٩ هـ

- (٢٤٦) اللغة والنحو — حسن عون الطبعة الأولى ١٩٥٢ م مطبعة رويال
بالاسكندرية

- (٢٤٧) مالك بن أنس ترجمة محررة أمين الخولي مطبعة عيسى الحلبي رجب
١٣٧٠ هـ

- (٢٤٨) المثل السائر لابن الأثير
(٢٤٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد شركين مطبعة السعادة ١٩٥٤ م
(٢٥٠) مجلة الأزهر المجلد الثالث والعشرون جمادى الأولى ١٣٧١ هـ
(٢٥١) مجلة الرسالة عدد ط ٣
(٢٥٢) مجلة المجمع اللغوي العدد ٦
(٢٥٣) مجلة المقتطف عدد مايو ١٩٥١ مقال للأستاذ عبد الله أمين أحد نظار
مدارس المعلمين السابقين

- (٢٥٤) مجلة الهلال ١٩٢٨
(٢٥٥) محاضرات في البلاغة والنقد لإبراهيم سلامه ربيع الأول ١٣٦٨ هـ

(٢٥٦) محاضرات الأستاذ إبراهيم مصطفى في أصول النحو مؤتمر المجمع
الدورة السادسة عشرة

(٢٥٧) محضر الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة عشرة مجمع اللغة العربية

(٢٥٨) مختار الصحاح

(٢٥٩) مختصر ابن عساكر

(٢٦٠) مختصر التصريف الملوكي لابن جنى نشر

GODO FREDVS - HOBERG ط. LIPSIAE

(٢٦١) مختصر شواذ القرآن من كتاب الديدع لابن خالويه ط الرحمانية ١٩٣٤

(٢٦٢) المختصر في أخبار البشر — لأبي الفداء المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ

(٢٦٣) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه تحقيق دى غوية ط ليون

(٢٦٤) المخصص لابن سيده في ١٧ جزءاً المطبعة الأميرية ١٣١٦/١٣٢١ هـ

(٢٦٥) المزهر للسيوطي تحقيق الأستاذ جاد المولى وزميله مطبعة عيسى الحلبي

دون تاريخ

(٢٦٦) مسالك الأبصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري الجزء الأول

بتحقيق أحمد زكي باشا مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤

(٢٦٧) المصاحف للسجستاني تحقيق آرثر جفرى المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ

(٢٦٨) المصحف الشريف

(٢٦٩) معالم العلماء : تحقيق عباس اقبال بن شهر آشوب طهران ١٣٥٢ هـ

(٢٧٠) معاني الشعر للأشناداني ط دمشق ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م

(٢٧١) معاني القرآن للفراء ط دار الكتب ١٩٥٥

(٢٧٢) معاهد التنصيص — عبدالرحيم العباسي المطبعة البهية المصرية ١٣١٦ هـ

(٢٧٣) معجم الأدباء لياقوت مطبعة عيسى الحلبي ١٣٥٥ هـ

(٢٧٤) معجم البلدان لياقوت مطبعة السعادة ١٣٢٣ / ١٣٢٤ هـ

(٢٧٥) معجم استينجاس « فارسي عربي »

(٢٧٦) معجم المطبوعات العربية والمصرية مطبعة سركييس ١٩٢٨ م

(٢٧٧) المغرب من الكلام الأجمعي على حروف المعجم للجواليقي تحقيق أحمد

محمد شاكر ط دار الكتب ١٣٦١ هـ

(٢٧٨) مفاتيح العلوم للخوارزمي المطبعة المنيرية ١٣٤٢ هـ
(٢٧٩) مفتاح السعادة ومصباح السيادة طاش كبرى زاده مطبعة دائرة المعارف
العثمانية بحيدر آباد الدكن

(٢٨٠) مفتاح كنوز القرآن

(٢٨١) المفصل للزمخشري الطبعة الاولى التقدم ١٣٥٣ هـ

(٢٨٢) المقابسات لأبي حيان تحقيق السندوبي

(٢٨٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري تحقيق ريتز استانبول

١٩٢٩ م

(٢٨٤) مقامات الحريري المطبعة الاميرية ١٣١٧ هـ

(٢٨٥) مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون في

٦ أجزاء مطبعة عيسى الباب الحلبي ١٣٦٦ / ١٣٧١ هـ

(٢٨٦) مقدمة الاقناع والموانسة للرحوم أحمد أمين

(٢٨٧) مقدمة ابن خلدون ط مصطفى محمد

(٢٨٨) مقدمة سر صناعة الإعراب للأستاذ مصطفى السقا وزملائه

(٢٨٩) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٥ هـ

(٢٩٠) المقنع لأبي عمرو الداني ط استانبول ١٩٣٢ باعثناء أوتوبرتزل

(٢٩١) الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد بن فتح الله بدران ط مطبعة

الازهر ١٩٤٧ م

(٢٩٢) في أسرار اللغة — إبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربي دون تاريخ

(٢٩٣) المنتظم لابن الجوزي في تاريخ الملوك والأمم طبعة جيد آباد الدكن

١٣٥٨ / ١٣٥٧ هـ

(٢٩٤) منجد القارئ ومرشد الطالبين لابن الجزري — المطبعة الوطنية

١٣٥٠ هـ

(٢٩٥) المنصف لابن جنى شرح تصريف المازني تحقيق الأستاذ إبراهيم

مصطفى وزميلة مطبعة مصطفى الحلبي الجزء الاول ١٣٧٣ هـ

(٢٩٦) من كتاب الشعر لأبي علي الفارسي طبع في Holis سنة ١٨٦٩

- (٢٩٧) المغنى لابن هشام المطبعة الازهرية سنة ١٩٢٨
- (٢٩٨) الموجز في علم المنطق — محمد حسنين عبد الرازق وعباس حسن
المطبعة الاميرية ١٩٣٢
- (٢٩٩) مواسم الأداب وآثار العجم والعرب للبيتي العلوي مطبعة السعادة ١٣٢١
- (٣٠٠) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للبقرى مطبعة النيل
١٣٢٦ / ١٣٢٤ هـ
- (٣٠١) مورد الظمان في رسم القرآن للخراز مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ
- (٣٠٢) الموفى في النحو الكوفي للكنغراوى مطبعة الترقى بدمشق
- (٣٠٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغرى بردى — ظهر منه
أحد عشر جزءاً ط دار الكتب ١٩٤٢ م
- (٣٠٤) زهة الألباء ط جمعية إحياء مآثر علماء العرب طبع مصر
- (٣٠٥) نسب عدنان وقحطان للبرد تحقيق عبدالعزيز اليميني مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦
- (٣٠٦) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى مصطفى محمد
- (٣٠٧) نشأة النحو : محمد طنطاوى ط ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م
- (٣٠٨) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب
- (٣٠٩) النقط لأبي عمرو الداني ط استانبول ١٩٣٢ باعتناء أوتربرتزل
- (٣١٠) النهر الماد من البحر على هامش البحر المحيط لأبي حيان مطبعة
السعادة ١٣٢٨ / ١٣٢٩
- (٣١١) نوارد اللغة لأبي زيد الانصارى تحقيق الشرتونى مطبعة الآباء
اليسوعيين بيروت ١٨٩٤
- (٣١٢) الهلال — فبراير ٥٥
- (٣١٣) همع الهوامع للسيوطى مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ
- (٣١٤) الهوامل والشوامل لأبي حيان وابن مسكويه تحقيق أحمد أمين والسيد
أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٠
- (٣١٥) وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة ١٩٤٨
- (٣١٦) يتيمة الدهر للشعالي — دمشق

تأثا - المراجع الأجنبيّة :

- 319 **C. BROCKELMANN**
Geschichte der Arabischess Litteratur Brill 1947.
- 320 **DAWZAT. LA VIE DU LANGAGE**
- 321 **HOWELL**
Arabic Grammer
- 322 **JEFFERY**
Materials for the History of the Text of the Qur'an
Leiden. E. J. Brill
- 323 **Lestrangle. G.**
The Hands of the Eastern Caliphate Cambridge 1905.

فهرس الكتاب

صفحة

فهرس بحمل ٦ - ٥

مقدمة : بقلم الأستاذ الكبير على النجدى ناصف أستاذ اللغة العربية

بكلية دار العلوم ٧ — ١٠

تقديم — الموضوع — أهدافه — منهج البحث فيه — مصادره ١١ — ١٥

(مدخل البحث) ١٧ — ٣٤

(١) نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوى ١٧٠ . توثيق

نص القرآن الكريم : جمع نفيه — توجيهه — إعرابه — إيجامه ... ١٧ — ٢٦

(ب) الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو ٢٦ . فقهاء

وقراء ٢٧ . أهل الرأى والقياس وأهل الحديث ٢٨ . ظهور علم الكلام

على يد المعتزلة ٢٩ . التفاعل بين النحويين والفقهاء والمتكلمين . شرح وتأميل ... ٣٠ — ٣٣

الباب الأول : عصر أبى على وحياته وآثاره

الفصل الأول : الحال السياسية والعقلية والاقتصادية والحفنية في عصر أبى على ٣٥ — ٥٠

قيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس ٣٥ . ظهور الأتراك ٣٥ .

والقرامطة ٣٧ . ضعف الخلفاء ٣٨ . تساقط الدولة كسفا هنا وهناك ٣٨ .

موطن أبى على وحال الفلق فيه ٤٠ . تمام العلم ٤٢ . مظاهره وأمئلته ٤٣ . ٤٥ .

وظهور التشيع والاعتزال ٤٦ . غنى وفقر ٤٧ . هدى ومجون ... ٤٨ — ٥٠

الفصل الثانى : أبى على في عيشه ونفسه ٥١ — ١٤٦

نسب أبى على وأسرته ٥٢ . كنيته ٥٦ . مولده ٦٠ . تنقلاته ٦١ .

هل تزوج ؟ ٧٢ . يسره ٧٦ . زيه ونظافته ٧٥ . متانة بئانه ٧٦ .

أخلاقه ٧٧ . أمانته العلمية ٨٠ . عقيدته ٨٣ . تشيعه ٨٤ . مذهبه في الفقه ٨٧ .

عقليته ٨٨ . ذكاؤه وخلوص ذهنه ٨٩ . دراسته ومراجعته ٩١ .

حبه للعلم ٩٢ . أما كن درسه ٩٥ . هل كان يعرف الفارسية ؟ ٩٧ .

مذهبه قارئاً ٩٩ . مذهبه متمبداً ١٠٢ . مذهبه نحوياً ١٠٥ . هو والشعر ١٠٨ .

نثره ١١٢ . شيوخه ١١٧ . زملاؤه ١٣١ . تلاميذه ١٣٢ . تتبع واستقصاء

تعليق وتحميم ١٣٩ . وفاته ١٤٠ . تحقيق ١٤١ . من آراء القدامى فيه

وأقوالهم عنه ١٤٣ . ماذا قال أبو العلاء ١٤٤ . مناقشة وتديل ١٤٥ .

الفصل الثالث : إحصاء آثاره ١٤٧ — ١٥٢

ترتيبها ١٤٧ . ملاك ذلك الترتيب ١٤٧ . تعليق وتحقيق ١٤٩ .

الباب الثاني: أبو علي والاحتجاج للقراءات

الفصل الأول: الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي ١٥٣-١٦٠

تخریجات فردية ١٥٤ . هرون الأعور وعمله ١٥٥ . العباس بن الفضل
والكسائي ١٥٥ . حمزة بن حبيب وتلميذه الكسائي ١٥٦ . يعقوب بن اسحق
الحضري وصنيعه في الاحتجاج ١٥٧ . ابن مجاهد واختياره للقراءات السبعة
١٥٨ . نشاط المحتجين بمد عمل ابن مجاهد ١٥٨ . تبويب وتمثيل ١٦٠

(١) سيويه إمام النحاة والاحتجاج للقراءات ١٦٦-١٦٦

الكتاب أصل في الاحتجاج ١٦١ . ملاحظات على منهج سيويه ١٦١ .
الدعوة إلى دراسة نحو القراء البصريين ١٦٥ . مظاهر القياس والأثر
في احتجاج سيويه ١٦٦ .

(ب) أبو جعفر الطبري إمام المفسرين والاحتجاج ١٦٦-١٧٠
مكانة أبي بكر في الدراسات القرآنية ١٦٧ . منهجه في الاحتجاج ١٦٨ .
أقياس هو أم أخرى ؟ ١٧٠ .

(ج) أبو بكر بن مجاهد إمام القراء والاحتجاج ١٧١

تمثيل أبي بكر لمدرسة الأثر البحث ١٧١ . مظاهر ذلك وتعليقه . ١٧١

الفصل الثالث: الحجية لأبي علي ١٧٢-٢٥٦

اسم الكتاب ١٧٢ . الأسباب التي دفعت أبا علي إلى الاحتجاج ١٧٢ .
تقديم الحجية ١٧٦ . ميلاده ١٧٧ . نهجه ١٧٨ . شخصيته — مثال من
استطراده واستيماه وتقصيه ١٧٩ . تعليق وتعليل ١٨٧ . أولوه ١٨٨ .
تفسيره للقرآت ١٨٩ . شرحه للغرب ١٩٢ . بينه وبين أبي عبيدة
وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني ١٩٢ . أبو علي يمثل مدرسة التحليل
الذقيق في استقطاب وشمول ١٩٤ . تفسيره النص القرآني ، تبويب وتعليل
وتمثيل ١٩٤-١٩٩ . أبو علي المحدث والاحتجاج ٢٠٠ . مظاهر دراسته
المحدث في الحجية ٢٠١ . البغدادي ويوهان فك ونسبتهما أولية الاحتجاج بالمحدث
إلى ابن خروف ٢٠٣ . ابن خروف موصول النسب العلمي بأبي علي عن طريق
أستاذه المحدث ٢٠٣ . سبق أبي علي إلى الاحتجاج بالمحدث ٢٠٤ . شواهد
الحجة من القرآن والشعر وتبويبها ٢٠٤ . نسبة الشواهد ٢٠٩ . انصابه
فيها ٢١١ . من ينشد لهم وينقل عنهم ٢١٩ . المسائل البلاغية في الحجية ٢١٢ .
أثر أبي علي في درس البلاغى ٢١٥ . المنطق في الحجية ٢١٦ . أبو علي
والقياس ٢١٧ . تنويبه القياس ، وتممقه فيه ، وتخرجه المروي من القراءات

عليه تبويب وتمثيل ٢٢٠ . نسبة التجديد إلى أبي علي في القياس ومشكلة الإعراب ٢٢٨ . مناقشة وتوضيح ٢٢٩ . علل أبي علي وتقومها ٢٣٥ . استهداء بالحس النفسى ٢٣٦ فطلته إلى ما يقول المحدثون ٢٣٧ . استئلاله العروض في الاحتجاج ٢٣٩ . أثر أبي علي عند المشتغلين بالمروس ٢٤٠ . موقف أبي علي من القراءات التي تخالف القياس ٢٤٠ . تعليق وتقوم ٢٤١ . رسم المصحف والاحتجاج ٢٤٤ . كلمة سواء ٢٤٧ . مادة لاحتجاج عند أبي علي ٢٤٩ . قيمة الحجة ٢٥٠ . ثناء القدماء عليه ٢٥٢ . حسن الرأى فيه من المحدثين ٢٥٣ . نسخه وأما كتبها ٢٥٤ . رجاء ٢٥٦ .

الباب الثالث : دراسات مقارنة

الفصل الأول : بين الفراء والفارسي في الاحتجاج ٢٥٧ — ٢٦٩

اشتغال الفراء بالدراسات القرآنية ٢٥٧ . أسباب إقامة الدرس حول معاني القرآن ٢٥٨ . أثر الدراسات الكوفية فيه ٢٦٠ . منهج الفراء في الاحتجاج ٢٦٢ . ملاكه العام ٢٦٣ . ظواهر وتمليلها ٢٦٤ . دعوى تفلسف الفراء في تصانيفه ٢٦٦ . الفراء وأصول العربية ٢٦٧ . أسلوبه ٢٦٨ . الدعوة إلى دراسة نحو الفراء والكوفيين ٢٦٩ .

الفصل الثاني : بين الزجاج وأبي علي في الاحتجاج ٢٧٠ — ٢٩٤

أسباب إقامة الدرس حول معاني القرآن ٢٧٠ . الزجاج والدراسات القرآنية ٢٧٠ . خصائص الاحتجاج عند الزجاج ٢٧٢ . الاشتقاق ٢٧٢ . تفسير اللفظ القرآني بالقرآن ٢٧٧ . والشعر ٢٧٨ . وأقوال اللغويين ٢٧٩ . تحكيمة أئمة اللغة - تبويب وتمثيل ٢٧٩ . قول الزجاج بالأثر ومظاهره ٢٨١ . غلبة البصرية على أمره ٢٨٥ . تعرضه للكوفيين ٢٨٧ . استئلاله العروض في التعليل ٢٨٨ . بينه وبين أبي علي في ذلك ٢٨٩ . موقفه من الأئمة السابقين ٢٩٠ . شخصية الزجاج وظهورها ٢٩٢ . الزجاج وأصول العربية ٢٩٣ . تلخيص وإجمال ٢٩٣ .

الفصل الثالث : بين أبي بكر بن السراج وأبي علي في الاحتجاج ٢٩٥ — ٣٠٩

مكانة أبي بكر بين النحاة ٢٩٥ . اشتغال ابن السراج بالدراسات القرآنية ٢٩٦ . ثمة ابن السراج بتلميذه أبي علي ٢٩٦ . الأسباب التي دفعت ابن السراج إلى الاحتجاج ٢٩٧ . فنية ابن السراج في الاحتجاج وتعليل ذلك ٢٩٨ . نظره إلى سيوبه ٢٩٩ . المنطق وظهوره في احتجائه ٣٠٠ . تمويله على مسائل الأخص والكوفيين ٣٠٠ . رسم المصحف والاحتجاج به ٣٠١ . انصاف ابن السراج وسبقه في التحدث عن الاشتقاق ٣٠٢ . بين أبي علي وابن السراج في المنهج - تعليل وتمثيل ٣٠٤ .

الفصل الرابع : بين أبي علي الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج ٣١٠—٣٢٦
دوافع خاصة للاحتجاج ٣١٠ . ملاك ابن خالويه العام ٣١٢ بين الامامين
في الاحتجاج .

- (١) رسم المصحف ٣١٣ . (ب) المنطق والقياس ومداه ٣١٦ .
(ج) العروض واستقلاله في الاحتجاج ٣١٨ (د) الاصطلاحات ٣١٩
(هـ) الشواهد ٣١٩ . (و) نسبة القراءات ٣١٩ .
(ز) اللغويات ٣٢٠ . (ح) النظر إلى القرآن في الاحتجاج ٣٢٠
(ط) شخصية كل ٣٢٢ . (ي) الاحتجاج للأداء ٣٢٣ .
توافق وتخالف ٣٢٤ كلمة إنصاف ٣٢٦ .

الباب الرابع: أثر أبي علي في الاحتجاج للقراءات

الفصل الأوّل : تأثير ابن جني في المحتسب بأبي علي ٣٢٧—٣٨٢

اتصال ابن جني بالشيخ ٣٢٧ . آثار هذا الاتصال ٣٢٨ الأسباب
التي دعت ابن جني إلى تأليف المحتسب ٣٢٩ . مدى اشتغال ابن جني
بالدراسات القرآنية ٣٣٣ . تقديم المحتسب ٣٣٤ . منهج وتوثيق ٣٣٥
الملاك العام عند ابن جني في الاحتجاج للشواذ ٣٣٨ . تبويب وتدليل ٣٣٩
بينه وبين الشيخ في تحكيم القياس ٣٤٦ . مدى تأثير ابن جني بالشيخ ٣٤٧
استقلال العروض في الاحتجاج ٣٤٨ . المنطق وظهوره في المحتسب ٣٤٩ .
الاستشهاد بالقراءات ٣٥٣ . إلمامه ببعض مسائل البلاغة ٣٥٣ . تمثيل
وتعميق ٣٥٣ . التأثير السلبي بأبي علي ومظاهره ٣٦٣ . رسم المصحف
ومدى اعتماد ابن جني عليه ٣٦٥ . اتفاق ابن جني مع الشيخ في تقدير
سيبويه ٣٦٦ . ابن جني والفراء ٣٧٠ . وأحمد بن يحيى ٣٧١ . تحلى ابن جني
عن عصبينه البصرية في المحتسب ٣٧١ . بينه وبين شيخه في الاحتجاج
باللهجات ٣٧٢ . استشهاده بمقيل كثيراً وتعميل ذلك ٣٧٣ . موقف الرجلين
من ابن مجاهد ٣٧٥ . قواعد عامة : تبويب وتمثيل ٣٨٠ إجمال وتلخيص ٣٨٢

الفصل الثاني : مكي بن أبي طالب حموش القيسى ومدى تأثيره بأبي علي ٣٨٥—٣٩٠

عمل مكي في كل من البصرة والكشف ٣٨٥ . الكشف في جلته أنارة
من علم الشيخ ٣٨٥ . منهج الكشف ٣٨٦ . تأثيره بالحجة إيجاباً ٣٨٧
تأثره سلباً ٣٩٠ . شواهد كل وأمثله ٣٩٠ . النزعة الغالبة على أمره
في الاحتجاج ٣٩٠ .

الفصل الثالث : أبو عمرو الداني في الموضع ومدى تأثيره بأبي علي ٣٩٢—٤٢٦

تأليف الداني للموضع أثر من آثار أبي علي— منهجه فيه ٣٩٥ . عرض

صفحة

- واستشهاد - مظاهر تأثره بأبي على ٣٩٩ . مقابلات بين نصوص الموضح
ونصوص الحجية لإثبات هذا التأثير - روح القياس عند الداني السلفي ٤٠٠ . القول
بالأولى والأجدر ٤٠٢ . رموس الآي والاحتجاج لها ٤٠٩ . نص كامل
ينقله الداني بتصرف ساذج ٤٠٩ . مجانبه الداني للأمانة العلمية - السبب في
ذلك ٤١١ . هل جرى الداني وراء أبي على إلى أبعد الآماد ٤١٣ .
فروق بين الرجلين ٤١٣ . عرض واستشهاد ٤١٣ . تلخيص ٤٢٥ . دعوة ٤٢٦ .
تعقيب - بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس . ٤٢٧ - ٤٣٠
- مظاهر مدرسة الأثر ٤٢٧ . مظاهر مدرسة القياس ٤٢٧ . جدول
بالمحتجين ومدارسهم في ترتيب تاريخي ٤٢٩ . أبو على وأثره في تطوير القياس ٤٣٠

الباب الخامس : أبو على والنحو

الفصل الأول : (١) نشأة البحث النحوي وتطوره ٤٣١ - ٤٤٧

- اختلاف الناس فيمن وضع النحو حتى هذا الزمان ٤٣١ . اتفاهم على
أن أبا الأسود أعرب القرآن ٤٣١ . معنى ذلك عندي أنه هو الذي وضع النحو ٤٣١
التدليل على ذلك بطبيعة أبي الأسود التي طبع الله عليها ، ومهته التي نذب
إليها ٤٣٢ . هل نظر أبو الأسود في قسط المصحف إلى السريان ؟ مناقشة
وتدليل ٤٣٦ . المدرسة البصرية والكوفية وطابع كل ٤٤٠ . رأى في
المدرسة البغدادية ٤٤٦ .
- (ب) معالم النشاط النحوي منذ عهد أبي الأسود حتى أبي على ٤٤٧ - ٤٦٥
- النحاة رقباء على لحون القراء ٤٤٧ . جد لهم على التوجيه الإعرابي ٤٤٩
مؤلفاتهم ٤٥٠ . رصد تطورها من ورقات أبي الأسود إلى الإكمال
والجامع ٤٥١ . كتاب سيبويه لم يكن طفرة : تدليل ٤٥٤ . تحويلهم فتاوى
سيبويه إلى قواعد وقوانين ٤٥٧ . حلقاتهم منذ سمد الراية ٤٥٨ . تهذيب
وتوضيح واختصار ٤٥٨ . مناظراتهم ٤٥٩ . نشاطهم في النقد الأدبي
وتطوره ٤٦٠ .

الفصل الثاني : عرض لكتب أبي على في النحو ٤٦٦

- ترتيبها - جواهر النحو وسعي للحصول عليه - الرأي فيه ٤٦٦ .
أولا : المشكلة ، والبغداديات ٤٦٧ - ٤٧٥
- هل المشكلة غير البغداديات ؟ ٤٦٧ . تلخيص المشكلة ٤٦٩ . ترتيبها ٤٧٠
ملاكها العام ٤٧٢ . شخصية أبي على فيها ٤٧٢ . أولياتها ٤٧٣ .
اصطلاحاتها ٤٧٤ . نظرات بلاغية ، وأصول لغوية ، ونحوية ، وإعرابية ٤٧٤ .
استماعة البغدادى بالبغداديات ٤٧٤ . تعريف ٤٧٥ .

صفحة

- ثانياً: الاغفال أو المسائل المصلحة على الزواج ٤٧٦—٤٨٧
- من المصلح عليه؟ ٤٧٦ . ميلاد الاغفال ٤٧٧ . الطابع العام للاغفال ٤٧٨
مواقف أبي على من أبي اسحق ٤٧٩ . عرض نصوص واستنتاج ، نزعة
أبي على في الاغفال ٤٨٠ . عبارته ٤٨٣ . استطراده ٤٨٥ . مسائل
الاحتجاج في الاغفال ٤٨٦ . أصول لغوية ونحوية ٤٨٦ . اعلام يدل
الاغفال؟ ٤٨٧ . نسخة ٤٨٧ .
- ثالثاً: العسكرية ٤٨٨—٤٩٣
- أبوابها : عرض لها ٤٨٨ . شخصية أبي على فيها ٤٩٠ . مسائل
الخلاف والاحتجاج لها ٤٩١ . أصول عامة ٤٩٢ . توثيق العسكرية ٤٩٢
نسختها ٤٩٢ . مدى استماتة البغدادي بها ٤٩٣ .
- رابعاً: الصريات ٤٩٤—٤٩٨
- طابعها ٤٩٤ . لغوياتها ٤٩٥ . علم أبي على بمذاهب الكوفيين ٤٩٥
مهاجته الفراء فيها ٤٩٥ . تقية المبرد ٤٩٦ . شواهدا ٤٩٦ . احتجاجه
لمذهبه فيها ٤٩٧ . نزعة المنطقية ٤٩٨ . استماتة البغدادي بها ٤٩٨
ملاحظات على النسخة التي أملكها ٤٩٨ .
- خامساً: الحلييات ٤٩٩—٥١٣
- ميلادها ٤٩٩ . مسائلها وترتيبها ٤٩٩ . صلها بسيف الدولة ٥٠٠ .
شواهدا ٥٠١ . احتجاجه بالحديث فيها ٥٠٢ . طريقته في تناول الغريب ٥٠٢ .
ظهور ثقافته وعقيدته فيها ٥٠٣ . ومذهبه في رسم الحروف ٥٠٥ .
احتجاجه للمسائل اللغوية والصرفية ٥٠٦ . الكلمات الأجمية ٥٠٦ .
تصريفها واشتقاقها وترجمتها كتابه إلى سيف الدولة : عرض وتحليل ٥٠٧ .
نسخنا الحلييات ٥١٣ .
- سادساً: الإيضاح ٥١٤—٥٣٩
- أسماء الكتاب ٥١٤ . موقف عضد الدولة من ذلك الكتاب ٥١٥ .
متى ألف الإيضاح؟ ٥١٧ . مشتملاته ٥١٧ . ترتيبه وملاكه ٥١٨ . أسبقية
أبي على في ذلك ٥٢١ . مظاهر الإيضاح فيه ٥٢٢ . تحليل ظهور النطق
في باب الاستثناء وفي آخره ٥٢٤ . شواهد وتوزيعها ٥٢٦ . مصطلحاته
وأمثله ٥٣٠ . ظهور مذهب الشيخ فيه ٥٣٢ . ذبوع الإيضاح ٥٣٤ .
إلى متى ظل الناس يشتغلون بالإيضاح ٥٣٧ . قيمته وأثره ٥٣٩ . نسخته
وأما كتبها ٥٣٩ .
- (ب) التكلفة ٥٣٩—٥٤٧
- موضوعاتها ٥٤١ . موازنة بين عبارتها وعبارة الإيضاح ٥٤١ .
تحليل ٥٤٢ . نزعة أبي على البصرية فيها ٥٤٤ . خاتمة بدراسة مقارنة بين
الزجاج في سر النحو والفارسي في الإيضاح ٥٤٥ .

صفحة

- سابعاً : الشيرازيات ٥٤٧—٥٥٧
ترتيبها ٥٤٧ . ميلادها ٥٤٨ . ظهور شخصيات فيها ٥٤٨ . تأنيق
الشيخ ٥٥٠ . تطليل وتديل وتثليل ٥٥١ . عرض لخصائصها العامة ٥٥٢ .
نسختها ٥٥٦ . استعانة البغدادي بها ٥٥٧ .
- ثامناً : من كتاب الشعر : عرض عام وتعليق ٥٥٨—٥٦١
تاسعاً : أقسام الأخبار ٥٦٢—٥٦٩
ملاحظة على مسألة الأخبار ٥٦٣ . صحة نسبتها إلى أبي علي ٥٦٣ .
مايلها من المسائل منحول النسب إلى أبي علي ٥٦٤ . بيان وتديل ٥٦٤ .
عائراً : المنشورة ٥٧٠—٥٧٢
جمعها من كلام الشيخ بعد موته ٥٧٠ . ترابطها وتعليل هذا الترابط
مع تسميتها بالمشورة ٥٧٠ . إنجازها ٥٧١ . طابها العام ٥٧١ من أبو الطيب
الذي يرد ذكره فيها ٥٧٢ . مدى استعانة البغدادي بالمشورة ٥٧٢
- حادي عشر : أبو علي والتصريف ٥٧٣—٥٧٥
تاريخ اشتغاله بالتصريف ٥٧٣ . براعته فيه ٥٧٣ . مسالكه في وزن
الكلمة وبيان أصلها ٥٧٣ . ظهور أثر الشيخ عند ابن جنى في سر الصناعة
ومختصر التصريف ٥٧٥

الباب السادس : دراسات مقارنة بين

٥٧٦ أبي علي وأعلام النحاة من معاصريه

تقديم في أقسام الدولة إلى دويلات ، وأثره في سعي العلماء لنيل
الخطوة عند الأمراء ، وما خلف ذلك من تنافس ٥٧٦ ظهور نزعتين
نحو التنفي ٥٧٧ .

٥٧٩—٥٨٧ الفصل الأول : أبو علي والسيرافي

رأى أبي حيان في كل ٥٧٩ . ما اشتهر به أبو سعيد ٥٧٩ . شرحه
الكتاب ٥٨١ . علمه في كل فن ٥٨٣ . فلجه في المناظرة على من
بن يونس ٥٨٥ . خلفه ٥٨٦ . كلمة سواء ٥٨٧ .

٥٨٨—٦١٢ الفصل الثاني : أبو علي والرماني

تحقيق قولة أبي علي في نحو الرماني ٥٨٨ . تحريجها على غير مذهب
الناس ٥٩١ . كتاب الحروف للرماني دليل على ما ذهبت إليه من تخرج ٥٩٣
مقابلات بينه وبين نصوص أبي علي في حرفين (ما) ، (لا) ٥٩٧ .

٦١٣—٦٣٦ الفصل الثالث : أبو علي والزجاجي

قولة أبي علي في نحو الزجاجي ٦١٣ . الرجوع إلى آثار الزجاجي
لتحقق هذه القولة ٦١٤ . الزجاجي في اللامات ٦١٦ . وإيضاح علل

النحو ٦١٨ . ملاحظات على منطق الزجاجي في كتابه الايضاح ٦٢٦
شخصية الزجاجي في الايضاح ٦٢٧ . المجل الزجاجي وثناء الناس عليه
واشتغالهم به ٦٢٩ . تحليل ذلك ٦٣٠ . قواعد المجل الضابطة ٦٣٠
توثيقه الشواهد ٦٣٢ . تيسيره على التلمين ومظاهره ٦٣٢ . ماذا أغضب
الفارسي ٦٣٣ . كلمة انصاف للزجاجي ٦٣٦ .

الباب السابع : مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي

الفصل الاول : أثر أبي علي في أصول النحو - ابن جنى في الخصائص

وتأثره بأبي علي في ذلك
٦٤٨-٦٣٧
احتفال ابن جنى في الخصائص بأبي علي - مظاهر التفاعل بين ابن جنى
والشيخ - تقسيمها الى أنواع ثلاث - دلالات واضحة على تأثير ابن جنى بأبي
علي في الأصول ٦٤٣ . إثبات ذلك بالمقابلات بين نصوص الشيخ ونصوص
التلميذ - ابن جنى ينجح كشيخه بالحديث الشريف ٦٤٣ . اصطناعه أساليب
الشيخ في البرهان والتعليل ٦٤٣ . تهديره الشيوخ الذين يقدرهم الأستاذ ٦٤٤
مظاهر التخالف ٦٤٥ .

الفصل الثاني : أثر أبي علي في فروع النحو - تأثر ابن الشجري

في أماليه بأبي علي
٦٥٨-٦٤٩
ابن الشجري موصول النسب العلمي بأبي علي ٦٤٩ . تقدير ابن الشجري
للشيخ ٦٤٩ . مظاهر التأثير ٦٤٩ . قوله عن الشيخ ٦٥٠ . اعتذاره له
من اغفاله وجوها اعرابية ٦٥٠ . تناوله للثمن اللغوي بالتفسير ٦٥١
سلوكه مسلك الشيخ في التعليل والتدليل ٦٥١ . توجيهه الاعرابي لقراءات
القراء ٦٥٣ . أماته العلية وتحريه ٦٥٣ . تفسير القرآن بالقرآن ٦٥٣
إيضاح وتمقيب ٦٥٦ .

الفصل الثالث : أثر أبي علي في الاحتجاج لسائل الخلاف ومداه-

تأثر أبي البركات الأنباري في الإنصاف بأبي علي
٦٦٧-٦٥٩
أسباب إقامة الدرس حول أبي البركات في الإنصاف ٦٥٩ . مظاهر
ثلاث تهدي إليها المقابلة بين نصوص أبي علي ونصوص أبي البركات ٦٦٠
نصوص ينقلها أبو البركات من كتب أبي علي من غير تصرف كبير ٦٦٢
تلخيص ما بين الرجلين من تخالف ٦٦٥ .

الفصل الرابع : أثر أبي علي في الإعراب - تأثر أبي البقاء

المكبري بخاصة في إعراب القرآن بأبي علي
٦٧٤-٦٦٨
أوليات في توجيه الإعرابي منسوبة إلى أبي علي ينقلها المكبري ٦٦٩

صفحة

تحكم عقيدة الفارسي في التوجيه الإعرابي وظهر ذلك عند المرين
بعده ٦٧١ . إشارة إلى مقابلات بين إعراب أبي علي والنحاة من بعده تثبت
تأثرهم به ٦٧٢ . ظهور أثر أبي علي عند المفسرين في إعراب القرآن ٦٧٣

٦٩٠—٦٧٥	مقترحات
٦٩٢—٦٩١	مقالة التاريخ الهجري بالملادى
٧١٠—٦٩٣	مصادر الرسالة ومراجعتها
٧١٩—٧١١	فهرس الكتاب
٧٢٠	فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

ملحوظة : — هذا الفهرس مرتب هجائياً على حسب العلم الأشهر : كنية أو لقباً أو اسماً . ولم يعتبر «أبو» و«ابن» و«أل» في هذا الترتيب .

أحمد بن منير الاسكندري : ٢٤٣
 أحمد بن نصر : ٦٠
 أحمد بن يحيى ثعلب = ثعلب
 ابن الأختاد : ٥٨٥، ٦٢
 الأخطل : ٤٩٧-٣٦٠-٣٤٠، ٢١٠
 الأخفش أبو الحسن (سعيد بن مسعدة) : ٢٥٠
 ٢١٨، ٢١١، ٩٤، ٨٢، ٣١، ٢٦
 ٢٩٠، ٢٧٩، ٢٧٥، ٢٣٩، ٢٢١
 ٣٨٨، ٢٢٥، ٣٠٤، ٣٠٠
 ٤٦٤، ٤٦٣، ٤٥٧، ٤٤٣، ٣٨٩
 ٥٠٤، ٥٠١، ٤٩٧، ٤٨٩، ٤٧٣
 ٥٧٣، ٥٦٦، ٥٥٢، ٥٢٣، ٥١٥
 ٦٧٨، ٦٣٤
 أرسطاطاليس : ٥٩٠، ٥٨٩، ٥٨٦
 إسحق ابن إبراهيم : ٨٢
 أو إسحق إبراهيم بن السري = الزجاج
 أبو إسحق إبراهيم بن علي الفارسي : ٥٩
 ٥٥٦، ٤٨٩، ٤٨٥، ٤٨٣، ٤٨١، ٧٥
 إسحق إسماعيل بن إسحق : ٢٩٠
 أبو إسحق البصري : ٢٨٤
 إسحق بن راهويه : ٥٨٠-٥٨٩
 أبو إسحق الشيرازي : ٣٢
 أبو إسحاق الصابي : ٤١، ٤٤
 اسطاث : ٥٨٩
 إسماعيل بن إسحق : ٢٧١
 إسماعيل بن جعفر : ٢٩٣
 إسماعيل بن سبكتكين : ٧٧
 إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : ٤١

(١)
 إبراهيم انيس : ٤١٦، ٤١٧، ٥٢٩
 إبراهيم سلامة : ١١١
 إبراهيم السلمي : ٤١١، ٣٦٧
 إبراهيم بن علي الفارسي : ١١٣
 ابراهم مصطفي : ٤٣١
 ابراهيم بن المهدي : ٨٢
 أبي بن كعب : ٣٤٠، ٢٤٧، ٦٣، ٢٧، ١٩
 ٤٣١، ٣٨٧
 أحمد بن ابراهيم بن أيوب : ٥٦
 أحمد أمين : ٣٠٢، ٢٣١، ٢٢٩، ٢٢٨، ٥٥٥
 ٦٨٢، ٦٨٠، ٦٧٦، ٤٣١، ٣٠٣
 أحمد بن محمد بن هشام اللبلي : ١٥، ١٣٠، ٢٢٥
 ٥٣٧، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٧٥، ١٦٧
 أحمد تيمور : ٤٨٧، ٣٧٢، ٢٥٣، ١٤٩
 ٥٣٩، ٥٣٥
 أحمد الجلاب : ٥١٦
 أحمد بن الحسين : ٥٣٧
 أحمد بن سابور : ٥٥٦، ٥٥٩
 أحمد الطبراني : ٣٥٨
 أبو أحمد الفرضي : ٣٣٠
 أحمد بن محمد الإشبيلي : ٥٣٨
 أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي : ١٣٦-١٤٣
 أحمد بن محمد العروضي : ٩٤
 أحمد بن محمد الغنيمي الخزرجي : ٤٧٥
 أحمد بن محمد القاسم : ٥٦
 أحمد بن مسعود أبو العباس : ٢٩٥
 أحمد معز الدولة : ٣٩

الضاري : ٤٤٩
البديبي : ٥٧٨
برجستاسر : ٣١١
بروكلان : ٥٦١، ٥٤٠، ٤٦٩، ٤٦٦
أبو بريدة الوضاحي : ٢٦٨، ٢٦٧
البيستاني : ٥٧
بشار بن برد : ٤٦٤، ٤٦٣
بشر بن زين الدين الطيمي الشامي : ٤٧٥
بشر فارس : ٢٣٥
بشر المريسي : ٣٢
بشر بن موسى : ٤١٥
ابن أبي بمره : ٤٥٠
البنديدي (عبد القادر) : ٤٨٧، ٤٧٤
٥٧٢، ٥٢٩
بكار بن فليس : ٣٢
أبو بكر الأذقوي : ٣٣٣
بكر بن حبيب : ٤٦٠
أبو بكر الرازي : ٧١
أبو بكر الصجستاني : ٦٧٩
أبو بكر بن شقير : ٣١-٥٧٣
أبو بكر الصديق (عبد الله بن أبي قحافة) :
٢٧، ٢٢، ١٩، ١٨
بهاء الدولة : ٣٩، ٣٣١
أبو البيداء الرياحي : ٤٤٢
(ت)
تاج الدين زيد بن الحسن الكندي : ٥٦٢
أبو تمام : ٥٣٠، ٥٢٩، ٤٦٤
التنوخني (أبو القاسم) : ١٣٢
توزون : ٣٨
التوزي : ٥٠١
تيمعة بن موسى بن القرات الوشاء : ٥٩
(ث)
ثابت بن حيان : ٢٦
أبو ثروان : ٢٦١
الثعالي : ٤١، ٧٢، ٤٣٩

إسماعيل بن عليه : ٥٨١
إسماعيل بن القاسم البغدادي : ٥٦
إسماعيل بن كثير القرشي : ١٩
إسماعيل بن محمد : ٩٥
أبو الأسود الدؤلي : ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢١١،
٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦،
٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٧،
٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٤
الأسود بن يعفر : ٦٥٢
الاشتانداني : ٩٣
الاصطخري : ٦١
الأصمعي : ٢٥، ٨١، ٩٣، ١٢٣، ١٢٦،
٢١١، ٢٢٨، ٢٧٠، ٢٨٧، ٣٠٣،
٣٢٠، ٥٠١، ٥٣٠
ابن الأعرابي : ٩٤، ٢٠١، ٢٢٨، ٣٥٨،
٣٦٠، ٤٩٧
الأعرج : ٣٠٥، ٣٩٩، ٣٣٦
الأعشى : ٢١٠، ٢١٢، ٢٨٧، ٣٤٢،
٣٦٣، ٣٩٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤٦٣،
٥٠١، ٥٢٨، ٥٤٧، ٥٥٨، ٦٥٢
الأعلم الششمري : ١٤٦
الأعمش : ٣٠٦، ٣٤٧
الأوسى : ٤٨٩
امرؤ القيس : ٤٦٣، ٤٩٧، ٥٢٩، ٦٤٠،
الأميين : ٣٥
أمية بن أبي الصلت : ٦٥٢
ابن الأنباري : ٢٩٨، ٣١١، ٤٢٥،
٥٣٣، ٥٢٨، ٥٧٨، ٥٨٨، ٦١٣،
٦١٤، ٦١٥، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٤٩،
٦٥٦، ٦٦٧، ٦٨٨
أنس : ٣٤١، ٣٤٦، ٣٨٧
أوس : ٥٠١، ٥٠٢
(ب)
بابك الحزري : ٣٥
البحري : ٣٥٨، ٣٨٢

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
 (٣٢٧ - ٣٩٠) ، ٤٠٠ ، ٤١١ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ،
 ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٥٣٥ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ ،
 ٥٦٩ ، (٥٧٤ - ٥٧٨) ، ٥٨١ ،
 ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٤١ ،
 ٦٤٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٨ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ .

الجوهري (إسماعيل بن حماد) : ١٣٤ ، ٦٥ ،
 ٢٢٨ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

ابن الجهمي : ٤٧٠

الجواليقي (أبو منصور) : ٩٨

ابن الجواليقي : ٥٣٩

ابن الجوزي : ٢٤٢

(ح)

أبو حاتم السجستاني : ٢٥ ، ٨٢ ، ١٢٢ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،
 ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٤١٨ ، ٤٥٠ ، ٥٦٥ .

ابن الحاجب : ٥٣٨

حاجي خليفة : ٤١٨

الحجاج بن يوسف : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٤٧ ،
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٤٤ ، ٥٠١ .

ابن حجر : ١٨

حذيفة بن اليمان : ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٦١ .

الحرث بن الليث : ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٤٠٤ .

الحرث بن قيس : ٢١ .

حسان : ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٩١ .

الحسن : ٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٧ .

الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ : ٥٣٧ .

الحسن بن أحمد الفارسي : ٥٥٩ ، ٥٥٦ .

أبو الحسن الأشعري : ٢٩ ،

الحسن البصري : ٢٣ ، ٣٠ ، ٢٦١ .

أحمد بن يحيى (أحمد بن يحيى) : ٢٥ ، ٩٤ ، ١٠٧ ،
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٤٤٠ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٠ ،
 ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٥٨ ،
 ٦٣٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٠ .

ثمامة بن أشرس : ٣١

(ج)

جابر بن زيد : ٢١

أبو الجاموس (ثور بن يزيد) : ٤٤٢

الجاحظ : ٨٨

جبريل : ١٨ ، ٢٢

ابن جبير : ٣٨٧

الجرى : ٣١ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ٤٥٨ ،
 ٤٦٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٦ ، ٥٢٨ ،

٥٣٣ ، ٦٣٢ ، ٦٥٧ .

ابن جرو الأسدي عبدالله بن محمد (أبو القاسم) :

٨٩ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

جرير : ٤٩٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٦٠٩ ،

ابن الجزري : ١٩ ، ٦٥ ، ١٥٦ ، ٢٩٥ ،

٥٦٨ ، ٦٨٣ .

أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس : ٢٧٦

٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٥٤٦ .

أبو جعفر البصير الموصلي : ٢٤ ، ٢٦٥ ،

أبو جعفر الرواسي : ٤٤٠

أبو جعفر السكرخي : ٣٧

أبو جعفر محمد بن رستم الطبري : ٣٢٨

جعفر بن محمد الموصلي : ٩٦ ، ٣٢٧

أبو جعفر محمد بن علي بن الحجاج : ٣٣٠ ،

٣٦٧ .

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين : ٢٦١

أبو جعفر يزيد بن الققاع : ١٠

ابن جنبي : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٣ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

ابن حوقل : ٦١
أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف
أثير الدين) : ١٧ ، ٢٣ ، ١٦٦ ، ١٤٤٣ ،
٤٢٩ ، ٤٧٧ ، (٦٧٢ - ٦٧٤)
أبو حيان التوحيدي : ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٠ ،
٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ٣٢٤ ، (٥٧٦ - ٥٨٤)
٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٦١٩ ، ٦٢٠
حيان بن هلال : ٣٢

(خ)

خارجة بن زيد : ٤١٥ ، ٤١٨
خالد الحذاء : ٤٤٧
خالد بن الوليد : ٤٥٤ ، ٤١٨
الخالدي : ٥٨٠ ، ٤٦٣
ابن خالويه : ١٣ ، ١٤ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٥٩ ،
٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ،
(٣١٠ - ٣٢٦) ، ٤١٣ ، ٤٢٩ ،
(٥٧٦ - ٥٧٨) ، (٥٠٧ - ٥١٣) ،
٦٢٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ،
ابن الحياز : ٥٣٧
الحذب : ٦٧٩
ابن خروف : ٢٤٩ ، ٦٧٩
خسرو : ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٤٧٧
الحصيب الفارسي النحوي : ٥٩
أبو الخطاب الأخفش : ٤٥٦
الخطيب البغدادي : ٥٨٠
ابن خلدون : ٥٣٥
خلف بن إبراهيم الخاقان : ٣٩٣
ابن خلكان : ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٤٦٨ ، ٥٢٩ ،
٥١٤ ، ٦٣١
خليفة بن سمد : ٢١
أبو خليفة الفضل بن حباب : ٣٦٧
الخليل بن أحمد : ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ،
٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ،
٣٧٤ ، ٤١٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، (٤٥٣ -

الحسن بن بويه : ٣٨
الحسن بن أبي الحسين البغدادي الفارسي : ١٠٤
أبو الحسن الرازي الصوفي : ٧٠
حسن ركن الدولة : ٣٩
أبو الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي :
٤٢٨ ، ٤٧٠ ،
أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحوي :
٥٣٥

حسن عون : ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩

الحسن بن المبارك : ٣٢٠
أبو الحسن محمد المغربي : ٥٧٧
الحسين : ٥٦
أبو الحسين الفارسي : ٥٣٤
الحسين بن محمد (أبو الملاء) : ٤٤
الحسين بن محمد بن جعفر النحوي : ١٣٧
أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث
النحوي : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧

الخطيئة : ٥٤٧

أبو حفص : ٤٩

حفصة : ١٩

الحكم بن عبد الله الزهري : ٩٥

الخلواني : ٣٤٩ ، ٣٧٨

حماد بن سلمة : ٢٦٩ ، ٣٣٤

حمزة بن حبيب الزيات : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٩٩

١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٦

٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣١٢

٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٩٠

٤٠٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٦٤٦

حمزة بن الحسن الأصبهاني : ٢٧٤

حميد بن ثور : ٥٠١

حميد بن قيس الأعرج : ٢١

أبو حنيفة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٠١

١٠٢ ، ٥٣٢ ، ٦٧٧

٥٦٩، ٥٦٢، ٥٣٧، ٥٣٤، ٥١٦
٦٥٥، ٦٤٩، ٦١٤، ٥٩٦، ٥٧٦
ابن أبي الربيع الأموي : ٥٣٩
أبو رجاء : ٥٨١، ٣٨٧
ابن رشيد : ٦٣

الريقات (عبد الله بن قيس) : ٣٦١
الزمانى (على بن عيسى) : ١٤، ٦٤
٢٩٦، ٢٤٥، ٢٤٠، ١٣٧، ١٣١
٥٨٧، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٦
(٥٩٧) ٦١١، ٦١٠، ٦٠٨، ٦٠٦
٦٨٧، ٦١٢
ابن الرومى : ٣٢٨
الرياشى : ٣٩٧

(ز)

الزييدى (أبو بكر محمد بن الحسن) :
٥٨ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٢٩٥ ، ٤٤٦
٦٣٩، ٥٨٧، ٥٥٨، ٤٤٥، ٤٤١، ٤٤٨

ابن الزبير : ٣٧٥
الزجاج : ١١٨، ١٠٧، ٩٨، ٩٢، ٩١، ١٥، ١٣
١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١٩
١٥٢ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ١٥٢
٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧
٢٢٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٢٣
٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، (٢٩٠ -
٢٩٤) ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٣٧ ،
٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، (٤٧٦ - ٤٨٠)
٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٥٣٣ ،
٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٥٨ ، ٦١٥ ،
٦٢٠ ، ٦٥٧ ، ٦٧٧ ، ٦٨١ ، ٦٨٤

الزجاجى : ١٤، ١٣، ١٤، ٤٤، ٥٢، ٥٧٩
٦١٣ ، (٦٢٠ - ٦١٦) ، ٦٢٣ ،
(٦٢٧ - ٦٣٦) ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٧ ،
٦٨٨

زر بن حبيش : ٢١، ٢٥٦

(٤٥٦) ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ ،
(٤٧٨-٤٨١) ، ٤٨٤ ، ٤٩٤ ، ٥٠١ ،
٥٣٥ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٥٨٩ ، ٦١٢ ،
الخنساء : ٥٥٢، ٢١٠

ابن الجياط (محمد بن أحمد بن منصور) : ٥٠ ،
٦٤ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ،
١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ٦٧٧ ،
ابن خيرون (أبو عبد الله محمد بن محمد) : ٤٢١

(د)

الدانى (أبو عمرو) : ١٣، ١٤، ٢٣، ٢٤٥ ،
(٣٩١-٤٢٦) ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٨٣ ،
٦٨٩

أبو داود السجستاني : ١٧، ١٩
أبو الدرداء : ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٧، ٣٨، ٩٩
ابن درستورية (عبد الله بن جعفر) : ٢٥ ،
٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٥٨ ، ١٥٢ ، ٤٤٦ ،
ابن دريد (محمد بن الحسن) : ٩٤ ، ٦٣ ،
٩١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢٧٦ ، ٤٤٥ ، ٤٩٨ ،
الدمهورى : ٢٤٠
ابن الدهان : ٥٣٧، ٥٧٧
أبو دواد : ٥٥٢
الديلمى : ٦٥، ٦٨، ١٦٦
دى بور : ٤٤٢

(ذ)

ذو الرمة : ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤

(ر)

رؤبة (ابن العجاج) : ٣١٠، ٥٠٢، ٥٠٩
٦٠٩
ابن رائق : ٢٧، ٣٨
الرازى : ٢٤٤
الراضى : ٢٧، ٣٨
الراعى : ٢١٠، ٤٩٧، ٥٢٩
الربى (على بن عيسى) : ١٤، ٦٩، ٧٠، ١٣٢ ،
١٣٧ ، ٣٩٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢

٢٦٩، ٢٧٦، (٢٩٦—٣١٠)،
 ٣٢٨، ٣٦٧، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٧،
 ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٦،
 ٤١٧، ٤٣٠، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٩،
 ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٨٩، ٥٠١، ٥٠٨،
 ٥١٦، ٥٢٣، ٥٨٣، ٥٨٧

سعد الراية : ٤٥٩

أبو سميد البصرى الحارثى : ٣٢٠

سميد بن جبير : ٣٠٣

أبو سميد الخذرى : ١٧

سفيان الثورى : ٢٤٣

السكرى : ٨١، ٢١١

ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب) : ١٢٦ .

ابن سلام : ٣٦٧، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٦١

سلمان الفارسى : ٢٧

أم سلمة : ٣٨٧

أبو سلمة الخلال : ٣٥

سلمة بن عاصم : ٢٥٧

سليمان الأعمش : ٢١

سليمان بن عينه : ٢٦٠

أبو سليمان الأنطى : ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٩

٥٩٠

سليمان بن يسار : ٢١

سما الدولة : ٣٩

السمانى : ٥٧

سهل (أبو عمرو) : ٣٢٠، ٤١٤

ابن سيد : ٥٨، ٤٩٥، ٥٧٤

السيرافى (أبو سميد) : ٤٤، ٥٦، ٦٩، ٨٢،

١١٦، ١٢٧، ١٣١، ١٤١، ٢٣٤،

٥٠٨، ٥٢٧، (٥٧٦—٥٨٧)،

٥٩٠، ٥٩١ .

ابن سيرين : ٣٦٤، ٣٨٧، ٤٤٩

سيف الدولة : ٤٤، ٤٧، ٦٥، ٦٦،

٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٨، ١١٢،

١١٤، ٤٧٧، ٤٥٣، ٦٨٤، ٦٨٥،

سيف ذى بزن : ٣٤١

أبو زرعة بن عمرو بن جرير : ٢١

أبو زكريا : ٥٨٩

الزخفرى : ٢٤٣، ٥٢١، ٥٣٩، ٦٧٢،

٦٧٤ .

الزهرى : ٦٣، ٣٨٧، ٥٨٥

زهير : ٦٣، ٢٠٩، ٤٦٣، ٥١١

زهير الفرقى : ٢٦١

زيد ابن أبيه : ٢٢، ٤٣٢

أبو زيد (سميد بن أوس) : ٢٦، ٥٩،

٧٥، ٩٢، ١٠٠، ١٢٧، ١٢٨،

١٣١، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٤٢،

٢٧٧، ٣٢٠، ٣٤٧، ٣٧٩، ٤٤٣،

٤٥٤، ٤٥٦، (٤٦٨—٤٧١)،

٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٣،

٥٢٨، ٥٣٣، ٥٥٦، ٥٨٤، ٦٥١،

٦٨٠، ٦٧٨

زيد بن أسلم : ٢١

زيد بن الحسن بن زيد الكندى : ٢٥٥

زيد بن ثابت : ١٩، ٢٠، ٢٧، ٤١٥،

أبو زيد خالد بن محمد : ٦٢

زيد بن على الفارسى : ٧٣، ٧٤

زيد بن على أبو القاسم : ٤١

(س)

السائب بن يزيد : ٥٦

سبط الحياط البغدادى : ٤٢٩

سبكرى (غلام عمرو بن الليث) : ٦١، ٦٢

السخاوى (علم الدين) : ٢٤٦، ٢٥٥،

٤٢٩، ٤٣٠

السجستانى : (أبو بكر) : ٦٩٧ .

السدى : ٩٢

ابن السراج (محمد بن السرى) : ١٣، ٢٢،

٢٥، ٣٢، ٦٤، ٨٢، ٩١، ٩٣،

٩٤، ١٠٧، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢،

١٢٥، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢،

١٥٤، ١٥٨، ٢١١، ٢١٦، ٢٦٨،

الفريرف الرضى : ٧٦ ، ٨٨ ، ١٣٨ ،
١٤٣ ، ٦٧٦ .
شميب بن حرب : ٢٤٢
ابن شقير : ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٦٠٨
الغياخ : ٥٢٩ ، ٦٠٩
أبو شمير : ٢١١
شمس الدين الذهبي : ١٨
ابن شنبوذ : ٤٢ ، ٥٠ ، ١٢٤ ، ٢٢٩ ،
٣٧٦ ، ٣٣٠
الشفري : ٤٩٧
الشتيطي : ٥١٣
ابن شبهه الأسدي : ٥٧ ، ٥١٥
شبية بن نصاح : ٢١

(س)
الصاحب بن عباد : (٤٢ - ٤٤) ، ٥٩ ،
٧٢ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١١٦ ، ١٣٨ ،
١٣٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٦ ، ٥٧٩ .
صاعد بن الحسن بن عيسى الربي : ١٣٦
صلاح الدين المنجد : ٤٦٦
أبو الصلت (عبد الله بن أبي ربيعة) : ٥٤٧
صمصام الدولة البويهي : ٥٨٢

(ض)
ابن الضائع (محمد بن علي الكناني) : ١٧ ،
٥٣٨
ضرار : ٤١٧
ضيقم الأسدي : ٦٤٦

(ط)
الطائفة العباسية : ٧٠ ، ٧١
أبو طالب المدي : ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٨٤ ، ٦٥٤ .
أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢١٠
أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأندلسي : ٢٥٢
طاهر بن عمرو بن الليث : ٦١ ، ٦٢
طاهر بن غليون : ١٥ ، ٢٥٥ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢

السيوطي (جلال الدين) : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ،
٢٦ ، ١٠٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٦٩ ،
٤٣٥ ، ٤٥١ ، ٤٦٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٦ ،
٥٦٨ ، ٥٨٩ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٣٢ ،
سيويه : ٢ ، ٦ ، ١٧ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ،
٥٦ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٤ ،
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٤ ،
(١٢٧ - ١٣٢) ، ١٤٣ ، ١٥٥ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
(٢٣٠ - ٢٣٤) ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ،
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ،
٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،
٣٠٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩) ،
٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ،
٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ،
٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٩ ،
٤٥٠ ، ٤٥٤ - ٤٥٧) ، ٤٥٩ ،
٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
٤٧٤ ، ٤٧٨ - ٤٨٣) ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ،
٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ - ٥١٠) ،
٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٧٤ ،
٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ،
٦٢١ ، ٦٢٢ - ٦٣٦) ، ٦٢٥ ،
٦٥١ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٧٥ ،
(٦٧٨ - ٦٨٠) ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ،
٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٩
الشاطبي : ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٦٣٠
ابن شاذان الكندي : ٧١
أبو شامة : ٣٩٣ ، ٤٠٠
شبية بن نصار : ٣٠٥ ، ٣٢٩ ، ٣٧٨ ،
أبو شجاع : ٧٥
ابن الشجري : ١٤ ، ١٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،
٣٨٢ ، ٦١٤ ، ٦٨٨
الفريرف أبو البركات (عمر بن إبراهيم
الكوفي) : ٧٣

التوكل : ٣٦

متى بن يونس : (٥٨٤ - ٥٨٧) ٦٨٧
ابن مجاهد (أحمد بن موسى) : ١٣ ، ٢٢ ،
٩١ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٧ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
(٢٥٠ - ٢٥٨) ، (٢٦٠ -)
٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ،
٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ،
٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، (٣٤٩ - ٣٥٣) ،
٣٦٧ ، ٣٧٠ ، (٣٧٥ - ٣٧٩) ،
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٦ ،
٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،
٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩

مجد الدولة : ٣٩

أبو المحاسن الميمى : ٥٧
محمد بن أبان القرطبي : ٥٩
محمد بن أحمد بن عمر الحلال (أبو الغنائم) :
١٣٣

محمد بن أحمد بن يونس : ٥٨ ، ٥٨٤
محمد بن جعفر : ٤٢ ، ٦٢
محمد بن الجهم : ٢٥٧ ، ٢٦٠
محمد بن الحسن : ٦٣٩
محمد بن الحسن (صاحب أبي حنيفة) :
٣٣ ، ١٠٤

محمد بن الحسن الهاتمي : ١٤٣
محمد بن حيان التميمي البستي : ٤٢
محمد بن الحشاش : ٥٨١
محمد الحضرمي حسين : ٢٢٤ ، ٥٢٩
محمد رشاد عبد المطلب : ١٤ ، ٢٥٦
محمد بن السري = ابن السراج
محمد بن سليمان : ١٥٥
محمد بن شريح الرضيني : ٢٥٣
محمد بن طويس القصري : ٨٠ ، ١٤٩
محمد بن عبد الجبار المقي : ٤٥
محمد بن عبد الله بن طاهر : ٤٤٠ ، ٤٤٤

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤٢ -
(٤٤٤) ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ،
٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٩٥
الكيميت : ٢١٠ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ،
الكندي : ٥٨٦ ، ٥٨٩
ابن كيسان (محمد بن أحمد) : ٢٩٠ ،
٤٤٧ ، ٦٢٨

(ل)

ليد : ٢٠٩ ، ٤٩٧
الليث بن علي بن الليث : ٦٢

(م)

المأمون : ٣٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧
المؤيد عماد الدين بن إسماعيل : ٦١
الملازني (أبو عثمان) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٤ ،
١١٩ ، ١٢٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٨ ،
٤١١ ، ٤٢٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ،
٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٧٣ ، ٦٥٧
مالك بن أنس : ٢٩
ابن مالك : ٥٣٩

المبرد (محمد بن يزيد) : ٣١ ، ٩٤٠ ،
١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٥٨ ،
٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ،
٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ، (٤٤٠ - ٤٤٢) ،
٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ،
٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧٣ ،
٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ،
٥١٩ ، ٥٣٣ ، ٥٤٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،
٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ ،
٦٦٦ ، ٦٨٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥

مبرمان (محمد بن علي بن إسماعيل السكري) :
٥٧٤ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ٥٨٣

المتقي لله : ٣٨
المنفي : ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٩ ، (٦٦ - ٦٩) ،
٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٥٤٧ ،
(٥٧٦ - ٥٧٩) ، ٦٤٨ ، ٦٥٠

ابن مقسم المطار (محمد بن الحسن) : ٢٥ ،
٣٤٥٠، ٣٣٠، ٣٢٩، ٢٤٨، ١٥٨
٣٧٥، ٣٧١، ٣٤٦

ابن المقفع : ٣٠، ٤٤٤

ابن مقلة : ٣٧، ٥٠، ٣٢٩

المكتفي بالله : ٣٧

مكي بن أبي طالب : ١٣، ١٥٩، ٢٤٥ ،
٢٥١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٩ (٣٩١-)

(٤٢٨ - ٤٣٠) ، ٦٨٢، ٦٨٣

المتصر : ٣٦

ابن منظور : ٢٢٨

أبو موسى الأشعري : ١٩، ٢٠، ٢٧، ٢٨

ميسون بنت مجدل السكلية : ٣٥٠

(ن)

النايفة الحمدي : ٥٠١، ٥١١

النايفة الديباني : ٨١، ٩٠، ٩٩، ١٠٠

(٢٠٩-٢١١) ، ٤٠٩، ٤٦٣، ٥٢٩

٦٥٣، ٦٤١، ٦٠٩

نافع بن أبي نعيم : ٢١، ٢٢، ٢٩٩

٣١٢، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٨٩، ٣٩٣

٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٤

٤٢٦، ٤٢٨

ابن نباته : ٢٠٩

أبو النجم : ٢٦٦، ٣٧٢

نجيم الدين الطوق : ٣٢

ابن النديم : ٢٦٧، ٢٨١، ٣٣٠، ٤٤٦

٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٧٦، ٥١٤

٥٨٣، ٥٨٩

نصر بن أحمد الساماني : ٣٨

نصر بن عاصم الفيل : ١٦، ١٧، ٤٠٠

٤٤٧، ٤٤٨، (٤٥١ - ٤٥٣)

أبو نصر بن نباته : ٤٣

نصير بن يوسف : ٣٢٦، ٤٠٠، ٤٠١

٤٠٣

النضر بن شميل : ٤٢١

محمد بن عبد الواحد أبو الحسن : ١٣٢

محمد بن عبد الواحد بن زوج الحرّة : ١٣٢

محمد بن عثمان بن بلبل : ١٣٥، ٢٥٠

٤٩٣

محمد بن عيسى المطار : ٧٢

محمد بن أبي الفوارس : ٥٨

محمد بن القاسم بن أحمد الأندلسي : ١٠٨

محمد بن محمد بن عيسى (الحيثي) : ١٣٧

محمد بن عيسى : ٢١

أبو محمد المصري النحوي : ٢٢٥

محمد النجار : ١٠٥

محمد بن هبة الله الشيرازي (أبو نصر) : ٥٤٩

محمد بن يحيى اليزيدي الدلوي : ٤٦

محمد بن يحيى الصولي : ٤٠

أبو محمد اليزيدي : ٢١٩، ٤٦٠، ٤٦٠، ١٥٦

٣١٩، ٤٤٤٣، ٤٦٠

مروان بن الحكم : ٣٠٦

المستكفي : ٣٨

ابن مسكويه : ٥٦، ٧٠

مسلم بن جندب : ٢١

أبو سلم الخراساني : ٣٥

مسيلة الكذاب : ١٨

مصطفى صادق الرافعي : ٤٣١

ابن مضاء الأندلسي : ٥٧٥

الطبيع لله : ٣٨

معاذ بن جبل : ٢٧، ٢٨، ٣٨٧

معاذ بن الحرث : ٢١

معاذ الهراء : ٥٦

مقل بن يسار : ٥٦

المتصم : ٣٥، ٣٦، ٧٦

المتضن : ٦١

الفضل الضبي : ١٢٣، ٢٦١

ابن مقبل : ٤٩٧، ٥٠١، ٥٥٥

المقتدر : ٣٧، ٦١

المقدسي البشاري : ٧٥، ٧٩، ٩٠، ٩٥

٩٦، ٢٤٣، ٣٢٧، ٤١٢، ٤٢١

٦٤٣ ، ٥٨٩ ، ٥٧٧ ، ٥٤٩ ، ٥١٦
٦٨٤
يحيى بن أكرم : ١٥٦
يحيى بن الحرث : ٣٧٨ ، ٣٦٥ ، ٣٤٤
يحيى بن الحرث الزمارى : ٢١
يحيى بن طباطبا العلوى : ٦٤٩ ، ٦١٤
٦٥٥
يحيى بن عدى : ٥٨٩
ابن يحيى العلوى : ٦٣
يحيى بن على بن يحيى النجم : ٢٧٤
يحيى بن المبارك : ٢١٨
يحيى بن معين : ٤١٦
يحيى بن وثاب : ٢٨٧ ، ٢٦١
يحيى بن يعمر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨٧ ، ٤٤٠
(٤٤٨ - ٤٥٢)
يزيد البربرى : ٣٥٤
يزيد بن الحكم : ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٧
يزيد بن على : ٦٤٦
ابن يسمون (يوسف بن يسمي) : ٣٥٦
يعقوب الحضرمى : ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٤١
أبو اليمن الكندى : ٢٥٥ ، ٥٣٧
أبو يوسف : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٠٢ ،
٥٣٢ ، ٥٠٥
يوسف بن معزوز القيسى : ٥٣٨
يونس بن حبيب : ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠
٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، (١٥٤ - ٤٥٦)
٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٩٦ ، ٥٩١

نقلويه : ٢١٨
النمر بن تواب : ٤٩٧
أبو نواس : ٢٩٤ ، ٦٢٩

(ه)

٥٨٨ : HART
أبو هانم الجبائى : ١٢٣ ، ١٢٤
٤٦٦ : HAWEL
هبة الله بن الشجرى : ٥٣٧
هرون بن حاتم : ٣٤٥
هرون الرشيد : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٦٠
هرون بن موسى الأعور : ١٥٧ ، ١٥٥ ،
٤٥٤ ، ١٦٠
ابن هرمة : ٥٠١
أبو هريرة : ٣٨٧
ابن هشام : ٨٠ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٥٧ ،
٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٨٦
أبو هشام : ٣١٩
ابن هشام الحضراوى : ٥١٥ ، ٥٣٨
حلال بن الحسن بن ابراهيم الصابى : ١٣٢

(و)

واصل بن عطاء : ٣٠ ، ٨٩
ونيمة بن موسى الوشاء : ٥٩
وهيب بن عبد الله : ٣٢٠

(ى)

ياقوت الجوى : ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ،
٨٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٠٠ ،
٣١١ ، ٣٣٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٦ ، ٥١٥